

تأريخ الإسلام

للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الخامس

[قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة]

[بمطبعة « بريل » بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩ م]

راجع وصححه وضبطه

نخبة من العلماء الأجلاء

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. ٧١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة سبعين

ففي هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من ذلك فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي اليه في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين (وفيها) شخص فيما ذكر محمد بن عمر مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة فقسمها في قومه وغيرهم وقدم بدواب كثيرة وظهر وأثقال فأرسل إلى عبدالله بن صفوان وجبير بن شيبة وعبدالله بن مطيع مالا كثيرا ونحر بدنا كثيرة (وحج) بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء

ثم دخلت سنة احدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك مسير عبد الملك بن مروان فيها على العراق لحرب مصعب بن الزبير وكان عبد الملك فيما قيل لا يزال يقرب من مصعب حتى يبلغ بطنان حبيب ويخرج مصعب إلى بآجيرا ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه ثم يعودان فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملي

لعمري لقد أصحرت خيلنا	بأكناف دجلة للصعب
إذا ما مناق أهل العرا	ق عوتب ثمت لم يُعتب
دلفنا إليه بذى تدرإ	قليل التفقد للغيب
يهيئون كل طويل القنا	ة ملتم النصل والشعل
كان وعاهم إذا ما غدوا	ضجيج قطا بلبه مخصب
فقدما واضح وجهه	كريم الضرائب والمنصب

أَعَيْنَ بِنَا وَنُصِرْنَا بِهِ وَمَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ لَمْ يُغْلَبْ

❦ فحدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال أقبل عبد الملك من الشام يريد مصعبا وذلك قبل هذه السنة في سنة ٧٠ ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال خالد لعبد الملك إن وجهتي إلى البصرة وأتبعني خيلا يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا في مواليه وخاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهلي قال عمر قال أبو الحسن قال مسلمة بن محارب أجار عمرو بن أصمع خالدا وأرسل إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ورجا عمرو بن أصمع أن يبايعه عباد بن الحصين بآني قد أجرت خالد فأجبت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهر افواه رسول له حين نزل عن فرسه فقال له عباد قل له والله لا أضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل فقال عمرو لخالد إني لا أغرك هذا عباد يأتينا الساعة ولا والله ما أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مسمع قال أبو زيد قال أبو الحسن ويقال إنه نزل على علي بن أصمع فبلغ ذلك عبادا فأرسل إليه عباد إني سائر إليك ❦ حدثني عمر قال حدثني علي بن محمد عن مسلمة وعوانة أن خالدا خرج من عند ابن أصمع يركض عليه قيص قوهي رقيق قد حسر على نخذه وأخرج رجله من الركاب حتى أتى مالكا فقال إني قد اضطررت إليك فأجرني قال نعم وخرج هو وابنه وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد فكانت أول راية أته راية بني يشكر وأقبل عباد في الخيل فتوافقوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان من الغد غدوا إلى جفرة نافع بن الحارث التي نسبت بعد إلى خالد ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه منهم صعصة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان في عدد منهم وكان أصحاب خالد جفريه يلبسون إلى الجفرة وأصحاب ابن معمر زُبَيْرِيَّة فكان من الجفريه عبيد الله بن أبي بكره وحران والمغيرة بن المهلب ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمي وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه فتقاضاه رجل أجرة فقال غدا أعطيكها فقال غطفان بن أنيف أحد بني كعب بن عمرو:

لَبِئْسَ مَا حَكَمْتَ يَا جَلَّاجُ النَّقْدُ دَيْنٌ وَالطَّعَانُ عَاجِلُ
وَأَنْتَ بِالْبَابِ سَمِيرُ آجِلُ

وكان قيس يعلم في عنق فرسه جلاجل وكان على خيل بنى حنظلة عمرو بن وبرة
القحفي وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم فيعطيههم عشرة عشرة فقتل له
لبئس ما حكمت يا ابن وبرة تُعْطَى ثَلَاثِينَ وَتُعْطَى عَشْرَةَ
ووجه المصعب زحر بن قيس الجعفي مدد لابن معمر في ألف ووجه عبد الملك
عبيد الله بن زياد بن ظبيان مدد الخالد فكره أن يدخل البصرة وأرسل مطربين
التوأم فرجع اليه فأخبره بتفرق الناس فلحق بعبد الملك ه قال أبو زيد قال أبو
الحسن حدثني شيخ من بني عرين عن السكن بن قتادة قال اقتلوا أربعة وعشرين
يوما وأصابت عين مالك فضجر من الحرب ومشت السفراء بينهم يوسف
ابن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص فصالحه على أن يخرج خالدا وهو آمن فأخرج
خالدا من البصرة وخاف أن لا يجيز المصعب أمان عبيد الله فلحق مالك بثاج فقال
الفرزدق يذكر مالكا ولحقو التيمية به وبخالد

عَجِيتُ لِأَقْوَامِ تَمِيمٍ أَبُوهُمْ وَهُمْ فِي بَنِي سَعْدٍ عِظَامُ الْمَبَارِكِ
وَكَانُوا أَعَزَّ النَّاسِ قَبْلَ مَسِيرِهِمْ إِلَى الْأَزْدِ مُصَفَّرَ الْحَايَا وَمَالِكِ
فَمَا ظَنَنْكُمْ بِابْنِ الْحَوَارِيِّ مُصْعَبٍ إِذَا افْتَرَعَ عَنْ أَنْيَابِهِ غَيْرَ ضَاحِكِ
وَنَحْنُ نَفِينَا مَالِكًا عَنْ بِلَادِهِ وَنَحْنُ فَقَانَا عَيْنَهُ بِالنِّيَّازِكِ

قال أبو زيد قال أبو الحسن حدثني مسلبة أن المصعب لما انصرف عبد الملك
إلى دمشق لم يكن له همة الا البصرة وطمع أن يدرك بها خالدا فوجده قد خرج
وآمن ابن معمر الناس فأقام أكثرهم وخاف بعضهم مصعبا فشخص ففضب
مصعب على ابن معمر وحلف أن لا يوليه وأرسل إلى الجفري فسيهم وأنهم قال
أبو زيد فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة أنه أرسل إليهم فأتى بهم فأقبل
عل عبيد الله بن أبي بكرة فقال يا ابن مسروح إنما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب
لجاءت بأحر وأسود وأصفر من كل كلب بما يشبهه وإنما كان أبوك عبدا زل إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم أقتم البيعة تدعون أن أباسفیان
 زنى بأمكم أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم ثم دعا بحمران فقال يا ابن اليهودية
 إنما أنت عالج نبطى سبيت من عين التمر ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود يا ابن
 الخبيث أتدرى من أنت ومن الجارود إنما كان الجارود علجاً بجزيرة ابن كاوأن
 فارسياً فقطع إلى ساحل البحر فأتته إلى عبد القيس ولا والله ما أعرف حياً أكثر
 اشتمالاً على سوءة منهم ثم أنكح أخته المكعبر الفارسية فلم يصب شرفاً قط
 أعظم منه فهو لاء ولدها يا ابن قباذ ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني فقال أأست
 من أهل هجر ثم من أهل سماهيج أما والله لأردنك إلى نسبك ثم أتى بعلی بن
 أصم فقال أعبد لى تميم مرة وعزى من باهلة ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حناط
 فقال يا ابن المشطور ألم يسرق عمك عنزا في عهد عمر فأمر به فسير ليقطعه أما والله
 ما أعنت إلا من ينكح أختك وكانت أخته تحت مقاتل بن مسمع ثم أتى بأبي حاضر
 الأسدي فقال يا ابن الإصطخرية ما أنت والأشراف وإنما أنت من أهل قطر دعى
 في بني أسد ليس لك فيهم قريب ولا نسب ثم أتى بزياد بن عمرو فقال يا ابن الكرمانى
 إنما أنت عالج من أهل كرمان قطعت إلى فارس فصرت ملاحاً مالك وللحرب
 لأنك بجر القلس أهدق ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال أعلی
 تكثروا أنت عالج من أهل هجر لحق أبوك بالطائف وهم يضمون من تأشب
 إليهم يتعززون به أما والله لأردنك إلى أصلك ثم أتى بشيخ بن النعمان فقال يا ابن
 الخبيث إنما أنت عالج من أهل زندور دهرت أمك وقتل أبوك فتزوج أخته
 رجل من بني يشكر فجاءت بغلامين فألحقاك بنسبهما ثم ضربهم مائة مائة وحلق
 رؤوسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم في الشمس ثلاثاً وحملهم على طلاق نساءهم
 وجهر أولادهم في البعوث وطاف بهم في أقطار البصرة وأحلفهم أن لا ينكحوا
 الحرائر وبعث مصعب خدش بن يزيد الأسدي في طلب من هرب من أصحاب
 خالد فأدرك مرة بن تحكان فأخذه فقال مرة

بني أسدٍ إن تقتلوني تحاربوا تيمنا إذا الحرب العوانُ اشتملت

بني أسد هل فيكم من هَوَادَةٍ فتَعْفُونَ إِنْ كَانَتْ فِي النَّعْلِ زَلَّتْ
فَلَا تَحْسِبِ الْأَعْدَاءُ إِذْ غَبَتْ عَنْهُمْ وَأُورِيتُ مَعْنَا أَنْ حَرْبِي كَلَّتْ
تَمْشِي خِدَاشٌ فِي الْأَسْكَهْ آمَنَا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْ الرِّمَاحِ وَعَلَّتْ
فقر به خدش فقتله وكان خدش على شُرطة مصعب يومئذ وأمر مصعب
سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن مسمع فهدمها وأخذ مصعب
ما كان في دار مالك فكان فيما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب قال وأقام
مصعب بالبصرة حتى شُخص إلى الكوفة ثم لم يزل بالكوفة حتى خرج لحرب
عبد الملك ونزل عبد الملك مسكن وكتب عبد الملك إلى الروانية من أهل العراق
فأجابه كلهم وشرط عليه ولاية أصبهان فأنعم بها لهم كلهم منهم حجار بن أبحر
والغضبان بن القُبَعْرِي وَعَتَاب بن ورقاء وقطن بن عبد الله الحارثي ومحمد بن عبد الرحمن
ابن سعيد بن قيس وزُحر بن قيس ومحمد بن عمير وعلي مقدمته محمد بن مروان وعلي
ميمته عبد الله بن يزيد بن معاوية وعلي ميسرته خالد بن يزيد وسار إليه مصعب
وقد خذله أهل الكوفة قال عروة بن المغيرة بن شعبة فخرج يسير متكئا على معرفة
دابته ثم تصفح الناس يمينا وشمالا فوقعت عينه على فقال يا عروة إلى فدنوت
منه فقال أخبرني عن الحسين بن علي كيف صنع بابائه النزول على حكم ابن زياد
وعزمه على الحرب فقال :

إِنَّ الْأَلَى بِالْطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأْتُوا فَتَسْأَلُونَ الْكِرَامَ النَّاسِيَا

قال فعلت أنه لا يريم حتى يقتل وكان عبد الملك فيما ذكر محمد بن عمر عن
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي قرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن
رجاء بن حيوة قال لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه فلما
أجمع بالمسير إلى مصعب وقد صفت له الشام وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ
إلى مصعب فاختلف عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريدون ولكنهم
أجبروا أن يقيم ويقدم الجيوش فإن ظفروا فذاك وإن لم يظفروا أمدم
بالجيوش خشية على الناس أن أصيب في لقائه مصعباً لم يكن وراءه ملك

فقالوا يا امير المؤمنين لو اقامت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من اهل بيتك ثم سرحته الى مصعب فقال عبد الملك انه لا يقوم بهذا الامر الا قرشي له رأى ولعل ابعث من له شجاعة ولا رأى له ولا اجد في نفسي انى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان اُجئتُ الى ذلك ومصعب في بيت شجاعة ابوه اشجع قریش وهو شجاع ولا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعه من ينصح لى فسار عبد الملك حتى نزل مسكن وسار مصعب الى باجيزا وكتب عبد الملك الى شيعته من اهل العراق فاقبل ابراهيم بن الاشر بكتاب عبد الملك محتوما لم يقرأه فدفعه الى مصعب فقال ما فيه؟ فقال ما قرأته فقرأه مصعب فاذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال لمصعب انه والله ما كان من أحد آيس منه منى ولقد كتب الى اصحابك كلهم بمثل الذى كتب الى فاطمى فيهم فاضرب أعناقهم قال اذا لاتناصحنا عشائهم قال فأورقهم حديداً وابعث بهم الى أبيض كسرى فاحبسهم هنالك ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعنفهم وإن غلبت مننت بهم على عشائهم فقال يا أبا النعمان انى لنى شغل عن ذلك يرحم الله أبا بحر إن كان ليحذرنى خدر اهل العراق كأنه كان ينظر الى ما نحن فيه ﷺ حدثنى عمر قال حدثنا محمد بن سلام عن عبد القاهر بن السرى قال هم اهل العراق بالغدر بمصعب فقال قيس بن الهيثم ويحكم لاتدخلوا اهل الشام عليكم فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليُصفين عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد اهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله فى حاجة ولقد رأيتنا فى الصوائف وأحدنا على ألف بعير وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه قال ولما تدانى العسكران بدى الجانليق من مسكن تقدم ابراهيم بن الاشر فحمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه فوجه عبد الملك ابن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية فقرب من محمد بن مروان والتقى القوم فقتل مسلم بن عمرو الباهلى وقتل يحيى بن مبشر أحد بنى ثعلبة بن يربوع وقتل ابراهيم بن الاشر فهرب عتاب بن ورقاء وكان على الخيل مع مصعب فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثى أبا عثمان قدّم خيلك قال ما أرى ذلك قال ولم قال أكره

أن تقتل مذحج في غير شيء فقال لجبار بن أبجر أبا أسيد قدم أرايتك قال إلى هذه العذرة قال ما تأخر إليه والله أنتن والام فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس مثل ذلك فقال ما أرى أحدا فعل ذلك فأفعله فقال مصعب يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ﷺ حدثني أبو زيد قال حدثني محمد بن سلام قال أخبر ابن خازم بمسير مصعب إلى عبد الملك فقال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال أمعه المهلب بن أبي صفرة قيل لا استعمله على الموصل قال أمعه عباد بن الحصين قيل لا استخلفه على البصرة فقال وأنا بخراسان

خُذْنِي فُجْرَنِي جَعَارٍ وَأُبْشِرِي بَلَّحِمِ امْرِي لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرَةٌ
فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب يا بني اركب أنت ومن معك إلى عمك بمكة فأخبره ما صنع أهل العراق ودعني فأني مقتول فقال ابنه والله لا أخبر قريشا عنك أبدا ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة أو الحق بأمير المؤمنين قال مصعب والله لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزما ولكن أقاتل فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار وما الفرار لي بعادة ولا خلق ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل فرجع فقاتل حتى قتل ه قال علي بن محمد عن يحيى بن اسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه أن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان أن ابن عمك يعطيك الأمان فقال مصعب إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالبا أو مغلوبا وقال الهيثم بن حدي حدثنا عبد الله بن عياش عن أبيه قال إننا لو قوف مع عبد الملك ابن مروان وهو يحارب مصعبا إذ دنا منه زياد بن عمرو فقال يا أمير المؤمنين إن اسماعيل بن طلحة كان لي جار صدق قلنا أرادني مصعب بسوء إلا دفعه عني فإن رأيت أن تؤمنه على جرمه قال هو آمن فمضى زياد وكان ضنخا على ضنخ حتى صار بين الصفين فصاح أين أبو البختری اسماعيل بن طلحة فخرج إليه فقال إني أريد أن أذكر لك شيئا فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما وكان الناس ينتطقون بالجواشي المحشورة فوضع زياد يده في منطقة اسماعيل ثم اقتلعه عن سرجه وكان نحيفا فقال

أُشَدَّكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْمَغيرة إن هذا ليس بالوفاء لمصعب فقال هذا أحبُّ إلى من أن أراك غداً مقتولاً ولما أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى ابن مصعب وقال له يا ابن أخي لا تقتل نفسك لك الأمان فقال له مصعب قد آمنك عمك فامض إليه قال لا تتحدث نساء قريش أنى أسلمتلك للقتل قال فتقدم بين يديّ أحسبك فقاتل بين يديه حتى قتل وأُتِخَنَ مصعب بالرمي ونظر إليه زائدة ابن قدامة فشده عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه ونزل إليه عبيد الله بن زياد ابن ظبيان فاحتز رأسه وقال إنه قتل أخى النابى بن زياد فأتى به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار فأبى أن يأخذها وقال إني لم أقتله على طاعتك إنما قتلته على وتر صنعه بى ولا آخذ في حمل رأس مالا فتركه عند عبد الملك وكان الوتر الذى ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولي في بعض ولايته شرطة مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحد بنى جأوة ❀ فحدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو الحسن المدائني ومحمد بن يحيى بن حاضر أن مطرفاً أتى بالنابى بن زياد بن ظبيان ورجل من بنى نمير قد قطعاً الطريق فقتل النابى وضرب النميرى بالسياط فتركه فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعاً بعد أن عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز فخرج يريده فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر فعبر مطرف إليه النهر وعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب ابن ظبيان فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب إليه ولم يلق ابن ظبيان ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه فقال البغيث الإشكري بعد قتل مصعب يذكر ذلك :

ولما رأينا الأمرَ نكساً صُدُورُهُ	وَهَمَّ الْهَوَادِي أَنْ تَكُنْ تَوَالِيَا
صَبَرْنَا لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يُقِيمَهُ	وَلَمْ نَرُضْ إِلَّا مِنْ أَمِيَّةٍ وَآلِيَا
وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وَابْنَ مُصْعَبٍ	أَخَا أَسَدٍ وَالنَّخَعِيَّ الْيَمَانِيَا
وَمَرَّتْ عُقَابُ الْمَوْتِ مِنَّا بِمَسْلَمٍ	فَأَهْوَتْ لَهُ نَابِتًا فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا
سَقَيْنَا ابْنَ سِيدَانٍ بِكَاسِ رَوِيَّةٍ	كَفَتْنَا وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا كَانَ كَافِيَا

❦ مثنى أبو زيد قال حدثني علي بن محمد قال مر ابن ظبيان بآبنة مطرف
بالصرة فقتل لها هذا قاتل أبيك فقالت في سبيل الله أبي فقال ابن ظبيان :
فلا في سبيل الله لاقى حمامه أبوك ولكن في سبيل الدّراهم
فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة فبايعوه
وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدّجيل عند دير الجاثليق فلما قتل أمر به
عبد الملك وبأبنة عيسى فدفنوا ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد عن أبي بكر بن عمر
عن عروة قال قال عبد الملك حين قتل مصعب وأرؤهُ فقد والله كانت الحرمة
بيننا وبينه قديمة ولكن هذا الملك عقيم قال أبو زيد وحدثني أبو نعيم قال حدثني
عبد الله بن الزبير أبو أبي أحمد عن عبد الله بن شريك العامري قال إني لواقف
إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجت له كتابا من قبائي فقلت له هذا كتاب
عبد الملك فقال ما شئت قال ثم جاء رجل من أهل الشام فدخل عسكره فأخرج
جارية فصاحت وأذلاه فنظر إليها مصعب ثم أعرض عنها قال وأتى عبد الملك
برأس مصعب فنظر إليه فقال متى تغذو قريش مثلك وكانا يتحدثان إلى حبي وهما
بالمدينة فقتل لها قاتل مصعب فقالت تعس قاتله قيل قتله عبد الملك بن مروان قالت
بأبي القاتل والمقتول قال وحج عبد الملك بعد ذلك فدخلت عليه حبي فقالت
أقتلت أخاك مصعبا فقال :

من يَذِقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مرًا وتَشْرُكُهُ بِجَعَجَاعِ
وقال ابن قيس الرقيّات :

لقد أَوْرَثَ المَصْرَيْنِ خِزْيًا وَذِلَّةً قَتِيلٌ بِدَيْرِ الجَاثِلِيْقِ مُقِيمٌ
فما نصحت لله بِبَكْرُ بنِ وائِلٍ ولا صَبَرْتُ عِنْدَ اللِّقَاءِ تَمِيمٌ
ولو كان بِبَكْرِيًّا تَعَطَّفَ حَوَاهُ كِتَابُ يَغْلِي حَمِيْهَا وَيَدُومُ
ولكنه ضاع الذَّمَامُ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مُضَرِّي يَوْمَ ذَاكَ كَرِيمٌ
جزى الله كوفيًّا هناك مَلَامَةً وَبَضْرِيَّهِمْ إِنِّ المَلِيْمُ مَلِيْمٌ
وإنَّ بَنِي العَلَاتِ أَخْلَوْا ظَهْرَنَا وَنَحْنُ صَرِيحٌ بَيْنَهُمْ وَصَمِيمٌ

فَإِنْ نَفْسٌ لَا يَقْوَا أَوْلَئِكَ بَعْدَنَا لَذِي حُرْمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمٌ
 (قال أبو جعفر) وقد قيل إن ما ذكرت من مقتل مصعب والحرب التي
 جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة ٧٢ وأن أمر خالد بن عبد الله بن خالد
 ابن أسيد ومصييره إلى البصرة من قبل عبد الملك كان في سنة ٧١ وقتل مصعب
 في جمادى الآخرة (وفي هذه السنة) دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق
 أعمال العراق والمصريين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي وأما
 أبو الحسن فإنه ذكر أن ذلك في سنة ٧٢ ❦ وحشي عمر قال حدثني علي بن
 محمد قال قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى
 أو الآخرة سنة ٧٢ ولما أتى عبد الملك الكوفة فيما ذكر نزل النخيلة ثم دعا
 الناس إلى البيعة فجاءت قضاة فرأى قلة فقال يا معشر قضاة كيف سلمتم من
 مصر مع قتلكم فقال عبد الله بن يعلى النهدي نحن أعز منهم وأمنع قال بمن قال
 بمن معك منا يا أمير المؤمنين ثم جاءت مذبح وهمدان فقال ما أرى لأحد
 مع هؤلاء بالكوفة شيئاً ثم جاءت جُمُعِي فلما نظر إليهم عبد الملك قال يا معشر
 جُعِي أَشْتَمَلْتُمْ عَلَى ابْنِ أَخْتِكُمْ وَوَارَيْتُمُوهُ يَعْنِي يَحْيَى بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالُوا
 نَعَمْ قَالَ فَهَاتُوهُ قَالُوا وَهُوَ آمِنٌ قَالَ وَتَشْرَطُونَ أَيْضاً فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِنَّا وَاللَّهِ
 مَا نَشْرَطُ جَهْلًا بِحَقِّكَ وَلَكِنَّا نَتَسَجَّبُ عَلَيْهِ تَسَجَّبُ الْوَلَدُ عَلَى وَالِدِهِ فَقَالَ
 أَمَا وَاللَّهِ لَنَعْمَ الْحَيُّ أَنْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ لِفِرْسَانًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هُوَ آمِنٌ فَجَاؤُوا بِهِ
 وَكَانَ يَكْنَى أَبَا أَيُّوبَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ أَبَا قُبَيْحٍ بِأَيِّ وَجْهِ تَنْظُرُ إِلَى
 رَبِّكَ وَقَدْ خَلَعْتَنِي قَالَ بِالْوَجْهِ الَّذِي خَلَقَهُ فَبَايَعَ ثُمَّ وَلِيَ فَنَظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي قَفَاهُ
 فَقَالَ اللَّهُ دَرَّهْ أَيْ ابْنُ زَوْمَلَةَ هُوَ يَعْنِي غُرَيْبَةَ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ
 مَعْنٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ مَعْبُدَ بْنَ خَالِدِ الْجَدَلِيَّ قَالَ ثُمَّ تَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ مَعْشَرُ عَدْرَانَ قَالَ فَقَدَّمْنَا
 رَجُلًا وَسَيِّمًا جَمِيلًا وَتَأَخَّرْتُ وَكَانَ مَعْبُدٌ دَمِيماً فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ مَنْ فَقَالَ الْكَاتِبُ
 عَدْرَانُ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدْوَانِ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ

بني بعضهم بَعْضًا فَلَمْ يَرعُوا عَلَى بَعْضٍ
 ومنهم كانت السَّادَاتُ والموفون بالقرضِ
 ثم أقبل على الجليل فقال إليه فقال لأدرى فقلت من خلفه :
 ومنهم حكمٌ يَقْضَى فلا يُنْقَضُ ما يَقْضَى
 ومنهم من يُجِيزُ الحُجَّجَ بالسَّنة والقرضِ
 وهم مُذْؤَلِدُوا شَبَّوْا بِسِرِّ النِّسْبِ المحضِ

قال فتركتني عبد الملك ثم أقبل على الجليل فقال من هو قال لأدرى فقلت من
 خلفه ذو الإصبع قال فأقبل على الجليل فقال ولم سمي ذا الإصبع فقال لأدرى
 فقلت من خلفه لأن حية عضت أصبعه فقطعتها فأقبل على الجليل فقال ما كان اسمه
 فقال لأدرى فقلت من خلفه حرثان بن الحارث فأقبل على الجليل فقال من أيكم
 كان قال لأدرى فقلت من خلفه من بني ناج فقال

أبعد بني ناج وسعيل بينهم فلا تَتَّبِعَنَّ عَيْنَيْكَ ما كان هالِكًا
 إذا قُلْتَ مَعْرُوفًا لأصاحِبِ بينهم يقول وهيب لأصالح ذلكا
 فأضحى كظْهر العيرِ جَبَّ سَنَامُهُ تَطِيفُ به الولدان أحَدَبَ بَارَكَا

ثم أقبل على الجليل فقال كم عطاؤك قال سبعمائة فقال لي في كم أنت
 قلت في ثلثمائة فأقبل على الكاتبين فقال حُطَّا مِنْ عِطَاءِ هَذَا أَرْبَعَمِائَةٍ
 وزيداهما في عطاء هذا فرجعت وأنا في سبعمائة وهو في ثلثمائة ثم جاءت كندة
 فنظرت إلى عبد الله بن إسحاق بن الأشعث فأوصى به بشرا أخاه وقال اجعله
 في صحابتك وأقبل داود بن قحذم في مائتين من بكر بن وائل عليهم الأقيّة
 الداودية وبه سُمِّيَتْ فجلس مع عبد الملك على سريرته فأقبل عليه عبد الملك ثم نهض
 ونهضوا معه فأتبعهم عبد الملك بصره فقال هؤلاء الفساق والله لولا أن صاحبهم
 جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة ثم إنه ولي فيما قيل تَطَنَ بن عبد الله الحارثي
 الكوفة أربعين يوما ثم عزله وولى بشر بن مروان وصعد منبر الكوفة فخطب
 فقال إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فأسمى بنفسه ولم يغريز ذنبه

في الحرم ثم قال إني قد استعملت عليكم بشر بن مروان وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة والشدة على أهل المعصية فاستمعوا له وأطيعوا واستعمل محمد بن عمير على همدان ويزيد بن رويم على الري وفرق العمال ولم يَفْ لأحد شرط عليه ولاية أصبهان ثم قال عليّ هؤلاء الفساق الذين أنغلوا الشام وأفسدوا العراق فقليل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير عليّ أحد وكان عبد الله بن يزيد ابن أسد لجأ إلى عليّ بن عبد الله بن عباس ولجأ إليه أيضاً يحيى بن معيوف الحمداني ولجأ الهذيل بن زفر بن الحارث وعمرو بن زيد الحكّمي إلى خالد بن يزيد بن معاوية فآمنهم عبد الملك فظهروا (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكرة وحران بن أبان ❦ مشني عمر بن شبة قال حدثني عليّ بن محمد قال لما قتل المصعب وثب حران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكرة فتنازعا في ولاية البصرة فقال ابن أبي بكرة أنا أعظم غناء منك أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقليل لحران إنك لا تقوى على ابن أبي بكرة فاستعن بعبد الله بن الأهم فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكرة ففعل وغلب حران على البصرة وابن الأهم على شرطها وكان لحران منزلة عند بني أمية ❦ مشني أبو زيد قال حدثني أبو عاصم النبيل قال أخبرني رجل قال قدم شيخ أعرابي فرأى حران فقال من هذا فقالوا حران فقال لقد رأيت هذا وقدمال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه قال أبو زيد قال أبو عاصم فحدثت بذلك رجلا من ولد عبد الله بن عامر فقال حدثني أبي أن حران مدرج له فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها (وفي هذه السنة) بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة واليا ❦ مشني عمر قال حدثني عليّ بن محمد قال مكث حران على البصرة يسيرا وخرج ابن أبي بكرة حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب فولى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها فوجه خالد عبيد الله ابن أبي بكرة خليفته على البصرة فلما قدم على حران قال أقد جئت لاجئت فكان ابن أبي بكرة على البصرة حتى قدم خالد (وفي هذه السنة) رجع عبد الملك فيما زعم الواقدي

إلى الشام . قال وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف قال وهو آخر والي لابن الزبير على المدينة حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بالمدينة حتى كتب إليه عبد الملك (وحج) بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى قال حدثني مصعب بن عثمان قال لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل مصعب قام في الناس فقال الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ألا وإنه لم يُذل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً ولم يُعزز من كان وليه الشيطان وحزبه وإن كان معه الأنام طراً ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر حزنا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة وأما الذي حزتنا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله وما أنا من عثمان بخلو مصيبة وما مصعب إلا عبد من عبيد الله وعون من أعوانى ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلبوه وباعوه بأقل الثمن فإن يُقتل فإننا والله مانموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الاسلام ومانموت إلا قعصاً بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبدل ملكه فإن تُقبل لا آخذها أخذ الأشر البطر وإن تُدبر لا أبك عليها بكاء الخرق المهين أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وذكر أن عبد الملك لما قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع وأمر به إلى الخورنق وأذن إذنا عاما فدخل الناس فأخذوا بحالهم فدخل عمرو بن حريث الخزومي فقال إلى وعلى سريرى فأجلسه معه ثم قال أى الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك قال عناق حمراء قد أجيد تمليحها وأحكم نضجها قال ما صنعت شيئاً فأين أنت من عُمر وس راضع قد أجيد سَمطه وأحكم نضجه اختلجت إليك رجله فأتبعته يده غذى بشريحين من لبن

وسمن ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك بن مروان ما ألد عيشنا لو أن شيئاً يدوم ولكننا كما قال الأول :

وكل جديد يا أميم إلى بلى وكل أمرئ يوماً يصير إلى كان
فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمر بن حريث لعمري هذا
البيت ومن بنى هذا البيت وعمره يخبره فقال عبد الملك

وكل جديد يا أميم إلى بلى وكل أمرئ يوماً يصير إلى كان
ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال :

اعمل على مهل فانك ميتٌ واكدح لنفسك أيها الإنسان
فكأن ما قد كان لميك إذ مضى وكأن ما هو كأن قد كان
(وفي هذه السنة) افتتح عبد الملك في قول الواقدي قيسارية

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

(قال أبو جعفر) فن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة
وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد (ذكر هشام بن محمد) عن أبي مخنف أن
حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارنة والمهلب بعد ما اقتتلوا
بسؤلاف ثمانية أشهر أشد القتال أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قتل فباغ ذلك الخوارج
قبل أن يباغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ألا تخبرونا ما قولكم في مصعب قالوا
إمام هدى قالوا فهو وليكم في الدنيا والآخرة قالوا نعم قالوا أو أنتم أولياؤه أحياء أمواتا
قالوا ونحن أولياؤه أحياء أمواتا قالوا فما قولكم في عبد الملك بن مروان قالوا ذلك
ابن اللعين نحن إلى الله منه برآء هو عندنا أحل دما منكم قالوا فأنتم منه برآء في الدنيا
والآخرة قالوا نعم كبراءتكم قالوا أو أنتم له أعداء أحياء أمواتا قالوا نعم نحن له أعداء
كعداؤنا لكم قالوا فإن إمامكم مصعباً قد قتله عبد الملك بن مروان ونراكم ستجعلون غداً
عبد الملك إمامكم وأنتم الآن تبرؤون منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم بأعداء الله فلما كان

من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم
الخوارج فقالوا ما تقولون في مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم ما قولنا فيه وكرهوا
أن يكذبوا أنفسهم عندهم قالوا فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة
وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتا فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك قالوا ذاك إمامنا
وخليفتنا ولم يجدوا إلا ذبايعوه بدأ من أن يقولوا هذا القول قالت لهم الأزارقة يا أعداء
الله أنتم أمس تبرؤن منه في الدنيا والآخرة وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتا
وهو اليوم إمامكم وخليفتكم وقد قتل إمامكم الذي كنتم تولونه فأيهما الحق وأيها
المهتدى وأيها الضال قالوا لهم يا أعداء الله رضينا بذلك إذ كان ولي أمورنا ونرضى
بهذا كما رضينا بذلك قالوا لا والله لو كنكم إخوان الشياطين وأولياء الظالمين وعبيد
الدنيا وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة وخالد بن عبد الله
ابن خالد بن أسيد على البصرة فلما قدم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز
ومعوتها وبعث عامر بن مسمع على سابور ومقاتل بن مسمع على أردشير خره
ومسمع بن مالك بن مسمع على فسأودرا بجرد والمغيرة بن المهلب على اصطخر
ثم إنه بعث إلى مقاتل فبعثه على جيش وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة
فانحطوا عليه من قبل كرمان حتى أتوا درابجرد فسار نحوهم وبعث قَطْرِيٌّ مع
صالح بن مخراق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير
بالناس ليلا يجرّون على غير تعبئة فهزم الناس ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى
قتل وانهزم عبد العزيز بن عبد الله وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت
فيمن يزيد فبلغت مائة ألف وكانت جميلة فغار رجل من قومها كان من رؤس
الخوارج يقال له أبو الحديد الشَّسَنِيَّ فقال تنحوا هكذا ما أرى هذه المشركة إلا قد
فتنتكم فضرب عنقها ثم زعموا أنه لحق بالبصرة فرآه آل منذر فقالوا والله ما ندرى
أَن نَحْمَدُكَ أم نَذِمُكَ فكان يقول ما فعلته إلا غيرة وحمية وجاء عبد العزيز حتى انتهى
إلى رام هُرْمُز وأتى المهلب فأخبر به فبعث إليه شيخاً من أشياخ قومه كان أحد
فرسانه فقال اتته فان كان منهزماً فعزه وأخبره أنه لم يفعل شيئاً لم يفعله الناس قبله

وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلاً ثم يعزه الله وينصره فأتاه ذلك الرجل فوجدوه نازلاً في نحو من ثلاثين رجلاً كثيراً حزينا فسلم عليه الأزدي وأخبره أنه رسول المهلب وبلغه ما أمره به وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة ثم انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر فقال له المهلب الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر فقال أنا آتية أخبره أن أخاه هزم والله لا آتية فقال المهلب لا والله لا يأتية غيرك أنت الذي عاينته ورأيت وأنت كنت رسولاً إليه قال هو إذاً يهديك يا مهلب إن ذهب إليه العام ثم خرج قال المهلب أما أنت والله فانك لي آمن أما والله لو أنك مع غيري ثم أرسلك على رجلك خرجت تشتد قال له وأقبل عليه كأنك إنما تمن علينا بحملك فنحن والله نكافيك بل نزيداً ما تعلم أنا نعرض أنفسنا للقتل دونك ونحميك من عدوك ولو كنا والله مع من يجهل علينا ويبعثنا في حاجاته على أرجلنا ثم احتاح إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ووقينا به أنفسنا قال له المهلب صدقت صدقت ثم دعا قتي من الأزدي كان معه فسرجه إلى خالد يخبره خبر أخيه فأتاه الفتى الأزدي وحوله الناس وعليه جبة خضراء ومطرف أخضر فسلم عليه فرد عليه فقال ما جاء بك قال أصلحك الله أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته قال وما عاينت قال رأيت عبد العزيز برام هزماً مهزوماً قال كذبت قال لا والله ما كذبت وما قلت لك إلا الحق فإن كنت كاذباً فاضرب عنقي وإن كنت صادقاً فأعطني أصلحك الله جبتك ومطرفك قال ويحك ما أيسر ما سألت ولقد رضيت مع الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً فخبسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبين له هزيمة القوم فكتب إلى عبد الملك أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج وأنهم لقوه بفارس فاقتلوا قتالاً شديداً فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفل إلى الأهواز فأحببت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فكتب إليه أما بعد فقد قدم رسولك في كتابك تعلني فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هزم وقتل من قتل وسألت

رسولك عن مكان المهلب فحدثني أنه عامل لك على الأهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب إلى جنبك يجي الخراج وهو الميمون النقية الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن أبنائها انظر أن ينهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز ومن وراء الأهواز وقد بعثت إلى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة فإذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب وتستشير به إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فشق عليه أن قيل رأيته في بدنة أخيه وترك المهلب وفي أنه لم يرض رأيته خالصا حتى قال أحضره المهلب واستشره فيه وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان أما بعد فإني قد كتبت إلى خالد بن عبد الله أمره بالنهوض إلى الخوارج فصرخ إليه خمسة آلاف رجل وابعث عليهم رجلا من قبلك ترضاه فإذا قضوا غزواتهم تلك صرفتهم إلى الرى فقاتلوا عدوهم وكانوا في مسالحهم وجبوا فيأهم حتى تأتى أيام عقيهم فتعقبهم وتبعث آخرين مكانهم فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وقال إذا قضيت غزائك هذه فانصرف إلى الرى وكتب له عليها عهدا وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز وجاء عبد الرحمن بن محمد يبعث أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم وقال المهلب لخالد بن عبد الله إني أرى ههنا سُنفا كثيرة فضعها إليك فوالله ما أظن القوم إلا مُحرقها فما لبث إلا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم إليها فحرقها وبعث خالد بن عبد الله على ميمته المهلب وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس ابن ثعلبة ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يَخْدَقْ فقال له يا ابن أخى ما يمنعك من الخندق فقال والله لهم أهون على من ضرورة الجمل قال فلا يهونوا عليك يا ابن أخى فانهم سباع العرب لا أبرح أو تضرب عليك خندقا ففعل وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم أهون على من ضرورة الجمل فقال شاعرهم

يا طالب الحق لا تُسْتَهْوِ بِالْأَمَلِ فإن من دون ما تهوى مدى الأجل

واعمل لربك واسأله مشوَّبتهُ فان تقواه فاعلم أفضل العمل
 واغزُ الخانيث في الماذى مُعلِّمةُ كيما تُصبح غَدُوا ضَرْطَةَ الجمل
 فأقاموا نحواً من عشرين ليلةً ثم إن خالداً زحف اليهم بالناس فرأوا أمراً
 هالهم من عدد الناس وعُدَّتْهم فأخذوا يتحازون واجتزأ عليهم الناس ففكرت
 عليهم الخيل وزحف اليهم فأنصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم
 طاقة بقتال جماعة الناس وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحزم في جيش من
 أهل البصرة وأنصرف خالد إلى البصرة وأنصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الرى
 وأقام المهلب بالأهواز فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك أما بعد فإني أخبر
 أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين وخرجوا من
 ولاية المسلمين فالتقينا بمدينة الأهواز فتناهضنا فاقتلنا كأشد قتال كان في الناس ثم إن
 الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين وضرب الله وجوه أعدائه فأتبعهم المسلمون
 يقتلونهم ولا يمنعون ولا يمتنعون وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ثم أتبعهم
 داود بن قحزم والله إن شاء مهلكهم ومستأصلهم والسلام عليك فلما قدم هذا
 الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر بن مروان أما بعد فابعث من قبلك رجلاً
 شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فارس فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة فان
 خالداً كتب إلى يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحزم فمر صاحبك الذي
 تبعث أن لا يخالف داود بن قحزم إذا ما التقياً فان اختلاف القوم بينهم عون لعدوهم
 عليهم والسلام عليك فبعث بشر بن مروان عتَّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس
 من أهل الكوفة فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحزم بأرض فارس ثم اتبعوا
 القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم وأصابهم الجهد والجوع ورجع عامة
 ذينك الجيشين مُشاةً إلى الأهواز فقال ابن قيس الرقيات من بني مخزوم في هزيمة
 عبد العزيز وفراره عن امرأة.

عبد العزيز فَضَحَتْ جَيْشَكَ كُلَّهُمْ وَزَكَتْهُمْ صَرَعى بكل سبيل
 من بين ذى عَجْطٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَمَلَحَبٍ بَيْنَ الرِّجَالِ قَتِيلٍ

هَلَّا صَبَرْتَ مَعَ الشَّهِيدِ مُقَارِبًا إِذْ رَحْتَ مُنْتَكِبَ الْقَوَى بِأَصِيلٍ
وَتَرَكْتَ جَيْشَكَ لِأَمِيرٍ عَلَيْهِمْ فَارْجَعْ بِعَارٍ فِي الْحَيَاةِ طَوِيلٍ
وَنَسِيتَ عِرْسَكَ إِذْ تُقَادُ سَبِيَّةٌ تُبْكِي الْعَيُونَ بَرَّةً وَعَوِيلٍ
(وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ) كَانَ خُرُوجُ أَبِي فُذَيْكٍ الْخَارِجِيِّ وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ
فَغَلَبَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَقَتَلَ نَجْدَةَ بْنَ عَامِرِ الْحَنْظَلِيِّ فَاجْتَمَعَ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
نَزُولُ قَطْرِى الْأَهْوَازِ وَأَمْرُ أَبِي فُذَيْكٍ فَبَعَثَ أَخَاهُ أُمِيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى جَنْدِ كَثِيفٍ
إِلَى أَبِي فُذَيْكٍ فَهَزَمَهُ أَبُو فُذَيْكٍ وَأَخَذَ جَارِيَةً لَهُ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ وَسَارَ أُمِيَّةُ عَلَى
فَرَسٍ لَهُ حَتَّى دَخَلَ الْبَصْرَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَكَتَبَ خَالِدٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِحَالِهِ وَحَالِ
الْأَزَارِقَةِ (وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ) وَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفٍ إِلَى مَكَّةَ لِقِتَالِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَكَانَ السَّبَبُ فِي تَوَجُّهِهِ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ فِيمَا ذُكِرَ أَنَّ
عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا أَرَادَ الرَّجُوعَ إِلَى الشَّامِ قَامَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفٍ فَقَالَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنِّي أَخَذْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْبِرِ فَسَلَخْتُهُ فَأَبْعَثْنِي إِلَيْهِ وَوَلَّنِي
قِتَالَهُ فَبَعَثَهُ فِي جَيْشِ كَثِيفٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِمْ
عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْأَمَانِ إِنْ دَخَلُوا فِي طَاعَتِهِ فَخَدَعْنِي الْحَارِثُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ
قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو قَالَ حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عِبَادِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ قَالَ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قَتَلَ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ الْحَجَّاجُ
ابْنَ يَوْسُفٍ إِلَى ابْنِ الزَّيْبِرِ بِمَكَّةَ فَخَرَجَ فِي أَلْفَيْنِ مِنْ جُنْدِ أَهْلِ الشَّامِ فِي جُمَادَى مِنْ
سَنَةِ ٧٢ فَلَمْ يَعْصِ لِلْمَدِينَةِ وَسَلَكَ طَرِيقَ الْعِرَاقِ فَنَزَلَ بِالطَّائِفِ فَكَانَ يَبْعَثُ
الْبُعُوثَ إِلَى عَرَفَةَ فِي الْحُلِّ وَيَبْعَثُ ابْنَ الزَّيْبِرِ بَعَثًا فَيَقْتُلُونَ هُنَاكَ فَكُلُّ ذَلِكَ تُهْزَمُ
خَيْلُ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَتَرْجَعُ خَيْلُ الْحَجَّاجِ بِالظَّفَرِ ثُمَّ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
يَسْتَأْذِنُهُ فِي حَصَارِ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَدُخُولِ الْحَرَمِ عَلَيْهِ وَيَخْبِرُهُ أَنَّ شَوْكَتَهُ قَدْ كَلَّتْ
وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَامَةُ أَصْحَابِهِ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُبَدِّدَهُ بِرِجَالِ لُجَّاءِهِ كَتَابَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَكَتَبَ
عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى طَارِقِ بْنِ عَمْرٍو بِأَمْرِهِ أَنْ يَلْحَقَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ بِالْحَجَّاجِ فَسَارَ
فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالْحَجَّاجِ وَكَانَ قَدُومُ الْحَجَّاجِ الطَّائِفِ فِي

شعبان سنة ٧٢ فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير وحج الحجاج بالناس في هذه السنة وابن الزبير محصور وكان قدوم طارق مكة للال ذى الحجة ولم يطف بالبيت ولم يصل اليه وهو محرم وكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل عبد الله بن الزبير ونحر ابن الزبير بدنأ بمكة يوم النحر ولم يحج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة قال محمد بن عمر حدثني سعيد بن مسلم بن بابك عن أبيه قال حججت في سنة ٧٢ فقد منا مكة فدخلناها من أعلاها فتجد أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون إلى بئر ميمون فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة ثم حج بالناس الحجاج فرأيت واقفا بالهضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر ثم صدر فرأيت عدل إلى بئر ميمون ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون ورأيت الطعام عندهم كثيراً ورأيت العير تأتي من الشام تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب ولقد ابتعنا من بعضهم كعكا بدرهم فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة وإنا لثلاثة نفر قال محمد بن عمر حدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال وكان عالماً بفتنة ابن الزبير قال حصر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة ٧٢ (وفي هذه السنة) كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمي يدعو إلى بيعته ويطعمه خراسان سبع سنين فذكر علي بن محمد أن المفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيذ حدثوه قال وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض أن مصعب ابن الزبير قتل سنة ٧٢ وعبد الله بن خازم بأبر شهر يقاتل بحير بن ورقاء الصريمي صريم بن الحارث فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشيم النخعي إن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي فقال ابن خازم لسورة لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة فأكلها قال وقال أبو بكر بن محمد بن واسع بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سودة بن عبيد الله النخعي وقال بعضهم بعث عبد الملك إلى ابن خازم سنان بن مكمل الغنوي وكتب إليه أن خراسان طعمة لك فقال له ابن خازم إنما بعثك أبو الذببان لأنك من غنى

وقد علم أني لا أقتل رجلاً من قيس ولكن كل كتابه قال وكتب عبد الملك إلى
بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهد
على خراسان ووعده موثاه فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ودعا إلى عبد الملك
ابن مروان فأجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم بخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو فيجتمع
عليه أهل مرو وأهل أبر شهر فترك بحيرا وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه
بالترمذ فأتبعه بحير فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية شاهمغد بينها وبين مرو ثمانية
فراسخ قال فقاتله ابن خازم فقال مولى لبني ليث كنت قريباً من معترك القوم في
منزل فلما طلعت الشمس تهايج العسكران فجعلت أسمع وقع السيوف فلما ارتفع
النهار خفيت الأصوات فقلت هذا لارتفاع النهار فلما صليت الظهر وأقبل الظهر
خرجت فلتقاني رجل من بني تميم فقلت ما الخبر قال قتل عدو الله ابن خازم
وها هو ذا وإذا هو محمول على بغل وقد شدوا في مذا كبره جبلاً وحجراً أو عدلوه
به على البغل قال وكان الذي قتله وكيع بن عميرة القريني وهو ابن الدورقية
اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي وو كيع فطعنوه فصرعوه
فقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لو كيع كيف قتلت ابن خازم قال
غلبته بفضل القنا فلما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر عليه وقلت
يا الثارات دويلة ودويلة أخ لو كيع لأمه قتل قبل ذلك في غير تلك الأيام قال
وكيع فتنخم في وجهي وقال لعنك الله تقتل كبش مضر بأخيك عالج لا يساوي
كفأ من نوى أو قال من تراب فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت
قال فذكر ابن هيرة يوماً هذا الحديث فقال هذه والله البسالة قال وبعث بحير
ساعة قتل ابن خازم رجلاً من بني غدانة إلى عبد الملك بن مروان يخبره بقتل
ابن خازم ولم يبعث بالرأس وأقبل بكير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل
ابن خازم فأراد أخذ رأس ابن خازم فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وأخذ الرأس
وقيد بحيراً وحبسه وبعث بكير بالرأس إلى عبد الملك وكتب إليه يخبره أنه هو
الذي قتله فلما قدم بالرأس على عبد الملك دعا الغداني رسول بحير وقال ما هذا

قال لأدرى وما فارقت القوم حتى قتل فقال رجل من بني سليم
 أَيْلَتَنَا بَنِي سَابُورَ رَدَى عَلَى الصَّبْحِ وَيَحْكُ أَوْ أُنِيرِي
 كَوَاكِبُهَا زَوَاحِفُ لَانِغْبَاتُ كَانَ سَمَاءَهَا يَدَى مُدِيرِ
 تَلَوْمُ عَلَى الْحَوَادِثِ أَمْ زَيْدٍ وَهَلْ لَكَ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَكِيرِ
 جَهْلَنَ كِرَامَتِي وَصَدَدَنَ عَنِّي إِلَى أَجْلِ مَنْ الدُّنْيَا قَصِيرِ
 فَلَوْ شَهِدَ الْفَوَارِسُ مِنْ سَلِيمٍ غَدَاةَ يَطَافُ بِالْأَسَدِ الْعَقِيرِ
 لَنَازَلَ حَوْلَهُ قَوْمُ كَرَامٍ فَعَزَّ الْوَتْرُ فِي طَلَبِ الْوَتُورِ
 فَقَدْ بَقِيَتْ كَلَابُ نَابِحَاتٍ وَمَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَكَ مِنْ زَيْرِ

قولي الحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان العامل على المدينة
 طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها
 عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد
 ابن أسيد وعلى قضائها هشام بن هيرة وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله
 ابن خازم السلمي وفي قول بعض بكير بن وشاح وزعم من قال كان على خراسان
 في سنة ٧٢ عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل بعد ما قتل عبد الله بن
 الزبير وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم يدعو إلى الدخول
 في طاعته على أن يُطعمه خراسان عشر سنين بعد ما قتل عبد الله بن الزبير
 وبعث برأسه إليه وأن عبد الله بن خازم حلف لما ورد عليه رأس عبد الله
 ابن الزبير أن لا يعطيه طاعة أبداً وأنه دعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وحنطه
 وكفنه وصلى عليه وبعث به إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة وأطعم الرسول
 الكتاب وقال لولا أنك رسول لضربت عنقك وقال بعضهم قطع يديه
 ورجليه وضرب عنقه

فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام

(روى) هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن
 عبد شمس بالعربية وإن أول من كتب بالفارسية بيوراسب وكان في زمان إدريس

وكان أول من صنف طبقات الكتاب ويثين منازلهم لهراسب بن كاوغان بن كيُموس وحكى أن أبرويز قال لكتابه إنما الكلام أربعة أقسام سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع لم تتم فإذا طلبت فأجمع وإذا سألت فأوضح وإذا أمرت فأحتم وإذا أخبرت فحقق . وقال أبو موسى الأشعري أول من قال أما بعد داود وهي فصل الخطاب الذي ذكره الله عنه . وقال الهيثم بن عدي أول من قال أما بعد قس بن ساعدة الإبادي (أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحي فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية ابن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه وكان عبدالله بن الأرقم بن عبد يعقوث والملاء بن عتبة يكتبان بين القوم في حوائجهم وكان عبدالله بن الأرقم ربما كتب إلى الملك عن النبي صلى الله عليه وسلم (وكتب لأبي بكر) عثمان وزيد بن ثابت وعبدالله بن الأرقم وعبدالله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن الربيع (وكتب لعمر ابن الخطاب) زيد بن ثابت وعبدالله بن الأرقم وعبدالله بن خلف الخزاعي أبو طاحنة الطلحات على ديوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة أبو جيرة بن الضحاك الأنصاري وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعماله إن القوة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغيره فإنكم إذا فعلتم ذلك تذاءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأياها تبدؤن وأياها تأخذون وهو أول من دون الدواوين في العرب في الإسلام (وكان يكتب لعثمان) مروان بن الحكم وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة وأبو جيرة الأنصاري على ديوان الكوفة وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان من قيس عيلان يكتب له وكان يكتب له أهيب مولادو عمران مولاه (وكان يكتب لعلي عليه السلام) سعيد بن نمران الحمداني ثم ولي قضاء الكوفة لابن الزبير وكان يكتب له عبدالله بن مسعود وروى أن عبدالله بن جبير كتب له وكان عبيد الله بن أبي رافع يكتب له واختلف في اسم أبي رافع ف قيل اسمه إبراهيم

وقيل أسلم وقيل سنان وقيل عبد الرحمن * وكان يكتب معاوية على الرسائل عبيد الله
ابن أوس الغساني * وكان يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي *
وكتب له عبد الرحمن بن دراج وهو مولى معاوية وكتب على بعض دواوينه
عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي * وكان يكتب معاوية بن يزيد الريان
ابن مسلم ويكتب له على الديوان سرجون ويروي أنه كتب له أبو الزعيزعة *
وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي ويكنى أبا اسحاق
وكتب على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولا * وكان يكتب للوليد القعقاع بن خالد
أو خليلد العبسي * وكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الحشني وعلى ديوان
الخاتم شعيب العماني مولا * وعلى ديوان الرسائل جناح مولا وعلى المستغلات نعيم
ابن ذؤيب مولا * وكان يكتب لسليمان سليمان بن نعيم الحميري * وكان يكتب لمسلمة
سميع مولا وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان وعلى
ديوان الخراج سليمان بن سعد الحشني وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن
من فلسطين وقيل بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم * وكان يكتب ليزيد بن المهلب
المغيرة بن أبي فروة وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن أبي فروة مولى أم الحكم بنت
أبي سفيان ورجاء بن حيوة وكتب له إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير وعلى
ديوان الخراج سليمان بن سعد الحشني وقلد مكانه صالح بن جبير الغساني وقيل
الغدائي وعدى بن الصباح بن المثنى ذكر الهيثم بن عدى أنه كان من جلة كتابه *
وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ثم استكتب
أسامة بن يزيد السليحي * وكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي
الأبرش ويكنى أبا مخاشع وكان نصر بن سيار يتقلد ديوان خراج خراسان لهشام
وكان من كتابه بالرصافة شعيب بن دينار * وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن
الشمخ وعلى ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك ومن كتابه عبد الله
ابن أبي عمرو ويقال عبد الأعلى بن أبي عمرو وكتب له على الحضرة عمرو بن
عتبة وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نديم وكان عمرو بن الحارث مولى

بنى جُمَح يتولى له ديوان الخاتم وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخثني ويقال الربيع بن عرعة الخثني وكان يتقلد له الخراج والديوان الذي للخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن وكتب لإبراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة وكان يتقلد له الديوان بفلسطين وبائع الناس إبراهيم أغني ابن الوليد سوى أهل حمص فإنهم بايعوا مروان بن محمد الجعدي وكتب لمروان عبد الحميد ابن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري ومصعب بن الربيع الخثعمي وزباد بن أبي الورد وعلي ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسري وكان من كتابه مخلد بن محمد بن الحارث ويكنى أبا هاشم ومن كتابه مصعب بن الربيع الخثعمي ويكنى أبا موسى وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مكين ومما اختير له من الشعر

ترحل ماليس بالقافل	وأعقب ماليس بالزائل
فلهني على الخلف النازل	ولهنى على السلف الراحل
أبكي على ذا وأبكي لذا	بكاء موهبة ثاكل
تبكي من ابن لها قاطع	وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفتّر عن عبرة	لها في الضمير ومن هامل
تفضت غوايات سكر الصبي	وردت التقى عين الباطل

وكتب لأبي العباس خالد بن برمك ودفع أبو العباس ابنته ريطة إلى خالد ابن برمك حتى أَرْضَعْتَهَا زَوْجَتَهُ أُمَّ خَالِدِ بِنْتِ يَزِيدَ بَلْبَانَ بِنْتَ خَالِدٍ تَدْعِي أُمَّ يَحْيَى وَأَرْضَعَتْ أُمَّ سُلَيْمَةَ زَوْجَةَ أَبِي الْعَبَّاسِ أُمَّ يَحْيَى بِنْتَ خَالِدِ بَلْبَانَ ابْنَتَهَا رِيْطَةَ وَقَدْ دِيَوَانَ الرِّسَائِلِ صَالِحُ بْنُ الْهَيْثَمِ مَوْلَى رِيْطَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَبَّاسِ وكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي من أهل خراسان وكتب له هاشم بن سعيد الجعفي وعبد الأعلى بن أبي طلحة من بني تميم بواسطة وروى أن سليمان بن مخلد كان يكتب لأبي جعفر ومما كان يتمثل به أبو جعفر المنصور وما إن شفا نفساً كأم صريمة إذا حاجة في النفس طال اعتراضها

وكتب له الريع وكان عماره بن حمزة من نبلاء الرجال وله

لا تشكون دهرأ صححت به إن الغنى في صحة الجسم

هبك الإمام أكنت متفعماً بغضارة الدنيا مع السقم

وكان يتمثل بقول عبد بنى الحسحاس

أمن أمية دمع العين مذروف لو أن ذامنك قبل اليوم معروف

لاتبك عينك إن الدهر ذو غير فيه تفرق ذو إلف ومألوف

وكتب للمهدى أبو عبيد الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله ومحمد بن

حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود وكان اتخذه على وزارته وأمره وله

عجباً لتصريف الأمور ر حبة وكرامية

والدهر يلعب بالرجا ل له دوائر جارية

ولابنه عبد الله بن يعقوب وكان له محمد ويعقوب كلاهما شاعرٌ مجيدٌ

ورع المشيب شراستي وغرامى ورمى الجفون بمسبل سجام

ولقد حرصت بأن أوارى شخصه عن مقلتي فرمت غير مرام

وصبغت ماصبغ الزمان فلم يدم صبغى ودامت صبغة الأيام

• لاتبعدين شيبه ذبالة فارقتها في سالف الأعوام •

ما كان ما استصعبت من أيامها إلا كبعض طوارق الأحلام

ولأبيه

طلق الدنيا ثلاثاً واتخذ زوجاً سواها

لأنها زوجة سوء لاتبالي من أتاها

واستوزر بعده الفيض بن أبي صالح وكان جواداً وكتب للهادى موسى عبيد الله

ابن زياد بن أبي ليلي ومحمد بن حميد وسأل المهدى يوماً أبا عبيد الله عن أشعار

العرب فصفنها له فقال أحكمها قول طرفة بن العبد

أى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى في البطالة مفسد

ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح مصد

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
وقوله وقد أرانا كلانا هم صاحبه
وكان شيء إلى شيء فقرقه
وقول ليدي:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول
ألا كل شيء ما خلا الله باطل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
وكقول النابغة الجعدي:

وقد طال عهدي بالشباب وأهله
فلم أجِدِ الإخوان إلا صحابة
ألم تعلني أن قد رُزئت محارباً
وكقول هذبة بن خشرم:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني
ولا أتبني الشر والشر تاركني
وما يعرف الأقوام للدهر حقه
وللدهر في أهل الفتى وتلاده
وكقول زيادة بن زيد وتمثل به عبد الملك بن مروان

تذكر عن شحط أميمة فارعوى
وإن امرءاً قد جرب الدهر لم يخف
هل الدهر والأيام إلا كما ترى
وكل الذي يأتي فانت نسيه
وليس بعيد ما يجيء كقبل
ولا ما مضى من مفرح بقريب

عقيلة مال الفاحش المتشدد
وما تنقص الأيام والدهر ينقد
لكا طول المرخي وثنيه باليد
لو أن شيئاً إذا ما فاتنا رجعا
دهر يكره لي تفريق ما جمعا

أنحب فيقضي أم ضلال وباطل
وكل نديم لاعمالة زائل
بلى كل ذي رأى إلى الله واسل

ولا قيت روعات تشيب النواصيا
ولم أجِدِ الأهلين إلا مثاويا
فالك منه اليوم شيء ولا ليا

ولا جازع من صرفه المتقلب
ولكن متى أحمل على الشر أركب
وما الدهر مما يكرهون بمعتب
نصيب كحز الحجازر المتشعب

لها بعد إكثار وطول نجيب
تقلب عصره لغير لب
رزية مال أو فراق حبيب
ولست لشيء ذاهب بلسيب
ولا ما مضى من مفرح بقريب

وكقول ابن مقبل :

لما رأت بدل الشباب بكت له والشيب أرذلُ هذه الابدالِ
والناس همُّهم الحياة ولا أدرى طول الحياة يزيد غير خيالِ
وإذا افرقت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال
ووزر له يحيى بن خالد ووزر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد فمن مליح
كلامه الخط سمة الحكمة به تفصل شذورها وينظم منشورها قال ثمامة قلت لجعفر
ابن يحيى ما البيان فقال أن يكون الاسم محيطاً بمعناك مخبراً عن مغزاك مخرجاً من
الشركة غير مستعان عليه بالفكرة قال الأصمعي سمعت يحيى بن خالد يقول الدنيا
دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ونأق بتسمية باقي كتاب
خلفاء بني العباس إذا انتهينا إلى الدولة العباسية إن شاء الله تعالى

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير

ذكر الخبر عن صفة ذلك

حدثني الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني
اسحاق بن يحيى عن عبيد الله بن القبطية قال كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن
مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة قال محمد بن عمر وحدثني مصعب بن ثابت عن نافع
مولى بني أسد وكان عالماً بفتنة ابن الزبير قال حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة
سنة ٧٢ وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ٧٣ وكان حصر الحجاج
لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة ١٠ حدثنا الحارث قال حدثنا محمد بن سعد
قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت
المنجنيق يرمى به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة
فاشتمل عليها فأعظم ذلك أهل الشام فأمسكوا بأيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه ففرزها

في منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإني ابن تهمامة هذه صواعق تهمامة هذا الفتح قد حضر فأبشروا إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان ❀ ثم حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن جهم الأسدي قال رأيت ابن الزبير يوم قتل وقد تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلانا شديداً وجعلوا يخرجون إلى الحجاج حتى خرج إليه نحو من عشرة آلاف وذكر أنه كان بمن فارقه وخرج إلى الحجاج ابناه حمزة وخبيب فأخذاهما لأنفسهما أمانا فدخلا على أمه أسماء كاذكر محمد بن عمر عن أبي الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبي قال دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال يا أمه خذني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت والله يا بُنَيَّ أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قُتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمانُ بني أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكك نفسك وأهلكك من قتل معك وإن قلتَ كنتُ على حق فلما وهن أصحابي ضعفتُ فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا القتلُ أحسنُ فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال هذا والله رأيي والذي قمتُ به داعياً إلى يومى هذا ما ركنتُ إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن يُستحلَّ حرمة ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمه فإني مقتول من يومى هذا فلا يشتدَّ حزنك وسلى لآمر

الله فان ابنك لم يتعمد إتيان منكرو ولا عملا بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضى ربي اللهم إني لأقول هذا تزكية متى لنفسى أنت أعلم بى ولكن أقوله تعزية لأمى لتسلو عني فقالت أمه إني لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسناً إن تقدمتني وإن تقدمتك ففي نفسى أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك قال جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعى الدعاء على قبل وبعد فقالت لا أدعه أبداً فن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل وذلك النحيب والظما فى هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبى اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين قال مصعب بن ثابت فما مكثت بعده إلا عشرة ويقال خمسة أيام قال محمد بن عمر حدثني موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت هذا وداع فلا تبعد قال ابن الزبير جئت مودعا إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمر بى واعلى يا أمه أنى إن قتلت فانما أنا لحم لا يضرني ما صنع بى قالت صدقت يا بُنى أتمم على بصيرتك ولا تمكن ابن أبى عقيل منك وادن منى أو دَعك فدنا منها فقبلها وعانقها وقالت حيث مسست الدرع ما هذا صليح من يريد ما تريد قال ما لبست هذا الدرع إلا لأشد منك قالت العجوز فانه لا يشد منى فتزعها ثم أدرج كفيه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها فى المنطقة وأمه تقول البس ثيابك مشمرة ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول إني إذا أعرف يومى أصبر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر والله إن شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأملك صفية بنت عبد المطلب ۞ حدثني الحارث قال حدثني ابن سعد قال أخبرني محمد بن عمر قال أخبرني ثور بن يزيد عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام قال رأيته يوم الثلاثاء وأنا لتطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة

من باب لنا ندخله لا يدخله غيرنا فيخرج الينا و حده في أثرتنا ونحن منهزمون
منه فما أنسى أرجوزة له

إني إذا أعرف يومى أصبر وإنما يعرف يوميه الحر

إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول أنت والله الحر الشريف فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد
حتى ظننا إنه لا يقتل ۞ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد
ابن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد قال رأيت الأبواب
قد شحنت من أهل الشام يوم الثلاثاء وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارس وكثرهم
القوم فأقاموا على كل باب رجالا وقائدا وأهل بلد فكان لأهل حمص الباب
الذى يواجه باب الكوفة ولأهل دمشق باب بنى شيبه ولأهل الأردن باب
الصفاء ولأهل فلسطين باب بنى جحج ولأهل قنسرين باب بنى سهم وكان الحجاج
وطارق بن عمرو جميعاً في ناحية الأبطح الى المروة فمرة يحمل ابن الزبير في هذه
الناحية ومرة في هذه الناحية فلما كان أسد في أجرة ما يقدم عليه الرجال فيعدو
في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز

إني إذا أعرف يومى أصبر وإنما يعرف يوميه الحر

ثم يصيح يا أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال

لو كان قرني وإحدا كفتيه

قال ابن صفوان إى والله وألف ۞ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد
قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني ابن أبي الزناد وأبو بكر بن عبد الله بن مصعب
عن ابن المنذر وحدثنا نافع مولى بنى أسد قال لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع
عشرة من جمادى الأولى سنة ٧٣ وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات
ابن الزبير يصلى عامة الليل ثم احتبى بحمائل سيفه فأغنى ثم انتبه بالفجر فقال
أذن يا سعد فأذن عند المقام وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتي الفجر ثم تقدم وأقام
المؤذن فصلى بأصحابه فقرأ ن والقلم حرفاً حرفاً ثم سلم فقام فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليهم المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لو طبتم لي نفساً عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلنا في الله لم تصبنا زباً بتهً أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإني لم أحضر موطناً قط إلا ارتثت فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وفيها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم لا أعلم امرأة أكرس سيفه واستبقى نفسه فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غصوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرته ولا يلهينكم السؤال عني ولا تقولن أين عبد الله بن الزبير ألا من كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول

أبي لابن سلمى أنه غير خالد ملاقي المنايا أي صرف تيمماً
فلست بمبتاع الحياة بسببة ولا مرقق من خشية الموت سلماً
احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بأجرة في وجهه
فأرعى لها ودمى وجهه فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال
لست على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقداننا تقطر الدما
وتغاورا عليه قالا وصاحت مولاة لناجنونة وأمير المؤمنين قالا وقدراته
حيث هوى فأشارت لهم إليه فقتل وإن عليه ثياب خز وجاء الخبر إلى الحجاج
فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو فقال طارق ما ولدت النساء أذكراً
من هذا فقال الحجاج تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا
ولولا هذا ما كان لنا عذر إنا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة
منذ سبعة أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو فبلغ كلامهما
عبد الملك فصوب طارقاً رضي الله عنه قال حدثنا أبو الحسن عن رجاله قال كآني
أنظر إلى ابن الزبير وقد قتل غلاماً أسود ضربه نعرقه وهو يمر في حملته عليه
ويقول صبراً يا ابن حاتم في مثل هذه المواطن تصبر الكرام رضي الله عنه الحارث
قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الجبار بن عمار عن
عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال بعث الحجاج برأس ابن الزبير
(٣ - ٥)

ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمار بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قریش لعبد الملك بن مروان (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة ولي عبد الملك طارقاً مولی عثمان المدينة فوليا خمسة أشهر (وفي هذه السنة) توفي بشر بن مروان في قول الواقدي وأما غيره فإنه قال كانت وفاته في سنة ٧٤ (وفيها) أيضاً وجه فيما ذكر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك وأمره أن يندب معه من أحب من أهل المصرين فقدم الكوفة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف ثم قدم البصرة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم فأعطوها ثم سار بهم عمر بن عبيد الله فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله وجعل خيله في القلب حتى انتهوا إلى البحرین فصصف عمر بن عبيد الله أصحابه وقدم الرجال في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض واستروا بالبراذع فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ذهبوا في الأرض إلا المغيرة بن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة وهم ثابتون وارتدت عمر بن موسى بن عبيد الله فهو في القتلى قد أئخن جراحه فلما رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تذبذبوا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحاً فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه ثبن كثير فأحرقوه ومالت عليهم الرياح وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروهم في المشقر فنزلوا على الحكم فقتل عمر بن عبيد الله منهم فيما ذكر نحواً من ستة آلاف وأسر ثمانمائة وأصابوا جارية لامية بن عبد الله حبلى من أبي فديك وانصرفوا إلى البصرة (وفي هذه السنة) عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاه أخاه بشر بن مروان فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه فشنخص بشر لما ولي مع الكوفة البصرة إلى البصرة

واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث (وفيها) غزا محمد بن مروان الصائفة
فهزم الروم وقيل إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية
أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفا فهزمهم وأكثرت القتل فيهم
نسنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة
مرة في قول الواقدي بشر بن مروان وفي قول غيره على
روان وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى
مح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

بها من ذلك عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة واستعماله
بن يوسف فقدمها فيما ذكر فأقام بها شهراً ثم خرج معتمراً (وفيها)
نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه
ه أدخل في الكعبة الحجر وجعل لها بابين فأعادها الحجاج على بنائها
هذه السنة ثم انصرف إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر بتعبث
ينة ويتعنتهم وبني بها مسجداً في بني سلفة فهو ينسب إليه واستخف فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخم في أعناقهم فذكر محمد بن عمران بن
، حدثه عن رأي جابر بن عبد الله محتوماً في يده وعن ابن أبي ذيب عن
بن يزيد أنه رأى أنس بن مالك محتوماً في عنقه يريد أن يذله بذلك قال
مر وحدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال رأيت الحجاج أرسل إلى سهل
بعد فدعاه فقال ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال قد فعلت
كذبت ثم أمر به فخم في عنقه برصاص (وفيها) استقضى عبد الملك أبا إدريس
لأن في ذكر الواقدي (وفي هذه السنة) شخص في قول بعضهم بشر بن مروان

من الكوفة إلى البصرة واليا عليها (وفي هذه السنة) ولي المهلب حرب الأزارقة من قبل عبد الملك

ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك إليه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن يونس بن أبي اسحاق عن أبيه أما بعد فابعث المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة وليتخب من أهل مصره وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فإنه أعرف بهم وخله ورأيه في الحرب فإني أوثق شيء بتجربته ونصيحته للسلدين وابعث من أهل الكوفة بعثا كشيئا وابعث عليهم رجلا معروفا شريفا حسيبا صليبا يعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ثم أنحض إليهم أهل المصريين فليتبعمهم أي وجه ما توجهوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم والسلام عليك فدعا بشر المهلب فأقرأه الكتاب وأمره أن ينتخب من شاء فبعث بجديع بن سعيد بن قبيصة ابن سراق الأزدي وهو خال يزيد ابنه فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس وشق على بشر أن امرأة المهلب جاءت من قبل عبد الملك فلا يستطيع أن يبعث غيره فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له إليه ذنب ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن ابن مخنف فبعثه على أهل الكوفة وأمره أن ينتخب فرسان الناس وجوهمهم وأولى الفضل منهم والنجدة (قال أبو مخنف) فحدثني أشياخ الحى عن عبد الرحمن ابن مخنف قال دعاني بشر بن مروان فقال لي إنك قد عرفت منزلتك مني وأترك عندى وقد رأيت أن أوليك هذا الجيش لأنى عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك فكن عند أحسن ظنى بك انظر هذا الكذا كذا يقع في المهلب فاستبدل عليه بالأمرو لا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتقصه وقصره قال فترك أن يوصيني بالجند وقاتل العدو والنظر لأهل الاسلام وأقبل يغربني بآبن عمى كأتى من السفهاء أو من يستصبي ويستجهل ما رأيت شيئا مثلى في مثل هيتى ومنزلتى طمع منه في مثل ما طمع فيه هذا الغلام منى شب عمرو عن الطوق قال ولما رأى أنى لست بالنشيط إلى جرابه قال لي مالك قلت أصلحك الله وهل يسعنى إلا إنفاذ أمرك

في كل ما أحببت وكرهت قال امض راشداً قال فودعته وخرجت من عنده
وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رآم هرمل فلقى بها الخوارج فغمدق عليه
وأقبل عبدالرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه بشر بن جرير
وعلى ربع تميم وحمدان محمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس وعلى ربع كندة وريعة
اسحاق بن محمد بن الأشعث وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس فأقبل عبدالرحمن
حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف حيث تراءى العسكران برآم هرمل
فلم يلبث الناس الا عشرة حتى أتاهم نعي بشر بن مروان وتوفي بالبصرة فارفض
ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر خالد بن عبدالله بن أسيد
وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة
زحر بن قيس واسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس
فبعث عبدالرحمن بن مخنف ابنه جعفر في آثارهم فرد إسحاق ومحمداً وفاته زحر
ابن قيس فحبسهما يومين ثم أخذ عليهما أن لا يفارقه فلم يلبثا إلا يوماً حتى انصرفا
فأخذ غير الطريق وطلباً فلم يلحقا وأقبلوا حتى لحق زحر بن قيس بالأهواز فاجتمع
بها ناس كثير ممن يريد البصرة فبلغ ذلك خالد بن عبدالله فكتب إلى الناس كتاباً
وبعث رسولا يضرب وجوه الناس ويردهم فقدم بكتابه مولى له فقرأ الكتاب
على الناس وقد جمعوا له بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن عبدالله إلى من بلغه
كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو
أما بعد فإن الله كتب على عباده الجهاد وفرض طاعة ولاية الأمر فمن جاهد فإنما
يجاهد لنفسه ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أظنى ومن عصى ولاية الأمر
والقوام بالحق أسخط الله عليه وكان قد استحق العقوبة في بشره وعرض نفسه
لاستفائة ماله وإلقاء عطائه والتسيير إلى أبعد الأرض وشر البلدان أيها المسلمون
اعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم إنه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الذي
ليست فيه غيبة ولا لاهل المعصية عنده رخصة سوطه على من عصى وعلى من
خالف سيفه فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً فإني لم آلكم نصيحة عبادة الله ارجعوا

إلى مَكْتَبِكُمْ وطاعة خليفَتكم ولا ترجعوا عاصين مَخالفين فَيَأْتِيكُمْ ماتَكْرهُونَ
أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أَتَقِفُ عَاصِيَا بَعْدَ كِتَابِي هَذَا إِلَّا قَتَلْتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَأَخَذَ كُلُّمَا قَرَأَ عَلَيْهِمْ سَطْرًا أَوْ سَطْرَيْنِ قَالَ لَهُ زَحْرُ أَوْ جَزْ فَيَقُولُ لَهُ
مَوْلَى خَالِدٍ وَاللَّهِ إِنِّي لَا سَمِعَ كَلَامَ رَجُلٍ مَا يَرِيدُ أَنْ يَفْهَمَ مَا يَسْمَعُ أَشْهَدُ لَا يَعْجِجُ
بِشَيْءٍ عَمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ فَقَالَ لَهُ اقْرَأْ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْأَحْمَرُ مَا أَمَرْتُ بِهِ ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى
أَهْلِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا فِي أَنْفُسِنَا فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ لَمْ يَلْتَفِتْ النَّاسُ إِلَى مَا فِي
كِتَابِهِ وَأَقْبَلَ زَحْرُ وَاسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَتَّى نَزَلُوا قَرْيَةَ لَالِ
الْأَشْعَثِ إِلَى جَانِبِ الْكُوفَةِ وَكَتَبُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ حَرْيْثٍ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النَّاسَ لَمَّا
بَلَغَهُمْ وَفَاةُ الْأَمِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَفَرَّقُوا فَلَمْ يَبْقَ مَعَنَا أَحَدٌ فَأَقْبَلْنَا إِلَى الْأَمِيرِ وَإِلَى
مِصْرِنَا وَأَحْبَبْنَا أَنْ لَا نَدْخُلَ الْكُوفَةَ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَمِيرِ وَعَلَيْهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكُمْ
تَرَكْتُمْ مَكْتَبَكُمْ وَقَبْلْتُمْ عَاصِينَ مَخالفين فَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدَنَا إِذْنٌ وَلَا أَمَانٌ فَلَمَّا أَتَاهُمْ
ذَلِكَ انْتظَرُوا حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ دَخَلُوا إِلَى رَحْلِهِمْ فَلَمْ يَزَالُوا مُقِيمِينَ حَتَّى قَدِمَ
الْحِجَاجُ بْنُ يُونُسَ (وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ) عَزَلَ عَبْدِ الْمَلِكِ بَكِيرُ بْنُ وَشَّاحٍ عَنْ خِرَاسَانَ
وَوَلَاهَا أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ بْنِ أَسِيدٍ

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ سَبَبِ عَزْلِ بَكِيرٍ وَوَلَايَةِ أُمِيَّةٍ

وَكَانَتْ وَلايَةُ بَكِيرِ بْنِ وَشَّاحٍ خِرَاسَانَ إِلَى حِينَ قَدِمَ أُمِيَّةٌ عَلَيْهَا وَالْيَاسْتَنِينَ فِي قَوْلِ
أَبِي الْحَسَنِ وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ خَازِمٍ قَتَلَ سَنَةَ ٧٣ وَقَدِمَ أُمِيَّةُ سَنَةَ ٧٤ وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِ
بَكِيرٍ عَنْ خِرَاسَانَ أَنْ بَحِيرَافِيَا ذَكَرَ عَلَى عَنِ الْمَفْضَلِ حَبْسَهُ بِبَكِيرِ بْنِ وَشَّاحٍ لَمَّا كَانَ مِنْهُ
فِي مَا ذَكَرْتُ فِي رَأْسِ ابْنِ خَازِمٍ حِينَ قَتَلَهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا عِنْدَهُ حَتَّى اسْتَعْمَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ
أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ بْنِ أَسِيدٍ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَكْرًا أَرْسَلَ إِلَى بَحِيرٍ لِيَصَالِحَهُ فَأَبَى
عَلَيْهِ وَقَالَ ظَنُّ بَكِيرٍ أَنَّ خِرَاسَانَ تَبَقَّى لَهُ فِي الْجَمَاعَةِ فَشَتَّ السُّفْرَاءَ بَيْنَهُمْ فَأَبَى بِحِيرُ
فَدَخَلَ عَلَيْهِ ضَرَارُ بْنُ حَصِينِ الضُّبِّيُّ فَقَالَ أَلَا أَرَاكَ مَا تَقَا يَرْسِلُ إِلَيْكَ ابْنُ عَمِّكَ
يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ أَسِيرُهُ وَالْمَشْرِفِيُّ فِي يَدِهِ وَلَوْ قَتَلْتُكَ مَا حَبَقَّتْ فِيكَ عِزُّهُ وَلَا تَقْبَلُ
مِنْهُ مَا أَنْتَ بِمَوْفُوقٍ أَقْبَلَ الصَّلَحَ وَخَرَجَ وَأَنْتَ عَلَى أَمْرِكَ فَقَبِلَ مَشُورَتَهُ وَصَالِحَ
بَكِيرًا فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِكِيرُ بَارْبَعِينَ أَلْفًا وَأَخَذَ عَلَى بَحِيرٍ أَنْ لَا يَقَاتِلَهُ وَكَانَتْ تَمِيمٌ قَدْ

اختلفت بخراسان فصارت مُقَاعِصٌ والبطون يتعصبون له تخاف أهل خراسان
أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم عدوهم من المشركين فكتبوا إلى عبد الملك
ابن مروان إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه
ولا يتعصبون عليه فقال عبد الملك خراسان ثغر المشرق وقد كان به من الشر
ما كان وعليه هذا التيمى وقد تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه
فهلك الثغر ومن فيه وقد سألوا أن أولى أمرهم رجلا من قريش فيسموا له
ويطيعوا فقال أمية بن عبد الله يأمر المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا
الحيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل قال يأمر المؤمنين والله ما انحزرت
حتى لم أجد مقاتلا وخذلتى الناس فرأيت أن انحيازى إلى فئة أفضل من تعريض
عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد علم ذلك مرار بن عبد الرحمن بن أبي بكر
وكتب إليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذرى قال وكان خالد كتب إليه بعذره
ويخبره أن الناس قد خذلوه فقال مرار صدق أمية يأمر المؤمنين لقد صبر حتى
لم يجد مقاتلا وخذله الناس فولاه خراسان وكان عبد الملك يحب أمية ويقول
نتيجتى أى لدنى فقال الناس مارأينا أحدا عوّض من هزيمة ما عوّض أمية فر من
أبي فديك فاستعمل على خراسان فقال رجل من بكر بن وائل في محبس بكير بن وشاح
أَتَتَكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تُكْشِفُ عَنْ مَنَاكِهَهَا الْقُطُوعُ
كَأَنَّ مَوَانِعَ الْأَكْرَارِ مِنْهَا حَمَامٌ كَنَائِسٌ بَقَعُ وَقُوعُ
بَأْيِضٍ مِنْ أُمِّيَّةٍ مُضَرِّجِي كَانَ جَبِينُهُ سَيْفٌ صَلْبُوعُ
وبحير يومئذ بالسنج يسأل عن مسير أمية فلما بلغه أنه قد قارب أبر شهر قال
لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين أوزرير دلتى على طريق قريب لآلئى الأمير
قبل قدومه ولك كذا وكذا وأجزل لك العطية وكان عالما بالطريق فخرج به فسار
من السنج إلى أرض سرخس في ليلة ثم مضى به إلى نيسابور فوافى أمية حين قدم
أبر شهر فلقبه فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم ويخف على
بكير أموالا أصابها وحذره غدره قال وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية سيدا

كريما فلم يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه أن يوليه شرطته فأبى بأكبر فولاها
 بحير بن ورقاء فلام بكي را رجال من قومه فقالوا أبيت أن تلى فولى بحيرا وقد
 عرفت ما بينكما قال كنت أمس والى خراسان تحمل الحراب بين يدي فأصبر
 اليوم على الشرطة أحمل الحربة وقال أمية لبكير اختر ماشئت من عمل خراسان
 قال طخارستان قال هي لك قال فتجهز بكير وأنفق مالا كثيرا فقال بحير لأمية
 إن أتى بكير طخارستان خلعتك فلم يزل يحذره حتى حذر فأمره بالمقام عنده
 (وحج) بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان ولي قضاء المدينة عبد الله
 ابن قيس بن مخزومه قبل شخوصه إلى المدينة كذلك ذكر ذلك عن محمد بن عمرو كان
 على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان
 وعلى خراسان أمية بن عبد الله خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث
 وعلى قضاء البصرة هشام بن هيرة وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في
 هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش
 (وفي هذه السنة) ولي عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاصر المدينة (وفي هذه
 السنة) ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان (وفيها)
 قدم الحجاج الكوفة فحدثني أبو زيد قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان عن
 عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج بن يوسف من
 المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن
 مروان في اثني عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار
 فجاءه وقد كان بشر بعث المهلب إلى الحارورية فبدأ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر
 وهو مثلهم بعمامة خز حمراء فقال علي بالناس فحسبوه وأصحابه خارجة فهموا به

حتى إذا اجتمع اليه الناس قام فكشف عن وجهه وقال
 أنا ابنُ جَلَا وطلَّاعُ الشَّيَا متى أضعَ العِمَامَةَ تُعْرِفُونِي
 أما والله إنى لأحمل الشر محمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإنى لأرى رؤسا
 قد أينعت وحان قطافها وإنى لأنظر إلى الدماء بين العهائم واللعى
 قد شَمَرَتْ عن ساقِهَا تشميرا

هذا أو أن الشَّدَّ فاشتدى رِيَمٌ قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمٌ
 ليس براعى لِإِبْلِ ولا غَنَمٌ ولا بِحِزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٌ
 قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بَعْضَلِي أَوْرَعَ خَرَايجَ مِنَ الدَّوَى
 مُهَاجِرٍ كَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ

ليس أو أن يكره الخُلاطُ جاءت به والقلص الأعلاط
 تهوى هوىً سابق الغَطَاط

وإنى والله يا أهل العراق ما أغمر كتغماز التين ولا يققعُ لى بالشنان ولقد
 فُرِرتَ عن ذكاء وجريت إلى الغاية القصوى إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر
 كَنَاتِهِ ثم عجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلها مكسرا فوجهنى إليكم فإنكم
 طالما أوضعتم فى الفتن وسنتم سنن النغى أما والله لألحونكم لحوالعود ولا عصبنكم
 عصب السلة ولا ضربنكم ضرب غرائب الإبل إنى والله لأعيد إلاوفيت ولا
 أخلق إلافريت فإياى وهذه الجماعات وقىلا وقالا وما يقول فيم أنتم وذاك والله
 لتستقيمن على سبل الحق أولاد عن لكل رجل منكم شغلا فى جسده من وجدت
 بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهت ماله ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك
 قال ويقال إنه لما طال سكوته تناول محمد بن عمير حصى فأراد أن يحصبه بها وقال
 قاتله الله ما أعياه وأدمه والله إنى لأحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعل
 الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به وأن الحجاج قال فى خطبته شأهت الوجوه إن
 الله ضرب مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيا رزقها رَغْدًا من كل مكان فكفرت
 بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك وأشباه

أولئك فاستوثقوا واستقيموا فوالله لا ذيقنكم الهوان حتى تدروا ولا عصبنكم
عصب السلة حتى تنقادوا أقسم بالله لتقبأن على الإنصاف ولتدعن الإرجاف
وكان وكان وأخبرني فلان عن فلان والهبر وما الهبر أولاً هبرنكم بالسيف هبرا
يدع النساء أيامى والولدان يتامى وحتى تمشوا السّمهى وتقلعوا عن هاوها إياى
وهذه الزرافات لا يرگبن الرجل منكم إلا وحده إلا إنه لو ساغ لأهل المعصية
معصيتهم ما جى فيء ولا قوتل عدو ولعلطت الثغور ولولا أنهم يُغزّون كرها
ماغزوا طوعا وقد بلغنى رفضكم للمهلب وإقبالكم على مصركم عصاة مخالفين وإنى
أقسم لكم بالله لا أجد أحدا بعد ثالثة إلا ضربت عنقه ثم دعا العرفاء فقال ألقوا
الناس بالمهلب وأنونى بالبرآت بنوافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلا ولا نهارا
حتى تنقضى هذه المدة (تفسير الخطبة) قوله أنا ابن جلا فابن جلا الصبح لأنه
يجلو الظلمة والثنايا ما صغر من الجبال وتنا وأينع الثمر بلغ إدراكه وقوله ناشتدى
زيم فهى اسم للحرب والحطيم الذى يحطم كل شىء يمر به والوَضَمُ ما وُقِيَ به اللحم
من الأرض والعصلي الشديد والدوية الأرض الفضاء التى يسمع فيها دوى
أخفاف الإبل وإلا علاط الإبل التى لا أرسان عليها أنشد أبو زيد الأصمعي
وأعرورت العُلط العُرُضى تركضه أُم الفوارس بالديداء والرَبعة

والشنان جمع شنة القرية البالية اليابسة قال الشاعر

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقِيْشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رَجْلَيْهِ بِشَنٍّ

وقوله فعجم عيدانها أى غضها والعجم بفتح الفاء حب الزيب قال الأعشى

وملفوظها كلقيط العجم

وقوله أمرها عودا أى أصلها يقال جبل مُمرّ إذا كان شديد القتل وقوله

لأعصبنكم عصب السلعة فالعصب القطع والسلعة شجرة من العضاء وقوله لا أخلق

إلا فريت فالخلق التقدير قال الله تعالى (من نطفة مخلقة وغير مخلقة) أى مقدرة

وغير مقدرة يعنى ما يتم وما يكون سقطا قال السكيت يصف قرية

لم تجشم الخالقات فريتها ولم يفيض من نطاقتها السرب

وإنما وصف حواصل الطير يقول ليست كهذه وصخرة خلقاء أى ملساء قال الشاعر
 وَبَهْوٌ هَوَاءٌ فوق مور كأنه من الصخرة الخلقاء زُحْلُوقٌ مَلْعَبٌ
 ويقال فريت الأديم إذا أصلحته وأفريت بالآلف إذا أنت أفسدته والسمهى
 الباطل قال أبو عمرو الشيباني وأصله ما تسميه العامة مخاط الشيطان وهو لعاب
 الشمس عند الظهيرة قال أبو النجم العجلي

وذاب للشمس لعابٌ فنزل وقام ميزان الزمان فاعتدل

والزرافات : الجماعات . تم التفسير (قال أبو جعفر) قال عمر لحدثي محمد بن
 يحيى عن عبد الله بن أبي عبيدة قال فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا في السوق
 فخرج حتى جلس على المنبر فقال يا أهل العراق وأهل الشقاق والنفاق ومساوئ
 الأخلاق إني سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد الله به في الترغيب ولكنه
 التكبير الذي يراد به التهيب وقد عرفت أنها بحاجة تحتها قصف يابني اللكيعة
 وعبيد العصا وأبناء الأيأى الأيربع رجل منكم على ظلمه ويحسن حقن دمه
 ويصبر موضع قدمه فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها
 وأدبنا بعدها قوله تحتها قصف فهو شدة الريح واللكماء الورهاء وهي الحفقاء
 من الإماء والظلم الضعف والوهن من شدة السير وقوله تهوى تهوى سابق
 الغطاء فالغطاط بضم الغين ضرب من الطير قال الأصمعي الغطاء بفتح الغين
 ضرب من الطير وأنشد لحسان بن ثابت

يُغَشُّونَ حتى ماتهُرُّ كلابُهُمْ لا يسألون عن الغَطَاطِ المُقِيلِ

بفتح الغين قال والغطاط بضم الغين اختلاط الضوء بالظلمة من آخر الليل قال الراجز
 قام إلى أدماء في الغَطَاطِ يَمْشِي بِمِثْلِ قَائِمِ الْفُسْطَاطِ

(تم التفسير) قال فقام إليه عمير بن ضابئ التميمي ثم الخنظلي فقال أصلح
 الله الأمير أنا في هذا البعث وأنا شيخ كبير عليل وهذا ابني وهو أشب مني قال
 ومن أنت قال عمير بن ضابئ التميمي قال سمعت كلامنا بالأمس قال نعم قال
 ألسن الذي غزا أمير المؤمنين عثمان قال بلى قال وما حلك على ذلك قال كان

حبس أبي وكان شيخا كبيرا قال أوليس يقول
 هَمَمْتُ وَلَمْ أَقْتُلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عِثَانٍ تَبْكِي حَلَالَتُهُ
 إني لأحسب في قتلك صلاح المصريين قم إليه يا حرسى فاضرب عنقه فقام
 إليه رجل فاضرب عنقه وأنهب ماله ويقال ان عنبة بن سعيد قال للحجاج أتعرف
 هذا قال لا قال هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان فقال للحجاج يا عدو الله أفلا
 إلى أمير المؤمنين بعثت بدلا ثم أمر بضر عنقه وأمر مناديا فنادى ألا إن عمير
 ابن ضابى أتى بعد ثالثة وقد كان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا فإن ذمة الله بريئة من
 بات الليلة من جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرجت العرفاء إلى
 المهلب وهو برأمرهم فآخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل
 ذكر اليوم قوتل العدو قال ابن أبي عبيدة في حديثه فعبر الجسر تلك الليلة أربعة
 آلاف من مذبح فقال المهلب قدم العراق رجل ذكر قال عمر عن أبي الحسن
 قال لما قرأ عليهم كتاب عبد الملك قال القارئ أما بعد سلام عليكم فاني أحد اليكم
 الله فقال له اقطع يا عبيد العصا أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم السلام
 هذا أدب ابن نبيه أما والله لاؤدبكم غير هذا الأدب ابدأ بالكتاب فلما بلغ إلى
 قوله أما بعد سلام عليكم لم يبق منهم أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله
 قال عمر حدثني عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع قال حدثني عمرو بن سعيد
 قال لما قدم الحجاج الكوفة خطبهم فقال إنكم قد اخللتم بعسكر المهلب فلا يصبحن
 بعد ثالثة من جنده أحد فلما كان بعد ثالثة أبي رجل يستدعي فقال من بك قال عمير
 ابن ضابى البرجى أمرته بالخروج إلى معسكره فضربنى وكذب عليه فأرسل
 الحجاج إلى عمير بن ضابى فأتى به شيخا كبيرا فقال له ما خلفك عن معسكرك
 قال أنا شيخ كبير لا حراك بي فأرسلت ابني بدلا فهو أجلد مني جلدا وأحدث
 مني سنا فسل عما أقول لك فإن كنت صادقا وإلا فعاقبني قال فقال عنبة بن سعيد
 هذا الذي أتى عثمان قتيلا فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه
 فأمر به الحجاج فضربت عنقه قال عمرو بن سعيد فوالله إني لأسير بين الكوفة
 والحيرة إذ سمعت رجزا مضربا فعدلت اليهم فقلت ما الخبر فقالوا قدم علينا رجل

من شر أحياء العرب من هذا الحى من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين
أخفش العينين فقدم سيد الحى عمير بن ضابى فضرب عنقه ولما قتل الحجاج عمير
ابن ضابى لقي ابراهيم بن عامر أحد بني غاضرة من بني أسد عبد الله بن الزبير في
السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتُهُ
أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُنْصَبًا
تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ وَالْحَقَّ الْجَيْشُ لَا أَرَى
سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَلِكِ
تَخَيَّرَ فَمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِي
عَمِيرًا وَإِنَّمَا أَنْ
هَمَا خُطْنَا كَرِهَ تَجَاوُكَ مِنْهُمَا
رُكُوبُكَ خَيْرٌ
فَخَالَ وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ
رَأَاهَا مَعَهُ
فَكَأَن تَرَى مِنْ مُكْرِهِ الْعَدُوِّ مُسْمِنٍ
تَحْتَهُ

وكان قدوم الحجاج الكوفة فيما قيل
الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة أ

فلما بلغ خالد أ الخبر خرج من
وشيعة أهل البصرة فلم يبق

في هذه السنة عبد الملك

إسحاق بن عيسى

ابن مروان

أن يقر

وعلى

من الكوفة بعد ما قدمها وقتل ابن صنبئ من مرفعه ذلك حتى قدم البصرة فقام
فيها بخطبة مثل الذي قام بها في أهل الكوفة وتوعدهم مثل وعيده اياهم فأتى بربيع
من بني يشكر فقبل هذا عاص فقال إن بني فتقا وقد رآه يشرك فعدوني وهذا
ثم مردود في بيت المال فلم يقبل منه وقتله ففرغ لذلك أهل البصرة فخرجوا
تكموا على العارض بقنطرة رامهرمز فقال المهلب جاء الناس رجل ذكر

عن أبي بكر بن محمد بن أبي شيبة عن ثعلبة بن ٧٥ قتله الناس بالحجاج

مردود فقتله بهدائه بن الجارود وبعثت كمانا في عشرين رجلا

فاشتد بهم فلهود المسلمين وساع ذلك في الخوارج وقد كانوا

في اختلاف فأنصرف إلى الحجاج إلى البصرة وكل

من الحجاج لما ندب الناس إلى الحجاج بالمهلب

بمستقبله فوعدوا من استوفى في آخر شعبان

بثلاثة عشر فربما فقتلهم في الناس

بعدة فاشق منها حق وبعثت أمية بن عبد الله

بأربعة فأساق فثاقفوه

فخرج ابن الجارود

لجارود وبعثه

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

فقتلهم

كَازَرُونَ وَسَارَ الْمُهَلَبُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْتَفٍ حَتَّى نَزَلُوا بِهِمْ فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ
تَخَنَّدَ الْمُهَلَبُ عَلَيْهِ فَذَكَرَ أَهْلَ الْبَصْرَةَ أَنَّ الْمُهَلَبَ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْتَفٍ إِنْ
رَأَيْتَ أَنَّ تَخَنَّدَ عَلَيْكَ فَافْعَلْ وَإِنْ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبَوْا عَلَيْهِ وَقَالُوا إِنَّمَا
تَخَنَّدْنَا سَيُوفُنَا وَإِنْ الْخَوَارِجُ زَحَفُوا إِلَى الْمُهَلَبِ لَيْلًا لِيَتَّبِعُوهُ فَوَجَدُوهُ قَدْ أَخَذَ
حَذَرَهُ فَالَوْا نَحْوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْتَفٍ فَوَجَدُوهُ لَمْ يَتَخَنَّدَ فَقَاتَلُوهُ فَانْهَزَمَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ
فَنَزَلَ فَقَاتَلَ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقُتِلَ وَقُتِلُوا حَوْلَهُ فَقَالَ شَاعِرُهُمْ

لَمَنِ الْعَسْكَرُ الْمَكْلَلُ بِالْأَصْرِ عَى فَهُمْ بَيْنَ مَيِّتٍ وَقَتِيلٍ

فَتَرَاهُمْ تَسْنِي الرِّيحَ عَلَيْهِمْ حَاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الذُّيُولِ

وَأَمَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ فَإِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ كِتَابَ الْحِجَاجِ بْنِ يُونُسَ أَنَّ الْمُهَلَبَ
وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْتَفٍ أَنَا هَذَا الْخَوَارِجُ حِينَ يَأْتِيكَمَا كِتَابِي فَتَاهُضَاهُمْ يَوْمَ الْآرْبَعَاءِ
لِعَشْرِ بَقِيَّةٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٥ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ فِيمَا مَضَى قِتَالٍ
كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ وَذَلِكَ بَعْدَ الظَّهْرِ فَجَالَتْ الْخَوَارِجُ بِحَدِّهَا عَلَى الْمُهَلَبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ
فَاضْطَرَّوهُ إِلَى عَسْكَرِهِ فَسَرَحَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَجَالًا مِنْ صُلَحَاءِ النَّاسِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا
إِنَّ الْمُهَلَبَ يَقُولُ لَكَ إِنَّمَا عَدُوُّنَا وَاحِدٌ وَقَدْ تَرَى مَا قَدْ لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ فَأَمْدَ إِخْوَانُكَ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَأَخَذَ يُمِدُّهُ بِالْخَيْلِ بَعْدَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ بَعْدَ الرِّجَالِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ
وَرَأَتْ الْخَوَارِجُ مَا يَجِيءُ مِنْ عَسْكَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ إِلَى عَسْكَرِ
الْمُهَلَبِ ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ خَفَ أَصْحَابُهُ لِيَجْعَلُوا خَمْسَ كُنَائِبٍ أَوْ سِتًّا تَجَاهَ عَسْكَرِ الْمُهَلَبِ
وَانْصَرَفُوا بِجَدِّهِمْ وَجَمْعِهِمْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْتَفٍ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ صَعِدُوا لَهُ نَزْلًا
وَنَزَلَ مَعَهُ الْقُرَاءُ عَلَيْهِمْ أَبُو الْأَحْوَصِ صَاحِبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَخَزِيمَةُ
ابْنِ نَصْرٍ أَبُو نَصْرٍ بِنِ خَزِيمَةَ الْعَبْسِيُّ الَّذِي قَتَلَ مَعَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ وَصَلَبَ مَعَهُ بِالْكُوفَةِ
وَنَزَلَ مَعَهُ مِنْ خَاصَّةِ قَوْمِهِ أَجْدٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ فَقَاتَلْتَهُمْ
قِتَالًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ انْكَشَفُوا عَنْهُ فَبَقِيَ فِي عَصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ ثَبَتُوا مَعَهُ
وَكَانَ ابْنُهُ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيمَنْ بَعَثَهُ إِلَى الْمُهَلَبِ فَنَادَى فِي النَّاسِ لِيَتَّبِعُوهُ إِلَى
أَيِّهِ فَلَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَّا نَاسٌ قَلِيلٌ لَجَاءُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ أَبِيهِ حَالَتْ الْخَوَارِجُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

أبيه فقاتل حتى ارتثته الخوارج وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ثم قتل في تلك العصابة فلما أصبحوا جاء المهلب حتى أتاه فدفته وصلى عليه وكتب بمصابه إلى الحجاج فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان فنعى عبد الرحمن بنى وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء وأمره إذا ضمتها الحرب أن يسمع للمهلب ويطيع فساء ذلك فلم يجد بداً من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته فجاء حتى أقام في ذلك العسكر وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب وهو في ذلك يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب في شيء فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالاً من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مَصْقَلَة بن هبيرة فأغرامهم بعتاب (قال أبو مخنف) عن يوسف بن يزيد أن عتاباً أتى المهلب يسأله أن يرزق أصحابه فأجلسه المهلب معه على مجلسه قال فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه غلظة وتجهّم قال فقال له المهلب وإنك لهننا يا ابن اللخناء فبنو تميم يزعمون أنه رد عليه وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون أنه قال والله إنها لمعنة تحولة ولوددت أن الله فرق بيني وبينك قال فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه فوثب عليه ابنه المغيرة فقبض على القضيب وقال أصلح الله الأمير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم إن سمعت منه بعض ماتكرهه فاحتمله له فإنه لذلك منك أهل ففعل وقام عتاب فرجع من عنده واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه ويقع فيه ۞ فلما رأى ذلك كتب إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويخبره أنه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ويسأله أن يضمّه إليه فوافق ذلك من الحجاج حاجة إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب فبعث إليه أن أقدم وأترك أمر ذلك الجيش إلى المهلب فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب وقال حميد بن مسلم يرثي عبد الرحمن بن مخنف

إن يقتلوك أبا حكيم غُدوةً فلقد تُشِدُّ وتقتلُ الأبطالاً
أو يُشكّلونا سيّداً لمَسَوْدٍ سَمَحَ الخليفة ماجداً مِفْضالاً

فَلَمَّا قَتَلَ هَذِهِ قَوْمَكَ كُلَّهُمْ
 مِنْ كَانَ يَكْشِفُ غُرْمَهُمْ وَقَتْلَهُمْ
 أَقْسَمْتُ مَا نَيْلْتُ مَقَاتِلُ نَفْسِهِ
 وَتَنَاجَزَ الْأَبْطَالُ تَحْتَ لَوَائِهِ
 يَوْمًا طَوِيلًا ثُمَّ آخَرَ لِيْلِهِمْ
 وَتَكَشَّفَتْ عَنْهُ الثُّغُوفُ وَخَيْلُهُ
 وَقَالَ سِرَاقَةُ بْنُ مَرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ

أَعْيَنِي جُودًا بِالْذُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
 عَلَى الْأَزْدِ لِمَا أَنْ أُصِيبَ سَرَاتُهُمْ
 نَزَجِي الْخُلُودَ بَعْدَهُمْ وَتَعُوقُنَا
 وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ قَتْلِ ابْنِ مَخْنَفٍ
 أَمَّا دُمُوعُ الشَّيْبِ مِنْ أَهْلِ مِصْرِهِ
 وَقَاتِلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
 وَضَارَبَ عَنْهُ الْمَارِقِينَ عَصَابَةً
 فَلَا وَلَدَتْ أَثْنَى وَلَا آبَ غَائِبٍ
 فَيَا عَيْنِي ابْكِي مَخْنَفًا وَابْنَ مَخْنَفٍ

وَقَالَ سِرَاقَةُ أَيْضًا يَرْتِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ:

تَوَى سَيْدُ الْأَزْدِينَ أَزْدَ شُؤْءٍ قَوٍّ
 وَضَارِبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
 وَصُرِّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
 قَضَى نَجْبَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ ابْنُ مَخْنَفٍ
 أَمَدٌ فَلَمْ يُمَدِّدْ فَرَاخَ مُشَمَّرًا
 وَأَقَامَ الْمُهَلْبُ بِسَابُورٍ يِقَاتِلُهُمْ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ (وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ) تَحَرَّكَ صَالِحُ بْنُ

مُسَرَّحُ أَحَدِ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الصَّفَرِيَّةِ وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الصَّفَرِيَّةِ

ذَكَرَ الْخُبْرَ عَنْ تَحْرُكِ صَالِحٍ لِلخُرُوجِ وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ

ذَكَرَ أَنَّ صَالِحَ بْنَ مَسْرَحٍ أَحَدَ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ حَجَّ سَنَةَ ٧٥ وَمَعَهُ شَيْبُ بْنُ يَزِيدَ وَسُوَيْدُ وَالبَطِينُ وَأَشْبَاهُهُمْ وَحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَهَمَّ شَيْبُ بِالْفَتْكِ بِهِ وَبَلَغَهُ ذَرَّةٌ مِنْ خَبَرِهِمْ فَكَتَبَ إِلَى الْحِجَاجِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ بِأَمْرِهِ بِطَلْبِهِمْ وَكَانَ صَالِحٌ يَأْتِي الْكَوْفَةَ فَيَقِيمُ بِهَا الشَّهْرَ وَنَحْوَهُ فَيَأْتِي أَصْحَابَهُ لِيَعْدَمَ فَنَبَتْ بِصَالِحِ الْكَوْفَةُ لَمَّا طَلَبَهُ الْحِجَاجُ فَتَسَكَّبَ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ

ذَكَرَ الْكَائِنَ مِنَ الْآحْدَاثِ فِيهَا

فَنَ ذَٰلِكَ خُرُوجَ صَالِحِ بْنِ مَسْرَحٍ

ذَكَرَ الْخُبْرَ عَنْ خُرُوجِ صَالِحِ بْنِ مَسْرَحٍ وَعَنْ سَبَبِ خُرُوجِهِ

وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ فِيهَا ذَكَرَ هِشَامُ عَنْ أَبِي مَخْتَفٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُلْقَمَةَ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيِّ أَنَّ صَالِحَ بْنَ مَسْرَحٍ التَّمِيمِيَّ كَانَ رَجُلًا نَاسِكًا مَحْبُوبًا مَصْفَرَّ الْوَجْهِ صَاحِبَ عِبَادَةٍ وَأَنَّهُ كَانَ بَدَارًا وَأَرْضَ الْمُوَصِّلِ وَالْجَزِيرَةِ لَهُ أَصْحَابٌ يُقْرَأُ لَهُمُ الْقُرْآنُ وَيُفْقَهُهُمْ وَيَقْصُّ عَلَيْهِمْ فَكَانَ قَبِيصَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَ أَصْحَابَنَا أَنَّ قَصَصَ صَالِحَ بْنَ مَسْرَحٍ عِنْدَهُ وَكَانَ مِمَّنْ يَرَى رَأْيَهُمْ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبْعَثَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِمْ فَفَعَلَ وَكَانَ قَصَصُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَعْدِلُ بِكَ وَلَا نَخْفِدُ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَمِنَكَ النِّفْعُ وَالضَّرُّ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ وَرَسُولُكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ وَارْتَضَيْتَهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَاتِكَ وَنَصِيحَةِ عِبَادِكَ وَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَةَ وَنَصَحَ لِلْأُمَّةِ وَدَعَا إِلَى الْحَقِّ وَقَامَ بِالْقِسْطِ وَنَصَرَ الدِّينَ وَجَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى

الله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وكثرة ذكر الموت وفراق الفاسقين وحب المؤمنين فإن الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله وإن كثرة ذكر الموت يُخيف العبد من ربه حتى يجأره اليه ويستكين له وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين قال الله في كتابه (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) وإن حب المؤمنين للسبب الذي ينال به كرامة الله ورحمته وجنته جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين ألا إن من نعمة الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ووقَّعهم في دينهم وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيما حتى قبضه الله صلوات الله عليه ثم ولى الأمر من بعده التقي الصديق على الرضا من المسلمين فاقتدى بهديه واستن بسنته حتى لحق بالله رحمه الله واستخلف عمر فولاه الله أمر هذه الرعية فعمل بكتاب الله وأحيا سنة رسول الله ولم يخنق في الحق على جبرته ولم يخف في الله لومة لائم حتى لحق به رحمه الله عليه وولى المسلمين من بعده عثمان فاستأثر بالنيء وعطل الحدود وجار في الحكم واستدل المؤمن وعزز المجرم فسار إليه المسلمون فقتلوه فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين وولى أمر الناس من بعده علي بن أبي طالب فلم ينشب أن حكم في أمر الله الرجال وشك في أهل الضلال وركن وأدهن فنحن من علي وأشياعه برآء فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة وأئمة الضلال الظلمة وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء واللاحاق باخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله في العاقبة ولا تجزعوا من القتل في الله فإن القتل أيسر من الموت والموت نازل بكم غير ما ترجم الظنون ففرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحلائلكم ودنياكم وإن اشتد لذلك كرهكم وجزعكم ألا فيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين وتمانقوا الحور العين جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون (قال أبو مخنف) حدثني عبد الله بن علقمة قال بينا أصحاب صالح يختفون إليه إذ قال لهم

ذات يوم ما أدري ما تنتظرون وحتى متى أنتم مقيمون هذا الجور قد فشا وهذا العدل قد عفا ولا ترداد هذه الولاية على الناس إلا غلوا وعتوا وتباعدوا عن الحق وجرأة على الرب فاستعدوا وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحق مثل الذي تريدون فيأتوكم فنلتقي وننظر فيما نحن صانعون وفي أي وقت إن خرجنا نحن خارجون قال فتراسل أصحاب صالح وتلاقوا في ذلك فيبناهم في ذلك إذ قدم عليهم المحلل بن وائل اليشكري بكتاب من شبيب إلى صالح بن مسرح أما بعد فقد علمت أنك كنت أردت الشخصوص وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبت لك فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخ المسلمين ولن نعدل بك منا أحداً وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتني فإن الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمني المنية ولما أجاهد الظالمين فياله غبناً وياله فضلاً متروكاً جعلنا الله وإياك ممن يريد بعمله الله ورضوانه والنظر إلى وجهه ومراقبة الصالحين في دار السلام والسلام عليك قال فلما قدم على صالح المحلل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب إليه صالح أما بعد فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عني حتى أهتني ذلك ثم إن أمراء من المسلمين نبأني بنبأ مخرجك ومقدمك فحمد الله على قضاء ربنا وقد قدم على رسولك بكتابك فكل ما فيه قد فهمته ونحن في جهاز واستعداد للخروج ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك فأقبل اليانما ثم أخرج بنا متى ما أحببت فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الأمور والسلام عليك هـ فلما قدم على شبيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه لجمعهم إليه منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم والمحلل بن وائل اليشكري والصقر بن حاتم من بني تيم بن شيبان وإبراهيم بن حجر أبو الصقير من بني مُحَلَّم والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيبان ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بدارا فلما لقيه قال أخرج بنا رحمك الله فوالله ما ترداد اللهنة إلا دروسا ولا يزداد الجرمون إلا طغياناً فبث صالح رسله في أصحابه وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ٧٦ فاجتمع بعضهم إلى بعض وتهيأوا وتيسروا للخروج في تلك الليلة واجتمعوا

جميعا عنده في تلك الليلة لميعاده (قال أبو مخنف) فحدثني قروة بن لقيط الأزدي قال والله إنني لمع شبيب بالمدان إذ حدثنا عن مخرجهم قال لما هممنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج فكان رأيي استعراض الناس لما رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الأرض فقممت إليه فقلت يا أمير المؤمنين كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلة أنقتلهم قبل الدعاء أم ندعوهم قبل القتال وسأخبرك برأيي فيهم قبل أن تخبرني فيهم برأيك أما أنا فأرى أن نقتل كل من لا يرى رأينا قريبا كان أو بعيداً فانا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله واستحوذ عليهم الشيطان فقال لأبل ندعوهم فلم يري لا يجيبك إلا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزري عليك والدعاء أقطع لحجتهم وأبلغ في الحجة عليهم قال فقلت له فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ماتقول في دماهم وأموالهم فقال إن قتلنا وغنمنا فلنا وإن تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا قال فأحسن القول وأصاب رحمة الله عليه وعلينا (قال أبو مخنف) فحدثني رجل من بني محم أن صالح بن مسرح قال لأصحابه ليلة خرج اتقوا الله عباد الله ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا قوما يريدونكم وينصبون لكم فانكم إنما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه وعصى في الأرض فسفكت الدماء بغير حلها وأخذت الآه وال بغير حقها فلا تعيبوا على قوم أعمالا ثم تعملوا بها فان كل ما أتمم حاملون أتم عنه مسئولون وإن عظمكم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان في هذا الرستاق فابدؤا بها فشدوا عليها فاحملوا أرجلكم وتقروا بها على عدوكم فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدواب فحملوا رجالتهم عليها وصارت رجالتها فرسانا وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم أهل دارا وأهل بصيين وأهل سينجار وخرج صالح ليلة خرج في مائة وعشرين وقليل في مائة وعشرة قال وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة فاستخف بأمرهم وبعث إليهم عدي بن عدي بن مغيرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة فقال له أصلح الله الأمير أتبعني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة قد خرج معه رجال من ربيعة قد سُموا لي

كانوا يعازوننا الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة رجل قال له فإني أزيدك
 خمسمائة أخرى فسر إليهم في ألف فارس من حران في ألف رجل فكان أول
 جيش سار إلى صالح وسار إليه عدى وكأنا يساق إلى الموت وكان عدى رجلاً
 يتنسك فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس وسرح إلى صالح بن مسرح رجلاً
 دسه إليه من بني خالد من بني الورثة يقال له زياد بن عبدالله فقال إن عدياً بعثني
 إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلداً آخر فتقاتل أهله فإن عدياً للقاتل
 كاره فقال له صالح ارجع إليه فقال له إن كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك ما نعرف
 ثم نحن مدلجون عنك من هذا البلد إلى غيره وإن كنت على رأى الجبابة وأئمة
 السوء رأينا رأينا فإن شئنا بدأنا بك وإن شئنا رحلنا إلى غيرك فأنصرف
 إليه الرسول فأبلغه ما أرسل به فقال له ارجع إليه فقل له انى والله ما أنا على رأيك
 ولكنى أكره قتالك وقاتل غيرك فقاتل غيرى فقال صالح لأصحابه اركبوا فركبوا
 وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ثم تركه ومضى بأصحابه حتى أتى عدى بن عدى
 ابن عميرة في سوق دوغان وهو قائم يصلى الضحى فلم يشعر إلا والخيل طالعة عليهم
 فلما بصروا بها تنادوا وجعل صالح شيبيا في كتيبة في ميمنة أصحابه وبعث سويد
 ابن سليم الهندي من بني شيبان في كتيبة في ميسرة أصحابه ووقف هو في كتيبة
 في القلب فلما دنا منهم رآهم على غير تعبئة وبعضهم يحول في بعض فأمر شيبيا
 فحمل عليهم ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا وأتى عدى بن عدى
 بدابته وهو يصلى فركبها ومضى على وجهه وجاء صالح بن مسرح حتى نزل عسكره
 وحوى ما فيه وذهب فل عدى وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان
 فغضب ثم دعا خالد بن جزء السلى فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة
 من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ودعاهما فقالا خرجا
 إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة وعجلاً الخروج وأغذا السير فأبكما سبق فهو
 الأمير على صاحبه فخرجا من عنده فأغذا السير وجعل يسألان عن صالح بن مسرح
 فيقال لهما إنه توجه نحو أمد فأتبعاه حتى انتهيا إليه وقد نزل على أهل أمد فنزلا

ليلا فخذنا وانتهيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدة فوجه صالح شيبا إلى الحارث بن جعونة العامري في شطر أصحابه وتوجه هو نحو خالد ابن جزء السلي (قال أبو مخنف) فحدثني المحلمي قال انتهوا إلينا في أول وقت العصر فصلى بنا صالح العصر ثم عبانا لهم فاقتلنا كأشد قتال اقتله قوم قط وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهمهم وعلى العشرين فكذلك وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلنا فلما رأى أميرهم ذلك ترجلا وأمرأجل من معهما فترجل فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد إذا حملنا عليهم استقبلتنا رجالهم بالرمح ونضحتنا رماتهم بالنبل وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك فقاتلناهم إلى المساء حتى حال الليل بيننا وبينهم وقد أفضوا فينا الجراحة وأفشيناهما فيهم والله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا وقد قتلوا منا نحو من ثلاثين رجلا وقتلنا منهم أكثر من سبعين فوقفنا مقابلهم ما يقدمون علينا وما تقدم عليهم فلما أمسوا رجعوا إلى عسكرهم ورجعنا إلى عسكرنا فصلينا وتروحنا وأكلنا من الكسر ثم إن صالحا دعا شيبا ورؤوس أصحابه فقال يا أخلائي ماذا ترون فقال شيب أرى أنا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم وقد اعتصموا بخندقهم فلا أرى أن نقيم عليهم فقال صالح وأنا أرى ذلك فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين فضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدسكرة فلما بلغ ذلك الحجاج سرح إليهم الحارث بن عميرة بن ذى المشعار الهمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ألف من المقاتلة الأولى وألفين من الفرض الذي فرض لهم الحجاج فسار حتى إذا دنا من الدسكرة خرج صالح بن مسرح نحو جلولاء وخانقين وأتبعه الحارث بن عميرة حتى انتهى إلى قرية يقال لها المديج من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جوخي وصالح يومئذ في تسعين رجلا فبعي الحارث بن عميرة يومئذ أصحابه وجعل على ميمنته أبا الرواع الشاكري وعلى ميسرته الزبير بن الأرواح التيمي ثم شد عليهم وذلك بعد العصر وقد جعل أصحابه ثلاثة كراديس فهو في كردوس وسيب في كردوس في ميمنته وسويد

ابن سليم في كردوس في الميسرة في كل كردوس منهم ثلاثون رجلاً فلباشد عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد بن سليم وثبت صالح ابن مسرح قتل وضارب شبيب حتى صرع عن فرسه فوقع في رجالة فشد عليهم فانكشفوا فجاء حتى انتهى إلى مواف صالح بن مسرح فأصابه قتيلاً فنادى إلى يامعشر المسلمين الاذوا به فقال لأصحابه لييجل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه إذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلاً بشبيب وأحاط بهم الحارث بن عميرة بمسيا وقال لأصحابه احرقوا الباب فاذا صار جمرًا فدعوه فانهم لا يقدرّون على أن يخرجوا منه حتى نصبهم فقتلهم ففعلوا ذلك بالباب ثم انصرفوا إلى عسكرهم فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه فقال بهض أولئك الفرض يا بني الزواني ألم يخزكم الله فقالوا يا فاساق نعم تقاتلوننا لقتالنا إياكم إذ عماكم الله عن الحق الذي نحن عليه فما عذرکم عند الله في الفرى على أمهاتنا فقال لهم حلوهم إنما هذا من قول شباب فينا سفهاء والله ما يعجبنا قولهم ولا نستحله وقال شبيب لأصحابه يا هؤلاء ما تنتظرون فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة إنه هلاككم فقال لهم إن الليل أخفى للويل يا يعوفى أو من شتم منكم ثم اخرجوا بنا حتى نشد عليهم في عسكرهم فإنهم لذلك منكم آمنون وأنا أرجو أن ينصركم الله عليهم قالوا فابسط يدك فلنبايعك فبايعوه ثم جاءوا ليخرجوا وقد صار بابهم جمرًا فأتوا باللبود فلبوها بالماء ثم ألقوها على الجمر ثم قطعوا عليها فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر إلا وشبيب وأصحابه يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم فضارب الحارث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهزموا وخلقوا لهم العسكر وما فيه ومضوا حتى نزلوا المدائن فكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقية من جمادى الأولى من سنته (وفي هذه السنة) دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة

ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج
بها والسبب الذي دعا شييبا إلى ذلك

وكان السبب في ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبدالله بن علقمة عن
قيصة بن عبدالرحمن الخثعمي أن شييبا لما قتل صالح بن مسرح بالمدنج وبايعه
أصحاب صالح ارتفع إلى أرض الموصل فأتى سلامة بن سيار بن المضاء التيمي تيم
شيبان فدعاه إلى الخروج معه وكان يعرفه قبل ذلك إذ كان في الديوان والمغازي
فاشترط عليه سلامة أن يلتخب ثلاثين فارسا ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليال عدداً
ففعل فانتخب ثلاثين فارسا فانطلق بهم نحو عنزة وإنما أرادهم ليشفي نفسه منهم
لقتلهم أخاه فضالة وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك في ثمانية عشر نفساً حتى
نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجال عليه أثلة عظيمة وعليه عنزة فلما رآته عنزة
قال بعضهم لبعض نقتلهم ثم نغدو بهم إلى الأمير فتعطى ونحي فأجمعوا على ذلك فقالت
بنو نصر أخواله لعمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا قمضت عنزة إليهم فقاتلوهم
فقتلوهم وأتوا برووسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقياء وفرض لهم ولم
تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة فقال سلامة بن سيار أخو فضالة يذكر قتل
أخيه وخذلان أخواله إياه

وَمَا خَلْتُ أَخْوََالَ الْقَتَى يُسَيِّدُونَهُ لَوْ قَعَّ السِّلَاحُ قَبْلَ مَا فَعَلَتْ نَصْرُ

قال وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشيب بن فلما بايع
سلامة شييبا اشترط عايه هذا الشرط فخرج في ثلاثين فارساً حتى انتهى إلى عنزة
فجعل يقتل المحلة منهم بعد المحلة حتى انتهى إلى فريق منهم فيهم خالته وقد أكتبت
على ابن لها وهو غلام حين احتلم فقالت وأخرجت ثديها إليه أنشدك برحم هذا
يا سلامة فقال لا والله ما رأيت فضالة مذ أناخ بعمر الشجرة يعني أخاه لتقومين
عنه أو لا جعلن جأفتك بالرحم فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله (قال أبو مخنف)
فحدثني المفضل بن بكر من بني تيم بن شيبان أن شييبا أقبل في أصحابه نحو راذان
فلما سمعت به طائفة من بني تيم بن شيبان خرجوا هرباً منه ومعهم ناس من غيرهم

قليل فأقبلوا حتى نزلوا دير خرّ زاد إلى جنب حولايا وهم نحو من ثلاثة آلاف
 وشبيب في نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فهابوه وتخصّصوا منه
 ثم إن شبيباً سري في اثني عشر فارساً من أصحابه إلى أمه وكانت في سفح سائيداً مانالة
 في مظلة من مظال الأعراب تقال لآتين بأى فلا جعلنها في عسكرى فلا تفارقتي
 أبداً حتى أموت أو تموت وخرج رجلان من بني تيم بن شيبان تخوفاً على أنفسهما
 فنزلا من الدير فلاحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجال منهم على مسيرة ساعة
 من النهار وخرج شبيب في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر يريد أمه بالسفح
 فإذا هو بجماعة من بني تيم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين لا يرون أن شبيباً يمر
 بهم لمكانهم الذي هم به ولا يشعر بهم لحمل عليهم في فرسانه تلك فقتل منهم ثلاثين
 شيخاً فيهم حوثة بن أسد ووبرة بن عاصم اللذان كانا نزلا من الدير فلاحقا بالجال
 ومضى شبيب إلى أمه فحملها من السفح فأقبل بها وأشرف رجل من أصحاب الدير
 من بكر بن وائل على أصحاب شبيب وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد
 ابن يزيد ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان فقال لهم يا قوم
 القرآن بيننا وبينكم ألم تسمعوا قول الله وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
 حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه قالوا بلى قال لهم فكفوا عنا حتى نصبح ثم
 نخرج إليكم على أمان لنا منكم لكيلا تعرضوا لنا بشيء نكرهه حتى تعرضوا علينا
 أمركم هذا فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا ودمائنا وكنا لكم إخواناً وإن
 نحن لم نقبله رددتمونا إلى ما مننا ثم رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم قالوا لهم فهذا لكم فلبا
 أصحابوا خرجوا إليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ووصفوا لهم أمرهم فقبلوا
 ذلك كله وخالطوهم ونزلوا إليهم فدخل بعضهم إلى بعض وجاء شبيب وقد اصطلحوا
 فأخبره أصحابه خبرهم فقال أصبتم ووقفتم وأحسنتم ثم إن شبيباً ارتحل فخرجت
 معه طائفة وأقامت طائفة جانحة وخرج يومئذ معه إبراهيم بن حجر المحلى
 أبو الصيقير كان مع بني تيم بن شيبان نازلاً فيهم ومضى شبيب في أداني أرض
 الموصل وتخوم أرض جوخي ثم ارتفع نحو آذربيجان وأقبل سفيان بن أبي العالية

الختمي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان فأمر بالقول فأقبل راجعا في نحو من ألف فارس فصالح صاحب طبرستان (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة الختمي أن كتاب الحجاج أتاه أما بعد فسر حتى نزل الدسكرة فيمن معك ثم أقم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذى المشعار وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ثم سر إلى شبيب حتى تناجزه • فلما أتاه الكتاب أقبل حتى نزل الدسكرة ونودي في جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن ان برئت الذمة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيان بن أبي العالية بالدسكرة قال فخرجوا حتى أتوه وأتته خيل المناظر وكانوا خمسمائة عليهم سورة بن أبحر التيمي من بني أبان بن دارم فوافوه إلا نحواً من خمسين رجلاً تخلفوا عنه وبعث إلى سفيان بن أبي العالية أن لا تبرح العسكر حتى آتيك فعبج سفيان فارتحل في طلب شبيب فلحقه بخانقين في سفح جبل فجعل على ميمته خازم بن سفيان الختمي من بني عمرو بن شهران وعلى ميسرته عدى بن عميرة الشيباني وأصحروهم شبيب ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه وقد أكن له أخاه مصاداً معه خمسون في هزم من الأرض فلما رأوه جمع أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مشرقاً فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدى بن عميرة الشيباني أيها الناس لا تعجلوا عليهم حتى تضرب في الأرض ونسير بها فإن يكونوا قد أكنوا لنا كميناً قد حذرناه وإلا فإن طلبهم لن يفوتنا فلم يسمع منه الناس وأسرعوا في آثارهم • فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمين عطف عليهم • ولما رأى الكمين أن قد جاوزوهم خرجوا إليهم فحمل عليهم شبيب من أمامهم وصاح بهم الكمين من ورائهم فلم يقاتلهم أحد وكانت الهزيمة فثبت ابن أبي العالية في نحو من مائتي رجل فقاتلهم قتلاً شديداً حسناً حتى ظن أنه انتصف من شبيب وأصحابه فقال سويد بن سليم لأصحابه أمنكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العالية فوالله لئن عرقتة لأجهدن نفسي في قتله فقال شبيب أنا من أعرف الناس به أما ترى صاحب الفرس الأغر الذي دونه المرامية فإنه ذلك فإن كنت تريده فأمهله قليلاً ثم قال يا قنصب اخرج في عشرين فأتهم من

ورائهم نخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم هـ فلما رآه يريد أن يأتيهم من
ورائهم جعلوا يتنقضون ويتسللون وحمل سويد بن سليم على سفيان بن أبي العالية
فطاعنه فلم تصنع رجحاما شيئا ثم اضطربا بسيفيهما ثم اعتنق كل منهما صاحبه فوقعا
إلى الأرض يعتركان ثم تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فأنكشفر أو ألقى سفيان غلام له
يقال له غزوان فنزل عن برذونه وقال اركب يا مولاي فركب سفيان وأحاط
به أصحاب شبيب فقاتل دونه غزوان فقتل وكانت معه رايته وأقبل سفيان بن
أبي العالية حتى انتهى إلى بابل مهروذاً نزل بها وكتب إلى الحجاج أما بعد فإني
أخبر الأمير أصلحه الله أني اتبعت هذه المارقة حتى لحقهم بخانقين فقاتلهم فضرب
الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غنيماً عنهم فحملوا
على الناس فهزموهم فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر فقاتلهم حتى خررت
بين القتلى فحملت مرتثاً فأتى بي بابل مهروذاً فيها أنا بها والجند الذين وجههم إلى الأمير
ووافوا الأسورة بن أبجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي إذا ما نزلت بابل مهروذاً فأتاني
يقول ما لا أعرف ويعتذر بغير العذر والسلام هـ فلما قرأ الحجاج الكتاب قال
من صنع كما صنع هذا وأبلى كما أبلى فقد أحسن ثم كتب إليه أما بعد فقد أحسنت البلاء
وقضيت الذي عليك فإذا خف عنك الوجد فأقبل مأجوراً إلى أهلك والسلام
وكتب إلى سورة بن أبجر أما بعد فيا ابن أم سورة ما كنت خليقاً أن تجترئ على
ترك تهدي وخذلان جندي فاذا أتاك كتابي فابعث رجلاً بمن معك صلياً إلى
الحيل التي بالمدائن فليتخبط منهم خمسمائة رجل ثم ليقدم بهم عليك ثم سر بهم حتى
تلقى هذه المارقة واحزم في أمرك وكذب عدوك فإن أفضل أمر الحرب حسن
المكيدة والسلام هـ فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدى بن عميرة إلى المدائن
وكان بها ألف فارس فانتخب منهم خمسمائة ثم دخل على عبد الله بن أبي عصفير
وهو أمير المدائن إمارته الأولى فسلم عليه فأجازه بألف درهم وحمله على فرس
وكساه أثواباً ثم إنه خرج من عنده فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سورة بن
أبجر ببابل مهروذاً فخرج في طلب شبيب وشبيب يحول في جوحى وسورة في طلبه

فجاء شيب حتى انتهى إلى المدائن فتحصن منه أهل المدائن وتحزروا ووهى أبنية
المدائن الأولى فدخل المدائن فأصاب بها دواب جند كثيرة فقتل من ظهر له ولم
يدخلوا البيوت فأتى فقيل له هذا سورة بن أبجر قد أقبل إليك فخرج في أصحابه
حتى انتهى إلى النهروان فنزلوا به وتوضؤوا وصلوا ثم أتوا مصارع إخوانهم الذين
قتلهم على بن أبي طالب عليه السلام فاستغفروا لإخوانهم وتبرؤا من على
وأصحابه وبكوا فأطالوا البكاء ثم خرجوا فقطعوا جسر النهروان فنزلوا من
جانبه الشرقي وجاء سورة حتى نزل بقطرانا وجاءته عيونه فأخبرته بمنزل شيب
بالنهروان فدعا رؤس أصحابه فقال إنهم قلما يلقون مصحرين أو على ظهر إلا
انتصفوا منكم وظهروا عليهم وقد حدثت أنهم لا يزيدون على مائة رجل إلا
قليلًا وقد رأيت أن أتنخبكم فأسير في ثلثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم
فأتيهم الآن إذ هم آمنون لبياتكم فوالله إني لأرجو أن يصرعهم الله مصارع
إخوانهم الذين صرعوا منهم بالنهروان من قبل فقالوا اصنع ما أحببت فاستعمل
على عسكره حازم بن قدامة الخثعمي وانتخب من أصحابه ثلاثمائة رجل من
أهل القوة والجلد والشجاعة ثم أقبل بهم نحو النهروان وبات شيب وقد أذكى
الحرس فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا بهم فاستولوا على خيولهم وتعبوا
تعبيتهم فلما انتهى إليهم سورة وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدوا فحمل
عليهم سورة وأصحابه فقتلوا لهم وضاربوهم حتى صد عنهم سورة وأصحابه ثم صاح
شيب بأصحابه فحمل عليهم حتى تركوا له العرصة وحملوا عليهم معه وجعل شيب
يضرب ويقول

مَنْ يَنْكِ الْعَيْرَيْنِكَ نَيْيَاكَ جَنْدَلَتَانِ اصْطَكَّتَا اصْطِكَكََا

فرجع سورة إلى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة فتحمل بهم حتى أقبل
بهم نحو المدائن فدفع إليهم وقد تحمل وتعدى الطريق الذي فيه شيب واتبعه شيب
وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره ويصيب بهزيمته أهل العسكر فأغذ السير
في طلبهم فأنهوا إلى المدائن فدخلوها وجاء شيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن

فدفع إليهم وقد دخل الناس وخرج ابن أبي عيفير في أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ورموا من فوق البيوت بالحجارة فارتفع شيب بأصحابه عن المدائن فر على كلاً إذا فأصاب بهادواب كثيرة للحجاج فأخذها ثم خرج يسير في أرض جوخي ثم مضى نحو تكريت فبينما ذلك الجند في المدائن إذا أرجف الناس بينهم فقالوا هذا شيب قد دنا وهو يريد أن يبيت أهل المدائن الليلة فارتحل عامة الجند فلحقوا بالكوفة (قال أبو مخنف) وحدثني عبدالله بن علقمة الخثعمي قال والله لقد هربوا من المدائن وقالوا نُبِيتُ الليلة وإذ شيباً كَتَبْتُ كِتَابَ رَيْتٍ قَالَ وَلَمَّا قَدِمَ الْفُلَّ عَلَى الْحَجَّاجِ سَرَّحَ الْجَزَلَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ بْنِ عَمْرِو الْكِنْدِيِّ (قال أبو مخنف) حدثنا النضر بن صالح العبسي وفضيل بن خديج الكندي أن الحجاج لما أتاه الفلَّ قال قبح الله سورة ضيع العسكر والجند وخرج يبيت الخوارج أما والله لا سوانه وكان بعد قد حبسه ثم عوفي عنه (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج أن الحجاج دعا الجزل وهو عثمان بن سعيد فقال له تيسر للخروج إلى هذه المارقة فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ولا تُحجم إحجام الوائي الفرق هل فهمت لله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية فقال نعم أصلح الله الأمير قد فهمت قال له فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج إليك الناس فقال أصلح الله الأمير لا تبعثن معي أحداً من أهل هذا الجند المفلول المهزوم فإن الرعب قد دخل قلوبهم وقد خشيت أن لا ينفعك والمسلمين منهم أحد قال له فإن ذلك لك ولا أراك الا قد أحسنت الرأي ووقفت ثم دعا أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث فأخرجوا أربعة آلاف من الناس من كل ربع ألف رجل وأعجلوا ذلك فجمعت العرفاء وجلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم بالعسكر فعسكروا ثم نودي فيهم بالرحيل ثم ارتحلوا ونادى منادى الحجاج أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفاً قال فضى الجزل بن سعيد وقد قدّم بين يديه عياض بن أبي ليثة الكندي على مقدمته فخرج حتى أتى المدائن فأقام بها ثلاثاً وبعث إليه ابن أبي عصفير بفرس وبرذون

وبغلين وألني درهم ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابن أبي عصفير ثم إن الجزل بن سعيد خرج بالناس في أثر شبيب فطلبه في أرض جوخي فجعل شبيب يريه الهية فيخرج من رستاق إلى رستاق ومن طسوج إلى طسوج ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجزل أصحابه ويتعجل اليه فيلقاه في يسير من الناس على غير من تعبته فجعل الجزل لا يسير إلا على تعبته ولا ينزل إلا خندق على نفسه خندقا فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسرّوا (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعانا ونحن بدير يبرق ماستون ومائة رجل فجعل على كل أربعين من أصحابه رجلاً وهو في أربعين وجعل أخاه مصادا في أربعين وبعث سويد بن سليم في أربعين وبعث المحلل بن وائل في أربعين وقد أته عيونه فأخبرته إن الجزل بن سعيد قد نزل دير يزدرج قال فدعانا عند ذلك فعبانا هذه التعبية وأمرنا فعلقنا على دوابنا وقال لنا تيسروا فإذا قضمت دوابكم فاركبوا وليسر كل امرئ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه ودعا أمراءنا فقال لهم إني أريد أن أبيت هذا العسكر الليلة ثم قال لأخيه مصاداتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قبل حلوان وسأتيهم أنا من أمامي من قبل الكوفة وأتهم أنت يا سويد من قبل المشرق وأتهم أنت يا محلل من قبل المغرب ويلج كل امرئ منكم على الجانب الذي يحمل عليه ولا تقلعوا عنهم تحملون وتكثرون عليهم وتصيحون بهم حتى يأتيكم امرئ فلم نزل على تلك التعبية وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معي حتى إذا قضمت دوابنا وذلك أول الليل أول ما هدأت العيون خرجنا حتى انتهينا إلى دير الحرارة فإذا للقوم مسلحة عليهم عياض بن أبي لينة فما هو إلا أن انتهينا إليهم فحمل عليهم مصاد أخو شبيب في أربعين رجلاً وكان أمام شبيب وقد كان أراد أن يسبق شيباً حتى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره فلما لقي هؤلاء قاتلهم فصبروا ساعة وقاتلوه ثم إنا دفننا إليهم جميعاً فحملنا عليهم فهزمناهم وأخذوا الطريق

الأعظم وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزددرد إلا قريب من ميل فقال لنا شبيب اركبوا معاصر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم إن استطعتم فأتبعناهم والله ملّظين بهم ملّحين عليهم ما تُرْفَه عنهم وهم منهزمون ما لهم همة إلا عسكرهم فأنهوا إلى عسكرهم ومنعهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم ورشقونا بالنبل وكانت عيونهم قد أتهم فأخبرتهم بمكاننا وكان الجزل قد خندق عليه وتحرز ووضع هذه الأسلحة الذين لقيناهم بدير الحرارة ووضع مسلحة أخرى مما يلي حلوان على الطريق فلما أن دفعنا إلى هذه الأسلحة التي كانت بدير الحرارة فالحقناهم بعسكر جماعتهم رجعت المسالح الأخرى حتى اجتمعت ومنعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم قاتلوا ونضحوا عندكم بالنبل (قال أبو مخنف) وحدثني جرير ابن الحسين الكندي قال كان على المسلحين الآخرين عاصم بن حجير على التي تلي حلوان وواصل بن الحارث السكوني على الأخرى فلما أن اجتمعت المسالح جعل شبيب يحمل عليها حتى اضطرها إلى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل حتى ردوهم عنهم فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليهم قال لأصحابه سيروا ودعوهم ففضى على الطريق نحو حلوان حتى إذا كان قريباً من موضع قباب حسين بن زفر من بني بدر بن فزارة وإنما كانت قباب حسين بن زفر بعد ذلك قال لأصحابه انزلوا فأفضموا وأصلحوا نبلكم وتروحوا وصلوا ركعتين ثم اركبوا فنزلوا ففعلوا ذلك ثم إنه أقبل بهم راجعاً إلى عسكر أهل الكوفة أيضاً وقال سيروا على تعبيتكم التي عبأتكم عليها بدير بير ما أول الليل ثم أطيّفوا بعسكرهم كما أمرتكم فأقبلوا قال فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم وقد آمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريباً منهم فأنهينا إليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم ثم صيحناهم من كل جانب فإذا هم يقاتلوننا من كل جانب ويرموننا بالنبل ثم إن شبيباً بعث إلى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل إلينا واخل لهم سبيل الطريق إلى الكوفة فأقبل إليه وترك ذلك الوجه وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة حتى أصبحنا فأصبحنا ولم نستفل منهم شيئاً

فسرنا وتركناهم فملوا بصيحتهم بنا أين يا كلاب النار أين أيتها العصابة المارقة
أصبحوا نخرج اليكم فارتفعنا عنهم نحواً من ميل ونصف ثم نزلنا فصلينا الغداة
ثم أخذنا الطريق على براز الروم مضيئاً إلى جرجرايا وما يليها فأقبلوا في طلبنا
(قال أبو مخنف) فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر قال كنت مع الناس
تاجراً وهم في طلب الحرورية وعلينا الجزل بن سعيد فجعل يتبعهم فلا يسير إلا
على تعية ولا ينزل إلا على خندق وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جوخي
وغيرها يكسر الخراج وطال ذلك على الحجاج فكتب إليه كتاباً فقرأ على الناس
أما بعد فإني بعثتك في فرسان أهل مصر ووجوه الناس وأمرتك باتباع هذه المارقة
الضالة المضلة حتى تلقاها فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتغنيها فوجدت التعريس في القرى
والتخيم في الخنادق أهون عليك من المضي لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم
والسلام فقرأ الكتاب علينا ونحن بقطرانا ودير أبي مريم فشق ذلك على الجزل وأمر
الناس بالسير فخرجوا في طلب الخوارج جادين وأرجفتنا بأمرنا وقلنا يعزّل (قال أبو
مخنف) فحدثني اسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرسمي أن الحجاج بعث سعيد بن
المجالد على ذلك الجيش وعهد إليه إن لقيت المارقة فازحف إليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم
وواقفهم واستعن بالله عليهم ولا تصنع صليع الجزل واطلبهم طلب السبع وحذ
عنهم حيدان الضبع وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا إلى النهر وانفأدركوه
فلزم عسكره وخندق عليه وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة
أميراً فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة إنكم قد
عجزتم ووهنتم وأغضبتكم عليكم أميركم أنتم في طلب هذه الأعراب العجف منذ
شهرين وهم قد خربوا بلادكم وكسروا خراجكم وأنتم حاذرون في جوف هذه
الخنادق لا تزايلونها إلا أن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلداً سوى بلدكم
أخرجوا على اسم الله إليهم فخرج وأخرج الناس معه وجمع إليه خيول أهل العسكر
فقال له الجزل ما تريد أن تصنع قال أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال
له الجزل أقم أنت في جماعة الجيش فارسهم وراجلهم وأصحّر له فوالله ليقدمن

عليك فلا تفرق أصحابك فإن ذلك شر لهم وخير لك فقال له قف أنت في الصف فقال يا سعيد بن مجالد ليس لي فيما صنعت رأى أنا برىء من رأيك هذا سمع الله ومن حضر من المسلمين فقال هو رأيي إن أصبتُ فالله وفقني له وإن يكن غير صواب فأنتم منه برآء قال فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وجعل على يمينهم عياض بن أبي لينة الكندي وعلى يسارهم عبد الرحمن بن عوف أباحميد الرواسي ووقف الجزل في جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه وقد أخذ شبيب إلى برّاز الروز فنزل قطيطيا وأمر دهقانها أن يشتري لهم ما يصلحهم ويتخذ لهم غداء ففعل ودخل مدينة قطيطيا وأمر بالباب فأغلق فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر فصعد الدهقان السور فنظر إلى الجند مقبلين قد دنوا من حصنه فنزل وقد تغير لونه فقال له شبيب ما لي أراك متغير اللون فقال له الدهقان قد جاءتك الجنود من كل ناحية قال لا بأس هل أدرك غداؤنا قال نعم قال فقربه وقد أغلق الباب وأتى بالغداء فتغدى وتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا ببغل له فركبه ثم انهم اجتمعوا على باب المدينة فأمر بالباب ففتح ثم خرج على بغلة فحمل عليهم وقال لا حكم إلا للحكم الحكيم أنا أبو مدله اثبتوا إن شئتم وجعل سعيد يجمع قومه وخيله ثم يدلّفها في أثره ويقول ما هؤلاء إنما هم أكلة رأس فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا ألف خيله كلها ثم جمعها ثم قال استعرضوهم استعراضاً وانظروا إلى أميرهم فوالله لا تقتله أو يقتلني وحمل عليهم مستعرضاً لهم فهزمهم وثبت سعيد ابن المجالد ثم نادى أصحابه إلى إلى أنا ابن ذى مران وأخذ قلنسوته فوضعها على قربوس سرجه وحمل عليه شبيب فعممه بالسيف فخالط دماغه فخر ميتاً وانهم ذلك الجيش وقتلوا كل قتلة حتى انتهوا إلى الجزل ونزل الجزل ونادى أيها الناس إلى و ناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس إن كان أميركم القادم قد هلك فأمركم الميمون النقيبة المبارك حتى أم يمت فقاتل الجزل قتالا شديداً حتى حمل من بين القتلى فحمل إلى المدائن مرتين وأقدم فلأهل ذلك العسكر الكوفة وكان من أشد

الناس بلاء يومئذ خالد بن نهيك من بني ذهل بن معاوية وعياض بن أبي لينة حتى استنقذه وهو مرتث هذا حديث طائفة من الناس والحديث الآخر قتالهم فيما بين دير أبي مریم إلى براز الروز ثم ان الجزل كتب إلى الحجاج قال وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ وبعث إلى سوق بغداد فأمنهم وذلك اليوم يوم سوقهم وكان بلغه أنهم يخافونه فأحب أن يؤمنهم وكان أصحابه يريدون أن يشتروا من السوق دواب وثيابا وأشياء ليس لهم منها بد ثم أخذهم نحو الكوفة وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك الذي يلي قصر ابن هبيرة ثم أغذ السير من الغد فبات بين حمام عمر بن سعد وبين قبين فلما بلغ الحجاج مكانه بعث إلى سويد بن عبد الرحمن السعدي فبعثه في ألفي فارس نقاوة وقال له اخرج إلى شبيب فآلقه واجعل ميمنة وميسرة ثم انزل إليه في الرجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه فخرج فمسكر بالسبخة فبلغه أن شبيباً قد أقبل فأقبل نحوه وكأنما يساقون إلى الموت وأمر الحجاج عثمان بن قطن فمسكر بالناس بالسبخة ونادى ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسبخة وأمر سويد بن عبد الرحمن أن يسير في الألفين اللذين معه حتى يلقى شبيباً فعبر بأصحابه إلى زُرارة وهو يعبثهم ويحرضهم إذ قيل له قد غشيك شبيب فقتل ونزل معه جل أصحابه وقدم رايته ومضى إلى أقصى زرارة فأخبر أن شبيباً قد أخبر بمكانك فركك ووجد مخاضة فعبر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذي أنت به ثم قيل له أما تراهم فنادى في أصحابه فركبوا في آثارهم وإن شبيباً آتى دار الرزق فتزلفا فليل له إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسبخة فلما بلغهم مكان شبيب صاح بعضهم ببعض وجالوا وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل (قال هشام) وأخبرني عمر بن بشير قال لما نزل شبيب الدير أمر بغنم تها له فصعد الدهقان ثم نزل وقد تغير لونه فقال مالك قال قد والله جاءك جمع كثير قال أبلغ الشواء بعد قال لا قال دعه قال ثم أشرف أشراقة أخرى فقال قد والله احاطوا

بالجوسق قال هات شواك فجعل يأكل غير مكترث لهم فلما فرغ تروضا وصلى بأصحابه
الاولى ثم تقلد سيفين بعد ما لبس درعه وأخذ عمود حديد ثم قال اسرجوا الى
البغلة فقال أخوه مصاد أفى هذا اليوم تسرج بغلة قال نعم اسرجوها فركبها ثم قال
يا فلان أنت على الميمنة وأنت يا فلان على الميسرة وقال لمصاد أنت فى القلب وأمر
الدهقان ففتح الباب فى وجوههم قال فخرج اليهم وهو يحكم فجعل سعيد وأصحابه
يرجعون القهقري حتى صار بينهم وبين الدير نحو من ميل قال وجعل سعيد
يقول يا معشر همدان أنا ابن ذى مروان إلى إلى ووجه سرا مع ابنة وقد أحس
أنها تكون عليه فنظر شبيب الى مصاد فقال أئكلنيك الله ان لم أئكله ولده قال ثم
علاه بالعمود فسقط ميتا وانهم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ الا قتيلا واحدا قال
وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتى أتوا الجزل فناداهم الجزل أيها الناس إلى
إلى وناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس إن يكن أميركم هذا القادم قد هلك فهذا
أميركم الميمون النقيبة أقبلوا إليه وقاتلوا معه فمنهم من أقبل إليه ومنهم من ركب
رأسه منهزما وقاتل الجزل قتالا شديدا حتى صرع وقاتل عنه خالد بن نهيك
وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرث وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا
الكوفة فأتى بالجزل حتى أدخل المدائن وكتب إلى الحجاج بن يوسف قال
أبو مخنف حدثني بذلك ثابت مولى زهير أما بعد فإني أخبر الأمير أصلحه الله إني
خرجت فيمن قبلي من الجند الذى وجهنى فيه إلى عدوه وقد كنت حفظت عهد
الأمير إلى فيهم ورأيه فكنت أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة وأحبس الناس
عنهم إذا خشيت الورطة فلم أزل كذلك ولقد أرادنى العدو بكل إرادة فلم يصب
منى غرة حتى قدم على سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ولقد أمرته بالتؤدة ونهيته
عن العجلة وأمرته أن لا يقاتلهم إلا فى جماعة الناس عامة فعصانى وتعجل إليهم
فى الخيل فأشهدت عليه أهل المصرين إني برىء من رأيه الذى رأى وإني لأهوى
ما صنع فضى فأصيب تجاوز الله عنه ودفع الناس إلى فنزلت ودعوتهم إلى ورفعتم
لهم رايتى وقاتلت حتى صرعت فحملنى أصحابى من بين القتلى فأفقت إلا وأنا على

أيديهم على رأس ميل من المعركة فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها ويعافى من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده وعن مكايدي عدوه وعن موقفي يوم البأس فإنه يستبين له عند ذلك انى قد صدقته ونصحت له والسلام فكتب إليه الحجاج أما بعد فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرت فيه وقد صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لا ميرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوك وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته إلى عدوه فقد رضيت عجلته وتودتك فأما عجلته فإنها أفضت به إلى الجنة وأما تودتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت وتركت الفرصة إذا لم تمكن حزم وقد أصبت وأحسن البلاء وأجرت وأنت عندى من أهل السمع والطاعة والنصيحة وقد أشخصت إليك حيان بن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك وبعثت إليك بالني درهم فأنفقها في حاجتك وما ينوبك والسلام فقدم عليه حيان بن أبجر الكنانى من بنى فراس وهم يعالجون الكى وغيره فكان يداويه وبعث إليه عبد الله ابن أبى عصفير بألف درهم وكان يعوده ويتعاهده باللطف والهدية قال وأقبل شبيب نحو المدائن فعلم أنه لاسبيل له إلى أهلها مع المدينة فأقبل حتى انتهى إلى الكرخ فمهر دجلة إليه وبعث إلى أهل سوق بغداد وهو بالكركخ أن اثبتوا فى سوقكم فلا بأس عليكم وكان ذلك يوم سوقهم وقد كان بلغه أنهم يخافونه قال ويخرج سويد حتى جعل ييوت مزينة وبنى سليم فى ظهره وظهور أصحابه وحمل عليهم شبيب حملة منكرة وذلك عند المساء فلم يقدر منهم على شيء فأخذ على ييوت الكوفة نحو الخيرة وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع ييوت الكوفة كلها إلى الخيرة وأتبعه سويد حتى انتهى إلى الخيرة فيجده قد قطع قنطرة الخيرة ذاهبا فتركه وأقام حتى أصبح وبعث إليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ومضى شبيب حتى أغار فى أسفل القرى على من وجد من قومه وارتفع فى البر من وراء خفان فى أرض يقال لها الغلظة فيصيب رجالا من بنى الورثة فحمل عليهم فاضطروهم إلى جدد من الأرض فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم فلما نفدت

وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحران ابن مالك كلهم من بني الورثة (قال أبو مخنف) حدثني بذلك عطاء بن عرجة بن زياد بن عبد الله الورثي ومضى شيب حتى يأتي بني أبيه على اللصف ماء لرهطه وعلى ذلك الماء الفزر بن الأسود وهو أحد بني الصلت وهو الذي كان ينهي شيباً عن رأيه وأن يفسد بني عمه وقومه فكان شيب يقول والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفزر فلما غشيم شيب في الخيل سأل عن الفزر فاتقاه الفزر فخرج على فرس لا تجاري من وراء البيوت فذهب عليها في الأرض وهرب منه الرجال ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القطقطانة ثم على قصر مقاتل ثم أخذ على شاطئ الفرات حتى أخذ على الحصاة ثم على الأنباة ثم مضى حتى دخل دقوقاء ثم ارتفع إلى أداني آذريجان فتركه الحجاج وخرج إلى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فهاشع الناس بشيء حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهرود وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجراً من تجار الأنبار من أهل بلادى أتاني فذكر أن شيباً يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل أحببت إعلامك ذلك لترى رأيك ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاءني جايان من جباني فحدثاني أنه قد نزل خانيجار فأخذ عروة كتابه فأدرجه وشرح به إلى الحجاج بالبصرة فلما قرأه الحجاج أقبل جوادا إلى الكوفة وأقبل شيب يسير حتى انتهى إلى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها فقال ما اسم هذه القرية فقالوا حربى فقال حرب يصلى بها عدوكم وحرب تدخلونه بيوتهم إنما تطير من يقوف ويعيف ثم ضرب رأيته وقال لأصحابه سيروا فأقبل حتى نزل عقرقوفا فقال له سويد بن سليم يا أمير المؤمنين لو تجولت بنا من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيرت أيضاً والله لا أتجول عنها حتى أسير إلى عدوى منها إنما شؤمها إن شاء الله على عدوكم تحملون عليهم فيها فاعقر لهم ثم قال لأصحابه يا هؤلاء إن الحجاج ليس بالكوفة وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء فسيروا بنا فخرج يبادر الحجاج إلى الكوفة وكتب عروة إلى الحجاج

أن شييا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة فاعجل العجل فطوى الحجاج المنازل واستبقا إلى الكوفة ونزها الحجاج صلاة الظهر ونزل شيب السبخة صلاة المغرب فصلى المغرب والعشاء ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئا يسيرا ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة فجاء شيب حتى انتهى إلى السوق ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده قال أبو المنذر رأيت ضربة شيب بباب القصر قد أرتأرا عظيما ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة ثم قال

وَكَاَنَّ حَافِرَهَا بِكُلِّ خَيْلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ بِهِ شَحِيحٌ مُقَدِّمٌ
عَبْدٌ دَعِيَ مِنْ ثَمُودٍ أَصْلُهُ لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَيُّهُمْ يَقْدُمُ

ثم اقتحموا المسجد الأعظم وكان كثيرا لا يفارقه قوم يصلون فيه فقتل عقيل ابن مصعب الوادعي وعدى بن عمرو الثقفي وأباليث بن أبي سليم مولى عنبسة ابن أبي سفيان وقتلوا أزهري بن عبد الله العامري ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فوققوا على بابه وقالوا إن الأمير يدعو حوشبا فأخرج ميمون غلامه برذون حوشب ليركبه حوشب فكأنه أنكرهم فظنوا أنه قد اتهمهم فأراد أن يدخل فقالوا له كما أنت حتى يخرج صاحبك فسمع حوشب الكلام فأنكر القوم فخرج إليهم فلما رأى جماعتهم أنكرهم وذهب لينصرف فعبجوا نحوه ودخل وأغلق الباب وقتلوا غلامه ميمونة وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالجحاف بن نبيط الشيباني من رهط حوشب فقال له سويد انزل إلينا فقال له ما تصنع بنزولي قال له سويد أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت منك بالبادية فقال له الجحاف بئس ساعة القضاء هذه الساعة وبئس قضاء الدين هذا المكان أما ذكرت أماتك إلا والليل مظلم وأنت على ظهر فرسك قبح الله يا سويد ديننا لا يصلح ولا يتم إلا بقتل ذري القرابة وسفك دماء هذه الأمة قال ثم مضوا فمروا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث وكان يصلي في مسجد قومه فيطيل الصلاة فصادفوه منصرفا إلى منزله فشدوا عليه ليقتلوه فقال اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظالمهم وجهالمهم اللهم إني عنهم ضعيف فاتصم لي منهم فضربوه حتى قتلوه ثم مضوا حتى خرجوا من

الكوفة متوجهين نحو المردمة (قال هشام) قال أبو بكر بن عياش واستقبله
النضر بن قعقاع بن شور الذهلي وأمه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيباني
فأبطره حين نظر إليه قال يعني بقوله أبطره أفزعه فقال السلام عليك أيها الأمير
ورحمة الله قال له سويد مبادرا أمير المؤمنين ويحك فقال أمير المؤمنين حتى خرجوا
من الكوفة متوجهين نحو المردمة وأمر الحجاج المنادي فنادي يا خيل الله اركبي
وابشري وهو فوق باب القصر وثم مصباح مع غلام له قائم فكان أول من جاء
إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى الغصة ومعه مواله وناس
من أهله فقال أنا عثمان بن قطن أعلموا الأمير مكاني فليأمر بأمره فقال له ذلك
الغلام قف مكانك حتى يأتيك أمر الأمير وجاء الناس من كل جانب ويات عثمان
فيمن اجتمع إليه من الناس حتى أصبح ثم إن الحجاج بعث بسر بن غالب الأسدي
من بني والبة في ألفي رجل وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل وأبا الضريس
مولى بني تميم في ألف من الموالى وأعين صاحب حمام أعين مولى بسر بن مروان
في ألف رجل وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على
سجستان وكتب له عليها عهده وكتب إلى الحجاج أما بعد فإذا قدم عليك محمد بن
موسى فجهز معه ألفي رجل إلى سجستان وعجل سراحه وأمر عبد الملك محمد بن موسى
بمكاتبة الحجاج فلما قدم محمد بن موسى جعل يتحسر في الجهاز فقال له نصحاؤه
تعجل أيها الأمير إلى عملك فانك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج وما يبدوله
فأقام على حاله وحدث من أمر شبيب ما حدث فقال الحجاج لمحمد بن موسى بن
طلحة بن عبيد الله تاتي شيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ثم تمضي إلى عملك وبعث
الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كرز القرشي
وزياد بن عمرو العتكي وخرج شبيب حيث خرج من الكوفة فأتى المردمة وبها
رجل من حضر موت على العشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمي فدخل الحمام
ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه واستقبل شبيب النضر بن القعقاع
ابن شور وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة فلما طوى الحجاج المنازل خلفه

وراه فلما رآه شيب ومعه أصحابه عرفه فقال له شيب يانضر بن القعقاع لاحكم
 إله الله وإنما أراد شيب بمقاتله تلقيه فلم يفهم النضر فقال إنا لله وإنا إليه راجعون
 فقال أصحاب شيب يا أمير المؤمنين كأنك إنما تريد بمقاتلك أن تلقينه فشدوا على
 نضر فقتلوه قال واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات فترك شيب الوجه
 الذي فيه جماعة أوائل القواد وأخذ نحو القادسية ووجه الحجاج زحر بن قيس
 في جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس وقال له اتبع شيبا حتى تواقعه حيثما
 أدركته إلا أن يكون منطلقا ذاهبا فتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك فلا تبرح
 إن هو أقام حتى تواقعه فخرج زحر حتى انتهى إلى السيلحين وبلغ شيبا مسيره
 إليه فأقبل نحوه فالتقيا فجعل زحر على ميمنته عبد الله بن كنانة النهدي وكان شجاعا
 وعلى ليسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندي ثم الشيباني وجمع شيب خيله كلها
 كبكبة واحدة ثم اعترض بها الصف فوجف وجيفا واضطرب حتى انتهى إلى
 زحر بن قيس فنزل زحر بن قيس فقاتل زحر حتى صرع وانهمز أصحابه وظن
 القوم أنهم قد قتلوه فلما كان في السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية
 فبات بها وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه ورأسه بضعة عشر جراحة من بين ضربة
 وطعنة فكث أياما ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القطن فأجلسه الحجاج
 معه على السرير وقال لمن حوله من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يتمشى بين
 الناس وهو شهيد فلي نظر إلى هذا وقال أصحاب شيب لشيب وهم يظنون أنهم قد قتلوا
 زحرا قد هز مناهم جندا وقتلناهم أمير من أمرائهم عظيمًا وانصرف بنا الآن وافر بن
 فقال لهم ان قتلنا هذا الرجل وهز يمتنا هذا الجند قد أرعبت هذه الأمراء والجنود
 التي بُعثت في طلبكم فاتصدوا بنا تصددهم فوالله أنن نحن قتلناهم مادون الحجاج
 من شيء وأخذ الكوفة إن شاء الله فقالوا نحن لرأيك سمع تبع ونحن طوع يدك قال
 فأنقض بهم جوادا حتى يأتي نجران وهي نجران الكوفة ناحية عين التمر ثم سأل
 عن جماعة القوم فنجبر باجتماعهم برؤسهم في أسفل الفرات في يهبأذ الأسفل على
 رأس أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فبلغ الحجاج مسيره إليهم فبعث إليهم

عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبي عقيل وكان على الحجاج كريما فقال له الحق
بجماعتهم يعني جماعة الأمراء فاعلمهم بمسير المارقة اليهم وقل لهم إن جمعكم قتال
فأمير الناس زائدة بن قدامة فأتاهم بن الغرق فاعلمهم ذلك وانصرف عنهم (قال
أبو مخنف) فحدثني عبد الرحمن بن جندب قال انتهى اليناشيب وفينا سبعة أمراء
على جماعتهم زائدة بن قدامة وقد عي كل أمير أصحابه على حدة فني ميمنتنا زياد بن
عمرو العتكي وفي ميسرتنا بشر بن غالب الأسدي وكل أمير واقف في أصحابه فأقبل
شبيب حتى وقف على تل فأشرف على الناس وهو على فرس له كُميت أغر فنظر
إلى تعبيتهم ثم رجع إلى أصحابه فأقبل في ثلاث كتائب يوجفون حتى إذا دنا من
الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم فتقف في ميمنتنا ومضت كتيبة فيها مصاد
أخو شبيب فوقفت على ميسرتنا وجاء شبيب في كتيبة حتى وقف مقابل القلب قال
وخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس فيما بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يحرض الناس
ويقول يا عباد الله أنتم الكثيرون الطيبون وقد نزل بكم القليلون الخبيثون فاصبروا
جعلت لكم الفداء لكرتين أو ثلاث تكرون عليهم ثم هو النصر ليس بينه حاجز
ولادونه شيء ألا ترون اليهم والله ما يكونون مائتي رجل إنما هم أكلة رأس إنما هم
السراق المراق إنما جاؤكم ليهر يقوا دماءكم ويأخذوا فياكم فلا يكونوا على أخذه
أقوى منكم على منعه وهم قليل وأنتم كثير وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة غصوا
الابصار واستقبلوهم بالأسنة ولا تحملوا عليهم حتى أمركم ثم انصرف إلى موقفه
قال ويحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشف صفهم وثبت زياد في
نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم كر عليهم ثانية ثم اطعنوا
ساعة (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال أنا والله فيهم يومئذ قال أطعنا ساعة
وصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا وجعل ينادي
يا حيلي ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديدا فلقد رأيته سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشجع
العرب وأشده قتالا وما يعرض له قال ثم إننا ارتفعنا عنهم آخر أفاذا هم يتقوضون فقال
له أصحابه ألا ترم يتقوضون أحمل عليهم فقال لهم شبيب خلوهم حتى يخفوا فتركوهم قليلا

ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت إلى زياد بن عمرو وإنه ليضرب بالسيف
وما من سيف يُضرب به إلا نباعنه وهو مجفف ولقد رأيتُه اعتوره أكثر من
عشرين سيفاً فهاضره من ذلك شيء ثم إنه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك
عند المساء قال ثم شددنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه وما قاتلنا كثير
قتال وقد ضارب ساعة وقد بلغني أنه كان جرح ثم لحق بزياد بن عمرو فمضيا منهن
حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلنا قتالاً شديداً وصبر لنا
(ذكر هشام) عن أبي مخنف قال حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط
أن أخا شبيب مصادا حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة فأبلى وكرم والله
وصبر فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين فضاربوا بأسياً فهم حتى
قتلوا من آخرهم وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجد الأزدي وأمه زرارة امرأة
ولدت في الأزدي فيقال لهم بنو زرارة فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على
أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى إلى موقف
أعين ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزمواهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة
فلما انتهوا إليه نزل ونادى يا أهل الإسلام الأرض الأرض إلى لا يكونوا
على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم إن شبيباً
شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربيعة حوله من أهل الحفاظ
(قال أبو مخنف) وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعت زائدة بن قدامة ليلئذ
رافعاً صوته يقول يا أيها الناس اصبروا وصابروا يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل (قال
أبو مخنف) وحدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقر الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن
قدامة وقد حاجه في ذلك آخر يقال له الفضل بن عامر قال ولما قتل شبيب زائدة
ابن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً وقال شبيب لأصحابه ارفعوا
السيف عن الناس وادعوهم إلى البيعة فدعوهم إلى البيعة عند الفجر قال عبد الرحمن
ابن جندب فكنت فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة

دونه فكل من جاء لبايعه نزع سيفه عن عاتقه وأخذ سلاحه منه ثم يُدْنِي من شبيب
 فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ثم يخلى سبيله قال وإنا لكذلك إذا انفجر الفجر ومحمد بن
 موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر معه عصاة من أصحابه قد صبروا فلما
 انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن فلما سمع شبيب الأذان قال ما هذا فقال هذا محمد بن
 موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح فقال قد ظننت أن حمقه وخيلاءه سيحمله على هذا
 نحو أهولاء عنا وانزلوا بنا فلنصل قال فنزل فأذن هو ثم استقدم فصلى بأصحابه فقرا
 ويل لكل همزة لمزة - و - رأيت الذي يكذب بالدين ثم سلم ثم ركبوا الحمل عليهم
 فأنكشفت طائفة من أصحابه وثبتت طائفة قال فروة فما أنسى قوله وقد غشيناه
 وهو يقاتل بسيفه وهو يقول ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم
 لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
 قال وضارب حتى قتل قال فسمعت أصحابي يقولون إن شيبا هو الذي قتله
 ثم إنا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء وهرب الذين كانوا بايعوا شيبا فلم
 يبق منهم أحد وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمراً غير
 الذي ذكرته عنه والذي ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولي محمد بن
 موسى بن طلحة سجستان فكتب إليه الحجاج إنك عامل كل بلد مررت به
 وهذا شبيب في طريقك فعدل إليه محمد فأرسل إليه شبيب إنك امرؤ مخدوع قد
 اتقى بك الحجاج وأنت جار لك حق فانطلق لما أمرت به ولك الله لا آذيتك
 فأبى إلا محاربتة فواقفه شبيب وأعاد إليه الرسول فأبى إلا قتاله فدعا إلى البراز فبرز
 إليه البطين ثم قعب ثم سويد فأبى إلا شيبا فقالوا لشبيب قد رغب عنا إليك قال
 فما ظنكم هذه الأشراف فبرز إليه شبيب وقال إني أنشدك الله في دمك فان لك
 جواراً فأبى إلا قتاله فحمل عليه شبيب فضربه بعصا حديد فيها اثنا عشر رطلا
 بالشأى فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من
 عسكرة فبعث به إلى أهله واعتذر إلى أصحابه وقال هو جارى بالكوفة ولي أن
 أهب ما غنمت لأهل الردة * قال عمر بن شبة قال أبو عبيدة كان محمد بن موسى

مع عمر بن عبيد الله بن معمر بفارس وشهد معه قتال أبي فديك وكان على ميمنته
وشهر بالنجدة وشدة البأس وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان
وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فمر بالكوفة وبها الحجاج
ابن يوسف فقبل للحجاج إن صار هذا إلى سجستان مع نجدة وصهره لعبد الملك
فلجأ إليه أحد من تطلب منك منه قال فما الحيلة قيل تأتيه وتسلم عليه وتذكر نجدة
وبأسه وأن شيباً في طريقه وأنه قد أعياك وأنت ترجو أن يريح الله منه على يده
فيكون له ذكر ذلك وشهرته ففعل فعذل إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله
فواقعه شبيب فقال له شبيب إني قد علمت خداع الحجاج وإنما اغترك ووقى بك
نفسه وكأني بأصحابك لو قد التقت حلقاً البطان قد أسلوك فصرعت مصرع
أصحابك فأطمني وانطلق لشأنك فأتى أنفك بك عن الموت فأبى محمد بن موسى
فبارزه شبيب فقتله (رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف) قال عبد الرحمن لقد
كان فيمن بايعه تلك الليلة أبو بردة بن أبي موسى الأشعري فلما بايعه قال له شبيب
أأنت أبا بردة قال بلى قال شبيب لأصحابه يا أخلاقي أبو هذا أحد الحكمين فقالوا
ألا تقتل هذا فقال إن هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه قالوا أجل قال وأصبح شبيب
فأتى مقبلاً نحو القصر الذي فيه أبو الضريس وأعين فرموه بالنبل وتحصنا منه
فأقام ذلك اليوم عليهم ثم شخص عنهم فقال له أصحابه مادون الكوفة أحد يمنعنا
فنظر فإذا أصحابه قد خرجوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما قد فعلتم فخرج بهم على
نفر ثم على الصراة ثم على بغداد ثم خرج إلى خانيجار فأقام بها قاتن ولما بلغ
الحجاج أن شيباً قد أخذ نحو نفر ظن أنه يريد المدائن وهي باب الكوفة ومن
أخذ المدائن كان مافي يده من أرض الكوفة أكثر فهاهنا ذلك الحجاج وبعث إلى
عثمان بن قطن ودعاه وسرجه إلى المدائن وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخي
كلها وخراج الأستان فخرج مسرعاً حتى نزل المدائن وعزل الحجاج عبد الله بن
أبي عصفير وكان بها الجزل مقيماً أشهراً يداوى جراحته وكان ابن أبي عصفير
يعوده ويكرمه فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يعده ولم يكن يتعاهده ولا
يلطفه بشيء فقال الجزل اللهم زد ابن عصفير جوداً وكرماً وفضلاً وزد عثمان

ابن قطن ضيقاً وبخلاً قال ثم إن الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال له انتخب الناس واخرج في طلب هذا العدو فأمره بنخبة ستة آلاف فانتخب فرسان الناس ووجوههم وأخرج من قومه ستمائة من كندة وحضر موت واستحثه الحجاج بالعسكر فعسكر بدير عبد الرحمن فلما أراد الحجاج أشخاصهم كتب اليهم أما بعد فقد اعتدتم عادة الأذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف وذلك دأب الكافرين وإني قد صفحت عنكم مرة بعد مرة ومرة بعد مرة وإني أقسم لكم بالله قسماً صادقاً أني عدتم لذلك لا وقعتن بكم إيقاعاً أكون أشد عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب وتستترون منه بأثناء الأنهار والأودية الجبال تخاف من له معقول على نفسه ولم يجعل عليها سبيلاً وقد أعذر من أنذر وقد أسمعتم كونا نأيت حياً ولكن لاهياة لمن تنادي

والسلام عليكم قال ثم سرح ابن الأصم مؤذنه فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند طلوع الشمس فقال له ارتحل الساعة وناد في الناس أن برئت الذمة عن رجل من هذا البعث وجدناه متخلفاً فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مر بالمداين فنزل بها يوماً وليلة وتشرى أصحابه حوائجهم ثم نادى في الناس بالرحيل فارتحلوا ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته وسأله ساعة وحدثه ثم إن الجزل قال له يا ابن عم إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس الخيل والله لكانما خلقتوا من ضلوعها ثم بنوا على ظهورها ثم هم أسد الأجم الفارس منهم أشد من مائة إن لم تبدأ به بدأ وإن هُجِه أقدام فإني قد قاتلتهم وبلوتهم فإذا أصحرت لهم اتصفوا مني وكان لهم الفضل على وإذا خندقت على وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحب وكان لي عليهم الظفر فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في بقية أو في خندق ثم إنه ودعه فقال له الجزل هذه فرسي الفسيفساء خذها فإنها لا تجاري فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقواء وشهرزور فخرج عبد الرحمن في طلبه حتى إذا كان على النخوم أقام وقال إنما هو في أرض الموصل فليقاتلوا

عن بلادهم أو ليدعوه فكتب اليه الحجاج بن يوسف أما بعد فاطلب شييا
واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطانُ
أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج
في طلب شيب فكان شيب يدعه حتى اذا دنا منه بيته فيجده قد خندق على نفسه وحذر
فيمضى ويدعه فيتبعه عبد الرحمن فإذا بلغه أنه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل
فإذا انتهى إليه وجده قد صف الخيل والرجال وأدنى المرامية فلا يصيب له غرة
ولاله علة فيمضى ويدعه قال ولما رأى شيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غرة
ولا يصل إليه جعل يخرج إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله فينزل على مسيرة عشرين
فرسخاً ثم يقيم في أرض غليظة جدبة فيجىء عبد الرحمن فإذا دنا من شيب ارتحل
شيب فسار خمسة عشر أو عشرين فرسخاً فنزل منزلاً غليظاً خشناً ثم يقيم حتى
يدنو عبد الرحمن ((قال أبو مخنف)) فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شييا كان قد
عذب ذلك العسكر وشق عليهم وأحرق دوابهم ولقوا منه كل بلاء فلم يزل عبد الرحمن
يتبعه حتى مر به على خافقين ثم على جلولاء ثم على تامراً ثم أقبل حتى نزل البت
قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر
يسمى حولا يا قال وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل في نهر حولا يا
وفي زاذان الأعلى من أرض جوخي ونزل عواقيل من النهر ونزلها عبد الرحمن
حيث نزلها وهي تعجبه يرى أنها مثل الخندق والحصن قال وأرسل شيب إلى
عبد الرحمن ان هذه الأيام أيام عیدنا ولكم فإن رأيتم أن توادعونا حتى تمضي
هذه الأيام فافعلوا فقال له عبد الرحمن نعم ولم يكن شيء أحب إلى عبد الرحمن من
المطاول والمواذعة قال وكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج أما بعد فإني أخبر
الأمير أصلحه الله أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوخي كلها خندقاً واحداً وخلي
شييا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد
فهمت ما ذكرت لي عن عبد الرحمن وقد لعمرى فعل ما ذكرت فسر إلى الناس
فأنت أميرهم وعاجل المارقة حتى تلقاهم فإن الله إن شاء الله ناصرهم والسلام ٥

قال وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة وخرج عثمان حتى قدم على عبدالرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت عشية الثلاثاء وذلك يوم التروية فنادى الناس وهو على بغلة أيها الناس اخرجوا إلى عدوكم فوثب إليه الناس فقالوا نشدك الله هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبئة فجعل يقول لا ناجزهم ولتكونن الفرصة لي أو لهم فأتاهم عبدالرحمن فأخذ بعنان دابته وناشده الله لما نزل وقال له عقيل بن شداد السلولى إن الذى تريد من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غداً وهو غدا خير لك وللناس إن هذه ساعة ريح وغبرة وقد أمسيت فانزل ثم أبكر بنا إليهم غدوة فنزل فسفت عليه الريح وشق عليه الغبار ودعا صاحب الخراج العلوج فبنوا له قبة فبات فيها ثم أصبح يوم الأربعاء فجاء أهل البت إلى شبيب وكان قد نزل ببيعتهم فقالوا له أصلحك الله أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية ويكلمك من تلى عليه ويشكون إليك ما نزل بهم فتنظر لهم وتكف عنهم وإن هؤلاء القوم جابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم أنك مقيم في بيعتنا ليقتلنا إن قضى لك أن ترتحل عنا فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا قال فإني أفعل ذلك بكم ثم خرج فنزل جانب القرية قال فبات عثمان ليلته كلها يحرضهم فلما أصبح وذلك يوم الأربعاء خرج بالناس فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة فصاح الناس إليه فقالوا نشدك الله أن تخرج بنا في هذا اليوم فإن الريح علينا فأقام بهم ذلك اليوم وأراد شبيب قتالهم وخرج أصحابه فلما رآهم لم يخرجوا إليه أقام فلما كان ليلة الخميس خرج عثمان فعبى الناس على أرباعهم فجعل كل ربيع في جانب العسكر وقال لهم اخرجوا على هذه التعبئة وسألهم من كان على ميمتكم قالوا خالد بن نهيك بن قيس الكندى وكان على ميسرتنا عقيل بن شداد السلولى فدعاهما فقال لهما قفا مراقبكما التى كنتم بها أفقدوا ليتسكما المجنبتين فاثبتا ولا تفرأ فوالله لا أزول حتى يزول نخل زاذان عن أصوله فقالا ونحن والله الذى لا إله إلا هو لا نفر حتى نظفر أو نُقتل فقال لهما جزا كما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة

ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهمدان نخونهر حولايا في الميسرة وجعل ربع كندة وربيعة ومذحج وأسد في الميمنة ونزل يمشى في الرجال وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا فقطع إليهم النهر فكان هو في ميمنة أصحابه وجعل على ميسرته سُويد بن سليم وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه وزحفوا وسما بعضهم لبعض **(قال أبو مخنف)** فحدثني النضر بن صالح العبسي أن عثمان كان يقول فيكثر لن ينفعكم الفرار إن فررتهم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا أين المحافظون على دينهم المحامون عن فيثهم فقال عقيل بن شداد بن حُبشى السلولى لعل أن أكون أحدهم قتل أولئك يوم روذبار ثم قال شبيب لأصحابه إني حامل على ميسرتهم بما يلي النهر فإذا هم متها فليحمل صاحب ميسرتي على ميمنتهم ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه أمرى وحمل في ميمنة أصحابه بما يلي النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قُتل وقُتل يومئذ مالك بن عبد الله الحمداني ثم المرهبى عم عياش بن عبد الله بن عياش المتتوف وجعل يومئذ عقيل بن شداد يقول وهو يجالدهم

لأَضِرَّ بِنَ الْحُسَامِ الْبَاتِرِ ضَرْبَ غُلَامٍ مِنْ سَلُولِ صَابِرِ

ودخل شبيب عسكرهم وحمل سُويد بن سليم في ميسرة شبيب على ميمنة عثمان ابن قطن فهزمها وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندى فنزل خالد فقاتل قتالا شديدا وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على ربع كندة وربيعة يومئذ وهو صاحب الميمنة فلم ينثن شبيب حتى علاه بالسيف فقتله ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه أخو شبيب في نحو من ستين رجلا فلما دنا منهم عثمان بن قطن شد عليهم في الأشراف وأهل الصبر فضاربوهم حتى فرقوا بينهم وحمل شبيب بالخييل من ورائهم فاشعروا إلا والرماح في أكتافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سُويد بن سليم أيضا في خيله ورجع مصاد وأصحابه وقد كان شبيب رجلهم فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن فأحسن القتال ثم إنهم شدوا عليهم فأحاطوا به وحمل عليه مصاد أخو شبيب

فضربه ضربة بالسيف استدار لها ثم قال وكان أمرُ الله مفعولا ثم إن
الناس قتلوه وقتل يومئذ الأبرد بن ربيعة الكندي وكان على تل فالتقى
سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه وقاتل حتى قتل ووقع عبد الرحمن فرآه ابن
أبي سبرة الجعفي وهو على بغلة فعرفه فنزل إليه فناوله الرمح وقال له اركب فقال
عبد الرحمن بن محمد أينما الرديف قال ابن أبي سبرة سبحان الله أنت الأملير تكون
للمقدم فركب وقال لابن أبي سبرة ناد في الناس الحقوا بدير أبي مریم فنادى ثم
انطلقا ذاهبين ورأى واصل بن الحارث السكوني فرس عبد الرحمن الذي حمله
عليه الجزلُ يجول في العسكر فأخذها بهض أصحاب شيب فظن أنه قد هلك فطلبه
في القتلى فلم يجده وسأل عنه ف قيل له قد رأينا رجلا قد نزل عن دابته فحمله عليها
فما أخلقه أن يكون إياه وقد أخذ ههنا آنفاً فاتبعه واصل بن الحارث على بردونه
ومع واصل غلامه على بغل فلما دنوا منهما قال محمد بن أبي سبرة لعبد الرحمن
قد والله لحق بنا فارسان فقال عبد الرحمن فهل غير اثنين فقال لا فقال عبد الرحمن
فلا يعجز اثنان عن اثنين قال وجعل يحدث ابن أبي سبرة كأنه لا يكثر
بهما حتى لحقهما الرجلان فقال له ابن أبي سبرة رحمك الله قد لحقنا الرجلان فقال
له فانزل بنا فنزلا فاتضيا سيفيهما ثم مضيا اليهما فلما رآهما واصل عرفهما فقال
لها إنكما قد تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن ثم حسر العمامة عن وجهه
فعرّاه فرحبا به وقال لابن الأشعث إني لما رأيت فرسك يجول في العسكر
ظننتك راجلا فأتيتك ببرذوني هذا لتركبه فترك لابن أبي سبرة بغلته وركب
البردون وانطلق عبد الرحمن بن الأشعث حتى نزل دير اليعار وأمر شيب
أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ودعاهم إلى البيعة فأتاه من بقى من الرجالة
فبايعوه وقال له أبو الصقر المحلّمي قتل من الكوفيين سبعة في جوف التهر كان
آخرهم رجلا تعلق بثوبي وصاح ورهبني حتى رهبت ثم إني أقدمت عليه فقتلته
وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من سائر الناس أوسمائة وقتل عظم
العرفاء يومئذ (قال أبو مخنف) حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الخثعمي أنه

قتل منهم يومئذ جماعة وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير اليعار فأتاه فارسان فصعدا اليه فوق البيت وقام آخرُ قريبا منهما فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلاً يناجيه ثم نزل هو وأصحابه وقد كان الناس يتحدثون أن ذلك كان شيباً وأنه قد كان كاتبه ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى ديراً بمریم فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة صبر الشعير والقت بعضه على بعض كأنه القصور ونحر لهم من الجزر ما شاؤوا فأكلوا يومئذ وعلفوا دوابهم واجتمع الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له إن سمع شبيب بمكانك أذاك وكنت له غنيمة قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضاً وجاء فاخبي من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك (وفي هذه السنة) أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدرهم (ذكر الواقدي) أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك قال وحدثني ابن أبي الزناد عن أبيه أن عبد الملك ضرب الدرهم والدنانير عامئذ وهو أول من أحدث ضربها قال وحدثني خالد بن أبي ربيعة عن أبي هلال عن أبيه قال كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطاً لإلابة وكان العشرة وزن سبعة قال وحدثني عبد الرحمن ابن جرير الليثي عن هلال بن أسامة قال سألت سعيد بن المسيب في كم تجب الزكاة من الدنانير قال في كل عشرين مثقالاً بالشأى نصف مثقال قلت ما بال الشأى من المصرى قال هو الذي تضرب عليه الدنانير وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير كانت اثنين وعشرين قيراطاً لإلابة قال سعيد قد عرفته قد أرسلت بدنانير إلى دمشق فضربت على ذلك (وفي هذه السنة) وفد يحيى ابن الحكم على عبد الملك بن مروان وولى أبان بن عثمان المدينة في رجب (وفيها) استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خدّاش من بنى عامر بن لؤى (وفيها) ولد مروان بن محمد بن مروان (وأقام الحج) للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن

ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان على الكوفة
والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء
الكوفة شرح وعلى قضاء البصرة زرة بن أوفى

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

(ففي هذه السنة) قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية

ذكر الخبر عن سبب مقتلهما

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب
وفروة بن لقيط أن شيبا لما هزم الجيش الذي كان الحجاج وجهه مع عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث إليه وقتل عثمان بن قطن وذلك في صيف وحر شديد
اشتد الحر عليه وعلى أصحابه فأتى ماه بهراذان فتصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه
ناس كثير ممن يطلب الدنيا فلحقوا به وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو
تباعات كان منهم رجل من الحمي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف وكان
دهقانان من أهل نهر درقيط قد أساء إليه وضيقا عليه فشد عليهما فقتلتهما
ثم لحق بشبيب فكان معه بماء وشهد معه موطنه حتى قُتل فلما آمن الحجاج كل
من كان خرج إلى شبيب من أصحاب المال والتباعات وذلك بعد يوم السبت
خرج إليه الحر فيمن خرج فجاء أهل الدهقانيين يستعدون عليه الحجاج فأتى به
فدخل وقد أوصى ويثس من نفسه فقال له الحجاج يا عدو الله قتلت رجلين من
أهل الخراج فقال له قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا فقال وما هو قال
خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ثم آمنت كل من خرج إليك فهذا أمان
وكتابك لي فقال له الحجاج أولى لك قد لعمرى فعلت وخلي سبيله قال ولما انفسخ
الحر عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن وعليها
مطرف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب
ماذروا سب عظيم بابل مهروز إلى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأмир أصلحه الله أن

شيئاً قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة ولا أدري أين يريد هـ فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله لتقاتلنَّ عن بلادكم وعن فيسكن أولاً بعثنَّ إلى قومهم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغیظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيأكلهم فقام إليه الناس من كل جانب فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب الأمير فليندبنا الأمير إليهم فإننا حيث سره وقام إليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستقم قائماً حتى يؤخذ بيده فقال له أصلح الله الأمير إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس إليهم كافة فلينفر إليهم كافة وابعث عليهم رجلاً ثباتاً شجاعاً مجرباً للحرب ممن يرى الفرار هضماً وعاراً والصبر مجداً وكرماً فقال الحجاج فانت ذاك فاخرج فقال أصلح الله الأمير إنما يصلح للناس في هذا رجل يحمل الرمح والدرع ويهز السيف ويثبت على متن الفرس وأنا لا أطيق من هذا شيئاً وقد ضعف بصري وضعفت ولكن أخرجني في الناس مع الأمير فاني إنما أثبت على الراحلة فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي فقال له الحجاج جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيراً وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً فقد نصحت وصدقت أنا أنخرج الناس كافة الأفسير وأيها الناس فانصرف الناس فجعلوا يسرون وليس يدرون من أميرهم وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شيئاً قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة في كلها يقتلُ أمراءهم ويفلّ جنودهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل والسلام فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ألفين فسرّحهم حين أتاه الكتاب إلى الحجاج وجعل أهل الكوفة يتجهزون إلى شبيب ولا يدرون من أميرهم وهم يقولون يبعث فلاناً أو فلاناً وقد بعث الحجاج إلى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان بشر بن مروان بعث

عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطري فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحجاج على العراق فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجاج إلا رَجَب وشعبان وقتل قطري عبد الرحمن في آخر رمضان فبعث الحجاج عتاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن ابن مخنف وأمر الحجاج عتاباً بطاعة المهلب فكان ذلك قد كبر على عتاب ووقع بينه وبين المهلب شر حتى كتب عتاب إلى الحجاج يستغفیه من ذلك الجيش ويضمه إليه فلما أن جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سر بذلك قال ودعا الحجاج أشراف أهل الكوفة فيهم زهرة بن حوية السَّعْدِي من بني الأعرج وقيصة بن والق التغلبي فقال لهم من ترون أن أبعث على هذا الجيش فقالوا رأيك أيها الأمير أفضل قال فإني قد بعثت إلى عتاب بن ورقاء وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فيكون هو الذي يسير في الناس قال زهرة بن حوية أصلح الله الأمير رَمَيْتَهُمْ بِحَجَرِهِمْ لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل وقال له قيصة بن والق إني مشير عليك برأيي فإن يكن خطأ فبعد اجتهادي في النصيحة لأمر المؤمنين وللأمير ولعامة المسلمين وإن يك صواباً فإله سددني له إنا قد تحدثنا وتحدث الناس أن جيشاً قد فصل إليك من قبل الشام وأن أهل الكوفة قد هزموا وقتلوا واستخفوا بالصبر وهان عليهم عار الفرار فقلوبهم كأنها ليست فيهم كأنما هي في قوم آخرين فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذي أمددت به من أهل الشام فإياخذوا حذرهم ولا يبيتوا إلا وهم يرون أنهم مُبَيَّتُونَ فعلت فإنك تحارب حُولا قُلُوباً ظماناً رحالاً وقد جهزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كل الثقة وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا إليك من الشام أن شيباً بيناهو في أرض إذ هو في أخرى ولا آمن أن يأتهم وهم غارون فإن هلكوا هلك ويهلك العراق فقال الله أنت ما أحسن ما رأيت وما أحسن ما أثرت به علي قال فبعث عبد الرحمن ابن الغرق مولى أبي عقيل إلى من أقبل إليه من أهل الشام فأناهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجاج أما بعد فاذا حاذيتم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار وخذوا

على عين التمر حتى تقدموا الكوفة إن شاء الله وخذوا حذركم وعجلوا السير والسلام
فأقبل القوم سراعا قال وقدم عتاب بن ورقاء في الليلة التي قال الحجاج إنه قادم
عليكم فيها فأمره الحجاج فخرج بالناس فعسكر بهم بحمام أعين وأقبل شبيب حتى
انتهى إلى كَلَوَاذَا فقطع منها دجلة ثم أقبل حتى نزل مدينة بهر سير الدنيا
فصار بينه وبين مطرف بن المغيرة بن شعبة جسر دجلة فلما نزل شبيب مدينة
بهر سير قطع مطرف الجسر وبعث إلى شبيب أن ابعث إلى رجالا من وجوه أصحابك
أدارسهم القرآن وأنظروا فيما تدعو اليه فبعث اليه شبيب رجالا من وجوه أصحابه فيهم
قَعْنَب وسويد والمحلل فلما أرادوا أن ينزلوا في السفينة بعث اليهم شبيب ألا
تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسول من عند مطرف فرجع الرسول وبعث
إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا رهنا في يدي حتى ترد
على أصحابي فقال مطرف لرسوله الله وقل له كيف آمنك أنا على أصحابي إذا
أنا بعثتهم الآن اليك وأنت لا تأمنني على أصحابك فرجع الرسول إلى شبيب
فأبلغه فأرسل اليه شبيب أنك قد علمت أنا لا نستحل الغدر في ديننا وأتم فعلونه
وتستحلونه فبعث اليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وسليمان بن حذيفة بن
هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاه وصاحب حرسه فلما صاروا في
يدي شبيب سرح اليه أصحابه فأتوا مطرفا فكثروا أربعة أيام يتراسلون ثم لم يتفقوا
على شيء فلما تبين لشبيب أن مطرفا غير تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير إلى
عتاب بن ورقاء وإلى أهل الشام (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط أن
شبيباً دعار ووس أصحابه فقال لهم انه لم يثبطني على رأي قد كنت رأيته الا هذا
الثقي منذ أربعة أيام قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى ألقى
هذا الجيش المقبل من الشام رجاء أن أصادف غرتهم أو يحذروا فلا أبالي كنت
ألقاهم منقطعين من المصر ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون اليه ولا مصر كالسكوة
يعتصمون به وقد جاءني عيوني اليوم فخبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر
فهم الآن قد شارفوا الكوفة وجاءني عيوني من نحو عتاب بن ورقاء فحدثوني

أنه قد نزل بجماعة أهل الكوفة الصراة فما أقرب ما بيننا وبينهم فتيسروا بنا
 للمسير إلى عتاب بن ورقاء قال وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله
 إلى شبيب الحجاج فخرج نحو الجبال وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون
 بين شبيب وعتاب فأرسل إليه شبيب أما اذ لم تباعني فقد نبذت إليك على سواء
 فقال مطرف لأصحابه اخرجوا بنا وافرین فإن الحجاج سيقا تلنا فيقاتلنا وبنا
 قوة أمثل فخرج ونزل المدائن فعقد شبيب الجسر وبعث إلى المدائن أخاه مصادا
 وأقبل إليه عتاب حتى نزل بسوق حكمة وقد أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة
 مقاتلتهم ومن شط إلى الخروج من شباهم وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى
 الشباب ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من
 الشباب بسوق حكمة فكانوا خمسين ألفاً ولم يدع الحجاج قرشياً ولا رجلاً من
 ييوتات العرب إلا أخرجه (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الرحمن بن جندب
 قال سمعت الحجاج وهو على المنبر حين وجه عتاباً إلى شبيب في الناس وهو
 يقول يا أهل الكوفة اخرجوا مع عتاب بن ورقاء بأجمعكم لا أرخص لأحد
 من الناس في الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا إلا إن للصابر المجاهد الكرامة
 والأثرة ألا وإن للناكل الهارب الهوان والجفوة والذي لا اله غيره لنن فعلتم
 في هذا الموطن كفعلكم في المواطن التي كانت لأوليسكم كنفا خشناً ولا عرككم
 بكل كل ثقيل ثم نزل وتوافى الناس مع عتاب بسوق حكمة (قال أبو مخنف) فحدثني
 فروة بن لقيط قال عرضنا شبيب بالمدائن فكنا ألف رجل فقام فينا فحمد الله
 وأثنى عليه ثم قال يا معشر المسلمين إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان
 وأكثر من ذلك قليلاً وأنقص منه قليلاً فأنتم اليوم مئون ومئون ألا إلى مصلی
 الظهر ثم سائر بكم فصلی الظهر ثم نودی فی الناس یا خیل الله اركبي وأبشري فخرج
 في أصحابه فأخذوا يتخلفون ويتأخرون فلما جاوزنا ساباط ونزلنا معه قص علينا
 وذكرنا بأيام الله وزهدنا في الدنيا ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ثم أمر مؤذنه
 فأذن ثم تقدم فصلی بنا العصر ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتاب بن ورقاء وأصحابه

فلما أن رآهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا المغرب وكان مؤذنه سلام بن سيار الشيباني وكانت عيون عتاب بن ورقاء قد جاءوه فأخبروه أنه قد أقبل إليه فخرج بالناس كلهم فبأهم وكان قد خندق أول يوم نزل وكان يظهر كل يوم أنه يريد أن يسير إلى شيب بالمدائن فبلغ ذلك شيباً فقال أسير إليه أحب إلى من أن يسير إلى فاتاه فلما صف عتاب الناس بعث على ميمته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخي إنك شريف فاصبر وصابر فقال أما أنا فوالله لأقاتلن مائتة معي إنسان وقال لقيصة بن وليق وكان يومئذ على ثلث بني تغلب اكفني الميسرة فقال أنا شيخ كبير كثير منى أن أثبت تحت رايتي قد انبت منى القيام ما أستطيع القيام إلا أن أقام ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليم التغلبيان وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب فقال ابعث أيهما أحببت فأيهما بعثت فلتبعن ذا حزم وعزم وغناء فبعث نعيم بن عليم على ميسرته وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي وهو ابن عم عتاب شيخ أهل بيته على الرجال وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم الرجال معهم السيوف وصف وهم أصحاب الرماح وصف فيه المرامية ثم سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمر بأهل راية راية فيحشهم على تقوى الله ويأمرهم بالصبر ويقص عليهم (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدي قال وقف علينا فقص علينا قصصاً كثيراً كان ما حفظت منه ثلاث كلمات قال يا أهل الإسلام إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء وليس الله لأحد من خلقه بأحد منه للصابرين ألا ترون أنه يقول اصبروا إن الله مع الصابرين فمن حمد الله فعله فما أعظم درجته وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه لا يرون إلا أن ذلك لهم قربة عند الله فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار أين القصاص قال ذلك فلم يحبه والله أحد منا فلما رأى ذلك قال أين من يروى شعر عنترة قال فلا والله مارد عليه إنسان كلمة فقال إنا لله كأنى بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفى في استه

الريح ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث وأبر بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلف عنه من الناس أربعمائة فقال له لقد تخلف عنا من لا أحب أن يرى فينا فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى الميسرة وبعث المحلل بن وائل في مائتين إلى القلب ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة فقال شبيب رايات طالما نصرت الحق و طالما نصرت الباطل لها في كل نصيب والله لاجاهدكم محتسباً للخير في جهادكم أنتم ربيعة وأنا شبيب أنا أبو المدله لا حكم إلا للحكم اثبتوا إن شئتم ثم حمل عليهم وهو على مسناة أمام الخندق ففضهم فثبت أصحاب رايات قبيصة بن والى وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها وتنادى أناس من بني تغلب قتل قبيصة بن والى فقال شبيب قتلتم قبيصة بن والى التغلبي يامعشر المسلمين قال الله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) هذا مثل ابن عمكم قبيصة بن والى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ثم وقف عليه فقال ويحك لو ثبت على إسلامك الأول سعدت ثم حمل من الميسرة على عتاب بن ورقاء وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمدان فأحسنوا القتال فزالوا كذلك حتى أتوا فقبل لهم قتل عتاب بن ورقاء فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة في القلب وزهرة ابن حوية معه إذ غشيهم شبيب فقال له عتاب يا زهرة بن حوية هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء والهنى على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معي من جميع الناس ألا صابر لعدوه ألا مؤاس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال له زهرة أحسنت يا عتاب فعلت فعل مثلك والله والله لو منحتهم كنتك ما كان بقاؤك إلا قليلا أبشر فإنى أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا فقال له جزاك الله خيراً ما جزى امرءاً لمعروف و حائناً على تقوى دنا فلما منه شبيب

وثب في عصاة صبرت معه قليلة وقد ذهب الناس يمينا وشمالا فقال له عمار بن يزيد الكلبي من بنى المدينة أصلحك الله إن عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصفق معه أناس كثير فقال له قد فر قبل اليوم وما رأيت ذلك الفتى يبالي ما صنع ثم قاتلهم ساعة وهو يقول ما رأيت كاليوم قط موطننا لم أبتل بمثله قط أقل مقاتلا ولا أكثر هاربا خاذلا فرآه رجل من بنى تغلب من أصحاب شبيب من بنى زيد ابن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو وكان قد أصاب دما في قومه فلحق بشبيب وكان من الفرسان فقال لشبيب والله إنى لأظن هذا المتكلم عتاب بن ورقاء فحمل عليه فطعنه فوق وقع فكان هو ولي قتله ووطئت الخيل زهرة بن حوية فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم فجاء الفضل بن عامر الشيباني فقتله فأنتهى إليه شبيب فوجده صريعا فعرفه فقال من قتل هذا فقال الفضل أنا قتلته فقال شبيب هذا زهرة بن حوية أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين قد هزمتها وسرية لهم قد أغرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحها ثم كان في علم الله أن تقتل ناصرا للظالمين (قال أبو مخنف) فحدثني فروة ابن لقيط قال رأيتاه والله توجع له فقال رجل من شبان بكر بن وائل والله إن أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين قال إنك لست بأعرف بضاللتهم منى ولكنى أعرف من قديم أمرهم مالا تعرف مالو ثبتوا عليه كانوا إخوانا وقتل في المعركة عمار بن يزيد بن شبيب الكلبي وقتل أبو خيثمة بن عبد الله يومئذ واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا عنهم السيف ودعوا إلى البيعة فبايعه الناس من ساعتهم وهربوا من تحت ليلتهم وأخذ شبيب يبايعهم ويقول إلى ساعة يهربون وحوى شبيب على مافي العسكر وبعث إلى أخيه فأتاه من المدائن فلما وفاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره ببית قرّة يومين ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج فيمنعهما من أهل الشام الكوفة فشددوا للحجاج

ظهره فاستغنى بهما عن أهل الكوفة فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الكوفة فلا أعز الله من أراد بكم العز ولا نصر من أراد بكم النصر اخرجوا عنا ولا تشهدوا معنا قتال عدونا الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء **(قالوا أبو مخنف)** فحدثني فروة بن لقيط قال والله لخرجنا تتبع آثار الناس فاتتهى إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني وهما يمشيان كأنى أنظر إلى رأس عبد الرحمن قد امتلاً طينا فصددت عنهما وكرهت أن أذعرهما ولو أنى أودن بهما أصحاب شبيب لقتلنا مكانهما وقلت في نفسى لئن سقت إلى مثلكما من قومي القتل ما أنا برشيد الراى وأقبل شبيب حتى نزل الصراة **(قال أبو مخنف)** فحدثني موسى بن سوار أن شبيباً خرج يريد الكوفة فاتتهى إلى سورا فندب الناس فقال أيكم يأتينى برأس عامل سورا فانتدب له بَطِينٌ وَقَعْنَبٌ وَسَوَيْدٌ وَرَجْلَانٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَسَارُوا مَغْذِينَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى دَارِ الْخُرَاجِ وَالْعِمَالِ فِي سَمَرَجَةَ فَدَخَلُوا الدَّارَ وَقَدَّكَدُوا النَّاسَ بَأَن قَالُوا أَجِيبُوا الْأَمِيرَ فَقَالُوا أَى الْأَمْرَاءِ قَالُوا أَمِيرٌ خَرَجَ مِنْ قَبْلِ الْحِجَابِ يَرِيدُ هَذَا الْفَاسِقَ شَبِيباً فَاغْتَرَبَ ذَلِكَ الْعَامِلُ مِنْهُمْ ثُمَّ لِنَهُمْ شَهْرًا وَسَيَّفُوا وَحَكَمُوا حِينَ وَصَلُوا إِلَيْهِ فَضْرَبُوا عُنْقَهُ وَقَبَضُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَلَحَقُوا بِشَبِيبٍ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ قَالَ مَا الَّذِى أَتَيْتُمُونَا بِهِ قَالُوا جِشَاكَ بِرَأْسِ الْفَاسِقِ وَمَا وَجَدْنَا مِنْ مَالٍ وَالْمَالُ عَلَى دَابَّةٍ فِي بَدْوَرِهِ فَقَالَ شَبِيبٌ أَتَيْتُمُونَا بِفِتْنَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ هَلُمَّ الْحَرْبَةَ يَا غِلَامَ نَحْرِقْ بِهَا الْبُدُورَ وَأَمْرِ فَنُخَسِّ بِالْدَابَّةِ وَالْمَالِ يَتَنَاقَرُ مِنْ بَدْوَرِهِ حَتَّى وَرَدَتْ الصَّرَاةُ فَقَالَ إِنْ كَانَ بَقِيَ شَيْءٌ فَاقْذِفْهُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ سَفِيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ مَعَ الْحِجَابِ وَكَانَ أَتَاهُ قَبْلَ خُرُوجِهِ مَعَهُ فَقَالَ ابْعَثْنِى أَسْتَقْبِلُهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ فَقَالَ مَا أَحَبُّ أَنْ تَفْتَرِقَ حَتَّى أَلْقَاهُ فِي جَمَاعَتِكُمْ وَالْكُوفَةُ فِي ظَهْرِنَا وَالْحَصْنُ فِي أَيْدِينَا **(وفى هذه السنة)** دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج

(قال هشام) حدثني أبو مخنف عن موسى بن سوار قال قدم سبرة بن عبد الرحمن ابن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة وكان مُطَرَف ابن المغيرة كتب إلى الحجاج إن شيبيا قد أطل على قابض إلى المدائن بعثنا فبعث إليه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتي فارس فلما خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه معه وقد أعلمهم ما يريدوكم ذلك سبرة فلما انتهى إلى دسكرة الملك دعا سبرة فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أمره فقال له نعم أنا معك فلما خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم وأقبل بهم فيصادف عتاب بن ورقاء قد قتل وشيبيا قد مضى إلى الكوفة فأقبل حتى انتهى إلى قرية يقال لها ييطرى وقد نزل شيب بن حاتم عُمر فخرج سبرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهى ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجاج فوجد أهل الكوفة مسخوطا عليهم فدخل على سفيان بن الأبرد فقص قصته عليه وأخبره بطاعته وفراقه مُطَرَفَاً وأنه لم يشهد عتاباً ولم يشهد هزيمة في موطن من مواطن أهل الكوفة ولم أزل الأمير عاملاً ومعى مائتا رجل لم يشهدوا معى هزيمة قط وهم على طاعتهم لم يدخلوا في فتنة فدخل سفيان إلى الحجاج فخبّره بخبر ما قص عليه سبرة بن عبد الرحمن فقال صدق وبرّ قل له فليشهد معنا لقاء عدونا فخرج إليه فأعلمه ذلك وأقبل شيب حتى نزل موضع حَمَام أعين ودعا الحجاج الحارث ابن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب ورجالا كانوا أعمالاً في نحو من مائتي رجل من أهل الشام فخرج في نحو من ألف فنزل زُرَّارَةً وبلغ ذلك شيبيا فتعجل إليه في أصحابه فلما انتهى إليه حمل عليه فقتله وهزم أصحابه وجاءت المنزلة فدخلوا الكوفة وجاء شيب حتى قطع الجسر وعسكر دونه إلى الكوفة وأقام شيب في عسكره ثلاثة أيام فلم يكن في أول يوم إلا قتل الحارث بن معاوية فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليتهم وغلبانه عليهم السلاح فأخذوا بأفواه السكك مما يلي الكوفة وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم وخشوا إن لم يخرجوا مؤجدة الحجاج وعبد الملك

ابن مروان وجاء شيب حتى ابنتى مسجداً في أقصى السبخة بما يلي موقف أصحاب
القت عند الأيوان وهو قائم حتى الساعة فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا
الورد مولى له عليه تجفاف وأخرج بجففة كثيرة وغلما ناله وقالوا هذا الحجاج
فحمل عليه شيب فقتله وقال إن كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم إن الحجاج
أخرج له غلامه طهمان في مثل تلك العدة على مثل تلك الهيئة فحمل عليه شيب
فقتله وقال إن كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم إن الحجاج خرج ارتفاع النهار
من القصر فقال اتوني بيغل أركبه ما بيني وبين السبخة فأتى بيغل محجل فقيل له
إن الأعاجم أصلحك الله تطير أن تركب في مثل هذا اليوم مثل هذا البغل فقال
ادنودني فإن اليوم يوم أغر محجل فركبه ثم خرج في أهل الشام حتى أخذ في سكة
البريد ثم خرج في أعلى السبخة فلما نظر الحجاج إلى شيب وأصحابه نزل وكان شيب
في ستمائة فارس فلما رأى الحجاج قد خرج إليه أقبل بأصحابه وجاء سبرة بن عبد الرحمن
إلى الحجاج فقال أين يأمرني الأمير أن أقف فقال قف على أفواه السكك فإن
جاءوكم فكان فيكم قتال فقاتلوا فانطلق حتى وقف في جماعة الناس ودعا الحجاج
بكرسى له فقعده عليه ثم نادى يا أهل الشام أتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين
لا يغابن باطل هؤلاء الأرجاس حثكم غشوا الأبصار واجثوا على الركب
واستقبلوا القوم بأطراف الاسنة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح وكأنهم
حررة سوداء وأقبل اليهم شيب حتى إذا دنا منهم عبي أصحابه ثلاثة كراديس كتيبة
معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل فقال لسويد أحمل عليهم
في خيلك فحمل عليهم فقتلوا له حتى إذا غشى أطراف الاسنة وثبوا في وجهه
ووجوه أصحابه فطعنوا قدما حتى انصرف وصاح الحجاج يا أهل السمع والطاعة
هكذا فافعلوا قدم كرسى يا غلام وأمر شيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به مثل
ما فعلوا بسويد فناداهم الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدم كرسى
يا غلام ثم إن شيبا حمل عليهم في كتيبة فقتلوا له حتى إذا غشى أطراف الرماح
وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ثم إن أهل الشام طعنوه قدما حتى ألحقوه بأصحابه

فلما رأى صبرهم نادى ياسويد احملى فى خيلك على اهل هذه السكة يعنى سكة لحام
جرير لعلك تزيل اهلها عنها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه
فانفرد سويد بن سليم فحمل على اهل تلك السكة فرمى من فوق البيوت وأفواه
السكك فانصرف وقد كان الحجاج جعل عروة بن المغيرة بن شعبة فى نحو من
ثلثمائة رجل من اهل الشام رده آله ولأصحابه لثلاثون وامن ورائه (قال أبو مخنف)
فحدثني فروة بن لقيط أن شيبيا قال لنا يومئذ يا اهل الإسلام إنما شرينا الله ومن شري الله
لم يكبر عليه ما أصابه من الأذى والألم فى جنب الله الصبر الصبر شدة كشداتكم فى
مواطنكم الكريمة ثم جمع أصحابه فلما ظن الحجاج أنه حامل عليهم قال لأصحابه
يا اهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم ورب السماء ما شئء دون
الفتح فجتوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فلما غشيم نادى الحجاج
بجماعة الناس فوثبوا فى وجهه فمازالوا يطعنون ويضربون قدما ويدفعون
شيبيا وأصحابه وهو يقاتلهم حتى بلغوا موضع بُستان زائدة فلما بلغ ذلك
المكان نادى شبيب أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ثم نزل وأمر أصحابه فنزل
نصفهم وترك نصفهم مع سويد بن سليم وجاء الحجاج حتى انتهى إلى مسجد شبيب ثم قال
يا اهل الشام يا اهل السمع والطاعة هذا أول الفتح والذى نفس الحجاج بيده وصعد
المسجد معه نحو من عشرين رجلا معهم النبل فقال إن دنوا منا فارشقوهم فاقتلوا
عامة النهار من أشد قتال فى الأرض حتى أفر كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم
إن خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لى فى قتالهم فإنى موتور وأنا بمن لايتهم فى
نصيحة قال فإنى قد أذنت لك قال فإنى آتيتهم من ورائهم حتى أغير على عسكرهم
فقال له افعل ما بدا لك قال فخرج معه بعصابة من اهل الكوفة حتى دخل عسكرهم
من ورائهم فقتل مُصَاداً أخا شبيب وقتل غزالة امرأته قتلها فروة بن الدفان
الكلبي وجرق فى عسكره وأتى ذلك الخبر الحجاج وشيبيا فأما الحجاج وأصحابه
فكبروا تكبيرة واحدة وأما شبيب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم وقال
الحجاج لاهل الشام شدوا عليهم فإنه قد أتاهم ما أربع قلوبهم فشدوا عليهم

فهزمومم وتخلف شبيب في حامية الناس (قال هشام) فحدثني أصغر الخارجي قال حدثني من كان مع شبيب قال لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج قال فجعل يخفق برأسه فقلت يا أمير المؤمنين التفت فانظر من خلفك قال فالتفت غير مكترث ثم أكب يخفق برأسه قال ودنوا منا فقلنا يا أمير المؤمنين قد دنوا منك قال فالتفت والله غير مكترث ثم جعل يخفق برأسه قال فبعث الحجاج إلى خيله أن دعوه في حرق الله وناره فتركوه ورجعوا (قال هشام) قال أبو مخنف حدثني أبو عمرو العذري قال قطع شبيب الجسر حين عبر قال وقال لي فروة كنت معه حين انهزمنا فما حرك الجسر ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر ودخل الحجاج الكوفة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولي والله هاربا وترك امرأته يكسر في استها القصب (وقد قيل) في قتال الحجاج شيبيا بالكوفة ما ذكره عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن المغيرة بن عطية قال حدثني أبي قال حدثنا مزاحم بن زفر بن جساس النيمي قال لما فض شبيب كتاب الحجاج أذن لنا فدخلنا عليه في مجلسه الذي يبست فيه وهو على سرير وعليه لحاف فقال إني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر فأشيروا علي إن هذا الرجل قد تبجح بجهل حرككم ودخل حريمكم وقتل مقاتلتكم فأشيروا علي فأتروا وفصل رجل من الصف بكرسيه فقال إن أذن لي الأمير تكلمت فقال تكلم فقال إن الأمير والله ماراقب الله ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح للرعية ثم جلس بكرسيه في الصف قال وإذا هو قتيبة قال فغضب الحجاج وألقى اللحاف ودلى قدميه من السرير كأنه أنظر إليهما فقال من المتكلم قال فخرج قتيبة بكرسيه من الصف فأعاد الكلام قال فما الرأي قال الرأي أن تخرج إليه فتحاكمه قال فارتد إلى معسكرا ثم اغد إلى قال فخرجنا نلعن عنبسة بن سعيد وكان كلم الحجاج في قتيبة فجعله من أصحابه فلما أصبحنا وقد أوصينا جميعا غدونا في السلاح فصل الحجاج الصبح ثم دخل فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول أجاأ بعد أجاأ بعد ولا ندرى من يريد وقد أفعمت المقصورة بالناس فخرج الرسول فقال أجاأ بعد وإذا قتيبة يمشي

في المسجد عليه قباء هَرَوِي أصفر وعمامة خز أحمر متقلدا سيفاً عريضاً قصير
الخمائل كأنه في ابطه قد أدخل برُكة قبائه في منطقته والدرع يصفق ساقيه فقطع له
الباب فدخل ولم يُحجب فلبث طويلاً ثم خرج وأخرج معه لواء منشوراً فصلى
الحجاج ركعتين ثم قام فتكلم وأخرج اللواء من باب الفيل وخرج الحجاج يتبعه
فاذا بالباب بغلة شقراء غراء محجلة فركبها وعارضه الوصفاء بالدواب فأبى غيرها
وركب الناس وركب قتيبة فرساً أغرً محجلاً كيتاً كأنه في سرجه رُمانة من عظم
السرج فأخذ في طريق دار السقاية حتى خرج إلى السبخة وبها عسكر شيب و ذلك
يوم الأربعاء فتوافقوا ثم غدوا يوم الخميس للقتال ثم غادوهم يوم الجمعة فلما كان
وقت الصلاة انهزمت الخوارج ه قال أبو زيد حدثني خلاد بن يزيد قال حدثنا
الحجاج بن قتيبة قال جاء شيب وقد بعث إليه الحجاج أميراً فقتله ثم آخر فقتله أحدهما
عين صاحب حمام أعين قال لجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزال وقد كانت نذرت أن
تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران قال ففعلت قال
واتخذ شيب في عسكره أنخصاصاً فقام الحجاج فقال لا أراكم تناصحون في قتال
هؤلاء القوم يا أهل العراق وأنا كاتب إلى أمير المؤمنين ليمدني بأهل الشام قال
فقام قتيبة فقال إنك لم تنصح لله ولا لأمر المؤمنين في قتالهم (قال عمر بن شبة)
قال خلاد حدثني محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التميمي أن
الحجاج خنق قتيبة بعمامة خنقا شديداً (ثم رجع الحديث إلى حديث الحجاج و قتيبة)
قال فقال وكيف ذاك قال تبعك الرجل الشريف وتبعك معه رعاعاً من الناس
فينهزمون عنه ويستحيا فيقاتل حتى يقتل قال فما الرأي قال أن تخرج بنفسك ويخرج
معك نظرائوك فيؤاسونك بأنفسهم قال فلعله من ثم وقال الحجاج والله لا برزنا له فدا
فلما كان الغد حضر الناس فقال قتيبة اذكُرْ يمينك أصلح الله الأمير فلعنوه أيضاً
وقال الحجاج اخرج فارتدلى معسكراً فذهب وتهاوى وأصحابه فخرجوا فأتى على
موضع فيه بعض القدر موضع كناسة فقال القوالى ههنا قليل إن الموضع قدر فقال
ما تدعونني إليه أقدر الأرض تحته طيبة والسما فوّه طيبة قال فنزل وصف

الناس وخالدين عتاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم وجاء شبيب وأصحابه لتقربوا دوابهم وخرجوا يمشون فقال لهم شبيب الهوا عن رميكم ودبوا تحت تراسكم حتى إذا كانت أستمهم فوقها فأزلقوها صُعداً ثم ادخلوا تحتها لتستقلوا فتقطعوا أقدامهم وهي الهزيمة يأذن الله فأقبلوا يدبون اليهم وجاء خالد بن عتاب في شاكريته فدار من وراء عسكرهم فأصرم أخصاصهم بالنار فلما رأوا ضوء النار وسمعوا مغممها التفوا قرأوها في بيوتهم فولوا إلى خيلهم وتبعهم الناس وكانت الهزيمة ورضى الحجاج عن خالد وعقد له على قتالهم قال لما قتل شبيب عتاباً أراد دخول الكوفة ثانية فأقبل حتى شارفها فوجه إليه الحجاج سيف بن هاني ورجل معه ليأتياه بخبر شبيب فأتيا عسكره فقطن بهما فقتل الرجل وأفلت سيف وتبعه رجل من الخوارج فأوثب سيف فرسه ساقية ثم سأل الرجل الأمان على أن يصدقه فأمنه فأخبره أن الحجاج بعثه وصاحبه ليأتياه بخبر شبيب قال فأخبره أنا نأتيه يوم الاثنين فأتى سيف الحجاج فأخبره فقال كذب وماق فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة فوجه اليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي فلقى شبيب بزُرة فقتله وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البطين في عشرة فوارس يرتادله منزلاً على شاطئ الفرات في دار الرزق فأقبل البطين وقد وجه الحجاج حواشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة فأخذوا بأفواه السكك فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم فبعث إلى شبيب فأمد به فوارس فعقروا فرس حوشب وهزموه ونجا ومضى البطين إلى دار الرزق وعسكر على شاطئ الفرات وأقبل شبيب فقتل دون الحسر فلم يوجه إليه الحجاج أحداً فمضى فقتل السبخة بين الكوفة والفرات فأقام ثلاثاً لا يوجه إليه الحجاج أحداً فأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه فوجه قتيبة بن مسلم فهبأه عسكراً ثم رجع فقال وجدت المأق سهلاً فسر على الطائر الميمون فنأدى في أهل الكوفة فخرجوا وخرج معه الوجوه حتى نزلوا في ذلك العسكر وتواقفوا وعلى ميمنة شبيب البطين وعلى ميسرته قعنب مولى بني أبي ربيعة بن ذهن وهو في زهاء مائتين وجعل الحجاج على ميمنته مطر بن ناجية الرياحي وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي في زهاء

أربعة آلاف وقيل له لا تعرفه موضعك فتكر وأخفى مكانه وشبهه له أبا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلا فقتله وشبه له أعين صاحب حمام أعين بالكوفة وهو مولى لبكر بن وائل فقتله فركب الحجاج بغلة غراء محجلة وقال إن الدين أغر محجل وقال لأبي كعب قدم لواءك أنا ابن أبي عقيل وحمل شبيب على خالد بن عتاب وأصحابه فبلغ بهم الرحبة وحملوا على مطر ابن ناجية فكشفوه فنزل عند ذلك الحجاج وأمر أصحابه فنزلوا جلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فأنهم على ذلك إذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي لحام شبيب فقال ما تقول في صالح بن مسرح وبما تشهد عليه قال أعلى هذه الحال وفي هذه الحزة والحجاج ينظر قال فبرئ من صالح فقال مصقلة برئ الله منك وفارقوه إلا أربعين فارساً هم أشد أصحابه وانحاز الآخرون إلى دار الرزق وقال الحجاج قد اختلفوا وأرسل إلى خالد بن عتاب فأتاهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها إلى الحجاج فارس فعرفه شبيب فأمر علوان فشد على الفارس فقتله وجاء بالرأس فأمر به فغسل ودفنه وقال هي أقرب اليكم رحماً يعني غزالة ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد إلى الحجاج فأخبره بانصراف القوم فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم وأتبعه ثمانية منهم قعنب والبطين وعلوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسان حتى بلغوا به الرحبة وأتى شبيب في موقفه بخوط بن عمير السدوسي فقال له شبيب يا خوط لا حكم إلا لله فقال لا حكم إلا لله فقال شبيب خوط من أصحابكم ولكنه كان يخاف فأطلقه وأتى بعيمر بن القعقاع فقال له لا حكم إلا لله يا عيمر فجعل لا يفقه عنه ويقول في سبيل الله شباي فردد عليه شبيب لا حكم إلا لله ليتخلصه فلم يفقه فأمر بقتله وقتل مُصَاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالداً فأبطؤا ونعس شبيب فأيقظه حبيب بن حذرة وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هيبة له وسار إلى دار الرزق لجمع رثته من قتل من أصحابه وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه فظنوا أنهم قتلوه ورجع مطر وخالد إلى الحجاج فأمرهما فأتبعهما الرهط الثمانية وأتبع الرهط شبيباً فمضوا جميعاً حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا

ديرا هنالك وخالد يقفهم فحصرهم في الدير فخرجوا عليه فهزموه نحواً من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم في دجلة بخيلهم وألقى خالد نفسه بفرسه فتر به ولوأوه في يده فقال شبيب قاتله الله فارساً وفرسه؛ هذا أشد الناس وفرسه أقوى فرس في الأرض فقبل له هذا خالد بن عتاب فقال مُعَرِّقٌ له في الشجاعة والله لو علمت لأقحمت خلفه ولو دخل النار (رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف) عن أبي عمر والعذري أن الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب ثم صعد المنبر فقال والله ما قوتل شبيب قط قبلها مثلها ولي والله هارباً وترك امرأته يكسر في استها القصب ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمي فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام فقال له الحجاج احذر بياتك وحيثما لقيته فنازله فإن الله قد فلَّ حده وقسم نابه فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتى نزل الأنبار وبعث الحجاج إلى العمال أن دُسوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو آمن فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هذه القتال يحمي فيؤمن وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هزموا إن من جاءنا منكم فهو آمن فتفرق عنه ناس كثير من أصحابه وبلغ شبيباً منزلاً حبيب بن عبد الرحمن الأنبار فأقبل بأصحابه حتى إذا دنا من عسكرهم نزل فصلى بهم المغرب (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يزيد السكسكي قال أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فبيتنا قال فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجللنا أرباعاً وقال لكل ربع منا ليجزئ كل ربع منكم جانبه فإن قاتل هذا الربع فلا يغنهم هذا الربع الآخر فإنه قد بلغني أن هذه الخوارج منا قريب فوطنوا أنفسكم على أنكم مبيتون ومقاتلون فما زلنا على تعييننا حتى جاءنا شبيب فبيتنا فشد على ربع منا عليهم عثمان بن سعيد العذري فضاربهم طويلاً فزال قَدَم الإنسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم فزال قَدَم إنسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فمأقدر منهم على شيء ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الحثعمي فقاتلهم طويلاً فلم يظفر بشيء ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل وألَّز بنا حتى لا يفارقنا

ثم نازلنا راجلا طويلا فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي وفشت الأعين وكثرت القتلى قتلنا منهم نحواً من ثلاثين وقتلوا منا نحو من مائة والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا وإيم الله على ذلك ما فارقونا حتى مللناهم وملونا وكرهونا وكرهناهم ولقد رأيت الرجل منا يضرب بسيفه الرجل منهم فياضره شيئاً من الإعياء والضعف ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالساً ينقح بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء فلما يئسوا منا ركب شيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه اركبوا فلما استووا على متون خيولهم وجه منصرفاً عنا قال أبو مخنف حدثني فروة بن لقيط عن شيب قال لما انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة وجراحة ظاهرة قال لنا ما أشد هذا الذي بنا لو كنا إنما نطلب الدنيا وما أيسر هذا في ثواب الله فقال أصحابه صدقت يا أمير المؤمنين قال فما أنسى منه أقباله على سويد بن سليم ولا مقاتله له قتل منهم أمس رجلين أحدهما أشجع الناس والآخر أجبن الناس خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه وخرجت معه فقال كأنك لم تشتر علماً فقلت إن لي رفقاء قد كفوني ذلك فقلت له أين ترى عدونا هذا نزل قال بلغني أنه قد نزل منا قريباً وإيم الله لو ددت أني قد لقيت شبيبهم هذا قلت فتحب ذلك قال نعم قلت فخذ حذرك فأنا والله شيب وانتضيت سبني فخروا الله ميتاً فقلت له ارتفع ويحك وذهبت أنظر فإذا هو قد مات فانصرفت راجعاً فاستقبل الآخر خارجاً من القرية فقال أين تذهب هذه الساعة وإنما يرجع الناس إلى عسكرهم فلم أكله ومضيت يقرب بي فرسى وأتبعني حتى لحقني فقطعت عليه فقلت له مالك فقال أنت والله من عدونا فقلت أجل والله فقال والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك فحمت عليه وحمل علي فاضطربنا بسيفينا ساعة فوالله ما فضلت في شدة نفس ولا إقدام إلا أن سبني كان أقطع من سيفه فقتلته قال فضينا حتى قطعنا دجلة ثم أخذنا في أرض جوخي حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من عند واسط ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم

ارتفعنا إلى كرمان (وفي هذه السنة) هلك شبيب في قول هشام بن محمد وفي قول غيره كان هلاكه سنة ٧٨

ذكر سبب هلاكه

(قال هشام) عن أبي مخنف قال حدثني أبو يزيد السكسكي قال أقفلنا الحجا إليه يعني إلى شبيب فقسم فينا ما لا عظميا وأعطى كل جريح منا وكل ذى بلاء ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب فتجهز سفيان فشق ذلك على حبيب ابن عبد الرحمن الحكمي وقال تبعث سفيان إلى رجل قد قلته وقتلت فرسان أصحابه فأمضى سفيان بعد شهرين وأقام شبيب بكرمان حتى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا فيستقبله سفيان بمجر دجيل الأهواز وقد كان الحجاج كتب إلى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج وعامله على البصرة أما بعد فأبعث رجلا شجاعا شريفا من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ومُرّه فليلق بسفيان بن الأبرد وليسمع له وليطع فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف فلم يفته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب ولما أن التقيا بمجر دجيل عبر شبيب إلى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال وبعث مهاصر بن صبيح العذري على الخيل وبعث على ميمنته بشر بن حسان الفهري وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزاري فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه هو في كتيبة وسويد في كتيبة وقعب المحلمي في كتيبة وخلف المحلل بن وائل في عسكره قال فلما حمل سويد وهو في ميمنته على ميسرة سفيان وقعب وهو في ميسرته على ميمنته حمل هو على سفيان فاضطربنا طويلا من النهار حتى انحازوا فرجعوا إلى المكان الذي كانوا فيه فكر علينا هو وأصحابه أكثر من ثلاثين كرة كل ذلك لا نزول من صفنا وقال لنا سفيان بن الأبرد لا تتفرقوا ولكن لتزحف الرجال إليهم زحفا فوالله ما زلنا نطاعهم ونضاربهم حتى اضطربناهم إلى الجسر فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قطفا هو إلا أن نزلوا

فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيئا ما رأينا مثله من قوم قط فلما رأى سفيان انه لا يقدر عليهم ولا يأمن مع ذلك ظفرهم دعا الرماة فقال ارشقوهم بالنبل وذلك عند المساء وكان التقاؤهم نصف النهار فرماهم أصحاب النبل بالنبل عند المساء وقد صفهم سفيان بن الأبرد على حدة وبعث على المرامية رجلا فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم فلما شدوا على رماتنا شددنا عليهم فشغلناهم عنهم فلما رُموا بالنبل ساعة ركب شيب وأصحابه ثم كروا على أصحاب النبل كرة صرع منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف بخيله علينا فشى عامداً نحونا فطاعناه حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان لأصحابه أيها الناس دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبحهم غدوة قال فكففنا عنهم وليس شيء أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال لما هو إلا أن انتهينا إلى الجسر فقال اعبروا معاشر المسلمين فإذا أصبحنا بكرناهم إن شاء الله فعبرنا أمامه وتخلف في آخرنا فأقبل على فرسه وكانت بين يديه فرس أنثى ما ذياته فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذيانه ونزل حافر رجل فرس شيب على حرف السفينة فسقط في الماء فلما سقط قال لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا فارتمس في الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز العليم (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث وكان ممن يقاتله من أهل الشام وحدثني فروة بن لقيط وكان ممن شهد مواعنه فأما رجل من رهطه من بني مرة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائهم رجالا كثيرا فكان ذلك قد أوجع قلوبهم وأوغر صدورهم وكان رجل يقال له مقاتل من بني تميم بن شيبان من أصحاب شيب فلما قتل شيب رجالا من بني تميم بن شيبان أغار هو على بني مرة بن همام فأصاب منهم رجلا فقال له شيب ما حملك على قتلهم بغير أمرى فقال له أصلحك الله قتلت كفار قومي و قتلت كفار قومك قال وأنت الوالى على حتى تقطع الأمور دونى فقال أصلحك الله أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا منا كان أو من غيرنا قال بلى قال فانما فعلت ما كان يلغى ولا والله بأمر

المؤمنين ما أصبت من رهطك عُشر ما أصبت من رهطى وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين قال إني لا أجد من ذلك وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائرهم فزعموا أنه لما تخلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض هل لكم أن نقطع به الجسر فنذكر ثأرنا الساعة فقطعوا الجسر فالت السفن ففرع الفرس ونفرو ووقع في الماء ففرق (قال أبو مخنف) خدثني ذلك المُرّي بهذا الحديث وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا وأما حديث العامة فالحديث الأول (قال أبو مخنف) وحدثني أبو يزيد السكسكى قال إنا والله لنتيا للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال أين أميركم قلنا هو هذا فجاءه فقال أصلحك الله إن رجلا منهم وقع في الماء فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبر سفيان وكبرنا ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر وبعث مهاصر بن صيفي فعبر إلى عسكرهم فاذا ليس فيه منهم صافر ولا أثر فنزل فيه فاذا أكثر عسكر خلق الله خيرا وأصبحنا فطلبنا شبيباً حتى استخرجناه وعليه الدرع فسمعت الناس يزعمون أنه شق بطنه فاخرج قلبه فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة وأنه كان يضرب به الأرض فيثب قائماً انسان فقال سفيان احمدا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا (قال أبو زيد) عمر بن شبة حدثني خلاد بن يزيد الأرقط قال كان شبيب يُنعى لأمه فيقال قتل فلا تقبل قال فقيل لها أنه غرق فقبلت وقالت إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار فعلت أنه لا يطفئه إلا الماء (قال هشام) عن أبي مخنف حدثني فروة بن لقيط الأزدي ثم العامري أن يزيد بن نعيم أبا شبيب كان من دخل في جيش سليمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه الوليد بن عقبة عن أمر عثمان أياه بذلك مدد الأهل الشام أرض الروم فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع فرأى يزيد بن نعيم أبو شبيب جارية حمراء لاشهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين فابتاعها ثم أقبل بها وذلك سنة ٢٥ أول السنة فلما أدخلها الكوفة قال أسلم فأبت عليه فضر بها فلم تزد إلا عصياناً فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت ثم

دعا بها فأدخلت عليه فلما تَغَشَّاهَا تَلَقَّتْ منه بحمل فولدت شيباً وذلك سنة ٢٥ في ذى الحجة في يوم النحر يوم السبت وأحبت مولاهما حباً شديداً وكانت مُحَدِّثُهُ وَقَالَتْ إِنْ شِئْتُ أُجِبْتُكَ إِلَى مَا سَأَلْتَنِي مِنَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهَا قَدْ شِئْتُ فَأَسَلْتُ وَوَلَدْتُ شَيْباً وَهِيَ مُسْلِمَةٌ وَقَالَتْ إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَا يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ قُبُلِ شِهَابٍ فَتَقَبَّ يَسْطَعُ حَتَّى بَلَغَ السَّمَاءَ وَبَلَغَ الْآفَاقَ كُلَّهَا فَبَيْنَاهُ وَكَذَلِكَ إِذْ وَقَعَ فِي مَاءٍ كَثِيرٍ جَارِغاً وَقَدْ وَلَدَتْهُ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا الَّذِي تَهْرَقُونَ فِيهِ الدَّمَاءُ وَإِنِّي قَدْ أُولْتُ رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي أَرَى وَلَدِي هَذَا غُلَاماً أَرَاهُ سَيَكُونُ صَاحِبَ دَمَاءٍ يَهْرِيْقُهَا وَإِنِّي أَرَى أَمْرَهُ سَيَعْلُو وَيَعْظُمُ سَرِيعاً قَالَ فَكَانَ أَبُوهُ يَخْتَلِفُ بِهِ وَبِأُمِّهِ إِلَى الْبَادِيَةِ إِلَى أَرْضِ قَوْمِهِ عَلَى مَاءٍ يُدْعَى الْاَصْفَ (قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ) وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ أَبِي سُوَيْدٍ ابْنُ رَادِي أَنَّ جُنْدَ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ جَاؤُوا حَمَلُوا مَعَهُمُ الْحِجْرَ فَقَالُوا لَا نَفِرُ مِنْ شَيْبٍ حَتَّى يَفِرَ هَذَا الْحِجْرُ فَبَلَغَ شَيْباً أَمْرُهُمْ فَأَرَادَ أَنْ يَكِيدَهُمْ فَدَعَا بِأَفْرَاسٍ أَرْبَعَةَ فَرَبَطَ فِي أَذْنَابِهَا تَرَسَةً فِي ذَنْبِ كُلِّ فَرَسٍ تَرْسِينَ ثُمَّ نَدَبَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَيَّانٌ وَأَمْرُهُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ إِدَارَةً مِنْ مَاءٍ ثُمَّ سَارَ حَتَّى يَأْتِيَ نَاحِيَةَ مِنَ الْعَسْكَرِ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَكُونُوا فِي نَوَاحِي الْعَسْكَرِ وَأَنْ يَجْعَلُوا مَعَ كُلِّ رَجُلَيْنِ فَرَساً ثُمَّ يُمَسِّسُوهَا الْحَدِيدَ حَتَّى تَجِدَ حَشْرَهُ وَيَخْلُوَهَا فِي الْعَسْكَرِ وَوَأَعَدَّ تَلْعَةً قَرِيبَةً مِنَ الْعَسْكَرِ فَقَالَ مَنْ نَجَا مِنْكُمْ فَإِنْ مَوَّعَهُ هَذِهِ التَّلْعَةُ وَكَرِهَ أَصْحَابَهُ الْإِقْدَامَ عَلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَهَزَلَ حَيْثُ رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ حَتَّى صَنَعَ بِالْخَيْلِ مِثْلَ الَّذِي أَمَرَهُمْ ثُمَّ وَغَلَتْ فِي الْعَسْكَرِ وَدَخَلَ يَتْلُوهَا يُحْكِمُهَا فَضَرَبَ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَقَامَ صَاحِبُهُمُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيُّ فَنَادَى أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ هَذِهِ مَكِيدَةٌ فَالْزَمُوا الْأَرْضَ حَتَّى يَقْبِيزَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَفَعَلُوا وَبَقِيَ شَيْبٌ فِي عَسْكَرِهِمْ فَلَزِمَ الْأَرْضَ حَيْثُ رَأَاهُمْ قَدْ سَكَنُوا وَقَدْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةُ عُمُودٍ أَوْهَتَتْهُ فَلَمَّا أَنْ هَدَأَ النَّاسُ وَرَجَعُوا إِلَى أَبْنِيَتِهِمْ خَرَجَ فِي غَمَارِهِمْ حَتَّى أَتَى التَّلْعَةَ فَإِذَا هُوَ بِحَيَّانٍ فَقَالَ أَفْرَغْ يَا حَيَّانُ عَلَى رَأْسِي مِنَ الْمَاءِ فَلَمَّا مَدَّ رَأْسَهُ لِيَصُبَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ هَمَّ حَيَّانُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ لِنَفْسِهِ لَا أَجْدُ لِي مَكْرَمَةً وَلَا ذِكْرًا

أرفع من قتلى هذا وهو أمانى عند الحجاج فاستقبلته الرعدة حيث هم بما هم به فلما أبطأ بجمل الإداوة قال ما يبطنك بحالها فتناول السكين من موزجه فخرقها به ثم ناولها لإياه فأفرغ عليه من الماء فقال حيان معنى والله الجبن وما أخذنى من الرعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممت به ثم لحق شبيب بأصحابه فى عسكره (قال أبو جعفر) وفى هذه السنة خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجلال فقتل

ذكر السبب الذى كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان (قال هشام) عن أبى مخنف قال حدثنى يوسف بن يزيد بن بكر الأزدي أن بنى المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء زبلاء أشرفا بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم فى قومهم قال فلما قدم الحجاج فلقوه وشافهم علم أنهم رجال قومه وبنو أبيه فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة ومطرف بن المغيرة على المدائن وحمزة بن المغيرة على همدان (قال أبو مخنف) فحدثنى الحصين ابن عبيد الله بن سعد بن نفيل الأزدي قال قدم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الأمير الحجاج أصلحه الله قدولانى عليكم وأمرنى بالحكم بالحق والعدل فى السيرة فان عملت بما أمرنى به فأنا أسعد الناس وإن لم أفعل فنفسى أوبقت وحظ نفسى ضيعت ألا إنى جالس لكم العصرين فارقعوا إلى حوائجكم وأشيروا على بما يصلحكم ويصلح بلادكم فانى لن آلوكم خيرا ما استطعت ثم نزل وكان بالمدائن إذ ذاك رجال من أشرف أهل المصر ويوتات الناس وبها مقاتلة لاتسعها عدة أن كان كرن بأرض جوخي أو بأرض الأنبار فأقبل مطرف حين نزل حتى جلس للناس فى الإيوان وجاء حكيم بن الحارث الأزدي يمشى نحوه وكان من وجوه الأزدي وأشرافهم وكان الحجاج قد استعمله بعد ذلك على بيت المال فقال له أصلحك الله إنى كنت منك نائيا حين تكلمت وإنى أقبلت نحوك لأجيبك فوافق ذلك نزولك إنا قد فهمنا ما ذكرت لنا انه عهد إليك فأرشد الله العاهد والمعهود إليه وقدميت من نفسك

العدل وسألت المعونة على الحق فأعانك الله على ماويت إنك تشبه أباك في سيرته
برضى الله والناس فقال له مطرف ههنا إلى فأوسع له فجلس إلى جنبه (قال
أبو مخنف) فحدثني الحصين بن يزيد أنه كان من خير عامل قدم عليهم قط أقمعه
للريب وأشدّه إنكاراً للظلم فقدم عليه بشر بن الأجدع الهمداني ثم الثوري
وكان شاعراً فقال

إِنِّي كَلِفْتُ بِخَوْدٍ غَيْرِ فَاحْشَةٍ غَرَاءَ وَهَنَانَةٍ حُسَانَةٍ الْجَيْدِ
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يَوْمَ الدَّجَنِ إِذْ بَرَزَتْ تَمْشِي مَعَ الْأُنْسِ الْهَيْفِ الْأَمَالِيدِ
سَلَّ الْهَوَى بَعْلَنْدَاةً مُدَكَّرَةً عَنْهَا إِلَى الْمُجْتَدَى ذِي الْعُرْفِ وَالْجُودِ
إِلَى الْفَتَى الْمَاجِدِ الْفَيَاضِ نَعْرَفُهُ فِي النَّاسِ سَاعَةً يَحْلِي كُلَّ مَرْكُودِ
مَنْ الْأَكَارِمِ أَنْسَابًا إِذَا نُسِبُوا وَالْحَامِلِ الثَّقَلِ يَوْمَ الْمَغْرَمِ الْقَصِيدِ
إِنِّي أَعِيدُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ نَقِيرِ حُجْرِ السَّبَالِ كَأْسِدِ الْغَايَةِ الشُّوْدِ
فُرْسَانُ شِيَابٍ لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِهِمْ أَبْنَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ النَّجْلِ صَنِيدِ
شَدُّوا عَلَى ابْنِ حَصِينٍ فِي كَتِيبَتِهِ فَعَادَرُوهُ صَرِيحًا لَيْلَةَ الْعِيدِ
وَإِبْنُ الْمُجَالِدِ أَرَدْتَهُ رِمَاحُهُمْ كَأَنَّمَا زَلَّ عَنْ خَوْصَاءَ صَيْخُودِ
وَكُلُّ جَمْعٍ بَرُودًا بَادٍ كَانَتْ لَهُمْ قَدْ فَضَّ بِالطَّعْنِ بَيْنَ النَّخْلِ وَالْبِيدِ

فقال له ويحك ما جئت إلا لترغبنا وقد كان شبيب أقبل من سائتد ما فكتب
مطرف إلى الحجاج أما بعد فاني أخبر الأمير أكرمه الله أن شيبا قد أقبل نحونا
فان رأى الأمير أن يمدني برجال أضبط بهم المدائن فعل فان المدائن باب الكوفة
وحصنها فبعث إليه الحجاج بن يوسف سيرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين
وعبد الله بن كنان في مائتين وجاء شبيب فأقبل حتى نزل قناطر حذيفة ثم جاء
حتى انتهى إلى كلواذا فعب منها دجلة ثم أقبل حتى نزل مدينة بهر سير ومطرف
ابن المغيرة في المدينة العتيقة التي فيها منزل كسرى والقصر الأبيض ه فلما نزل
شبيب بهر سير قطع مطرف الجسر فيما بينه وبين شبيب وبعث إلى شبيب أن
ابعث إلى رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن وانظر ما تدعون إليه فبعث

إليه رجالا منهم سُويد بنُ سليم وقَعْنَب والمحلل بن وائل فلما أدنى منهم المغيرة وأرادوا أن ينزلوا فيه أرسل إليهم شبيب أن لا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسول من عند مطرف وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى بعدة من أصحابك حتى ترد على أصحابي فقال لرسوله القه ققل له فكيف آمنك على أصحابي إذا بعثتهم الآن إليك وأنت لا تأمنني على أصحابك فأرسل إليه شبيب إنك قد علمت أنا لا نستحل في ديننا الغدر وأنتم تفعلونه وتمونونه فسرَح إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة وكان على حرس مطرف فلما وقعوا في يديه بعث أصحابه إليه (قال أبو مخنف) حدثني النضر بن صالح قال كنت عند مطرف بن المغيرة بن شعبة فما أدري أقال إني كنت في الجند الذين كانوا معه أو قال كنت بإزائه حيث دخلت عليه رسلُ شبيب وكان لي ولاخي ودأكر ما ولم يكن ليستر منا شيئا فدخلوا عليه وما عنده أحد من الناس غيري وغير أخى حلام بن صالح وهم ستة ونحن ثلاثة وهم شاكون في السلاح ونحن ليس علينا إلا سيوفنا فلما دنوا قال سويد السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله فقال له مطرف أجل فسلم الله على أولئك ثم جلس القوم فقال لهم مطرف قصوا على أمركم وخبروني ما الذي تطلبون وإلى ما تدعون فحمد الله سُويد بن سليم وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الذي ندعو إليه كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وإن الذي نقمن على قومنا الاستتار بالنيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرف ما دعوتكم إلا إلى حق ولا نقمن إلا جورا ظاهرا أنا لكم على هذا متابع فتابعوني إلى ما أدعوكم إليه ليجتمع أمري وأمركم وتكون يدي وأيديكم واحدة فقالوا هات اذكر ما تريد أن تذكر فإن يكن ما تدعوننا إليه حقا نجبك قال فاني أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة العاصين على أحداثهم الذي أحدثوا وأن ندعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يؤمرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب فان العرب إذا علمت

لما أراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوكم
 وتم لكم هذا الأمر الذى تريدون قال فوثبوا من عنده وقالوا هذا ما لانجيبك
 اليه أبدا فلما مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت اليه سويد بن سليم فقال
 يا ابن المغيرة لو كان القوم عُدَاةً عُذْرًا كُنت قد أمكنتهم من نفسك ففرغ لها مطرف
 وقال صدقت وإله موسى وعيسى قال ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمقاتلته
 فطمع فيه وقال لهم إن أصبحتم فليأتته أحدكم فلبسوا أصبحوا بعث إليه سويداً
 وأمره بأمره فجاء سويد حتى انتهى إلى باب مطرف فكنث أنا المستأذن له فلما
 دخل وجلس أردت أن أنصرف فقال لي مطرف اجلس فليس دونك ستر
 فجلست وأنا يومئذ شاب أغيد فقال له سويد من هذا الذى ليس لك دونه ستر
 فقال له هذا الشريف الحبيب هذا ابن مالك بن زهير بن جذيمة فقال له بخ
 أكرمت فاربط إن كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل ثم أقبل على فقال إنا
 لقينا أمير المؤمنين بالذى ذكرت لنا فقال لنا القوه فقولوا له ألسنت تعلم أن
 اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأى رشيد فقد مضت به السنة بعد
 الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا قال لكم نعم فقولوا له فانا قد اخترنا لأنفسنا أرضانا
 فينا وأشدنا اضطلا عما حمل فمالم يغير ولم يُبدل فهو ولى أمرنا وقال لنا
 قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت إن العرب إذا علت
 أنكم إنما تريدون بهذا الأمر قريشا كان أكثر لتبعكم منهم فإن أهل الحق
 لا ينقصهم عند الله أن يقلوا ولا يزيد الظالمين خيراً أن يكثرُوا وإن تركنا
 حقنا الذى خرجنا له ودخلنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئة وعجز
 ورخصة إلى نصر الظالمين ووهن لأننا لا نرى أن قريشاً أحق بهذا الأمر من غيرها
 من العرب فقال له فان زعم أنهم أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا
 له ولم ذاك فان قال لقراءة محمد صلى الله عليه وسلم بهم فقل له فوالله ما كان ينبغي إذا
 لا سلافنا الصالحين من المهاجرين الأولين أن يتولوا على أسرة محمد ولا على ولد
 أبى لهب لو لم يبق غيرهم ولولا أنهم علموا أن خير الناس عند الله أتقاهم وأن

أولام بهذا الأمر أقيم وأفضلهم فيهم وأشدّهم اضطلاعا بحمل أمورهم ماتوا
 أمور الناس ونحن أول من أنكر الظلم وغير الجور وقاتل الأحزاب فان تبعنا
 فله مالنا وعليه ما علينا وهو رجل من المسلمين وإلا يفعل فهو كبعض من تُعادي
 وتقاتل من المشركين فقال له مطرف قد فهمت ماذا كنت أرجع يومك هذا
 حتى تنظر في أمرنا فرجع ودعا مطرف رجالا من أهل ثقاته وأهل نصابه منهم
 سليمان بن حذيفة المزني والربيع بن يزيد الأسدي قال النضر بن صالح وكنت أنا
 ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة قائمين على رأسه بالسيف وكان على حرسه
 فقال لهم مطرف يا هؤلاء إنكم نصحاى وأهل مودتى ومن أثق بصلاحي وحسن
 رأيه والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارها أنكرها بقلبي وأغبرها ما استطعت
 بفعلى وأمرى فلما عظمت خطيئتهم ومرّ بي هؤلاء القوم يجاهدونهم لم أر أنه
 يسعى إلا مناهضتهم وخلافهم إن وجدت أعوانا عليهم ولانى دعوت هؤلاء
 القوم فقلت لهم كيت وكيت وقالوا الى كيت وكيت فليست أرى القتال معهم ولو
 تابعوني على رأيى وعلى ما وصفت لهم لخلعت عبد الملك والحجاج ولسرت إليهم
 أجاهدكم فقال له المزني إنهم لن يتابعوك وإنك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام
 ولا تظهره لاحد وقال له الأسدي مثل ذلك فجئنا مولاه ابن أبي زياد على
 ركبته ثم قال والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلفة واحدة وليزادن
 على كل كلفة عشرة أمثاله والله أن لو كنت فى السحاب هاربا من الحجاج ليلتمسن
 أن يصل إليك حتى يهلكك أنت ومن معك فالنجاء النجاء من مكانك هذا فان
 أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب وأهل عسكر شبيب يتحدثون
 بما كان بينك وبين شبيب ولا تمسى من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاج
 فاطلب دارا غير المدائن فقال له صاحبه ما ترى الرأى إلا كما ذكر لك قال
 لهما مطرف فما عندكما قالا الإجابة إلى مادعوتنا إليه والمؤاساة لك بأنفسنا
 على الحجاج وغيره ثم نظر إلى فقال ما عندك فقلت قتال عدوك والصبر معك
 ما صبرت فقال لى ذاك الظن بك قال ومكث حتى إذا كان فى اليوم الثالث أتاه

فغضب فقال له إن تابعتنا فأنت منا وإن أبيت فقد نابذناك فقال لآتبعجوا اليوم
فانا ننظر قال وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى توافوا
الديسكرة معي لحدث حدث هنالك ثم ادلج وخرج أصحابه معه حتى مرّ بدير يزدجرد
فنزله فلقية قبيصة بن عبد الرحمن القحافي من خشم فدعاه إلى صحبتته فصحبته فكساه
وحمله وأمر له بنفقة ثم سار حتى نزل الديسكرة ه فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد
بدا من أن يعلم أصحابه ما يريد فجمع إليه رؤوس أصحابه فذكر الله بما هو أهله
وصلى على رسوله ثم قال لهم أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وأمر بالعدل
والإحسان وقال فيما أنزل علينا تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الإثم والعُدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب وإني أشهد الله أني قد خلعت
عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف فمن أحبّ منكم صحبتي وكان على مثل
رأبي فليتابعني فإن له الأسوة وحسن الصحبة ومن أبى فليذهب حيث شاء فاني
لست أحبّ أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور أدعوكم إلى كتاب الله
وسنة نبيه وإلى قتال الظلمة فاذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شورى بين المسلمين
يرتضون لأنفسهم من أحبوا قال فوثب إليه أصحابه فبايعوه ثم إنه دخل رحله
وبعث إلى سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وإلى عبد الله بن كنانة النهدى فاستخلاهما
ودعاهما إلى مثل مادعا إليه عامة أصحابه فأعطياه الرضى فلما ارتحل انصرفا
بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجاج فوجداه قد نازل شيبا فشهدا معه
وقعة شبيب قال وخرج مطرف بأصحابه من الديسكرة موجهًا نحو حلوان
وقد كان الحجاج بعث في تلك السنة سويد بن عبد الرحمن السعدي على حلوان
وماه سُبْدان ه فلما بلغه أن مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرف
أنه إن رفق في أمره أو داهن لا يقبل ذلك منه الحجاج فجمع له سويد أهل البلد
والأكراد فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنية حلوان وخرج إليه سويد وهو يحب أن
يسلم من قتاله وأن يعافى من الحجاج فكان خروجه كالتعذير (قال أبو مخنف) فحدثني
عبد الله بن علقمة الخثعمي أن الحجاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف
من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم قال وكنت

فيهم فلحقناه بحلولان فكننا من شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن (قال أبو مخنف) وحدثني بذلك أيضا النضر (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة قال ما هو إلا أن قدمنا على مطرف بن المغيرة فسر بمقدمنا عليه وأجلس الحجاج بن جارية معه على مجلسه (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن سويدا لما خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت وقدم ابنه القعقاع في الخيل وما خيله يومئذ بكثير (قال أبو مخنف) قال النضر بن صالح أراهم كانوا مائتين وقال ابن علقمة أراهم كانوا ينقصون من الثلاثمائة قال فدعا مطرف الحجاج بن جارية فسرّحه إليهم في نحو من عديتهم فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادون في قتاله وهم فرسان متعالمون فلما رأهم سويد قد تيسروا نحو ابنه أرسل إليهم غلاما له يقال له رستم قتل معه بعد ذلك بدير الجاجم وفي يده راية بني سعد فانطلق غلامه حتى انتهى إلى الحجاج بن جارية فأسرّ إليه إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنا فإننا لا نريد قتالكم وإن كنتم إيانا تريدون فلا بد لنا من منع ما في أيدينا فلما جاءه بذلك قال له الحجاج بن جارية انت أميرنا فاذا كر له ما ذكرت لي فخرج حتى أتى مطرفا فذكر له مثل الذي ذكر للحجاج بن جارية فقال له مطرف ما أريدكم ولا بلادكم فقال له فالزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا فإننا لا نجد بدا من أن يرى الناس وتسمع بذلك أنا قد خرجنا إليك قال فبعث مطرف إلى الحجاج فأتاه ولزموا الطريق حتى مروا بالثنية فاذا الأكراد بها فنزل مطرف ونزل معه عامة أصحابه وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجاج بن جارية وفي الجانب الأيسر سليمان بن حذيفة فهزماهم وقتلهم وسلم مطرف وأصحابه فمضوا حتى دنوا من همدان فتركها وأخذ ذات اليسار إلى ماه دينار وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان فكره أن يدخلها فيئتهم أخوه عند الحجاج فلما دخل مطرف أرض ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة أما بعد فإن النفقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت فامدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب

مطرف ليلاً فلما رآه قال له ثكلتك أمك أنت قتلت مطرفاً فقال له ما أنا قتله
جُعلت فداك ولكن مطرفاً قتل نفسه وقتلني وليته لا يقتلك فقال له ويحك من
سؤل له هذا الأمر فقال نفسه سولت هذا له ثم جلس إليه فقص عليه القصص
وأخبره بالخبر ودفع كتاب مطرف إليه فقرأه ثم قال نعم وأنا باعث إليه بمال
وسلاح ولكن أخبرني ترى ذلك يخفى لي قال ما أظن أن يخفى فقال له حمزة فوالله
لئن أنا خذلته في أنفع النصيرين له نصر العلانية لا أخذه في أيسر النصيرين نصر
السريرة قال فسرّح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح فأقبل به حتى أتى مطرفاً
ونحن نزول في رستاق من رساتيق ماهدينار يقال له سامان متاخم أرض أصهبان
وهو رستان كانت الحمراء تنزله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح قال
والله ما هو إلا أن مضى يزيد بن أبي زياد فسمعت أهل العسكر يتحدثون أن
الأمير بعث إلى أخيه يسأله النفقة والسلاح فأتيت مطرفاً فحدثته بذلك فضرب
بيده على جبهته ثم قال سبحان الله قال الأول ما يخفى قال ما لا يكون قال وما هو
إلا أن قدم يزيد بن أبي زياد علينا فسار مطرف بأصحابه حتى نزل قم وقاشان
وأصهبان (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة أن مطرفاً حين نزل قم وقاشان
واطمان دعا الحجاج بن جارية فقال له حدثني عن هزيمة شبيب يوم السبخة
أكانت وأنت شاهداها أم كنت خرجت قبل الواقعة قال لا بل شهدتها قال فحدثني
حديثهم كيف كان فحدثه فقال إني كنت أحب أن يظفر شبيب وإن كان ضالا
فيقتل ضالا قال فظننت أنه تمنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتم له الذي يطلب لو
هلك الحجاج قال ثم إن مطرفاً بعث عماله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن
صالح أن مطرفاً عمل عملاً حازماً لولا أن الأقدار غالبه قال كتب مع الربيع بن
يزيد إلى سويد بن سرحان الثقفي وإلى بكير بن هارون البجلي أما بعد فإننا ندعوكم
إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى جهاد من عند الحق واستأثر بالنبي وترك حكم
الكتاب فإذا ظهر الحق ودمغ الباطل وكانت كلمة الله هي العليا جعلنا هذا الأمر
شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضى فمن قبل هذا منا كان أخانا

في ديننا وولينا في محيانا ومماتنا ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه
 فكفى بنا عليه حجة وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غنا وبمداهنة الظالمين في أمر
 الله وهنا إن الله كتب القتال على المسلمين وسماه كرهاً ولن ينال رضوان الله
 إلا بالصبر على أمر الله وجهاد أعداء الله فأجيئوا رحمكم الله إلى الحق وادعوا
 إليه من ترجون إجابته وعرفوه ما لا يعرفه وليقبل إلى كل من رأى رأينا وأجاب
 دعوتنا ورأى عدوه عدونا أرشدنا الله وإياكم وتاب علينا وعليكم إنه هو التواب
 الرحيم والسلام فلما قدم الكتاب على ذينك الرجلين دبا في رجال من أهل الري ودعوا
 من تابعهما ثم خرجا في نحو من مائة من أهل الري سرّاً لا يفتن بهم فجاءوا حتى
 وافوا مطرفاً وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على أصبهان أما بعد فانه كان
 للأمير أصلحه الله حاجة في أصبهان وغير أصبهان فليبعث إلى مطرف جيشاً كثيراً
 يستأصله ومن معه فانه لا تزال عصابة قد انتفحت له من بلدة من البلدان حتى
 توافيه بمكانه الذي هو به فانه قد استكشف وكثر تبعه والسلام فكتب إليه
 الحجاج أما بعد إذا أتاك رسول فاعسكر بمن معك فاذا أمر بك عبدى بن وتاد فاخرج
 معه في أصحابك واسمع له وأطع والسلام فلما قرأ كتابه خرج فعسكر وجعل الحجاج
 ابن يوسف يروح إلى البراء بن قبيصة الرجال على دواب البريد عشرين عشرين
 وخمسة عشر خمسة عشر وعشرة عشرة حتى سرح إليه نحواً من خمسمائة وكان في
 ألفين وكان الأسود بن سعد الهمداني أتى الري في فتح الله على الحجاج يوم لقي
 شيبيا بالسبخة فربهمذان والجبال ودخل على حمزة فاعتذر إليه فقال الأسود
 فأبلغت الحجاج عن حمزة فقال قد بلغني ذاك وأراد عزله فخشي أن يكر به وأن يمتنع
 منه فبعث إلى قيس بن سعد العجلي وهو يومئذ على شرطة حمزة بن المغيرة ولبنى
 عجل وربيعة عدد بهمذان فبعث إلى قيس بن سعد بعهد على همدان وكتب إليه
 أن أرتق حمزة بن المغيرة في الحديد واحبسك قبلك حتى يأتيك أمرى فلما أتاه عهده
 وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير فلما دخل المسجد وافق الإقامة لصلاة
 العصر فصلى مع حمزة فلما انصرف حمزة انصرف معه قيس بن سعد العجلي صاحب

شُرطه فأقرأه كتاب الحجاج اليه وأراه عهده فقال حمزة سمعوا وطاعة فأوثقه وحبسه في السجن وتولى أمرهمذان وبعث عماله عليها وجعل عماله كلهم من قومه وكتب إلى الحجاج أما بعد فإنني أخبر الأمير أصلحه الله أني قد شددت حمزة بن المغيرة في الحديد وحبسته في السجن وبعثت عمالي على الخراج ووضعت يدي في الجباية فان رأى الأمير أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي ومن أطاعني من أهل بلادى فإنني أرجو أن يكون الجهاد أعظم أجراً من جباية الخراج والسلام فلما قرأ الحجاج كتابه ضحك ثم قال هذا جانب آخر أما قد أمناه وقد كان مكان حمزة بهمذان أثقل ما خلق الله على الحجاج مخافة أن يمدأخاه بالسلح والمال ولا يدرى لعله يبدو له فيعق فلم يزل يكيدته حتى عزله فاطمأن وقصد قصد مطرف (قال أبو مخنف) فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة أن الحجاج لما قرأ كتاب قيس بن سعد العجلي وسمع قوله إن أحب الأمير سرت اليه حتى أجاهده في قومي قال ما أبغض إلى أن تكثر العرب في أرض الخراج قال فقال لي ابن الغرق ما هو الا أن سمعتها من الحجاج فعلبت أنه لو قد فرغ له قد عزله قال وحدثني النضر بن صالح أن الحجاج كتب إلى عدى بن وتاد الإيادى وهو على الرى يأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبالمعر على البراء بن قبيصة فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس (قال أبو مخنف) وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير عن عبد الله بن سليم الأزدي قال إني لجالس مع عدى بن وتاد على مجلسه بالرى إذ أتاه كتاب الحجاج فقرأه ثم دفعه إلى فقرأته فإذا فيه أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فانفض بثلاثة أرباع من معك من أهل الرى ثم أقبل حتى تمر بالبراء بن قبيصة بجى ثم سيرا جميعا فإذا التقيتما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفا فإذا كفى الله المؤمنين مؤنته فانصرف إلى عمك في كنف من الله وكلايته وستره فلما قرأته قال لي قم وتجهز قال وخرج فعسكر ودعا الكتاب فضربوا البعث على ثلاثة أرباع الناس فامضت جمعة حتى سرنا فانتبهنا إلى جى ويوافينا بها قبيصة القحافى في تسعمائة من أهل الشام فيهم عمر بن هبيرة قال ولم نلبث بجى إلا يومين حتى نهض عدى بن وتاد بمن أطاعه

من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الرى وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه الحجاج من الكوفة وسبعائة من أهل الشام ونحو من ألف رجل من أهل أصبهان والآخراد فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة (قال أبو مخنف) فحدثني النصر بن صالح عن عبد الله بن علقمة أن مطرفاً لما بلغه مسيرهم إليه خندق على أصحابه خندقاً فلم يزلوا فيه حتى قدموا عليه (قال أبو مخنف) وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير قال كنت مع مولاى إذ ذاك قال خرج عدى بن وتاد فعبى الناس فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير ثم قال للبراء بن قبيصة قم في الميسرة فغضب البراء وقال تأمرني بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك تلك خيلي في الميسرة وقد بعثت عليها فارس مضر الطفيل بن عامر ابن وائلة قال فأنهى ذلك إلى عدى بن وتاد فقال لابن أقيصر الحثعمي انطلق فأنت على الخيل وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له إنك قد أمرت بطاعتي ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرجالة في شيء إنما عليك أن تؤمر فتطيع ولا تعرض لي في شيء أكرهه فأتى بكرلك وقد كان له مكر ما ثم إن عدياً بعث على الميسرة عمر بن هبيرة وبعثه في مائة من أهل الشام فجاء حتى وقف برايته فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر خلّ رايتهك وتنعّ عنا فإنما نحن أصحاب هذا الموقف فقال الطفيل إني لأخاصمكم إنما عقد لي هذه الراية البراء بن قبيصة وهو أميرنا وقد علمنا أن صاحبكم على جماعة الناس فإن كان قد عقد لصاحبكم هذا فبارك الله له ما سمعنا وأطوّا فقال لهم عمر بن هبيرة مهلاً كفوا عن أخيك وابن عمكم رايتهما رايتهك فإن شئت آثرناك بها قال فما رأينا رجلين كانا أحلم منهما في موقفهما ذلك قال ونزل عدى بن وتاد ثم زحف نحو مطرف (قال أبو مخنف) فحدثني النصر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن مطرفاً بعث على ميمنته الحجاج بن جارية وعلى ميسرته الربيع بن يزيد الأسدي وعلى الحامية سليمان بن صخر المزني ونزل هو يمشى في الرجال ورايته مع يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة قال فلما زحف القوم بعضهم إلى بعض وتدانوا قال لبكير بن هارون البجليّ أخرج

إليهم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه وبكثرتهم بأعمالهم الحبيثة فخرج إليهم بكير
ابن هارون على فرس له أدم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر والساعدان في يده
الرح وقد شد درعه بعصابة حمراء من حواشي البرود فنادى بصوت له عال رفيع
يا أهل قبلتنا وأهل ملتنا وأهل دوتنا إنا نسألكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي
عليه بما تُسرون مثل علمه بما تُعلنون لما أنصفتُمونا وصدقتمونا وكانت
فصحتكم لله لا لخلقه وكنتم شهداء الله على عباده بما يعلمه الله من عباده خبروني
عن عبد الملك بن مروان وعن الحجاج بن يوسف أستم تعلونهما جبارين مستأثرين
يتبعان الهوى فيأخذان بالظنة ويقتلان على الغضب قال فتنادوا من كل جانب
يا عدو الله كذبت ليسا كذلك فقال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم
بعذاب وقد خاب من افتري ويلكم أو تعلمون الله ما لا يعلم إني قد استشهدتكم
وقد قال الله في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فخرج إليه صارم مولى عدى
ابن وتاد وصاحب رايته فحمل على بكير بن هارون البجلي فاضطربا بسيفيهما فلم
تعمل ضربة مولى عدى شيئا وضربه بكير بالسيف فقتله ثم استقدم فقال فارس
لفارس فلم يخرج إليه أحد فجعل يقول

صَارْمٌ قَدْ لَاقَيْتَ سَيْفًا صَارْمًا وَأَسَدًا ذَا لِبْدَةٍ ضَبَارِمًا

قال ثم إن الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في
الميسرة وفيها الطفيل بن عامر بن وائلة فالتقى هو والطفيل وكانا صديقين متواخين
فتعارفا وقدر فع كل واحد منهما السيف على صاحبه فكفأ أيديهما فاقتلوا طويلا
ثم إن ميسرة عدى بن وتاد زالت غير بعيد وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه
ثم إن الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير فاقتلوا طويلا ثم إن جماعة
الناس حملت على الأسد فقتلته وانكشفت ميسرة مطرف بن المغيرة حتى انتهت
إليه ثم إن عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتله قتالا طويلا ثم
إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف وحمل ابن أقيصر الخثعمي في الخيل على سليمان
ابن صخر المزني فقتله وانكشفت خيلهم حتى انتهى إلى مطرف فثم اقتلت

الفرسان أشد قتال رآه الناس قط ثم إنه وصل إلى مطرف (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال ولم يزل يقاتل حتى قتل واحتز رأسه عمر بن هبيرة وذكر أنه قتله وقد كان أسرع إليه غير واحد غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده به عدى بن وتاد وحطى به وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاء حسنا (قال أبو مخنف) وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدي أنه قتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة وكان صاحب راية مطرف قال ودخلوا عسكر مطرف وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله ابن عفيف الأزدي فقتل وكان صالحا ناسكا عفيفا (قال أبو مخنف) حدثني زيد مولا أم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الحثعمي فاملكت نفسي أن قلت له أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيرا قال فأقبل نحوي وقال من أنت فقال له مولاى هذا غلامى ماله قال فأخبره بمقاتلى فقال إنه ضعيف العقل قال ثم انصرفنا إلى الرى مع عدى بن وتاد قال وبعث رجالا من أهل البلاء إلى الحجاج فأكرمهم وأحسن إليهم قال ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدى بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فأمنه وطلبت ثقيف لسويد ابن سرحان الثقفى الأمان فأمنه وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته فأمنهم وأحسن في ذلك وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحبط بهم في عسكر مطرف فنادوا يا براء خذنا الأمان يا براء اشفع لنا فشفع لهم فتركوا وأسرع عدى ناسا كثيرا فغلب عليهم (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بجلوان فأكرمه وأحسن إليه ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الحثعمى أتى الرى وكان مكتبه بها فطلب إلى عدى فيه فقال هذا رجل مشهور قد شهر مع صاحبه وهذا كتاب الحجاج إلى فيه (قال أبو مخنف) فحدثني أبي عن

عبد الله بن زهير قال كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف أما بعد فإن كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعدا له فذاك ما أهوى وأحب وإن كان حيا فاطلبه قبلك حتى توثقه ثم سرح به إلى إن شاء الله والسلام قال فقال لنا قد كتب إلى فيه ولا بد من السمع والطاعة ولولم يكتب إلى فيه آمنته لكم وكففت عنه فلم أطلبه وقتنا من عنده قال فلم يزل الحجاج بن جارية خائفا حتى عزل عدي بن وتاد وقدام خالد بن عتاب بن ورقاء فمشت إليه فيه فكلمته فأمنه وقال حبيب بن خدره مولى لبني هلال بن عامر

هل أتى فائد عن أيسارنا	إذ خَشِينَا من عَدُو خُرُقَا
إذ أتانا الخوف من مأمنا	فطَوِينَا في سواد أَقْصَا
وسلي هدية يوما هل رأث	بَشْرَا أَكْرَمَ منَا خُطْقَا
وسليها أعلى العهد لنا	أو يُصْرُونَ علينا خَنْقَا
ولكم من خلة من قبلها	قد صَرَمْنَا حَبْلَهَا فَانْطَلَقَا
قد أصبنا العيش عيشا ناعما	وأصبنا العيش عيشا رَنَقَا
وأصبت الدهر دهرًا أشتهى	طبَقَا منهُ وألوى طَبَقَا
وشهدت الخيل في ملمومة	ما ترى منهن إلا الحدَقَا
يتساقون بأطراف القنا	من نَجِيعِ الموت كَأَسَادِهَقَا
فطراد الخيل قد يؤنقني	ويرد اللهُو عني الأَنْقَا
بمشيع البيض حتى يتركوا	لُسيوفِ الهِنْد فيها طُرُقَا
وكأن من غدٍ وافقتها	مثل ما وافق شَنّ طَبَقَا

(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطرى بن الفجاءة مخالفه بعضهم واعتزله وبايع عبد رب الكبير وأقام بعضهم على بيعة قطرى ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذي من أجله حدث

الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك

❦ ذكر هشام عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد أن المهلب أقام بسابور

فقاتل قطرياً وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن
عسكره نحواً من سنة ثم إنه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم قتالاً شديداً وكانت
كرمان في أيدي الخوارج وفارس في يد المهلب فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذي
هم به لا يأتهم من فارس مادة وَبَعْدَ دِيَارِهِمْ عَنْهُمْ خَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا كِرْمَانَ
وَتَبِعَهُمُ الْمُهَلَّبُ حَتَّى نَزَلَ بِحَيْرَةَ وَجِيفَتْ مَدِينَةُ كِرْمَانَ فَقَاتَلَهُمْ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ
سَنَةٍ قِتَالاً شَدِيداً وَحَازَهُمْ عَنْ فَارَسٍ كُلِّهَا فَلَمَّا صَارَتْ فَارَسُ كُلِّهَا فِي يَدِ الْمُهَلَّبِ
بَعَثَ الْحَجَّاجُ عَلَيْهَا عَمَالَهُ وَأَخَذَهَا مِنَ الْمُهَلَّبِ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ
أَمَّا بَعْدَ فَدَّخْ يَدَ الْمُهَلَّبِ خَرَجَ جِبَالُ فَارَسٍ فَإِنَّهُ لَا يَدُ لِلْجَيْشِ مِنْ قُوَّةٍ وَلِصَاحِبِ
الْجَيْشِ مِنْ مَعُونَةٍ وَدَعَّ لَهُ كُورَةَ فَسَاوَدَ رَأْبَجَرْدَ وَكُورَةَ اصْطَخَرَ فَرَكَهَا لِلْمُهَلَّبِ
فَبَعَثَ الْمُهَلَّبُ عَلَيْهَا عَمَالَهُ فَكَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ عَلَى عَدُوِّهِ وَمَا يَصْلُحُهُ فِي ذَلِكَ يَقُولُ
شَاعِرُ الْأَزْدِ وَهُوَ يَعَاتِبُ الْمُهَلَّبَ

نَقَاتِلْ عَنْ قُصُورِ دِرَاجَرْدٍ وَنَجِيٍّ لِلْغَيْرَةِ وَالرُّقَادِ

وكان الرقاد بن زياد بن همام رجل من العتيك كريماً على المهلب وبعث
الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة وكتب إلى المهلب أما بعد فإنك والله لو شئت
فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل
الأرض حولك وقد بعثت إليك البراء بن قبيصة لينهضك إليهم فانهض إليهم إذا
قدم عليك بجميع المسلمين ثم جاهدكم أشد الجهاد وإياك والعِلَلُ والأباطيل والامور
التي ليست لك عندي بسائغة ولا جائزة والسلام فأخرج المهلب بنه كل ابن له
في كتيبة وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وأخماسهم وجاء البراء بن قبيصة
فوقفه على تل قريب منهم حيث يراهم فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب
والرجال على الرجال فيقتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف
النهار ثم انصرفوا فجاء البراء بن قبيصة إلى المهلب فقال له لا والله ما رأيت كبيدك
فرساناً قط ولا كفرسانك من العرب فرساناً قط ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك
قط أصبر ولا أبأس أنت والله المعذور فرجع بالناس المهلب حتى إذا كان عند

العصر خرج إليهم بالناس وبنيه في كتابتهم قاتلوه قتلهم في أول مرة (قال أبو مخنف) وحدثني أبو المغلس الكنانى عن عمه أبي طلحة قال خرجت كتيبة من كتابتهم لكتيبة من كتابتنا فاشتديينهما القتال فأخذت كل واحدة منهما لاتصد عن الأخرى فاقتلتا حتى حجز الليل بينهما فقالت إحداهما للأخرى بمن أنتم فقال هؤلاء نحن من بني تميم وقال هؤلاء نحن من بني تميم فانصرفوا عند المساء قال المهلب للبراء كيف رأيت قال رأيت قوما والله ما يعينك عليهم إلا الله فأحسن إلى البراء بن قبيصة وأجازه وحمله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم انصرف إلى الحجاج فأناؤه بعذر المهلب وأخبره بما رأى وكتب المهلب إلى الحجاج أما بعد فقد أتاني كتاب الأمير أصلحه الله واتهامه إياى في هذه الخارجة المارقة وأمرنى الأمير بالنهوض إليهم وإشهاد رسوله ذلك وقد فعلت فليساله عما رأى فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم أو إزالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين وما وفيت لأمر المؤمنين ولا نصحت للأمير أصلحه الله فمأذ الله أن يكون هذا من رأى ولا بما أدين الله به والسلام ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقل منهم شيئاً ولا يرى في موطن يُنقِعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردعونهم به ويكفونهم عنهم ثم إن رجلاً منهم كان عاملاً لقطرى على ناحية من كرمان خرج في سرية لهم يدعى المقطر من بني ضبة فقتل رجلاً قد كان ذا بأس من الخوارج ودخل منهم في ولاية فقتله المقطر فوثبت الخوارج إلى قطرى فدكروا له ذلك وقالوا أمكننا من الضبي فقتله بصاحبنا فقال لهم ما أرى أن أفعل رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه وهو من ذوى الفضل منكم والسابقة فيكم قالوا بلى قال لهم لا فوقع الاختلاف بينهم فولوا عبد رب الكبير وخلعوا قطرياً وبايع قطرياً منهم عصابة نحو من ربعمهم أو خمسهم فقاتلهم نحواً من شهر غدوة وعشية فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج أما بعد فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم فخلع عظمهم قطرياً وبايعوا عبد رب الكبير وبقيت عصابة منهم مع قطرى فهم يتاتل بعضهم بعضاً

غدوا وعشيا وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله
والسلام فكتب إليه أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها
فاذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا
فتكون مؤنتهم عليك أشد والسلام فكتب إليه أما بعد فقد بلغني كتاب الأمير
وكل ما فيه قد فهمت ولست أرى أن أقاتلهم ماداموا يقتل بعضهم بعضا
وينقص بعضهم عدد بعض فإن تمسوا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم وإن
اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضاً فأناهضهم على تفتيته ذلك وهم
أهون ما كانوا وأضعفه شوكة إن شاء الله والسلام فكف عنه الحجاج وتركهم
المهلب يقتلون شهراً لا يحرّكهم ثم إن قطر ياخرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبائع
عامتهم عبد رب الكبير فنهض إليهم المهلب فقاتلوه قتالاً شديداً ثم إن الله قتلهم
فلم ينج منهم إلا قليل وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا لأنهم كانوا يسبون المسلمين
وقال كعب الأشقرى والأشقر بطن من الأزدي ذكر يوم رام هرمز وأيام
سابور وأيام جيرفت

يا حفص إني عداني عنكم السفر
علقت يا كعب بعد الشيب غائبة
أتمسك أنت عنها بالذي عهدت
علقت خوذاً بأعلى الطّف منزلها
دُرماً منّا كِبها رِيّاً ما كَبها
وقد تركتُ بِشَط الزَّابِين لها
واختَرْتُ داراً بها حتى أُسرَ بهم
لما نَبَتَ بي بِلاَدِي سِرْتُ مُتَجِعاً
أبا سعيد فإني جئت مُتَجِعاً
لولا المهلبُ ما زُرنا بلادهم
فما من الناس من حَيَّ عَليَتهم
وقد أرقْتُ فآذَى عَيْنِي السهرُ
والشيبُ فيه عن الأهواء مزْدَجُرُ
أم حَبَلها إذ نَأَتْكَ اليومَ مُبْتَرُ
في عُرقَةٍ دونها الأبواب والحجر
تَكَاد إذ نَهَضْتُ للشئ تَلَبَّيْتُ
داراً بها يَسْعُدُ البَادُونَ والحضر
ما زال فيهم لمن نَخْتارُهُم خَيْرُ
وَطالِبُ الخَيْر مُرْتادٌ ومُتَظَرُ
أرْجُو نَوَالِكَ لَمَّا مَسَّنِي الضَّرَرُ
مادامت الأرض فيها الماء والشجرُ
إلا يُرَى فيهم من سَيِّكم أثرُ

أَحْيَيْتَهُمْ بِسَجَالٍ مِنْ تَدَاكَ كَمَا
إِنِّي لَأَرْجُو إِذَا مَا فَاقَتْ نَزَلَتْ
فَاجِبِرْ أَخَاكَ أَوْ هِيَ الْفَقْرُ قُوَّتُهُ
جَفَا ذَوُو نَسَبِي غَنَى وَأَخْلَفَنِي
يَا وَاهِبَ الْقَيْنَةِ الْحَسَنَاءِ سُلتَهَا
وَمَا تَزَالُ بُدُورٌ مِنْكَ رَائِحَةٌ
نَمَّاكَ لِلْمَجْدِ أَمْلَاكٌ وَرِثَتُهُمْ
ثَارُوا بِقَتْلِي وَأَوْتَارُ تَعَدَّدُهَا
وَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ الْعَدُوُّ بِهِمْ
وَمَا تَجَاوَزَ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ
وَأَدْخَلَ الْخَوْفَ أَجْوَافَ الْبُيُوتِ عَلَى
وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْبَلَاؤُ وَحَلَّ بَنَا
نَظْلٌ مِنْ دُونِ خَفَضِ مُعْصِمِينَ بِهِمْ
كَأَنَّ نَهْزُونَ قَبْلَ الْيَوْمِ شَأْنَهُمْ
لَمَّا وَهَنَّا وَقَدْ حَلَمُوا بِسَاحَتِنَا
نَادَى أَمْرٌ لَا خِلَافَ فِي عَشِيرَتِهِ
أَفْشَى هُنَاكَ مِمَّا كَانَ مِنْ عَصَرُوا
تَلَبَّسُوا لِقِرَاعِ الْحَرْبِ بِزَنَاهَا
سَارُوا بِالْوَيْةِ لِلْمَجْدِ قَدْ رُفِعَتْ
حَتَّى إِذَا خَلَقُوا الْأَهْوَاذَ وَاجْتَمَعُوا
نَعِيُّ بَشِيرٍ لِحَالِ الْقَوْمِ وَانْصَدَعُوا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ بَنَا رَاضٍ بَبَيْعَتِهِ
حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِسَابُورِ الْجُنُودِ وَقَدْ
تَلَقَّى مَسَاعِيرَ أَبْطَالًا كَأَنَّهُمْ

تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَهَا الْمَطَرُ
فَضْلًا مِنْ اللَّهِ فِي كَفَيْكَ يَنْتَدِرُ
لَعَلَّهُ بَعْدَ وَهْيِ الْعَظِيمِ يَنْجِيرُ
ظَنَى فَلِلَّهِ دَرَى كَيْفَ آتَمِرُ
كَالشَّمْسِ هِرْكَوْلَةً فِي طَرْفِهَا فَتَرُ
وآخِرُونَ لَهُمْ مِنْ سَيْبِكَ الْغُرَرُ
ثُمَّ الْعَرَانِينَ فِي أَخْلَاقِهِمْ يَسَرُّ
فِي حِينٍ لَأَحْدَثُ فِي الْحَرْبِ يَتَنَرُ
فَمَا لَأَمْرِهِمْ وَرَدَّ وَلَا صَدَرُ
وَعَضَّتِ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَحَرُوا
مِثْلَ الدَّسَاءِ رِجَالٍ مَا بِهِمْ غَيْرُ
أَمْرٌ تُشَمَّرُ فِي أَمْثَالِهِ الْأَزْرُ
فَشَمَّرَ الشَّيْخُ لَمَّا أَعْظَمَ الْخَطَرُ
حَتَّى تَفَاقَمَ أَمْرٌ كَانَ يُحْتَقَرُ
وَاسْتَنْفَرَ النَّاسُ تَارَاتٍ فَمَا تَفَرُّوا
عَنْهُ وَلَيْسَ بِهِ فِي مِثْلِهِ قِصَرُ
فِيهِمْ صَنَائِعٌ مِمَّا كَانَ يُدْخَرُ
فَأَصْبَحُوا مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ قَدْ عَبَرُوا
وَتَحْتَنُّنَ لُيُوثٌ فِي الْوَعَا وَقُرُ
بِرَّامٍ هُرْمُزٍ وَأَقَامُوا بِهَا الْخَبْرُ
إِلَّا بَقَايَا إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذَكَرُوا
يَنْوِي الْوَفَاءَ وَلَمْ تَغْدُرْ كَمَا غَدَرُوا
شُبَّتْ لَنَا وَلَهُمْ نَارٌ لَهَا شَرَرُ
جَنْ نَقَارِعُهُمْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرُ

نُسْقَى وَنُسْقِيهِمْ سَمًا عَلَى حَتَقٍ
 قَتَلِي هُنَاكَ لَا عَقْلٌ وَلَا قَوْدٌ
 حَتَّى تَنْحُوا لَنَا عَنْهَا تَسْوِفُهُمْ
 لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ غَدَاةُ التَّلِّ كَيْدُهُمْ
 بَاتَتْ كَنَائِبُنَا تَرْدِي مُسَوِّمَةً
 هُنَاكَ وَلَوْ أَحْزَانًا بَعْدَ مَا فَرَحُوا
 عَبَّوْا جُنُودَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا
 وَقَدْ لَقَوْا مَضْدَنًا مِنَّا بِمَنْزِلَةٍ
 بَدَشَتْ بَارِيزَ يَوْمِ الشُّعْبِ إِذْ لَحِقَتْ
 لَا قَوْا كَتَبَ لَا يُخْلَوْنَ تُغَرِّمُهُمُ
 الْمُقَدِّمِينَ إِذْ مَا خِيلَهُمْ وَرَدَّتْ
 وَفِي جُبَيْرِينَ إِذْ صَفُّوا بِزَحْفِهِمْ
 وَاللَّهِ مَا نَزَلُوا يَوْمًا بِسَاحَتِنَا
 تَنْفِيهِمْ بِالْقَنَا عَنْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ
 وَلَوْ أَحْزَارًا وَقَدْ هَزَّوْا أَسِنَّاتَنَا
 صَلَّتْ الْجَبِينَ طَوِيلُ الْبَاعِ ذُرْقَرَحَ
 مُجَرَّبُ الْحَرْبِ مَيْمُونُ نَقِيبَتُهُ
 وَفِي ثَلَاثِ سَنِينَ يَسْتَدِيمُ بَنَا
 يَقُولُ إِنَّ غَدَاً مُبْدٍ لَنَاظِرَهُ
 دَعَا التَّابِعَ وَالْأَسْرَاعَ وَارْتَقَبُوا
 حَتَّى أَتَتْهُ أُمُورٌ عِنْدَهَا فَرْجٌ
 لَمَّا زَوَّاهُمْ إِلَى كَرْمَانَ وَانْصَدَعُوا
 سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الْمَوْجِ وَازْدَلَقُوا
 وَزَادَنَا حَقًّا قَتَلِي نَذَكْرُهَا

مُسْتَأْنِفِي اللَّيْلِ حَتَّى أَسْفَرَ السَّحَرُ
 مِنَّا وَمِنْهُمْ دِمَاءٌ سَفَكَهَا هَدَرُ
 مِنَّا لِيُوثَ إِذَا مَا أَقْدَمُوا جَسَرُوا
 عِنْدَ الطَّعَانِ وَلَا الْمَكْرَ الَّذِي مَكَّرُوا
 حَوْلَ الْمُهَلِّبِ حَتَّى نَوَّرَ الْقَمَرُ
 وَحَالَ دُونَهُمُ الْإِنْهَارُ وَالْجَدْرُ
 بِكَازَرُونَ فَمَا عَزَّوْا وَلَا ظَفَرُوا
 ظَنُّوا بِأَنْ يُنْصَرُوا فِيهَا فَمَا نُصِرُوا
 أَسَدَ بِسَفَكِ دِمَائِ النَّاسِ قَدْ زَرُّوا
 فِيهِمْ عَلَى مَنْ يَقَاسِي حَرْبَهُمْ صَعُرُ
 وَالْعَاطِفِينَ إِذَا مَا ضَيَّعَ الدَّبْرُ
 وَلَوْ أَحْزَابِيَا وَقَدْ فَلَّوْا وَقَدْ فُهِرُوا
 إِلَّا أَصَابَهُمْ مِنْ حَرْبِنَا ظَفَرُ
 تَرُوحُ مِنَّا مَسَاعِيرُ وَتَبْتَكَرُ
 نَحْوَ الْحُرُوبِ فَمَا نَجَّاهُمُ الْحَذَرُ
 ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ لَا وَاْنَ وَلَا غَمْرُ
 لَا يُسْتَخَفُّ وَلَا مَنْ رَأَى الْبَطْرُ
 يُقَارِعُ الْحَرْبَ أَطْوَارًا وَيَأْتِمُرُ
 وَفِي اللَّيَالِي وَفِي الْآيَامِ مُعْتَبَرُ
 إِنَّ الْمُحَارِبَ يَسْتَأْنِي وَيَنْتَظِرُ
 وَقَدْ تَبَيَّنَ مَا بَاتَى وَمَا يَذَرُ
 وَقَدْ تَقَارَبَتِ الْآجَالُ وَالْقَدَرُ
 وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ يَتَنَامِرُ
 لَا تَسْتَفِيقُ عَيُونُ كُلِّهَا ذِكْرُهَا

إذا ذكرنا جرؤنا والذين بها
 تأتي علينا خزازات النفوس فما
 ولا يُقيلوننا في الحرب عثرتنا
 لا عذر يُقبل منا دون أنفسنا
 صفان بالقاع كالطودين بينهما
 على بصائر كل غير تاركها
 يمشون في البيض والأبدان إذ وردوا
 وشيخنا حوله منا مُلئمة
 في موطن يقطع الأبطال منظره
 مازال منا رجال ثم نضربهم
 وباد كل سلاح يُستعان به
 ندوسهم بعناجيج جُحَفة
 يغشيان قتلى وعقرى ما بها رمق
 قتلى بقتلى قصاص يُستقاد بها
 مجاورين بها خيلاً معقرة
 في معرك تحسب القتلى بساحته
 وفي مواطن قبل اليوم قد سلفت
 في كل يوم تلاقى الأزد مفضطة
 والأزد قومي خيار القوم قد علموا
 فيهم معاقل من عز يلاذ بها
 حتى بأسيا فيهم ييغون بجدهم
 لولا المهلب للجيش الذي وردوا
 إنا اعتصمنا بحبل الله إذ جحدوا
 جاروا عن القصد والإسلام واتبعوا
 قتلى مضى لهم حولان ما فسروا
 نبقى عليهم وما يُيقون إن قدروا
 ولا نقيلهم يوماً إذا عثروا
 ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا
 كالبرق يلبغ حتى يشخص البصر
 كلاً الفريقين تتلى فيهم السور
 مشى الزوامل تهدي صفهم زمر
 حتى من الأزد فيما نابهم صبر
 تشاط فيه نفوس حين تبكر
 بالمشرفي ونار الحرب تستعر
 في حومة الموت إلا الصارم الذكر
 وبيننا ثم من صم القنا كسر
 كأنما فوقها الجادى يُعصر
 تشفى صدور رجال طالما وتروا
 للطير فيها وفي أجسادهم جرد
 أعجاز نخيل زفته الريح ينقر
 قد كان للأزد فيها الحمد والظفر
 يشيب في ساعة من هولها الشعر
 إذا قرومهم يوم الوغى خطروا
 يوماً إذا شمرت حرب لها درر
 إن المكارم في المكروه تبتدر
 أنهار كرمان بعد الله ما صدروا
 بالمحكّمات ولم نكفر كما كفروا
 ديناً يخالف ما جاءت به النذر

وقال الطفيل بن عامر بن وائلة وهو يذكر قتل عبد ربّ الكبير وأصحابه
وذهب قطريّ في الأرض واتباعهم لياه ومراوغته إياهم :

لقد مَسَّ منا عبد ربّ وجنّده عقابٌ فأَمسى سَبِيهُم في المقاسم
سما لهم بالجيش حتى أَزَاحَهُم بكرمانَ عن مَثْوَى من الأرض ناعم
وما قَطَرَى الكُفْرَ إلا نَعَامَةً طريدٌ يدَوِي ليله غيرَ نائمٍ
إذا فرّ منا هاربًا كان وَجْهُهُ طريقاً سوى قصدِ الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرارُ وإن جَرَتْ به الفلكُ في لجج من البحرِ دائمٍ
(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة كانت هلكة قطريّ وعبيدة بن هلال

وعبد ربّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة

ذكر سبب مهلكهم

وكان سبب ذلك أن أمرَ الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشبّت
بالاختلاف الذي حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّ الكبير وبعضهم
مع قطريّ وهي أمرُ قطريّ توجه يريد طبرستان وبلغ أمره الحجاج فوجه
فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن يونس بن يزيد سفيان بن الأبرد ووجه معه
جيشاً من أهل الشام عظيمًا في طلب قطريّ فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم
وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد بن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة
بطبرستان أن اسمع وأطع لسفيان فأقبل إلى سفيان فصار معه في طلب قطريّ
حتى لحقوه في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرّق عنه أصحابه ووقع عن
دابته في أسفل الشعب فتدهدى حتى خرّ إلى أسفله فقال معاوية بن محصن الكندي
رأيت حيث هوى ولم أعرفه ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن في الجمال
والبزازة وحسن الهيئة كما شاء ربك ما عدا عجوزاً فيهن حملت عليهن فصرقهن
إلى سفيان بن الأبرد فلبادنوت بهن منه انتحت لي بسيفها العجوز فتضرب به
عنقي فقطعت المنقر وقطعت جلدة من حلقى وأختلج السيف فأضرب بها وجهها
فأصاب قحف رأسها فوقعت ميتة وأقبلت بالفتيات حتى دفعتن إلى سفيان

ولانه ليضحك من العجوز وقال ما أردت إلى قتل هذه أخزاه الله فقلت أو ما رأيت أصلحك الله ضربتها إياي والله إن كادت لتقتلني قال قد رأيت فوالله ما ألو ملك على فعلك أبعدا الله ويأتي قطرياً حيث تدهدى من الشعب عالج من أهل البلد فقال له قطري اسقني من الماء وقد كان اشتد عطشه فقال أعطني شيئاً حتى أسقيك فقال ويحك والله مامعني إلا ما ترى من سلاحى فأنا مؤتيكه إذا أتيتني بماء قال لا بل أعطنيه الآن قال لا ولكن اتنى بماء قبل فانطلق العالج حتى أشرف على قطري ثم حذر عليه حجراً عظيماً من فوقه دَهِدَاهُ عليه فأصاب إحدى رجليه فأوهنته وصاح بالناس فأقبلوا نحوه والعالج حينئذ لا يعرف قطرياً غير أنه يظن أنه من أشرفهم لحسن هيئته وكمال سلاحه فدفع إليه نفر من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه منهم سورة بن أبجر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الأشعث وبادام مولى بني الأشعث وعمر بن أبي الصلت بن كناز مولى بني نصر بن معاوية وهو من الدهاقين فكل هؤلاء ادَّعَوْا قتله فدفع اليهم أبو الجهم ابن كنانة الكلبي وكلهم يزعم أنه قاتله فقال لهم ادفعوه إلى حتى تصطلحوا فدفعوه إليه فأقبل به إلى إسحاق بن محمد وهو على أهل الكوفة ولم يأت به جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك وكان لا يكلمه وكان جعفر مع سفيان بن الأبرد ولم يكن معه إسحاق كان جعفر على ربع أهل المدينة بالري فلما مرَّ سفيان بأهل الري انتخب فرسانهم بأمر الحجاج فسار بهم معه فلما أتى القوم بالرأس فاختموا فيه إليه وهو في يدي أبي الجهم بن كنانة الكلبي قال له امض به أنت ودع هؤلاء المختلفين فخرج برأس قطري حتى قدم به على الحجاج ثم أتى به عبد الملك بن مروان فألحق في ألفين وأعطى فلما يعني أنه يفرض للصغار في الديوان وجاء جعفر إلى سفيان فقال له أصلحك الله إن قطرياً كان أصاب والدي فلم يكن لي همٌ غيره فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادَّعَوْا قتله فسلهم ألم أكن أمامهم حتى بدرتهم فضربته ضربة فصرعته ثم جاؤني بعد فأقبلوا يضربونه بأسيا فهم فإن أقروا لي بهذا فقد صدقوا وإن أبوا فأنا أحلف بالله أني صاحبه وإلا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه وأنهم

لا يعرفون ما أقول ولا حق لي فيه قال جئت الآن وقد سرحنا بالرأس فانصرف عنه فقال لأصحابه أما والله إنك لا تخلق القوم أن تكون صاحبه ثم إن سفيان بن الأبرد أقبل منصرفاً إلى عسكر عبيدة بن هلال وقد تحصن في قصر بقوميس فحاصره فقاتله أياماً ثم إن سفيان بن الأبرد سار بنا إليهم حتى أحطنا بهم ثم أمر مناديه فنادى فيهم أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال :

لعمري لقد قام الأصم بخطبة لذي الشك منها في الصدور غليل
لعمري لئن أعطيت سفيان يبعثني وفارقت ديني إنسني لجهول
إلى الله أشكو ما ترى بجيادنا تساوك هزل نخه قليل
تعاورها القذاف من كل جانب بقوميس حتى صعبه ذلول
فإن يك أفتاها الحصار فربما تشحط فيما بينهن قتيل
وقد كن بما إن يقذن على الوجي لمن أبواب القباب صهيل
فحاصروهم حتى جهدوا وأكلوا دوابهم ثم انهم خرجوا إليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحجاج ثم دخل إلى دناوند وطبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الجاجم (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

ذكر سبب قتله لإياه

وكان سبب ذلك فيما ذكر على بن محمد عن المفضل بن محمد أن أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ولي بكيراً غزو ما وراء النهر وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان فتجهز للخروج إليها وأنفق نفقة كثيرة فوشى به إليه بحير بن ورقاء الصريمي على ما بينت قبل فأمره أمية بالمقام ه فلما ولاه غزو ما وراء النهر تجهز وتكلف الخيل والسلاح وأدان من رجال السغد وتجارهم فقال بحير لأمية إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه فأرسل إليه أمية أقم لعل أغزو فتكون معي فغضب بكير وقال كأنه يضارني وكان

عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير فلما أقام أخذه غرماؤه فحبس فأدى عنه بكير وخرج ثم أجمع أمية على الغزو قال فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ فاستعد الناس وتجهزوا واستخلف على خراسان ابنه زياداً وسار معه بكير فعسكر بكشماهن فأقام أياماً ثم أمر بالرحيل فقال له بحير إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير فلتكن في الساقة ولتحشر الناس قال فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر فقال له أمية اقطع يا بكير فقال عتاب اللقوة الغداني أصلح الله الأمير اعب ثم يعبر الناس بعدك فعبر ثم عبر الناس فقال أمية لبكير قد خفت أن لا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث فارجع إلى مرو فاكفنها فقد وليتكمها فزين ابني وقم بأمره فانتخب بكير فرساناً من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر ومضى أمية إلى بخارى على مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ثم طلبنا أميراً من قريش يجمع أمرنا فجاءنا أمير يلعب بنا يحولنا من سجن إلى سجن قال فما ترى قال أحرقت هذه السفن وامض إلى مرو فاخلع أمية وتقيم بمرو فأكلها إلى يوم ما قال فقال الأحنف بن عبد الله العنبري الرأي مارأي عتاب فقال بكير إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي فقال أتخاف عدم الرجال أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك هؤلاء الذين معك قال يهلك المسلمون قال إنما يكفيك أن ينادى مناد من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفاً من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عُدَّة وعدد ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع إلى مرو فأخذ ابن أمية فحبسه ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه وبلغ أمية فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ورجع فأمر باتخاذ السفن فاتخذت له وجمعت وقال لمن معه من وجوه تميم ألا تعجبون من بكير إني قدمت خراسان فخذرتة ورُفِعَ عليه وشكى منه وذكروا

أموالاً أصابها فأعرضت عن ذلك كله ثم لم أقتشه عن شيء ولا أحدًا من عماله ثم عرضت عليه شرطتي فأبى فأعفيته ثم وليته تُخذّرتة فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظرًا له ثم رددته إلى مرو وليته الأمر فكفر ذلك كله وكافأني بما ترون فقال له قوم أيها الأمير لم يكن هذا من شأنه إنما أشار عليه بإحراق السفن عتابُ اللقوة فقال وما عتاب وهل عتاب إلا دجاجة حاضنة فبلغ قوله عتابًا فقال عتاب في ذلك

إِنَّ الْخَوَاضِنَ تَلَقَّاهَا بِجَفْفَةٍ غُلِبَ الرِّقَابُ عَلَى الْمُنْسَوِيَةِ النَّجْبِ
تَرَكْتَ أَمْرَكَ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَوَرٍ وَجِئْتَنَا حُمُقًا يَا أَلَامَ الْعَرَبِ
لَمَّا رَأَيْتَ جِبَالَ السُّغْدِ مُعْرِضَةً وَلَيْتَ مُوسَى وَنُوحًا عَكُورَةَ الذَّنْبِ
وَجِئْتَ ذِيخًا مُغِذَا مَا تُكَلِّمُنَا وَطَرْتَ مَنْ سَعَفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْخَرْبِ
أُرِعِدْ وَعِيدَكَ إِنِّي سَوْفَ تَعْرِفُنِي تَحْتَ الْخَوَافِقِ دُونَ الْعَارِضِ اللَّجْبِ
يَحْبُ بِي مَشْرِفٌ عَارٍ نَوَاهِقُهُ يَغْشَى الْكِتَبَةَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْحَبِّ

قال فلما تهيأت السفن عبر أمية وأقبل إلى مرو وترك موسى بن عبد الله وقال اللهم إني أحسنت إلى بكير فكفر إحساني وصنع ما صنع اللهم اكفنيه فقال شماس ابن دثار وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم فغرامع أمية أيها الأمير اكفيكه إن شاء الله فقدّمه أمية في ثمانمائة فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر وسار إليه بكيرٌ ومعه مُدركُ بن أنيف وأبوه مع شماس فقال أما كان في تميم أحد يحاربني غيرك ولا مه فأرسل إليه شماس أنت ألوم وأسوء صليعا مني لم تف لأمية ولم تشكره صليعه بك قدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك قال فبيته بكير ففرق جمعه وقال لا تقتلوا منهم أحدا وخذوا سلاحهم فكانوا إذا أخذوا رجلا سلبوه وحلوا عنه ففترقوا ونزل شماس في قرية لطيفة يقال لها بُويته وقدم أمية فنزل كشماهن ورجع إليه شماس بن دثار فقدّم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة فلقيه بكير فأسر ثابتًا وفرق جمعه وخلي بكير سبيل ثابت ليدّ كانت له عنده قال فرجع إلى أمية فأقبل أمية في الناس فقاتله بكير وعلى شُرطة بكير أبو رستم الحليل بن أوس العبشمي

فأبلى يومئذ فنادوه يا صاحب شرطة عارمة وعارمة جارية بكير فأحجم فقال له
بكير لا أبالك لا يهذك نداء هؤلاء القوم فإن للعارمة فخلا يمنعها فقدم لواءك
فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط فنزل السوق العتيقة ونزل أمية بآسان
فكانوا يلتقون في ميدان يزيد فانكشفوا يوما فخام بكير ثم التقوا يوما آخر في
الميدان فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يسحبها وهريم يحميه فقال الرجل
اللهم أيدنا فأمدنا بالملائكة فقال له هريم أيها الرجل قاتل عن نفسك فإن الملائكة
في شغل عنك فتعامل ثم أعاد قوله اللهم أمدنا بالملائكة فقال هريم لتكفن عني
أولاد عنك والملائكة وحماه حتى ألحقه بالناس قال ونادى رجل من بني تميم
يا أمية يا فاضح قريش فألى أمية إن ظفر به أن يذبحه فظفر به فذبحه بين شرفتين
من المدينة ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطة على رأسه
وانتمى أنا ابن وشاح فحمل حريث بن قطة أخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف
أصحابه وأتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة فناداه أين يا بكير فكر عليه فضربه
حريث على رأسه فقطع المغفر وعض السيف برأسه فصرع فاحتمله أصحابه فأدخلوه
المدينة قال فكانوا على ذلك يقاتلونهم وكان أصحاب بكير يغدون متفضلين في ثياب
مصبغة وملاحف وأزر صفر وحر فيجلسون على نواحي المدينة يتحدثون وينادى
مناد من رمى بسهم رمينا إليه برأس رجل من ولده وأهله فلا يرميهم أحد قال
فأشفق بكير وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس فطلب الصلح وأحب ذلك
أيضا أصحاب أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة فقالوا لأمية صالحه وكان أمية يحب
العافية فصالحه على أن يقضى عنه أربعمئة ألف ويصل أصحابه ويؤليه أيضا أي
كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وإن رابه منه ريب فهو آمن أربعين
يوما حتى يخرج عن مرو فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك وكتب له كتابا على
باب سنجان ودخل أمية المدينة قال وقوم يقولون لم يخرج بكير مع أمية غازيا ولكن
أمية لما غزا استخلفه على مرو فخلعه فرجع أمية فقاتله ثم صالحه ودخل مرو
ووفي أمية لبكير وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن وأرسل

إلى عتاب اللقوة فقال أنت صاحب المشورة فقال نعم أصلح الله الأمير قال ولم
قال خف ما كان في يدي وكثر ديني وأعديت على غرماي قال ويحك فضربت
بين المسلمين وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدو وما خفت الله قال قد كان
ذلك فاستغفر الله قال كم دينك قال عشرون ألفا قال تكف عن غش المسلمين
وأقضى دينك قال نعم جعلني الله فداك قال فضحك أمية وقال إن ظني بك غير
ما تقول وسأقضى عنك فأدى عنه عشرين ألفا وكان أمية سهلا ليناسخيا لم يعط
أحد من عمال خراسان بها مثل عطايه قال وكان مع ذلك ثقيلًا عليهم كان فيه زهو
شديد وكان يقول ما أكتفى بخراسان وسجستان لمطبخي وعزل أمية بحيرا عن
شرطته وولاهها عطاء بن أبي السائب وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير
وصفحه عنه فضرب عبد الملك بعثا إلى أمية بخراسان فتجاعل الناس فأعطى شقيق
ابن سليل الأسد جعالة رجلا من جرم وأخذ أمية الناس بالخراج واشتد
عليهم فيه فجلس بكير يوما في المسجد وعنده ناس من بني تميم فذكروا شدة أمية
على الناس فذمموه وقالوا سلط علينا الدهاقين في الجباية وبحير وضرار بن حصن
وعبد العزيز بن جارية بن قدامة في المسجد فنقل بحير ذلك إلى أمية فكذبه فأدعى
شهادة هؤلاء وأدعى شهادة مزاحم بن أبي المجرى السلمي فدعا أمية مزاحمًا فسأله
فقال إنما كان يمزح فأعرض عنه أمية ثم أتاه بحير فقال أصلح الله الأمير إن بكيرا
والله قد دعاني إلى خلعتك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان
فقال أمية ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل فأمنته ووصلته قال فأتاه بضرار بن
حصن وعبد العزيز بن جارية فشهد أن بكيرا قال لهما لو أطعتماني لقتلت هذا
القرشي المخنث وقد دعانا إلى الفتك بك فقال أمية أنتم أعلم وما شهدتم وما أظن
هذابه وإن تركه وقد شهدتم بما شهدتم عجز وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حرسه
عطاء بن أبي السائب إذا دخل بكير وبدل وشمر دل ابنا أخيه فنهضت فخذوهم
وجلس أمية للناس وجاء بكير وابنا أخيه فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل
وخرج الناس وخرج بكير فحبسوه وابن أخيه فدعا أمية ببكير فقال أنت القائل

كذا وكذا قال تثبت أصلحك الله ولا تسمعن قول ابن المحلوقة فخبسه وأخذ جاريته العارمة فخبسها وحبس الأحنف بن عبد الله العنبري وقال أنت ممن أشار على بكير بالخلع ه فلما كان من الغد أخرج بكير افشهد عليه بختيار وضرارو عبد العزيز ابن جارية أنه دعاهم إلى خلعه والفتك به فقال أصلحك الله تثبت فإن هؤلاء أعدائي فقال أمية لزياد بن عقبة وهو رأس أهل العالية ولا بن ولان العدوي وهو يومئذ من رؤساء بني تميم وليعقوب بن خالد الذهلي أتقتلونه فلم يجيبوه فقال لبيحير أتقتله قال نعم فدفعه إليه فهض يعقوب بن القعقاع الاعلم الأزدي من مجلسه وكان صديقا لبكير فاحتضن أمية وقال أذكرك الله أيها الأمير في بكير فقد أعطيته ما أعطيته من نفسك قال يا يعقوب ما يقتله إلا قومه شهدوا عليه فقال عطاء ابن أبي السائب الليثي وهو على حرس أمية خل عن الأمير قال لا تضربه عطاء بقائم السيف فأصاب أنفه فأدماه فخرج ثم قال لبيحير يا ببحير إن الناس أعطوا بكير أذمتهم في صلحه وأنت منهم فلا تخفر ذمتك قال يا يعقوب ما أعطيته ذمة ثم أخذ ببحير سيف بكير الموصل الذي كان أخذه من إسوار الترجمان ترجمان ابن خازم فقال له بكير يا ببحير إنك تفرق أمر بني سعد إن قتلتني فدع هذا القرشي يلى مني ما يريد فقال ببحير لا والله يا ابن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما دمنا حيين قال فشاء بكير يا ابن المحلوقة فقتله وذلك يوم جمعة وقتل أمية ابن أخى بكير ووهب جارية بكير العارمة لبيحير وكلم أمية في الأحنف بن عبد الله العنبري فدعا به من السجن فقال وأنت ممن أشار على بكير وشتمه وقال قد وهبتك لهؤلاء قال ثم وجه أمية رجلا من خزاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم فقتله عمرو بن خالد بن حصن السكلابي غيلة فتفرق جيشه فاستأمن طائفة منهم موسى فصاروا معه ورجع بعضهم إلى أمية (وفي هذه السنة) عبر النهر نهر بلخ أمية للغزو فحوصر حتى جهده هو وأصحابه ثم نجحوا بعد ما أشرفوا على الهلاك فانصرف والذين معه من الجند إلى مرو وقال عبد الرحمن ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يهجو أمية

ألا أبلغ أمية أن سيجزى ثواب الشر إن له ثوابا

وَمَنْ يَنْظُرْ عِتَابَكَ أَوْ يَرُدَّهُ فَلَسْتُ بِناظِرٍ مِنْكَ الْعِتَابَا
 مَحَالُ الْمَعْرُوفِ مِنْكَ خِلَالُ سُوءٍ مُنَحْتٍ صَنِيعَهَا بَابًا فَبَابًا
 وَمَنْ سَمَّاكَ إِذْ قَسَمَ الْأَسَامِي أُمِيَّةٌ إِذْ وُلِدَتْ فَقَدْ أَصَابَا

(قال أبو جعفر) وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد رضي الله عنه وحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال حج أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين سنة ٧٦ وسنة ٧٧ وقد قيل أن هلاك شبيب كان في سنة ٧٨ وكذلك قيل في هلاك قطري وعبيدة بن هلال وعبد رب الكبير وغزا في هذه السنة الصائفة الوليد

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة
 فمن ذلك عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه
 خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف فلما ضم ذلك إليه فرق فيه عماله
 ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان
 وذكر السبب في توليته من ولاه ذلك وشيئا منه

(ذكر) أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخص من الكوفة إلى البصرة واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل وقد قيل إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ثم عزله وجعل مكانه المغيرة ابن عبد الله فقدم عليه المهلب بها وقد فرغ من الأزارقة فقال هشام حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي أن المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدم على الحجاج وذلك سنة ٧٨ فأجلسه ودعا بأصحاب البلاء من المهلب فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن إلا صدقه الحجاج بذلك فحملهم الحجاج وأحسن عطاياهم وزاد في أعطياتهم ثم قال هؤلاء أصحاب الفعّال وأحق

بالأموال هؤلاء حُماة الثغور وغيظ الأعداء (قال هشام) عن أبي مخنف قال
يونس بن أبي إسحاق قد كان الحجاج ولي المهلب سجستان مع خراسان فقال له المهلب
ألا أدلك على رجل هو أعلم بسجستان مني وقد كان ولي كابل وزابل وجبام وقاتلهم
وصالحهم قال له بلى فمن هو قال عبيد الله بن أبي بكرة ثم إنه بعث المهلب على خراسان
وعبيد الله بن أبي بكرة على سجستان وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن
خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وكان عاملاً لعبد الملك بن مروان لم يكن
للحجاج شيء من أمره حين بُعث على العراق حتى كانت تلك السنة فعزله
عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج فمضى المهلب إلى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة
إلى سجستان فمكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته فهذه رواية أبي مخنف عن
أبي المخارق وأما علي بن محمد فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن خراسان وسجستان جمعتا
للحجاج مع العراق في أول سنة ٧٨ بعد ما قتل الخوارج فاستعمل عبيد الله بن أبي بكرة
على خراسان والمهلب بن أبي صفرة على سجستان فكره المهلب سجستان فلقى
عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي وكان على شرطة الحجاج فقال إن الأمير
ولاني سجستان وولي ابن أبي بكرة خراسان وأنا أعرف بخراسان منه قد عرفتها
أيام الحكم بن عمرو الغفاري وابن أبي بكرة أقوى على سجستان مني فكلّم الأمير
يحوّلني إلى خراسان وابن أبي بكرة إلى سجستان قال نعم وكلم زاذان فروخ يُعيني
فكلّمه فقال نعم فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج وليت المهلب سجستان وابن أبي بكرة
أقوى عليها منه فقال زاذان فروخ صدق قال إنا قد كتبنا عهده قال زاذان فروخ
ما أهون تحويل عهده فحول ابن أبي بكرة إلى سجستان والمهلب إلى خراسان وأخذ
المهلب بألف ألف من خراج الأهواز وكان ولاها إياه خالد بن عبد الله فقال
المهلب لابنه المغيرة إن خالداً ولاني الأهواز وولاك اصطخر وقد أخذني الحجاج
بألف ألف فنصف علي ونصف عليك ولم يكن عند المهلب مال كان إذا عزل
استقرض قال فكلّم أباماوية مولى عبد الله بن عامر وكان أبو ماوية على بيت مال
عبد الله بن عامر فأسلف المهلب ثلثمائة ألف فقالت خيرة القشيرية امرأة المهلب

هذا لا ينفي بما عليك فباعته حلياً لها ومتاعاً فأكمل خمسمائة ألف. وحمل المغيرة إلى أبيه خمسمائة ألف فحملها إلى الحجاج ووجه المهلب ابنه خبيباً على مقدمته فأتى الحجاج فودعه فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء قال فصار حبيب على تلك البغلة حتى قدم خراسان هو وأصحابه على البريد فصار عشرين يوماً فلقاهم حين دخلوا حمل حطب فنفرت البغلة فتهجدوا منها ومن نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلم يعرض لأمية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة ٧٩ (وحيج) بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان أمير المدينة في هذه السنة أبان ابن عثمان وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وخليفته بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن أبي بكرة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة فيما قيل موسى بن أنس وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفنون من شدته فلم يغز في تلك السنة أحدٌ فيما قيل للطاعون الذي كان بهما وكثرة الموت (وفيها) فيما قيل أصابت الروم أهل أنطاكية (وفيها) غزا عبيد الله بن أبي بكرة رُتَيْبِيلَ ذكر الخبر عن غزوه إياه

(قال هشام) حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي قال لما ولي الحجاج المهلب خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة بسجستان مضى المهلب إلى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان وذلك في سنة ٧٨ فمكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته ثم لأنه غزا رُتَيْبِيلَ وقد كان مصلحاً وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً وربما امتنع فلم يفعل فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة أن تاجزه بمن معك من المسلمين

فلأترجع حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته وتسيب ذريته فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة وكان على أهل الكوفة شريح بن هاني الحارثي ثم الضبابي وكان من أصحاب علي وكان عبيد الله على أهل البصرة وهو أمير الجماعة فضى حتى وغل في بلاد رتبيل فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء وهدم قلاعاً وحصونا وغلب على أرض من أرضهم كثيرة وأصحاب رتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدینتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب وخلوهم والرساتيق فسقط في أيدي المسلمين وظنوا أن قد هلكوا فبعث ابن أبي بكرة إلى شريح بن هاني إني مصلح القوم على أن أعطيهم مالا ويخلوا بيني وبين الخروج فأرسل اليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم فلقبه شريح فقال إنك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عليكم في أعطياتكم قال لو منعنا العطاء ما حيننا كان أهون علينا من هلاكنا قال شريح والله لقد بلغت سنّاً وقد هلكت لذاتي ما تأتي على ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ولئن فاتتني اليوم ما أخالني مُدركها حتى أموت وقال يا أهل الاسلام تعاونا على عدوكم فقال له ابن أبي بكرة إنك شيخ قد خرف فقال شريح إنما حسبك أن يقال بُستان ابن أبي بكرة وحمّام ابن أبي بكرة يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فإلى فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلاً فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول :

أصبحتُ ذا بَثٍّ أفاسى الكِبَرَا قد عِشتُ بينَ المُشركينَ أدُصْرَا
ثُمَّ أدركتُ النَبِيَّ المُنْذِرَا وبعده صِدِّيقُهُ وعُمَرَا
ويومَ مِهْرانَ ويومَ تُسْتَرَا والجمْعَ في صِفِّينِهِم والنَّهْرَا
وبأُجْمِيزَاتٍ مع المَشَقَّرَا هِياتَ ما أطولَ هذا عُمَرَا

فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها فاستقبلهم من خرجوا اليهم من المسلمين بالأطعمة فاذا أكل أحدهم

وشبع ما ت فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤا وبلغ ذلك الحجاج فأخذه ما تقدم وما تأخر وبلغ ذلك منه كل مبلغ وكتب إلى عبد الملك أما بعد فإن جُند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل وقد اجتراً العدو بالذى أصابه على أهل الاسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجه اليهم جنداً كثيفاً من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأى أمير المؤمنين في ذلك فإن رأى لى بعثة ذلك الجند أمضيته وإن لم يرد ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده مع أنى أتخوف إن لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جندٌ كثيف عاجل أن يستولوا على ذلك الفرج كله (وفي هذه السنة) قدم المهلب خراسان أميراً وانصرف عنها أمية بن عبد الله وقيل استعفى شريح القاضي من القضاء في هذه السنة وأشار بأبي بردة بن ابن أبي موسى الأشعري فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة (وحج) بالناس في هذه السنة فيما حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر أبان ابن عثمان وكذلك قال الواقدي وغيره من أهل السير وكان أبان هذه السنة أميراً على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج وقيل إن المهلب كان على حربها وابنه المغيرة على خراجها وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الاحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة

(وفي هذه السنة) جاء فيما حدثت عن ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي سيل بمكة ذهب بالحجاج ففرقت بيوت مكة فسمى ذلك العام الجحاف لأن ذلك السيل جحف كل شيء مر به قال محمد بن عمر حدثني محمد بن رفاعة بن ثعلبة عن أبيه عن جده قال جاء السيل حتى ذهب بالحجاج يبطن مكة فسمى لذلك عام الجحاف

ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء يمر بهم مالا أحد فيهم حيلة وإنى
لأنظر إلى المساء قد بلغ الركن وجاوزه (وفي هذه السنة) كان بالبصرة طاعون
الجارف فيما زعم الواقدي (وفي هذه السنة) قطع المهلب نهرا بلغ فنزل على كش^٢
قد كر على بن محمد عن المفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل
على كش أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف
إلا أن أبا الأدهم كان يغني غناء الفين في البأس والتدبير والنصيحة قال فأتى المهلب وهو
نازل على كش ابن عم ملك الحنظل فدعاه إلى غزو الحنظل فوجه معه ابنه يزيد فنزل
في عسكره ونزل ابن عم الملك وكان الملك يومئذ اسمه السبل في عسكره على ناحية
فبيت السبل ابن عمه فكبر في عسكره فظن ابن عم السبل أن العرب قد غدروا به
وأنهم خافوه على الغدر حين اعتزل عسكرهم فأسر السبل فأتى به قلعته فقتله قال
فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبل فصالحوه على فدية حملوها إليه ورجع إلى
المهلب فأرسلت أم الذي قتله السبل إلى أم السبل كيف ترجين بقاء السبل بعد
قتل ابن عمه وله سبعة أخوة قد وترهم وأتت أم واحد فأرسلت إليها أن الأسد
تقل أولادها والخنازير كثير أولادها ووجه المهلب ابنه حبيبا إلى ربنجن فوافي
صاحب بخارى في أربعين ألفا فدعا رجل من المشركين المبارزة فبرز له جبلة
غلام حبيب فقتل المشرك وحمل على جمعهم فقتل منهم ثلاثة نفر ثم رجع ورجع
العسكر ورجع العدو إلى بلادهم ونزلت جماعة من العدو قرية فساار إليهم حبيب
في أربعة آلاف فقاتلهم فظفر بهم فأحرقها ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة ويقال
أن الذي أحرقها جبلة غلام حبيب قال فمكث المهلب سنتين مقيما بكش فقيل له
لو تقدمت إلى الشغد وما وراء ذلك قال ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه
الجند حتى يرجعوا إلى مرو سالمين قال وخرج رجل من العدو يوما فسأله البراز
فبرز إليه هريم بن عدى أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدها فوق البيضة
فانتهى إلى جدول فجاوله المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه فلامه المهلب وقال
لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عدوك عندى واتهم المهلب وهو بكش قوما

من مضر فحبسهم بها فلما قتل وصار صلح خلاهم فكتب اليه الحجاج إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فقال المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنت خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري ثم صالح المهلب أهل كش على فدية فأقام ليقبضها وأتاه كتاب ابن الأشعث بخام الحجاج ويدعوه الى مساعدته على خلعه فيبعث بكتاب ابن الأشعث الى الحجاج (وفي هذه السنة) وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك وقد اختلف أهل السير في سبب توجيهه اياه اليها وأين كان عبد الرحمن يوم ولاه الحجاج سجستان وحرب رتبيل فأما يونس ابن أبي اسحاق فيما حدث هشام عن أبي مخنف عنه فانه ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجاج بن يوسف بنخبر الجيش الذي كان مع عبيد الله بن بكرة في بلاد رتبيل ومالقوا بها كتب اليه أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأي من توجيه الجنود وامضائها الى ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون أو كفها فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشدا موقفا وكان الحجاج وائس بالعراق رجل أبغض اليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان يقول ما رأيته قط الا أردت قتله (قال أبو مخنف) فحدثني نمير ابن وعلة الهمداني ثم اليناعي عن الشعبي قال كنت عند الحجاج جالسا حين دخل عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فلما رآه الحجاج قال انظر الى مشيته والله لهمت أن أضرب عنقه قال فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرت على باب سعيد بن قيس السبيعي فلما انتهى الى قات ادخل بنا الباب اني أريد أن أحدثك حديثا هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج فقال نعم فأخبرته بمقالة الحجاج له فقال وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فأجهد الحهد إذ طال بي وبه بقاء ثم إن الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة وعشرين ألف رجل من أهل البصرة وجد في ذلك وشم

وأعطى الناس أعطياتهم كملاً وأخذهم بالخيول الروائع والسلاح الكامل وأخذ في عرض الناس ولا يرى رجلاً تُذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته فمَرَّ عبيد الله ابن أبي محجن الثقفي على عباد بن الحصين الحبطي وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي وهو يعرض الناس فقال عبادُ ما رأيت فرساً أرْوَع ولا أحسن من هذا وأن الفرس قوة وسلاح وأن هذه البغلة علنداء فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم ومر به عطية العنبري فقال له الحجاج يا عبد الرحمن أحسن إلى هذا فلما استتب له أمر ذينك الجندين بعث الحجاج عطار د بن عمر التميمي فمسكر بالاهواز ثم بعث عبيد الله بن حجر بن ذى الجشن العامري من بني كلاب ثم بدا له فبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وعزل عبيد الله بن حجر فأتى الحجاج عمه إسماعيل بن الأشعث فقال له لا تبعه فاني أخاف خلافه والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاية عليه طاعة وسلطاناً فقال الحجاج ليس هناك هولى أهيب وفي أرغب من أن يخالف أمرى أو يخرج من طاعتي فأمضاه على ذلك الجيش فخرج بهم حتى قدم سجستان سنة ٨٠ فجمع أهلها حين قدمها (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الزبير الأرحبي رجل من همدان كان معه أنه صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أن الأمير الحجاج ولاني ثغركم وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم وأباد خياركم فأياكم أن يتخلف منكم رجل فيحل بنفسه العقوبة اخرجوا إلى معسكركم فمسكروا به مع الناس فمسكر الناس كلهم في معسكرهم ووضعت لهم الأسواق وأخذ الناس بالجهاز والهيئة بآلة الحرب فبلغ ذلك رتبيل فكتب إلى عبد الرحمن بن محمد يعتذر إليه من مصاب المسلمين ويخبره أنه كان لذلك كارها وأنهم ألجؤه إلى قتالهم ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج فلم يجبه ولم يقبل منه ولم ينشب عبد الرحمن أن سار في الجنود إليه حتى دخل أول بلاده وأخذ رتبيل يضم إليه جنده ويدع له الأرض رستاقاً رستاقاً وحصناً حصناً وطفق ابن الأشعث كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً وبعث معه أعواناً ووضع البرد فيما بين كل بلد وبلد وجعل الأرصاد على العقاب

والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا حاز من أرضه أرضاً عظيمة وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة حبس الناس عن الوجود في أرض رتييل وقال نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها وتجترئ المسلمون على طرقها ثم تتعاطى في العام المقبل ما وراءها ثم لم نزل نتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وفي أقصى بلادهم ومنتع حصونهم ثم لا يزال بلادهم حتى يهلكهم الله ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو وبما صنع الله للمسلمين وبهذا الرأي الذي رآه لهم وأما غير يونس ابن أبي إسحاق وغير من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستان ومسيره إلى بلاد رتييل غير الذي رويت عن أبي مخنف وزعم ان السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه هميان بن عدي السدوسي إلى كرمان مسلحة لها ليد عامل سجستان والسندان احتاجا إلى مدد فقصى هميان ومن معه فوجه الحجاج بن الأشعث في محاربه فهزمه وأقام بموضعه ومات عبيد الله بن أبي بكره وكان عاملاً على سجستان فكتب الحجاج عهد ابن الأشعث عليها وجهز اليها جيشاً أنفق عليهم ألفي ألف سوى أعطياتهم كان يدعى جيش الطواويس وأمره بالإقدام على رتييل (وحج) بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان كذلك حدثني احمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي وقال بعضهم الذي حج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعلى خراسان المهلب بن أبي صفرة من قبل الحجاج وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وأغزى عبد الملك في هذه السنة ابنه الوليد

ثم دخلت سنة احدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

(ففي هذه السنة) كان فتح قاليقلا حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال أغزى عبد الملك سنة ٨١ ابنه عبيد الله بن عبد الملك ففتح قاليقلا (وفي هذه السنة) قتل بحير بن ورقاء الصريمي بخراسان

ذكر الخبر عن مقتله

وكان سبب قتله أن بحيرا كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله إياه بذلك فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلا من الأبناء من آل بكير بالوتر

لَعَمْرِي لَقَدْ أَغْضَيْتَ عَيْنًا عَلَى الْقَذَى
وَحَلَيْتَ نَارًا طُلَّ وَاخْتَرْتَ نَوْمَةً
فَلَوْ كُنْتَ مِنْ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ ذُوَابَةً
فَقُلْ لِبَحِيرٍ نِمٌ وَلَا تَخْشَ نَائِرًا
دَعِ الضَّانَ يَوْمًا قَدْ سُبِقْتُمْ ابْوَتْرِكُمْ
وَهَبُوا فَلَوْ أَمْسَى بِكَيْرٍ كَعَهْدِهِ

(وقال أيضا)

فَلَوْ كَانَ بَكْرٌ بَارِزًا فِي أَدَاتِهِ
فَفِي الدَّهْرِ إِنْ أَبْقَانِي الدَّهْرَ مَطَابُ

وبلغ بحيرا أن الأبناء يتوعدونه فقال

تَوَعَّدَنِي الْأَبْنَاءُ جَهْلًا كَأَنَّمَا
يَرَوْنَ فَنَائِي مُقْفِرًا مِنْ بَنِي كَعْبٍ

رَفَعْتُ لَهُ كَفِي بِحَدِّ مُهَنْدٍ
حَسَامُ كُلُّونِ الْمَلْعَذِ رَوَاقِ عَضْبٍ

فذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد أن سبعة عشر رجلا من بني عوف

ابن كعب بن سعد تعاقدوا على الطلب بدم بكير فخرج قتي منهم يقال له الشمر دل

من البادية حتى قدم خراسان فنظر إلى بحير واقفا فشد عليه قطعنه فصرعه فظن
 انه قد قتله وقال الناس خارجي^١ فراكضهم فعض فرسه فندر عنه فقتل ثم خرج
 صعصعة بن حرب العوفي ثم أحد بني جندب من البادية وقد باع غنياته له واشترى
 حمارا ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم وقال أنا رجل من
 بني حنيفة من أهل اليمامة فلم يزل يأتهم ويجالسهم حتى أنسوا به فقال لهم إن لي
 بخراسان ميراثا قد غلبت عليه وبلغني أن بحيرا عظيم القدر بخراسان فاكثبوا لي
 اليه كتابا يعينني على طلب حق فكتبوا اليه فخرج فقدم مرو والمهلب غازي قال
 فلتقي قوما من بني عوف فأخبرهم أمره فقام اليه مولى لبكير صَيِّقْل فَقَبَّلَ رأسه
 فقال له صعصعة اتخذ لي خنجرا فعمل له خنجرا وأحماه وغمسه في لبن أتان مرارا
 ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ فلتقى بحيرا
 بالكتاب وقال اني رجل من بني حنيفة كنت من أصحاب ابن أبي بكرة وقد ذهب
 مالي بسجستان ولي ميراث بمرو فقدمت لأبيعه وأرجع الى اليمامة قال فأمر له بنفقة
 وأنزله معه وقال له استعن بي على ما أحبت قال أقيم عندك حتى يقفل الناس فأقام
 شهرا أو نحوها من شهر يحضر معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به قال وكان بحير
 يخاف الفتك به ولا يأمن أحدا فلما قدم صعصعة بكتاب أصحابه قال هو رجل
 من بكر بن وائل فأمنه فجاء يوما وبحير جالس في مجلس المهلب عليه قميص ورداء
 ونعلان فقعده خلفه ثم دنا منه فأكب عليه كأنه كان يكلمه فوجأه بخنجره في
 خاصرته فغيبه في جوفه فقال الناس خارجي^٢ فنادى يالثرأت بكير أنا ثائر بيكير
 فأخذه أبو العجفاء ابن أبي الخرقاء وهو يومئذ على شرط المهلب فأتى به المهلب
 فقال له بؤسا لك ما أدركت بثأرك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد
 طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لمساتوا ولقد وجدت ريح بطنه في يدي فخبسه
 فدخل عليه السجن قوم من الأبناء فقبَّلوا رأسه قال ومات بحير من غد عند ارتفاع
 النهار فقيل لصعصعة مات بحير فقال اصنعوا بي الآن ما شئتم وما بدا لكم اليس
 قد حلت نذور نساء بني عوف وأدركت بثأري لأبالي ما لقيت أما والله لقد

أمكنني ما صنعت خالياً غير مرة فكرهت أن أقتله سرّاً فقال المهلب ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبحير فقال له أنس بن طلق ويحك قتل بحير فلا تقتلوا هذا فأبى وقتله فشتمه أنس وقال آخرون بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت فقال له أنس بن طلق العبد شقي يا بحير إنك قتلت بكيراً فاستحي هذا فقال بحير ادنوه متى لا والله لا أموت وأنت حي فأدنوه منه فوضع رأسه بين رجله وقال اصبر عفاق إنه شرباق فقال ابن طلق لبحير لعنك الله أكلك فيه وتقتله بين يدي فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير فقال المهلب إن الله وإنا إليه راجعون غزوة أصيب فيها بحير فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا علام قتل صاحبنا وإنما طلب بثأره فنازعهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس فقال أهل الحبي احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير بواءً بيكير فودوا صعصعة فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة

لله درّ قتي تجاوزَ همهُ دون العِراقِ مَقَاوِزًا وَبُحُورًا
ما زال يَذَابُ نَفْسُهُ وَيَكُدُّهَا حَتَّى تَتَاوَلَ فِي حُرُونٍ بِحِيرًا

قال وخرج عبد ربه الكبير أبو وكيع وهو من رهط صعصعة إلى البادية فقال لرهط بكير قتل صعصعة بطلبه بدم صاحبكم فودوه فأخذ لصعصعة ديتين (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجاج ومن معه من جند العراق وأقبلوا إليه لحربه في قول أبي مخنف وروايته لذلك عن أبي المخارق الراسبي وأما الواقدي فإنه زعم أن ذلك كان في سنة ٨٢

ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل من ذلك

وما كان من صنيعه بعد خلافة الحجاج في هذه السنة

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رتييل وكتابه إلى الحجاج بما كان منه هناك وبما عرض عليه من الرأي فيما يستقبل من أيامه في سنة ٨٠ ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة ٨١ في رواية أبي مخنف عن أبي المخارق

(ذكر هشام) عن أبي مخنف قال قال أبو المخارق الراسبي كتب الحجاج إلى عبد الرحمن ابن محمد جواب كتابه أما بعد فإن كتابك أتاني وفهمت ما ذكرت فيه وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح إلى المودعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً وغناؤهم في الإسلام عظيماً لعمر ك يا ابن أم عبد الرحمن إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندی وحدى لسخى النفس عن أصيب من المسلمين إني لم أعدد رأيك الذي زعمت أنك رأيته رأى مكيدة ولكني رأيت أنه لم يملك عليه إلا ضعفك والتيات رأيك فامض لما أمرتك به من الوجود في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريتهم ثم أردفه كتاباً فيه أما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليجروا وليقيروا فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم أردفه كتاباً آخر فيه أما بعد فامض لما أمرتك به من الوجود في أرضهم وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس نخله وماوليته فقال حين قرأ كتابه أنا أحمل ثقل إسحاق فعرض له فقال لا تفعل فقال ورب هذا يعني المصحف لئن ذكرته لأحد لاقتلك فظن أنه يريد السيف فوضع يده على قائم السيف ثم دعا الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني لكم أصح ولصالحكم محب ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوي أحلامكم وأولى التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأياً ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً وقد كتبت إلى أميركم الحجاج فجاءني منه كتاب يعتزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوجود بكم في أرض العدو وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتهم وأبى إذا أبيتم فثار إليه الناس فقالوا لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع (قال أبو مخنف) خدثني مطرف بن عامر بن وائلة الكنانى أن أباه كان أول متكلم يومئذ وكان شاعراً خطيباً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القاتل الأول إذ قال لأخيه أحمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك وإن نجافلك إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم

بلاداً كثيرة اللهب والصبوب فإن ظفرتهم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنهم ولا يبقى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن فإني أشهدكم أني أول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شعث بن ربيع التيمي ثانياً وكان على شرطته حين أقبل فقال عباد الله إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجرمكم تجمير فرعون الجنود فانه بلغنى أنه أول من جرّ البعوث ولن تعابنوا الاحبة فيما أرى أو يموت أكثركم بايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه فقال تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لى وجهاده معى حتى ينفيه الله من أرض العراق فبايعه الناس ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء (قال أبو مخنف) حدثني عمر بن دَرّ القاص أن أباه كان معه هنالك وأن ابن محمد كان ضربه وحبسه لا نقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فحملة وكساه وأعطاه فأقبل معه فيمن أقبل وكان قاصاً خطيباً (قال أبو مخنف) حدثني سيف بن بشر العجلي عن المنخل بن حابس العبدى أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بُسْت عياض بن هميان البكرى من بنى سدّوس بن شيان ابن ذهل بن ثعلبة وعلى زَرَنْج عبد الله بن عامر التيمي ثم الدارمى ثم بعث إلى رتييل فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً مابق وإن هُزم فأراد أن الجاه عنده (قال أبو مخنف) حدثني خُشَيْنَة بن الوليد العبسى أن عبد الرحمن لما خرج من سجستان مقبلاً إلى العراق سار بين يديه الأعشى على فرس وهو يقول

شَطَطَتِ نَوَى مَنْ دَارُهُ بِالْأَيَّانِ	أَيَّوَانِ كِسْرَى ذَى الْقَرَى وَالرَّيْحَانِ
مَنْ عَاشِقٍ أَمْسَى بِزَابُلِسْتَانِ	إِنْ ثَقِيفاً مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ
كَذَّابُهَا الْمَاضِى وَكَذَابُ ثَانِ	أَمْكَنَ رَبِّى مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانِ

يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَانِ
 حِينَ طَفَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالسَّيِّدِ الْغَضْرِيْفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 سَارَ بِجَمْعٍ كَالدَّبِّيِّ مِنْ قَحْطَانِ وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى ابْنَ عَدْنَانَ
 بِجَحْفَلٍ جَمَّ شَدِيدِ الْإِرْنَانِ فَقُلْ لِحِجَاجٍ وَلِيَ الشَّيْطَانِ
 يَثْبُتُ لِجَمْعٍ مَذْحِجٍ وَهَمْدَانِ فَإِنَّهُمْ سَاقُوهُ كَأْسَ الذِّيفَانِ
 وَمُلْحَقُوهُ بِقُرَى ابْنِ مَرْوَانَ

قال وبعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري وبعث الحجاج اليه الخيل فجعل لا يلتقي خيلا إلا هزمها فقال الحجاج من هذا ف قيل له عطية فذلك قول الأعشى
 فَإِذَا جَعَلْتَ دُرُوبَ فَارِسَ خَلْفَهُمْ دَرَبًا فَدَرَبًا
 فَأَبْعَثْ عَطِيَّةً فِي الْخَيْلِ لِيَكْبَهُنَّ عَلَيْكَ كَبًّا

ثم إن عبد الرحمن أقبل يسير بالناس فسأل عن أبي إسحاق السبيعي وكان قد كتبه في أصحابه وكان يقول أنت خالي ف قيل له ألا تأتيه فقد سأل عنك فكره أن يأتيه ثم أقبل حتى مر بكرمان فبعث عليهم خرشة بن عمرو التيمي ونزل أبو إسحاق بها فلم يدخل في فنته حتى كانت الجماجم ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا إلى عبد الرحمن فكان أول الناس (قال أبو مخنف) فيما حدثني أبو الصلت التيمي خلع عبد الملك بن مروان تيجان بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة فقام فقال أيها الناس إني خلعت أبا ذبيان كحلبي قيصي فخلعه الناس إلا قليلا منهم ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه وكانت بيعته تباعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلين فإذا قالوا نعم بايع فلما بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ويسأله أن يعجل بعثه الجنود اليه وبعث كتابه إلى عبد الملك يتمثل في آخره بهذه الأبيات وهي للبحارث بن وعلة

سَائِلُ يُجَاوِرَ جَزْمَ هَلْ جَنَيْتُ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجِيَرَةِ الْخُلُطِ
 وَهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَارٍ لَهُ لَجَبٌ جَمَّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرْطِ

وهل تركتُ نساءَ الحَيِّ ضاحيةً في ساحةِ الدارِ يَسْتَوْقِدَنَّ بِالغُبُطِ
 وجاء حتى نزل البصرة وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو بسجستان
 فكتب اليه أما بعد فانك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغي على أمة
 محمد صلى الله عليه وسلم الله فانظر لنفسك لا تهلكها ودماء المسلمين فلا تسفكها
 والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا تنكها فان قلت أخاف الناس على نفسي فالله
 أحق أن تخافه عليها من الناس فلا تعرضها لله في سفك دم ولا استحلال محرم
 والسلام عليك وكتب المهلب الى الحجاج أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا
 اليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ليس شيء يرده حتى ينتهي الى قراره وان
 لأهل العراق شرّة في أول مخرجهم وصبابة الى أبنائهم ونسائهم فليس شيء يردهم
 حتى يسقطوا الى أهلهم ويشموا أولادهم ثم واقفهم عندها فإن الله ناصرهم عليهم
 ان شاء الله فلما قرأ كتابه قال فعل الله به وفعل لا والله مالى نظر ولكن لابن عمه
 نصح ولما وقع كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث الى خالد بن
 يزيد بن معاوية ودعاه فأقرأه الكتاب ورأى ما به من الجزع فقال يا أمير المؤمنين ان
 كان هذا الحدث من قبل سمستان فلا تخفه وان كان من قبل خراسان تخوفته قال
 تخرج الى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أهل العراق طال عليهم عمري
 فاستعجلوا قدرى اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك فاذا بلغوا
 رضاك لم يجاوزوا الى سخطك ثم نزل وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن محمد وترك
 رأى المهلب وفرسان أهل الشام يسقطون الى الحجاج في كل يوم مائة وخمسون
 وعشرة وأقل على البرد من قبل عبد الملك وهو في كل يوم تسقط الى عبد الملك
 كتبه ورسله بنحبر ابن محمد أي كورة نزل ومن أي كورة يرتحل وأي الناس اليه
 أسرع (قال أبو مخنف) حدثني فضيل بن خديج ان مكتبه كان بكرمان وكان بها أربعة
 آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة فلما مر بهم ابن محمد بن الأشعث
 انجفلوا معه وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن الأشعث فسار بأهل الشام حتى
 نزل تستر وقدم بين يديه مطهر بن حر العكبي أو الجذامي وعبد الله بن رميثة

الطائي ومطهر على الفريقين فجاءوا حتى انتهوا الى دجيل وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلا له عليها عبد الله بن أبان الحارثي في ثلثمائة فارس وكانت مسلحة له وللجند فلما انتهى إليه مطهر بن حرّ أمر عبد الله بن رميثة الطائي فأقدم عليهم فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه وجرح أصحابه (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الزبير الحمداني قال كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال اعبروا إليه من هذا المكان فأقحم الناس خيولهم دجيل من ذلك المكان الذي أمرهم به فوالله ما كان بأسرع من أن عبر عظم خولنا فما تكاملت حتى حملنا على مهر بن حرّ والطائي فهزمناهما يوم الأضحي في سنة ٨١ وقتلناهم قتلا ذريعا وأصبنا عسكرهم وأتت الحجاج الهزيمة وهو يخطب فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجس فأخبره بهزيمة الناس فقال أيها الناس ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند ثم انصرف راجعا وتبعته خيول أهل العراق فكلما أدركوا منهم شاذا قتلوه وأصابوا ثقلا حووه ومضى الحجاج لا يلوى على شيء حتى نزل الزاوية وبعث إلى طعام التجار الكلاء فأخذه لخمه إليه وخلي البصرة لأهل العراق وكان عامله عليهم الحكم بن أيوب ابن الحكم بن أبي عقيل الثقفي وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعا دعا بكتاب المهلب فقرأه ثم قال لله أبوه أي صاحب حرب هو أشار علينا بالرأي ولكننا لم نقبل وقال غير أبي مخنف كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رستقباد وهي من دستوى من كور الإهواز فعسكر بها وأقبل ابن الأشعث فنزل تستر وبينهما نهر فوجه الحجاج مطهر بن حرّ العكي في ألني رجل فأوقعوا بمسلحة لابن الأشعث وسار ابن الأشعث مبادرأ فواقعهم وهي عشية عرفة من سنة ٨١ فيقال إنهم قتلوا من أهل الشام ألفا وخمسمائة وجاءه الباقر من هزمين ومعه يومئذ مائة وخمسون ألفا ففرقها في قواده وضمنهم إياها وأقبل منهزما الى البصرة وخطب ابن الأشعث

أصحابه فقال أما الحجاج فليس بشيء ولكننا نريد غزو عبد الملك وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه فرشاه الحكم ابن أيوب مائة ألف فكف عنه ودخل الحجاج البصرة فأرسل إلى ابن عامر فأنزع المائة ألف منه (رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني) فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميع أهلها من قُرَّائها وكهولها وكان رجل من الأزد من الجهاضم يقال له عقبة ابن عبد الغافر له صحابة فنزا فبايع عبد الرحمن مستبصرًا في قتال الحجاج وخندق الحجاج عليه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة من سنة ٨١ (وحج) بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك كذا حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وقال في هذه السنة ولد ابن أبي ذئب وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وعلى حرب خراسان المهلب وعلى خراجها المغيرة بن مهلب من قبل الحجاج وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية (ذكر هشام) بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني قال كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة واقتلوا في المحرم من سنة ٨٢ فنزاحفوا ذات يوم فاشتد قتالهم ثم إن أهل العراق هزموم حتى انتهوا إلى الحجاج وحتى قاتلهم على خنادقهم وانهزمت عامة قريش وثقيف حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكاتبه

فَرَّ الْبَرَاءُ وَابْنُ عَمِّهِ مُصْعَبٌ وَفَرَّتْ قَرِيشٌ غَيْرَ آلِ سَعِيدٍ

ثم إنهم تزاخفوا في المحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشام فنكصت ميمنتهم وميسرتهم واضطربت رماحهم وتقوض صفهم حتى دنوا منا فلما رأى الحجاج ذلك جثا على ركبتيه وانتضى نحوه من شبر من سيفه وقال لله درّ مُصْعَب ما كان أكرمه حين نزل به منازل فعلبت أنه والله لا يريد أن يفرّ قال فغمزت أبي بعيني ليأذن لي فيه فأضربه بسيفي فغمزني غمزة شديدة فسكنت وحانت مني التفاتة فإذا سفيان بن الأبرد الكلبي قد حمل عليهم فهزمهم من قبل اليمنة فقلت أبشر أيها الأمير فإن الله قد هزم العدو فقال لي قم فانظر قال فقممت فنظرت فقلت قد هزمهم الله قال قم يا زياد فانظر قال فقام فنظر فقال الحق أصلحك الله يقينا قد هزموا فخر ساجدا فلما رجعت شتمني أبي وقال أردت أن تهلكني وأهل بيتي وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عوسجة أبو سفيان النهمي وقتل عقبة بن عبد الغافر الأزدي ثم الجهضمي في أولئك القراء في ربضة واحدة وقتل عبد الله بن رزام الحارثي وقتل المنذر بن الجارود وقتل عبد الله ابن عامر بن مسمع وأتى الحجاج برأسه فقال ما كنت أرى هذا فارقني حتى جاءني الآن برأسه وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلا يومئذ فقتله وزعموا أنه كان مولى للفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان شجاعا يدعى نصيرا فلما رأى مشيته بين الصفيين وكان يلومه على مشيته قال لا ألومه على هذه المشية أبدا وقتل الطفيل بن عامر بن وائلة وقد كان قال وهو بفارس يقبل مع عبد الرحمن من كرمان إلى الحجاج

أَلَا طَرَقْتَنَا بِالْغَرِيِّينَ بَعْدَ مَا
كَلَّمْنَا عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ جُنُوبُ
أَتَوْكَ يَقْوَدُونَ الْمَنَابِإَ وَإِنَّمَا
هَدَّيْنَا بِأَوَّلَانَا إِلَيْكَ ذُنُوبُ
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ
مِنَ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ
أَلَا أَيْلِغَ الْحَجَّاجُ أَنَّ قَدْ أَظْلَهُ
عَذَابُ بَأْيَدِي الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبُ
مَتَى نَهْبِطَ الْمَصْرِينَ يَهْرُبُ مُحَمَّدُ
وَلَيْسَ بِمُنْجَى ابْنِ اللَّعِينِ هُرُوبُ

قال متيتنا أمرا كان في علم الله إنك أولى به ففعل لك في الدنيا وهو معذبك

في الآخرة وانهزم الناس فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة وتبعه أهل القوة من أصحاب الخيل من أهل البصرة ولما مضى عبد الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بآبن الأشعث وتبعه طائفة من أهل البصرة فلحقوا به وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة وكان جريحاً إلى سفوان فمات من جراحته وقتل في المعركة زياد بن مقاتل بن مسمع من بني قيس ابن ثعلبة فقامت حميدة ابنته تندبه وكان على خمس بكر بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرجال فقالت

حامى زيادٌ على رايته وفرَّ جُدىُّ بنى العنبرِ

لجاء البلع السعدي فسمعها وهي تندب أباهاً وتعيب التيمى فجاء وكان يبيع

سمنا بالمربد فترك سمنه عند أصحابه وجاء حتى قام تحتها فقال

علامَ تلومينَ من لم يُلمَ تطاولَ أيـلـك من مُعْصِرِ

فإن كانَ أردى أباكِ السنانَ فَقَدْ تَلَحَّقُ الخَيْلُ بالمُذِرِ

وَقَدْ تَنْطَحُ الخَيْلُ تَحْتَ العَجَا ج غيرَ السرى ولا المُعْذِرِ

وَنَحْنُ مَنَعْنَا لواءَ الحريدِ ش وطاحَ لواءُ بنى جَحْدِرِ

فقال عامر بن وائلة يرنى ابنه طفيلاً

خَلَى طُفَيْلٌ عَلَى الهَمِّ فانشعبا وَهَدَّ ذلِكَ رُكْنِي هَدَّةً عَجَبَا

وابنَى سُمَيَّةً لا أنساها أبداً فِيمَنْ نَسِيتُ وكلُّ كانَ لى نَصَبَا

وأخطأتني المنايا لا تطالغنى حَتَّى كَبِرْتُ ولم يَتْرُكْ لى نَشَبَا

وكنتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كالذى أَضَبْتُ عَنْهُ المِياهَ وَغَاضَ المِياهُ فأنقَضَبا

فلا يَعبِرَ لَهُ فى الأَرْضِ يَرْكَبُهُ وَإِنْ سَعَى إِرَمَ مَنْ قَدْ فَاتَهُ لَغَبَا

وسارَ من أرضِ خاقانَ التى غَلَبَتْ أَبْناءُ فارِسَ فى أَرْبابِها غَلَبَا

ومِنْ سَجِسْتانَ أسبابُ تُزَيْنُها لَكَ المَنيَةُ حينَ كانَ مُجْتَلَبَا

حتى وَرَدَتْ حِيَاضُ الْمَوْتِ فَانْكَشَفَتْ عَنْكَ الْكِتَابُ لَا تَخْفَى لَهَا عَقِبَا
وَعَادَرُوكَ صَرِيحًا رَهَنَ مَعْرَكَةٍ تُرَى الدُّسُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِهَا عُصَبَا
تَعَاهَدُوا ثُمَّ لَمْ يُوفُوا بِمَا عَاهَدُوا وَأَسْلَمُوا لِلْعَدُوِّ السَّيِّئِ وَالسَّلْبَا
يَا سَوْءَةَ الْقَوْمِ إِذْ تَسْبَى نِسَاؤُهُمْ وَهُمْ كَثِيرٌ يَرَوْنَ الْخِزْيَ وَالْحَرْبَا
(قال أبو مخنف) فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي
أن الحجاج أقام بقية المحرم وأول صفر ثم استعمل على البصرة أيوب بن الحكم
ابن أبي عقيل ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة وقد كان الحجاج خلف عبد الرحمن
ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي حليف حرب بن أمية على الكوفة
(قال أبو مخنف) كما حدثني يونس بن أبي اسحاق أنه كان على أربعة آلاف من
أهل الشام (قال أبو مخنف) فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني أنهم كانوا
ألفين وكان حنظلة بن الورداد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب بن ورقاء
على المدائن وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة فلما بلغه ما كان من
أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة فتحصن منه ابن الحضرمي في القصر
ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية بابن الحضرمي ومن معه من أهل الشام
فحاصروهم فصالحوه على أن يخرجوا ويخلوه والقصر فصالحهم (قال أبو مخنف)
فحدثني يونس بن أبي اسحاق أنه رأى يزلون من القصر على العجل وفتح باب
القصر لمطر بن ناجية فازدحم الناس على باب القصر فزحم مطر على باب القصر
فاختلط سيفه فضرب به جحفة بغل من بغال أهل الشام وهم يخرجون من
القصر فالتق جحفته ودخل القصر واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم قال
يونس وأنا رأيته تقسم بينهم وكان أبو السقر فيمن أعطاها وأقبل ابن الأشعث
منهم ما إلى الكوفة وتبعه الناس إليها (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة كانت
وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم قال الواقدي كانت
وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة وفي قول بعضهم كانت في سنة ٨٣

ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دير الجماجم

وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها

(ذكر هشام) عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي قال كنت قد أصابتني جراحة وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل فاستقبلوه بعد ما جاز قنطرة زبارا فلما دنا منها قال لي إن رأيت أن تعدل عن الطريق فلا يرى الناس جراحك فإني لا أحب أن يستقبلهم الجرحى فافعل فعدلت ودخل الناس فلما دخل الكوفة مال إليه أهل الكوفة كلهم وسبقت همدان إليه فحقت به عند دار عمرو بن حريث إلا أن طائفه من تميم ليسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية فأرادوا أن يقاتلوا دونه فلم يطيقوا قتال الناس فدعا عبد الرحمن بالسلامة والعجل فوضعت ليصعد الناس القصر فصعد الناس القصر فأخذوه فأتى به عبد الرحمن بن محمد فقال له استبقني فإني أفضل فرسانك وأعظمهم عنك غني فأمر به فحبس ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه وبايعه مطر ودخل الناس إليه فبايعوه وسقط إليه أهل البصرة وتقوّضت إليه المسالح والثغور وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وعرف بذلك وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثا فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فقال قاتل الله عدى الرحمن إنه قد فر وقاتل غلمان من غلمان قريش بعد ثلاثا وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعذيب ومنعوه من نزول القادسية وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصرين فمنعوه من نزول القادسية ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع ثم تسايروا حتى نزل الحجاج دير قرة ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماجم ثم جاء ابن الأشعث فقتل بدير الجماجم والحجاج بدير قرة فكان الحجاج بعد ذلك يقول أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث رأيته نزلت دير قرة ونزل دير الجماجم واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم والقراء

من أهل المصرين فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج وجمعهم عليه بغضهم والكراهية له وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم وجاءت الحجاج أيضاً أمداده من قبل عبد الملك من قبل أن ينزل دير قرّة وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل دير قرّة أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة إرادة أن يقترب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب ويقترب من رفاغة سعر الجزيرة فلما مر بدير قرّة قال ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين وإن الفلاليج وعين التمر إلى جنبنا فنزل فكان في عسكره مخندقا وابن محمد في عسكره مخندقا والناس يخرجون في كل يوم فيقتتلون فلا يزال أحدهما يدني خندقه نحو صاحبه فإذا رآه الآخر خندق أيضاً وأدنى خندقه من صاحبه واشتد القتال بينهم فلما بلغ ذلك رؤس قريش وأهل الشام قبل عبد الملك ومواليه قالوا إن كان إنما يرضى أهل العراق أن تنزع عنهم الحجاج فإن نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق فانزعه عنهم تخلص لك طاعتهم وتحقق به دماءنا ودماءهم فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه فاجتمعوا جميعاً عنده كلاهما في جنديهما فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم وأن يجرى عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام وأن ينزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء يكون عليه والياً مادام حياً وكان عبد الملك والياً فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج وكان محمد بن مروان أمير العراق وإن أبوا أن يقبلوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشام وولى القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلم يأت الحجاج أمراً قط كان أشد عليه ولا أغبط له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم فكتب إلى عبد الملك يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان ؟ فلما سألهم ما يريدون قالوا نزع سعيد بن العاص فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه إن الحديد بالحديد يفلح خار الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك فأبى عبد الملك إلا عرض هذه

الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب فلما اجتمعوا مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال يا أهل العراق أنا عبد الله بن أمير المؤمنين وهو يُعطىكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال التي ذكرناها وقال محمد بن مروان أنا رسول أمير المؤمنين اليكم وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال قالوا نرجع العشيّة فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أتاه حمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد أعطيتُم أمراً انتهزكم اليوم إياه فرصة ولا آمن أن يكون على ذى الرأي غداً حسرة وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون فلا والله لا زلتُم عليهم جُراء ولا زلتُم عندهم أعزاء إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الأزل والضحك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرفيع والمادة القرية لا والله لا نقبل فأعادوا خلعه ثانية وكان عبد الله ابن ذواب السلمي وعمير بن تبحان أول من قام بخلعه في الجاهم وكان اجتماعهم على خلعه بالجاهم أجمع من خلعه إياه بفارس فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك فانا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع فقال قد قلت لكما إنه لا يُراد بهذا الأمر غيركما ثم قال إنما أقاتل لكما وإنما سلطاني سلطانكما فكانا إذا لقياه سلما عليه بالإمرة وقد زعم أبو يزيد السكسكي أنه إنما كان أيضاً يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيهما وخلياه والحرب تتولاها (قال أبو مخنف) فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجاهم سمعتُ عبد الرحمن ابن محمد وهو يقول ألا إن بني مروان يعيرون بالزرقاء والله ما لهم نسب أصح منه إلا أن بني أبي العاص أعلاج من أهل صفورية فإن يكن هذا الأمر في قريش فعيني فُتت ببيضة قريش وإن يك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس ومدّ بها صوته يسمع الناس وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي وعلى خيله سفيان بن الأبرد الكلبي وعلى

رجالہ عبد الرحمن بن حبيب الحکمی وجعل ابن الاشعث علی ميمته الحجاج
ابن جارية الخثعمی وعلی میسرته الابردين قرّة التیمی وعلی خيله عبد الرحمن بن
عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمی وعلی رجاله محمد بن سعد بن أبی وقاص وعلی
مجففته عبد الله رزام الحارثی وجعل علی القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفی
وكان معه خمسة عشر رجلا من قريش وكان فيهم عامر الشعبي وسعيد بن جبیر
وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبی لیلی ثم إنهم أخذوا يتزاحفون فی کل
یوم ویقتلون وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شاؤا
من خصبهم وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام فی ضیق شدید قد غلقت
عليهم الاسعار وقلّ عندهم الطعام وفقدوا اللحم وكانوا كأنهم فی حصار وهم علی
ذلك یغادون أهل العراق ویراوحونهم فيقتلون أشد القتال وكان الحجاج یدنی
خندقه مرة وهؤلاء أخرى حتی كان الیوم الذی أصیب فيه جبلة بن زحر ثم إنه
بعث إلى کميل بن زیاد النخعی وكان رجلا رکینا وقورا عند الحرب له بأس
وصوت فی الناس وكانت کتیبته تُدعی کتيبة القراء یحمل عليهم فلا یکادون
یرحون ویحملون فلا یکذبون فكانوا قد عرفوا بذلك فخرجوا ذات یوم كما
كانوا یخرجون وخرج الناس فعبی الحجاج أصحابه ثم زحف فی صفوفه وخرج
ابن محمد فی سبعة صفوف بعضها علی أربعض وعبی الحجاج لکتيبة القراء التي
مع جبلة بن زحر ثلاث کتائب وبعث علیها الجراح بن عبد الله الحکمی فأقبلوا
نحوهم (قال أبو مخنف) حدثنی أبو یزید السکسکی قال أنا والله فی الخیل التي
غیبت لجبلة بن زحر قال حملنا علیه وعلی أصحابه ثلاث حملات کل کتيبة تحمل
حملة فلا والله ما استنقصنا منهم شیئا (وفی هذه السنة) توفي المغيرة بن المهلب
یخراسان (ذكر علی بن محمد) عن المفضل بن محمد قال كان المغيرة بن المهلب
خليفة أیه بمر وعلی عمله کله فمات فی رجب سنة ٨٢ فأتی الخبر یزید وعلیه أهل العسکر
فلم یخبروا المهلب وأحب یزید أن یبلغه فأمر النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا
فقیل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتی ظهر جزعه علیه فلامه بعض خاصته فدعا

يزيد فوجه إلى مرو فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته وكتب
الحجاج إلى المهلب يعزيه عن المغيرة وكان سيّداً وكان المهلب يوم مات المغيرة
مقيماً بكش وراء النهر لحرب أهلها قال فسار يزيد في ستين فارساً ويقال سبعين
فيهم مجاعة بن عبد الرحمن العتكيّ وعبد الله بن معمر بن سُمير اليشكريّ ودينار
السجستانيّ والهيثم بن المنخل الجرهميّ وغزوهم الإسكاف صاحب زمّ وكان
أسلم على يد المهلب وأبو محمد الزيّميّ وعطية مولى لعتيك فلقبهم خمسمائة من الترك
في مفازة نسف فقالوا ما أنتم قالوا تجار قالوا فأين الأثقال قالوا قدمناها قالوا
فأعطونا شيئاً فأبى يزيد فأعطاهم مجاعة ثوباً وكرابيس وقوساً فانصرفوا ثم غدروا
وعادوا إليهم فقال يزيد أنا كنت أعلم بهم فقاتلوهم فاشتد القتال بينهم ويزيد على
فرس قريب من الأرض ومعه رجل من الخوارج كان يزيد أخذه فقال استبقني
فمنّ عليه فقال له ما عندك فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل
رجلاً ثم كرّ فخالطهم حتى تقدّمهم وقتل رجلاً ثم رجع إلى يزيد وقتل يزيد عظيماً
من عظمائهم ورُمي يزيد في ساقه واشتدت شوكتهم وهرب أبو محمد الزيّميّ وصبر
لهم يزيد حتى حازروهم وقالوا قد غدروا ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعاً أو
تموتوا أو تعطونا شيئاً فحلف يزيد لا يعطيهم شيئاً فقال مجاعة أذكرك الله قد هلك
المغيرة وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه فأنشدك الله أن تصاب اليوم قال
إن المغيرة لم يعدّ أجله ولست أعدو أجلى فرمى إليهم مجاعة بعمامة صفراء فأخذوها
وانصرفوا وجاء أبو محمد الزيّميّ بفوارس وطعام فقال له يزيد أسلّتنا يا أبا محمد فقال
إنما ذهبت لأجيشكم بمدد وطعام فقال الراجز

يزيدُ يا سَيْفُ أبى سعيدُ قد عَلمَ الأقوامُ والجنودُ
والجمعُ يومَ المجمعِ المشهودُ إنك يومَ التركِ صَلبُ العودُ

وقال الأشقرى :

والتركُ تعلمُ إذ لاقى جُوعَهُمُ أن قد لقوه شهاباً يفرج الظلما
بِفِتْيَةٍ كأَسودِ الغابِ لم يحدوا غيرَ التأسى وغيرَ الصبرِ مُتَصَمِّما

نرى شرائح تغشى القوم من علق وما أرى نبوة منهم ولا كزما
وتحتهم قرح يركبن ماركبوا من الكريهة حتى يبتلعن دما
في حازة الموت حتى جن ليْلهم كلاً الفريقين ما ولى ولا انهزما
(وفي هذه السنة) صالح المهلب أهل كش على فدية ورحل عنها يريد مرو
ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كش

ذكر علي بن محمد عن الفضل بن محمد أن المهلب اتهم قوما من مضر فحبسهم
وقفل من كش وخلفهم وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال إذا استوفيت
الفدية فردّ عليهم الرهن وقطع النهر فلما صار يبلغ أقام بها وكتب إلى
حريث إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك فإذا قبضت
الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم أرض بلخ فقال حريث لملك كش إن المهلب
كتب إلى أن احبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ فإن عجلت لي ما عليك سلت إليك
رهائنك وسرت فأخبرته أن كتابه ورد وقد استوفيت ما عليكم ورددت عليكم الرهن
فعجل لهم صلحهم وردّ عليهم من كان في أيديهم منهم وأقبل فعرض لهم الترك
فقالوا افسد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب فقدى نفسه فقال حريث ولدتنى
إذا أم يزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى فقدوهم فنّ عليهم وخلاهم وردّ عليهم
الفداء وبلغ المهلب قوله ولدتنى أم يزيد إذا فقال يأنف العبد أن تلده رحمته
وغضب فلما قدم عليه بلغ قال له أين الرهن قال قبضت ما عليهم وخليتهم قال
ألم أكتب إليك أن لا تخليهم قال أتاني كتابك وقد خليتهم وقد كفيت ما خفت
قال كذبت ولكنك تقربت إليهم وإلى ملكهم فأطلعتهم على كتابي إليك وأمر
بتجريد مجزع من التجريد حتى ظن المهلب أن به برصاً فجرده وضربه ثلاثين
سوطاً فقال حريث وددت أنه ضربني ثلاثمائة سوط ولم يجرذني أنفأ واستحياء
من التجريد وحلف ليقتلن المهلب فركب المهلب يوماً وركب حريث فأمر
غلامين له وهو يسير خلف المهلب أن يضرباه فأبى أحدهما وتركه وانصرف
ولم يجترأ الآخر لما صار وحده أن يقدم عليه فلما رجع قال لغلامه ما منعك

منه قال الإشفاق والله عليك والله ما جرعت على نفسي وعلمت أنا إن قتلناه
أنك ستقتل ونقتل ولكن كان نظري لك ولو كنت أعلم أنك تسلم من القتل
لقتلته قال فترك حريث إتيان المهلب وأظهر أنه وجع وبلغ المهلب أنه تمارض
وأنه يريد الفتك به فقال المهلب لثابت بن قطبة جئني بأخيك فإنما هو كبعض
وُلدى عندي وما كان ما كان مني إليه إلا نظراً له وأدباً ولربما ضربت بعض
ولدى أو ذبه فأتى ثابت أخاه فناشده وسأله أن يركب إلى المهلب فأبى وخافه
وقال والله لا أجيئه بعد ما صنع بي ما صنع ولا آمنه ولا يأمنني فلما رأى ذلك
أخوه ثابت قال له أما إن كان هذا رأيك فاخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن
خازم وخاف ثابت أن يفتك حريث بالمهلب فيقتلون جميعاً فخرجوا في ثلثمائة من
شاكريّتهما والمنقطعين اليهما من العرب (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة
توفي المهلب بن أبي صفرة

ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته

قال علي بن محمد حدثني المفضل قال مضى المهلب منصرفه من كش يريد مرو
فلما كان بزاغول من مرو الرُّوذ أصابته الشوصة وقوم يقولون الشوكة فدعا
حبيباً ومن حضره من ولده ودعا بسهام فحزمت وقال أترونكم كاسريها مجتمعة
قالوا لا قال أفترونكم كاسريها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة فأوصيكم بتقوى
الله وصلة الرحم فإن صلة الرحم تنسي في الآجل وتثري المال وتكثر العدد
وأنهاكم عن القطيعة فإن القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة فتحابوا
وتواصلوا وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا وتباروا تجتمع أموركم إن بنى الأم
يختلفون فكيف يبني العلات وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من
قولكم فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه واتقوا الجواب وزلة
اللسان فإن الرجل تزل قدمه فيلتعش من زلته ويزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن
يغشاكم حقه فكفي بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له وآثروا الجود على
البخل وأجوا العرب واصطنعوا العرف فإن الرجل من العرب تعده العدة

فيموت دونك فكيف الصنيعة عنده عليكم في الحرب بالآناة والمكيدة فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد وإن لم يظفر بعد الآناة قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب وعلكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين وإياكم والحفة وكثرة الكلام في مجالسكم وقد استخلفت عليكم يزيد وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له المفضل لو لم تقدمه لقد مناه ومات المهلب وأوصى إلى حبيب فصلى عليه حبيب ثم سار إلى مرو وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه فأقره الحجاج ويقال إنه قال عند موته ووصيته لو كان الأمر إلى لوليت سيد وُلدي حبيباً قال وتوفي في ذي الحجة سنة ٨٢ فقال نهار بن تويصة التميمي :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى ومات الندى والجودُ بعد المهلبِ
أَقَامَا بِمَرُورِ الرُّوْذِ رَهْنَى ضَرِيحِهِ وقد غُتِبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
إِذَا قِيلَ أَى النَّاسِ أُولَى بِنِعْمَةٍ عَلَى النَّاسِ قُلْنَاهُ وَلَمْ تَنْهَيْبِ
أَبَاحَ لَنَا سَهْلَ الْبِلَادِ وَحَزَنَهَا بِخَيْلٍ كَأَرْسَالِ الْقَطْرِ الْمُتَسَرِّبِ
يُعَرِّضُهَا لِلطَّعْنِ حَتَّى كَأَنَّمَا يُجَلِّلُهَا بِالْأَرْجَوَانِ الْمُخَضَّبِ
تُطِيفُ بِهِ قَحْطَانٌ قَدْ عَصَبَتْ بِهِ وَأَحْلَافُهَا مِنْ حَتَّى بَكْرِ وَتَغْلِبِ
وَحَيًّا مَعْدٍ عُوْذُ بِلِوَانِهِ يُقْدُونُهُ بِالنَّفْسِ وَالْأَمِّ وَالْآبِ

(وفي هذه السنة) ولى الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد موت المهلب (وفيها) عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة قال الواقدي عزله عنها ثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة قال وفيها ولى عبد الملك هشام بن إسماعيل الخزومي المدينة وعزل هشام بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري وكان يحيى بن الحكم هو الذى استقضاه على المدينة فلما عزل يحيى وولياها أبان بن عثمان أقره على قضائها وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاث عشرة ليلة فلما عزل هشام بن إسماعيل نوفل بن مساحق عن

القضاء ولى مكانه عمرو بن خالد الزرقى (وحج) بالناس فى هذه السنة أبان بن عثمان كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاج وعلى خراسان يزيد بن المهلب من قبل الحجاج

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجاجم

ذكر الخبر عن سبب انهزامه

ذكر هشام بن محمد عن أبى مخنف قال حدثنى أبو الزبير الهمداني قال كنت فى خيل جبلة بن زحل ه فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة نادانا عبد الرحمن ابن أبى ليلى الفقيه فقال يا معشر القراء إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم إني سمعت علياً رفع الله درجته فى الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكر بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذى أصاب سبيل الهدى ونور فى قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكروه وقال أبو البختري أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فوالله لئن ظهر وأعليكم ليفسدن عليكم دينكم وليغلبن على دنياكم وقال الشعبي يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتلهم فوالله ما أعلم قوما على بساط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم فى الحكم فليكن بهم البدار وقال سعيد بن جبيرة قاتلوهم ولا تأثموا من قتلهم بنية ويقين وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم فى الحكم وتجبرهم فى الدين واستدلهم الضعفاء وإماتهم الصلاة (قال أبو مخنف) قال أبو الزبير فتياننا

للمحلة عليهم فقال لنا جبلة إذا حملتم عليهم فاحملوا حملة صادقة ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم قال فحملنا عليهم حملة بجدة منا في قتالهم وقوة منا عليهم فضربنا الكتاب الثلاث حتى اشفرت ثم مضينا حتى واقعنا صفهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه ثم انصرفنا فررنا بجبلة صريعاً لاندري كيف قُتل قال فهذهنا ذلك وجبنا فوقفنا موقفنا الذي كتابه وإن قرأنا للمتوافرون ونحن نتناعى جبلة بن زحر بيننا كأنما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه بل هو في ذلك الموطن كان أشد علينا فقدنا فقال لنا أبو البختری الطائي لا يستيتن فيكم قتل جبلة بن زحر فانما كان كرجل منكم أتته منيته ليومها فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه وكلكم ذائق ماذاق ومدعو فنجيب قال فنظرت إلى وجوه القراء فاذا الكتابة على وجوههم بينة وإذا ألسنتهم منقطعة وإذا الفشل فيهم قد ظهر وإذا أهل الشام قد سروا وجدلوا فنادوا يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل الله طاغوتكم (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جبلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا وتبعونا وافرقت منا فرقة فكانت ناحية فنظرنا فاذا أصحابه يتبعون أصحابنا وقد وقف لأصحابه ليرجعوا اليه على رأس رهوة فقال بعضنا هذا والله جبلة بن زحر احملوا عليه مادام أصحابه مشاغيل بالقتال عنه لعلكم تصيونه قال فحملنا عليه فأشهد ماوئى ولكن حمل علينا بالسيف فلما هبط من الرهوة شجرناه بالرماح فأذرناه عن فرسه فوق قتيلا ورجع أصحابه فلما رأيناهم مقبلين تنحينا عنهم فلما رأوه قتيلا رأينا من استرجاعهم وجزعهم ماقرت به أعيننا قال فتبيننا ذلك في قتالهم إيانا وخروجهم إلينا (قال أبو مخنف) حدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني قال لما أصيب جبلة هذ الناس مقتله حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني فشجع الناس مقدمه وقالوا هذا يقوم مقام جبلة فسمع هذا القول من بعضهم أبو البختری فقال قبحتم إن قتل منكم رجل واحد ظننتم أن قد أحيط بكم فان قتل الآن ابن مصقلة أقيم بأيديكم إلى التهلكة وقتلتم لم يبق أحد يقاتل معه ما أخلقكم أن يخلف رجاؤنا فيكم وكان مقدم بسطام من الرى فالتقى هو وقتيبة

في الطريق فدعاه قتيبة إلى الحجاج وأهل الشام ودعاه بسطام إلى عبدالرحمن وأهل العراق فكلاهما أبي علي صاحبه وقال بسطام لأن أموت مع أهل العراق أحب إلى من أن أعيش مع أهل الشام وكان قد نزل ماسبذان فلما قدم قال لابن محمد أمرني علي خيل ربيعة ففعل فقال لهم يامعشر ربيعة إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي وكان شجاعا فخرج الناس ذات يوم ليقبضوا فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم فأصابوا فيهم نحوًا من ثلاثين امرأة من بين أمة وسرية فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردهن فجئن دخلن عسكر الحجاج فقال أولى لهم منع القوم نساءهم أمالوهم يردوهم لسبيت نساؤهم غدا إذا ظهرت ثم اقتتلوا يوما آخر بعد ذلك فحمل عبدالله بن مليل الحمداني في خيل له حتى دخل عسكرهم فسبأ ثمانى عشرة امرأة وكان معه طارق بن عبدالله الأسدي وكان راميا فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه فأخذ الأسدي يقول لبعض أصحابه استرمنى هذا الشيخ لعلى أرميه أو أحمل عليه فأطعنه فاذا الشيخ يقول رافعا صوته اللهم لنا وإياهم بعافية فقال الأسدي ما أحب أن أقتل مثل هذا فتركة وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ثم خلى سيماهن أيضا فقال الحجاج مثل مقالته الأولى (قال هشام) قال أبي أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بني عامر في كتيبة إلى جيلة بن زحر فأنحط عليه الوليد من رابية وكان جسيما وكان جيلة رجلا ربعة فالتقيا فضربه على رأسه فسقط وانهمز أصحابه وجيء برأسه (قال هشام) فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وغوانة الكلبي قال لما جرى برأس جيلة بن زحر إلى الحجاج حمله على رحين ثم قال يا أهل الشام أبشروا هذا أول الفتح لا والله ما كانت فتنة قط نجبت حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمن وهذا من عظمائهم ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة فخرج إليه الحجاج بن جارية فحمل عليه فطعنه فأذراه وحمل أصحابه فاستنقذوه فاذا هو رجل من خشم يقال له أبو الدرداء فقال الحجاج بن جارية أما إن لم أعرفه حتى وقع ولو عرفته ما بارزته ما أحب أن يصاب من قومي مثله وخرج عبدالرحمن بن عوف الرؤاسي أبو حميد فدعا إلى المبارزة فخرج إليه ابن عم

له من أهل الشام فاضطرر بإسيفيهما فقال كل واحد منهما أنا الغلام الكلابي فقال كل واحد منهما لصاحبه مَنْ أَنْتَ فَلَمَّا تَسَاءَلَا تَحَاجَزَا وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِزَامٍ الْحَارِثِيُّ إِلَى كَتِيبَةِ الْحِجَاجِ فَقَالَ أَخْرَجُوا إِلَيَّ رَجُلًا رَجُلًا فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَقْتُلُ كُلُّ يَوْمٍ رَجُلًا حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ أَقْبَلَ فَقَالُوا قَدْ جَاءَ لَاجِئُ اللَّهِ بِهِ فَدَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ فَقَالَ الْحِجَاجُ لِلْجَرَّاحِ أَخْرِجْ إِلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِزَامٍ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا وَيَحْكُ يَا جَرَّاحُ مَا أَخْرَجَكَ إِلَيَّ قَالَ قَدْ ابْتَلَيْتَ بِكَ قَالَ فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ قَالَ مَا هُوَ قَالَ أَنْهَزَمَ لَكَ فَارْجِعْ إِلَى الْحِجَاجِ وَقَدْ أَحْسَنْتَ عِنْدَهُ وَحَمْدُكَ وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَحْتَمِلُ مَقَالَةَ النَّاسِ فِي أَنْهَزَمِي عَنْكَ حُبًّا لِسَلَامَتِكَ فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ أَقْتُلَ مِنْ قَوْمِي مِثْلَكَ قَالَ فَافْعَلْ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ يَسْتَطْرِدُ لَهُ وَكَانَ الْحَارِثِيُّ قَدْ قَطَعَتْ لِهَاتِهِ وَكَانَ يَعْطُشُ كَثِيرًا وَكَانَ مَعَهُ غَلَامٌ مَعَهُ إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ فَكَلَّمَا عَطَشَ سَقَاهُ الْغَلَامُ فَاطْرَدَ لَهُ الْحَارِثِيُّ وَحَمَلَ عَلَيْهِ الْجَرَّاحُ حَمَلَةً بَجْدًا لَا يَرِيدُ إِلَّا قَتْلَهُ فَصَاحَ بِهِ غَلَامُهُ إِنَّ الرَّجُلَ جَادٌّ فِي قَتْلِكَ فَعُطِفَ عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ بِالْعُمُودِ عَلَى رَأْسِهِ فَضْرَعَهُ فَقَالَ لَغَلَامِهِ انْضَحْ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ مَاءِ الْإِدَاوَةِ وَاسْقِهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ فَقَالَ يَا جَرَّاحُ بئس ما جزيتني أردت بك العافية وأردت أن تزيرني المنية فقال لم أرد ذلك فقال انطلق فقد تركتك للقراة والعشيرة (قال محمد بن عمر الواقدي) حدثني ابن أبي سبرة عن صالح بن كيسان قال قال سعيد الحرشي أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق يقال له قدامة بن الحر يش التيمي فوقف بين الصفين فقال يا معشر جرأمة أهل الشام إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله فإن أيتهم فليخرج إلى رجل فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله حتى قتل أربعة فلما رأى ذلك الحجاج أمر مناديا فنادى لا يخرج إلى هذا الكلب أحد قال فكف الناس قال سعيد الحرشي فدنوت من الحجاج فقلت أصلح الله الأمير إنك رأيت أن لا يخرج إلى هذا الكلب أحد وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بآجالهم ولهذا الرجل أجل وأرجو أن يكون قد حضر فأذن لأصحابي الذين قدموا معي فليخرج إليه رجل منهم فقال الحجاج إن هذا الكلب

لم يزل هذا له عادة وقد أربع الناس وقد أذنت لأصحابك فمن أحب أن يقوم
فليقم فرجع سعيد الحرشي إلى أصحابه فأعلمهم فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز
إليه رجل من أصحاب الحرشي فقتله قدامة فشق ذلك على سعيد وثقل عليه لكلامه
الحجاج ثم نادى قدامة من يبارز فدنا سعيد من الحجاج فقال أصلح الله الأمير
أئذن لي في الخروج إلى هذا الكلب فقال وعندك ذلك قال سعيد نعم أنا كما تحب
فقال الحجاج أرني سيفك فأعطاه إياه فقال الحجاج معي سيف أثقل من هذا فأمر
إياه بالسيف فأعطاه إياه فقال الحجاج ونظر إلى سعيد فقال ما أجود درعك وأقوى
فرسك ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب قال سعيد أرجو أن يُظفرني الله
به قال الحجاج اخرج على بركة الله قال سعيد فخرجت إليه فلما دنوت منه قال قف
يا عدو الله فوقف فسرتني ذلك منه فقال اختر إما أن تمكني فأضربك ثلاثاً وإما
أن أمسكنك فتضربني ثلاثاً ثم تمكني قلت أمكني فوضع صدره على قربوسه
ثم قال اضرب فجمعت يدي على سيني ثم ضربت على المغفر متمكناً فلم يصنع
شيئاً فسأني ذلك من سيني ومن ضربتي ثم أجمع رأيي أن أضربه على أصل العاتق
فأما أن أقطع وإما أن أوهن يده عن ضربته فضربه فلم أصنع شيئاً فسأني ذلك
ومن غاب عني ممن هو في ناحية العسكر حين بلغه ما فعلت والثالث كذلك ثم اخترط
سيفاً ثم قال أمكني فامكنته فضربني ضربة صرغني منها ثم نزل عن فرسه وجلس
على صدرى وانتزع من خفيه خنجرأوسكينا فوضعها على حلقى يريد ذبحي فقلت
له أنشدك الله فأنك لست مصيباً من قتلى الشرف والذكر مثل ما أنت مصيب من
تركي قال ومن أنت قلت سعيد الحرشي قال أولى يا عدو الله فانطلق فأعلم صاحبك
ما لقيت قال سعيد فانطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج فقال كيف رأيت فقلت
الأمير كان أعلم بالامر (رجع الحديث) إلى حديث أبي مخنف عن أبي زيد
قال وكان أبو البختری الطائي وسعيد بن جبیر يقولان ما كان لنفس أن تموت
إلا بأذن الله كتاباً موجلاً إلى آخر الآية ثم يحملان حتى يوافقا الصف (قال أبو
المخارق) قاتلناهم مائة يوم سواء أعدها عدا قال نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد

غداة الثلاثاء ليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ٨٣ وهزمنا يوم الأربعاء عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد للضحى ومتوع النهار وما كنا قط أجزأ عليهم ولا هم أهون علينا منهم في ذلك اليوم قال خرجنا اليهم وخرجوا إلينا يوم الأربعاء عشرة مضت من جمادى الآخرة فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال قاتلناهموه قط ونحن آمنون من الهزيمة عالون للقوم إذ خرج سفيان بن الأبرد الكلبي في الخيل من قبل ميمنة أصحابه حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمي وهو على ميسرة عبد الرحمن بن محمد فوالله ما قاتله كبير قتال حتى انهزم فأنكرها الناس منه وكان شجاعا ولم يكن الفرار له بعادة فظن الناس أنه قد كان أو من وصوله على أن ينهزم بالناس فلما فعلها تقوضت الصفوف من نحوه وركب الناس وجوههم وأخذوا في كل وجه وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبر فأخذ ينادى الناس عباد الله إلى أنا بن محمد فأتاه عبد الله بن رزام الحارثي فوقف تحت منبره وجاء عبد الله بن ذؤاب السلي في خيل له فوقف منه قريبا وثبت حتى دنا منه أهل الشام فأخذت نبلهم تحوزه فقال يا ابن رزام احمل على هذه الرجال والخيل فحمل عليهم حتى أمعنوا ثم جاءت خيل لهم أخرى ورجالة فقال احمل عليهم يا ابن ذؤاب فحمل عليهم حتى أمعنوا وثبت لا يبرح منبره ودخل أهل الشام العسكر فكبروا فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي وكانت مليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن فقال انزل فإني أخاف عليك أن لم تنزل أن تؤسر ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به بعد اليوم فنزل وخلي أهل العراق العسكر وانهزموا إلى يلوون على شيء ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة ابن هيرة ومعه أناس من أهل بيته حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر فعبروا فيه فأنهى اليهم بسطام بن مصقلة فقال هل في السفينة عبد الرحمن ابن محمد فلم يكلموه وظن أنه فيهم فقال

لَا وَاللَّاتِ نَفْسٌ عَلَيْهَا تُحَازِرُ

صَرَّمْ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَاءِ دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْدَمًا

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح وهو على فرسه لم ينزل عنه فخرجت

اليه ابنته فالتزمها وخرج اليه اهله ليكون فأوصاهم بوصية وقال لا تبكوا رأيتم
ان لم أترككم كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت وإن أنا مت فإن الذي رزقكم
الآن حتى لا يموت وسيرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي ثم ودع اهله
وخرج من الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثني الكلبي محمد بن السائب أنهم لما
هزموا ارتفاع النهار حين امتد ومتع قال جئت أشدد ومعى الرمح والسيف والترس
حتى بلغت أهلى من يومى ما ألقىت شيئاً من سلاحى فقال الحجاج أتركوهم فليتبعدوا
ولا تتبعوهم ونادى المنادى من رجع فهو آمن ورجع محمد بن مروان إلى الموصل
وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الواقعة وخلياً الحجاج والعراق وجاء الحجاج
حتى دخل الكوفة وأجاس مصقلة بن كرب بن رقة العبدى إلى جنبه وكان
خطيباً فقال اشتم كل امرئ بما فيه ممن كنا أحسنا اليه فاشتبه بقله شكره ولوم
عهده ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه وصغر إليه نفسه وكان لا يبايعه أحد إلا
قال له أتشهد أنك قد كفرت فاذا قال نعم بايعه وإلا قتله فجاء اليه رجل من خثعم
قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء الفرات فسأله عن حاله فقال ما زلت معتزلاً
وراء هذه النطقة منتظراً أمر الناس حتى ظهرت فأتيتك لا يابى مع الناس قال
أمرت بص أشهد أنك كافر قال بنس الرجل أنا ان كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم
أشهد على نفسى بالكفر قال إذا أقتلك قال وان قتلتنى فوالله ما بقى من عمرى
إلا ظمء حمار وإنى لا انتظر الموت صباح مساء قال اضربوا عنقه فضربت عنقه
فزعموا أنه لم يبق حوله قرشى ولا شامى ولا أحد من الخزّيين إلا رحمه ورثى له
من القتل ودعا بكُميل بن زياد النخعي فقال له أنت المقتص من عثمان أمير
المؤمنين قد كنت أحب أن أجد عليك سيلاً فقال والله ما أدرى على أين أنت
أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم على حين عفوت عنه ثم قال أيها الرجل من
ثقيف لا تصرف على أنيابك ولا تهدم على تهدم الكتيب ولا تكسر كسران
الذئب والله ما بقى من عمرى إلا ظمء الحمار فانه يشرب غدوة ويموت عشية
ويشرب عشية ويموت غدوة اقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل

الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك إن كان القضاء اليك قال بلى كنت فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين اقتلوه فقدم فقتل قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف ابن عم منصور بن جمهور وآتى بأخر من بعده فقال الحجاج انى أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال أخادعى عن نفسى أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذى الأوتاد فضحك الحجاج وخلي سبيله وأقام بالكوفة شهراً وعزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها

﴿ قال هشام ﴾ حدثني أبو مخنف عن أبي يزيد السكسكى قال خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن واجتمع اليه ناس كثير وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشى حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج فأخذها وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن ونزل فأقبل عبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث وقال له إني لم أرد فراقك وإنما أخذتها لك وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن فأقام عليها خمساً حتى هيا الرجال في المعابر فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم اليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الأشعث جميعاً وأقبل نحوهم الحجاج فخرج الناس معه إلى مسكن على دجيل وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف وتلاوم الناس على الفرار وباع أكثرهم بسطام بن مصقلة على الموت وخندق عبد الرحمن على أصحابه وبثق الماء من جانب فجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسرى من خراسان في ناس من بعث الكوفة فاقتلوا خمس عشرة ليلة من شعبان أشد القتال حتى قتل زياد بن غنيم القينى وكان على مسالح الحجاج فهذه ذلك وأصحابه هذا شديداً ﴿ قال ابو مخنف ﴾ حدثني أبو جهمم الأزدي قال بات الحجاج ليله كله يسير فينا يقول لنا إنكم أهل الطاعة وهم أهل المعصية وأنتم تسعون في رضوان الله وهم يسعون في

سخط الله وعادة الله عندكم فيهم حسنة ما صدقتموهم في موطن قط ولا صبرتم لهم
 الا أعقبكم الله النصر عليهم والظفر بهم فأصبحوا اليهم عادين جادين فاني لست
 أشك في النصر ان شاء الله قال فأصبحنا وقد عبأنا في السحر فباكرناهم فقاتلناهم
 أشد قتال قاتلناهم وده قط وقد جاءنا عبد الملك بن المهلب محففا وقد كشفت خيل
 سفيان بن الأبرد فقال له الحجاج ضم إليك يا عبد الملك هذا البشر لعل أحمل
 عليهم ففعل وحمل الناس من كل جانب فانهمز أهل العراق أيضا وقتل أبو البختري
 الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقالوا قبل أن يقتتلا إن الفرار كل ساعة بنا
 لقبيح فأصييا قال ومشى بسطام بن مصقلة الشيباني في أربعة آلاف من أهل الحفاظ
 من أهل المصريين فكسروا جفون السيوف وقال لهم ابن مصقلة لو كنا إذا فررنا
 بأنفسنا من الموت نجونا منه فررنا ولكننا قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل فأين المحيد
 عما لا بد منه يا قوم إنكم محقون فقاتلوا على الحق والله لو لم تكونوا على الحق
 لكان موت في عز خيرا من حياة في ذل فقاتل هو وأصحابه قتالا شديدا
 كشفوا فيه أهل الشام مرارا حتى قال الحجاج على بالرماة لا يقاتلهم غيرهم
 فلما جاءتهم الرماة وأحاط بهم الناس من كل جانب قتلوا إلا قليلا وأخذ بكير
 ابن ربيعة بن أبي ثروان الضبي أسيرا فأتى به الحجاج فقتله (قال أبو مخنف)
 فحدثني أبو الجهم قال جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس فقال الحجاج
 يا أهل الشام إنه من صنع الله لكم أن هذا غلام من الغلبان جاء بفارس أهل
 العراق أسيرا اضرب عنقه فقتله قال ومضى ابن الأشعث والفيل من المنهزمين
 معه نحو سجستان فاتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللخمي ومعه ابنه محمد بن الحجاج
 وعمارة أمير على القوم فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس فقاتله
 ساعة من نهار ثم إنه انهزم هو وأصحابه فمضوا حتى أتوا سابور واجتمعت إلى
 عبد الرحمن بن محمد الأكراد مع من كان معه من الفلول فقاتلهم عمارة بن تميم
 قتالا شديدا على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه ثم انهزم عمارة وأصحابه
 وخلوا لهم عن العقبة ومضى عبد الرحمن حتى مر بكرمان (قال الواقدي) كانت

وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ٨٣ (قال أبو مخنف) حدثني سيف بن بشر العجلي عن المنخل بن حابس العبدي قال لما دخل عبد الرحمن بن محمد كرماني تلقاه عمرو بن لقيط العبدي وكان عامله عليها فهيأ له نزلا فنزل فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل والله لقد بلغنا عنك يا ابن الأشعث أن قد كنت جباناً فقال عبد الرحمن والله ما جبننت والله لقد دلفت الرجال بالرجال ولففت الخيل بالخيول ولقد قاتلت فارساً وقاتلت راحلاً وما انهزمت ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلاً ولا أرى معي مقاتلاً ولكني زاوت ملكاً مؤجلاً ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كرماني (قال أبو مخنف) فحدثني هشام ابن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال لما مضى ابن محمد في مفازة كرماني وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرًا في المفازة فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكري وهي قصيدة طويلة

أيا لهفًا ويا حزنًا جميعًا	ويا حرَّ الفؤاد لما ألقينا
تركنا الدينَ والدنيا جميعًا	وأسلمنا الحلائلَ والبينينا
فما كنا أناسًا أهلَ دين	فنصبرَ في البلاءِ إذا ابتلينا
وما كنا أناسًا أهلَ دنيا	فتمنعها ولو لم نرُج دنيا
تركنا دُورنا لطفامِ علكَ	وأنباطِ القرى والأشعرينا

ثم إن ابن محمد مضى حتى خرج على زرنج مدينة سجستان وفيها رجل من بني تميم قد كان عبد الرحمن استعمله عليها يقال له عبد الله بن عامر البعاري من بني مجاشع بن دارم فلما قدم عليه عبد الرحمن أيام رجاء افتتاحها ودخولها فلما دونه ومنعه دخولها فأقام عليها عبد الرحمن أيام رجاء افتتاحها ودخولها فلما رأى أنه لا يصل إليها خرج حتى أتى بُستَ وقد كان استعمل عليها رجلاً من بكر ابن وائل يقال له عياض بن هميان أبو هشام بن عياض السدوسي فاستقبله وقال له انزل لجأء حتى نزل به وانتظر حتى إذا غفل أصحاب عبد الرحمن وتفرقوا عنه وثب عليه فأوثقه وأراد أن يأمن بها عند الحجاج ويتخذها عنده مكاناً وقد كان رُتبيل

سمع بمقدم عبد الرحمن عليه فاستقبله في جنوده فجاء رتبيل حتى أحاط بيست ثم نزل
وربعث إلى البكرى والله لئن أذيت به بما يقضى عينه أو ضررته ببعض المضرة أو
رزأته جبلا من شَعَر لا أبرح العرصة حتى أستنزلك فأقتلك وجميع من معك ثم
أسبى ذراريكم وأقسم بين الجند أموالكم فأرسل اليه البكرى أن أعطنا أمانا على
أنفسنا وأموالنا ونحن ندفعه إليك سالما وما كان له من مال مؤفرا فصالحهم
على ذلك وآمنهم ففتحوا لابن الأشعث الباب وخلوا سبيله فأتى رتبيل فقال له
إن هذا كان عاملي على هذه المدينة وكنت حيث وليته واثقابه مطمئنا اليه فغدر بي
وركب منى ما قد رأيت فأذن لي في قتله قال قد آمنتهم وأكره أن أغدر به قال فأذن
لي في دفعه ولهرزه والتصغير به قال أما هذا فنعم ففعل به عبد الرحمن بن محمد ثم مضى
حتى دخل مع رتبيل بلاده فأنزله رتبيل عنده وأكرمه وعظمه وكان معه ناس من
الفل كثير ثم إن عظم الفلول وجماعة أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو الأمان
من الرؤوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث ولم يقبلوا
أمان الحجاج في أول مرة وجهدوا عليه الجهد كله أقبلا في أثر ابن الأشعث وفي
طلبه حتى سقطوا بسجستان فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان
وأهل البلد نحو من ستين ألفا ونزلوا على عبد الله بن عامر البعاري فحصره وكتبوا
إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدمهم وعددهم وجماعتهم وهو عند رتبيل وكان يصلي
بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فكتبوا اليه أن
أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان فإن بها منا جندا عظيما فلعلهم يبايعونا على قتال
أهل الشام وهي بلاد واسعة عريضة وبها الرجال والحصون فخرج إليهم عبد الرحمن
ابن محمد بمن معه فحصره عبد الله بن عامر البعاري حتى استنزلوه فأمر به
عبد الرحمن فضرب وعذب وحبس وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام
فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن أخرج بنا عن سجستان
فلندعها له ونأتى خراسان فقال عبد الرحمن بن محمد على خراسان يزيد بن
المهلب وهو شاب شجاع صارم وليس بتارك لكم سلطانه ولو دخلتموها

وجدتموه اليكم سريعاً ولن يدع أهل الشام اتباعكم فأكره أن يجتمع عليكم
أهل خراسان وأهل الشام وأخاف أن لا تنالوا ما تطلبون فقالوا إنما أهل
خراسان منا ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر
من يقاتلنا وهي أرض طويلة عريضة ننتجى فيها حيث شئنا ونمكث حتى يهلك
الله الحجاج أو عبد الملك أو نرى من رأينا فقال لهم عبد الرحمن سيروا على اسم الله
فساروا حتى بلغوا هراة فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبيد الله بن
عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين فقارقه فأخذ طريقاً سوى طريقهم فلما
أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني قد شهدتكم في
هذه المواطن وليس فيها مشهد إلا أصبر لكم فيه نفسي حتى لا يبقى منكم فيه أحد
فلما رأيت أنكم لا تقاتلون ولا تصبرون أتيت ملجأً ومأماً فكنيت فيه فجاءتني
كتبكم بأن أقبل إلينا فإننا قد اجتمعنا وأمرنا واحد لعلنا نقاتل عدونا فأتيتكم
فرايت أن أمضى إلى خراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لي وإنكم لن تفرقوا عني
ثم هذا عبيد الله بن عبد الرحمن قد صنع ما قدر أيتم فحسبي منكم يومى هذا فاصنعوا
مابدا لكم أما أنا فنصرف إلى صاحبي الذي أتيتكم من قبله فمن أحب منكم أن يتبعني
فليتبعني ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب في عياذ من الله فتفرقت منهم طائفة
ونزلت معه طائفة وبقى عظم العسكر فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس لما
انصرف عبد الرحمن فبايعوه ثم مضى ابن محمد إلى رتبيل ومضوا هم إلى خراسان
حتى انتهوا إلى هراة فلقوا بها الرقاد الأزدي من العتيك فقتلوه وسار إليهم يزيد
ابن المهلب وأما علي بن محمد المدائني فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن ابن
الاشعث لما انهزم من مسكن مضى إلى كابل وأن عبيد الله بن عبد الرحمن بن
سمرة أتى هراة فدم ابن الاشعث وعابه بفراره وأتى عبد الرحمن بن عباس
بجستان فانضم إليه فل ابن الاشعث فسار إلى خراسان في جمع يقال عشرين ألفاً
فنزله هراة ولقوا الرقاد بن عبيد العتيك فقتلوه وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس
عبد الرحمن بن المنذر بن الجارود فأرسل إليه يزيد بن المهلب قد كان لك في البلاد

متسعٌ ومن هو أكل منى حداً وأهون شوكةً فارتحل إلى بلد ليس لى فيه سلطان
فانى أكره قتالك وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك أعتك به فأرسل إليه
مانزلنا هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام ولكننا أردنا أن نريخ ثم نشخص إن شاء الله
وليست بنا حاجة إلى ما عرضت فانصرف رسول يزيد إليه وأقبل الهاشمي على
الجباية وبلغ يزيد فقال من أراد يريخ ثم يجتاز لم يجب الخراج فقدم المفضل في
أربعة آلاف ويقال في ستة آلاف ثم أتبعه في أربعة آلاف ووزن يزيد نفسه
بسلاحه فكان أربعة مائة رطل فقال ما أراى إلا قد ثقلت عن الحرب أى فرس
يحملنى ثم دعا بفرسه الكامل فركبه واستخلف على مرو خاله جديع بن يزيد وصير
طريقه على مرو الروذ فأتى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام وأعطى من معه مائة
درهم مائة درهم ثم أتى هراة فأرسل إلى الهاشمي قد أرحت وأسمنت وجيت فلك
ما جيت وإن أردت زيادة زدناك فاخرج فوالله ما أحب أن أقاتلك قال فابى إلا
القتال ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ودس الهاشمي إلى جند يزيد يمنيهم
ويدعوهم إلى نفسه فأخبر بعضهم يزيد فقال جل الأمر عن العتاب أتعدى بهذا
قبل أن يتعشى بنى فसार إليه حتى تدانى العسكران وتأهبوا للقتال وألقى ليزيد
كرسى فقعده عليه وولى الحرب أخاه المفضل فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي
يقال له خليل عَيْنَيْنِ من عبد القيس على ظهر فرسه فرفع صوته فقال

دَعْتُ يَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ دَعْوَةً لَهَا جَزَعٌ ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ عِيُونُهَا
وَلَمْ يُسْمَعْ الدَّاعِيَ النَّدَاءَ أَجَابَهَا بِصُحْبِ الْقَنَا وَالْبَيْضِ تُلْقَى جَفُونُهَا
وَقَدْ فَرَّ أَشْرَافُ الْعِرَاقِ وَغَادَرُوا بِهَا بَقَرًا لِلْحَيْنِ جُمًّا قُرُونُهَا
وَأَرَادَ أَنْ يَحْضُ يَزِيدَ فَسَكَتَ يَزِيدٌ طَوِيلًا حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّ الشَّعْرَ قَدْ حَرَكَهُ
ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ نَادٍ وَأَسْمَعُهُمْ جَسْمُوهُمْ ذَلِكَ فَقَالَ خَلِيدٌ

لِبَنَسِ الْمَنَادِي وَالْمَنَوَةِ بِاسْمِهِ تَنَادِيهِ أَبْكَارُ الْعِرَاقِ وَعَوْنُهَا
يَزِيدُ إِذَا يُدْعَى لِيَوْمِ حَفِظَتِهِ وَلَا يَمْنَعُ السَّوَاتِ إِلَّا حُصُونُهَا
فَإِنِّي أَرَاهُ عَنْ قَلِيلٍ بِنَفْسِهِ يُدَانُ كَمَا قَدْ كَانَ قَبْلُ يَدِينُهَا

فلا حُرَّةٌ تَبْكِيهِ لَكِن نَوَاحٍ تَبْكِي عَلَيْهِ الْبَقْعُ مِنْهَا وَجَوْنُهَا
 فَقَالَ يَزِيدُ لِلْفَضْلِ قَدِمَ خَيْلُكَ فَتَقَدَّمْ بِهَا وَتَهَاجُوا فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ كَبِيرٌ قَتَالَ
 حَتَّى تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَصَبَرَ وَصَبَرَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْخِزَانَةِ
 وَصَبَرَ مَعَهُ الْعَبْدِيُّونَ وَحَمَلُ سَعْدِ بْنِ نَجْدٍ الْقُرْدُوسِيُّ عَلَى حَلِيسِ الشَّيْبَانِيِّ وَهُوَ
 إِمَامُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ حَلِيسٌ فَأَذْرَاهُ عَنْ فَرَسِهِ وَجَمَّاهُ أَصْحَابُهُ وَكَثُرَ هَمُّ النَّاسِ
 فَأَنْكَشَفُوا فَأَمَرَ يَزِيدُ بِالْكَفِّ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ وَأَخَذُوا مَا كَانَ فِي عَسْكَرِهِمْ وَأَسْرَوْا
 مِنْهُمْ أَسْرَى فَوَلَّى يَزِيدُ عِطَاءُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ الْعَسْكَرَ وَأَمَرَهُ بِضَمِّ مَا كَانَ فِيهِ فَأَضَابُوا
 ثَلَاثَ عَشْرَةَ امْرَأَةً فَأَتَوْا بِهِنَ يَزِيدُ فَدَفَعَهُنَّ إِلَى مَرَّةَ بْنِ عِطَاءُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ
 فَحَمَلَهُنَّ إِلَى الطَّبَسِينِ ثُمَّ حَمَلَهُنَّ إِلَى الْعِرَاقِ وَقَالَ يَزِيدُ لِسَعْدِ بْنِ نَجْدٍ مَنْ طَعَنَكَ قَالَ
 حَلِيسُ الشَّيْبَانِيِّ وَأَنَا وَاللَّهِ رَاجِلًا أَشَدَّ مِنْهُ وَهُوَ فَارِسٌ قَالَ فَبَلَغَ حَلِيسًا فَقَالَ كَذَبَ
 وَاللَّهِ لَأَنَا أَشَدُّ مِنْهُ فَارِسًا وَرَاجِلًا وَهَرَبَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مَنْذَرِ بْنِ بَشَرَ بْنِ حَارِثَةَ
 فَصَارَ إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ قَالَ فَكَانَ فِي الْأَسْرَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ
 أَبِي وَقَاصٍ وَعُمَرُ بْنُ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَعِيَّاشُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ
 عَوْفِ الزَّهْرِيِّ وَالْهَلْقَامُ بْنُ نَعِيمِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَفَيْرُوزُ حَصِينِ
 وَأَبُو الْعَلْجِ مَوْلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَرَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي عَقِيلٍ وَسُورُ بْنُ مَرْوَانَ
 وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَضَالَةَ الزَّهْرَانِيُّ وَلِحَقُّ الْهَاشِمِيِّ
 بِالسُّنْدِ وَأَتَى ابْنَ سَمُرَةَ مَرْوً ثُمَّ انْصَرَفَ يَزِيدُ إِلَى مَرْوٍ وَبَعَثَ بِالْأَسْرَى إِلَى
 الْحِجَابِ مَعَ سَبْرَةَ بْنِ نَخْفٍ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ وَخَلِيٍّ عَنْ ابْنِ طَلْحَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَضَالَةَ وَسَعَى
 قَوْمٌ بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ فَأَخَذَهُ يَزِيدُ فَخَبَسَهُ (وَأَمَّا هِشَامُ) فَانْهَكَ عَنْهُ
 أَنَّهُ حَدَّثَهُ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَضْرَمِيُّ عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَبِيصَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي
 حَنْظَلَةَ يَقُولُ لَهُ جَابِرُ بْنُ عَمَّارَةَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ حَبَسَ عِنْدَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ طَلْحَةَ
 وَأَمَنَهُ وَكَانَ الطَّلْحِيُّ قَدْ آلَى عَلَى يَمِينٍ أَنَّ لَا يَرَى يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فِي مَوْقِفٍ إِلَّا أَتَاهُ
 حَتَّى يَقْبَلَ يَدَهُ شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ قَالَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ لِيَزِيدَ أَسْأَلُكَ
 بِدَعْوَةِ أَبِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبِيلَهُ وَلَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ يَزِيدَ أَسْأَلُكَ بِدَعْوَةِ أَبِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

حديث فيه بعض الطول (قال هشام) حدثني أبو مخنف قال حدثني هشام بن أيوب ابن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسف بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر فقال أنت صاحب شرطة عبد الرحمن فقال أصلح الله الأمير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فإن عفوت فبحلمك وفضلك وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين فقال الحجاج أما قولك إنها شملت البر والفاجر فكذبت ولكنها شملت الفجار وعوفى منها الأبرار وأما اعترافك بذنبك فعسى أن ينفعك فعزل ورجا الناس له العافية حتى قدم بالهلقام بن نعيم فقال له الحجاج أخبرني عنك مارجوت من اتباع عبد الرحمن بن محمد أرجوت أن يكون خليفة قال نعم رجوت ذلك وطمعت أن ينزلي منزلك من عبد الملك قال فغضب الحجاج وقال اضربوا عنقه فقتل قال ونظر إلى عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وقد نحى عنه فقال اضربوا عنقه وقتل بقيتهم وقد كان آمن عمرو بن أبي قررة الكندي ثم الحجري وهو شريف وله بيت قديم فقال يا عمرو كنت تقضى إلى وتحذني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ثم تبع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث والله ما بك عن اتباعهم رغبة ولا نعمة عين لك ولا كرامة قال وكان الحجاج حين هزم الناس بالجام نادى مناديه من لحق بقتية بن مسلم بالرى فهو أمانه فلاحق ناس كثير بقتية وكان فيمن لحق به عامر الشعبي فذكر الحجاج الشعبي يوماً فقال أين هو وما فعل فقال له يزيد بن أبي مسلم بلغني أيها الأمير أنه لحق بقتية بن مسلم بالرى قال فابعث إليه فلنؤت به فكتب الحجاج إلى قتيبة أما بعد فابعث إلى بالشعبي حين تنظر في كتابي هذا والسلام عليك فسرح إليه (قال أبو مخنف) فحدثني السري بن اسماعيل عن الشعبي قال كنت لابن أبي مسلم صديقاً فلما قدم بي على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم فقلت أشر على قال ما أدري ما أشير به عليك غير أن أعذر ما استطعت من عذر وأشار بمثل ذلك على نصحائي وإخواني فلما دخلت عليه رأيت والله غير مارأوا إلى فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن

أعذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقا قد والله سودنا عليك وحرصنا وجهدنا عليك كل الجهد فما آلونا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليه أيدينا وإن عفوت عنا فبحلمك وبعد الحجة لك علينا فقال له الحجاج أنت والله أحب إلى قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت قد أمنت عندنا يا شعبي فأنصرف قال فأنصرفت فلما مشيت قليلا قال هلم يا شعبي قال فوجل لذلك قلبي ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي قال كيف وجدت للناس يا شعبي بعدنا قال وكان لي مكر ما فقلت أصلح الله الأمير اكتحل والله بعدك السهر واستوعرت الجنب واستحلست الخوف وفقدت صالح الإخوان ولم أجد من الأمير خلفا قال انصرف يا شعبي فأنصرفت (قال أبو مخنف) قال خالد بن قطن الحارثي أتى الحجاج بالاعشى أعشى همدان فقال إليه يا عدو الله أنشدني قولك بين الأشج و بين قيس أنفذييتك قال بل أنشدك ما قلت لك قال بل أنشدني هذه فأنشده

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ	وَيُطْفِئُ نُورَ الْفَاسِقِينَ فَيَخْمَدَا
وَيُظْهِرَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ	وَيُعْدِلَ وَقَعَ السَّيْفِ مَنِ كَانَ أَصِيدَا
وَيُنْزِلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ	لَمَّا نَقَضُوا الْعَهْدَ الْوَثِيقَ الْمُؤَكَّدَا
وَمَا أَحَدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَعَظِيمَةٍ	مِنَ الْقَوْلِ لَمْ تَصْعَدْ إِلَى اللَّهِ مَصْعَدَا
وَمَا نَكَبُوا مِنْ بَيْتَةٍ بَعْدَ بَيْعَةٍ	إِذَا ضَمِنُوا الْيَوْمَ خَاسُوا بِهَا غَدَا
وَجُبْنَا حَشَاءَ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ	فَمَا يَتَقَرَّبُونَ النَّاسَ إِلَّا تَهْدَدَا
فَلَا صِدْقَ فِي قَوْلٍ وَلَا صَبْرَ عِنْدَهُمْ	وَلَكِنْ غَرَا فِيهِمْ وَتَزِيدَا
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ فَرَّقَ جَمْعَهُمْ	وَمَزَقَهُمْ عُرْضَ الْبِلَادِ وَشَرَّدَا
فَقَتْلَاهُمْ قَتْلَى ضَلَالٍ وَفِتْنَةٍ	وَحَيْثُهمُ أَمْسَى ذَلِيلًا مُطْرَدَا
وَلَمَّا زَحَفْنَا لابنِ يُوسُفَ غُدُوَّةَ	وَأَبْرَقَ مِنَّا الْعَارِضَانِ وَأَرَعَدَا
قَطَعْنَا إِلَيْهِ الْخَنْدَقَيْنِ وَإِنَّمَا	قَطَعْنَا وَأَفْضَيْنَا إِلَى الْمَوْتِ مَرِيدَا

فكافحنا الحجاج دُونَ صُفُونَا
بِصَفٍ كَانَ الْبَرْقُ فِي حَجَرَاتِهِ
دَلَفْنَا إِلَيْهِ فِي صُفُوفٍ كَأَنَّهَا
فَمَا لَبِثَ الْحَجَّاجُ أَنْ سَلَ سَيْفُهُ
وَمَا زَا حَفَ الْحَجَّاجُ إِلَّا رَأَيْتُهُ
وإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَفِي مَرْجِحِنَةٍ
فَمَا شَرَّ عَوَارُئِهَا وَلَا جَرْدُ وَا لَهُ
وَكَرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً
وَسُفْيَانُ يُهْدِيهَا كَانَ لَوَاءُهُ
كَهَوْلٍ وَمَرْدٍ مِنْ قَضَاعَةٍ حَوْلَهُ
إِذَا قَالَ شُدُّوا شِدَّةَ حَمَلُوا مَعَا
جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلُهُ
فِيهِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
نَزَوْا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ
وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ خَيْرَ أُمَّةٍ
وَخَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشِ أَرْوَمَةٍ
إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
سَيَغْلِبُ قَوْمٌ غَالِبُوا اللَّهَ جَهْرَةً
كَذَاكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
فَقَدَّرَ كَوَالِ الْأَهْلِينَ وَالْمَالِ خَلْفَهُمْ
يُنَادِيهِمْ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمْ
فَالَا تَنَاولْهُنَّ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ
أَنْكَا وَعِصْيَانًا وَعَذْرًا وَذِلَّةً
لَقَدْ شَامَ الْبِضْرَيْنِ فَرْخُ مُحَمَّدٍ

كَفَّاحًا وَلَمْ يَضْرِبْ لَذَلِكَ مَوْعِدًا
إِذَا مَا تَجَلَّى بَيْضُهُ وَتَوَقَّدَا
جِبَالُ شَرَوْرَى لَوْ تُعَانُ فَتَنَهُدَا
عَلَيْنَا فَوَلَّى جَمُنَا وَتَبَدَّدَا
مُعَانًا مُلْدَقٍ لِلْفَتْوحِ مُعَوَّدَا
نُشَبِّهَهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدَا
أَلَا رُبَّمَا لَاقَى الْجَبَانَ قَجَرَدًا
بُفْرَسَانِهَا وَالسَّمْهَرِيَّ مُقَصَّدَا
مِنَ الطَّعْنِ سِنْدُ بَاتٍ بِالصَّبْغِ مُجَسَّدَا
مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا النِّكْسُ عَرَدَا
فَأَنْهَلَ خِرْصَانَ الرِّمَاحِ وَأَوْرَدَا
وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مُؤَيَّدَا
عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بُغَاةً وَحُسَدَا
وَكَانُوا ثُمَّ أَبْغَى الْبَغَاةَ وَأَعْنَدَا
وَأَفْضَلَ هَذِي النَّاسِ حِلْمًا وَسُودَدَا
وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدَا
وَإِنْ كَايَدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدَا
مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى النِّفَاقَ وَالْحَدَا
وَيَيْضًا عَلَيْهِنَّ الْجَلَايِبُ خَرَدَا
وَيُذْرِينَ دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَأَيْمِدَا
يَكُنَّ سَبَايَا وَابْعُولُهُ أَعْبَدَا
أَهَانَ الْإِلَهِ مِنْ أَهَانَ وَأَبْعَدَا
بِحَقٍّ وَمَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا

كما شَامَ اللهُ الثَّجِيرَ وَأَهْلَهُ بِجَدِّ لَهُ قَدْ كَانَ أَشَقَى وَأَنْكَدَا
 فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ أَحْسَنُ أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ فَقَالَ الْحِجَاجُ لَا لِمُحْسِنٍ إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ
 مَا أَرَادَ بِهَا ثُمَّ قَالَ يَا عَدُوَّ اللهِ إِنَّا لَسْنَا نَحْمَدُكَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ إِنَّمَا قُلْتَ تَأْسَفُ أَنْ
 لَا يَكُونَ ظَهْرُ وَظْفَرُ وَتَحْرِيطُ لِأَصْحَابِكَ عَلَيْنَا وَلَيْسَ عَنْ هَذَا سَأَلْنَاكَ أَنْفَعَنَا
 قَوْلُكَ بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ فَأَنْفَعَهَا فَلَمَّا قَالَ هَبْ نَحْجُ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِهِ
 قَالَ الْحِجَاجُ لَا وَاللَّهِ لَا تُبَخِّخْ بَعْدَهَا لِأَحَدٍ أَبَدًا فَقَدِمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ (وَقَدْ ذَكَرَ)
 مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى الَّذِينَ أَسْرَهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَوَجْهَهُمْ إِلَى الْحِجَاجِ وَمِنْ
 فَلَوْلَ ابْنِ الْأَشْعَثِ الَّذِينَ أَنْهَزُوا يَوْمَ مَسْكَنٍ أَمْرٌ غَيْرُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو مَخْنَفٍ عَنْ أَصْحَابِهِ
 وَالَّذِي ذَكَرَهُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْهَزَ ابْنُ الْأَشْعَثِ مَضَى هَؤُلَاءِ مَعَ سَائِرِ الْقُلُوبِ
 إِلَى الرِّىِّ وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ كَنَازٍ مَوْلَى بَنِي نَصْرٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ
 وَكَانَ مِنْ أَفْرَسِ النَّاسِ فَانْضَمُّوا إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ قَتِيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى الرِّىِّ مِنْ قَبْلِ الْحِجَاجِ
 وَقَدْ وَلَّاهُ عَلَيْهَا فَقَالَ النَّفَرُ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَجْهَهُمْ إِلَى الْحِجَاجِ
 مُقِيدِينَ وَسَائِرُ قُلُوبِ ابْنِ الْأَشْعَثِ الَّذِينَ صَارُوا إِلَى الرِّىِّ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ
 نَوَلِيكَ أَمَرْنَا وَتَحَارَبَ بِنَا قَتِيْبَةُ فَشَاوَرَ عُمَرَ أَبَاهُ أَبَا الصَّلْتِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ وَاللَّهِ يَا بَنِي
 مَا كُنْتُ أَبَالِي إِذَا سَارَ هَؤُلَاءِ تَحْتَ لَوَائِكَ أَنْ تَقْتُلَ مِنْ غَدٍ فَعَقْدَ لَوَاهُ وَسَارَ
 فَهَزَمَ وَهُزِمَ أَصْحَابُهُ وَانْكَشَفُوا إِلَى سِجِسْتَانَ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْقُلُوبُ وَكُتِبُوا إِلَى
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ عِنْدَ رُتَيْلٍ ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ مَا قَدْ
 ذَكَرْتُ هَذَا وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ يَزِيدَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُوْجِهَ الْأَسْرَى إِلَى الْحِجَاجِ
 قَالَ لَهُ أَخُوهُ حَبِيبُ بَأَى وَجْهَ تَنْظُرَ إِلَى الْإِيمَانِيَّةِ وَقَدْ بَعَثَتْ ابْنَ طَلْحَةَ فَقَالَ يَزِيدُ هُوَ
 الْحِجَاجُ وَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُ وَقَالَ وَطَنُ نَفْسِكَ عَلَى الْعِزْلِ وَلَا تَرْسُلَ فَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا
 بَلَاءٌ قَالَ وَمَا بَلَاؤُهُ قَالَ لَزِمَ الْمُهَلَّبُ فِي مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ بِمِائَتِي أَلْفٍ فَأَدَّاهَا طَلْحَةُ
 عَنْهُ فَأَطْلَقَهُ وَأَرْسَلَ بِالْبَاقِينَ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ

وَجَدَّ ابْنُ طَلْحَةَ يَوْمَ لَاقَى قَوْمَهُ قَحْطَانُ يَوْمَ هَرَاةٍ خَيْرَ الْمَعَشَرِ

وَقِيلَ إِنَّ الْحِجَاجَ لَمَّا أَتَى هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ قَالَ لِحَاجِبِهِ

إذا دعوتك بسيدهم فأتني بفيروز فأبرز سريره و هو حينئذ بواسط القصب قبل أن تُبنى مدينة واسط ثم قال لحاجبه جئني بسيدهم فقال لفيروز قم فقال له الحجاج أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء فوالله ما حملك من لحومهم ولادمك من دماهم قال فتنة عمت الناس فكنا فيها قال اكتب لي أموالك قال ثم ماذا قال اكتبها أول قال ثم أنا آمن على دمي قال اكتبها ثم أنظر قال اكتب يا غلام ألف ألف ألني ألف فذكر ما لا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الأموال قال عندى قال فأدّها قال وأنا آمن على دمي قال والله لتؤدّينها ثم لاقتلك قال والله لا تجمع مالى ودعى فقال الحجاج للحاجب نحوه فنجاه ثم قال اتقني بمحمد بن سعد بن أبي وقاص فدعاه فقال له الحجاج أيها ياطل الشيطان أعظم الناس تباها وكبرا تأبى بيعة يزيد ابن معاوية وتشبه بحسين وابن عمر ثم صرت مؤذنا لابن كناز عبد بنى نصر يعنى عمر بن أبى الصلت وجعل يضرب بعُود فى يده رأسه حتى أدماه فقال له محمد أيها الرجل ملكت فأبجح فكفّ يده فقال إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكا فى ذلك محموداً وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعذرت فأطرق ملياً ثم قال اضرب عنقه فضربت عنقه ثم دعا بعمر بن موسى فقال يا عبد للمرأة أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك وتشرب معه الشراب فى حمام فارس وتقول المقالة التى قلت أين الفرزدق قم فأنشده ما قلت فيه فأنشده

وَحَضَبْتَ أَيْرِكَ لِلزَّناءِ وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَ الْهِيَاكِ لَتَحْضِبَ الْإِبْطَالَ

فقال أما والله لقد رفعتك عن عقائل نساءك ثم أمر بضرب عنقه ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فإذا غلام حدث فقال أصلح الله الأمير مالى ذنب إنما كنت غلاما صغيرا مع أبى وأمى لا أمر لى ولا نهى وكنت معهما حيث كانا فقال وكانت أمك مع أهلك فى هذه الفتن كلها قال نعم قال على أهلك لعنة الله ثم دعا بالهلقام ابن نعيم فقال اجعل ابن الأشعث طلب ما طلب ما الذى أملت أنت معه قال أملت أن يملك فيولبنى العراق كما ولاك عبد الملك قال قم يا حوشب فاضرب عنقه فقام إليه فقال له الهلقام يا ابن لطيفة أتسكا القرع فضرب عنقه ثم أتى بعبد الله بن

عامر فلما قام بين يديه قال لا رأت عيناك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع قال وما صنع قال

لأنه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضراً

وَقِيَّ بِقَوْمِكَ وَرَدَّ الْمَوْتَ أَسْرَتَهُ وَكَانَ قَوْمُكَ أَدْنَى عِنْدَهُ خَطَرًا

فأطرق الحجاج ملياً ووَقَرَتْ في قلبه وقال وما أنت وذاك اضرب عنقه فَضْرِبَتْ عنقه ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفيروز فعذب فكان فيما عذب به أن كان يُشَدُّ عليه القصب الفارسي المشقوق ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ثم ينضح عليه الخل والملح فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب إن الناس لا يشكون أني قد قتلت ولي ودائع أموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً فأظهروني للناس ليعلموا أني حي فيؤدوا المال فأعلم الحجاج فقال أظهره فأخرج إلى باب المدينة فصاح في الناس مَنْ عِرْقِي فَقَدْ عِرْقِي وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَأَنَا فِيروز حصين إن لي عند أقوام مالا فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في حل فلا يؤدين منه أحد درهما ليلبغ الشاهد الغائب فأمر به الحجاج فقتل وكان ذلك مما روى الوليد بن هشام بن قحذم عن أبي بكر الهذلي وذكر ضمرة بن ربيعة عن أبي شاذب أن عمال الحجاج كتبوا إليه إن الخراج قد انكسر وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها فخرج الناس فمسكروا فجعلوا يبيكون وينادون يا محمداه يا محمداه وجعلوا لا يدرون أين يذهبون فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين فيكون لما يسمعون منهم ويرون قال فقدم ابن الأشعث على تفيئة ذلك واستبصر قراء أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيباني قال قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفاً ما استحيا منهم إلا واحداً كان ابنه في كتاب الحجاج فقال له أتحب أن نعفوك عن أهلك قال نعم فتركه لابنه وإنما خدعهم بالأمان أمر منادياً فتأدى عند الهزيمة ألا لا أمان لفلان ولا فلان

فسمى رجالا من أولئك الأشراف ولم يقل الناس آمنون فقالت العامة قد آمن الناس كلهم إلا هؤلاء نفر فأقبلوا إلى حجرته فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ثم قال لآمرن بكم اليوم رجلا ليس بينكم وبينه قرابة فأمر بهم عمارة بن تميم اللخمي فقربهم فقتلهم * وروى عن النضر بن شميل عن هشام بن حسان أنه قال بلغ ما قتل الحجاج صبرا مائة وعشرين أو مائة وثلاثين ألفا * وقد ذكر في هزيمة ابن الأشعث بمسكن قول غير الذي ذكره أبو مخنف والذي ذكر من ذلك أن ابن الأشعث والحجاج اجتماعا بمسكن من أرض ابن قباذ فكان عسكرا بن الأشعث على نهر يدعى خدش مؤخر النهر نهر تيرى ونزل الحجاج على نهر أفريد والعسكرا ن جميعا بين دجلة والسيب والكرخ فاقتلوا شهرا وقيل دون ذلك ولم يكن الحجاج يعرف اليهم طريقا إلا الطريق الذي يلتقون فيه فأتى بشيخ كان راعيا يدعى زورقا فدله على طريق من وراء الكرخ طوله ستة فراسخ في أجمة وضحاح من الماء فانتخب أربعة آلاف من جلة أهل الشام وقال لقائدهم ليكن هذا العليج أمامك وهذه أربعة آلاف درهم معك فإن أقامك على عسكرهم فادفع المال إليه وإن كان كذبا فاضرب عنقه فإن رأيتهم فاحمل عليهم فيمن معك وليكن شعاركم يا حجاج يا حجاج فانطلق القائد صلاة العصر والتقى عسكرا الحجاج وعسكرا بن الأشعث حين فصل القائد بمن معه وذلك مع صلاة العصر فاقتلوا إلى الليل فانكشف الحجاج حتى عبر السيب وكان قد عقده ودخل ابن الأشعث عسكره فأتتهب ما فيه فقبل له لو أتبعته فقال قد تعبنا ونصبنا فرجع إلى عسكره فالتقى أصحابه السلاح وباتوا آمنين في أنفسهم لهم الظفر وهجم القوم عليهم نصف الليل يصيحون بشعارهم فجعل الرجل من أصحاب ابن الأشعث لا يدرى أين يتوجه دجيل عن يساره ودجلة أمامه ولها جرف منكر فكان من غرق أكثر ممن قتل وسمع الحجاج الصوت فعب السيب إلى عسكره ثم وجه خيله إلى القوم فالتقى العسكرا بن على عسكرا بن الأشعث وانحاز في ثلثمائة ففضى على شاطئ دجلة حتى أتى دجيلا فعبه في أسفروا وعقروا دوابهم وانحدروا

في السفن إلى البصرة ودخل الحجاج عسكره فانتهب ما فيه وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف فيقال إن فيمن قتل عبد الله بن شداد بن الهاد وقتل فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وعمرو بن ضبيعة الرقاشي وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن مخزومة العبديين وبكير بن ربيعة بن ثروان الضبي فأتى الحجاج برؤسهم على ترس فجعل ينظر إلى رأس بسطام ويتمثل:

إذا مررت بوادي حية ذكّر فاذهب ودعني أقاسي حية الوادي
ثم نظر إلى رأس بكير فقال ما ألقى هذا الشقي مع هؤلاء خذ بأذنه يا غلام فألقه عنهم
ثم قال ضغ هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك بن مسمع فوضع بين يديه فبكي فقال له الحجاج ما أبكاك أحزننا عليهم قال بل جزعناهم من النار (وفي هذه السنة)
بنى الحجاج واسطاً وكان سبب بنائه ذلك فيما ذكر أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان فعسكروا بحمام عمر وكان قى من أهل الكوفة من بني أسد حديث عهد بعُرس بابنة عم له انصرف من العسكر إلى ابنة عمه ليلاً فطرق الباب طارق ودقه دقاً شديداً فإذا سكران من أهل الشام فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشامي شراً يفعل بنا كل ليلة ما ترى يريد المكروه وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه وعرضوا ذلك فقال ائذنوا له ففعلوا فأغلق الباب وقد كانت المرأة نجت منزلها وطيبته فقال الشامي قد آن لكم فاستقنأه الاسدي فأنذر رأسه فلما أذن بالفجر خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين أن أخرجوا صاحبكم فسيأتون بك الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت ورفع القتيل إلى الحجاج وأدخلت المرأة عليه وعنده عنبسة بن سعيد على سريريه فقال لها ما خطبك فأخبرته فقال صدقتي ثم قال لولاة الشامي ادفوا صاحبكم فإنه قتيل الله إلى النار لا قود له ولا عقل ثم نادى مناديه لا ينزلن أحد على أحد وأخرجوا فعسكروا وبعث رؤوذا يرتادون له منزلاً وأمعن حتى نزل أطراف كسكر فينا هو في موضع واسط إذا راهب قد أقبل على حمار له وعبر دجلة فلما كان في موضع واسط تفاجت الأتان فبالت

فنزول الراهب فاحتفر ذلك البول ثم احتمله فرمى به في دجلة وذلك بعين الحجاج فقال على به فأقْبى به فقال ما حملك على ما صنعت قال نجد في كتبنا أنه يُبنى في هذا الموضع مسجد يُعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحده فاخط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع (وفي هذه السنة) عزل عبد الملك فيما قال الواقدي عن المدينة أبان بن عثمان واستعمل عليها هشام بن اسماعيل المخزومي ه وحج بالناس في هذه السنة هشام بن اسماعيل حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

(ففيها) كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم ففتح فيها المصيصة كذلك ذكر الواقدي (وفيها) قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان ممن كان مع ابن الأشعث وكان سبب قتله إياه فيما ذكر أنه كان يدخل حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دير الجماجم وحوشب على الكوفة عامل للحجاج فيقول حوشب انظروا إلى هذا الواقف معي وخذاً أو بعد غد يأتي كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه فينا هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتاب من الحجاج أما بعد فإنك صرت كهفنا لمنافق أهل العراق وما رى فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى بابن القرية مشدودة يده إلى عنقه مع ثقة من قبلك فلما قرأ حوشب الكتاب رمى به إليه فقرأه فقال سمعاً وطاعة فبعث به إلى الحجاج موثقاً فلما دخل على الحجاج قال له يا ابن القرية ما أعددت لهذا الموقف قال أصلح الله الأمير ثلاثة حروف ه كأنهم ركب وقوف ه دنيا وآخرة ومعروف ه قال أخرج مما قلت قال أفلأما الدنيا فما حال حاضر يأكل منه البر والفاجر وأما الآخرة فميزان عادل ومشهد ليس فيه باطل

وأما المعروف فإن كان عليّ اعترفت وإن كان لي اعترفت قال أمالي فاعترف
 بالسيف إذا وقع بك قال أصلح الله الأمير أفلني عثرتي واسقني ريقى فإنه ليس
 جواد إلا له كبوة ولا شجاع إلا له هبوة قال الحجاج كلا والله لأرينك جهنم قال
 فأرحني فإنني أجد حرّها قال قدّمه يا حرسى فاضرب عنقه فلما نظر إليه الحجاج
 يتشحّط في دمه قال لو كنا تركنا ابن القرية حتى نسمع من كلامه ثم أمر به فأخرج
 فرمى به قال هشام قال عوانة حين منع الحجاج من الكلام ابن القرية قال له ابن
 القرية أما والله لو كنت أنا وأنت على السواء لسكنا جميعاً أولاً لفيت منيعاً
 ﴿وفي هذه السنة﴾ فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس

ذكر سبب فتحه إياها

ذكر عليّ بن محمد عن المفضل بن محمد قال كان نيزك ينزل بقلعة باذغيس
 فتحين يزيد غزوه ووضع عليه العيون فبلغه خروجه فخالفه يزيد إليها وبلغ نيزك
 فرجع فصالحه على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله فقال
 كعب بن معدان الأشقريّ

وباذغيس التي من حلّ ذروتها	عزّ الملوك فإن شأ جار أو ظلمنا
منيعاً لم يكدها قبله ملك	إلا إذا وجّهت جيشاله وجها
تحال نيرانها من بعد منظرها	بعض النجوم إذا ماليلها عتما
لما أطاف بها ضاقت صدورهم	حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
فذلّ ساكنها من بعد عزّته	يُعطي الجزى عارفاً بالذلّ مهتصما
وبعد ذلك أياماً نعددها	وقبلها ما كشفت الكرب والظلمنا
أعطاك ذاك ولي الرزق يقسمه	بين الخلائق والمحروم من حرّما
يداك إحداها تسقي العدو بها	سماً وأخرى نداها لم يزل ديمّا
فهل كسيب يزيد أو كنانله	إلا الفرات وإلا النيل حين ظنا
ليسا بأجود منه حين مدّهما	إذ يعلوان حذاب الأرض والآكنا
وقال ثنائى على حى العتيك بأنها	كبراً ثم مقارها كرام نصائبها

إذا عقدوا للجارِ حَلَّ بِنَجْوَةٍ عزيزَ مَراقِيبِها مَنيعَ مَضابِها
 نَفَى نِيزَكَ عَن بَاذَغِيسَ وَنِيزَكَ بِمَنْزِلَةِ أَعْيِ الْمُلُوكِ اغْتِصَابِها
 مُحَلَّقَةٍ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّها غَمَامَةٌ صَيْفُ زَلٍّ عَنْها سَحَابِها
 وَلَا يَبْلُغُ الْأَرُوى شِمَارِيبِها الْعِلى وَلَا الطَّيْرُ إِلَّا نَسْرُها وَعُقَابِها
 وَمَا خَوَّفَتْ بِالذَّنْبِ وَلِدَانُ أَهْلِها وَلَا نَبَّحَتْ إِلَّا النُّجُومَ كِلَابِها
 تَمْنِيتُ أَنْ أَلْقَى الْعَتِيكَ ذَوِى النِّهْيِ مُسْلِطَةً تُحْمَى بِمَلِكِ رِكَابِها
 كَمَا يَتَمَنَّى صَاحِبُ الْحَرِّثِ أَعْطَشَتْ مَزَارِعُهُ غَيْثًا غَزِيرًا رَبَابِها
 فَأُشْقِيَ بَعْدَ الْيَأْسِ حَتَّى تَحْيَرْتُ جَدَاوِلُها رِيًّا وَعَبَّ عِبَابِها
 لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ النُّوى وَتَشَعَّبَتْ شُعُوبٌ مِنْ الْأَفَاقِ شَتَى مَأْبِها

قال وكان نيزك يعظم القلعة إذا رآها سجد لها وكتب يزيد بن المهلب إلى
 الحجاج بالفتح وكانت كتب يزيد إلى الحجاج يكتبها يحيى بن يعمر العدواني وكان
 حليفا لهذيل فكتب إننا لقينا العدو فمحننا الله أكتافهم فقتلنا طائفة وأسروا طائفة
 ولحقنا طائفة برووس الجبال وعراعر الأودية وأهضام الغيطان وأثناء النهار
 فقال الحجاج من يكتب ليزيد فقبل يحيى بن يعمر فكتب إلى يزيد فحمله على البريد
 فقدم عليه أفصح الناس فقال له أين ولدت قال بالأهواز قال فهذه الفصاحة قال
 حفظت كلام أبي وكان فصيحاً قال من هناك فأخبرني هل يلحن عنبسة بن سعيد
 قال نعم كثيراً قال فقلان قال نعم قال فأخبرني عنى ألحن قال نعم تلحن لحن خفياً
 تزيد حرفاً وتنقص حرفاً وتجعل أن فى موضع إن وإن فى موضع أن قال قد أجلتك
 ثلاثاً فإن أجدتك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك فرجع إلى خراسان (وحج)
 بالناس فى هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي كذلك حدثني أحمد بن ثابت
 عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة
 عمالها الذين سميت قبل فى سنة ٨٣

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

ذكر ما كان فيهما من الأحداث

(ففيها) كان هلاك عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث

ذكر السبب الذي به هلك وكيف كان

(ذكر هشام بن محمد) عن أبي مخنف قال لما انصرف ابن الأشعث من

هَرَاة راجعاً إلى رتييل كان معه رجل من أود يقال له علقمة بن عمرو فقال له

ما أريد أن أدخل معك فقال له عبدالرحمن لم قال لأنني أخوف عليك وعلى من

معك والله لكأنني بكتاب الحجاج قد جاء فوق إلى رتييل يُرْغبه ويُرهبه فإذا هو

قد بعث بك سلباً أو قتلهم ولكن ههنا خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة

فتحصن فيها ونقاتل حتى نُعطى أماناً أو نموت كراماً فقال له عبدالرحمن أما

لو دخلت معي لآسيتك وأكرمك فأبى عليه علقمة ودخل عبدالرحمن بن محمد

إلى رتييل وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النضري وأقاموا حتى

قدم عليهم عمارة بن تميم اللخمي فحاصروهم فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم فخرجوا

إليه فوفى لهم قال وتتابعت كتب الحجاج إلى رتييل في عبدالرحمن بن محمد أن ابعث

به إلى والي فوالذي لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف مقاتل وكان عند

رتييل رجل من بني تميم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سبيع فقال لرتييل

أنا آخذ لك من الحجاج عهداً ليكفن الخراج عن أرضك سبع سنين على أن

تدفع إليه عبدالرحمن بن محمد قال رتييل لعبيد فأن فعلت فإن لك عندي ما سألت

فكتب إلى الحجاج يخبره أن رتييل لا يعصيه وأنه لن يدع رتييل حتى يبعث إليه

بعبدالرحمن بن محمد فأعطاه الحجاج على ذلك ما لا يأخذ من رتييل عليه ما لا يبعث

رتييل برأس عبدالرحمن بن محمد إلى الحجاج وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه

سبع سنين وكان الحجاج يقول بعث إلى رتييل بعدوا لله فالتقى نفسه من فوق لإتجار

فمات (قال أبو مخنف) وحدثني سليمان بن أبي راشد أنه سمع مليكة ابنة يزيد

تقول والله لمات عبدالرحمن وإن رأسه لعلى نخذي كان السل قد أصابه ه فلما

مات وأرادوا دفنه بعث اليه رتبيل فخر رأسه فبعث به إلى الحجاج وأخذ ثمانية عشر رجلا من آل الأشعث فحبسهم عنده وترك جميع من كان معه من أصحابه وكتب إلى الحجاج بأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرحمن فكتب اليه أن اضرب رقابهم وابعث إلى برؤوسهم وكره أن يوتي بهم اليه أحياء فيطلب فيهم إلى عبد الملك فيترك منهم أحداً وقد قيل في أمر ابن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يقول زعم أن عمارة بن تميم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بني الغنبر يدعى مردودا فحصره ثم آمنه ثم استولى على سجستان وأرسل رتبيل وكتب اليه الحجاج أما بعد فإني قد بعثت اليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفا من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ولم يخلعوا خليفة ولم يتبعوا إمام ضلالة يجرى على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم يستطعمون الحرب استطعاما يطلبون ابن الأشعث فأبى رتبيل أن يسلمه وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع التميمي قد خص به وكان رسوله إلى رتبيل نخص برتبيل أيضا وخف عليه فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن إني لا آمن غدر التميمي فاقتله فهم به وبلغ ابن أبي سبيع نخافه فوشى به إلى رتبيل وخوفه الحجاج ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث فأجابه فخرج سرا إلى عمارة بن تميم فاستعجل في ابن الأشعث فجعل له ألف ألف فأقام عنده وكتب بذلك عمارة إلى الحجاج فكتب اليه أن أعط عبيدا ورتبيل ما سألك فاشترط رتبيل أن لا تغزى بلاده عشر سنين وأن يؤدي بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة ألف فأعطى وعبيدا ما سألا وأرسل رتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته وقد أعد لهم الجوامع والقيود فالتقى في عنقه جماعة وفي عنق القاسم جماعة وأرسل بهم جميعا إلى أدنى مسالح عمارة منه وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس تفرقوا إلى حيث شئتم ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات فاحتز رأسه فأتى به وبالأسرى عمارة فضرب أعناقهم وأرسل برأس ابن الأشعث وبرؤوس أهله وبأمراته إلى الحجاج فقال في ذلك بعض الشعراء

هيئات موضع جُثّة من رأسها رأسٌ بمصر وجثة بالرحج
 وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك فأرسل به عبد الملك إلى عبد العزيز
 وهو يومئذ على مصر * وذكر عمر بن شبة أن ابن عائشة حدثه قال أخبرني سعد
 ابن عبيد الله قال لما أتى عبد الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصي إلى
 امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش فلما وضع بين يديها قالت مرحبا بذا
 لا يتكلم ملك من الملوك طلب ما هو أهله فأبى المقادير فذهب الخصي يأخذ الرأس
 فاجتذبه من يده قالت لا والله حتى أبلغ حاجتي ثم دعت بخطمي فغسلته وغلفته
 ثم قالت شأنك به الآن فأخذه ثم أخبر عبد الملك فلما دخل عليه زوجها قال إن
 استطعت أن تصيب منها سخلة * وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه
 وهو هارب إلى بلاد رتييل فتمثل

يطردهُ الخوفُ فهو تائه كذاك مَنْ يكرهُ حرَّ الجلاذِ
 مُنخرقُ الحُفَيْن يشكو الوجا تنكبهُ أطرافُ مروٍ جدادِ
 قد كان في الموتِ له راحة والموتُ حتمٌ في رقابِ العبادِ

فالتفت إليه فقال يا لحية هلا ثبت في موطن من المواطن فتموت بين يديك فكان
 خيراً لك مما صرت إليه (قال هشام) قال أبو مخنف خرج الحجاج في أيامه تلك
 يسير ومعه حميد الأرقط وهو يقول:

ما زالَ يبنّي خندقاً ويهدمه عن عسكرٍ يقوده فيُسلمه
 حتى يصير في يدك مَقْسِمة هيئات من مصفهِ مُنْهَمة
 إِنَّ أَخَا الْكِظَاظِ مِنْ لَا يَسَامُهُ

فقال الحجاج هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان

نُبئتُ أَن بَنِي يُو سف خرّ من زَلَقٍ قُبَا

قد تبين له من زلق وتب ودحض فانكب وخاف وخاب وشك وارتاب ورفع
 صوته فما بقي أحد إلا فرغ لغضبه وسكت الأريقط فقال له الحجاج عد فيما كنت
 فيه مالك يا أرقط قال إني جعلت فداك أيها الأمير وسلطان الله عزير ما هو إلا

أن رأيتك غضبت فأرعدت خصائلي واحزالت مفاصلي وأظلم بصري ودارت
 بي الأرض قال له الحجاج أجل إن سلطان الله عزيز عد فيما كنت فيه ففعل وقال
 الحجاج وهو ذات يوم يسير ومعه زياد بن جرير بن عبد الله البجلي وهو أعور
 فقال الحجاج للأريقط كيف قلت لابن سمرة قال قلت :

يَا أَعُورَ الْعَيْنِ فَدَيْتَ الْعُورَا كُنْتَ حَسِبْتَ الْخُنْدَقَ الْخَفُورَا

يُرْدُ عَنْكَ الْقَدَرَ الْمَقْدُورَا وَدَائِرَاتِ السَّوَاءِ أَنْ تَدُورَا

وقد قيل إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في سنة ٨٤ (وفي هذه السنة)
 عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان وولاه المفضل بن
 المهلب أخا يزيد

ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل
 ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد أن الحجاج وفد إلى عبد الملك فمر في
 منصرفه بدير فنزله فقبل له إن في هذا الدير شيخاً من أهل الكتب عالمًا فدعا به
 فقال يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم نجد ما مضى من أمركم
 وما أنتم فيه وما هو كائن قال أفسمى أم موصوفا قال كل ذلك موصوف بغير اسم
 واسم بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده في زماننا الذي نحن
 فيه ملك أقرع من يقيم لسيله يصرع قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد قال ثم
 ماذا قال رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس قال أفتعرفني قال قد أجبرت بك
 قال أفتعلم ما إلى قال نعم قال فمن يليه بعدى قال رجل يقال له يزيد قال في حياتي
 أم بعد موتي قال لا أدري قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة لا أعرف غير هذا
 قال فوقع في نفسه يزيد بن المهلب وأرتحل فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ
 وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق فكتب إليه يا ابن أم الحجاج
 قد علمت الذي أغزو وإنك تريد أن تعلم رأيي فيك ولعمري إنى لأرى مكان
 نافع بن علقمة فأنه عن هذا حتى يأتي الله بما هو آت فقال الفرزدق يذكر مسيره
 لو أن طيراً كلفت مثل سيره إلى واسط من إيلياء كلفت

سرى بالمহারى من فلسطين بعدما دنا الليل من شمس النهار فَوَلَّتْ
فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها بميسان قد ملت سُراها وكتبت
كَأَنَّ قُطَامِيًّا عَلَى الرَّحْلِ طَاوِيًّا إِذَا غَمَرَةُ الظُّلُمَاءِ عَنْهُ تَجَلَّتْ

قال فبينما الحجاج يوماً خال إذ دعا عبيد بن موهب فدخل وهو ينكت في
الأرض فرفع رأسه فقال ويحك يا عبيد إن أهل الكتب يذكرون أن ماتحت
يدى بليه رجل يقال له يزيد وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد بن حصين بن نمير
ويزيد بن دينار فليسوا هناك وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلب فقال عبيد لقد شرفهم
وأعظمت ولايتهم وإن لهم لعددًا وجلدا وطاعة وحظًا فأخلق به فأجمع على عزل
يزيد فلم يجد له شيئًا حتى قدم الخيار بن بن سبرة بن ذؤيب بن عرجة بن محمد بن
سفيان بن مجاشع وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد فقال له الحجاج أخبرني عن
يزيد قال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت أصدقى عنه قال الله أجل وأعظم
قد أسرج ولم يلجم قال صدقت واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك قال ثم
كتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب بالزيرية فكتب إليه عبد الملك إني
لا أرى نقصًا بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير بل أراه وفاء منهم لهم وإن وفاءهم لهم
يدعوهم إلى الوفاء فكتب إليه الحجاج يخوفه غدرهم لما أخبره به الشيخ فكتب
إليه عبد الملك قد أكثرت في يزيد وآل المهلب فسم لي رجلاً يصلح لخراسان
فسمي له نجاعة بن سحر السعدي فكتب إليه عبد الملك إن رأيك الذي دعاك إلى
استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى مجاعة بن سحر فأنظر لي رجلاً صار ما مضى
لأمرك فسمي بقتيبة بن مسلم فكتب إليه وله وبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لأهل
بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلاً من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب
إلى رجل منكم بمعهده فإذا قدمت عليه عزله وولى رجلاً من قيس وأخلق بقتيبة
قال فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله فكتب إليه
أن استخلف المفضل وأقبل فاستشار يزيد حُصَيْن بن المنذر فقال له أقم واعتلّ
فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك وإنما أتيت من الحجاج فإن أقت ولم تعجل

رجوت أن يكتب اليه أن يقر يزيد قال انا أهل بيت بورك لنا في الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف فأخذ في الجهاز وأبطأ ذلك على الحجاج فكتب إلى المفضل إني قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد إن الحجاج لا يقرك بعدى وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه قال بل حدثني قال يزيد يا ابن بهلة أنا أحسدك ستعلم وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة ٨٥ فعزل الحجاج المفضل فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمه

يا ابني بهلة إنما أخزأكما ربي غداة غدا الهمام الأزهري
أحفرنم لأخيكم قوقعتهم في قعر مظليته أخوها المغور
جودوا بتوبة مخلصين فإنما يابى ويأنف أن يتوب الأخسر
وقال حضين ليزيد

أمرتك أمرا حازما فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما
فما أنا بالباكي عليك صسابة وما أنا بالداعي لترجع سائما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين كيف قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتني فنفسك أولى اللوم إن كنت لائما
فإن يبلغ الحجاج أن قد عصيت فإنك تلحق أمره متفاقما

قال فماذا أمرته به فعصاك قال أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير فقال رجل لعياض بن حضين أما أبوك فوجده قتيبة حين فره قارحا بقوله أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير قال على وحدثنا كليب بن خلف قال كتب الحجاج إلى يزيد أن اغزو خوارزم فكتب إليه أيها الأمير إنها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب إليه الحجاج استخلف واقدم فكتب إليه إني أريد أن أغزو خوارزم فكتب إليه لا تغزها فإنها كما وصفت فغزا ولم يطعمه فصالحه أهل خوارزم وأصاب سيما صالحوه وقفل في الشتاء فاشتد عليهم البرد فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها فمات ذلك السبي من البرد قال ونزل يزيد بالاستانة وأصاب أهل مرو الروذ طاعون ذلك العام فكتب إليه الحجاج أن

أقدم تقدم فلم يمر ببلد إلا فرشوا له الرياحين وكان يزيد ولي سنة ٨٢ وعزل سنة ٨٥ وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة ٨٥ وولي قتيبة (وأما هشام بن محمد) فإنه ذكر عن أبي مخنف في عزل الحجاج يزيد عن خراسان سببا غير الذي ذكره علي بن محمد والذي ذكر من ذلك عن أبي مخنف أن أبا المخارق الراسبي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين فرغ من عبد الرحمن بن محمد ثم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصرين بخراسان ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد ابن المهلب فأخذ الحجاج في مؤاربة يزيد ليستخرجه من خراسان فكان يبعث إليه لياتيه فيعتل عليه بالعدو وحرب خراسان فمكث بذلك حتى كان آخر سلطان عبد الملك ثم إن الحجاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير وأنه لا وفاء لهم فكتب إليه عبد الملك إنني لا أرى تقصيرا بولد المهلب طاعتهم لآل الزبير ولا وفاءهم لهم فان طاعتهم ووفاءهم لهم هو دعاهم إلى طاعتي والوفاء لي ثم ذكر بقية الخبر نحو الذي ذكره علي بن محمد (وفي هذه السنة) غزا المفضل باذغيس ففتحها

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد قال عزل الحجاج يزيد وكتب إلى المفضل بولايته على خراسان سنة ٨٥ فولياها تسعة أشهر فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما قسمه بين الناس فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم ثم غزا اخرون وشومان فظفر وغنم وقسم ما أصاب بين الناس ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شيء وإن غنم شيئا قسمه بينهم فقال كعب الأشقرى يمدح المفضل :

تري ذا الغنى والفقر من كل معشر
فمن زائر يرجو فواضل سنيه
عصائب شتى يلتوون المفضلا
وآخر يقضى حاجة قد ترحلا
إذا ما انتوينا غير أرضك لم نجد
بها متوى خيرا ولا متعللا

إذا ما عَدَدْنَا الْاَكْرَمِينَ ذَوِي النَّهْيِ وقد قَدَمُوا مِنْ صَالِحٍ كُنْتَ أَوَّلًا
لَعَمْرِي لَقَدْ صَالَ الْمَفْضَلُ صَوْلَةً أَبَاحَتْ بِشُومَانِ الْمَنَاهِلِ وَالْكَلَا
وَيَوْمَ ابْنِ عَبَّاسٍ تَنَاولَتْ مِثْلَهَا فَكَانَتْ لَنَا بَيْنَ الْقَرِيقَيْنِ فَيْصَلًا
صَفَتْ لَكَ أَخْلَاقُ الْمُهَلَّبِ كُلِّهَا وَسُرِبَتْ مِنْ مَسْعَاتِهِ مَا تَسْرِبَلًا
أَبُوكَ الَّذِي لَمْ يَسْغُ سَاعًا كَسَعِيهِ فَأَوْرَثَ نَجْدًا لَمْ يَكُنْ مُشْجَلًا
(وفي هذه السنة) قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالترمذ

ذ ك ر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قتل بها

ذ ك ر أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قتل من
قتل من بني تميم بفرتنا وقد مضى ذكرى خبر قتله إياهم تفرق عنه عظم من كان
بقي معه منهم فخرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على ثقله بمرور فقال لابنه موسى
حول ثقلي عن مرو وأقطع نهر بلخ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى حصن
تقيم فيه فشخص موسى من مرو في عشرين ومائتي فارس فأتى آمل وقد ضوى
إليه قوم من الصعاليك فصار في أربع مائة وانضم إليه رجال من بني سليم منهم
زرعة بن علقمة فأتى زم فقاتلوه فظفر بهم وأصاب مالا وقطع النهر فأتى بخارى
فسأل صاحبها أن يلجأ إليه فأبى وخافه وقال رجل فأتك وأصحابه مثله أصحاب
حرب وشر فلا آمنه وبعث إليه بصلة عين ودواب وكسوة ونزل على عظيم
من عظماء أهل بخارى في نوقان فقال له إنه لا خير لك في المقام في هذه البلاد
وقد هابك القوم وهم لا يأمنونك فأقام عند دهقان نوقان أشهراً ثم خرج
يلتمس ملكاً يلجأ إليه أو حصناً فلم يأت بلداً إلا كرهوا مقامه فيهم وسألوه
أن يخرج عنهم قال علي بن محمد فأتى سمرقند فأقام بها وأكرمه طرخون
ملكها وأذن له في المقام فأقام ما شاء الله ولاهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم
ودك وخبز وأبريق شراب وذلك في كل عام يوماً يجعل ذلك لفارس الصغد
فلا يقربه أحد غيره هو طعامه في ذلك اليوم فإن أكل منه أحد غيره بارزه
فأيها قتل صاحبه فالمائدة له فقال رجل من أصحاب موسى ما هذه المائدة فأخبر

عنها فسكت فقال صاحب موسى لا تكن ما على هذه المائدة ولا بارزن فارس الصغد فإن قتلته كنت فارسهم فجلس فأكل ما عليها وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضباً فقال يا عربي بارزني قال نعم وهل أريد إلا المبارزة فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد أنزلتكم وأكرمتم فقتلتم فارس الصغد لولا أني أعطيتكم وأصحابك الأمان لقتلتكم أخرجوا عن بلدي ووصله فخرج موسى فأتى كس فكتب صاحب كس إلى طرخون يستنصره فأتاه فخرج إليه موسى في سبعمائة فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا وبأصحاب موسى جراح كثير فلما أصبحوا أمرهم موسى فخلقوا رؤوسهم كما يصنع الخوارج وقطعوا صفات أخبيتهم كما يصنع العجم إذا استماتوا وقال موسى لزراعة بن علقمة انطلق إلى طرخون فاحتل له فأتاه فقال له طرخون لم صنع أصحابك ما صنعوا قال استقتلوا فما حاجتك إلى أن تقتل أيها الملك موسى وتقتل فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم ولو قتلته وإياهم جميعاً ما نلت حظاً لأن له قدراً في العرب فلا يلي أحد خراسان إلا طالبك بدمه فإن سلبت من واحد لم تسلم من آخر قال ليس إلى ترك كس في يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل فكف وأتى موسى الترمذ وبها حصن يشرف على النهر إلى جانب منه فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ خارجاً من الحصن والدهقان بجانب لترمذ شاه فقال لموسى إن صاحب الترمذ متكرم شديد الحياء فإن ألطفته وأهديت إليه أدخلك حصنه فإنه ضعيف قال كلا ولكني أسأله أن يدخلني حصنه فسأله فأبى فما كره موسى وأهدى له وألطفه حتى لطف الذي بينهما وخرج فتصيد معه وكثر الطاف موسى له فصنع صاحب الترمذ طعاماً وأرسل إليه إنني أحب أكرمك فتغد عندي واقتني في مائة من أصحابك فانتخب موسى من أصحابه مائة فدخلوا على خيولهم فلما صارت في المدينة تصاهلت فتطير أهل الترمذ وقالوا لهم انزلوا فنزلوا فأدخلوا بيتاً خمسين في خمسين وغدوهم فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى فقالوا له أخرج قال لا أصيب منزلاً مثل هذا فلو كنت بخارج منه حتى يكون بيتي أو قبري وقاتلوهم في المدينة فقتل من أهل الترمذ عدة وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم وغلب موسى على المدينة وقال لترمذ شاه

اخرج فاني لست أعرض لك ولا لاحد من أصحابك فخرج الملك وأهل المدينة
فأتوا الترك يستنصرونهم فقالوا دخل إليكم مائة رجل فأخرجوكم عن بلادكم
وقد قاتلناهم بكس فنحن لا نقاتل هؤلاء فأقام ابن خازم بالترمذ ودخل اليه
أصحابه وكانوا سبعمائة فأقام فلما قتل أبوه انضم إليه من أصحاب أبيه أربعمائة
فارس ففوى فكان يخرج فيغير على من حوله قال فأرسل الترك قوماً
إلى أصحاب موسى ليعلموا عليه فلما قدموا قال موسى لأصحابه لا بد من مكيدة
لهؤلاء قال وذلك في أشد الحر فأمر بنار فأججت وأمر أصحابه فلبسوا ثياب
الشتاء ولبسوا فوقها لبوداً ومدوا أيديهم إلى النار كأنهم يصطلون وأذن موسى
للترك فدخلوا ففزعوا مما رأوا وقالوا لم صنعتُم هذا قالوا نجد البرد في هذا
الوقت ونجد الحر في الشتاء فرجعوا وقالوا جنُّ لانقاتلهم قال وأراد صاحب
الترك أن يغزو موسى فوجه اليه رسلاً وبعث بسم ونشاب في مسك وإنما أراد
بالسم أن حربهم شديدة والنشاب الحرب والمسك السلم فاختر الحرب أو السلم
فأحرق السلم وكسر النشاب ونثر المسك فقال القوم لم يريدوا الصلح وأخبر أن
حربهم مثل النار وأنه يَكْسِرُنَا فلم يغزهم قال فولى بُكَيْرُ بْنُ وَشَّاحٍ خراسان
فلم يعرض له ولم يوجه اليه أحداً ثم قدم أمية فسار بنفسه يريده نخالفة بكير وخلع
فرجع إلى مرو فلما صالح أمية بكيراً أقام عامه ذلك فلما كان في قابل وجه
إلى موسى رجلاً من خزاعة في جمع كثير فعاد أهل الترمذ إلى الترك فاستنصروهم
فأبوا فقالوا لهم قد غزاهم قوم منهم وحصروهم فان أعانهم عليهم ظفرنا بهم
فسارت الترك مع أهل الترمذ في جمع كثير فأطاف بموسى الترك والخزاعي
فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة فقال
موسى لعمر بن خالد بن حصين الكلابي وكان فارساً قد طال أمرنا وأمر هؤلاء
وقد أجمت أن أبيت عسكر الخزاعي فانهم للبيات آمنون فأتى قال البيات نعماءو
وليكن ذلك بالعجم فإن العرب أشد حذراً وأسرع فزعاً وأجراً على الليل من
العجم فبيتهم فاني أرجو أن ينصرنا الله عليهم ثم تنفرد لقتال الخزاعي فنحن في

حصن وهم بالعراء وليسوا بأولى بالصبر ولا أعلم بالحرب منا قال فأجمع موسى
 على بيات الترك فلما ذهب من الليل ثلثه خرج في أربعمائة وقال لعمر بن خالد
 اخرجوا بعدنا وكونوا منا قريباً فإذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وأخذ على شاطئ
 النهر حتى ارتفع فوق العسكر ثم أخذ من ناحية كفتان فلما قرب من عسكرهم
 جعل أصحابه أربعاً ثم قال أطيّفوا بعسكرهم فإذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وأقبل
 وقدم عمراً بين يديه ومشوا خلفه فلما رأته أصحاب الأرصاء قالوا من أنتم قالوا
 عابري سبيل قال فلما جازوا الرصد تفرقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا فلم يشعر
 الترك إلا بوقع السيوف فثاروا يقتل بعضهم بعضاً وولوا وأصيب من المسلمين
 ستة عشر رجلاً وحووا عسكرهم وأصابوا أسلحاً ومالاً وأصبح الخزاعي وأصحابه
 قد كسروهم ذلك وخافوا مثلها من البيات فتحذروا فقال لموسى عمرو بن خالد إنك
 لا تظفر إلا بمكيدة ولهم أمداد وهم يكثرون فدعى آتهم لعل أصيب من صاحبهم
 فرصة إنى إن خلوتُ به قتلته فتناولني بضرب قال تتعجل الضرب وتعرض
 للقتل قال أما التعرض للقتل فأنا كل يوم متعرضٌ له وأما الضرب فما أيسره في
 جنب ما أريد فتناولني بضرب ضربه خمسين سوطاً فخرج من عسكر موسى فأتى
 عسكر الخزاعي مستأمناً وقال أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم
 فلما قتل أتيت ابنه فلم أزل معه وكنت أول من أتاه فلما قدمت اتهمني وتعصب
 عليّ وتكرّلى وقال لى قد تعصبت لعدونا فأنت عين له فضربنى ولم آمن القتل
 وقلت ليس بعد الضرب إلا القتل فهربت منه فأمنه الخزاعي وأقام معه قال فدخل
 يوماً وهو خال ولم ير عنده سلاحاً فقال كأنه ينصح له أصلحك الله إن مثلك في
 مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح فقال إن معى سلاحاً
 فرفع صدر فراشه فإذا سيف منتضى فتناولني عمرو فضربه فقتله وخرج فركب
 فرسه ونذروا به بعد ما أمعن فطلبوه فقاتهم فأتى موسى وتفرق ذلك الجيش فقطع
 بعضهم النهر وأتى بعضهم موسى مستأمناً فأمنه فلم يوجه إليه أمةٌ أحداً قال
 وعزل أمةً وقدم المهلب أميراً فلم يعرض لابن خازم وقال لبنيه إياكم وموسى

فانكم لاتزالون ولاه هذا الثغر ما أقام هذا الثط بمكانه فان قتل كان أول طالع
عليكم أميراً على خراسان رجل من قيس فمات المهلب ولم يوجه إليه أحد ثم تولى
يزيد بن المهلب فلم يعرض له وكان المهلب ضرب حُرَيْث بن قُظبة الخزاعي فخرج
هو وأخوه ثابت إلى موسى فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرهما وقتل
أخاهما لأمهما الحارث بن منقذ وقتل صهرالهما كانت عنده أم حفص ابنة ثابت
فبلغهما ما صنع يزيد قال فخرج ثابت إلى طرخون فشكا إليه ما صنع به وكان ثابت
محبباً في العجم بعيد الصوت يعظمونه ويتقون به فكان الرجل منهم إذا أعطى
عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يذدر فغضب له طرخون وجمع له نيزك
والسبل وأهل بخارى والصغانيا فقدموا مع ثابت إلى موسى بن عبد الله وقد
سقط إلى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة وقل ابن الأشعث من العراق
ومن ناحية كابل وقوم من بني تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل
خراسان فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن فقال له
ثابت وحريث سر حتى تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ونوليك
فإن طرخون ونيزك والسبل وأهل بخارى معك فهم أن يفعل فقال له أصحابه
إن ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد وإن أخرجت يزيد عن خراسان وأمناتوليا الأمر
وغلاك على خراسان فأقم مكانك فقبل رأيهم وأقام بالترمذ وقال لثابت إن
أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك ولسنا نخرج عمال يزيد من وراء النهر بما
يلينا وتكرن هذه الناحية لنا نأكلها فرضى ثابت بذلك وأخرج من كان من عمال
يزيد من وراء النهر وحملت إليهم الأموال وقوى أمرهم وأمر موسى وانصرف
طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل إلى بلادهم وتدير الأمر لحريث وثابت
والأمير موسى ليس له غير الاسم فقال لموسى أصحابه لسنأرى من الأمر في يدك
شيئاً أكثر من اسم الإمارة فأما التدبير فله حريث وثابت فاقتلها وتول الأمر
فأبى وقال ما كنت لأغدر بهما وقد قويا أمرى فحسدهما وألحوا على موسى في
أمرهما حتى أفسدوا قلبه وخوفوه غدرهما وهم بمتابعتهم على الوثوب بثابت

وحريث واضطرب أمرهم فإنهم لقي ذلك إذ خرجت عليهم الهياطة والتبت
والترك فأقبلوا في سبعين ألفا لا يعدون الحاسر ولا صاحب بيضة جماء ولا يعدون
إلا صاحب بيضة ذات قونس قال فخرج ابن خازم إلى ربض المدينة في ثلثمائة
راجل وثلاثين مجففا وألقى له كرسى فقعده عليه قال فأمر طرخون أن يثلم حائط
الربض فقال موسى دعوهم فهدموا ودخل أوائلهم فقال دعوهم يكثررون وجعل
يقلب طبرزينا ييده فلما كثروا قال الآن امنعهم فركب وحمل عليهم فقاتلهم
حتى أخرجهم عن الثلة ثم رجع فجلس على الكرسي ودمر الملك أصحابه ليعودوا
فأبوا فقال لفرسانه هذا الشيطان من سره أن ينظر إلى رستم فلينظر إلى صاحب
الكرسي فن أبى فليقدم عليه ثم تحولت الأعاجم إلى رستاق كفتان قال فأغاروا
على سرح موسى فاغتم ولم يطعم وجعل يعيث بلحيته فسار ليلا على نهر في حافيه
نبات لم يكن فيه ماء وهو يفضى إلى خندقهم في سبعمائة فأصبحوا عند عسكرهم وخرج
السرح فأغار عليه فاستاقه واتبعه قوم منهم فعطف عليه سوار مولى لموسى فطعن
رجلا منهم فصرعه فرجعوا عنهم وسلم موسى بالسرح قال وغاداهم العجم القتال
فوقف ملكهم على تل في عشرة آلاف في أكمل عدة فقال موسى إن أزلتم
هؤلاء فليس الباقون بشيء فقصدهم حريث بن قطبة فقاتلهم صدر النهار
وألح عليهم حتى أزالوهم عن التل ورعى يومئذ حريث بنشابة في جبهته
فتحاجزوا فبقيتهم موسى وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى
شمعة ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله فألقاه في نهر
بلخ ففرق وعليه درعان فقتل العجم قتلا ذريعا ونجا منهم من نجابشر ومات
حريث بن قطبة بعد يومين فدُفن في قبته قال وارتحل موسى وحملوا الرؤس إلى
الترمذ فبنوا من تلك الرؤس جوسقين وجعلوا الرؤس يقابل بعضها بعضا وبلغ
الحجاج خبر الواقعة فقال الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين فقال أصحاب
موسى قد كفينا أمر حريث فأرخنا من ثابت فأبى وقال لا وبلغ ثابتا بعض
ما يخوضون فيه فدرس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي عم نصر بن عبد الحميد

عامل أبي مسلم على الرى وكان فى خدمة موسى عبد الله وقال له إياك أن تتكلم بالعريّة وإن سألوك من أين أنت فقل من سبي الباميان فكان يخدم موسى وينقل إلى ثابت خبرهم فقال له تحفظ مايقولون وحذر ثابت فكان لا ينام حتى يرجع الغلام وأمر قوما من شاكريته يحرسونه ويبيتون عنده فى داره ومعهم قوم من العرب وألح القوم على موسى فأضجروه فقال لهم ليلة قد أكثرتم على وفيما تريدون هلاككم وقد أبرمتونى فعلى أى وجه تفتكون به وأنا لا أغدربه فقال نوح بن عبد الله أخو موسى خلنا وإياه فاذا غدا إليك عدوة عدلنا به إلى بهض الدور فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك قال أما والله إنه لهلاككم وأنتم أعلم والغلام يسمع فأتى ثابتاً فأخبره فخرج من ليلته فى عشرين فارساً فمضى وأصبحوا وقد ذهب فلم يدروا من أين أوتوا وفقدوا الغلام فعملوا أنه كان عينا له عليهم ولحق ثابت بحشورا فنزل المدينة وخرج إليه قوم كثير من العرب والدجم فقال موسى لأصحابه قد فتحتم على أنفسكم باباً فسدوه وسار إليه موسى فخرج إليه ثابت فى جمع كثير فقاتلهم فأمر موسى بإحراق السور وقاتلهم حتى ألجؤا ثابتاً وأصحابه إلى المدينة وقاتلهم عن المدينة فأقبل رقة بن الحرّ العنبرى حتى اقتحم النار فأنهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقف يحمى أصحابه فقتله ثم رجع فخاض النار وهى تلهب وقد أخذت بجوانب نمط عليه فرمى به عنه ووقف وتحصن ثابت فى المدينة وأقام موسى فى الربض وكان ثابت حين شخص إلى حشورا أرسل إلى طرخين فأقبل طرخون معنأ له وبلغ موسى بجىء طرخون فرجع إلى الترمذ وأعاناه أهل كس ونسف وبخارى فصار ثابت فى ثمانين ألفاً فحصره موسى وقطعوا عنه المادّة حتى جُهدوا قال وكان أصحاب ثابت يعبرون نهرا إلى موسى بالنهار ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم فخرج يوما رقة وكان صديقا لثابت وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا فنادى ثابتاً فبرز له وعلى رقة قباء خز فقال له كيف حالك يارقة فقال ما تسأل عن رجل عليه جبة خز فى حمارة القيظ وشكا إليه حاله فقال أنتم صنعتُم هذا بأنفسكم فقال أما والله ما دخلت فى أمرهم

ولقد كرهت ما أرادوا فقال ثابت أين تكون حتى يأتيك ما أقدر لك قال أنا عند
المُحَلِّ الطَّفَاوِيَّ رجل من قيس من يَعْصُرُ وكان المحل شيخا صاحب شراب
فنزّل رقة عنده قال فبعث ثابت إلى رقة بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر
الخراعي وقال إن لنا تجاراً قد خرجوا من بلخ فإذا بلغك أنهم قد قدموا فأرسل إلى
تأتك حاجتك فأتى علي باب المحل فدخل فإذا رقة والمحل جالسا بينهما جفنة
فيها شراب وخوان عليه دجاج وأرغفة ورقة شعث الرأس متوشح بمحفة حمراء
فدفع إليه الكيس وأبلغه الرسالة وما كلمه وتناول الكيس وقال له بيده اخرج
ولم يكلمه قال وكان رقة جسيما كبيرا غائر العينين ناتي الوجنتين مفلج بين كل
سنتين له موضع سن كأن وجهه ترس قال فلما أضاق أصحاب موسى واشتد عليهم
الحصار قال يزيد بن هزبل إنما مقام هؤلاء مع ثابت والقتل أحسن من الموت
جوعا والله لا فتكن بثابت أو لا موتن فخرج إلى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير أنا
أعرف بهذا منك إن هذا لم يأتك رغبة فيك ولا جزعا لك ولقد جاءك بغدرة
فاحذره وخلصني وإياه فقال ما كنت لأقدم على رجل أتاني لا أدرى أكذاك هو
أم لا قال فدعني أرتهن منه رهنا فأرسل ثابت إلى يزيد فقال أما أنا فلم أكن
أظن رجلا يغدر بعد ما يسأل الأمان وابن عمك أعلم بك مني فانظر ما يعاملك
عليه فقال يزيد لظهير أبيت يا أبا سعيد إلا حسدا قال أما يكفيك ما ترى من الذل
تشردت عن العراق وعن أهلي وصرت بخراسان فيما ترى أفما تعطفك الرحم
فقال له ظهير أما والله لو تركت ورأي فيك لما كان هذا ولكن أرهنا ابنك
قدامة والضحاك فدفعهما إليهم فمكنا في يدي سهير قال وأقام يزيد يلتمس غنة
ثابت لا يقدر منه على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعي أتى أباه نعيه من
مرو فخرج ثابت متفضلا إلى زياد ليعزيه ومعه ظهير ورهط من أصحابه وفيهم يزيد
ابن هزبل وقد غابت الشمس فلما صار على نهر الصغانيان تأخر يزيد بن هزبل
ورجلان معه وقد تقدم ظهير وأصحابه فدنا يزيد من ثابت فضربه فعض السيف
يرأسه فوصل إلى الدماغ قال ورمى يزيد وصاحبه بأنفسهم في نهر الصغانيان

فرمؤهم فنجا يزيد سباحة وقتل صاحبه وحمل ثابت إلى منزله فلما أصبح طرخون أرسل إلى ظهير اتنى بابني يزيد فأتاه بهما فقدم ظهير الضحاك بن يزيد فقتله ورمى به وبرأسه في النهر وقدم قدامة ليقتله فالتفت فوق سيف في صدره ولم يُبِنْ فالتقاء في النهر حيا ففرق فقال طرخون أبوهما قتلها وغدره فقال يزيد ابن هزيل لأقتلن بابني كل خراعي بالمدينة فقال له عبد الله بن بديل بن عبد الله ابن بديل بن ورقاء وكان ممن أتى موسى من فل بن الأشعث لورمت ذاك من خراعة لصعب عليك وعاش ثابت سبعة أيام ثم مات وكان يزيد بن هزيل سخيا شجاعا شاعرا ولى أيام بن زياد جزيرة ابن كاوان فقال

قد كنت أدعو الله في السر مخلفا ليُمَكِّنِي من جزية ورجال

فأترك فيها ذكر طليحة خاملا ويحمدُ فيها نائلي وفعالي

قال فقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت فقاما قياما ضعيفا وانتشر أمرهم فأجمع موسى على بياتهم فجاء رجل فأخبر طرخون فضحك وقال موسى يعجز أن يدخل متوضأ فكيف يبيتنا لقد طار قلبك لا يحرسن الليلة أحد العسكر فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائة قد عباهم من النهار وصبرهم أرباعا قال فصير على ربع رقبة ابن الحر وعلى ربع أخاه نوح بن عبد الله ابن خازم وعلى ربع يزيد ابن هزيل وصار هو في ربع وقال لهم إذا دخلتم عسكرهم فتفرقوا ولا يمرن أحد منكم بشيء الا ضربه فدخلوا عسكرهم من أربع نواح لا يمرؤن بدابة ولا رجل ولا خباء ولا جوق إلا ضربوه وسمع الوجبة نيزك فلبس سلاحه ووقف في ليلة مظلمة وقال لعل بن المهاجر الخراعي انطلق إلى طرخون فأعلمه موقفى وقل له ما ترى أعمل به فأتى طرخون فاذا هو في فاة قاعد على كرسي وشاكريته قد أوقدوا النيران بين يديه فأبلغه رسالة نيزك فقال اجلس وهو طامح ببصره نحو العسكر والصوت إذ أقبل تحميئة السلى وهو يقول حم لا ينصرون فتفرق في الشاكرية ودخل حمية الفاة وقام اليه طرخون فبدره فضر به فلم يغن شيئا قال وطعنه طرخون بذياب السيف في صدره فصرعه

ورجع إلى الكرسي فجلس عليه وخرج محمية يعدو قال ورجعت الشاكرية فقال لهم طرخون فررتم من رجل رأيتم لو كان ناراً هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد فافرح من كلامه حتى دخل جواريه الفائزة وخرج الشاكرية هرباً فقال للجواري اجلسن وقال لعل بن المهاجر قم قال فخرجوا فإذا نوح بن عبد الله ابن خازم في السراشق فتجاوزا الساعة واختلفا ضربتين فلم يصنعا شيئاً وولى نوح وأتبعه طرخون فطعن فرس نوح في خاصرته فشرب فسقط نوح والفرس في نهر الصغايان ورجع طرخون وسيفه يقطر دماً حتى دخل السراشق وعلى ابن المهاجر معه ثم دخل الفائزة وقال طرخون للجواري ارجعن ارجعن إلى السراشق وأرسل طرخون إلى موسى كفف أصحابك فانا نرتحل إذا أصبحنا فرجع موسى إلى عسكريه فلما أصبحوا ارتحل طرخون والعجم جميعاً فأتى كل قوم بلادهم قال وكان أهل خراسان يقولون مارأينا مثل موسى بن عبد الله بن خازم ولا سمعنا به قاتل مع أبيه سنتين ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكاً فغلبه على مدينته وأخرجه منها ثم سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار وأقام في حصنه خمس عشرة سنة وصار ما وراء النهر لموسى لا يعاذه فيه أحد قال وكان بقومس رجل يقال له عبد الله يجتمع إليه فتيان يتنادمون عنده في مؤثرته ونفقتة فلزمه دين فأتى موسى بن عبد الله فأعطاه أربعة آلاف فأتى بها أصحابه فقال الشاعر يعاتب رجلاً يقال له موسى

فما أنت موسى إذ يُناجى إلهه ولا واهب القينات موسى بن خازم قال فلما عزل يزيد وولى المفضل خراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله فأخرج عثمان بن مسعود وكان يزيد حبسه فقال إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله فقال والله لقد وترني وإني لثائر بابن عمي ثابت وبالخزاعي وما يدريك وأخيك عندي وعند أهل بيتي بالحسنة لقد حبستموني وشردتم بني عمي واصطفيتهم أموالهم فقال له المفضل دغ هذا عنك وسر فأدرك بئارك فوجهه في ثلاثة آلاف وقال له مر منادياً فليناد من لحق بنا فله ديوان فنادى

بذلك في السوق فسارع اليه الناس وكتب المفضل إلى مدرك وهو يبلغ أن يسير معه فخرج فلما كان يبلغ خرج ليلة يطوف في العسكر فسمع رجلا يقول قتلته والله فرجع إلى أصحابه فقال قتلته موسى ورب الكعبة قال فأصبح فسار من بلخ وخرج مدرك معه متاقلا فقطع النهر فنزل جزيرة بالترمذ يقال لها اليوم جزيرة عثمان لنزول عثمان بها في خمسة عشر ألفا وكتب إلى السبل وإلى طرخون فقدموا عليه فحصره موسى فضيقوا عليه وعلى أصحابه فخرج موسى ليلا فأتى كفتان فامتار منها ثم رجع فكث شهرين في ضيق وقد خندق عثمان وحذر البيات فلم يقدر موسى منه على غرة فقال لأصحابه حتى متى أخرجوا بنا فاجعلوا يومكم إما ظفرتهم وإما قتلهم وقال لهم اقصدوا للصعد والترك فخرج وخلف الضر بن سليمان بن عبد الله ابن خازم في المدينة وقال له ان قتلته فلا تدفعن المدينة إلى عثمان وادفعها إلى مدرك بن المهلب وخرج فصير ثلث أصحابه بإزاء عثمان وقال لا تهاجموه إلا أن يقاتلكم وقصد طرخون وأصحابه فصدقوهم فانهزم طرخون والترك وأخذوا عسكرهم فجعلوا ينقلونه ونظر معاوية بن خالد بن أبي برزة إلى عثمان وهو على برذون لخالد بن أبي برزة الأسلمي فقال أنزل أيها الأمير فقال خالد لا تنزل فان معاوية مشؤم وكرت الصغد والترك راجعة فخالوا بين موسى وبين الحصن فقاتلهم فعقر به فسقط فقال لمولى له احملي فقال الموت كرية ولكن ارتد ففان نجونا نجونا جميعاً وإن هلكنا هلكنا جميعاً قال فارتد فنظر إليه عثمان حين وثب فقال وثبة موسى ورب الكعبة وعليه مغفر له موسى بنحز أحمر في أعلاه ياقوته اسمانجونية فخرج من الخندق فكشفوا أصحاب موسى فقصد لموسى وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فابتدروه فانطوا وعليه فقتلوه ونادى منادى عثمان لا تقتلوا أحدا من لقيتموه فخذوه أسيرا قال ففرق أصحاب موسى وأسر منهم قوم فعرضوا على عثمان فكان إذا أتى بأسير من العرب قال دماؤنا لكم حلال ودماؤكم علينا حرام ويأمر بقتله وإذا أتى بأسير من الموالى شتمه وقال هذه العرب تقاتلني فهلا غضبت لي فإمر به فيشدخ وكان فظاً غليظاً فلم يسلم عليه يومئذ أسير إلا عبد الله بن بديل بن عبد الله

ابن بديل بن ورقاء فانه كان مولاه فلما نظر اليه أعرض عنه وأشار يده أن خلوا عنه ورقبة بن الحر لما أتى به نظر اليه وقال ما كان من هذا الينا كبير ذنب وكان صديقا لثابت وكان مع قوم فوفى لهم والعجب كيف أسرتموه قالوا طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسر فأطلقه وحمله وقال لخالد بن أبي برزة ليكن عندك قال وكان الذي أجهز على موسى بن عبد الله وإصل بن طيسلة العنبري ونظر يومئذ عثمان إلى زُرعة بن علقمة السلمي والحجاج بن مروان وسانان الاعرابي ناحية ناحية فقال لكم الأمان فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه قال وبقيت المدينة في يدي النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم فقال لا أدفعها إلى عثمان ولكني أدفعها إلى مدرك فدفعها اليه وآمنه فدفعها مدرك إلى عثمان وكتب المفضل بالفتح إلى الحجاج فقال الحجاج العجب من ابن بهلة أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلى أنه قتل موسى بن عبد الله بن خازم قال وقتل موسى سنة ٨٥ فذكر البحرى أن مغراء بن المغيرة بن أبي صفرة قتل موسى فقال

وقد عَرَكْتُ بِالْثَّرِيدِ الْخَيْلُ خَازِمًا وَنَوَّحًا وَمُوسَى عَرَكَةً بِالْكَلاَكِلِ

قال فضرب رجل الجند ساق موسى فلما ولي قتيبة أخبر عنه فقال ما دعاك إلى ما صنعت بقي العرب بعد موته قال كان قتل أخى فأمر به قتيبة فقتل بين يديه (وفي هذه السنة) أراد عبد الملك بن مروان خلع أخيه عبد العزيز بن مروان

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه

ذكر الواقدي أن عبد الملك هم بذلك فهاه عنه قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل هذا فإنك باعث على نفسك صوت نعار ولعل الموت يأتيه فتستريح منه فكف عبد الملك عن ذلك ونفسه تنازعه إلى أن يخلعه ودخل عليه روح بن زنباع الجذامي وكان أجل الناس عند عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعت ما استطع فيه عزان فقال ترى ذلك يا أبا زرعة قال إني والله وأنا أول من يجيئك إلى ذلك فقال نصيح إن شاء الله قال فبينا هو على ذلك وقد نام عبد الملك وروح بن زنباع إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب طروقا وكان عبد الملك قد تقدم إلى حجاجه

فقال لا يُحجب عني قبيصةُ أي ساعة جاء من ليل أو نهار إذا كنت خالياً أو عندى رجل واحد وان كنت عند النساء أدخل المجلس وأعلت بمكانه فدخل وكان الخاتمُ اليه وكانت السكة اليه تأتيه الاخبارُ قبل عبد الملك ويقرأ الكتاب قبله ويأتى بالكتاب إلى عبد الملك منشوراً فيقرأه إعظاماً لقبيصة فدخل عليه فسلم عليه وقال آجرك الله يا أمير المؤمنين في أخيك عبد العزيز قال وهل توفى قال نعم فاسترجع عبد الملك ثم أقبل على روح فقال كفانا الله أبا زرعة ما كنا نريد وما أجمعنا عليه وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا اسحاق فقال قبيصة ما هو فأخبره بما كان فقال قبيصة يا أمير المؤمنين إن رأى كله في الأناة والعجلة فيها ما فيها فقال عبد الملك ربما كان في العجلة خير كثير رأيت أمر عمرو بن سعيد لم تكن العجلة فيه خيراً من الثانى (وفي هذه السنة) توفى عبد العزيز بن مروان بمصر في جمادى الأولى فضمّ عبد الملك عمله إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه مصر وأما المدائنى فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو يزيد عنه أن الحاجاج كتب إلى عبد الملك يزيّن له بيعة الوليد وأوفد وفداً في ذلك عليهم عمران بن عصام العنزي فقام عمران خطيباً فتكلم وتكلم الوفد وحثوا عبد الملك وسألوه ذلك فقال عمران بن عصام

أمير المؤمنين إليك نهدي	على النأي التحية والسلاما
أجبنى في نيك يكن جوابي	لهم عادية ولنا قواما
فلو أن الوليد أطاع فيه	جعلت له الخلافة والذماما
شبيهُك حول قبته قریش	به يستمطرُ الناس الغماما
ومثلك في الثقي لم يصب يوماً	لذن خلع القلائد والتماما
فإن تؤثر أخاك بها فإننا	وجدك لا نطق لها اتهاما
ولكننا نحاذر من يديه	بنى العلات مأثرة سماما
ونخشى أن جعلت الملك فيهم	سحاباً أن تعود لهم جهاماً
فلايك ما حطبت غداً لقوم	وبعد غد بتوك هم العياما
فاقسم لو تخطأني عصام	بذلك ما عذرت به عصاماً

ولو أنى حَبَوْتُ أَخَا بفضل أريدُ به المقالة والمقاما
لَعَقَبَ فِي بَنِي عَلَى بنيه كذلك أو لَرُمْتُ له مَرَامًا
فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ صُدُوعٌ فَصَدْعُ الْمَلِكِ أَبْطَاهُ التَّشَامَا

فقال عبد الملك يا عمرانُ انه عبد العزيز قال احتل له يا أمير المؤمنين قال
على أراد عبد الملك بيعة الوليد قبل أمر ابن الأشعث لان الحجاج بعث في ذلك
عمران بن عصام فلما أبى عبد العزيز أعرض عبد الملك عما أراد حتى مات عبد العزيز
ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبيع لابنه الوليد كتب إلى أخيه إن رأيت
أن أتصير هذا الأمر لابن أخيك فأبى فكتب إليه فاجعلها له من بعدك فإنه أعز الخلق
على أمير المؤمنين فكتب اليه عبد العزيز إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز
ماترى في الوليد فقال عبد الملك اللهم ان عبد العزيز قطعني فاقطعه فكتب إليه عبد الملك
احمل خراج مصر فكتب إليه عبد العزيز يا أمير المؤمنين انى وإياك قد بلغنا سنا
لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلا وإني لا أدري ولا تدري أتينا
يأتيه الموت أو لا فان رأيت أن لا تغش على بقيّة عمرى فافعل فرق له عبد الملك وقال
لعمري لا أغش عليه بقيّة عمره وقال لابنيه إن يرد الله أن يعطيكموها لا يقدر
أحد من العباد على رد ذلك وقال لابيه الوليد وسليمان هل قاربها حراما قط قال لا
والله قال الله أكبر نلتهاها ورب الكعبة قال فلما أبى عبد العزيز أن يجيب
عبد الملك إلى ما أراد قال عبد الملك اللهم قد قطعني فاقطعه فلما مات عبد العزيز
قال أهل الشام رد على أمير المؤمنين أمره فدعا عليه فاستجيب له قال وكتب
الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصارى وكتب
إليه إن أردت رجلا مأمونا فاضلا عاقلا وديعا مسلما كوما تتخذه لنفسك وتضع
عنده سرك وما لا تحب أن يظهر فاتخذ محمد بن يزيد فكتب اليه عبد الملك احمله
إلى فحملة فاتخذه عبد الملك كاتباً قال محمد فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلى ولا يستر
شيئا إلا أخبرني به وكنمه الناس ولا يكتب إلى عامل من عماله إلا أعلنه فيانى
لجالس يومانصف النهار إذا أنا يريد قد قدم من مصر فقال الإذن على أمير المؤمنين

قلت ليست هذه ساعة إذن فأعلمني ما قد قدمت له قال لا قلت فإن كان معك كتاب فادفعه إلىّ قال لا قال فأبلغ بعض من حضرني أمير المؤمنين فخرج فقال ما هذا قلت رسول قدم من مصر قال فخذ الكتاب قلت زعم أنه ليس معه كتاب قال فسله عما قدم له قلت قد سأله فلم يخبرني قال أدخله فأدخلته فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز فاسترجع وبكى ووجم ساعة ثم قال يرحم الله عبد العزيز مضى والله عبد العزيز لشأنه وتركنا وما نحن فيه ثم بكى النساء وأهل الدار ثم دعاني من غد فقال إن عبد العزيز رحمه الله قد مضى لسبيله ولا بد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدى فمن ترى قالت يا أمير المؤمنين سيّد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك قال صدقت وفقك الله فمن ترى أن يكون بعده قلت يا أمير المؤمنين أين تعدّها عن سليمان قتّى العرب قال وفقت أما إنا لو تركنا الوليد وإياها لجعلها لبنيه اكتب عهداً للوليد وسليمان من بعده فكتب بيعة الوليد ثم سليمان من بعده فغضب على الوليد فلم يولني شيئاً حين أشرت بسليمان من بعده قال علىّ عن ابن جعدة كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان فبايعوا غير سعيد بن المسيب فإنه أبى وقال لا أبايع وعبد الملك حتى فضربه هشام ضرباً مبرحاً وألبسه المسوح وسرّحه إلى ذباب ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون فظن أنهم يريدون قتله فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ردوه فقال لو ظننت أنهم لا يصلبونني مالبست سراويل مسوح ولكن قلت يصلبونني فيسترنى وبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاماً إنما كان ينبغي أن يدعوهم إلى البيعة فإن أبى يضرب عنقه أو يكف عنه (وفي هذه السنة) بايع عبد الملك لابنيه الوليد ثم من بعده سليمان وجعلهما ولي عهد المسلمين وكتب ببيعته لهما إلى البلدان فبايع الناس وامتنع من ذلك سعيد بن المسيب فضربه هشام بن إسماعيل وهو عامل عبد الملك على المدينة وطاف به وحبسه فكتب عبد الملك إلى هشام يلومه على ما فعل من ذلك وكان ضربه ستين سوطاً وطاف به في تبان شعر حتى بلغ به رأس الثنية وأما الحارث فإنه قال حدثني ابن سعد عن محمد

ابن عمر الواقدي قال حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا قالوا استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب لا حتى يجتمع الناس فضربه ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إلى جابر يلومه وقال مالتا لسعيد دعه * وحدثني الحارث عن ابن سعد أن محمد بن عمر أخبره قال حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا أن عبد العزيز بن مروان توفي بمصر في جمادى سنة ٨٤ فعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان العهد وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان وعامله يومئذ هشام بن إسماعيل المخزومي فدعا الناس إلى البيعة فبايع الناس ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع لهما فأبى وقال لا حتى أنظر فضربه هشام بن إسماعيل ستين سوطا وطاف به في تبان شعر حتى بلغه رأس الثلية فلما كروا به قال أين تكرون بي قالوا إلى السجن قال والله لولا أني ظننت أنه الصلب لما لبست هذا التبان أبدا فردّه إلى السجن وحبسه وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه وما كان من أمره فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع ويقول سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه وإنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف (وحج) بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي كذلك حدثنا أحمد بن ثابت عن عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج ابن يوسف

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان وكان مهلكه في النصف من شوال منها * حدثني أحمد بن ثابت عن عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال توفي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر * وأما الحارث فإنه حدثني عن ابن سعد

عن محمد بن عمر قال حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال أجمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ قال ابن عمر وحدثني أبو معشر نجيح قال مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ فكانت ولايته منذ يوم بويج إلى يوم توفي إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا كان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ويسلم عليه بالخلافة بالشام ثم بالعراق بعد مقتل مصعب وبقى بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال * وأما علي بن محمد المدائني فانه فيما حدثنا أبو زيد عنه قال مات عبد الملك سنة ٨٦ بدمشق وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما

ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي

اختلف أهل السير في ذلك فقال أبو معشر فيه ما حدثني الحارث عن ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو معشر نجيح قال مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة (قال الواقدي) وقد روى لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة قال والاول أثبت وهو على مولده قال وولد سنة ٢٦ في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين وقال المدائني علي بن محمد فيما ذكر أبو زيد عنه مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة ذكر نسبه وكنيته

أما نسبه فانه عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف وأما كنيته فأبو الوليد وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابن أمية وله يقول ابن قيس الرقيات

أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَّلْتَ أَرْوَمَ نِسَائِهَا

لَمْ تَلْتَفِتْ لِلدَّائِيهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلَاوِهَا

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر ودرج وعائشة أمهم ولادة بنت العباس

ابن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رَوَاحَة بن ربيعة بن مازن بن الحارث
 ابن قطيفة بن عيس بن بغيض ويزيد ومروان ومعاوية درج وأم كلثوم وأمهم
 عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهشام وأمه أم هشام بنت هشام
 ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وقال المدائني اسمها عائشة
 بنت هشام وأبو بكر واسمه بكار أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله
 والحكم دَرَج أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان وفاطمة بنت عبد الملك
 أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وعبد الله ومسلمة
 والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لأمهات أولاده قال المدائني وكان
 له من النساء سوى من ذكرنا شقراء بنت سلمة بن حليس الطائي وابنة لعل بن
 أبي طالب عليه السلام وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر وذكر المدائني عن
 عوانة وغيره أن سلمة بن زيد بن وهب بن نباة الفهمي دخل على عبد الملك
 فقال له أي الزمان أدركت أفضل وأي الملوك أكمل قال أما الملوك فلم أر إلا
 ذاما وحامدا وأما الزمان فيرفع اقواما ويضع اقواما وكلهم يذم زمانه لأنه يبل
 جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع غير الأمل قال فأخبرني عن فهم قال هم
 كما قال من قال

درج الليل والنهار على فقه
 وخلصت دارهم فأضحت يبابا
 بعد عيز وثروة ونعيم
 وس وتبقى ديارهم كالرسوم

قال فمن يقول منكم

رأيت الناس مذخلقوا وكانوا
 وإن كان الغني قليل خير
 يحبون الغني من الرجال
 بخيلاً بالقليل من النوال
 فما أدري علام وفيه هذا
 وماذا يرتجون من البحال
 الدنيا فليس هناك دنيا
 ولا يرجى لحادته الليالي

قال أنا قال علي قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط

لعبد الملك بن مروان

نبئتُ أَنَّ ابنَ القَلَمِ عاتَى ومن ذا من الناس الصحيح المسلّمُ
فأبصرَ سُبُلَ الرشدِ سيدُ قومه وقد يُبصرُ الرشدَ الرئيس المعتمُ
فمن أنتم ها تحبُّرُونَا مَنْ أنتمُ وقد جعلتُ أشياء تبدؤ وتكتمُ
فقال عبد الملك ما كنت أرى أن مثلنا يقال له من أنتم أما والله لولا ما تعلم
لقلت قولاً الحقكم بأصلكم الخبيث ولضربتكم حتى تموت وقال عبد الله بن الحجاج
الثعلبي لعبد الملك

يا ابنَ أبي العاصِ وياخيرَ قى أنت سدادُ الدين إن دينٌ وهى
أنت الذى لا يجعلُ الأمرُ سدى حبيبَ قريش عنكم حوبَ الرحى
إن أبا العاصى وفى ذاك اعتصى أوصى بيه فوعوا عنه الوصى
إن يسعروا الحربَ ويأبوا ما أبى الطاعنين فى النحورِ والكلَى
شُرَّراً ورضلاً للسيوف بالخطى إلى القتال فحوروا ما قد حوى
قال أعشى بنى شيبان

عرفتُ قريشَ كلها لبني أبي العاص الإمارة
لأبرها وأحقها عند المشورة بالإشارة
الماننين لما ولوا والنافعين ذوى الضرارة
وهم أحقهم بها عند الحلاوة والمرارة

وقال عبد الملك ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى وإن ابن
الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائساً
خلافة الوليد بن عبد الملك

(وفى هذه السنة) بويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة فذكر أنه لما دفن
أباه وانصرف عن قبره دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع إليه الناس فخطب
فقال إنا لله وإنا إليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين
والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة قوموا فبايعوا فكان أول من قام ليعتبه

عبد الله بن همام السلولى فإنه قام وهو يقول

اللهُ أعطاك التي لا فوقَها وقد أراد الملحدونَ عوقَها

عنك ويأبى الله إلا سَوْقَها إليك حتى قلدوك طَوْقَها

فبايعه ثم تتابع الناس على البيعة هـ وأما الواقدي فإنه ذكر أن الوليد لما رجع من دفن أبيه ودفن خارج باب الجالية ولم يدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس إنه لا مقدم لما أخرج الله ولا مؤخر لما أقدم الله وقد كان من قضاء الله وسابق عليه وما كتب على أنبيائه وحمله عرشه الموت وقد صار إلى منازل الأبرار ولى هذه الأمة الذى يحق عليه الله من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكنت مات بدائه ثم نزل فنظر إلى ما كان من دواب الخلافة فخازه وكان جباراً عنيداً ((وفى هذه السنة) قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج فذكر على بن محمد أن كليب بن خلف أخبره عن طفيل بن مرداس العُمي والحسن بن رُشيد عن سليمان بن كثير العُمي قال أخبرني عمي قال رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ٨٦ فقدم والمفضل يُعرض الجند وهو يريد أن يغزو آخرون وشومان فخطب الناس قتيبة وحثهم على الجهاد وقال إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة العدو وقما وعدنيبه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ووعدا المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلى قوله أحسن ما كانوا يعملون) ثم أخبر عن قتل في سبيله أنه حي مرزوق فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله

أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) فتجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم
على أقصى أثر وأمضى ألم وإيأى والهويتنا

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع وسار واستخلف بمرو على حربها
إلياس بن عبد الله بن عمرو وعلى الخراج عثمان بن السعدى فلما كان بالطالقان
تلقاه دهاقين بلخ وبعض عظمائهم فساروا معه فلما قطع النهر تلقاه بيش الأعور
ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب فدعاه إلى بلاده فأتاه وأتى ملك كفتان
بهدايا وأموال ودعاه إلى بلاده فمضى مع بيش إلى الصغانيان فسلم إليه بلاده وكان ملك
أخرون وشومان قد أساء جوار بيش وغزاه وضيق عليه فسار قتيبة إلى أخرون
وشومان وهما من طخارستان فجاءه غيسلستان فصالحه على فدية أداها إليه فقبلها
قتيبة ورضى ثم انصرف إلى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم
وتقدم جنده فسبقهم إلى مرو وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بأسار التحصن وكان
معه نصر بن مسيار فأبلى يومئذ فوهب له قرية تدعى تنجانه ثم قدم صالح على
قتيبة فاستعمله على الترمذ وقال وأما الباهليون فيقولون قدم قتيبة خراسان
سنة ٨٥ فعرض الجند فكان جميع ما أحصوا من الدروع في جند خراسان
ثلاثمائة وخمسين درعا فغزا أخرون وشومان ثم قفل فركب السفن فأنحدر إلى
آمل وخلف الجند فأخذوا طريق بلخ إلى مرو وبلغ الحجاج فكتب إليه يلومه
ويعجز رأيه في تخليفه الجند وكتب إليه إذا غزوت فكن في مقدم الناس وإذا
قفلت فكن في أخرياتهم وساقهم وقد قيل إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر
في هذه السنة على بلخ لأن بعضها كان منتقضا عليه وقد ناصب المسلمين فارب أهلها
فكان ممن سبي امرأة برمك أبي خالد بن برمك وكان برمك على التوبهار فصارت
لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير أخى قتيبة بن مسلم فوقع عليها وكان به شيء
من الجذام ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذى حاربهم قتيبة فأمر قتيبة
يرد السبي فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم يانا زى إنى قد علقت منك وحضرت

عبد الله بن مسلم الوفاة فأوصى أن يلحق به ما في بطنها وردت إلى برمك ه فذكر
 أن ولد عبد الله بن مسلم جاءوا أيام المهدي حين قدم الري إلى خالد فادعوه فقال
 لهم مسلم بن قتيبة إنه لا بد لكم إن استلحقتموه ففعل من أن تزوجوه فتركوه
 وأعرضوا عن دعواهم وكان برمك طبيباً فداوى بعد ذلك مَسْلة من علة كانت
 به (وفي هذه السنة) غزا مَسْلة بن عبد الملك أرض الروم (وفيها) حبس الحجاج
 ابن يوسف يزيد بن المهلب وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك بن
 المهلب عن شرطته (وحج) بالناس في هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومي
 كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك
 قال الواقدي وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعلى
 الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل وعلى الحرب بهامن قبل الحجاج
 زياد بن جرير بن عبد الله وعلى البصرة أيوب بن الحكم وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

(ففي هذه السنة) عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن المدينة وورد عزله
 عنها فيما ذكر ليلة الأحد لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ٨٧ وكانت إمرته
 عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه (وفي هذه السنة) ولي الوليد عمر بن عبد العزيز
 المدينة قال الواقدي قدمها واليا في شهر ربيع الأول وهو ابن خمس وعشرين
 سنة وولد سنة ٦٢ قال وقدم على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان قال فحدثني
 عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة ونزل
 دار مروان دخل عليه الناس فسلموا فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة
 عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبا بكر بن عبد الرحمن وأبا بكر
 ابن سليمان بن أبي خيثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن
 عمرو وعبد الله بن عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا

عليه فجلسوا لحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال إني إن نادى عوتكم لا مرتوجون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ما أريد أن أقطع أمرا إلا ب رأيكم أو برأى من حضر منكم فإن رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لى ظلامة فأخرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغنى فخرجوا يحزونه خيرا وافترقوا قال وكتب الوليد إلى عمر يأمره أن هشام يقف بن إسماعيل للناس وكان فيه شيء الرأى قال الواقدي حدثني داود بن جبير قال أخبرني أم ولد سعيد بن المسيب أن سعيدا دعا ابنه ومواليه فقال إن هذا الرجل يوقف للناس أو قد وقف فلا يتعرض له أحد ولا يؤذه بكلمة فانا سنترك ذلك لله وللرحم فان كان ما علمت لسيي النظر لنفسه فأما كلامه فلا أكله أبدا * قال وحدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال كان هشام بن إسماعيل يسيء جوارنا ويؤذينا ولقي منه على بن الحسين أذى شديدا فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس فقال ما أخاف إلا من على بن الحسين فمر به على وقد وقف عند دار مروان وكان على قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة فلما مر ناداه هشام بن إسماعيل الله أعلم حيث يجعل رسالته (وفي هذه السنة) قدم نيزك على قتيبة وصالح قتيبة أهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر على بن محمد أن أبا الحسن الخشعي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان وجبل بن فروخ عن محمد بن المشي أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين وكتب إليه قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم ويهدده في كتابه بخافه نيزك فأطلق الأسرى وبعث بهم إلى قتيبة فوجه إليه قتيبة سليما الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكره يدعو به إلى الصالح وإلى أن يؤمنه وكتب إليه كتابا يحلف فيه بالله أن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبه حيث كان لا يقام عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة وكان يستنصحه فقال له يا سليم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب إلى كتابا لا يكتب إلى مثلي قال

له سليم يا أبا الهيثاج إن هذا رجل شديد في سلطانه سهل إذا سُوهل صعب إذا
 عُسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر
 فقدم نيزك مع سليم على قتيبة فصالحه أهل باذغيس في سنة ٨٧ على أن لا يدخل
 باذغيس (وفي هذه السنة) غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ومعه يزيد بن
 جبير فلقى الروم في عدد كثير بسوسة من ناحية المصيصة قال الواقدي فيها لاقى
 مسلمة ميمونا الجرجاني ومع مسلمة نحو من ألف مقاتل من أهل انطاكية عند
 طوانة فقتل منهم بشرا كثيرا وفتح الله على يديه حصونا وقيل إن الذي غزا الروم
 في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الأخرم
 وحصن بولس وقمم وقتل من المستعربة نحو من ألف مقاتل وسبي ذراريتهم
 ونساءهم (وفي هذه السنة) غزا قتيبة يبيكند

ذكر الخبر عن غزوته هذه

ذكر على بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس عن أبيه عن
 حصين بن مجاهد الرازي وهارون بن عيسى عن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم
 أن قتيبة لما صالح نيزك أقام إلى وقت الغزو ثم غزا في تلك السنة سنة ٨٧ يبيكند
 فسار من مرو وأتى مرو وروذ ثم أتى آمل ثم مضى إلى زم فقطع النهر وسار إلى
 يبيكند وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة
 من بخارى فلما نزل بعقوتهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في
 جمع كثير وأخذوا بالطريق فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل إليه رسول ولم يجر له
 خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فأشفق الحجاج على الجند فأمر الناس بالدعاء
 لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يقتتلون في كل يوم قال وكان لقتيبة
 عين يقال له تنذر من العجم فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالا على أن يفثا عنهم قتيبة
 فأتاه فقال أخلصني فتهض الناس واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبي فقال تنذر
 هذا عامل يقدم عليك وقد عزل الحجاج فلما انصرف بالناس إلى مرو فدعا قتيبة
 سياه مولاه فقال اضرب عنق تنذر فقتله ثم قال لضرار لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري

وغيرك وإني أعطى الله عهد أن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حرُبنا هذه
لألحقنك به فأملك لسانك فإن انتشار هذا الحديث يفت في أعضاد الناس ثم
أذن للناس قال فدخلوا فراعهم قتل تنذر فوجروا وأطرقوا فقال قتيبة
ما يروكم من قتل عبدأحانه الله قالوا إنا كنا نظنه ناصحا للمسلمين قال بل كان غاشيا
فأحانه الله بذنبه فقد مضى لسبيله فاعدوا على قتال عدوكم والقوهم بغير ما كنتم
تلقونهم به فغدا الناس متأهبين وأخذوا مصافهم ومشى قتيبة فخص أهل الرايات
فكانت بين الناس مشاورة ثم تراحموا والتقوا وأخذت السيوف مأخذها
وأنزل الله على المسلمين الصبر فقاتلهم حتى زالت الشمس ثم منح الله المسلمين
أكتافهم فانهزموا يريدون المدينة وأتبعهم المسلمون فشغلهم عن الدخول
فتفرقوا وركبهم المسلمون قتلا وأسرا كيف شاؤوا واعتصم من دخل المدينة
بالمدينة وهم قليل فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهدمها فسألوه الصلح فصالحهم
واستعمل عليهم رجلا من بني قتيبة وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار مرحلة
أو ثنتين وكان منهم على خمس فراسخ نقضوا وكفروا فقتلوا العامل وأصحابه
وجدعوا آنفهم وأذانهم وبلغ قتيبة فرجع إليهم وقد تحصنوا فقاتلهم شهرا ثم
وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن
يحرق الخشب فتهدم فسقط الحائط وهم يعلقونه فقتل أربعين من الفعلة فطلبوا
الصلح فأبى وقاتلهم فظفر بهم عنوة فقتل من كان فيها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا
في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا
أفدى نفسي فقال له سليم الناصح ما تبذل قال خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها
ألف ألف فقال قتيبة ماترون قالوا نرى أن فداه زيادة في غنائم المسلمين وما عسى
أن يبلغ من كيد هذا قال لا والله لا تروع بك مسلمة أبدا وأمر به فقتل ه قال
على قال أبوالذيال عن المهلب بن إياس عن أبيه والحسن بن رشيد عن طفيل بن
مرداس أن قتيبة لما فتح يكتد أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى
فولى الغنائم والقسم عبد الله بن ولان العدو أحد بني ملكان وكان قتيبة

يسميه الأمين ابن الأمين وإياس بن بيَّهَس الباهليّ فأذا با الآنية والأصنام فرفعاها إلى قتيبة ورفعا إليه خَبَث ما أذا با فوهبه لها فأعطيا به أربعين ألفاً فأعلماه فَرَجَعَ فيه وأمرهما أن يذياه فأذا باه فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال وأصابوا في يكند شيئاً كثيراً وصار في أيدي المسلمين من يكند شيء لم يصيوا مثله بخراسان ورجع قتيبة إلى مرو وقوى المسلمون فاشتروا السلاح والخيل وجلبت اليهم الدواب وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين وقال الكميت:

ويوم يَكْنَدُ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَمَا بُخَارَاءُ مَا أَخْطَأَ الْعَدُوُّ

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجند فأذن له فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر فقسمه في الناس فاستعدوا فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الإدفاء فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح فأقى أمل ثم عبر من زم إلى بخارى فأقى نوه شَكَّتِ وهي من بخارى فصالحوه قال عليّ حدثنا أبو الذيال عن أشياخ من بني عديّ أن مسلماً الباهليّ قال لو ألان إن عندي ما لا أحب أن أستودعك قال أتريد أن يكون مكتوماً أو لا تكره أن يعلمه الناس قال أحب أن تكتمه قال ابعت به مع رجل تثق به إلى موضع كذا وكذا ومره إذا رأى رجلاً في ذلك الموضع أن يضع مامعه وينصرف قال نعم فجعل مسلم المال في خرج ثم حمله على بغل وقال لمولى له انطلق بهذا البغل إلى موضع كذا وكذا فإذا رأيت رجلاً جالساً نخل عن البغل وانصرف فانطلق الرجل بالبغل وقد كان وألان أتى للموضع لميعاده فأبطأ عليه رسول مسلم ومضى الوقت الذي وعده فظن أنه قد بدا له فأنصرف وجاء رجل من بني تغلب فجلس في ذلك الموضع وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالساً نخل عن البغل ورجع فقام التغلبي إلى البغل فلما رأى المال ولم ير مع البغل أحداً قاد البغل إلى منزله فأخذ البغل وأخذ المال فظن مسلم أن

المال قد صار إلى وألان فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه فلقبه فقال مالى فقال ما قبضت شيئاً ولا لك عندى مال قال فكان مسلم يشكوه ويتنقصه قال فأتى يوماً مجلس بني ضبيعة قشكاه والتغلبى جالس فقام إليه فخلا به وسأله عن المال فأخبره فانطلق به إلى منزله وأخرج الخُرج فقال أتعرفه قال نعم قال والخاتم قال نعم قال اقبض مالك وأخبره الخبر فكان مسلم يأتى الناس والقبائل التى كان يشكو اليهم وألان فيعذره ويخبرهم الخبر وفى وألان يقول الشاعر :

لست كَوَأَلَانَ الذى سَادَ بالثَقِى ولست كَعِمْرَانَ وَلَا كَالْمُهَلَبِ

وعمران بن الفضيل البرُجمي (وحج) بالناس فى هذه السنة فيما حدثنى أحمد ابن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة وكان على قضاء المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبل عمر بن عبد العزيز وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وخليفته على البصرة فى هذه السنة فيما قيل الجراح بن عبد الله الحكيم وعلى قضائها عبد الله بن أذينة وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبى موسى الأشعرى وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من فتح الله على المسلمين حصناً من حصون الروم يدعى طوانة فى جمادى الآخرة وشتوا بها وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ه فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال كان فتح طوانة على يدى مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبداً وبقى العباس معه نفير منهم ابن محيرز الجمحي فقال العباس لابن محيرز أين أهل القرآن الذين يريدون

الجنة فقال ابن محيرز نادهم يأتوك فنادى العباس يا أهل القرآن فأقبلوا جميعاً فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة وكان الوليد بن عبد الملك ضرب عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة ٨٨ فذكر محمد بن عمر عن أبيه أن مخزومة بن سليما الوالي قال ضرب عليهم بعث ألفين وإنهم تجاعلوا فخرج ألف وخمسمائة وتخلف خمسمائة فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس وهما على الجيش وإنهم شتوا بطوانة وافتحوها (وفيها) ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك (وفيها) أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد فذكر محمد بن عمر أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدم في شهر ربيع الأول سنة ٨٨ قدم معتجراً فقال الناس ما قدم به الرسول فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له قدم القبلة إن قدرت وأنت تقدر لمكان أخوالك فإنهم لا يخالفونك فمن أبي منهم فمر أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع اليهم الأثمان فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده فأجاب القوم إلى الثمن فأعطاهم إياه وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد فلم يمكث إلا يسيراً حتى قدم الفعلة بعث بهم الوليد (قال محمد بن عمر) وحدثني موسى ابن يعقوب عن عمه قال رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس القاسم وسالم وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة وخارجة بن زيد وعبد الله بن عبد الله بن عمر يُروونه أعلاماً في المسجد ويقعدونه فأتسوا أساسه (قال محمد بن عمر) وحدثني يحيى بن النعمان الغفاري عن صالح بن كيسان قال لما جاء كتاب الوليد من دمشق سار خمس عشرة بهدم المسجد تجرد عمر بن عبد العزيز قال صالح فاستعملني على هدمه وبناءه فهدمناه

بعمال المدينة فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدم علينا
 الفعلة الذين بعث بهم الوليد (قال محمد) وحدثني موسى بن أبي بكر عن صالح
 ابن كيسان قال ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من
 سنة ٨٨ وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأن يعينه فيه فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب وبعث إليه
 بمائة عامل وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملا وأمر أن يتبع الفسيفساء في
 المدائن التي خربت فبعث بها إلى الوليد فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز
 (وفي هذه السنة) ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد (وفيها) غزا أيضا
 مسلمة الروم ففتح على يديه حصون ثلاثة حصن قسطنطين وغازالة وحصن الأخرم
 وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سبي الذرية وأخذ الأموال (وفي هذه السنة)
 غزا قتيبة نو مشكث وراميثنه

ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه

ذكر علي بن محمد أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان عن
 مولى لهم أدرك ذلك أن قتيبة غزا نو مشكث في سنة ٨٨ واستخلف على مرو بشار
 ابن مسلم فلتقاه أهلها فصالحهم ثم صار إلى راميثنه فصالحه أهلها فانصرف عنهم
 وزحف إليه الترك معهم السغد وأهل فرغانة فاعترضوا المسلمين في طريقهم
 فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وهو على الساقة بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر
 ميل فلما قربوا منه أرسل رسولاً إلى قتيبة يخبره وغشيه الترك فقاتلوه وأتى الرسول
 قتيبة فرجع بالناس فأنهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم وقد كاد الترك يستعلونهم
 فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلهم إلى الظهر وأبلى يومئذ نيزك
 وهو مع قتيبة فهزم الله الترك وفض جمعهم ورجع قتيبة يريد مرو وقطع النهر من
 الترمذ يريد بلخ ثم أتى مرو وقال الباهليون لقي الترك المسلمين عليهم كور بغانون
 التركي ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف فأظهر الله المسلمين عليهم (وفي هذه
 السنة) كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر

الآبار في البلدان (قال محمد بن عمر) حدثني ابن أبي سبرة قال حدثني صالح ابن كيسان قال كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة وخرجت كتبته إلى البلدان بذلك وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك قال وحبس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس وأجرى عليهم أرزاقا وكانت تجري عليهم وقال ابن أبي سبرة عن صالح بن كيسان قال كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يعمل الفؤارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم فعملها عمر وأجرى ماءها فلما حج الوليد وقف عليها فنظر إلى بيت الماء والفؤارة فأعجبته وأمر لها بقوام يقومون عليها وأن يسقى أهل المسجد منها ففعل ذلك (وحج) بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر * ذكر أن محمد بن عبد الله بن جبير مولى لبني العباس حدثه عن صالح بن كيسان قال خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة يعني سنة ٨٨ بعدة من قريش أرسل اليهم بصلات وظهر للحمولة وأحرموا معه من ذى الخليفة وساق معه بُدُنًا فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش منهم ابن أبي مُليكة وغيره فاخبروه أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحاج العطش وذلك أن المطر قلّ فقال عمر فالمطلب ههنا بين تعالوا ندع الله قال فرأيتهم دعوا ودعا معهم فألحوا في الدعاء قال صالح فلا والله ان وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل وسكنت السماء وجاء سيل الوادي فجاء أمرُ خافه أهل مكة ومُطرت عرقه ومني وجمعُ فما كانت إلا عبرا قال ونبئت مكة تلك السنة للنصب . وأما أبو معشر فانه قال حج بالناس سنة ٨٨ عمر بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكانت العمال على الأمصار في هذه السنة العمال الذين ذكرنا أنهم كانوا عمالها في سنة ٨٧

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

من ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سُوْرِيَّة وعلى الجيش مسلمة بن

عبد الملك زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم ومعه العباس
ابن الوليد ودخلها جميعا ثم تفرقا فافتتح مسلمة حصن سورية وافتتح العباس
أذرونية ووافق من الروم جمعا فهزمهم وأما غير الواقدي فإنه قال قصد مسلمة
عمورية فوافق بها للروم جمعا كثيرا فهزمهم الله وافتتح هرقله وقودية وغزا
العباس الصائفة من ناحية البندنون (وفي هذه السنة) غزا قتيبة بخارى ففتح
راميثه هـ ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك وأن قتيبة رجع بعد
ما فتحها في طريق بلخ فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج أن رد وردان خذاه
فرجع قتيبة سنة ٨٩ فأتى زم فقطع النهر فلقية السغد وأهل كس ونسف في طريق
المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى إلى بخارى فنزل خرقة السفلى عن يمين وردان
فلقوه بجمع كثير فقاتلهم يومين وليتين ثم أعطاه الله الظفر عليهم فقال نهارين توسعة
وبات لهم منا يخرقان كيلة وليلتنا كانت يخرقان أطولا

قال علي أخبرنا أبو الذيال عن المهلب بن إياس وأبو العلاء عن إدريس
ابن حنظلة أن قتيبة غزا وردان خذاه ملك بخارى سنة ٨٩ فلم يطقه ولم يظفر من
البلد بشيء فرجع إلى مرو وكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج أن صورها
لي فبعث إليه بصورتها فكتب إليه الحجاج أن ارجع إلى مراغتك فتب إلى الله
مما كان منك وأنها من مكان كذا وكذا وقيل كتب إليه الحجاج أن كس يكس
وانسف نسفا وردان وإياك والتحويط ودعى من بليات الطريق (وفي هذه
السنة) ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فيما زعم الواقدي وذكر أن عمر بن صالح
حدثه عن نافع مولى بني مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة
وهو يخطب أيها الناس أيها أعظم أخليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم والله
لو لم تعلموا فضل الخليفة ألا إن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحا أجابا
واستسقى الخليفة فسقاه عذبا فزاتا بثرا حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنتين ثنية
حطوى وثنية الحجون فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم
ليعرف فضله على زمزم قال ثم غارت البئر فذهبت فلا يدرى أين هي اليوم

(وفيها) غزا مسلمة بن عبد الملك الترك حتى بلغ الباب من ناحية آذربيجان ففتح حصونا ومدائن هنالك (وحج) بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العمال في هذه على الأمصار العمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

(في هذه السنة) غزا مسلمة أرض الروم فيما ذكر محمد بن عمر من ناحية سورية ففتح الحصون الخمسة التي بسورية (وغزا) فيها العباس بن الوليد قال بعضهم حتى بلغ الأرزق وقال بعضهم حتى بلغ سورية وقال محمد بن عمر قول من قال حتى بلغ سورية أصح (وفيها) قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصة ملك السند وهو على جيش من قبل الحجاج بن يوسف (وفيها) استعمل الوليد قرّة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك (وفيها) أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك (وفيها) فتح قتيبة بخارى وهزم جموع العدو بها

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس وأبو العلاء عن إدريس ابن حنظلة أن كتاب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان من انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه خرج قتيبة إلى بخارى في سنة ٩٠ غازياً فأرسل وردان خذاه إلى السغد والترك ومن حولهم يستنصرونهم فأتوهم وقد سبق إليها قتيبة فحصرهم فلما جاءتهم أمداؤهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم فقالت الأزدا جعلونا على حدة وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا يقاتلونهم وقتيبة جالس عليه رداء أصفر فوق سلاحه فصبروا جميعاً ملياً ثم جال المسلمون وركبهم المشركون

فخطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين
فكروا راجعين وانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم إلى مواقعهم
فوقف الترك على نشر فقال قتيبة من يزيلهم لنا عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم
أحد والأحياء كلها وقوف فمشى قتيبة إلى بني تميم فقال يا بني تميم إنكم أنتم بمنزلة الحطمية
فيوم كأيامكم أبي لكم الفداء قال فأخذ وكيع اللواء بيده وقال يا بني تميم أتسلموني
اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وهريم بن أبي طحمة المجاشعي على خيل بني تميم ووكيع
رأسهم والناس وقوف فأجمعوا جميعا فقال وكيع يا هريريم قدم ودفع إليه الراية
وقال قدم خيلك فتقدم هريريم ودب وكيع في الرجال فأنتهى هريريم إلى نهر بينه
وبين العدو فوقف فقال له وكيع أقحم يا هريريم قال فنظر هريريم إلى وكيع
نظر الجمل الصورول وقال أنا أقحم خيلي هذا النهر فإن انكشفت كان
هلاكها والله إنك لأحق قال يا ابن اللخناء ألا أراك ترد أمري وحذفه
بعمود كان معه فضرب هريريم فرسه فأفحمه وقال ما بعد هذا أشد من هذا وعبر
هريريم في الخيل وأنتهى وكيع إلى النهر فدعا بخشب فقفطر النهر وقال لأصحابه من
وطن منكم نفسه على الموت فليعبر ومن لا فليثبت مكانه فما عبر معه إلا ثمانمائة
راجل فدب فيهم حتى إذا أعيوا أقدمهم فأراحوا حتى دنا من العدو فجعل الخيل
مجنبتين وقال لهريريم إني مطاعن القوم فاشغلهم عنا بالخيل وقال للناس شدوا فحملوا
فما انتثوا حتى خالطوهم وحمل هريريم خيله عليهم فطاعنهم بالرماح فما كفوا عنهم
حتى حדרوهم عن موقفهم ونادى قتيبة أماترون العدو منهزمين فما عبر أحد ذلك
النهر حتى ولى العدو منهزمين فأتبعهم الناس ونادى قتيبة من جاء برأس فله مائة
قال فزعم موسى بن المتوكل القريعي قال جاء يومئذ أحد عشر رجلا من بني قريع
كل رجل رجل يحيى برأس فيقال له من أنت فيقول قريعي قال فجاء رجل من
الأزد برأس فالتقاء فقالوا له من أنت قال قريعي قال وجهم بن زحر قاعد فقال
كذب والله أصلحك الله أنه لابن عمي فقال له قتيبة ويحك مادعاك إلى هذا قال
رأيت كل من جاء قال قريعي فظننت أنه ينبغي لكل من جاء برأس أن يقول قريعي

قال فضحك قتيبة قال وجرح يومئذ خافان وابنه ورجع قتيبة إلى مرو وكتب إلى الحجاج اني بعثت عبد الرحمن بن مسلم ففتح الله على يديه قال وقد شهد الفتح مولى للحجاج فقدم فأخبره الخبر فغضب الحجاج على قتيبة فاغتم لذلك فقال له الناس ابعت وفدا من بني تميم وأعطهم وأرضهم يُخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت فبعث رجلا فيهم عرام بن شتير الضبي فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعابهم ودعا بالحجام بيده مقراض فقال لأقطعن ألسنتكم أو لتصدقني قالوا الأمير قتيبة وبعث عليهم عبد الرحمن فافتح للأمير والرأس الذي يكون على الناس وكله بهذا عرام بن شتير فسكن الحجاج (وفي هذه السنة) جدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد

ذكر الخبر عن ذلك

ه قال علي ذكر أبو السري عن الجهم الباهلي قال لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففرض جمعهم هابه أهل السغد فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريبا من عسكر قتيبة وبينهما نهر بخارى فسأل أن يبعث إليه رجلا يكلمه فأمر قتيبة رجلا فدنا منه وأما الباهليون فيقولون نادى طرخون حيان النبطي فأتاه فسألهم الصلح على فدية يؤتيها اليهم فأجابه قتيبة إلى ما طلب وصالحه وأخذ منه رهنا حتى يبعث إليه بما صالحه عليه وانصرف طرخون إلى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك (وفي هذه السنة) غدر نيزك ففرض الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته وعاد حربا ففزاه قتيبة

ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به

ه قال علي ذكر أبو الذيال عن المهلب بن إياس والمفضل الضبي عن أبيه وعلي ابن مجاهد وكليب بن خلف العمي كل قد ذكر شيئا فألفته وذكر الباهليون شيئا فألحقته في خبره ولا مؤلفته أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ما قدرأى من الفتوح وخاف قتيبة فقال لأصحابه وخاصته مُسْتَهْمُ أَنَا مَعَ هَذَا وَلَسْتُ أَمْنُهُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْكَلْبِ إِذَا ضَرَبْتَهُ نَبَحَ وَإِذَا أَطْعَمْتَهُ بَصَبَصَ وَاتَّبَعَكَ

وإذا غزوته ثم أعطيته شيئاً رضى ونسى ما صنعت به وقد قاتله طرخون مرارا فلما أعطاه فديةً قبلها ورضى وهو شديد السطوة فاجر فلو استأذنتُ ورجعتُ كان الرأى قالوا استأذنه فلما كان قتيبة بأمل استأذنه في الرجوع إلى تخارستان فأذنه فلما فارق عسكره متوجها إلى بلخ قال لأصحابه أغدوا السير فساروا سيرا شديداً حتى أتوا النوبهار فنزل يصلى فيه وتبرك به وقال لأصحابه إني لأشك أن قتيبة قد ندم حين فارقنا عسكره على أذنه لى وسيقدم الساعة رسوله على المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى فأقيموا ربته تنظر فإذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب فانه لا يبلغ البروقان حتى نبأ تخارستان فيبعث المغيرة رجلاً فلا يدركنا حتى ندخل شعب خلم ففعلوا قال وأقبل رسولٌ من قَبَل قتيبة إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك فلما مر الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان ومدينة بلخ يومئذ خراب ركب نيزك وأصحابه فمضوا وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه فوجده قد دخل شعب خلم فأنصرف المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب إلى أصهبذبلخ وإلى باذام ملك مرو ووذ وإلى سهرك ملك الطالقان وإلى ترسل ملك الفارياب وإلى الجوزجاني ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة فأجابوه وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب إلى كابل شاه يستظهر به وبعث إليه بثقله وماله وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده فأجابه إلى ذلك وضم ثقله قال وكان جيغويه ملك تخارستان ضعيفاً واسمه الشد فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب مخافة أن يشغب عليه وجيغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء وأخرج عامل قتيبة من بلاد جغوبه وكان العامل محمد بن سليم الناصح وبلغ قتيبة خلمه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فلم يبق مع قتيبة إلا أهل مرو فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بلخ في اثني عشر ألفاً إلى البروقان وقال أقم بها ولا تحدث شيئاً فإذا حسر الشتاء فعسكر وسر نحو تخارستان واعلم أنى قريب منك فسار عبد الرحمن فنزل البروقان وأمهل قتيبة حتى إذا كان في آخر الشتاء كتب إلى أبرشهر ويورد وسرخس

وأهل هراة ليقدموا عليه فقدموا قبل أوانهم الذي كانوا يقدمون عليه فيه (وفي هذه السنة) أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان فيما قال بعض أهل الأخبار قتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم ستمائة أربعة فراسخ في نظام واحد ذكر الخبر عن سبب ذلك

وكان السبب في ذلك فيما ذكر أن نيزك طرخان لما غدر وخلع قتيبة وعزم على حربه طابقه على حربه ملك الطالقان وواعده المصير اليه من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة فلما هرب نيزك من قتيبة ودخل شعب خلم الذي يأخذ إلى طخارستان علم أنه لا طاقة له بقتيبة فهرب وسار قتيبة إلى الطالقان فأوقع بأهلها ففعل ما ذكر فيما قبل وقد خولف قاتل هذا القول فيما قال من ذلك وأنا ذاكره في أحداث سنة ٩١ (وحي) بالناس في هذه السنة عمر بن عبدالعزيز كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان عمر بن عبدالعزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وعامل الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة وعلى الكوفة زياد ابن جرير بن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرة بن قرة بن شريك (وفي هذه السنة) هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك

ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان (قال هشام) حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسي قال خرج الحجاج إلى رُسْتَقْبَاز للبعث لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس فخرج يزيد وبإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رُسْتَقْبَاز فجعلهم في عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريبا من حجرته وجعل عليهم حرسا من أهل الشام وأغرهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم وكان يزيد يصبر صبورا

حسنا وكان الحجاج يغيظه ذلك ف قيل له إنه رُمى بنشابة فثبت نصلها في ساقه فهو لا يمسها شيء إلا صاح فان حركت أدنى شيء سمعت صوته فأمر أن يعذب ويدهق ساقه فلما فعل ذلك به صاح وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها ثم إنه كف عنهم وأقبل يستأديهم فأخذوا يؤدون وهم يعملون في التخلص من مكانهم فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه أن يضمّر لهم الخيل ويرى الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها على البيع ويُغلى بها ثلثا تُشترى فتكون لنا عُدّة إن نحن قدرنا على أن نجوئها ههنا ففعل ذلك مروان وحبيب بالبصرة يعذب أيضا وأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر بشراب فسقوا فكانوا متشاغلين به ولبس يزيد ثياب طبّاخه ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه فقال هذا شيخ وخرج المفضل على أثره ولم يُفطن له فجأوا إلى سفنهم وقد هياؤها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم فقال يزيد للمفضل اركب بنا فانه لاحق فقال المفضل وعبد الملك أخوه لأمه وهي بهلة هندية لا والله لا أبرح حتى يحى ولو رجعت إلى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك وركبوا عند ذلك السفن فساروا إليّاتهم حتى أصبحوا ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم فرفع ذلك إلى الحجاج وقال الفرزدق في خروجهم

لَمْ أَرِ كَالرَّهْطِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا	عَلَى الْجَذَعِ وَالْحَرَّاسِ غَيْرُ نِيَامِ
مَضَوْا وَهُمْ مُسْتَبْقِنُونَ بِأَنَّهُمْ	إِلَى قَدَرِ آجَالِهِمْ وَحَسَامِ
وَلَا مِنْهُمْ إِلَّا يُسَكَّنُ جَاشُهُ	بِعَضْبِ صَقِيلٍ صَارِمٍ وَحُسَامِ
فَلَمَّا التَّقَوْا لَمْ يَلْتَقُوا بِمُنْقَةٍ	كَبِيرٍ وَلَا رَخِصِ الْعِظَامِ غُلَامِ
بِمَثَلِ أَبِيهِمْ حِينَ تَمَّتْ لِدَاتِهِمْ	بِخَمْسِينَ تَتْرَى جُرْأَةً وَتَمَامِ

خفزع له الحجاج وذهب وهمه أنهم ذهبوا قبل خراسان وبعث البريد إلى قتيبة

ابن مسلم يحذره قدومهم ويأمره أن يستعد لهم وبعث إلى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم ويستعدوا لهم وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بهربهم وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان ولم يزل الحجاج يظن يزيد ما صنع كان يقول إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث ولما دنا يزيد من البطائح من موقع استقبلته الخيل قد هئنت له وإخوته فخرجوا عليها ومعهم دليل لهم من كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد بن الربعة فأخذ بهم على السماوة وآتى الحجاج بعد يومين فقبل له إنما أخذ الرجل طريق الشام وهذه الخيل حسرى في الطريق وقد أتى من رآهم موجهين في البر فبعث إلى الوليد يعلمه ذلك ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي وكان كريما على سليمان وأنزل بعض ثقله وأهله على سفيان بن سليمان الأزدي وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان فقال هذا يزيد بن المهلب وإخوته في منزلي وقد أتوك هراباً من الحجاج متعوذين بك قال فأتني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حتى فجاء بهم حتى أدخلهم عليه فكانوا في مكان آمن وقال الكلبي دليلهم في مسيرهم

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخِلَاءَ كُلَّهُمْ
لِنِعْمِ الْفَتَى يَامَعْشَرَ الْأَزْدِ أَسْعَفَتْ
عَدْلُنَ يَمِينًا عَنْهُمْ رَمْلُ عَالِجٍ
فَالَا تُصْبِحُ بَعْدَ خَمْسِ رَكَبْنَا
تَقَرُّ قَرَارَ الشَّمْسِ مِمَّا وَرَاءَنَا
يَقُومُ هُمْ كَانُوا الْمُلُوكَ هَدَّيْتُهُمْ
وَلَا قَمِيرٍ إِلَّا ضَيْلًا كَأَنَّهُ
فِدَاءٌ عَلَى مَا كَانَ لابن المهلب
رِكَابُكُمْ بِالْوَهَبِ شَرِّقِي مَنْقَبِ
وَذَاتِ يَمِينِ الْقَوْمِ أَعْلَامُ غُرَبِ
سُلَيْمَانَ مِنْ أَهْلِ اللَّوَى تَتَأَوَّبِ
وَتَذْهَبُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبِ
بِظُلُمَاءٍ لَمْ يُبْصَرْ بِهَا ضَوْءُ كَوْكَبِ
سِوَارُ حَنَاهُ صَائِغُ السُّورِ مُذْهَبِ

(قال هشام) فأخبرني الحسن بن أبان العليمي قال بينا عبد الجبار بن يزيد ابن الربعة يسرى بهم فسقطت عمامة يزيد فقدها فقال يا عبد الجبار ارجع فاطلبها لنا قال إن مثلي لا يؤمر بهذا فأعاد فأبى فتناوله بالسوط فانتسب له فاستحيامنه فذلك قوله

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخِلَاءَ كُلَّهُمْ فِدَاءً عَلَى مَا كَانَ لابن المهلب

وكتب الحجاج أن آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان
وكان آل المهلب قدموا على سليمان وقد أمر الناس أن يحصّوا اليسر حوا إلى خراسان
لا يرون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليفتن من بها فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان
هون عليه بعض ما كان في نفسه وطار غضبا للبال الذي ذهب به وكتب سليمان
إلى الوليد أن يزيد بن المهلب عندى وقد آمنته وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف كان الحجاج
أغرهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف وبقى ثلاثة آلاف ألف فهى على
فكتب إليه لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلى فكتب إليه أن أنابعث به إليك لاجئين
معه فأنشدك الله ألا تفضحنى ولا أن تخفرن فى فكتب إليه والله لئن جئتني لا أؤمنه فقال
يزيد ابعتني إليه فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ولا أن يتشاءم بي
لكما الناس ابعت إليه بي وأرسل معى ابنك واكتب إليه بالطف ما قدرت عليه
فأرسل ابنه أيوب معه وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه فى وثاق فبعث به إليه
وقال لابنه إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد فى سلسلة ثم ادخلا جميعا
على الوليد ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد فدخلا عليه فلما رأى الوليد ابن
أخيه فى سلسلة قال والله لقد بلغنا من سليمان ثم إن الغلام دفع كتابا إليه إلى عمه
وقال يا أمير المؤمنين نفسى فداؤك لا تخفر ذمة أبى وأنت أحق من منعها ولا تقطع
منار جاء من رجا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ولا تذلل من رجا العز فى الانقطاع
إلينا لعزنا بك وقرأ الكتاب لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك
أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجار بى عدو قد نابذك وجاهدك
فأنزلته وأجرته أنك لا تذلل جارى ولا تخفر جوارى بل لم أجر إلا سامعا مطيعا
حسن البلاء والأثر فى الإسلام هو وأبوه وأهل بيته وقد بعثت به إليك فان
كنت إنما تغزو قطيعتى والإخفار لذمتى والإبلاغ فى مساءتى فقد قدرت إن
أنت فعلت وأنا أعيدك بالله من احتراد قطيعتى وانتهاك حرمتى وترك برى
وصلتى فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما بقائى وبقاؤك ولا متى يفرق الموت
بينى وبينك فان استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتى علينا

أجلُ الوفاة الا وهو لي واصل ولحق مؤدوع من مساءتي نازع فليفعل والله
يا أمير المؤمنين ما أصبحتُ بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر مني برضاك
وسرورك وان رضاك مما ألتبس به رضوان الله فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يومًا
من الدهر مسرتي وصلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد وكل ما طلبته
به فهو عليّ فلما قرأ كتابه قال لقد شفقتنا على سليمان ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه
وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال
يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ومن
يكفر فلسنا كافريه وقد كان من بلادنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين
أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما إن المنّة علينا فيها عظيمة
فقال له اجلس فجلس فآمنه وكف عنه ورجع إلى سليمان وسعى إخوته في المال
الذي عليه وكتب إلى الحجاج إنني لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان فاكف
عنهم والله عن الكتاب إليّ فيهم فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم وكان أبو عينة
ابن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له وكف عن حبيب بن المهلب
ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الهيئة ويصنع له طيب
اللاطعمة ويهدي له الهدايا العظام وكان من أحسن الناس عنده منزلة وكان لا تأتي يزيد
ابن المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان ولا تأتي سليمان هدية ولا فائدة إلا بعث بنصفها
إلى يزيد بن المهلب وكان لا تعجبه جارية إلا بعث بها إلى يزيد إلا خطيئة الجارية فبلغ ذلك
الوليد بن عبد الملك فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري فقال انطلق إلى سليمان فقل
له يا خالفة أهل بيته إن أمير المؤمنين قد بلغه أنه لا تأتيك هدية ولا فائدة إلا بعثت إلى
يزيد بنصفها وإنك تأتي الجارية من جواريك فلا ينقضى طهرها حتى تبعث بها إلى
يزيد وقبح ذلك عليه وغيره به أترأك مبلغًا ما أمرتك به قال طاعتك طاعة وإنما أنا رسول
قال فآته فقل له ذلك وأقم عنده فإني باعته اليه بهدية فادفعها اليه وخذ منه البراءة
بما تدفع اليه ثم أقبل فمضى حتى قدم عليه وبين يديه المصحف وهو يقرأ فدخل
عليه فسلم فلم يرد عليه السلام حتى فرغ من قراءته ثم رفع رأسه إليه فكلمه بكل

شيء أمره به الوليد فتممر وجهه ثم قال أما والله لئن قدرتُ عليك يوماً من الدهر لأقطعن منك طابقاً فقال له إنما كانت على الطاعة ثم خرج من عنده فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليد إلى سليمان دخل عليه الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له اعطني البراءة بهذا الذي دفعت إليك فقال كيف قلت لي قال لا أعيده عليك أبداً إنما كان على الطاعة فسكن وعلم أن قد صدقه الرجل ثم خرج وخرجوا معه فقال خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسقاط وابعثوا بها إلى يزيد قال فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيد أحداً ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر وتوفي الحجاج سنة ٩٥ في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

(ففيها) غزا فيما ذكر محمد بن عمرو وغيره الصائفة عبد العزيز بن الوليد وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك (وفيها) غزا أيضاً مسلمة الترك حتى بلغ الباب من ناحية آذربيجان ففتح على يديه مدائن وحصون (وفيها) غزا موسى بن نصير الأندلسي ففتح على يديه أيضاً مدائن وحصون (وفي هذه السنة) قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان (رجع الحديث) إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله ولما قدم من كان قتيبة كتب إليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبر شهر ويورد و سرخس وهراة على قتيبة سار بالناس إلى مرو رود واستخلف على الحرب حماد بن مسلم وعلى الخراج عبد الله بن الأهم وبلغ مرزبان مرو رود إقباله إلى بلاده فهرب إلى بلاد الفرس وقدم قتيبة مرو رود فأخذ ابنين له فقتلها وصلبهما ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربه فكف عنه وفيها لصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم واستعمل الطالقان وعمرو بن مسلم ومضى إلى الفارياب فخرج إليه ملك الفارياب مدعنا مقرأ بطاعته فرضى عنه ولم يقتل بها أحداً واستعمل عليها رجلاً من باهلة وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم فترك أرضه وخرج إلى

الجبال هاربا وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقيه أهلها سامعين مطيعين فقبل منهم فلم يقتل فيها أحدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ثم أتى بلخ فلقيه الاصبهند في أهل بلخ فدخلها فلم يقيم بها إلا يوما واحدا ثم مضى يتبع عبد الرحمن حتى أتى شعب خلم وقد مضى نيزك فعسكر ببغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه يمنعون ووضع مقاتلة في قلعة حصينة من وراء الشعب فأقام قتيبة أياما يقاثلهم على مضيق الشعب لا يقدر منهم على شيء ولا يقدر على دخوله وهو مضيق الوادي يجري وسطه ولا يعرف طريقا يفضي به إلى نيزك إلا الشعب أو مفازة لا تحمل العساكر فبقى متلدا يلتمس الحيل قال فهو في ذلك إذ قدم عليه الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل القلعة التي وراء هذا الشعب فأمنه قتيبة وأعطاه مأسأله وبعث معه رجالا ليلا فأنتهى بهم إلى القلعة التي من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب فدخل قتيبة والناس الشعب فأتى القلعة ثم مضى إلى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فنج جامو بين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة قال فأقام قتيبة بسمنجان أياما ثم سار نيزك وقدم أخاه عبد الرحمن وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادى فرغانة ووجه ثقله وأمواله إلى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ونزل قتيبة اسكيمشت بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحرز نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدرى وجدر جيغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق إلى نيزك واحتل لأن تأتيني به بغير أمان فإن أعياك وأبى فأمنه واعلم أني إن عايتك وأيس هو معك صلبتك فاعمل لنفسك قال فاكتب إلى عبد الرحمن لا يخالفني قال نعم فكتب له إلى عبد الرحمن فقدم عليه فقال له ابعث رجالا فليكونوا على فم الشعب فإذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فال فبعث عبد الرحمن خيلا فكانوا حيث

أمرهم سليم ومضى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقى أياماً والأخبطة
أو قاراً حتى أتى نيزك فقال له نيزك خذلني يا سليم قال ما خذلتك ولكنك عصيتني
وأسأت بنفسك خلعت وغدرت قال فما الرأي قال الرأي أن تأتيه فقد أمحكته
وليس يبارح موضعه هذا قد اعتزم على أن يشتم بمكانه هلك أو سلم قال آت به على
غير أمان قال ما أظنه يؤمنك لما في قلبه عليك فإنك قد ملأته غيظاً ولكني أرى
أن لا يعلم بك حتى تضع يدك في يده فإنني أرجو إن فعلت ذاك أن يستحي ويعفو
عنك قال أترى ذلك قال نعم قال إن نفسي لتأبى هذا وهو إن رآني قتلني فقال له
سليم ما أيتك إلا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت أن تسلم وأن تعود حالك
عنده إلى ما كانت فأما إذا أيدت فإنني منصرف قال فنغديك إذا قال إني لأظنكم
في شغل عن تهية الطعام ومعنا طعام كثير قال ودعا سليم بالغداء فجاءوا بطعام
كثير لا عهد لهم بمثله منذ حصروا فأنتهبه الأتراك فغم ذلك نيزك وقال سليم يا أبا
الهياج أنا لك من الناصحين أرى أصحابك قد جهدوا وإن طال بهم الحصار وأقت
على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك فانطلق وأت قتيبة قال ما كنت لآمنه على نفسي
ولا آت به على غير أمان فإن ظنني به أنه قاتلي وإن آمنني ولكن الأمان أعذر لي
وأرجى قال فقد آمنك أفتتهمني قال لا قال فانطلق ممي قال له أصحابه أقبل قول
سليم فلم يكن ليقول إلا حقاً فدعا بدوابه وخرج مع سليم فلما انتهى إلى الدرجة
التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال يا سليم من كان لا يعلم متى يموت فإنني أعلم
متى أموت أموت إذا عابلت قتيبة قال كلا أيقنتك مع الأمان فركب ومضى معه
جيفغويه وقد برأ من الجدرى وصول وعثمان ابنا أخى نيزك وصول طرخان خليفة
جيفغويه وخذس وطرخان صاحب شرطه قال فلما خرج من الشعب عطفت الخيل
التي خلفها سليم إلى فوهة الشعب فخالوا بين الأتراك وبين الخروج فقال نيزك لسليم
هذا أول الشر قال لا تفعل تخلف هؤلاء عنك خير لك وأقبل سليم ونيزك ومن
خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم فأرسل رسولاً إلى قتيبة يعلمه فأرسل
قتيبة عمرو بن أبي مهزم إلى عبد الرحمن أن أقدم بهم على فقدم بهم عبد الرحمن

عليه فحبس أصحاب نيزك ودفع نيزك إلى ابن بسام الليثي وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك فجعل ابن بسام نيزك في قبته وحفر حول الثقبه خندقاً ووضع عليه حرساً ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العليمي فاستخرج ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه وقدم به على قتيبة فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك قال فدعا به فقال هل لك عندي عقد أو عند عبد الرحمن أو عند سليم قال لي عند سليم قال كذبت وقام فدخل ورد نيزك إلى حبسه فمكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس قال فقال المهلب بن إياس العدوي وتكلم الناس في أمر نيزك فقال بعضهم ما يحل له أن يقتله وقال بعضهم ما يحل له تركه وكثرت الأقاويل فيه قال وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس فقال ماترون في قتل نيزك فاختلفوا فقال قائل اقتله وقال قائل أعطيته عهداً فلا تقتله وقال قائل ما نأمنه على المسلمين ودخل ضرار بن حصين الضبي فقال ما تقول يا ضرار قال أقول إني سمعتك تقول أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله فإن لم تفعل لا ينصرنك الله عليه أبداً فأطرق قتيبة طويلاً ثم قال والله لو لم يبق من أجلى إلا ثلاث كلمات لقلت اقتلوه اقتلوه وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه فقتل مع سبعائة وأما الباهليون فيقولون لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم فلما أراد قتله دعا به ودعا بسيف حنفي فانتضاه وطول كفيه ثم ضرب عنقه بيده وأمر عبد الرحمن ف ضرب عنق صول وأمر صالحاً فقتل عثمان ويقال شقران ابن أخي نيزك وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهلة هل بك قوة قال نعم وأريد وكانت في بكر أعراية فقال درنك هؤلاء الدهاقين قال وكان إذا أتى برجل ضرب عنقه وقال أوردوا ولا تصدروا فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليين و صلب نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى وخش خاشان في اسكيمشت فقال المغيرة بن حنناء يذكر ذلك في كلمة له طويلة :

لَعَمْرِي لِنَعِمَتْ غَزْوَةُ الْجُنْدِ غَزْوَةٌ قَضَتْ نَجَبَهَا مِنْ نِيزِكٍ وَتَعَلَّتْ
قال على أخبرنا مصعب بن حيان عن أبيه قال بعث قتيبة برأس نيزك مع محض

ابن جزء الكلابي وسوار بن زهدم الجرمي فقال الحجاج إن كان قتيبة لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع ولدٍ مسلمٍ فقال سوار :

أَقُولُ لِمُحَفَّنٍ وَجَرَى سَيْدِيحٍ وَآخِرُ بَارُحٍ مِنْ عَنْ يَمِينِي
وَقَدْ جَعَلْتَ بَوَائِقُ مِنْ أُمُورٍ تَرَفَعُ حَوْلَهُ وَتَكْفَى دُونِي
نَشَدْتُكَ هَلْ يَسُرُّكَ أَنْ سَرَجِي وَسَرَجُكَ فَوْقَ أَبْغِلٍ بِأَذِينِ

قال فقال محفن نعم وبالصين قال علي أخبرنا حمزة بن إبراهيم وعلى بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان وغيرهما أن قتيبة دعا يوماً بنيزك وهو محبوس فقال مارأيك في السبل والشذ أترأهما يأتيان إن أرسلت إليهما قال لا قال فأرسل إليهما قتيبة فقدم عليهما ودعا نيزك وجيغويه فدخلا فإذا السبل والشذ بين يديه على كرسيين فجلسا يارأيهما فقال الشذ لقتيبة إن جيغويه وإن كان لي عدواً فهو أسن مني وهو الملك وأنا كعبده فأذن لي أدن منه فأذن له فدنا منه فقبل يده وسجد له قال ثم استأذنه في السبل فأذن له فدنا منه فقبل يده فقال نيزك لقتيبة ائذن لي أدن من الشذ فاني عبده فأذن له فدنا منه فقبل يده ثم أذن قتيبة للسبل والشذ فانصرفا إلى بلادهما وضم إلى الشذ الحجاج القيني وكان من وجوه أهل خراسان وقتل قتيبة نيزك فأخذ الزبير مولى عابس الباهلي خفاً لنيزك فيه جوهر وكان أكثر من في بلاده مالا وعقاراً من ذلك الجوهر الذي أصابه في خفه فسوغه إياه قتيبة فلم يزل موسراً حتى هلك بكابل في ولاية أبي داود قال وأطلق قتيبة جيغويه ومن عليه وبعث به إلى الوليد فلم يزل بالشأم حتى مات الوليد ورجع قتيبة إلى مرو واستعمل أخاه عبد الرحمن على بلخ فكان الناس يقولون غدر قتيبة بنيزك فقال ثابت قطنة :

لَا تَحْسَبَنَّ الْغَدْرَ حَزْماً فَرُبَّمَا تَرَفَّتْ بِهِ الْأَفْدَامُ يَوْمًا قَزَلَتْ

وقال وكان الحجاج يقول بعثت قتيبة فتي غراً فما زدته ذراعاً إلا زادني باعاً قال علي أخبرنا حمزة بن إبراهيم عن أشياخ من أهل خراسان وعلى بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان وغيرهما أن قتيبة بن مسلم لما رجع

إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان وكان قد هرب عن بلاده فأرسل يطلب الأمان فأمنه على أن يأتيه فيصالحه فطلب رهنا يكونون في يديه ويعطى رهائن فأعطى قتيلة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته فخلف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض حصونه وقدم على قتيلة فصالحه ثم رجع فمات بالطالقان فقال أهل الجوزجان سموه فقتلوا حبيباً وقتل قتيلة الرهن الذين كانوا عنده فقال نهار بن توسعة لقتيلة

أراك الله في الأتراك حكماً حكم في قرينة والنضير

قضاء من قتيلة غير جور به يشنى الغليل من الصدور

فإن ير نيزك خزيًا وذلاً فكم في الحرب تحق من أمير

وقال المغيرة بن حنبل يمدح قتيلة وبذكر قتل نيزك وصول وابن أخى

تبرك عثمان أو شقران

لَمَنِ الدِّيارُ عَفَتْ بَسْفَحَ سَنامِ إلا بقيّة أبيض وممّام

عَصَفَ الرِّياحُ دُيُولَها فَمَحَوْنِها وجَرَيْنَ فوق عِراصِها بِتَمامِ

دارُ لِجاريَةٍ كانَ رُضابُها مِسْكُ يُشابُ مِراجُها بِمُدّامِ

أَبْلَغَ أبا حَفِصٍ قَتِيلَةَ مَدحِ وأقرا عليه تَحِيّتي وسلامِ

يا سَيفُ أبلغها فَإِنَّ ثَناءَها حَسَنٌ وإنَّكَ شَاهدٌ لِمَقامِ

يَسْمُو فَتَضَعُ الرِّجالُ إذا سَما لِقَتِيلَةِ الحامِي حَمى الإسلامِ

لأَعَرُ مُنْتَجِبٍ لَكلِ عَظِيمَةٍ نَحيرِ يِياحِ به العَدُوّ لَهامِ

يَمضى إذا هابَ الجَبانُ وأَحْمَشَتْ حَربٌ تَسعُرُ نارُها بِضَرامِ

تَروى القَناءُ مَعَ اللَواءِ أَمامِ تَحَتِ اللَوامِعِ والنُحورِ دَوامِ

والهَمامُ تَفرِّيه السُيوفُ كَأَنَّهُ بِالقاعِ حينَ تَراهُ قَبِضَ نَعامِ

وَتَرى الجِياذَ مَعَ الجِياذِ ضَواِمِرا بَنائِهِ لِحوادِثِ الأَيامِ

وبَهِنَ أنزَلَ نِيزَكَ من شَاهِقِ والكَرِزِ حينَ يَرومُ كُلَّ مَرامِ

وأخاهُ شَقراناً سَقَيْتَ بِكَاسِهِ وَسَقَيْتَ كَأَسَهما أَخاهُ بِأَذاِمِ

وَتَرَكَتْ صَوْلًا حِينَ صَالَ مُجْدَلًا يَرْكَبُهُ بَدَوَايِرَ وَحَوَامَ
 (وفي هذه السنة) أعنى سنة ٩١ غزا قتيبة شومان وكس ونسف غزوة
 الثانية وصالح طرخان

ذكر الخبر عن ذلك

قال عليّ أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان وأبو السري وجبله بن فروخ
 عن سليمان بن مجالد والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمي وأبو السري
 المروزي عن عمه وبشر بن عيسى وعليّ بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريدة عن
 مرزبان قهستان وعياش بن عبد الله الغنوي عن أشياخ من أهل خراسان قال
 وحدثني ظئري كل قد ذكر شيئا فألفته وأدخلت من حديث بعضهم في حديث
 بعض أن فيلسنشب باذق وقال بعضهم غيسلستان ملك شومان طرد عامل قتيبة
 ومنع الفدية التي صالح عليها قتيبة فبعث إليه قتيبة عياشا الغنوي ومعه رجل من
 نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان إلى أن يؤدي الفدية على ما صالح
 عليه قتيبة فقدموا البلد فخرجوا إليهما فرموهما فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوي
 فقال أما ههنا مسلم فخرج إليه رجل من المدينة فقال أنا مسلم فما تريد قال تعينني على
 جهادهم قال نعم فقال له عياش كن خلقي لتمتع لي ظهري فقام خلفه وكان اسم الرجل
 للمهلب فقاتلهم عياش فحمل عليهم فتفرقوا عنه وحمل المهلب على عياش من خلفه
 فقتله فوجدوا به ستين جراحة فغمهم قتله وقالوا قتلنا رجلا شجاعا وبلغ قتيبة فزار
 إليهم بنفسه وأخذ طريق بلخ فلما أتاها قدّم أخاه عبد الرحمن واستعمل على بلخ
 عمرو بن مسلم وكان ملك شومان صديقا لصالح بن مسلم فأرسل إليه صالح رجلا يأمره
 بالطاعة ويضمن له رضى قتيبة إن رجع إلى الصلح فأبى وقال لرسول صالح ما تخوطني به
 من قتيبة وأنا أنزع الملوك حصنا أرمى أعلاه وأنا أشدّه الناس قوسا وأشدّ درميا فلا تبلغ
 نشابتي نصف حصني فأخاف من قتيبة فمضى قتيبة من بلخ فعبّر النهر ثم أتى شومان وقد
 تحصن ملكها فوضع عليه المجانيق ورمى حصنه فهشمه فلما خاف أن يظهر عليه ورأى
 ما نزل به جمع ما كان له من مال وجوهر فرمى به في عين في وسط القلعة لا يدرك

قعرها قال ثم فتح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل
المقاتلة وسبي الذرية ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كس ونسف
وكتب إليه الحجاج أن كس بكس وانسف نسف وإياك والتحويط ففتح كس
ونسف وامتنع عليه فرياب فخرقها فسميت المحترقة وسرح قتيبة من كس ونسف
أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السغد إلى طرخون فسار حتى نزل بمرج قريبا منهم
وذلك في وقت العصر فانتبذ الناس وشربوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا فأمر
عبد الرحمن أبا مرضية مولى لهم أن يمنع الناس من شرب العصير فكان يضربهم
ويكسر آنيةهم ويصب نبيذهم فسال في الوادي فسقى مرج النبيذ فقال بعض شعرائهم

أَمَّا النَّبِيذُ فَلَسْتُ أَشْرَبُهُ أَخَشَى أبا مَرْضِيَةَ الْكَلْبِ
دُمْتُعَسْفًا يَسْعَى بِسِكِّتِهِ يَتَوَثَّبُ الْحَيْطَانُ لِلشَّرْبِ

فقبض عبد الرحمن من طرخون شيئا كان قد صالحه عليه قتيبة ودفع إليه
رهنًا كانوا معه وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببخارى فرجعوا إلى مرو
فقال السغد لطرخون إنك قد رضيت بالذل واستطيت الجزية وأنت
شيخ كبير فلا حاجة لنا بك قال فولوا من أحببتهم قال فولوا غوزك وحبسوا
طرخون فقال طرخون ليس بعد سلب الملك إلا القتل فيكون ذلك بيدي أحب
إلي من أن يليه مني غيري فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره قال وإنما صنعوا
بطرخون هذا حين خرج قتيبة إلى سجستان وولوا غوزك وأما الباهليون
فيقولون حصر قتيبة ملك شومان ورضع على قلعة المجانيق ووضع منجنيقا
كان يسميها الفحجاء فرمى بأول حجر فأصاب الحائط ورمى بآخر فوقع في
المدينة ثم تابعت الحجارة في المدينة فوقع حجر منها في مجلس الملك فأصاب
رجلا فقتله ففتح القلعة عنوة ثم رجع إلى كس ونسف ثم مضى إلى بخارى فقتل
قرية فيها بيت نار وبيت آلهة وكان فيها طواويس فسموه منزل الطواويس ثم
سار إلى طرخون بالسغد ليقبض منه ما كان صالحه عليه فلما أشرف على وادي
السغد فرأى حسنه تمثل

وَأِدْخِصِيبَ عَشِيبَ ظَلَّ يَمْنَعُهُ مِنْ الْإِنْسِ حَذَارِ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ
وَرَدَّتُهُ بَعْنَاجِيجٍ مُسَوِّمَةٍ يَرْدِينَ بِالشُّعْثِ سَفَاكِينَ لِلْمُهْجِ

قال فقبض من طرخون صلحه ثم رجع الى بخارى فملك بخارى خذاه غلاما حدثا وقتل من خاف أن يضاده ثم أخذ على أمل ثم أتى مرو قال وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو عن رجل من باهلة قال لم يفرغ الناس من ضرب أبياتهم حتى افتتحت القلعة (وفي هذه السنة) ولي الوليد بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسري فلم يزل واليا عليها الى أن مات الوليد هـ فذكر محمد بن عمر الواقدي أن اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة حدثه عن نافع مولى بني مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله يقول يا أيها الناس إنكم بأعظم بلاد الله حرمة وهي التي اختار الله من البلدان فوضع بها بيته ثم كتب على عباده حجه من استطاع إليه سبيلا أيها الناس فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة وإياكم والشبهات فإني والله ما أرتى بأحد يطعن على امامه إلا صلبته في الحرم إن الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها فسلموا وأطيعوا ولا تقولوا كيت وكيت إنه لا رأى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه واعلموا أنه بلغني أن قوما من أهل الخلاف يقدمون عليكم ويقيمون في بلادكم فإياكم أن تنزلوا أحدا ممن تعلنون أنه زائع عن الجماعة فإني لا أجد أحدا منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله فانظروا ممن تنزلون في منازلكم وعليكم بالجماعة والطاعة فإن الفرقة هي البلاء العظيم هـ قال محمد بن عمرو حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة قال اعتمرت فنزلت دور بني أسد في منازل الزبير فلم أشعر إلا به يدعوني فدخلت عليه فقال ممن أنت قلت من أهل المدينة قال ما أنزلك في منازل المخالف للطاعة قلت إنما مقامى إن أقت يوما أو بعضه ثم رجع إلى منزلي وليس عندي خلاف أنا ممن يعظم أمر الخلافة وأزعم أن من جحدها فقد هلك قال فلا عليك ما أقت إنما يكره أن يُقيم من كان زاريا على الخليفة قلت معاذ الله وسمعت يوما يقول والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لاخر جتها من الحرم إنه لا يسكن

حرم الله وأمنه مخالف للجماعة زار عليهم قلت وفق الله الأمير (وحج) بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال حج الوليد بن عبد الملك سنة ٩١ وكذلك قال محمد بن عمر حدثني موسى ابن أبي بكر قال حدثنا صالح بن كيسان قال لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه فيتلقون الوليد بن عبد الملك منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام وأخوه محمد بن عبد الرحمن وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فخرجوا حتى بلغوا السويداء وهم مع عمر ابن عبد العزيز وفي الناس يومئذ دوابٌ وخيل فلقوا الوليد وهو على ظهر فقال لهم الحاجب انزلوا لا أمير المؤمنين فنزلوا ثم أمرهم فركبوا فدعا بعمر بن عبد العزيز فسايره حتى نزل بذي خُشب ثم أحضروا فدعاهم رجلاً رجلاً فسلموا عليه ودعا بالغداء فتغدوا عنده وراح من ذي خُشب فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه فأخرج الناس منه فامترك فيه أحد وبقى سعيد بن المسيب ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرج منه وما عليه إلا ريطتان مائتا وريان إلا خمسة دراهم في مصلاه فقيل له لو قت قال والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه قيل فلو سلمت على أمير المؤمنين قال والله لا أقوم إليه قال عمر بن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد وجاء أن لا يرى سعيداً حتى يقوم فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال من ذلك الجالس أهو الشيخ سعيد بن المسيب فجعل عمر يقول نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فسلم عليه فدار في المسجد حتى وقف على القبر ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال كيف أنت أيها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام فقال بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله قال الوليد خير والحمد لله فانصرف وهو يقول لعمر هذا بقية الناس فقلت أجل يا أمير المؤمنين قال وقسم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً أعجباً بين الناس وآنية من ذهب وفضة وأموالاً وخطب بالمدينة في الجمعة فصلى بهم (قال محمد بن عمر) وحدثني إسحاق بن يحيى قال رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام

حج قد صف له جنده صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد في أيديهم الجِرَزَة
وعُمد الحديد على العواتق فرأيتَه طلع في دُرَاعَة وقلنسوة ماعليه رداء فصعد المنبر
قلبا صعد سلم ثم جلس فأذن المؤذنون ثم سكتوا فخطب الخطبة الأولى وهو جالس
ثم قام فخطب الثانية قائما قال إسحاق فلقيت رجاء بن حيوة وهو معه فقلت هكذا
يصنعون قال نعم وهكذا صنع معاوية فهلم جراً قلت أفلا تكلمه قال أخبرني قيصة
ابن ذؤيب أنه كلم عبد الملك بن مروان فأبى أن يفعل وقال هكذا خطب عثمان
فقلت والله ما خطب هكذا ما خطب عثمان إلا قائماً قال رجاء روى لهم هذا
فأخذوا به قال إسحاق لم نر منهم أحداً أشد تجبراً منه (قال محمد بن عمر) وقدم
بطيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكسوة الكعبة فنشرت
وعلقت على حبال في المسجد من ديباج حسن لم يُر مثله قط فلنشرها يوماً وطوى
ورفع قال وأقام الحجاج الوليد بن عبد الملك هـ وكانت عمال الأمصار في هذه السنة
هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة ٩٠ غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد
ابن عبد الله القسري في قول الواقدي وقال غيره كانت ولاية مكة في هذه السنة
أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ففتح على
يدى مسلمة حصون ثلاثة وجلا أهل سُوسَنَة إلى جوف أرض الروم (وفيها)
غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفاً فلقى ملك
الأندلس زعم الواقدي أنه يقال له ادرينوق وكان رجلاً من أهل أصبهان قال وهم
ملوك عجم الأندلس فزحف له طارق بجميع من معه فزحف الادرينوق في سرير الملك
وعلى الادرينوق تاجه وقفازُه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك فاقتلوا قتلاً شديداً
حتى قتل الله الادرينوق وفتح الأندلس سنة ٩٢ (وفيها) غزا فيما زعم بعض أهل

السيرة قتيبة سجستان يريد رتيبل الأعظم والزابل فلما نزل سجستان تلقته رُسُلُ رتيبل بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي (وحج) بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ففتح الله على يديه سَمْسُطِيَّة (وفيها) كانت أيضا غزوة مروان بن الوليد الروم فبلغ خنجره (وفيها) كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتتح ماسة وحصن الحديد وغزاة وبرجة من ناحية ملطية (وفيها) قتل قتيبة ملك خام جرد وصالح مالك خوارزم صلحا مجددا

ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريذة عن مرزبان قهستان وكليب بن خلف والباهليين وغيرهم وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعض فآلفته أن ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاذ علي أمره وخرزاذ أصغر منه فكان إذا بلغه أن عند أحد من هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعا فآخرا أرسل فأخذه أو بلغه أن لا أحد منهم بنتا أو اختا أو امرأة جميلة أرسل إليه فغصبه وأخذ ماشاء وحبس ماشاء لا يمتنع عليه أحد ولا يمنعه الملك فإذا قيل له قال لأقوى عليه وقد ملأه مع هذا غيظا فلما طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم ثلاثة مفاتيح من ذهب واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من كان يضاده

بحكم فيه ما يرى وبعث في ذلك رسلا ولم يُطْلِع أحدا من مرارته ولادهاقينه على ما كتب به إلى قتيبة فقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت الغزو وقد تهيأ للغزو فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبل قتيبة وسار واستخلف على مرو ثابا الأعور مولى مسلم قال فجمع ملوكه وأحاباره ودهاقينه فقال إن قتيبة يريد السغد وليس بغازيكم فهل تنعم في ربيعنا هذا فأقبلوا على الشرب والتنعم وأمنوا عند أنفسهم الغزو قال فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب دون النهر فقال خوارزم شاه لأصحابه ماترون قالوا نرى أن نقاتله قال لكني لا أرى ذلك قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكني أرى أن نصرفه بشيء تؤديه إليه فنصرفه عامنا هذا ونرى رأينا قالوا ورأينا رأيك فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر قال ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد مدينة الفيل أحصنهن فنزلها خوارزم شاه وقتيبة في هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى أن يُعينه على ملك خام جرد وأن يني له بما كتب إليه فقبل ذلك منه قتيبة ووفي له وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد وكان يعادي خوارزم شاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير فقتلهم وأمر قتيبة لما جاءه بهم أخاه عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس قال وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف قال قال المهلب بن إياس أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضرب بها الأعناق فكان فيها ما لا يقطع ولا يجرح فأخذوا سبني فلم يضرب به شيء إلا أبانه فحسدني بعض آل قتيبة فغمز الذي يضرب أن اصفح به فصفح به قليلا فوقع في ضرر المقتول فثله (قال أبو الذبيل) والسيف عندي قال ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم واصطفى أموالهم فبعث بها إلى قتيبة ودخل قتيبة مدينة فيل فقبل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ثم رجع إلى هزارسب وقال كعب الأشقرى رَمَتْكَ فِيلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا ظَلَمَتْ ورامها قبلك الفَجَفَاجَةُ الصَّيْفُ

لا يُجْزَى الثَّغَرُ خَوَارُ الْقَنَاةِ وَلَا
 هَلْ تَذْكُرُونَ لِيَالِي التَّرِكِ تَقْتُلُهُمْ
 لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ مَا كَبَرُوا
 أَتَمَّ شَبَاسٌ وَمَرْدَاذَانٌ مُحْتَقَرٌ
 إِنِّي رَأَيْتُ أَبَا حَفْصٍ تُفَضِّلُهُ
 قَيْسٌ صَرِيحٌ وَبَعْضُ النَّاسِ يَجْمَعُهُمْ
 لَوْ كُنْتَ طَاوَعْتَ أَهْلَ الْعِزِّ مَا اقْتَسَمُوا
 وَفِي سَمَرْقَنْدٍ أُخْرَى أَنْتَ قَاسِمُهَا
 مَا قَدَّمَ النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ سَبَقَتْ بِهِ

قال أنشدني علي بن مجاهد رمتك * رمتك فيل بما دون كازه * قال وكذلك
 قال الحسن بن رشيد الجوزجاني * وأما غيرهما فقال * رمتك فيل بما فيها * وقالوا
 فيل مدينة سمرقند قال وأثبتها عندي قول علي بن مجاهد قال وقال الباهليون أصاب
 قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس قال وكان خاصة قتيبة كلوه سنة ٩٣ وقالوا
 الناس كالون قدموا من سجستان فأجبتهم عامهم هذا فأبى قال فلما صالح أهل
 خوارزم سار إلى السغد فقال الأشقرى

لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا * سبعين ألفا وعز السغد مؤتلف
 (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصوره من خوارزم
 سمرقند فافتحها

ذكر الخبر عن ذلك

قد تقدم ذكر الإسناد عن القوم الذين ذكر علي بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة
 صاحب خوارزم ثم ذكر مدرجاني ذلك أن قتيبة لما قبض صلح خوارزم قام إليه المجسر
 ابن مزاحم السلي فقال إن لي حاجة فأخلى فأحلاه فقال إن أردت السغد يوما
 من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا وإنما بينك وبينهم عشرة
 أيام قال أشار بهذا عليك أحد قال لا قال فأعلمته أحدا قال لا قال والله لئن تكلم

به أحد لا ضربن عنقك فأقام يومه ذلك فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال
سِرْ في الفرسان والمرامية وقدم الأثقال إلى مرو فوجه الأثقال إلى مرو ومضى
عبد الرحمن يتبع الأثقال يريد مرو يومه كله فلما أمسى كتب إليه إذا أصبحت
فوجه الأثقال إلى مرو وسر في الفرسان والمرامية نحو السغدوا كتم الأخبار
فاني بالأثر قال فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الأثقال أن يمشوا إلى مرو
وسار حيث أمره وخطب قتيبة الناس فقال ان الله قد فتح لكم هذه البلدة في
وقت الغزو فيه يمكن وهذه السغد شاغرة برجلها قد نقضوا الهد الذي كان بيننا
ومنعونا ما كنا صالحنا عليه طرخون وصنعوا به ما بلغكم وقال الله من نكث
فانما ينكث على نفسه، فسيروا على بركة الله فاني أرجو أن يكون خوارزم والسغد
كالنضير وقريظة وقال الله وأخرى كنتم تقدروا عليها قد أحاط الله بها، قال فأتى
السغد وقد سبقه إليها عبد الرحمن بن مسلم في عشرين ألفاً وقدم عليه قتيبة في أهل
خوارزم وبخارى بعد ثلاثة أو أربعة من نزول عبد الرحمن بهم فقال انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين فحصرهم شهراً فقاتلهم في حصارهم مراراً من
وجه واحد وكتب أهل السغد وخافوا طول الحصار إلى ملك الشاش وإخشاذ
فرغانة أن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به فانظروا لأنفسكم
فاجمعوا على أن يأتوهم وأرسلوا إليهم أرسلوا من يشغلهم حتى نبيت عسكرهم قال
وانتخبوا فرسانا من أبناء المرازبة والأساورة والأشداء الأبطال فوجهوهم
وأمرهم أن يبيتوا عسكرهم وجاءت عيون المسلمين فأخبروهم فانتخب قتيبة ثلثمائة
أو ستمائة من أهل النجدة واستعمل عليهم صالح بن مسلم فصيروهم في الطريق الذي
يخاف أن يوتي منه وبعث صالح عيوناً يأتونه بخبر القوم ونزل على فرسخين من
عسكر القوم فرجعت إليه عيونهم فأخبروه أنهم يصلون إليه من ليلتهم ففرق
صالح خيله ثلاث فرق فجعل كميناً في موضعين وأقام على قارعة الطريق وطرقهم
المشركون ليلاً ولا يعلمون بمكان صالح وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد
دون العسكر فلم يعلموا بصالح حتى غشوه قال فشددوا عليهم حتى إذا اختلفت الرماح

بينهم خرج السكينة فاقتلوا قال وقال رجل من البراجم حضرتهم فمأريت قط
 قوما كانوا أشد قتالا من أبناء أولئك الملوك ولا أصبر فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا نفر
 يسير وحوينا سلاحهم واحتزنا رؤوسهم وأسرونا منهم أسرى فسألناهم عن قتلنا
 فقالوا ما قتلتم إلا ابن ملك أو عظيما من العظماء أو بطلا من الأبطال ولقد قتلتم رجالا
 إن كان الرجل ليعدل بمائة رجل فكتبنا على آذانهم ثم دخلنا السكينة حين أصبحنا
 ومامننا رجل إلا معلق رأسا معروفا باسمه وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع
 ومناطق الذهب ودواب فرقة فنقلنا قتيبة ذلك كله وكسر ذلك أهل السغد ووضع
 قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وهو في ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم وناصحهم من معه
 من أهل بخارى وأهل خوارزم فقاتلوا قتالا شديداً وبذلوا أنفسهم فأرسل
 إليه غوزك إنما تقاتلني يا خوتني وأهل بيتي من العجم فأخرج إلى العرب فغضب
 قتيبة ودعا الجدلي فقال أعرض الناس وميز أهل البأس فجمعهم ثم جلس قتيبة
 يعرضهم بنفسه ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل فيقول ما عندك فيقول
 العريف شجاع ويقول ما هذا فيقول مختصر ويقول ما هذا فيقول جبان فسمى
 قتيبة الجبناء الاثنين وأخذ خيلهم وجيد سلاحهم فاعطاه الشجعاء والمختصرين
 وترك لهم رث السلاح ثم زحف بهم فقاتلهم بهم فرسانا ورجالا ورمى المدينة
 بالمجانيق فثلم فيها ثلثة فسدوها بغرائر الدخن وجاء رجل حتى قام على الثلثة
 فشم قتيبة وكان مع قتيبة قوم رماة فقال لهم قتيبة اختاروا منكم رجلين فاخاروا
 فقال أيكما يرمى هذا الرجل فان أصابه فله عشرة آلاف وإن أخطأه
 قطعت يده فتلکما أحدهما وتقدم الآخر فرماه فلم يخطئ عينه فامر له بعشرة
 آلاف قال وأخبرنا الباهليون عن يحيى بن خالد عن أبيه خالد بن باب مولى
 مسلم بن عمرو قال كنت في رماة قتيبة فلما افتتحنا المدينة صعدت السور
 فاتيت مقام ذلك الرجل الذي كان فيه فوجدته ميتاً على الحائط ما أخطأت النشابة
 عينه حتى خرجت من قفاه ثم أصبحوا من غد فرموا المدينة فثلموا فيها وقال
 قتيبة ألقوا عليها حتى تعبروا على الثلثة فقاتلهم حتى صاروا على ثلثة المدينة

ورماهم السغد بالشباب فوضعوا أترستهم فكان الرجل يضع ترسه على عينه ثم يحمل حتى صاروا على التلثة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غداً فاما باهلة فيقولون قال قتيبة لا نصالحهم إلا ورجالنا على التلثة ومجانيقنا تخطر على رؤسهم ومدبنتهم قال وأما غيرهم فيقولون قال قتيبة جزع العبيد فانصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على أني ألف ومائتي ألف في كل عام على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ليس فيهم صبي ولا شيخ ولا عيب على أن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل فيبنى له فيه مسجد فيدخل ويصلي ويوضع له فيها منبر فيخطب ويتغدى ويخرج قال فلما تم الصلح بعث قتيبة عشرة من كل خمس برجلين فقبضوا ما صالحوهم عليه فقال قتيبة الآن ذلوا حين صار إخوانهم وأولادهم في أيديكم ثم أدخلوا المدينة وبنوا مسجداً ووضعوا منبراً ودخلها في أربعة آلاف اتخبهم فلما دخلها أتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى وأرسل إلى أهل السغد من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ فإني لست خارجاً منها وإنما صنعت هذا لكم ولست آخذ منكم أكثر مما صالحتكم عليه غير أن الجند يقيمون فيها قال أما الباهليون فيقولون صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس وبيوت النيران وحلية الأصنام فقبض ما صالحهم عليه وأتى بالأصنام فسلبت ثم وضعت بين يديه فكانت كالقصر العظيم حين جمعت فأمر بتحريقها فقالت الأعاجم إن فيها أصناماً من حرقها هلك فقال قتيبة أنا أحرقتها بيدي فجاء عوزك فجثا بين يديه وقال أيها الأمير إن شكرك على واجب لا تعرض لهذه الأصنام فدعا قتيبة بالنار وأخذ شعلة بيده وخرج فكبر ثم أشعلها وأشعل الناس فاضطربت فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال قال وأخبرنا مغلذ بن حمزة بن بيض عن أبيه قال حدثني من شهد قتيبة وفتح سمرقند أو بعض كور خراسان فاستخرجوا منها قدورا عظيما من نحاس فقال قتيبة لحضين يا أبا ساسان أترى رقاش كان لها مثل هذه القدور قال لا لكن كان لعيلان قدر مثل هذه القدور فضحك قتيبة وقال أدركت بشارك قال وقال

محمد بن أبي عيينة لمسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن عليّ إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر أنه غدر بخوارزم و سمرقند قال فأخبرنا شيخ من بني سدوس عن حمزة ابن يعض قال أصاب قتيبة بخراسان بالسفد جارية من ولد يزدجرد فقال أترون ابن هذه يكون هجيناً فقالوا نعم يكون هجيناً من قبل أبيه فبعث بها إلى الحجاج فبعث بها الحجاج إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ه قال وأخبرنا بعض الباهليين عن نهشل بن يزيد عن عمه وكان قد أدرك ذلك كله قال لما رأى غوزك إلحاح قتيبة عليهم كتب إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب فإن وصل إلينا كنتم أضعف وأذلّ فهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظر وافي أمرهم فقالوا إنما نؤتي من سفلتنا وأنهم لا يجدون كوجدنا ونحن معشر الملوك المعنّيون بهذا الأمر فاتتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيت فانه مشغول بحصار السفد ففعلوا وولوا عليهم أبنا لخاقان وساروا وقد أجمعوا أن يبيتوا العسكر وبلغ قتيبة فاتتخب أهل النجدة والبأس ووجود الناس فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب فكانوا أربعائة فقال لهم إن عدوكم قد رأوا إبلاء الله عندكم وتأيدوا بما لكم في مزاحفتكم ومكائرتكم كل ذلك يفلجكم الله عليهم فأجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم واختاروا دهاقينهم وملوكهم وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم وقد فضلكم الله بدينه فأبلاوا الله بلاء حسناً تستوجبون به الثواب مع الذب عن أحسابكم قال ووضع قتيبة عيوناً على العدو حتى إذا قربوا منه قدّر ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم فكلّمهم وحضهم واستعمل عليهم صالح بن مسلم فخرجوا من العسكر عند المغرب فساروا فزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم الذين وصفوا لهم ففرق صالح خيله وأكمن كميناً عن يمينه وكميناً عن يساره حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت وصالح واقف في خيله فلما رآوه شدوا عليه حتى إذا اختلفت الرماح شد الكمينان عن يمين وعن شمال فلم نسمع إلا الاعتزاء فلم نرقوما كانوا أشد منهم قال وقال رجل من البراجم حدثني زهير

أوشعبة قال إننا نختلف عليهم بالطعن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبة وقد ضربت ضربة أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة فقلت كيف ترى بأبي أنت وأمي قال اسكت دق الله فاك قال فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريد وأقننا نحوى الاسلاب ونحتز الرأس حتى أصبحنا ثم أقبلنا إلى العسكر فلم أرجاعة قط جاؤا بمثل ما جئنا به مامنا رجل إلى معلق رأسا معروفا باسمه وأسير في وثاقه قال وجئنا قتيبة بالرأس فقال جزاكم الله عن الدين والأعراض خيرا وأكرمني قتيبة من غير أن يكون باح لى بشيء وقرن بي في الصلة والإكرام حيان العدوى وحليس الشيباني فظننت أنه رأى منهما مثل الذى رأى منى وكسر ذلك أهل السغد فطلبوا الصلح وعرضوا الفدية فأبى وقال أنا ناثر بدم طرخون كان مولاي وكان من أهل ذمتى قالوا حدث عمرو بن مسلم عن أبيه قال أطال قتيبة المقام وثلمت الثلثة فى سمرقند قال فنادى مناد فصيح بالعربية يشتم قتيبة قال فقال عمرو بن أبى زهدم ونحن حول قتيبة حين سمعنا الشتم خرجنا مسرعين فمكثنا طويلا وهو ملح بالشتم فجئت إلى رواق قتيبة فاطلعت فإذا قتيبة مُحْتَبٌ بشملة يقول كالماناجى لنفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان أما والله لن أصبح لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية فانصرفت إلى أصحابي فقلت كم من نفس أية ستموت غدا منا ومنهم فأخبرتهم الخبر قال وأما باهلة فيقولون سار قتيبة فجمل النهر يمين حتى ورد بخارى فاستنهمهم معه وسار حتى إذا كان بمدينة أربنجن وهى التى تجلب منها اللبود الاربى جنية لقيمهم غوزك صاحب السغد فى جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة فكانت بينهم وقائع من غير مزاحفة كل ذلك يظهر المسلمون ويتحاجزون حتى قربوا من مدينة سمرقند فتراخفوا يومئذ فحمل السغد على المسلمين حملة حطموهم حتى جازوا عسكرهم ثم كرم المسلمون عليهم حتى ردوهم إلى عسكرهم وقتل الله من المشركين عددا كثيرا ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم قال وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبى صغيرة قال رأيتُ خيلا يومئذ تطاعن خيل المسلمين وقد أمر يومئذ قتيبة بسريره فأبرز وقعد عليه وطاقنهم حتى جازوا قتيبة وإنه لمحتب بسيفه ما حل حبوته وانطوت

مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموم حتى ردوهم إلى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فأتاه في عدد من أصحابه فلما تغدى استوهب منه سمرقند فقال للملك انتقل عنها فانتقل عنها وتلا قتيبة موأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى، قال وأخبرنا أبو الذيال عن عمر بن عبد الله التيمي قال حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند قال قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام فقدمتها فدخلت مسجدتها فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنبي رجل ضرير فسألته عن شيء من أمر الشام فقال إنك لغريب قلت أجل قال من أي بلد أنت قلت من خراسان قال ما أقدمك فأخبرته فقال والذي بعث محمدا بالحق ما افتتحتموها إلا غدرا وإنكم يا أهل خراسان الذين تسلبون بني أمية ملكهم وتنقضون دمشق حجراً حجراً قال وأخبرنا العلاء بن جرير قال بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبالها فنظر إلى الناس متفرقين في مروج السغد فتمثل قول طرفة :

وَأُرْتَعَ أَقْوَامٌ وَلَوْ لَا نَحَلْنَا بِمَخْشِيَةٍ رَدُّوا الْجَمَالَ فَقَوَّضُوا

قال وأخبرنا خالد بن الأصفح قال قال الكميت :

كَانَتْ سَمَرْقَنْدُ أَحْقَابًا يَمَانِيَةً فَالْيَوْمَ تَنْسِبُهَا قَيْسِيَّةٌ مُضَرُّ

قال وقال أبو الحسن الجشمي فدعا قتيبة نهار بن توسعه حين صالح أهل السغد

فقال يانهار أين قولك :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ

أَقَامَا يَمْرُوْا الرُّوْذَ رَهْنَ ضَرْيَحِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ

أَفْغَزُوا هَذَا يَانَهَارُ قَالَ لَا هَذَا أَحْسَنُ وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

وَمَا كَانَ مُذْ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيمَا بَعَدَنَا كَابْنِ مُسْلِمٍ

أَعَمَّ لِأَهْلِ التَّرِكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسِمِ

قال ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو واستخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم

وخلف عنده جنداً كثيراً وآلة من آلة الحرب كثيرة وقال لا تدعن مشركاً يدخل

باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله وإن وجدت معه حديدة سكيناً فاسواه فاقتله وإن أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله فقال كعب الأشقرى ويقال رجل من جعفى :

كُلَّ يَوْمٍ يَحْوِي قَتِيئَهُ نَهَبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَا لَا جَدِيدًا
بَاهِلِيَّ قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كَنْ سُودًا
دَوَّخَ السُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ السَّغْدَ بِالْمَرَاءِ قُعُودًا
قَوْلِيدُ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مُوجَعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا
كَلِمَا حَلَّ بِلَدَّةٍ أَوْ أَنَاهَا تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا أَخْدُودَا

قال وقال قتيبة هذا العداء لاعداء عيرين لأنه فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد عيرين قيل عادى بين عيرين ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها وكان ضعيفاً وكان على خراجها عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بنى مسلم قال فاستضعف أهل خوارزم إياساً وجمعوا له فكتب عبيد الله إلى قتيبة فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً وقال اضرب إياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة واحلقهما وضم اليك عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بنى مسلم واسمع منه فإن له وفاءً فضى حتى إذا كان من خوارزم على سكة فدى إلى إياس فأنذره فتنحى وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه قال ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة ابن عبد الله في الجنود إلى خوارزم فبلغهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم خوارزم شاه وقالوا الانعيناك فهرب إلى بلاد الترك وقدم المغيرة فسبى وقتل وصالحه الباقر فأخذ الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور (وفي هذه السنة) عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ٩٣ فشنخص إليه في رجب منها ومعه حبيب بن عقبة بن نافع الفهرى واستخلف حين شنخص

على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن نصير وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف فتلقيه فترضاه فرضى عنه وقبل منه عذره ووجهه منها إلى مدينة طليطلة وهي من عظام مدائن الأندلس وهي من قرطبة على عشرين يوماً فأصاب فيها مائدة سليمان ابن داود فيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به (قال) وفيها أجذب أهل إفريقية جدباً شديداً فخرج موسى بن نصير فاستسقى ودعا يوماً حتى انتصف النهار وخطب الناس فلما أراد أن ينزل قيل له ألا تدعو لأمير المؤمنين قال ليس هذا يوم ذاك فسقوا سقيا كفاهم حيناً (وفيها) عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة

ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها

وكان سبب ذلك فيما ذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ولا جناية وأن ذلك بلغ الحجاج فاضطغته على عمر وكتب إلى الوليد أن من قبلى من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا إلى المدينة ومكة وإن ذلك وهن فكتب الوليد إلى الحجاج أن أشر على برجلين فكتب إليه يشير عليه بعثمان ابن حيان وخالد بن عبد الله فولى خالدا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر بن عبد العزيز قال محمد بن عمر خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام بالسويداء وهو يقول لمزاحم أخاف أن تكون ممن نفته طيبة (وفيها) ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد إياه وصب على رأسه قرية من ماء بارد (ذكر) محمد بن عمر أن أبا المليح حدثه عن حضر عمر بن عبد العزيز حين جلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً وصب على رأسه قرية من ماء في يوم شات ووقفه على باب المسجد فمكث يومه ثم مات (وحج بالناس في هذه السنة) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكانت عمال عامل الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا ما كان من المدينة فإن العامل عليها كان عثمان بن حيان المرتضى وليها فيما قيل في شعبان سنة ٩٣ وأما الواقدي

فانه قال قدم عثمان المدينة لليلتين بقيتا من شوال سنة ٩٤ وقال بعضهم شخص عمر ابن عبد العزيز عن المدينة معزولا في شعبان من سنة ٩٣ وغزا فيها واستخلف عليها حين شخص عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وقدم عثمان ابن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم فقبل إنه فتح فيها انطاكية (وفيها) غزا فيما قيل عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى أرض بُرج الحمام ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية (وفيها) كانت الرجفة بالشأم (وفيها) افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند (وفيها) غزا قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خُجَنْدَةَ وكاشان مدينتي فرغانة

ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه

ذكر علي بن محمد أن أبا الفوارس التميمي أخبره عن ما هان ويونس بن أبي إسحاق أن قتيبة غزا سنة ٩٤ فلما قطع النهر فرض على أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل قال فساروا معه إلى السغد فوجهوا إلى الشاش وتوجه هو إلى فرغانة وسار حتى أتى خُجَنْدَةَ فجمع له أهلها فلقوه فاقتلوا مرورا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ففرغ الناس يوماً فركبوا خيولهم فأوفى رجل على نشر فقال تالله ما رأيت كاليوم غرة لو كان هيج اليوم ونحن على ما أرى من الانتشار لكانت الفضيحة فقال له رجل إلى جنبه كلا نحن كما قال عوف بن الخريز

نَوْمُ الْبِلَادِ لِحُبِّ الْقَلَا وَلَا تَنْتَقِي طَائِرًا حَيْثُ طَارَا

سَنِيحًا وَلَا جَارِيًا بَارِحًا عَلَى كُلِّ حَالٍ نَلَاقِي الْيَسَارَا

وقال سبحان وائل يذكر قتالهم بخُجَنْدَةَ

فَسَلِ الْفَوَارِسَ فِي خُجْنَةِ دَعَا تَحْتَ مَرْهَفَةِ الْعَوَالِي

هَلْ كُنْتُ أَتَجَمُّهُمْ إِذَا هُزِمُوا وَأَقْدِمُ فِي قِتَالِي
 أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَّةً أَلْ مَاتِي وَأَصِيرُ لِلْعَوَالِي
 هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَيْهٍ سِي كُلِّهَا ضَخْمُ النَّوَالِ
 وَفَضَلْتُ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي الْحَجَجِ الْخَوَالِي
 وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكْمِي مَكَ فِيهِمْ فِي كُلِّ مَالِ
 تَمَّتْ مِرْوَاتُكُمْ وَنَا غِي عِزُّكُمْ غُلَبَ الْجِبَالِ

قال ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها وانصرف قتيبة إلى مرو وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة ووجه إليهم جهم بن زحر بن قيس فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام وكان محمد وأداهم جهم بن زحر فبعث سليمان بن صعصعة وجهم بن زحر فلما ودعه جهم بكى وقال يا جهم إنه للفراق قال لا بد منه قال وقدم على قتيبة سنة ٩٥ (وفي هذه السنة) قدم عثمان بن حيان المرسي المدينة واليا عليها من قبل الوليد بن عبد الملك ذكر الخبر عن ولايته

قد ذكرنا قبل سبب عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأميره على المدينة عثمان بن حيان فزعم محمد بن عمر أن عثمان قدم المدينة أميرا عليها لليلتين بقيتا من شوال سنة ٩٤ فنزل بها دار مروان وهو يقول بحلة والله مظعان المغرور من غربة بك فاستقضى أبا بكر بن حزم قال محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن أبي حرة عن عمه قال رأيت عثمان بن حيان أخذ رباح بن عبيد الله ومنقذ العراقي فحبسهم وعاقبهم ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف ولم يترك بالمدينة أحدا من أهل العراق تاجرا ولا غير تاجر وأمر بهم أن يخرجوا من كل بلد فرأيتهم في الجوامع واتبع أهل الأهواء وأخذ هيبة ما قطعته ومنحورا وكانا من الخوارج قال وسمعت يخطب على المنبر يقول بعد حمد الله أيها الناس إنا وجدناكم أهل غش لأمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه وقد ضوى إليكم من يزيدكم خبالا

أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق هم والله عَشْرُ النفاق ويضته التي تفلقت عنه والله ما جربت عراقياً قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول وما هم لهم بشيعة وإنهم لاعداء لهم ولغيرهم ولكن لما يريد الله من سفك دماهم فإن الله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم أو أكره منزلاً ولا أنزله إلا هدمت منزله وأنزلت به ما هو أهله ثم إن البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلح رعيته جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشير الشأم أحب إليك أم العراق فيقول الشأم أحب إلى إني رأيت العراق داء عضالاً وبها فرخ الشيطان والله لقد أعضلوا بني وإني لأراني سأفرقهم في البلدان ثم أقول لو فرقتم لأفسدوا من دخلوا عليه بجذلٍ وحجاجٍ وكيف ولم وسُرعةٍ وجيفٍ في الفتنة فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل لم يصلحوا على عثمان فلقى منهم الأمرين وكانوا أول الناس فتق هذا الفتق العظيم ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة وأنغلوا البلدان والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم ثم وإيهم أمير المؤمنين معاوية فداجمهم فلم يصلحوا عليه ووليهم رجل الناس جلدأ فبسط عليهم السيف وأخافهم فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا وذلك أنه خبرهم وعرفهم أيها الناس إنا والله ما رأينا شعاراً قط مثل الأمن ولا رأينا حلساً قط شراً من الخوف فالزموا الطاعة فإن عندي يا أهل المدينة خبرة من الخلاف والله ما أتم بأصحاب قتال فكونوا من أحلاس بيوتكم وعضوا على النواجذ فإنني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم انكم في فضول كلامٍ غيرُهُ ألزم لكم فدعوا عيب الولاة فإن الأمر إنما ينقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد قال يقول القاسم بن محمد صدق في كلامه هذا الأخير إن الفتنة لهكذا ه قال محمد بن عمرو حدثني خالد بن القاسم عن سعيد بن عمرو الأنصاري قال رأيت منادى عثمان بن حيان ينادي عندنا يابني أمية بن زيد برئت ذمة الله مني آوى عراقياً وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل يقال له أبو سواده من العباد فقال والله ما أحب أن أدخل عليكم

مكروهاً بلغوني مأمنى قلت لاخير لك في الخروج إن الله يدفع عنا وعنك قال فأدخلته بيتي وبلغ عثمان بن حيان فبعث أحراساً فأخرجته إلى بيت أخى فما قدروا على شيء وكان الذى سعى بى عدواً فقلت للأمير أ صلح الله الأمير يؤتى بالباطل فلا تعاقب عليه قال فضرب الذى سعى بى عشرين سوطاً وأخرجنا العراقى فكان يصلى معنا ما يغيب يوماً واحداً وحذب عليه أهل دارنا فقالوا نموت دونك فما برح حتى عزل الخبيث ه قال محمد بن عمر وحدثنا عبد الحكم بن عبد الله بن أبى فروة قال إنما بعث الوليد عثمان بن حيان إلى المدينة لإخراج من بها من العراقيين وتفريق أهل الأهواء ومن ظهر عليهم أو علا بأمرهم فلم يبعثه والياً فكان لا يصعد المنبر ولا يخطب عليه فلما فعل فى أهل العراق ما فعل وفى منحور وغيره أثبتته على المدينة فكان يصعد على المنبر (وفى هذه السنة) قتل الحجاج سعيد بن جبير

ذكر الخبر عن مقتله

وكان سبب قتل الحجاج لإياه خروجه عليه مع من خرج عليه مع عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه فلما هزم عبد الرحمن وهرب إلى بلاد رتبيل هرب سعيد ۞ فحدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان وكان سعيد قال الطبرى أظنه لما هرب من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه أن سعيداً عندك نخذه فجاء الأمر إلى رجل تخرج فأرسل إلى سعيد تحوّل عنى فتنحى عنه فأتى آذربيجان فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون واعتمر فخرج إلى مكة فأقام بها فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم قال فقال أبو حصين وهو يحدثنا هذا فبلغنا أن فلانا قد أمر على مكة فقلت له يا سعيد إن هذا الرجل لا يؤمن وهو رجل سوء وأنا أتقيه عليك فأظعن وأشخص فقال يا أبا حصين قد والله فررت حتى استحييت من الله سيجيتنى ما كتب الله لى قلت أظنك والله

سعيدا كما سمتك أمك قال فقدم ذلك الرجل الى مكة فأرسل فأخذ فلان له وكله فجعل يدبره وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس قال كتب الحجاج الى الوليد إن أهل النفاق والشقاق قد لجؤا الى مكة فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمر بن دينار فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلوا لأنهما مكيان وأما الآخرون فبعث بهم إلى الحجاج فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج وقتل سعيد بن جبير ۞ حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا الأشجعي قال لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزل منزلا قريبا من الربدة فانطلق أحد الحرسيين في حاجته وبقي الآخر فاستيقظ الذي عنده وقد رأى رؤيا فقال يا سعيد إنى أبرأ إلى الله من دمك إنى رأيت في منامى فقيل ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير اذهب حيث شئت لا أطلبك أبداً فقال سعيد أرجو العافية وأرجو وأبى حتى جاء ذاك فنزلا من الغد فأرى مثلها فقيل أبرأ من دم سعيد فقال يا سعيد اذهب حيث شئت إنى أبرأ إلى الله من دمك حتى جاء به فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه ۞ حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم قال دخلت عليه في دار سعيد هذه جيء به مقيدا فدخل عليه قراء أهل الكوفة قلت يا أبا عبد الله فحدثكم قال إى والله ويضحك وهو يحدثنا وبلىة له في حجره فنظرت نظرة فأبصرت القيد فبكت فسمعتة يقول أى بنية لا تطيرى إياك وشق والله عليه فاتبعناه نشيعه فأنهينا به إلى الجسر فقال الحرسيان لا نعبر به أبدا حتى يعطينا كفيلا نخاف أن يغرق نفسه قال قلنا سعيد يغرق نفسه فما عبروا حتى كفلنا به ۞ قال وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت الفضل بن سويد قال بعثنى الحجاج في حاجة فجيء بسعيد بن جبير فرجعت فقلت لا أنظرن ما يصنع فقمت على رأس الحجاج فقال له الحجاج يا سعيد ألم أشركك في أماتى ألم أستعملك ألم أفعل حتى ظننت أنه يخلى سبيله قال بلى قال فاحملك على خروجك على قال عزم على قال فطار غضبا وقال هيه رأيت

لعزيمة عدو الرحمن عليك حقاً ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لى عليك حقاً اضربا عنقه فضربت عنقه فندر رأسه عليه كمة بيضاء لاطية صغيرة ❀ وحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال لما قتل سعيد بن جبير فندر رأسه هلل ثلاثاً مرة يفصح بها وفي الثنتين يقول مثل ذلك فلا يفصح بها وذكر أبو بكر الباهلي قال سمعت أنس بن أبي شيخ يقول لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال لعن الله ابن النصرانية قال يعنى خالد القسرى وهو الذى أرسل به من مكة أما كنت أعرف مكانه بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال ياسعيد ما أخرجك على فقال أصلح الله الأمير إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة قال فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ورجا أن يتخلص من أمره قال فعاوده فى شيء فقال له إنما كانت له بيعة فى عنق قال فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفى رداءه عن منكبه فقال ياسعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية قال بلى قال فتكث بيعتين لأمير المؤمنين وتنى بواحدة للحائك ابن الحائك اضربا عنقه قال فإياه عنى جرير بقوله

يَارُبُّ نَاكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكَتَهُ وَخِصَابُ حِلْيَتِهِ دَمُ الْاَوْدَاجِ

وذكر عتاب بن بشر عن سالم الأفطس قال أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجليه فى الفرز أو الركاب فقال والله لا أركب حتى تبوء مقعدك من النار اضربوا عنقه فضربت عنقه فالتبس عقله مكانه فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا أنه قال القيود التى على سعيد بن جبير فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود قال محمد بن حاتم حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن جناب قال جىء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال اكتب إلى مصعب ابن الزبير قال بل كتب إلى مصعب قال والله لا قتلناك قال إني إذا السعيد كما سميتى أمى قال فقتله فلم يلبث بعده إلا نحواً من أربعين يوماً فكان إذا نام يراه فى منامه

يأخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عدو الله فيم قتلني فيقول مالي ولسعيد بن جبير مالي
ولسعيد بن جبير (قال أبو جعفر) وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء مات فيها
عامة فقهاء أهل المدينة مات في أولها علي بن الحسين عليه السلام ثم عروة بن
الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (واستقصى)
الوليد في هذه السنة بالشأم سليمان بن حبيب واختلف فيمن أقام الحج للناس في
هذه السنة فقال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن
عيسى عنه قال حج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة ٩٤ وقال الواقدي حج بالناس
سنة ٩٤ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك قال ويقال مسلمة بن عبد الملك وكان
العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسري وعلى المدينة عثمان بن حيان المري
وعلى الكوفة زياد بن جرير وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى وعلى البصرة
الجراح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم
وعلى مصر قرّة بن شريك وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الاحداث التي كانت فيها

(ففيها) كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الرم ففتح الله
على يديه ثلاثة حصون فيما قيل وهي طولس والمرزبانين وهرقلة (وفيها) فتح
آخر الهند إلا الكيرج والمندل (وفيها) بنيت واسط القصب في شهر رمضان
(وفيها) انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس وضحى بقصر الماء
فيما قيل على ميل من القيروان (وفيها) غزا قتيبة بن مسلم الشاش

ذكر الخبر عن غزوته هذه

(رجع الحديث) إلى حديث علي بن محمد قال وبعث الحجاج جيشا من العراق
فقدموا على قتيبة سنة ٩٥ فغزاه فلما كان بالشاش أوبكشما من أتابه موت الحجاج في
شوال فغمه ذلك وقفل راجعا إلى مرو وتمثل

لَعَمْرِي لِنِعَمِ الْمَرْءِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَوْرَانَ أَمْسَى. اَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَا لَا أَمَلَّ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

قال فرجع بالناس ففرقهم تخلف في بخارى قوما ووجه قوما إلى كس ونسف ثم
أتى مرو فأقام بها وأتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك في
جهاد أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب لك فالتم مغازيك
واتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني أنظر إلى بلادك
والشعر الذي أنت به (وفيها) مات الحجاج بن يوسف في شوال وهو يومئذ
ابن أربع وخمسين سنة وقيل ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل كانت وفاته في هذه
السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان (وفيها) استخلف الحجاج لما حضرته
الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما
قال الواقدي عشرين سنة (وفي هذه السنة) افتتح العباس بن الوليد قنسرين
(وفيها) قتل الواحشي بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه (وفيها) ذكر
ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي (وفيها) ولي الوليد بن عبد الملك يزيد
ابن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصريين الكوفة والبصرة وولى خراجهما
يزيد بن أبي مسلم وقيل إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب
البلدين والصلاة بأهلها يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم
فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه وكذلك
فعل بعمال الحجاج كلهم أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته (وحج)
بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت
عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان عمال
الأمصار في هذه السنة هم العمال الذي كانوا في السنة التي قبلها إلا ما كان من
الكوفة والبصرة فانهما ضمنا إلى من ذكرت بعد موت الحجاج

ثم دخلت سنة ست وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

(ففيها) كانت فيما قال الواقدي غزوة بشر بن الوليد الشامية ففقل وقد مات الوليد (وفيها) كانت وفاة الوليد بن عبد الملك يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦ في قول جميع أهل السير واختلف في قدر مدة خلافته فقال الزهري في ذلك ما حدثت عن ابن وهب عن يونس عنه ملك الوليد عشر سنين إلا شهرا وقال أبو معشر فيه ما حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر (وقال هشام) ابن محمد كانت ولاية الوليد ثمان سنين وستة أشهر وقال الواقدي كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين واختلف أيضاً في مبلغ عمره فقال محمد بن عمر توفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر وقال هشام بن محمد توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة وقال علي بن محمد توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر وقال علي كانت وفاة الوليد بدير مران ودفن خارج باب الصغير ويقال في مقابر الفراديس ويقال إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل صلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان له فيما قال علي تسعة عشر ابناً عبد العزيز ومحمد والعباس وإبراهيم وتمام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى وأم عبد العزيز ومحمد وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وأم أبي عبيدة فزارية وسائرهم لأمهات شتى ذكر الخبر عن بعض سيره

❦ حدثني عمر قال حدثني علي قال كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلافتهم بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنار وأعطى الناس وأعطى المجذمين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً وفتح في ولايته فتوح عظام فتح موسى بن نصير الأندلس

وفتح قتيبة كاشغر وفتح محمد بن القاسم الهند قال وكان الوليد يمر بالبقال
 فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها قال
 وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه فقال نعم إن كنت مستحقاً لذلك قال
 يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي قال أقرأ القرآن قال
 لا قال ادن مني فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه قرعات بالقضيب وقال
 لرجل ضم هذا إليك فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن فقام إليه عثمان بن
 يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال يا أمير المؤمنين إن عليّ ديناً فقال
 أقرأ القرآن قال نعم فاستقرأه عشر آيات من الأنفال وعشر آيات من براءة
 فقرأ فقال نعم نقضى عنكم ونصل أرحامكم على هذا قال ومرض الوليد فرهقته
 غشية فمكث عامة يومه عندهم ميتاً فبُسكى عليه وخرجت البرد بموته فقدم رسول
 على الحجاج فاسترجع ثم أمر بحبل فشد في يديه ثم أوثق إلى اسطوانة وقال اللهم
 لا تسلط عليّ من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل منيتي قبل منيته وجعل
 يدعو فانه كذلك إذ قدم عليه يريد بإفاقته قال عليّ ولما أفاق الوليد قال ما أجد
 أسراً بعافية أمير المؤمنين من الحجاج فقال عمر بن عبد العزيز ما أعظم نعمة الله
 علينا بعافيتك وكأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه برؤك خرب الله
 ساجداً وأعتق كل مملوك له وبعث بقوارير من أنبج الهند فما لبث إلا أياماً حتى
 جاء الكتاب بما قال قال ثم لم يمّ الحجاج حتى نُقل على الوليد فقال خادم
 للوليد إني لأوضئ الوليد يوماً للغداء فتديده فجعلت أصب عليه الماء وهو ساه
 والماء يسيل ولا أستطيع أن أتكلم ثم نضح الماء في وجهي وقال أنا عس أنت
 ورفع رأسه إلى وقال ما تدري ما جاء الليلة قلت لا قال ويحك مات الحجاج
 فاسترجعت قال اسكت ما يسرّ مولاك أن في يده تفاحة يشتمها قال عليّ وكان
 الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه فانما
 يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع فولى سليمان فكان صاحب نكاح وطعام
 فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجوارى ه فلما ولي عمر بن

عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن ومتى تختم ومتى ختمت وما تصوم من الشهر ورثي جرير الوليد فقال

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فَمَا لَدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلَهُ غَبْرَاءُ مُلَحَدَةٍ فِي جُوهِهَا زَوْرُ
أَضْحَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعًا فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رُوحٌ وَلَا عَمْرُ

❦ عِشْنِي عَمْرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيٌّ قَالَ حَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَحَجَّ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ مِنَ الْيَمَنِ وَحَمَلَ هَدَايَا لِلْوَلِيدِ فَقَالَتْ أُمُّ الْبَنِينَ لِلْوَلِيدِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اجْعَلْ لِي هَدِيَّةً مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ فَأَمَرَ بِصَرْفِهَا إِلَيْهَا فَجَاءَتْ رَسَلَ أُمُّ الْبَنِينَ إِلَى مُحَمَّدٍ فِيهَا فَأَبَى وَقَالَ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيرَى رَأْيَهُ وَكَانَتْ هَدَايَا كَثِيرَةً فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِهَدَايَا مُحَمَّدٍ أَنْ تُصَرَّفَ إِلَيَّ وَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا قَالَ وَلَمْ تَقَالَتْ بَلْغَنِي أَنَّهُ غَضِبَهَا النَّاسُ وَكَلَّفَهُمْ عَمَلَهَا وَظَلَمَهُمْ وَحَمَلَ مُحَمَّدٌ الْمَتَاعَ إِلَى الْوَلِيدِ فَقَالَ بَلْغَنِي أَنَّكَ أَصْبَتَهَا غَضَبًا قَالَ مُعَاذَ اللَّهِ فَأَمَرَ فَاسْتَحْلَفَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ خَمْسِينَ يَمِينًا بِاللَّهِ مَا غَضِبَ شَيْئًا مِنْهَا وَلَا ظَلَمَ أَحَدًا وَلَا أَصَابَهَا إِلَّا مِنْ طَيْبٍ فَخَلَفَ قَبْلَهَا الْوَلِيدُ وَدَفَعَهَا إِلَى أُمِّ الْبَنِينَ فَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بِالْيَمَنِ أَصَابَهُ دَاءٌ تَقَطَّعَ مِنْهُ ﴿وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ﴾ كَانَ الْوَلِيدُ أَرَادَ الشَّخْوَصَ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ لَخْلَعَهُ وَأَرَادَ الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَذَلِكَ قَبْلَ مَرَضَتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ❦ عِشْنِي عَمْرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيٌّ قَالَ كَانَ الْوَلِيدُ وَسُلَيْمَانُ وَابْنُ عَهْدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ فَلَمَّا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى الْوَلِيدِ أَرَادَ أَنْ يَبَايَعَ لِابْنِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَيَخْلَعَ سُلَيْمَانَ فَأَبَى سُلَيْمَانُ فَأَرَادَهُ عَلَى أَنْ يَخْلَعَهُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَأَبَى فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً فَأَبَى فَكَتَبَ إِلَى عَمَالِهِ أَنْ يَبَايَعُوا لِعَبْدِ الْعَزِيزِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ إِلَّا الْحُجَّاجُ وَقَتِيَّةٌ وَخَوَاصٌّ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ عِبَادُ بْنُ زِيَادٍ إِنَّ النَّاسَ لَا يَجِيبُونَكَ إِلَى هَذَا وَلَوْ أَجَابُوكَ لَمْ آمَنَهُمْ عَلَى الْغَدْرِ بِابْنِكَ فَكَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ فَلْيَقْدَمْ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ عَلَيْهِ طَاعَةٌ فَأَرَادَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ بَعْدِهِ فَانْهَى لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ وَهُوَ عِنْدَكَ فَإِنْ كَانَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَكَتَبَ

الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه فأمر الناس بالنأهب وأمر بحجره فأخرجت فرض ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك قال عمر قال عليّ وأخبرنا أبو عاصم الزيادي من الهلوات الكلبيّ قال كنا بالهند مع محمد بن القاسم فقتل الله داهرا وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان أن ازرعوا واحرثوا فلا شأماً لكم فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا قال عمر قال عليّ أراد الوليد أن يبنى مسجد دمشق وكانت فيه كنيسة فقال الوليد لأصحابه أقسمت عليكم لما أتاني كل رجل منكم بلبنة فجعل كل رجل يأتيه بلبنة ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين فقال له ممن أنت قال من أهل العراق قال يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة وهدموا الكنيسة وبنوها مسجداً فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكروا ذلك إليه فقبل إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنوة فقال لهم عمر نرد عليكم كنيسةكم ونهدم كنيسة توما فإنها فتحت عنوة وبنينا مسجداً فلما قال لهم ذلك قالوا بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ودعوا لنا كنيسة توما ففعل عمر ذلك (وفي هذه السنة) افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر وغزا الصين

ذكر الخبر عن ذلك

(رجع الحديث) إلى حديث عليّ بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل قال ثم غزا قتيبة في سنة ٩٦ وحمل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يحرز عياله في سمرقند خوفاً من سليمان فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواليه يقال له الخوارزمي على مقطع النهر وقال لا يجوزن أحد إلا بجواز ومضى إلى فرغانة وأرسل إلى شعب عصام من يسهل له الطريق إلى كاشغر وهي أدنى مدائن الصين فأتاه موت الوليد وهو بفرغانة قال فأخبرنا أبو الذبالي عن المهلب بن إياس قال قال إياس بن زهير لما عبر قتيبة النهر أتيته فقلت له إنك خرجت ولم أعلم رأيك في العيال فنأخذ أهبة ذلك وبنينا الأكا بر معي ولي عيال قد خلفتهم وأم عجوز وليس عندهم من يقوم بأمرهم فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً مع بعض بنيّ أو تجهه فيقدم عليّ بأهلي فكتب

فأعطاني الكتاب فأنتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر فألويت
بيدي لجفاء قوم في سفينة فقالوا من أنت وأين جوازك فأخبرتهم فقعدهم معي قوم
ورد قوم السفينة إلى العامل فأخبروه قال ثم رجعوا إلى فحملوني فأنتهيت اليهم وهم
يا كلون وأنا جائع فرميت بنفسي فسألني عن الامر وأنا آكل لأجبيه فقال
هذا أعرابي قدمات من الجروع ثم ركبت فضيت فأتيت مرو فحملت أمي ورجعت
أريد العسكر وجاءنا موت الوليد فأنصرفت إلى مرو قال وأخبرنا أبو مخنف عن
أبيه قال بعث قتيبة كثير ابن فلان إلى كاشغر فسبي منها سيدياً فخنم أعناقهم بماء الله
على قتيبة ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد قال وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمداني
عن أشياخ من أهل خراسان والحكم بن عثمان قال حدثني شيخ من أهل خراسان
قال وغل قتيبة حتى قرب من الصين قال فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا
رجلا من أشراف من معكم يُخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم فانتخب قتيبة من
عسكره اثني عشر رجلا وقال بعضهم عشرة من أفناء القبائل لهم جمال وأجسام
والسُن وشعور وبأس بعد ما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه فكلهم
قتيبة وفاطنهم فرأى عقولا وجمالا فأمر لهم بَعْدَة حسنة من السلاح والمتاع الجيد
من الخزوز والوشى واللائن من البياض والرقيق والنعال والعِطْر وحملهم على
خيول مطهمة تُقاد معهم ودواب يركبونها قال وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي
مفروها بسيط اللسان فقال ياهبيرة كيف أنت صانع قال أصلح الله الأمير قد
كُفيت الأدب وقل ماشئت أقله وأخذ به قال سيروا على بركة الله وبالله التوفيق
لا تضعوا العيائم عنكم حتى تقدموا البلاد فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت
أن لا أنصرف حتى أظأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم قال فساروا
وعليهم هبيرة بن المشمرج فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم فدخلوا
الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل ثم مسوا الغالية وتدخنوا
ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته فجلسوا فلم
يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم

هؤلاء قالوا رأينا قوما مامهم إلا نساء ما بقي منا أحد حين رأهم ووجد راثحتهم
إلا انتشر ما عنده قال فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز
والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا عليه قيل لهم ارجعوا فقال لأصحابه كيف
رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى وهم أولئك
فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر
وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح وتكبروا القسي وركبوا خيولهم وغدوا فنظر
إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مُقْبِلَةً فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا
نحوهم مشمرين فقبل لهم قبل أن يدخلوا ارجعوا لما دخل قلوبهم من خوفهم قال
فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون
بها فقال الملك لأصحابه كيف ترونهم قالوا مارأينا مثل هؤلاء قط فلما أمسى أرسل
إليهم الملك أن ابشوا إلى زعيمكم وأفضلكم رجلا فبعثوا إليه هيرة فقال له حين
دخل عليه قد رأيتم عظيم ملكي وإنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في بلادى وإنما
أنتم بمنزلة البيضة في كني وأنا سائلك عن أمر فان لم تصدقني قتلتكم قال سل قال
لم صنعت ما صنعت من الزى في اليوم الأول والثاني والثالث قال أما زينا الأول
فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم وأما يومنا الثاني فاذا أتينا أمراءنا وأما اليوم
الثالث فزينا لعدونا فاذا هاجنا هيج وفزع كنا هكذا قال ما أحسن ما دبرتم دهركم
فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا
بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه قال له كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله
في بلادك وآخرها في منابت الزيتون وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا
قادرا عليها وغزاك وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها
القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه قال فما الذي يرضى صاحبك قال إنه قد حلف أن
لا ينصرف حتى يظأ أرضكم ويختم ملوككم ويُعطى الجزية قال فإنا نخرجه من
يمينه نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه ونبعث ببعض أبنائنا فيختهم
ونبعث إليه بجزية يرضها قال فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحريز

وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن جوائزهم فساروا فقدّموا
بما بعث به فقبل قتيبة الجزية وختم الغلبة وردّهم ووطئ التراب فقال سودة
ابن عبد الله السلولي

لأَعْيَبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ لِلصِّينِ إِنْ سَلَكَوا طَرِيقَ الْمَنْهَجِ
كَسَرُوا الْجَفُونَ عَلَى الْقَذَى خَوْفَ الرَّدَى حَاشَى الْكَرِيمِ هَبِيرَةَ بْنِ مُشْمَرَجٍ
لَمْ يَرْضَ غَيْرَ الْخَتَمِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَرَهْشَانَ دُفِعَتْ بِجَمَلٍ سَمَرَجٍ
أَدَى رِسَالَتِكَ الَّتِي اسْتَرْعَيْتَهُ وَأَتَاكَ مِنْ حِنْثِ الْيَمِينِ بِمَخْرَجِ
قَالَ فَأَوْفَدَ قَتِيبَةَ هَبِيرَةَ إِلَى الْوَلِيدِ فَمَاتَ بِقَرْيَةٍ مِنْ فَارِسٍ فَرثَاهُ سَوَادَةُ فَقَالَ

لِلَّهِ قَبْرُ هَبِيرَةَ بْنِ مُشْمَرَجٍ مَاذَا تَضَمَّنَ مِنْ نَدَى وَجَمَالِ
وَبَدِيهِةٍ يَعْثَا بِهَا أَبْنَاؤُهَا عِنْدَ احْتِفَالِ مَشَاهِدِ الْأَقْوَالِ
كَانَ الرَّيْعُ إِذَا السَّنُونَ تَتَابَعَتْ وَاللَيْثَ عِنْدَ تَكْعَمِ الْأَبْطَالِ
فَسَقَتْ بِقَرْيَةٍ حَيْثُ أَمْسَى قَبْرُهُ غُرٌّ يَرْحَنَ بِمُسْبِلِ هَطَالِ
بَكَتِ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ لَفَقْدِهِ وَبَكَاهُ كُلُّ مُثَقِّفٍ عَسَالِ
وَبَكَتُهُ شُعْتُ لَمْ يَجِدَنَّ مُوَاسِيَا فِي الْعَامِ ذِي السَّنَوَاتِ وَالْإِحْمَالِ

قَالَ وَقَالَ الْبَاهِلِيُّونَ كَانَ قَتِيبَةُ إِذَا رَجَعَ مِنْ غَزَاتِهِ كُلِّ سَنَةٍ اشْتَرَى اثْنَيْ عَشَرَ
فَرَسًا مِنْ جِيَادِ الْخَيْلِ وَاثْنَيْ عَشَرَ هَجِينًا لَا يَجَاوِزُ بِالْفَرَسِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَيَقَامُ عَلَيْهَا
إِلَى وَقْتِ الْغَزْوِ فَإِذَا تَأَهَّبَ لِلْغَزْوِ وَعَسْكَرَ قِيدَتْ وَأُضْمِرَتْ فَلَا يَقْطَعُ نَهْرًا بِخَيْلٍ
حَتَّى تَخْفَ لَحُومُهَا فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا مَنْ يَحْمِلُهُ فِي الطَّلَائِعِ وَكَانَ يَبْعَثُ فِي الطَّلَائِعِ
الْفَرَسَانَ مِنَ الْأَشْرَافِ وَيَبْعَثُ مَعَهُمْ رَجَالًا مِنَ الْعَجَمِ مَنْ يَسْتَنْصَحُ عَلَى تِلْكَ
الْهَجْنِ وَكَانَ إِذَا بَعَثَ بِطَلِيعَةٍ أَمَرَ بِلَوْحٍ فَنَقِشَ ثُمَّ يَشْقُهُ شَقَّتَيْنِ فَأَعْطَاهُ شَقَّةً وَاحْتَبَسَ
شَقَّةً لثَلَاثِ يَمَلِّ مِثْلَهَا وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَدْفِنَهَا فِي مَوْضِعٍ يَصِفُهُ لَهُ مِنْ مَخَاضَةٍ مَعْرُوفَةٍ أَوْ تَحْتَ
شَجَرَةٍ مَعْلُومَةٍ أَوْ خَرَبَةٍ ثُمَّ يَبْعَثُ بَعْدَهُ مَنْ يَسْتَبْرِئُهَا لِيَعْلَمَ أَصَادِقُ طَلِيعَتِهِ أَمْ لَا وَقَالَ
ثَابِتُ قَطْنَةَ الْعَتَكِيِّ يَذْكُرُ مَنْ قَتَلَ مِنْ مُلُوكِ التَّرْكِ

أَقْرَّ الْعَيْنَ مَقْتَلُ كَاذِرِنَا وَكَشِيرُ وَمَا لَاقَى يَبَادُ

وقال الكميثُ يذكر غزوة السغد و خوارزم
وبعدُ في غزوة كانت مُباركةً تردى زراعة أقوام وتَحَصِدُ
نالت غمامتها فيلاً بوابيلها والسغد حين دنا شؤبؤها البردُ
إذ لا يزال له نهبٌ يُنقله من المقاسيم لا وحش ولا نكدُ
تلك الفتوح التي تَدلى بِحُجَّتِها على الخليفة أنا معشرُ حُشدُ
لم تثنِ وجهك عن قوم غزوهم حتى يُقال لهم بعداً وقد بعدوا
لم ترَضَ مِنْ حِصْنِهِمْ إن كان ممتنعاً حتى يكسبر فيه الواحد الصمدُ

خلافة سليمان بن عبد الملك

(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة بُويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة وذلك في اليوم الذي توفي فيه الوليد بن عبد الملك وهو بالرملة (وفيها) عزل سليمان ابن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ذكر محمد بن عمر أنه نزعته عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٩٦ قال وكان عمله على المدينة ثلاث سنين وقيل كانت لإمرته عليها سنتين غير سبعة ليال قال الواقدي وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قد استأذن عثمان أن ينام في عُغدو لا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين فأذن له وكان أيوب بن سلمة المخزومي عنده وكان الذي بين أيوب ابن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم سَيِّئاً فقال أيوب لعثمان ألم تر إلى ما يقول هذا إنما هذا منه رثاء فقال عثمان قد رأيت ذلك ولست لأبي إن أرسلت إليه غدوة ولم أجده جالسا لأجلدنه مائة ولا حلقن رأسه ولحيته قال أيوب فجاءني أمر أحبه فعجلت من السحر فاذا شَمْعَةٌ في الدار فقلت عجل المرى فاذا رسول سليمان قد قدم على أبي بكر بتأميمه وعزل عثمان وحده قال أيوب فدخلت دار الإمارة فاذا ابن حيان جالس وإذا بأبي بكر على كرسي يقول للأحداد اضرب في رجل هذا الحديد ونظر إلى عثمان فقال

أبوا على أدبارهم كُشفاً والأمرُ يحدث بعده الأمرُ

(وفي هذه السنة) عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد ابن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يقتل آل أبي عقيل وييسط عليهم العذاب ❦ فحدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال قدم صالح العراق على الخراج ويزيد على الحرب فبعث يزيد بن المهلب على عمان وقال له كاتب صالح وإذا كتبت اليه فابدأ باسمه وأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب (وفي هذه السنة) قتل قتيبة ابن مسلم بخراسان

ذكر الخبر عن سبب مقتله

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز بن الوليد ولياً عهده ودس في ذلك إلى القواد والشعراء فقال جرير في ذلك

إذا قيلَ أيُّ الناس خَيْرُ خليفةٍ أشارتْ إلى عبدِ العزيزِ الأصابعُ
رَأَوْهُ أَحَقَّ الناسِ كُلِّهِمْ بها وما ظَلَمُوا فبايعوه وَسَارِعُوا
وقال أيضا جرير يحض الوليد على بيعه عبد العزيز

إلى عبد العزيزِ سَمَتَ عيونُ الرِّ عِيَةٍ إذا تَحَيَّرَتِ الرِّعَاءُ
إِلَيْهِ دَعَتْ دَواعِيهِ إذا مَا عِمَادُ المُلْكِ خَرَّتِ والسَّمَاءُ
وقال أولو الحكومة من قريش علينا البَيْعُ إنْ بلغَ الغلاءُ
رَأَوْا عبدَ العزيزِ وليَّ عهدٍ وما ظَلَمُوا بذاك ولا أَسَاؤا
فما ذَاتَ تَنظُرُونَ بها وفيكم جُسُورٌ بالعِظَامِ واعتِلاءُ
فَزَحَلِفَها بِأَزْمَلِها إِلَيْهِ أميرَ المؤمنين إذا تَشَاءُ
فإنَّ الناسَ قد مَدُّوا إِلَيْهِ أَكْفَهُمْ وقد بَرِحَ الخِفاءُ
ولو قد بَايَعوكَ وليَّ عهدٍ لقامَ الوزنُ واعتَدَلَ البناءُ

فبايعه على خلع سليمان الحجاج بن يوسف وقتيبة ثم هلك الوليد وقام سليمان ابن عبد الملك فخافه قتيبة قال علي بن محمد أخبرنا بشر بن عيسى والحسن بن رشيد وكليب بن خلف عن طفيل بن مرداس وجبله بن فروخ عن محمد بن عزيز

الكندى وجبله بن أبي داود ومسلمة بن محارب عن السكن بن قتادة أن قتيبة لما أتاه موت الوليد بن عبد الملك وقيام سليمان أشفق من سليمان لأنه كان يسعى في بيعه عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج وخاف أن يولى سليمان يزيد بن المهلب خراسان قال فكتب إليه كتابا يُهنيئ به بالخلافة ويعزيه على الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان وكتب إليه كتابا آخر يُعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيئته في صدورهم وعظم صوته فيهم ويذم المهلب وآل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خامه وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من بَاهلة وقال له ادفع إليه هذا الكتاب فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه هذا الكتاب فإن قرأه وألقاه إلى يزيد فادفع إليه هذا الكتاب فإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين قال فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع إليه الكتاب فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد فدفع إليه كتابا آخر فقرأه ثم رمى به إلى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتمعر لونه ثم دعا بطين فغتمه ثم أمسكه بيده وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال فيما حدثت عنه كان في الكتاب الأول وقية في يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره وكان في الثاني ثناء على يزيد وفي الثالث لئن لم تُقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنك خلع النعل ولا ملأها عليك خيلا ورجالا وقال أيضا لما قرأ سليمان الكتاب الثالث وضعه بين مثالي من المثل التي تحته ولم يحرف في ذلك مرجوعا (رجع الحديث) إلى حديث علي بن محمد قال ثم أمر يعني سليمان برسول قتيبة أن ينزل فحول إلى دار الضيافة فلما أمسى دعا به سليمان فأعطاه صرة فيها دنانير فقال هذه جائزتك وهذا عهد صاحبك على خراسان فسرو هذا رسولي معك بعهدة قال فخرج الباهلي وبعث معه سليمان رجلا من عبد القيس ثم أحد بنى ليث يقال له صعصة أو مصعب فلما كان بحلولان تلقاهم الناس بخلع قتيبة فرجع العبدى ودفع العهد إلى رسول قتيبة

وقد خلع واضطرب الامر فدفع اليه عهده فاستشار إخوته فقالوا الا يثق بك سليمان
بعدهذا (قال علي) وحدثني بعض العنبريين عن أشياخ منهم أن توبة بن أبي أسيد
العنبري قال قدم صالح العراق فوجهني إلى قتيبة ليطلعني طلع ما في يده فصحبني رجل
من بني أسد فسانني عما خرجت فيه فكأتمته أمرى فإنا للسير إذ سنح لنا سائح فنظر
إلى رفيقي فقال أراك في أمر جسيم وأنت تكتمني فضيت فلما كنت بحلوان تلقاني
الناس بقتل قتيبة قال علي وذكر أبو الذيال وكليب بن خلف وأبو علي الجوزجاني
عن طفيل بن مرداس وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن حبان عن أخيه مقاتل
ابن حبان وأبو مخنف وغيرهم أن قتيبة لما هم بالخلع استشار إخوته فقال له عبد الرحمن
اقطع بعثا فوجه فيه كل من تخافه ووجه قوما إلى مرو وسرحني تنزل سمرقند ثم قل
لمن معك من أحب المقام فله المواساة ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا
متبوع بسوء فلا يقيم معك الامناصح وقال له عبد الله أخله مكانك وادع الناس إلى
خلعه فليس يختلف عليك رجلان فأخذ برأي عبد الله فخلع سليمان ودعا الناس
إلى خلعه فقال للناس إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضمنت الأخ
إلى أخيه والولد إلى أبيه وقسمت بينكم فياكم وأجريت عليكم أعطياتكم غير
مكثرة مالا مؤخرة وقد جربتم الولاية قبلي أتاكم أمية فكتب إلى أمير المؤمنين
أن خراج خراسان لا يقيم بمطبخي ثم جاءكم أبو سعيد فدوم بكم ثلاث سنين
لا تدرون أني طاعة أنتم أم في معصية لم يجب فينا ولم ينكأ عدوا ثم جاءكم بنوه
بعده يزيد فخل تبارى إليه النساء وإنما خليفتمكم يزيد بن ثروان هبة القيسي
قال فلم يحبه أحد فغضب فقال لأعز الله من نصرتم والله لو اجتمعتم على عز
ما كسرتهم قرنه يا أهل السافلة ولا أقول أهل العالية يا أوباش الصدقة جمعتكم
كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب يا معشر بكر بن وائل يا أهل النفخ والكذب
والبخل بأي يومكم تفخرون بيوم حربكم أو بيوم سلمكم فوالله لانا أعز
منكم يا أصحاب مسيلة يا بني ذميم ولا أقول تميم يا أهل الخور والقصف والغدر
كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان يا أصحاب سجاح يا معشر عبد القيس القساء

تبدلتهم بأبر النخل أعنة الخيل يامعشر الأزد تبدلتهم بقلوس السفن أعنة الخيل
الحسن إن هذا لبدعة في الإسلام والاعراب وما الاعراب لعنة الله على الاعراب
يا كناسة المصرين جمعتكم من منابت الشيع والقيصوم ومنابت الفلفل تركبون
البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان حتى إذا جمعتكم كما تجمع قرع الخريف قلم كيت
وكيت أما والله إنى لابن أبيه وأخو أخيه أما والله لأعصبنكم عصب السللة إن
حول الصلبان الزمزمة يا أهل خراسان هل تدرون من وليكم وليكم يزيد بن ثروان
كأنى بأمر مزجاء وحكم قد جاءكم فغلبكم على فيسكم وأطالكم إن ههنا ناراً
ارموها أرم معكم ارموا غرضكم الأقصى قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات إن
الشام أب مبرور وإن العراق أب مكفور حتى متى يتبطح أهل الشام بأفئيتكم
وظلال دياركم يا أهل خراسان انسبوني تجدونى عراقى الأم عراقى الأب عراقى
المولد عراقى الهوى والرأى والدين وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن
والعافية قد فتح الله لكم البلاد وآمن سلبكم فالظعينة تخرج من مرو إلى بلخ
بغير جواز فاحمدوا الله على النعمة وسلوه الشكر والمزيد قال ثم نزل فدخل منزله
فأتاه أهل بيته فقالوا مارأينا كالיום قط والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم
شعارك ودثارك حتى تناولت بكرا وهم أنصارك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت
تميماً وهم إخوتك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم بدك فقال لما تكلمت
فلم يحببني أحد غضبت فلم أدري ما قلت إن أهل العالية كإبل الصدقة قد جمعت من
كل أوب وأما بكر فإنها أمة لا تمنع يد لاس وأما تميم فجمل أجرب وأما عبد القيس
فما يضرب العير بذنبه وأما الأزد فأعلاج شرار من خلق الله لو ملكت أمرهم
لو ستمتهم قال فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان وغضبت القبائل من شتم قتيبة
فأجمعوا على خلافه وخلعه وكان أول من تكلم في ذلك الأزد فأتوا حضين بن
المندر فقالوا إن هذا قد دعا إلى مادعا إليه من خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا
ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا فاترى يا أبا حفص وكان يكتنى في الحرب
بأبي ساسان ويقال كنيته أبو محمد فقال لهم حضين مضر بخراسان تعدل هذه الثلاثة

الاحماس وتميم أكثر الحسين وهم فرسان خراسان ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضر فان أخرجتموهم من الأمر أعانوا قتيبة قالوا إنه قد وتر بني تميم بقتل ابن الاهتم قال لا تنظروا إلى هذا فانهم يتعصبون للبصريّة فانصرفوا رادين لرأى حصين فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوذان الجهضمي فأبى وتدافعوها فرجعوا إلى حصين فقالوا قد دافعنا الرياسة فتحن نوليك أمرنا وربيعة لا تخالفك قال لا ناقة لي في هذا ولا جمل قالوا ما ترى قال إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم قالوا فمن ترى من تميم قال ما أرى أحدا غير وكيع فقال حيّان مولى بني شيبان إن أحدا لا يتقلد هذا الأمر فيصلي بحره ويبدل دمه ويتعرض للقتل فان قدم أمير أخذه بما جنى وكان المهنا لغيره إلا هذا الأعرابي وكيع فإنه مقدم لا يبالي ماركب ولا ينظر في عاقبة وله عشيرة كثيرة تطيعه وهو مورتور يطلب قتيبة برياسته التي صرفها عنه وصيرها لضرار بن حصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي فغشي الناس بعضهم إلى بعض سرا وقيل لقتيبة ليس يُفسد أمر الناس إلا حيّان فأراد أن يفتاله وكان حيّان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيئا قال فدعا قتيبة رجلا فأمره بقتل حيّان وسمعه بعض الخدم فأتى حيّان فأخبره فأرسل إليه يدعوه فحذر وتمارض وآتى الناس وكيعا فسألوه أن يقوم بأمرهم فقال نعم وتمثل قول الأشهب بن ربيعة ساجني ما جنيت وأن ركني لمعتد إلى نصدي ركني

قال وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف وبكر سبعة آلاف رئيسهم الحصين بن المنذر وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار ابن حصين الضبي وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن حلوان عوذى والأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله بن حوذان ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر أو عبيد الله بن علي والموالي سبعة آلاف عليهم حيّان وحيّان يقال إنه من الديلم ويقال إنه من خراسان وإنما قيل له نبطي للكنية فأرسل حيّان إلى وكيع أرايت إن كففت عنك وأعتك تجعل لي جانب نهر بلخ خراجة مادمت حيا ومادمت واليا قال نعم فقال للعجم هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوه

يقتل بعضهم بعضا قالوا نعم فبايعوا وكيعا سراقاتي ضرار بن حصين قتيبة فقال ان
الناس يختلفون الى وكيع وهم يبايعونه وكان وكيع يأتي منزل عبد الله بن مسلم
الفقيه فيشرب عنده فقال عبد الله هذا يحسد وكيعا وهذا الامر باطل هذا وكيع
في بيتي يشرب ويسكر ويسلخ في ثيابه وهذا يزعم أنهم يبايعونه قال وجاء وكيع
إلى قتيبة فقال احذر ضرارا فأني لا آمنه عليك فأنزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد
وتمارض وكيع ثم إن قتيبة دس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سرا
فتين لمقتيبة أن الناس يبايعونه فقال لضرار قد كنت صدقتني قال إني لم أخبرك
إلا بعلم فأنزلت ذلك مني على الحسد وقد قضيت الذي كان علي قال صدقت وأرسل
قتيبة إلى وكيع يدعو فوجده رسول قتيبة قد طلى على رجله مغرة وعلى ساقه
خرزا وودعا وعنده رجلان من زهران يرقيان رجله فقال له أجب الأمير قال
قد ترى ما برجلي فرجع الرسول إلى قتيبة فأعاده إليه قال يقول لك انتني محمولا على
سرير قال لا أستطيع قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد بني وائل وكان
على شرطته ورجل من غنى انطلقا إلى وكيع فأتياني به فإن أبي فاضربا عنقه ووجه
معهما خيلا ويقال كان على شرطه بخراسان ورقاء بن نصر الباهلي ه قال علي
قال أبو الديال قال ثمامة بن ناجد العدوي أرسل قتيبة إلى وكيع من يأتيه به
فقلت أنا آتيك به أصلحك الله فقال انتني به فأتيت وكيعا وقد سبق إليه الخبر
أن الخيل تأتيه فلما رآني قال يا ثمامة ناد في الناس فناديت فكان أول من أتاه
هريم بن أبي طحمة في ثمانية قال وقال الحسن بن رشيد الجوزجاني أرسل قتيبة
إلى وكيع فقال هریم أنا آتيك به قال فانطلق قال هریم فركبت برذوني مخافة
أن يردني فأتيت وكيعا وقد خرج قال وقال كليب بن خلف أرسل قتيبة إلى وكيع
شعبة بن ظهير أحد بني صخر بن نهشل فأتاه فقال يا ابن ظهير لبت قليلا تلحق
الكتاب ثم دعا بسكين فقطع خرزا كان على رجله ثم لبس سلاحه وتمثل

شُدُوا عَلَى سُرَّتِي لَا تَنْقَلِفْ يَوْمَ لَهْمَدَانِ وَيَوْمَ لِلصِّدْفِ

وخرج وحده ونظر إليه نسوة فقلن أبو مطرف وحده فجاء هریم بن أبي طحمة

في ثمانية فيهم عميرة بن البريد بن ربيعة العجيني قال حمزة بن ابراهيم وغيره أن
وكيعا خرج فلقاه رجل فقال ممن أنت قال من بني أسد قال ما اسمك قال ضرغامه
قال ابن من قال ابن ليث قال دونك هذه الراية قال المفضل بن محمد الضبي ودفع وكيع
رايته الى عقبة بن شهاب المازني قال ثم رجع الى حديثهم قالوا فخرج وكيع
وأمر غلبانه فقال اذهبوا بثقلى الى بني العم فقالوا لا نعرف موضعهم قال انظروا
رحمين مجموعين أحدهما فوق الآخر فوقهما مخللة فهم بنو العم قال وكان في
العسكر ومنهم خمسمائة قال فنأدى وكيع في الناس فأقبلوا أرسالا من كل وجه
فأقبل في الناس يقول

قَرَّمْ إِذَا تُحْمَلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ

وقال قوم تمل وكيع حين خرج

أَنْحُنْ بُلُقَمَانَ بْنِ عَادٍ فَجَنَسِهِ أَرِنِي سِلَاحِي لَنْ يَطِيرُوا بِأَعْزَلِ

واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواص من أصحابه وثقاته فيهم اياس

ابن يهس بن عمرو بن عم قتيبة دنيا وعبد الله بن وألان العدوى وناس من

رهطة بني وائل وأتاه حيان بن اياس العدوى في عشرة فيهم عبد العزيز بن الحارث

قال وأتاه ميسرة الجدلي وكان شجاعا فقال ان شئت أتيتك برأس وكيع فقال

قف مكانك وأمر قتيبة رجلا فقال ناد في الناس أين بنو عامر فنأدى أين بنو عامر

فقال محفن بن جزء الكلابي وقد كان جفاهم حيث وضعتهم قال ناد أذكركم الله

والرحم فنأدى محفن أنت قطعها قال ناد لكم العتي فنأداه محفن أو غيره

لأقائنا الله إذا فقال قتيبة -

يَا نَفْسٍ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ إِذَا لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْقَوْمِ أَقْرَانَا

ودعا بعامة كانت أمه بعثت بها اليه فاعتم بها كان يعتم بها في الشدائد ودعا بيزدون

له مدرّب كان يتطير اليه في الزحوف فقرب اليه ليركبه فجعل يقمص حتى أعياه

فلما رأى ذلك عاد الى سريره فقعده عليه وقال دعوه فإن هذا أمر يراد وجاء حيان

النبطى في العجم فوقف وقتيبة واجد عليه فوقف معه عبد الله بن مسلم فقال

عبد الله لحيان أحمل على هذين الطرفين قال لم يأن لذلك فغضب عبد الله وقال
 ناولني قوسي قال حيان ليس هذا يوم قوس فأرسل وكيع إلى حيان أين ما وعدتني
 فقال حيان لابنه إذ رأيتني قد حولت قلنسوتي ومضيت نحو عسكر وكيع فمل
 بمن معك من العجم إلى فوق فابن حيان مع العجم فلما حول حيان قلنسوته مالت
 الأعجام إلى عسكر وكيع فكبر أصحابه وبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس
 فرماه رجل من بني ضبة يقال له سليمان الزنجيرج وهو الخرنوب ويقال بل رماه
 رجل من بلم فأصاب هامته فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل فوضع في مصلاه فتحول
 قتيبة فجلس عنده ساعة ثم تحول إلى سريره قال وقال أبو السري الأزدي رمى
 صالحاً رجلاً من بني ضبة فأثقله وطعنه زياد بن عبد الرحمن الأزدي من بني شريك
 ابن مالك ه قال وقال أبو مخنف حمل رجل من غنى على الناس فرأى رجلاً مجففاً
 فشبهه بهم بن زحر بن قيس فطعنه وقال

إِنَّ غَنِيًّا أَهْلُ عِزٍّ وَمُضَدِّقٍ إِذَا حَارَبُوا وَالنَّاسَ مُفْتَتِنُونَا

فإذا الذي طعن عالج وتهابج الناس وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم فرماه
 أهل السوق والغوغاء فقتلوه وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه
 ودنوا منه فقاتل عنه رجل من باهلة من بني وائل فقال له قتيبة انج بنفسك فقال
 له بئس ماجزيتك إذا وقد أطعمتني الجردق وألبستني الترمق قال فدعا قتيبة بدابة
 فأتى يبرذون فلم يقر ليركبه فقال إن له لشأناً فلم يركبه وجلس وجاء الناس حتى
 بلغوا الفسطاط فخرج إلياس بن بئس وعبد الله بن وألان حين بلغ الناس
 الفسطاط وتركوا قتيبة وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمرأ أو عمر
 فلقية الطائي فخره ووجد ابنه فأردفه قال وفطن قتيبة للهيم بن المنخل وكان ممن
 يعين عليه فقال

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم
 بنو مسلم وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ونجا أخوه ضرار استنقذه

أخواله وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة وقال قوم قتل عبد الكريم بن مسلم بقزوين وقال أبو عبيدة قال أبو مالك قتلوا قتيبة سنة ٩٦ وقاتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً فصلبهم وكيع سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله الفقير وعبيد الله وصالح وبشار ومحمد بنو مسلم وكثير بن قتيبة ومغلس بن عبد الرحمن ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو وكان عامل الجوزجان وضرار وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع ابن معبد بن زرارة فجاء أخواله فدفعوه حتى نجوه ففي ذلك يقول الفرزدق

عَشِيَّةَ مَا وَدَّ ابْنُ غَرَاءَ أَنَّهُ لَهُ مِنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانِ

وضرب إياس بن عمرو ابن أخى مسلم بن عمرو على ترقوته فعاش قال ولما غشى القوم الفسطاط قطعوا أطنابه قال زهير فقال جهم بن زحر لسعد انزل فخر رأسه وقد أثنى جراحاً فقال أخاف أن تجول الخيل قال تخاف وأنا إلى جنبك فنزل سعد فشق صوقعة الفسطاط فاحتز رأسه فقال حُضَيْنُ بن المنذر وأن ابن سعد وابن زحر تعاورا بِسَيْفَيْهِمَا رَأْسَ الْهَمَامِ الْمُتَوَجِّعِ

عَشِيَّةَ جُنَّا بَابِ زَحْرِ وَجِثْمٍ بَادِغَمَ مَرْقُومِ الذَّرَاعِينَ دِيزَجِ

أَصَمَّ عُدَانِي كَانَ جَبِينَهُ لَطَاخَةُ نَفْسٍ فِي أُدِيمٍ مُجْمَعِ

قال فلما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سعيد خذينة بن

عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص فحبس عمال يزيد وحبس فيهم جهم بن زحر الجعفي وعلى عذابه رجل من باهلة فقتل له هذا قاتل قتيبة فقتله في العذاب فلامه سعيد فقال أمرتني أن أستخرج منه المال فعذبت فأتى على أجله قال وسقطت على قتيبة يوم قتل جارية له خوارزمية فلما قتل خرجت فأخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب فهي أم خليدة قال على قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليقظان لما قتل قتيبة صعد عمارة بن جنية الرياحي المنبر فتكلم فأكثر فقال له وكيع دعنا من قدرك وهذرك ثم تكلم وكيع فقال مثلي ومثلي قتيبة كما قال الأول

مَنْ يَنْكِ الْعَيْرَ يَنْكِ نِيًّا كَا

أراد قتيبة أن يقتلني وأنا قتال

قد جربوني ثم جربوني من غلوتين ومن المشين
حتى إذا شبت وشيبوني خلوا عني وتنكبوني

أنا أبو مطرف قال وأخبرنا أبو معاوية عن طلحة بن إياس قال قال وكيع

يوم قتل قتيبة

أنا ابن خندف تمني قبائلها للصالحات وعمي قيس عيلانا
ثم أخذ بلحيته ثم قال

شيخ إذا حمل مكرهه شد الشرا سيف لها والحزيم

والله لأقتلن ثم لأقتلن ولأصلبن ثم لأصلبن إني والنغ دما أن مرزبانكم هذا

ابن الزانية قد أغلى عليكم أسعاركم والله ليصيرن القفيز في السوق غدا بأربعة
أو لأصلبته صلوا على نبيكم ثم نزل قال علي وأخبرنا الفضل بن محمد وشيخ من
بنى تميم ومسلمة بن محارب قالوا طلب وكيع رأس قتيبة وخاتمه فقبل له إن الأزد
أخذته فخرج وكيع وهو يقول دة درين سعد القين

في أي يوم من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر

لاخير في أحزم جيات القرع في أي يوم لم أرع ولم أرع

والله الذي لا إله غيره لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب برأسي مع رأس

قتيبة وجاء بخشب فقال إن هذه الخيل لا بد لها من فرسان يهدد بالصلب فقال
له حضين يا أبا مطرف توتي به فاسكن وأتى حضين الأزد فقال أحمق أنتم بايعناه

وأعطيناه المقادة وعرض نفسه ثم تأخذون الرأس أخرجوه لعنه الله من رأس
لجاءوا بالرأس فقالوا يا أبا مطرف إن هذا هو احتزه فاشكمه قال نعم فأعطاه

ثلاثة آلاف وبعث بالرأس مع سليط بن عبد الكريم الحنفي ورجال من القبائل
وعليهم سليط ولم يبعث من بني تميم أحدا قال قال أبو الذيال كان فيمن ذهب

بالرأس أنيف بن حسان أحد بني عدى (قال أبو مخنف) وتي وكيع لحيان النبطي

بما كان أعطاه قال قال خريم بن أبي يحيى عن أشياخ من قيس قالوا قال سليمان

للهمذيل بن زفر حين وضع رأس قتيبة ورءوس أهل بيته بين يديه هل ساءك
 هذا يا همذيل قال لو ساءني ساء قوماً كثيراً فكلمه خريم بن عمرو والقعقاع بن
 خُليد فقال ائذن في دفن رؤوسهم قال نعم وما أردت هذا كله قال عليّ قال أبو عبد الله
 السلي عن يزيد بن سويد قال قال رجل من عجم أهل خراسان يا معشر العرب قتلتم
 قتيبة والله لو كان قتيبة منافات فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا
 وما صنع أحد قط بخراسان ما صنع قتيبة إلا أنه قد غدر وذلك أن الحجاج كتب إليه
 أن احتلهم واقتلهم في الله قال وقال الحسن بن رشيد قال الأصمذ لرجل يا معشر
 العرب قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيّدا العرب قال فأيهما كان أعظم عندكم وأهيب
 قال لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جحر به في الأرض مكبلاً بالحديد ويزيد معنا
 في بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد قال عليّ قال
 المفضل بن محمد الضبي جاء رجل إلى قتيبة يوم قتل وهو جالس فقال اليوم يُقتل ملك
 العرب وكان قتيبة عندهم ملك العرب فقال له اجلس قال وقال كليب بن
 خلف حدثني رجل عن كان مع وكيع حين قتل قتيبة قال أمر وكيع رجلاً
 فنادى لا يُسلَبَنَّ قتيل فمر ابن عبيد الهجري على أبي الحجر الباهلي فسلبه فبلغ
 وكيعاً فضرب عنقه قال أبو عبيدة قال عبد الله بن عمر من تيم اللات ركب وكيع
 ذات يوم فأتوه بسكران فأمر به فقتل فقتل له ليس عليه القتل إنما عليه الحدّ قال
 لا أعاقب بالسياط ولكني أعاقب بالسيف فقال نهار بن توسعة
 وكنا نُبكي من الباهلي فهذا العُدائيُّ شرُّ وشرُّ

(وقال أيضاً)

ولما رأينا الباهلي ابن مسلم	تجبرَ عَمَمناه عَضْبًا مُهَنَّدًا
وقال الفرزدق يذكر وقعة وكيع	
ومِنَّا الذي سلّ السيوف وشامها	عشيّة باب القصر من قرغان
عشيّة لم تمنع بليها قبيلة	بعزّ عراقي ولا ييماني
عشيّة ماود ابن غراء أنه	له من سوانا إذ دعا أبوان

عشية لم تستر هوازنُ عامر
 عشية ودَّ الناسُ أنهم لنا
 رأوا جبلا يعلو الجبال إذا التقت
 رجال على الإسلام إذ مات جالدوا
 وحتى دعا في سور كل مدينة
 فيجزي وكيع بالجماعة إذ دعا
 جزاء بأعمال الرجال كما جرى
 وقال الفرزدق في ذلك أيضا

أناي ورحلى بالمدينة وقعة لال تميم أقعدت كل قائم

وقال علي أخبرنا خريم بن أبي يحيى عن بعض عمومته قال أخبرني شيوخ من غسان قالوا إنا كبشنة العقاب إذ نحن برجل يشبه الفيوج معه عصا وجراب قلنا من أين أقبلت قال من خراسان قلنا فهل كان بها من خير قال نعم قتل قتيبة بن مسلم أمس فتعجبنا لقوله فلبارأى انكارنا ذلك قال أين ترونني الليلة من إفريقية ومضى واتبعناه على خيولنا فاذا شيء يسبق الطرف وقال الطرماح

لولا فوارس مذحج ابنة مذحج
 وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب
 واستضلعت عقد الجماعة وازدرى
 قوم هم قتلوا قتيبة عنوة
 بالمرج مرج الصين حيث تبينت
 إذ حالفت جزعا ربيعة كلها
 وتقدمت أزد العراق ومذحج
 قحطان تضرب رأس كل مدحج
 والأزد تعلم أن تحت لوائها
 فيعزنا نصر النبي محمد

والأزد زعزع واستبح العسكر
 منهم إلى أهل العراق مخبر
 أمر الخليفة واستحل المنكر
 والخيول جانحة عليها العشير
 مضر العراق من الأعز الأكبر
 وتفرقت مضر ومن يتضرر
 للوت يجمعها أبوها الأكبر
 تحمي بصائرهن إذ لا تبصر
 ملكا قراسية وموت أحمر
 وبنا ثبت في دمشق المنبر

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قَتِيْبَةً لَمْ يَسِرْ
بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يعلُ منبراً
ولم تخفِقِ الراياتُ والقومُ حوله
وقوف ولم يشهدْ له الناسُ عسكراً
دَعَتْهُ المَنَايا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ
وراح إلى الجَنَّاتِ عَفَا مُطَهَّراً
فَا رَزَى الْإِسْلَامَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
بمثل أبي حفص فَبَكَيْهِ عُبَهْرَا

يعني أم ولد له وقال الأصم بن الحجاج يرثي قتيبة

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا
بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخر
نَقُودُ تَمِيمًا وَالْمَوَالِي وَمَذْحِجًا
وأزْدَ وَعَبْدَ الْقَيْسِ وَالْحَيَّ مِنْ بَكْرِ
نَقَتْلُ مَنْ شَتْنَا بِعِزَّةٍ مُلْكَنَا
ونَجْبُرُ مَنْ شَتْنَا عَلَى الْخُسْفِ وَالْقَسْرِ
سُلَيْمَانَ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَتْ لَكُمْ
أَسَلَّتْنَا وَالْمُقَرَّبَاتُ بِنَا تَجْرِي
وكم من حصونٍ قد أَبْحَنَّا مَنِيْعَةً
ومن بلدةٍ لم يَغْزُهَا النَّاسُ قَبْلُنَا
مَرَنَّا عَلَى الْغَزْوِ الْجُرُورِ وَوُقِرَتْ
على النَفْرِ حَتَّى مَاتَهُالُ مِنَ النَفْرِ
وحتى لو أَنَّ النَّارَ شُبَّتْ وَأَكْرِهَتْ
تَلَاعِبُ أَطْرَافِ الْأَيْسِنَةِ وَالْقَنَا
بِهِنَّ أَبْحَنَّا أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ
ولو لم تُعَجِّلْنَا المَنَايا لَجَاوَزَتْ
ولكنَّ أَجَالًا قُضِيَينَ وَمُدَّةً
تَنَاهَى إِلَيْهَا الطَّيْبُونَ بَنُو عَمْرِو

(وفي هذه السنة) عزل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن مكة

وولاهها طلحة بن داود الحضرمي (وفيها) غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم
الصائفة ففتح حصنا يقال له حصن عوف (وفي هذه السنة) توفي قرة بن شريك العبسي
وهو أمير مصر في صفر في قول بعض أهل السير وقال بعضهم كان هلاك قرة
في حياة الوليد في سنة ٩٥ في الشهر الذي هلك فيه الحجاج (وحج) بالناس
في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري كذلك حدثني أحمد

ابن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكان الأمير على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن وعلى البصرة سفیان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد بن المهلب وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سود

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة فافتتح حصن المرأة (وفيها) غزا فيما ذكر الواقدي مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح الحصن الذي كان فتحه الواضح صاحب الوضاحية (وفيها) غزا عمرو بن هبيرة الفزارى في البحر أرض الروم فشتا بها (وفيها) قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالاندلس وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبي عبيد الفهرى (وفيها) ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان

ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة إليه ولي يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخراجها (فذكر هشام) بن محمد عن أبي مخنف أن يزيد نظر لما ولاه سليمان ما ولاه من أمر العراق في أمر نفسه فقال إن العراق قد أحر بها الحجاج وأنا اليوم رجاء أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني فأتى يزيد سليمان فقال أدلك على

رجل بصير بالخراج توليه إياه فتكون أنت تأخذه به صالح بن عبد الرحمن مولى
 بني تميم فقال له قد قبلنا رأيك فأقبل يزيد إلى العراق وحدثني عمر بن شبة قال
 قال علي كان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد فنزل واسطاً قال علي فقال عباد
 ابن أيوب لما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه فقبل لصالح هذا يزيد وقد خرج
 الناس يتلقونه فلم يخرج حتى قرب يزيد من المدينة فخرج صالح عليه
 دُرّاعة ودبوسية صفراء صغيرة بين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقى يزيد
 فسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذا الدار فأشار له إلى دار فنزل
 يزيد ومضى صالح إلى منزله قال وضيق صالح على يزيد فلم يملكه شيئاً واتخذ
 يزيد ألف خوان يُطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها عليّ
 واشترى متاعاً كثيراً وصكّ صكاً إلى صالح لبايعتها منه فلم يُنفذه فرجعوا
 إلى يزيد فغضب وقال هذا عملي بنفسى فلم يلبث أن جاء صالح فأوسع له يزيد
 مجلس وقال ليزيد ما هذه الصكّ الخراج لا يقوم لها قد أنفدت لك منذ أيام صكّا
 بمائة ألف وعجلت لك أرزاقك وسألت مالا للجند فأعطيتك فهذا لا يقوم له شيء
 ولا يرضى أمير المؤمنين به وتوخذ به فقال له يزيد يا أبا الوليد أجز هذه الصكّ
 هذه المرّة وضاحكه قال فياني أجزها فلا تكثرنّ عليّ قال لا وحدثني عليّ بن محمد
 حدثنا مسلمة بن محارب وأبو العلاء التيمي والطفيل بن مرداس العتيّ وأبو حفص
 الأزديّ عن حدثه عن جهم بن زحر بن قيس والحسن بن رشيد عن سليمان بن
 كثير وأبو الحسن الخراسانيّ عن الكرمانىّ وعامر بن حفص وأبو مخنف عن
 عثمان بن عمرو بن محسن الأزديّ وزهير بن هنيد وغيرهم وفي خبر بعضهم ما ليس
 في خبر بعض فألفت ذلك أن سليمان بن عبد الملك ولي يزيد بن المهلب العراق
 ولم يوله خراسان فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك بن المهلب وهو بالشام
 وبزيد بالعراق كيف أنت يا عبد الملك إن وليتكم خراسان قال يجدنّي أمير المؤمنين
 حيث يحبّ ثم أعرض سليمان عن ذلك قال وكتب عبد الملك بن المهلب إلى جرير
 ابن يزيد الجهضميّ وإلى رجال من خاصته إن أمير المؤمنين عرض عليّ ولاية
 خراسان فبلغ الخبر يزيد بن المهلب وقد ضجر بالعراق وقد ضيق عليه صالح

ابن عبد الرحمن فايس يصل معه إلى شيء فدعا عبدالله بن الالهتم فقال إني أريدك
لأمر قد أهمني فأحب أن تكفيني قال مرني بما أحببت قال أنا فيما ترى
من الضيق وقد أضجرتني ذلك وخراسان شاعرة برجلها وقد بلغني أن
أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرحني إلى
أمير المؤمنين فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها قال فآتكم ما أخبرتك به وكتب
إلى سليمان كتابين أحدهما يذكر له فيه أمر العراق وأثنى فيه على ابن الالهتم
وذكر له عليه بها ووجه ابن الالهتم وحمله على البريد وأعطاه ثلاثين ألفاً فسار
سبعاً فقدم بكتاب يزيد على سليمان فدخل عليه وهو يتغذى فجلس ناحية فآتى
بدجاجتين فأكلهما قال فدخل ابن الالهتم فقال له سليمان لك مجلس غير هذا
تعود إليه ثم دعا به بعد ثلاثة فقال له سليمان إن يزيد بن المهلب كتب إلى يذكر
علمك بالعراق وبخراسان ويثني عليك فكيف علمك بها قال أنا أعلم الناس
بها: بها ولدت وبها نشأت فلي بها وبأصلها خبر وعلم قال ما أحوج أمير المؤمنين
إلى مثلك يشاوره في أمرها فأشعر على برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين
أعلم بمن يريد يولي فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأي فيه هل يصلح لها
أم لا قال فسمى سليمان رجلاً من قریش قال يا أمير المؤمنين ليس من رجال
خراسان قال فعبد الملك بن المهلب قال لا حتى عدد رجالاً فكان في آخر من ذكر
وكيع بن أبي سود فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم بئيس مقدم
وليس بصاحبها مع هذا إنه لم يقدر ثلثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة قال صدقت
ويحك فمن لها قال رجل أعلم لم تُسمَّه قال فمن هو قال لأبوح باسمه إلا أن يضمن
لى أمير المؤمنين ستر ذلك وأن يجيرني منه إن علم قال نعم سمَّه من هو قال
يزيد بن المهلب قال ذاك بالعراق والمقام بها أحب إليه من المقام بخراسان قال
قد علمت يا أمير المؤمنين ولكن تُكرهه على ذلك فيستخلف على العراق رجلاً
ويسير قال أصبت الرأي فكتب عهد يزيد على خراسان وكتب إليه كتاباً إن
ابن الالهتم كما ذكرت في عقله ودينه وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد يزيد إلى

ابن الالهتم فسار سبعا فقدم على يزيد فقال له ما وراءك قال فأعطاه الكتاب فقال ويحك أعندك خير فأعطاه العهد فأمر يزيد بالجهاز للسير من ساعته ودعا ابنه مخلداً فقدمه إلى خراسان قال فسار من يومه ثم سار يزيد واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكي واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي وصير مروان بن المهلب على أمواله وأمره بالبصرة وكان أوثق إخوته عنده ولمروان يقول أبو البهاء الإيادي

رَأَيْتُ أَبَا قَيْصَةَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْعَلَاتِ أَكْرَمَهُمْ طَبَاً
إِذَا مَا هُمْ أَبَوْا أَنْ يَسْتَطِيعُوا جَسِيمَ الْأَمْرِ يَحْمِلُ مَا اسْتَطَاعَا
وَإِنْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ بِأَمْرِ فَضَلَّتْهُمْ بِذَلِكَ نَدَى وَبَاً

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في ذلك حدثني أبو مالك أن وكيع ابن أبي سود بعث بطاعته وبرأس قتيبة إلى سليمان فوقع ذلك من سليمان كل موقع فجعل يزيد بن المهلب لعبد الله بن الالهتم مائة ألف على أن ينقر وكيما عنده فقال أصلح الله أمير المؤمنين والله ما أحد أوجب شكراً ولا أعظم عندي يداً من وكيع لقد أدرك بشأري وشفاني من عدوي ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب علي حقاً وإن النصيحة تلزمني لأمر المؤمنين إن وكيما لم يجتمع له مائة عتاق قط إلا حدث نفسه بغدرة خامل في الجماعة نابه في الفتنة فقال ما هو إذاً ممن نستعين به وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع فاستعمل سليمان يزيد بن المهلب على حرب العراق وأمره إن أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع فينزع يداً من طاعة أن يُقيد وكيما به فغدر يزيد فلم يُعط عبد الله بن الالهتم ما كان ضمن له ووجه ابنه مخلد ابن يزيد إلى وكيع (رجع الحديث إلى حديث علي) قال علي أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محسن وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني قال وجه يزيد ابنه مخلداً إلى خراسان فقدم مخلد عمرو بن عبد الله بن سنان العتكي ثم الصنابحي حين دنا من مرو فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن القني فأبي فأرسل إليه عمرو يا أعرابي أحق جلفاً جافياً انطلق إلى أميرك فتلقه وخرج وجود من أهل

مرو يتلقون مخلدا وتناقل وكيع عن الخروج فأخرجه عمرو والأزدى فلما بلغوا مخلدا نزل الناس كلهم غير وكيع ومحمد بن حران السعديّ وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة فأنزلوهم فلما قدم مرو حبس وكيعا فعذب به وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدوم أبيه قال عليّ عن كليب بن خلف قال حدثنا إدريس بن حنظلة قال لما قدم مخلد خراسان حبسني فجاءني ابن الأهتم فقال لي أتريد أن تنجو قلت نعم قال أخرج الكتب التي كتبها القعقاع بن خليلد العبسيّ وخريم بن عمرو المريّ إلى قتيبة في خلع سليمان فقلت له يا ابن الأهتم إياي تخدع عن ديني قال فدعا بطومار وقال إنك أحق فكتب كتبنا عن لسان القعقاع ورجال من قيس إلى قتيبة أن الوليد ابن عبد الملك قد مات وسليمان باعث هذا المزورنيّ على خراسان فاخلمه فقلت يا ابن الأهتم تهلك والله نفسك والله لن دخلت عليه لأعلمنه أنك كتبتها (وفي هذه السنة) شخص يزيد بن المهلب إلى خراسان أميرا عليها فذكر عليّ بن محمد عن أبي السريّ الأزدى عن عمه قال روى وكيع خراسان بعد قتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة وقدم يزيد بن المهلب سنة ٩٧ قال عليّ فذكر المفضل بن محمد عن أبيه قال أدنى يزيد أهل الشام وقوما من أهل خراسان فقال نهار بقى توسعة

وما كنا نُؤمِّلُ من أميرٍ	كما كُنَّا نُؤمِّلُ من يزيدٍ
فأخطأ ظنُّنا فيه وقدما	زهدنا في معاشرَةِ الزهيدِ
إذا لم يعطنا نَصفاً أميرٌ	مَشِينًا نَحْوَهُ مِثْلَ الْأُسُودِ
فهلَّا يا يزيدُ أُنْبِ إلينا	ودعنا من معاشرَةِ العبيدِ
فجئنا فلا نرى إلا صدوداً	على أنا نُسَلِّمُ من بَعِيدِ
ونرجعُ خائبينَ بلا نوالٍ	فما بالُ التَّجْهِمِ والصدودِ

قال عليّ أخبرنا زياد بن الربيع عن غالب القطان قال رأيت عمر بن عبد العزيز واقفا بعرفات في خلافة سليمان وقد حج سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد العجب لأمر المؤمنين استعمل رجلا على أفضل ثغر للمسلمين فقد بلغتني عن يقدّم من التجار من ذلك الوجه أنه يعطى الجارية من

جواريه مثل سهم ألف رجل أما والله ما والله أراد بولايته فعرفت أنه يعني يزيد
والجهنية فقلتُ يشكر بلاءهم أيام الأزارقة قال ووصل يزيد عبد الملك بن
سلام السلولى فقال

ما زال سَيِّئِكَ يا يَزِيدُ بحوبتي حتى ارتويتُ وجُودكم لا يُنكرُ
أنتَ الرِّيع إذا تكون خِصاصةُ عاش السَّقِيم به وعاش المُقْتِرُ
عمت سَحَابَتُهُ جَمِيعَ بِلَادِكُم قَرَوُوا وأغْدَقَهُم سَحَابُ مُطَرِ
فسَقَاكَ رَبِّكَ حَيْثُ كُنْتَ مَخِيلَةً رِيًّا سَحَابُهَا تَرُوحُ وتبكرُ

(وفي هذه السنة) حج بالناس سليمان بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت
عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر (وفيها) عزل سليمان طلحة
ابن داود الحضرمي عن مكة قال الواقدي حدثني إبراهيم بن نافع عن ابن أبي
ملينكة قال لما صدر سليمان بن عبد الملك من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمي
عن مكة وكان عمله عليها ستة أشهر وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد
ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكانت عمال الأمصار في هذه
السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان فان عاملها على الحرب والخراج والصلاة
يزيد بن المهلب وكان خليفته على الكوفة فيما قيل حرمله بن عمير اللخمي أشهر اثم
عزله وولاهما بشير بن حسان النهدي

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى
القسطنطينية وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره فشتابها وصاف فذكر
محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى قال لما دنا مسلمة من قسطنطينية
أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية
فأمر بالطعام فألقي في ناحية مثل الجبال ثم قال للسليين لاتأكلوا منه شيئاً أغيروا

في أرضهم وازرعوا وعمل ييوتا من خشب فشتا فيها وزرع الناس ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكتنه شيء والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ثم أكلوا من الزرع فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهرا لأهلها معه وجوه أهل الشام خالد ابن معدان وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي ومجاهد بن جبر حتى أتاه موت سليمان فقال القائل

تَحْمِلُ مُدِّيَهَا وَمُدَى مَسَلَمَةٍ

❦ حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال لما ولي سليمان غزا الروم فنزل دابق وقدم مسلمة فهابه الروم فشخص إليون من أرمينية فقال لمسلمة ابعث إلى رجلا يكلمني فبعث ابن هبيرة فقال له ابن هبيرة ما تعدون إلا حق فيكم قال الذي يملأ بطنه من كل شيء يحده فقال له ابن هبيرة إنا أصحاب دين ومن ديننا طاعة أمرائنا قال صدقت كنا وأنتم نقاتل على الدين ونغضب له فأما اليوم فإننا نقاتل على الغلبة والملك نعطيك عن كل رأس ديناراً فرجع ابن هبيرة إلى الروم من غدو قال أبي أن يرضى أتيته وقد تغدى وملاً بطنه ونام فأتته وقد غلب عليه البلغم فلم يدر ما قلت وقالت البطارقة لإليون إن صرفت عنا مسلمة ملكناك فوثقوا له فأثم مسلمة فقال قد علم القوم أنك لا تصدقهم القتال وأنتك تطاولهم مادام الطعام عندك ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم فأحرقه فقوى العدو وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون فكانوا على ذلك حتى مات سليمان قال وكان سليمان بن عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهداً أن لا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية قال وهلك ملك الروم فأتاه اليون فأخبره وضمن له أن يدفع إليه أرض الروم فوجه معه مسلمة حتى نزل بها وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها وأتاهم اليون فملكوه فكتب إلى مسلمة يخبره بالذي كان ويسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحد وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم وأن يأذن لهم ليلة في حمل الطعام وقد هيا اليون السفن والرجال فأذن له فسابق في تلك الحظائر إلا ما لا يذكر حمل في ليلة وأصبح

اليون محاربا وقد خدعه خديعة لو كان امرأة لعيب بها فلقى الجند ما لم يلق جيش حتى إن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شيء غير التراب وسليمان مقيم بدابق ونزل الشتاء فلم يقدر يمدّهم حتى هلك سليمان (وفي هذه السنة) بايع سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان وجعله وليّ عهده فحدثني عمر بن شبة عن عليّ بن محمد قال كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبایعا لابن عاتكة ولمروان بن عبد الملك من بعده قال فحدثني طارق بن المبارك قال مات مروان بن عبد الملك في خلافة سليمان منصرفه من مكة فبايع سليمان حين مات مروان لا يوب وأمسك عن يزيد وتربص به ورجا أن يهلك فهلك أيوب وهو وليّ عهده (وفي هذه السنة) فتحت مدينة الصقالبة قال محمد بن عمر أغارت برجان في سنة ٩٨ على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فأمدّه سليمان بن عبد الملك بمسعدة أو عمرو بن قيس في جمع ففكرت بهم الصقالبة ثم هزمهم الله بعد أن قتلوا شراحيل بن عبدة (وفي هذه السنة) فيما زعم الواقدي غزا الوليد بن هشام وعمر بن قيس فأصيب ناس من أهل إنطاكية وأصاب الوليد ناسا من ضواحي الروم وأسر منهم بشرا كثيرا (وفي هذه السنة) غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان فذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف أن يزيد ابن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ثم أقبل إلى دهستان وجرجان وبعث ابنه مخلدا على خراسان وجاء حتى نزل بدّهستان وكان أهلها طائفة من الترك فأقام عليها وحاصر أهلها معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ووجوه أهل خراسان والري وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس فلا يلبثهم الناس أن يهزموهم فيدخلون حصنهم ثم يخرجون أحيانا فيقاتلون فيشتد قتالهم وكان جهم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان وكان يكرههما وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي له لسان وبأس غير أنه كان يفسد نفسه بالشراب وكان لا يكسر غشيان يزيد وأهل بيته وكأنه أيضا حجزه عن ذلك ما رأى من حسن أثرهم على ابني زحر جهم وجمال وكان إذا نادى

المنادى يا خيل الله اركبي وأبشري كان أول فارس من أهل العسكر يدير إلى موقف البأس عند الروع محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة فنودي ذات يوم في الناس فبدر الناس ابن أبي سبرة فإنه لو وقف على تل إذ مر به عثمان بن المفضل فقال له يا ابن أبي سبرة ما قدرت على أن أسبقك إلى الموقف قط فقال وما يغني ذلك عني وأتم ترشحون غلمان مذحج وتجهلون حق ذوى الأسنان والتجارب والبلاء فقال أما إنك لو تريد ما قبلنا لم نعدل عنك ما أنت له أهل قال وخرج الناس فاقتلوا قتالا شديدا فحمل محمد بن أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة وضربه ابن أبي سبرة فقتله ثم أقبل وسيفه في يده يقطر دما وسيف التركي في بيضته فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه من فارس ونظر يزيد إلى اتلاق السيفين والبيضة والسلاح فقال من هذا فقالوا ابن أبي سبرة فقال لله أبوه أي رجل هو لولا إسرافه على نفسه وخرج يزيد بعد ذلك يوما وهو يرتاد مكانا يدخل منه على القوم فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه جماعة من الترك وكان معه وجوه الناس وفرسانهم وكان في نحو من أربع مائة والعدو في نحو من أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم قالوا ليزيد أيها الأمير انصرف ونحن نقاتل عنك فأبى أن يفعل وغشى القتال يومئذ بنفسه وكان كأحدهم وقاتل ابن أبي سبرة وابنا زحر والحجاج ابن جارية الخثعمي وجل أصحابه فأحسنوا القتال حتى إذا أرادوا الانصراف جعل الحجاج ابن جارية على الساقة فكان يقاتل من ورائه حتى انتهى إلى الماء وقد كانوا عطشوا فشربووا وانصرف عنهم العدو ولم يظفروا منهم بشيء فقال سفيان بن صفوان الخثعمي

لولا ابنُ جاريةِ الأغرُ جبينُهُ لَسَقَيْتُ كَأْساً مُرَّةَ الْمُتَجَرِّعِ
وَحَمَّاكَ فِي فُرْسَانِهِ وَخِيُولِهِ حَتَّى وَرَدَتِ الْمَاءَ غَيْرَ مُتَمَتِّعِ

ثم إنه ألح عليها وأنزل الجنود من كل جانب حولها وقطع عنهم المواد فلما جهدوا وعجزوا عن قتال المسلمين واشتد عليهم الحصار والبلاء بعث صولدهقان دِهستان إلى يزيد إني أصالحك على أن تؤمنني على نفسي وأهل بيتي ومالي وأدفع

إليك المدينة وما فيها وأهلها فصالحه وقبل منه ووفى له ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئا لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركي صبرا وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك ثم خرج حتى أتى جرجان وقد كانوا يصلحون أهل الكوفة على مائة ألف ومائتي ألف أحيانا وثلاثمائة ألف وصالحوهم عليها فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح وهابوه وزادوه واستخلف عليهم رجلا من الأزد يقال له أسد بن عبد الله ودخل يزيد إلى الإصهبند في طبرستان فكان معه الفعلة يقطعون الشجر ويصلحون الطرق حتى انتهوا إليه فنزل به فحصره وغلب على أرضه وأخذ الإصهبند يعرض على يزيد الصلح ويزيده على ما كان يؤخذ منه فيأبى رجاء افتتاحها فبعث ذات يوم أخاه أبا عينة في أهل المصرين فأصعد في الجبل إليهم وقد بعث الإصهبند إلى الديلم فاستجاش بهم فافتتلوا فخازم المسلمون ساعة وكشفوهم وخرج رأس الديلم يسأل المبارزة فخرج إليه ابن أبي سبرة فقتله فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فم الشعب فذهبوا ليصعدوا فيه وأشرف عليهم العدو يرشقونهم بالنشاب ويرمونهم بالحجارة فانهزم الناس من فم الشعب من غير كبير قتال ولا قوة من عدوهم على اتباعهم وطلبهم وأقبلوا يركب بعضهم بعضا حتى أخذوا يتساقطون في اللهب ويتدهأ الرجل من رأس الجبل حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعبثون بالشر شيئا وأقام يزيد بمكانه على حاله وأقبل الإصهبند بكتاب أهل جرجان ويسألهم أن يثبوا بأصحاب يزيد وأن يقطعوا عليه مادته والطرق فيما بينه وبين العرب ويعدهم أن يكافئهم على ذلك فوثبوا بتمن كان يزيد خلف من المسلمين فقتلوا منهم من قدروا عليه واجتمع بقيتهم فتحصنوا في جانب فلم يزالوا فيه حتى خرج إليهم يزيد وأقام يزيد على الإصهبند في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً ومائتي ألف وأربعمائة حمار موقرة زعفران وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس على البرنس طيلسان ولجام من فضة وسرقة من حرير وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم ثم خرج منها يزيد وأصحابه كأنهم فلّ ولولا

ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها وأما غير أبي مخنف فإنه قال في أمر يزيد وأمر أهل جرجان ما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن كليب بن خلف وغيره أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ثم امتنعوا وكفروا فلم يأت جرجان بعد سميد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان من ناحيته أحد إلا على وجل وخوف من أهل جرجان كأن الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان ثم غزا مصقلة خراسان أيام معاوية في عشرة آلاف فأصيب وجنده بالرويان وهي متاخمة طبرستان فهلكوا في واد من أوديتها أخذ العدو عليهم بمضايقه فقتلوا جميعا فهو يسمى ودای مصقلة قال وكان يضرب به المثل حتى يرجع مثقلة من طبرستان قال علي بن كليب بن خلف العمى عن طفيل بن مرداس العمى وإدريس بن حنظلة أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان فكانوا يحيون أحيانا مائة ألف ويقولون هذا صلحنا وأحيانا مائتي ألف وأحيانا ثلاثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها فلما صالح صول وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صالح سعيد بن العاص  حدثني أحمد بن علي بن كليب بن خلف العمى عن طفيل بن مرداس وبشر بن عيسى عن صفوان قال قال علي وحدثني أبو حفص الأزدي عن سليمان بن كثير وغيرهم أن صول التركي كان ينزل دهستان والبحيرة جزيرة في البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ وهما من جرجان مما يلي خوارزم فكان صول يغير على فيروز بن قول مرزبان جرجان وبينهم خمسة وعشرون فرسخا فيصيب من أطرافهم ثم يرجع إلى البحيرة ودهستان فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المرزبان منازعة فاعتزله المرزبان فنزل اليباسان نخاف فيروز أن يغير عليه الترك فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان وأخذ صول جرجان فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له ما أقدمك قال خفت صولا فهربت منه قال له يزيد هل من حيلة لقتاله قال نعم شيء واحد إن ظفرت به قتلته أو أعطى بيده قال ما هو قال إن خرج من جرجان حتى ينزل البحيرة ثم أتيته ثم فحصرته بها ظفرت به فاكتب

إلى الإصبيذ كتاباً تسأله فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان واجعل له على ذلك جعلاً ومئة فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرب به إليه لأنه يعظمه فيتحول عن جرجان فينزل البحيرة فكتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان إنني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان تخفت إن بلغه أني أريد ذلك أن يتحول إلى البحيرة فينزلها فإن تحول إليها لم أقدر عليه وهو يسمع منك ويستنصحك فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال فاحتل له حيلة تحبسه بجرجان فإنه إن أقام بها ظفرت به فلما رأى الإصبيذ الكتاب أراد أن يتقرب إلى صول فبعث بالكتاب إليه فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان إلى البحيرة فاعتزم على السير إلى الجرجان فخرج في ثلاثين ألفاً ومعه فيروز بن قول واستخلف على خراسان مخلد بن يزيد واستخلف على سمرقند وكس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب وأقبل حتى أتى جرجان ولم تكن يومئذ مدينة وإنما هي جبال محيطة بها وأبواب ومخارم يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد فدخلها يزيد لم يعاذه أحد وأصاب أموالا وهرب المرزبان وخرج يزيد بالناس إلى البحيرة فأناخ على صول وتمثل حين نزل بهم

نَحَرَ السَّيْفُ وَارْتَعَشَتْ يَدَاهُ وَكَانَ بِنَفْسِهِ وَقَيْتَ نَفُوسُ

قال فحاصروهم فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة ثم ذكر من قصة جهم بن زحر وأخيه ومحمد نحواً مما ذكره هشام غير أنه قال في ضربة التركي ابن أبي سبرة فنشب سيف التركي في درقة ابن أبي سبرة قال علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن عنبسة قال قاتل محمد بن أبي سبرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتدوه بأسيا فهم فانقطع في يده ثلاثة أسياف (ثم رجع إلى حديثهم) قال فمكثوا بذلك يعني الترك محصورين يخرجون فيقاتلون ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر حتى شربوا ماء الإحساء فأصابهم داء يسمى السواد فوقع فيهم الموت وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح

فقال يزيد بن المهلب لا إلا أن ينزل على حكى فأبى فأرسل إليه أنى أصالحك على نفسى ومالى وثلاثمائة من أهل بيتى وخاصتى على أن تؤمننى فتزل البحيرة فأجابه إلى ذاك يزيد فخرج بماله وثلاثمائة ممن أحب وصار مع يزيد فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً وقال الجند ليزيد أعطنا أرزاقنا فدعا إدريس بن حنظلة العمى فقال يا ابن حنظلة أحص لنا ما فى البحيرة حتى نُعطى الجند فدخلها إدريس فلم يقدر على إحصاء ما فيها فقال ليزيد فيها ما لا أستطيع إحصاءه وهو فى ظروف فنحصى الجواليق ونعلم ما فيها ونقول للجند ادخلوا فخذوا فمن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم والعسل قال نعمَ ما رأيتَ فأحصوا الجواليق عدداً وعلّموا كل جولى ما فيه وقالوا للجند خذوا فكان الرجل يخرج وقد أخذ ثياباً أو طعاماً أو ما حمل من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ فأخذوا شيئاً كثيراً قال على قال أبو بكر الهذلى كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا عليه أنه أخذ خريطة فسأله يزيد عنها فأتاه بها فدعا يزيد الذى رفع عليه فشتمه وقال لشهر هى لك قال لا حاجة لى فيها فقال القطامى الكلبى ويقال سنان بن مكمل النخعى

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر
أخذت به شيئاً طفيفاً وبعته من ابن جرنبوذان هذا هو الغدر
وقال مرة النخعى لشهر

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ لولاك كان كصالح القراء

قال على قال أبو محمد الثقفى أصاب يزيد بن المهلب تاجا بجرجان فيه جوهر فقال أترون أحداً يزهد فى هذا التاج قالوا لا فدعا محمد بن واسع الأزدى فقال خذ هذا التاج فهو لك قال لا حاجة لى فيه قال عزمت عليك فأخذه وخرج فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به فلقى سائلاً فدفعه إليه فأخذ الرجل السائل فأتى به يزيد وأخبره الخبر فأخذ يزيد التاج وعوض السائل ما لا كثير أقال على وكان سليمان ابن عبد الملك كلما افتتح قتيبة فتحاً قال ليزيد بن المهلب أما ترى ما يصنع الله على

يدى قتيبة فيقول ابن المهلب ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس والطريق
 الاعظم وافسدت قومس وأبرشهر ويقول هذه الفتوح ليست بشيء الشأن في
 جرجان فلما ولي يزيد بن المهلب لم يكن له همة غير جرجان قال ويقال كان يزيد بن
 المهلب في عشرين ومائة ألف معه من أهل الشام ستون ألفا قال علي في حديثه عن
 ذكر خبر جرجان عنهم وزاد فيه علي بن مجاهد عن خالد بن صبيح أن يزيد بن
 المهلب لما صالح صول طمع في طبرستان أن يفتحها فاعتزم على أن يسير إليها
 فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على اليباسان ودهستان وخلف معه أربعة
 آلاف ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان واستعمل على اندرستان
 أسد بن عمرو أو ابن عبد الله بن الربعة وهي مما يلي طبرستان وخلفه في
 أربعة آلاف ودخل يزيد بلاد الأصهبذ فأرسل إليه يسأله الصلح وأن يخرج
 من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها فوجه أخاه أبا عينة من وجه وخالد بن
 يزيد ابنه من وجه وأبا الجهم الكلبي من وجه وقال إذا اجتمعتم فأبو عينة على
 الناس فسار أبو عينة في أهل المصرين ومعه هريم بن أبي طحمة وقال يزيد لأبي
 عينة شاور هريما فإنه ناصح وأقام يزيد معسكرا قال واستجاش الأصهبذ بأهل
 جيلان وأهل الديلم فأتوه فالتقوا في سند جبل فانهزم المشركون وأتبعهم
 المسلمون حتى انتهوا إلى فم الشعب فدخله المسلمون فصعد المشركون في الجبل وأتبعهم
 المسلمون فرماهم العدو بالشاب والحجارة فانهزم أبو عينة والمسلمون فركب
 بعضهم بعضا يتساقطون من الجبل فلم يثبتوا حتى انتهوا إلى عسكر يزيد وكف
 العدو عن اتباعهم وخافهم الأصهبذ فكتب إلى المرزبان ابن عم فيروز بن قول
 وهو بأقصى جرجان مما يلي اليباسان إن ائذ قتلنا يزيد وأصحابه فاقتل من في اليباسان
 من العرب فخرج إلى أهل اليباسان والمسلمون غارون في منازلهم قد أجمعوا على
 قتلهم فقتلوا جميعا في ليلة فأصبح عبد الله بن المعمر مقتولا وأربعة آلاف من
 المسلمين لم ينج منهم أحد وقتل من بني العم خمسون رجلا قتل الحسين بن عبد الرحمن
 واسماعيل بن إبراهيم بن شماس وكتب إلى الأصهبذ يأخذ بالمضايق والطرق
 وبلغ يزيد قتل عبد الله بن المعمر وأصحابه فأعظموا ذلك وهاهم ففرع يزيد إلى

حيان النبطي وقال لا يمنعك ما كان مني إليك من نصيحة المسلمين قد جاءنا عن جرجان ما جاءنا وقد أخذ هذا بالطرق فاعمل في الصلح قال نعم فأتى حيان الاصبهذ فقال أنا رجل منكم وإن كان الدين قد فرق بيني وبينكم فإني لك ناصح وأنت أحب إلي من يزيد وقد بعث يستمد وأمداده منه قريية وإنما أصابوا منه طرفا ولست آمن أن يأتيك مالا تقوم له فأرح نفسك منه وصالحه فإنك إن صالحته صير حدة على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم من قتلوا فصالحه على سبعمائة ألف وقال علي بن مجاهد على خمسمائة ألف وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين وأربعمائة رجل على كل رجل برنس وطيلسان ومع كل رجل جام فضة وسرقة خز وكسوة ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه قال من عندهم أو من عندنا قال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا ويرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان وانصرف إلى جرجان وكان يزيد قد غرم حيانا مائتي ألف يخاف أن لا يناصره والسبب الذي له أغرم حيانا فيه ما حدثني علي بن مجاهد عن خالد بن صبيح قال كنت مؤدبا لولد حيان فدعاني فقال لي اكتب كتابا إلى مخلد بن يزيد ومخلد يومئذ ببلخ ويزيد بمرزوفتناولت القرطاس فقال اكتب من حيان مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيد فغمرني مقاتل بن حيان أن لا تكتب وأقبل على أبيه فقال يا أبت تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك قال نعم يا بني فإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة ثم قال لي اكتب فكتبت فبعث مخلد بكتابه إلى أبيه فأغرم يزيد حيانا مائتي ألف درهم (وفي هذه السنة) فتح يزيد جرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد قال علي عن الرهط الذين ذكر أنهم حدثوه بخبر جرجان وطبرستان ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان فأعطى الله عهداً لئن ظفر بهم أن لا يُقلع عنهم ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ويختبز من ذلك الطحين ويأكل منه فلما بلغ الرزبان أنه قد صالح الاصبهذ وتوجه إلى جرجان جمع أصحابه وأتى وجاء فتحصن فيها وصاحبها لا يحتاج إلى عدة من

طعام ولا شراب وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها وحولها غياض
فليس يعرف لها إلا طريق واحد فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء
ولا يعرف لهم مأتى إلا من وجه واحد فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه
ويرجعون إلى حصنهم فيبناهم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع
يزيد يتصيدُ ومعه شاكريّة له (وقال هشام بن محمد) عن أبي مخنف فخرج رجل
من عسكره من طيء يتصيد فأبصر وعلا يرقى في الجبل فاتبعه وقال لمن معه قفوا
مكانكم ووقل في الجبل يقتص الأثر فما شعر بشيء حتى هجم على عسكرهم فرجع
يريد أصحابه يخاف أن لا يهتدى فجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات حتى
وصل إلى أصحابه ثم رجع إلى العسكر ويقال إن الذي كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن
الازدي من أهل طوس وكان منهوما بالصيد فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن
أيمن الواسطي صاحب شرطة يزيد فنعوه من الدخول فصاح إن عندي نصيحة
(وقال هشام) عن أبي مخنف جاء حتى رفع ذلك إلى ابني زحر بن قيس فانطلق
به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد فأعلمه الخبر فضمن له بضمان الجهنية أم ولد
كانت ليزيد على شيء قد سماه وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه فدعا به يزيد
فقال ما عندك قال أتريد أن تدخل وجاء بغير قتال قال نعم قال جعالتى قال احتكم
قال أربعة آلاف قال لك دية قال عجّلوا لي أربعة آلاف ثم أنتم بعد من وراء
الاحسان فأمر له بأربعة آلاف وندب الناس فانتدب ألف وأربعمائة فقال
الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض فاختر منهم ثلثمائة فوجههم
واستعمل عليهم جهم بن زحر وقال بعضهم استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد
وقال له إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت وإياك أن أراك عندي
منهزما وضم إليه جهم بن زحر وقال يزيد للرجل الذي ندب الناس معه متى
تصل إليهم قال غدا عند العصر فيما بين الصلاتين قال امضوا على بركة الله فاني
سأجهد على مناهضتهم غدا عند صلاة الظهر فساروا فلما قارب انتصاف النهار
من غدا أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار في حطاب كان جمعه في حصاره إياهم فصره

آكاما فأضرموه نارا فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من
 النيران ونظر العدو إلى النار فهاهم ما رأوا من كثرتها فخرجوا إليهم وأمر يزيد
 الناس حين زالت الشمس فصلوا فجمعوا بين الصلاتين ثم زحفوا إليهم فاقتلوا
 وسار الآخرون بقية يومهم والغد فهاهم على عسكر الترك قبيل العصر وهم
 آمنون من ذلك الوجه ويزيد يقاتل من هذا الوجه فما شعروا إلا بالتكبير من
 ورائهم فانقطعوا جميعا إلى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم ونزلوا
 على حكم يزيد فسبي ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق
 ويساره وقاد منهم اثني عشر ألفا إلى الأندرهز وادى جرجان وقال من طلبهم بثأر
 فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادي وأجرى الماء
 في الوادي على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ولتبر يمينه فطحن واختبروا كل
 وبنى مدينة جرجان وقال بعضهم قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفا ولم تكن
 قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي
 (وأما هشام) بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أنه قال دعا يزيد جهم بن زحر
 فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا في المسكان الذي دلوا عليه وقد أمرهم يزيد
 فقال إذا وصلتكم إلى المدينة فانتظروا حتى إذا كان في السحر فكبروا ثم انطلقوا
 نحو باب المدينة فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها فلما دخل ابن زحر المدينة
 أمهل حتى إذا كانت الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه فأخذ
 لا يستقبل من أحراسهم أحدا إلا قتله وكبر ففرع أهل المدينة فزعالم يدخلهم
 مثله قط فيما مضى فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدهشوا
 فألقى الله في قلوبهم الرعب وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون غير أن عصابة منهم
 ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهم بن زحر فقاتلوا ساعة فدقت يد جهم وصبر
 لهم هو وأصحابه فلم يلبسهم أن قتلوه إلا قليلا وسمع يزيد بن المهلب التكبير
 فوثب في الناس إلى الباب فوجدوهم قد شغلهم جهم بن زحر عن الباب فلم يجد عليه
 من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع ففتح الباب ودخلها من ساعته فأخرج من كان فيها

من المقاتلة فنصب لهم الجذوع فرسخين عن يمين الطريق ويساره فصلبهم أربعة فراسخ
وسبي أهلها وأصاب ما كان فيها قال عليّ في حديثه عن شيوخه الذين قد ذكرت
أسماءهم قبل وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك أما بعد فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين
فتحاً عظيماً وصنع للمسلمين أحسن الصنع فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه أظهر
في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان وقد أعى ذلك سابور ذا الأكتاف
وكسرى بن قباد وكسرى بن هرمز وأعيى الفاروق عمر بن الخطاب و عثمان بن
عفان ومن بعدهما من خلفاء الله حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من
الله له وزيادة في نعمه عليه وقد صار عندي من تحس ما أفاء الله على المسلمين بعد
أن صار إلى كل ذي حق حقه من النقيض والغنيمة ستة آلاف ألف وأنا حامل ذلك
إلى أمير المؤمنين إن شاء الله فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرة مولى بني سُدوس
لا تكتب بتسمية مال فإنك من ذلك بين أمرين إما استكثره فأمرك بحمله
وإما سحنت نفسه لك به فسوغك فتكلفت الهدية فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله
فكأنى بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذي سميت
مخلداً عندهم عليك في دواوينهم فإن ولى وال بعده أخذك به وإن ولى من يتحمل
عليك لم يرض منك بأضعافه فلا تمض كتابك ولكن اكتب بالفتح وسله القدوم
فُشِّبَ فِيهِ بِمَا أَحْبَبْتَ مَشَافَهَةً وَتَقَصَّرَ فَانْكَ إِن تَقَصَّرَ عَمَّا أَحْبَبْتَ أُخْرَى مِنْ أَنْ
تَكْثُرَ فَأَبَى يَزِيدُ وَأَمْضَى الْكِتَابَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانَ فِي الْكِتَابِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ
أَلْفٍ (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك فحدثت
عن عليّ بن محمد قال حدثنا عليّ بن مجاهد عن شيخ من أهل الري أدرك يزيد قال
أتى يزيد بن المهلب الري حين فرغ من جرجان فلغنه وفاة أيوب بن سليمان وهو
يسير في باغ أبي صالح على باب الري فارتجز راجز بين يديه فقال

إِنْ يَكُ أَيُّوبُ مَضَى لِشَأْنِهِ فَإِنَّ دَاوُدَ لِي مَكَانِهِ

يَقِيمُ مَا تَدْرَأُ مِنْ سُلْطَانِهِ

(وفي هذه السنة) فتحت مدينة الصقالبة (وفيها) غزا داود بن سليمان بن

عبد الملك أرض الروم ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية (وحج) بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع وقد ذكرناهم قبل غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان فيما قيل سفيان بن عبد الله الكندي

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك توفي فيما حدثت عن هشام عن أبي مخنف بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام وقد قيل توفي لعشر ليال مضين من صفر وقيل كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام وقد حدث الحسن بن حماد عن طلحة أبي محمد عن أشياخه أنهم قالوا استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ؓ وصحبه أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال توفي سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر

ذكر الخبر عن بعض سيره

حدثت عن علي بن محمد قال كان الناس يقولون سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج فولى سليمان فأطلق الأسارى وخلي أهل السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز فقال ابن بيض

حاز الخُلافة والداك كلاًهما من بين سُخْطَةٍ سَاخِطٍ أو طَائِعٍ

أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نَوْرُ مُلْكٍ الرَّابِعِ

وقال علي قال المفضل بن المهلب دخلت على سليمان بدابق يوم جمعة فدعا

بثياب قلبسها فلم تعجبه فدعا بغيرها بثياب خضر سوسية بعث بها يزيد بن المهلب
 قلبسها واعتم وقال يا ابن المهلب أعجبتك قلت نعم فخر عن ذراعيه ثم قال أنا
 الملك الفتى فضلى الجمعة ثم لم يجمع بعدها وكتب وصيته ودعا ابن أبي نعيم صاحب
 الخاتم فحتمه قال على قال بعض أهل العلم إن سليمان لبس يوماً حلة خضراء وعمامة
 خضراء ونظر في المرأة فقال أنا الملك الفتى فما عاش بعد ذلك إلا أسبوعاً (قال
 على) وحدثنا سحيم بن حفص قال نظرت إلى سليمان جارية له يوماً فقال
 ما تنظرين فقالت

أنت خير المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
 ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فاني

فنفذ عمامته (قال على) كان قاضي سليمان سليمان بن حبيب المحاربي وكان
 ابن أبي عيينة يقص عنده ٥٥ وحدثت عن أبي عبيدة عن روبة بن العجاج قال
 حج سليمان بن عبد الملك وحج الشعراء معه وحججت معهم فلما كان بالمدينة
 راجعاً تلقوه بنحو من أربعمائة أسير من الروم فقعده سليمان وأقر بهم منه مجلساً
 عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقد تم بطريقهم
 فقال يا عبد الله اضرب عنقه فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع إليه حرسى سيفه
 فضربه فأبان الرأس وأطن الساعد وبعض الغل فقال سليمان أما والله ما من
 جودة السيف جادت الضربة ولكن لحسه وجعل يدفع البقية إلى الوجوه وإلى
 الناس يقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم فدمت إليه بنو عبس سيفاً في قراب
 أبيض فضربه فأبان رأسه ودفع إلى الفرزدق أسيراً فلم يجد سيفاً فدسوا له سيفاً
 دناناً متيناً لا يقطع فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً فضحك سليمان
 والقوم وشتت بالفرزدق بنو عبس أخوال سليمان فألقى السيف وأنشأ يقول
 ويعتذر إلى سليمان ويأتى بنو سيف ورقاء عن رأس خالد

إن يك سيف خان أو قدر أتى بتأخير نفس حتفها غير شاهد
 فسيف بنو عبس وقد ضربوا به نبأ يدي ورقاء عن رأس خالد

كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتِهَا وَتَقَطَّعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ
وورقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ضرب خالد بن جعفر بن كلاب
وخالد مكب على أبيه زهير قد ضربه بالسيف وصرعه فأقبل ورقاء بن زهير
فضرب خالد فلم يصنع شيئاً فقال ورقاء بن زهير

رَأَيْتُ زَهِيرًا تَحْتَ كُلِّكُلٍ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعُجُولِ أَبَادِرُ
فُشِلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيُخْصِنُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمُظَاهِرُ
وقال الفرزدق في مقامه ذلك

أَيَعَجِبُ النَّاسُ إِنْ أَضْحَكْتُ خَيْرَهُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
فَمَا نَبَا السِّيفِ عَنْ جُبْنٍ وَلَا دَهْشٍ عِنْدَ الْإِمَامِ وَلَكِنْ أَخَّرَ الْقَدَرُ
وَلَوْ ضَرَبْتُ عَلَى عَمْرِ مَقْلَدَهُ لَحَرَّ جُثْمَانُهُ مَا فَوْقَهُ شَعْرُ
وَمَا يُعَجِّلُ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّنَمَصَامَةُ الذَّاكِرُ
وقال جرير في ذلك

بَسِيفِ أَبِي رَغْوَانَ سِيفٍ مَجَاشِعٍ ضَرَبْتُ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسِيفِ ابْنِ ظَالِمٍ
ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأَرْعَشْتُ يَدَاكَ وَقَالُوا مُحَدَّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ

❦ حدثني عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبد الله
ابن محمد بن عيينة قال أخبرني أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس قال شهد
سليمان بن عبد الملك جنازة بدابق فدفنت في حقل فجعل سليمان يأخذ من تلك
التربة فيقول ما أحسن هذه التربة ما أطيبها فما أتى عليه جمعة أو كما قال حتى دفن
إلى جنب ذلك القبر

خلافة عمر بن عبد العزيز

(وفي هذه السنة) استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه

❦ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال حدثني الهيثم

ابن واقد قال استخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ٩٩ قال محمد بن عمر حدثني داود بن خالد بن دينار عن سهيل بن أبي سهيل قال سمعت رجاء بن حيوة يقول لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خز ونظر في المرأة فقال أنا والله الملك الشاب فخرج إلى الصلاة فصلى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك فلما ثقل عهده في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ فقلت ما تصنع يا أمير المؤمنين إنه بما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح فقال سليمان أنا أستخير الله وأنظر فيه ولم أعزم عليه قال فكث يوماً أو يومين ثم خرّقه فدعاني فقال ما ترى في داود بن سليمان فقلت هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحيى هو أم ميت فقال لي فن ترى قلت رأيك يا أمير المؤمنين وأنا أريد أنظر من يذكر قال كيف ترى في عمر بن عبد العزيز فقلت أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً فقال هو والله على ذلك ثم قال والله لن وليته ولم أول أحداً سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم قال فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به قلت رأيك قال فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن أحمد العبسي صاحب شرطه فقال مرأهل يتي فليجتمعوا فأرسل كعب إليهم أن يجمعوا فاجتمعوا ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم اذهب بكتابي هذا إليهم فاخبرهم أن هذا كتابي وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ففعل رجاء فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا ندخل فنسلم على أمير المؤمنين قال نعم فدخلوا فقال لهم سليمان في هذا الكتاب وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة عهدي فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب فبايعوه رجلاً رجلاً ثم خرج بالكتاب محتوماً في يد رجاء بن حيوة قال رجاء فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال أخشى

أن يكون هذا أسند إلى شيئاً من هذا الأمر فأنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة قال رجاء لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً قال فذهب عمر غضبان قال رجاء وليقيني هشام بن عبد الملك فقال يا رجاء إن لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر فأعلمني هذا الأمر فإن كان إليّ علمت وإن كان إلى غيري تكلمت فليس مثلي قصر به فأعلمني فلك الله على أن لا أذكر من ذلك شيئاً أبداً قال رجاء فأبيت فقلت والله لا أخبرك حرفاً وأحداً مما أسرار إليّ قال فأنصرف هشام وهو قد يئس ويضرب بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول فإلى من إذا نحييت عني أخرج من بني عبد الملك قال رجاء ودخلت على سليمان فإذا هو يموت فجعلت إذا أخذته السكر من سكرات الموت حرّفته إلى القبلة فجعل يقول حين يفيق لم يأن لذلك بعد يا رجاء ففعلت ذلك مرتين فلما كانت الثالثة قال من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال فحرّفته ومات فلما غمضته بجيئه بقطيفة خضراء وأغلقت الباب وأرسلت إلى زوجته تقول كيف أصبح فقلت نائم وقد تغطى فظفر الرسول إليه مغطى بالقطيفة فرجع فأخبرها فقَبِلَتْ ذلك وظننت أنه نائم قال رجاء وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يبرح حتى آتية ولا يدخل على الخليفة أحد فالخرجت فأرسلت إلى كعب بن حامد العبسي فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت بايعوا فقالوا قد بايعنا مرة ونباع أخرى قلت هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا على ما أمر به ومن سمي في هذا الكتاب المختوم فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً قال رجاء فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أني قد أحكمت الأمر قلت قوموا إلى صاحبكم فقدمات قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون وقرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت إلى ذكر عمر ابن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك لا تبايعه أبداً قلت أضرب والله عنقك قم فبايع فقام يجرّ رجله قال رجال وأخذت بصنعي عمر بن عبد العزيز فأجلسه لما وقع فيه وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر إنا لله

ولما إليه راجعون حين صارت إلى لكرأهته والآخر يقول إنما لله وإنما إليه راجعون حيث نحيث عنى قال وغُسل سليمان وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز قال وجاء فلما فرغ من دفنه أتى بمراكب الخلافة البراذين والخيول والبغال ولكل دابة سائس فقال ما هذا قالوا مراكب الخلافة قال دابتي أوفق لي وركب دابته قال فصرفت تلك الدواب ثم أقبل سائرا فقبل منزل الخلافة فقال فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا فأقام في منزله حتى فرغوه بعد قال وجاء فلما كان المساء من ذلك اليوم قال يار جاء ادع لي كاتباً فدعوته وقد رأيت منه كل ما سرتني صنع في المراكب ما صنع وفي منزل سليمان فقلت كيف يصنع الآن في الكتاب أيصنع نسخاً أم ماذا فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخة فأملأ أحسن إملاء وأبلغه وأجزه ثم أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كل بلد وبلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائباً عن موت سليمان بن عبد الملك ولم يعلم ببيعة الناس عمر بن عبد العزيز وعهد سليمان إلى عمر فعقد لواء ودعا إلى نفسه فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك وأردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن عقد لأحد خففت على الأموال أن تنهب فقال عمر لو بايعت وقت بالامر ما نازعتك ذلك ولقعدت في بيتي فقال عبد العزيز ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك وبايع عمر بن عبد العزيز قال فكان يُرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده (وفي هذه السنة) وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم وأمره بالققول منها بمن معه من المسلمين ووجه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً وحث الناس على معاونتهم وكان الذي وجه إليه من الخيل العتاق فيما قيل خمسمائة فرس (وفي هذه السنة) أغارت الترك على آذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم فوجه اليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك فلم يفلت منهم الا اليسير فقدم منهم على عمر بمخاضرة بخمسين أسيراً (وفيها)

عزل عمر يزيد بن المهلب عن العراق ووجه على البصرة وأرضها عدى بن أرطاة
 الفزارى وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
 الأعرج القرشى من بنى عدى بن كعب وضم إليه أبا الزناد فكان أبو الزناد كاتب
 عبد الحميد بن عبد الرحمن وبعث عدى في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوحيه الحميري
 (وحج) بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة
 وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى
 الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن وعلى البصرة وأرضها عدى بن أرطاة وعلى
 خراسان الجراح بن عبد الله وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المزني
 وقد ولي فيما ذكر قبله الحسن بن أبي الحسن فشكى فاستقصى إياس بن معاوية وكان
 على قضاء الكوفة في هذه السنة فيما قيل عامر الشعبي (وكان الواقدي) يقول كان
 الشعبي على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن
 والحسن بن أبي الحسن البصري على قضاء البصرة من قبل عدى بن أرطاة ثم إن الحسن
 استغنى من القضاء عدياً فأعفاه وولى إياساً

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق

ذكر الخبر عن أمرهم

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه قال خرجت حرورية بالعراق فكتب
 عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل العراق
 يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلبس أعذر
 في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزمتهم الحرورية فبلغ عمر فبعث إليهم
 مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة وكتب إلى عبد الحميد
 قد بلغني ما فعل جيشك السوء وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك نخل بينه وبينهم

فلقيهم مسلمة في أهل الشام فلم يَنْشَبْ أَنْ أظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (وذكر أبو عبيدة) معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شَوَذَبَ واسمه بِسْطَام من بني يشكر فكان مخرجه بجوْحَى في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض فإن فعلوا فخل بينهم وبين ذلك وانظر رجلاً صلياً حازماً فوجهه اليهم ووجهه معه جنداً وأوصيه بما أمرتك به فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر وكتب عمر إلى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير فقام بإزائه لا يحركه ولا يهتجه فكان في كتاب عمر إليه أنه بلغني أنك خرجت غَضَباً لله ولنبيه ولست بأولى بذلك مني فسلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا فلم يحرك بسطام شيئاً وكتب إلى عمر قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك قال أبو عبيدة أحد الرجلين اللذين بعثهما شوذب إلى عمر ممزوج مولى بني شيبان والآخر من صليبة بني يشكر قال فيقال أرسل نفرًا فيهم هذان فأرسل إليهم عمر أن اختاروا رجلين فاختراروا هما فدخلا عليه فناظرهما فقالا له أخبرنا عن يزيد لم تُقره خليفة بعدك قال صيره غيري قال أفرأيت لو وليت ما لا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه أترأى كنت أدبت الأمانة إلى من اتمتك قال فقال أنظراني ثلاثاً نخرجاً من عنده وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال وأن يخلع يزيد فدسوا إليه من سقاه سماً فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثاً حتى مات (وفي هذه السنة) أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمر بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة (وفيها) شخص عمر بن هبيرة الفزارى إلى الجزيرة عاملاً لعمر عليها (وفي هذه السنة) حمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر ابن عبد العزيز

ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف وصل اليه حتى استوثق منه
 اختلف أهل السير في ذلك فأما هشام بن محمد فانه ذكر عن أبي مخنف أن عمر
 ابن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فقتل واسطاً ثم ركب السفن يريد
 البصرة بعث عدى بن أرطاة إلى البصرة أميراً فبعث عدى موسى بن الوجيه
 الحميري فلحقه في نهر معقل عند الجسر جسر البصرة فأوثقه ثم بعث به إلى عمر بن
 عبد العزيز فقدم به عليه موسى بن الوجيه فدعا به عمر بن عبد العزيز وقد كان عمر
 يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد بن
 المهلب يبغض عمر ويقول إني لأظنه مرأثياً فلما ولي عمر عرف يزيد أن عمر كان
 من الرياء بعيداً ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان
 ابن عبد الملك فقال كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وإنما كتبت إلى سليمان
 لأسمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ولا بأمر أكرهه
 فقال له ما أجد في أمرك إلا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فإنها حقوق المسلمين
 ولا يسعني تركها فردّه إلى محبسه وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرّحه
 إلى خراسان وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يُعطى الناس ولا يمر بكورة
 إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيمة ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فدخل
 عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك
 عليها وقد ابتلينا بك فلا نكن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ
 أنا أتحمّل ما عليه فصالحني على ما آياه تسأل فقال عمر لا إلا أن تحمل جميع
 ما نسأله آياه فقال يا أمير المؤمنين إن كانت لك بينة نخذ بها وإن لم تكن بينة فصدق
 مقالة يزيد وإلا فاستحلفه فإن لم يفعل فصالحه فقال له عمر ما أجْدُ إلا أخذه
 بجميع المال فلما خرج مخلد قال هذا خير عندي من أبيه فلم يلبث مخلد إلا قليلاً
 حتى مات فلما أبى يزيد أن يؤدى إلى عمر شيئاً ألبسه جبة من صوف وحمله على
 جمل ثم قال سيروا به إلى دهلك فلما أخرج فمرّ به على الناس أخذ يقول مالى
 عشيرة مالى يذهب بي إلى دهلك إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المريب الخارب

سبحان الله أما لي عشيرة فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولاني فقال يا أمير المؤمنين أرّدد يّزید إلى محبسه فإنی أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه فإنی قد رأيت قومه غَضِبوا له فردّه إلى محبسه فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ه وأما غير أبي مخنف فانه قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدی بن ارطاة يأمره بتوجيه يّزید بن المهلب ودفعه إلى من بعين التمر من الجند فوجهه عدی ابن ارطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سود التيمي مغلولاً مقيداً في سفينة فلما انتهى به إلى نهر أبان عرض لو كيع ناس من الأزد لينتزعه منه فوثب وكيع فانتضى سيفه وقطع قلنس السفينة وأخذ سيف يّزید بن المهلب وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يتفرقا فناداهم يّزید بن المهلب فأعلمهم يمين وكيع فتفرقوا ومضى به حتى سلمه إلى الجند الذين بعين التمر ورجع وكيع إلى عدی ابن ارطاة ومضى الجند الذين بعين التمر بيّزید بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز فحبسه في السجن (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان وولاهها عبد الرحمن بن نعيم القشيري فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر قدمها سنة ٩٩ وخرج منها لايام بقيت من شهر رمضان سنة ١٠٠

ذكر سبب عزل عمر اياه

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلف عن إدريس بن حنظلة والمفضل عن جدّه وعلي بن مجاهد عن خالد بن عبد العزيز أن يّزید بن المهلب ولي جهم بن زحر جرجان حين شخص عنها فلما كان من أمر يّزید ما كان وجه عامل العراق من العراق وألياً على جرجان فقدم الوالي عليها من العراق فأخذ جهم فقيده وقيد رهطاً قدموا معه ثم خرج في خمسين من اليمين يريد الجراح بخراسان فأطلق أهل جرجان عاملهم فقال الجراح لجهم لولا أنك ابن عمي لم أسوئك هذا فقال له جهم ولولا أنك ابن عمي لم آتاك وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه لأن الحكم وجعني أبنا سعد فقال له الجراح خالفت إمامك وخرجت

عاصيا فاغز لعلك أن تظفر فيصلح أمرك عند خليفتك فوجهه إلى الختل فخرج فلما قرب منهم سارمتكرأ في ثلاثة وخلف في عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب وهو ختته على ابنته أم الأسود حتى دخل على صاحب الختل فقال له أخلني فأخلاه فاعتزى فتزل صاحب الختل عن سريره وأعطاه حاجته ويقولون الختل موالى النعمان وأصاب مغنا فكتب الجراح إلى عمرو أوفد وقد أرجل من العرب ورجلا من الموالى من بنى ضبة ويكنى أبا الصيداء واسمه صالح ابن طريق كان فاضلا في دينه وقال بعضهم المولى سعيد أخو خالد أويزد النحوى فتكلم العربيان والآخر جالس فقال له عمر أما أنت من الوفد قال بلى قال فما يمنعك من الكلام قال يا أمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا فيقول أتيتكم حفيا وأنا اليوم عصبي والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم وبلغ من جفائه أن كتم درعه بياغ نصف درعه وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان فقال عمر إذن مثلك فليوفد وكتب عمر إلى الجراح انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية فسارع الناس إلى الإسلام فقليل للجراح أن الناس قد سارعوا إلى الإسلام وإنما ذلك نفورا من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر إن الله بعث محمدا صلى الله عليه داعيا ولم يبعثه خاتنا وقال عمر ابغوني رجلا صدوقا أسأله عن خراسان فقل له قد وجدته عليك بأبي مجلز فكتب إلى الجراح أن أقبل واحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي وعلى جزيتها عبيد الله أو عبد الله ابن حبيب فخطب الجراح فقال يا أهل خراسان جئتكم في ثيابي هذه التي على وعلى فرسي لم أصب من مالكم إلا حلية سيني ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه وبغلة قد شاب وجهها فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم فلما قدم قال له عمر متى خرجت قال في شهر رمضان قال قد صدق من

وصفك بالجفاء هلا أمت حتى تُفَطَّرَ ثم تخرج وكان الجراح يقول أنا والله عصبي عقيب يريد من العصية وكان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمراني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزؤون فيها نزواً أحب الأمور اليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم فليس يكفهم إلا السيف والسوط وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك فكتب إليه عمر يا ابن أم الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم لا تضربن مؤمننا ولا معاهداً سوطاً إلا في حق واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولما أراد الجراح الشخص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفاً وقال بعضهم عشرة آلاف من بيت المال وقال هي على سلفاً حتى أوديتها إلى الخليفة فقدم على عمر فقال له عمر متى خرجت قال لأيام بقين من شهر رمضان وعلى دين فاقضه قال لو قت حتى تفطر ثم خرجت قضيت عنك فأدى عنه قومه في أعطياتهم

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم

وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

وكان سبب ذلك فيما ذكر لي أن الجراح بن عبد الله لما شكى واستقدمه عمر ابن عبد العزيز فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان قال فيما ذكر علي بن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان ف قيل له أبو مجلز لاحق بن حميد فكتب إليه فقدم عليه وكان رجلاً لا تأخذه العين فدخل أبو مجلز على عمر في جفة الناس فلم يثبت عمر وخرج مع الناس فسأل عنه ف قيل دخل مع الناس ثم خرج فدعا به عمر فقال يا أبا مجلز لم أعرفك قال فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني قال أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله قال يكاني إلا كفاء ويعادي الأعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم إن وجد من يساعده قال عبد الرحمن ابن نعيم قال ضعيف لئن يحب العافية وتأتى له قال الذي يحب العافية وتأتى له

أَحَبُّ إِلَى قَوْلِهِ الصَّلَاةَ وَالْحَرْبَ وَوَلَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْقَشِيرِيُّ ثُمَّ أَحَدَ بَنِي الْأَعْوَرِ
ابْنَ قَشِيرٍ الْخَرَّاجَ وَكُتِبَ إِلَى أَهْلِ خُرَاسَانَ إِنِّي اسْتَعْمَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى حَرْبِكُمْ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى خُرَاجِكُمْ عَنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِهِمَا وَلَا اخْتِيَارًا إِلَّا مَا أَخْبَرْتُ
عَنْهُمَا فَإِنْ كَانَا عَلَى مَا تَحْبُونَ فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَإِنْ كَانَا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ وَحْدَتٍ أَبُو السَّرِيِّ الْأَزْدِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الصَّائِغِ
أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كُتِبَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ أَمَا بَعْدَ فَكُنْ عَبْدًا نَاصِحًا لِلَّهِ
فِي عِبَادِهِ وَلَا يَأْخُذُكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تُؤْمَرُ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِكَ مِنَ النَّاسِ وَحَقُّهُ عَلَيْكَ
أَعْظَمُ فَلَا تَوَلِّينَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا الْمَعْرُوفَ بِالنَّصِيحَةِ لَهُمْ وَالتَّوْفِيرَ عَلَيْهِمْ
وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ فِيمَا اسْتُرِعِيَ وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مِثْلُكَ مِثْلًا إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَلَا تَذْهَبُ عَنْ اللَّهِ مَذْهَبًا فَإِنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ قَالَ عَلِيُّ
عَنْ مُحَمَّدِ الْبَاهِلِيِّ وَأَبِي نَهْيِكَ بْنُ زِيَادٍ وَغَيْرِهِمَا إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعَثَ بَعْدَهُ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ عَلَى حَرْبِ خُرَاسَانَ وَبِجِهَاتِهِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَخْرٍ الْقُرَشِيِّ فَلَمْ
يَزَلْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَعِيمٍ عَلَى خُرَاسَانَ حَتَّى مَاتَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَبَعْدَ ذَلِكَ
حَتَّى قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَوَجْهٌ مُسْلِمَةٌ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ
فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ وَنِصْفٍ وَلِهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ١٠٠ وَعُزِلَ
سَنَةَ ١٠٢ بَعْدَ مَا قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ كَانَتْ وَلَايَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ
خُرَاسَانَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا

أول الدعوة

(قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ) وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنَى سَنَةِ ١٠٠ وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ أَرْضِ الشَّرَاقَةِ مَيْسِرَةً إِلَى الْعِرَاقِ وَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ خُنَيْسٍ وَأَبَا عَكْرَمَةَ
السَّرَّاجَ وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ وَحَيَّانَ الْعَطَّارَ خَالَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ إِلَى خُرَاسَانَ
وَعَلَيْهَا يَوْمُئِذٍ الْجَرَاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيُّ مِنْ قَبْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَمْرُهُمْ
بِالدَّعَاءِ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَلَقُوا مَنْ لَقُوا ثُمَّ انْصَرَفُوا بِكُتُبٍ مِّنْ اسْتِجَابِ لَهُمْ إِلَى
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فَدَفَعُوها إِلَى مَيْسِرَةَ فَبِعَتْ بِهَا مَيْسِرَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَاخْتَارَ أَبُو مُحَمَّدٍ

الصادق لمحمد بن عليّ اثني عشر رجلاً نُقباء منهم سليمان بن كثير الخزاعيّ ولاهر
ابن قريظ التميميّ وقحطبة بن شبيب الطائيّ وموسى بن كعب التميميّ وخالد بن
ابراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التميمي
وعمران بن اسماعيل أبو النجم مولى لآل أبي مُعيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ
وطلحة بن زريق الخزاعيّ وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة وشبّل بن
طهمان أبو عليّ الهرويّ مولى لبني حنيفة وعيسى بن أعين مولى لخزاعة واختار
سبعين رجلاً فكتب اليهم محمد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثالا وسيرة يسرون
بها **(وحج)** بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حدّثني بذلك
أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي
وكان عمال الأمصار في هذه السنة العمّال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل
ما خلا عامل خراسان فان عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم على الصلاة
والحرب وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز

ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه:

ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما كلم في يزيد
ابن المهلب حين أراد نفيه إلى دهلك وقيل له إنا نخشى أن ينتزعه قومه رده إلى
محبسه فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر فأخذ يعمل بعد في الحرب من
محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عقيل كانت أم
الحجاج بنت محمد بن يوسف أختي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك
فولدت له الوليد بن يزيد المقتول فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه
الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقاً فكان يخشى ذلك فبعث يزيد بن المهلب

إلى مواليه فأعدوا له إبلا وكان مرض عمر في دير سمعان فلما اشتد مرض عمر أمر يابله فأتي بها فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه فلم يجدهم جاءوا فجزع أصحابه وضجروا فقال لأصحابه أتروني أرجع إلى السجن لا والله لا أرجع إليه أبدًا ثم إن الإبل جاءت فاحتمل فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات بن معاوية العامرية من بني البكافي شق المحمل فمضى فلما جاز كتب إلى عمر ابن عبد العزيز إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسى ولكنى لم آمن يزيد بن عبد الملك فقال لعمر اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فأكفهم شره واردد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب حتى مر بحدث الزقاق وفيه الهذيل ابن زفر معه قيس فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مر بهم فأصابوا أطرافاً من ثقله وغلبة من وصفائه فأرسل الهذيل بن زفر في آثارهم فردهم فقال ما تطلبون أخبروني أطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتبل فقالوا لا قال فساتريدون إنما هو رجل كان في أسارى فخاف على نفسه فهرب وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر (وفي هذه السنة) توفي عمر بن عبد العزيز فحدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال توفي عمر ابن عبد العزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة ١٠١ وكذلك قال محمد بن عمر حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عمرو بن عثمان قال مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة ١٠١ (وقال هشام) عن أبي مخنف مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان في سنة ١٠١ وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ومات بدير سمعان رحمه الله حدثني الحارث قال حدثنا أحمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عمي الهيثم بن واقد قال ولدت سنة ٩٧ واستخلف عمر ابن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة ٩٩ فأصابني من قسمه ثلاثة دنائير وتوفي بخناصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة ١٠١ وكان شكوه عشرين يوماً وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ومات

وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ودفن بدير سمعان وقد قال بعضهم كان له يوم توفى تسع وثلاثون سنة وخمسة أشهر ٥ وقال بعضهم كان له أربعون سنة (وقال هشام) توفى عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر وكان يكنى أبا حفص وله يقول عوف القوافي وقد حضره في جنازة شهدها معه

أَجْنِي أَبَا حَفْصٍ لَقِيتَ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَشِيرًا مَنْ وَرَاكَ
فَأَنْتَ أَمْرٌ كَلَّمَا يَدِيكَ مُفِيدَةٌ شِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان يقال له أشج بن أمية وذلك أن دابة من دواب أبيه كانت شجته فقبل له أشج بن أمية ؓ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا سليمان بن حرب قال حدثنا المبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال كنت أسمع ابن عمر كثيرا يقول ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؓ وحدثت عن منصور ابن أبي مزاحم قال حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الألفطس أن عمر بن عبد العزيز رحلته دابة وهو غلام بدمشق فأتيت به أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب فضمته إليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها على تلك الحال فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضيعت ابني ولم تضم إليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا فقال لها اسكتي يا أم عاصم فطوباك إذ كان أشج بن أمية
ذكر بعض سيره

ذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف حدثهم عن إدريس بن حنظلة والمفضل عن جده وعلي بن مجاهد عن خالد أن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب أما بعد فإن سليمان كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفني ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان وإن الذي ولاني الله من ذلك وقد رلى ليس علي بهين ولو كانت رغبتى في اتخاذ أزواج واعتقاد أموال كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه وأنا أخاف فيها ابتليت به حسابا شديدا ومسئلة غليظة إلا ما عافى الله ورحم وقد بايع من قبلنا

فبايع من قبلك فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ألقاه إلى أبي عيينة فلما قرأه قال لست من عماله قال ولم قال ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته وليس يريد أن يسلك مسلكتهم فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا قال ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان وأقبل فاستخلف ابنه مخلداً قال عليّ وحدثنا عليّ بن مجاهد عن عبد الأعلى بن منصور عن ميمون بن مهران قال كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العمل والعلم قريبان فكن عالماً بالله عاملاً له فإن أقواماً علموا ولم يعملوا فكان عليهم عليهم وبالا قال وأخبرنا مصعب بن حيان عن مقاتل بن حيان قال كتب عمر إلى عبد الرحمن أما بعد فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين قال عليّ أخبرنا كليب بن خلف عن طفيل بن مرداس قال كتب عمر إلى سليمان ابن أبي السرى أن اعمل خانات في بلادك فمن ربك من المسلمين فاقروهم يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين فإن كان منقطعاً به فاقروه بما يصل به إلى بلده فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان إن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والإنصاف فأذن لنا فليغد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا فإن كان لنا حق أعطيناه فإن بنا إلى ذلك حاجة فأذن لهم فوجهوا منهم قوماً فقدموا على عمر فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السرى إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلمنا أصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة قال فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضي الناجي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة فقال أهل السغد بل نرضى بما كان ولا نجد حرجاً وتراضوا بذلك فقال أهل الرأي قد خالطنا هؤلاء القوم وأقننا معهم وأمنونا وأمانهم فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا قال وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من

وراء النهر من المسلمين بذرايرهم قال فأبوا وقالوا لا يسعنا مرو فكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر اللهم إني قد قضيت الذي على فلا تغزُ بالمسلمين فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم قال وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائي وكان قد ولاه الخراج بعد القُشَيْرِيَّ إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها فالو إلى ركن والقاضي ركنٌ وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا وليس من تغور المسلمين تغرأهم إلى ولا أعظم عندي من تغر خراسان فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم فإن يك كفافاً لأعطياتهم فسيل ذلك وإلا فاكتب إلى حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم قال فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم فكتب إلى عمر فأعلمه فكتب إليه عمر أن أقسم الفضل في أهل الحاجة ﷺ ومثني عبد الله بن أحمد بن شَبُويَة قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة عن داود بن سليمان الجعفي قال كتب عمر بن عبد العزيز من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد سلام عليك أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة استنها عليهم عمال السوء وإن قوام الدين العدل والإحسان فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك فإنه لا قليل من الإثم ولا تحمل خراباً على عامر ولا عامراً على خراب انظر الخراب نخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرايين ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصُحف ولا أجور الفيوج ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض فاتبع في ذلك أمرى فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه وانظر من أراد من الذرية أن يحج فعجل له مائة يحج بها والسلام ﷺ حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبُويَة قال حدثني أبي قال حدثنا سليمان قال حدثني عبد الله عن شهاب بن شريعة المجاشعي قال ألحق عمر بن عبد العزيز ذراريَّ الرجال الذين في العطايا أقرع بينهم فمن أصابته القرعة جعله في المسائة ومن

لم تصبه القرعة جعله في الأربعين وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم فأعطى الزمى خمسين خمسين قال وأراه رزق الفطم عليه السلام حتى عبد الله قال حدثنا أبي قال حدثنا الفضيل عن عبد الله قال بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام سلام عليكم ورحمة الله أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه ومن علم أن الموت حق رضى اليسير والسلام قال على بن محمد وقال أبو مجلز لعمر إنك وضعتنا بمنقطع التراب فاحمل إلينا الأموال قال يا أبا مجلز قلبت الأمر قال يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك قال بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم قال فلا أنت تحمله إلينا ولا نحملة إليك وقد وضعت بعضه على بعض قال أحمله إليكم إن شاء الله ومرض من ليلته فمات من مرضه وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهرا (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمة الليثي ويكنى أبا الوليد وهو ابن تسع وسبعين

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر
إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي قال حدثنا رجل في مسجد الجنابذة أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بمخاضة فقال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تُتركوا أسدى وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ألا واعلموا أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه وباع نافداً بياق وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباؤون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبهُ وانقضى أجله فتغيبونه في صدع من الأرض ثم تدعونه غير مؤسّد ولا ممهد قد فارق الأحبة وخلع الأسباب فسكن التراب وواجه الحساب فهو مرتين بعمله فقير إلى ما قدم غنى عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواعده وآيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند

أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى فأستغفر الله وأتوب إليه وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحبيت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددت أنه ساواني ولحمى حتى يكون عيشنا وعيشه سواء وآيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش لكان اللسان منى به ذلولا عالما بأسبابه ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة يدل فيها على طاعته وينهى عن معصيته ثم رفع طرف ردهائه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله (روى خلف بن تميم) قال حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد قال بلغنى أن عمر بن عبد العزيز مات ابن له فكتب عامل له يعزیه عن ابنه فقال لکاتبه أجبه عنى قال فأخذ الکاتب یرى القلم قال فقال للکاتب أدق القلم فإنه أبقي للقرطاس وأوجز للحروف واكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن هذا الأمر قد كنا وطنا أنفسنا عليه فلما نزل لم نذكره والسلام روى منصور ابن مزاحم قال حدثنا شعيب يعنى ابن صفوان عن ابن عبد الحميد قال قال عمر بن عبد العزيز من وصل أخاه بنصيحة له فى دينه ونظر له فى صلاح دنياه فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه فاتقوا الله فانها نصيحة لكم فى دينكم فاقبلوها وموعظة منجية فى العواقب فالزموها الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له فأجلوا فى الطلب فإن فى القنوع سعة وبلغة وكفا فإن أجل الدنيا فى أعناقكم وجهنم أمامكم وماترون ذاهب وما مضى فكان لم يكن وكل أموال عن قريب وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق وبعد فراغه وقد ذاق الموت والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله وعايتم تعجيل إخراجهم وقسمة تراثهم ووجهه مفقود وذكره منسى وبابه مهجور وكان لم يخالط إخوان الحفاظ ولم يعمر الديار فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة فى الموازين * روى سهل بن محمود قال حدثنا حرملة ابن عبد العزيز قال حدثنى أبى عن ابن لعمر بن عبد العزيز قال أمرنا عمر أن نشتري موضع قبره فاشتريناه من الراهب قال فقال بعض الشعراء

أقول لما نعى الناعون لى عمرا لا يبعدن قوام العدل والدين

قَدْ غَادَرَ الْقَوْمُ بِاللَّحْدِ الَّذِي لَحَدُوا بِدَيْرِ سَمْعَانَ قُسْطَاسَ الْمَوَازِينِ

روى عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان قال قال عمر بن عبد العزيز من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه والرضا قليل ومُعَوَّلُ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية « إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » وقدم كتابه على عبد الرحمن ابن نعيم لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ولا تحدن كنيسة ولا بيت نار ولا تجر الشاة إلى مذبحها ولا تحدوا الشفرة على رأس الذبيحة ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذر روى عفان بن مسلم عن عثمان بن عبد الحميد قال حدثنا أبي قال بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت اشتد عله ليلة فسهر وسهرنا معه فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد فقلت له يا مرثد كن عند أمير المؤمنين فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه ثم انطلقنا فضربنا برؤسنا طول سهرنا فلما انتفخ النهار استيقظت فتوجهت إليه فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً فأيقظته فقلت يا مرثد ما أخرجك قال هو أخرجني قال يا مرثد أخرج عني فوالله إني لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان فخرجت فسمعت يتلو هذه الآية « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » قال فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه وأغمض عينيه وإنه لميت رحمه الله

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

(وفيها) ولى يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته أبو خالد وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ولما ولى الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم وولاهما عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري فقدما فيما زعم الواقدي يوم الأربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن

سلة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي وذكر محمد بن عمران عبد الجبار ابن عماره حدثه عن أبي بكر بن حزم أنه قال لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلى دخلت عليه فسليت فلم يقبل عليّ فقلت هذا شيء لا تملكه قريش الأنصار فرجعت إلى منزلي وخفّته وكان شاباً مقدماً فإذا هو يبلغني عنه أنه يقول ما يمنع ابن حزم أن يأتيني إلا الكبر وإني لعالم بخيائته فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه فقلت للذي جاءني بهذا قل له ما الخيانة لي بعادة وما أحب أهلها والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة فلم يزل الأمر يترقى بينهما حتى خاصم إليه رجل من بني فهر وآخر من بني النجار وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهرى في أرض كانت بينهما نصفين فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاري فأرسل الفهرى إلى النجاري وإلى أبي بكر بن حزم فأحضرهما ابن الضحاك فظلم الفهرى من أبي بكر بن حزم وقال أخرج مالي من يدي فدفعه إلى هذا النجاري فقال أبو بكر اللهم غفراً أما رأيته سألني أيا ما في أمرك وأمر صاحبك فاجتمع لي على إخراجها من يدك وأرسلتك إلى من أفتاني بذلك سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فسألتهما فقال الفهرى بلى وليس يلزمي قولها فانكسر ابن الضحاك فقال قوموا فقاموا فقال للفهرى تقرّ له أنك سألت من أفتاه بهذا ثم تقول رُدّها عليّ أنت أرعن اذهب فلا حق لك فكان أبو بكر يتقيه ويخافه حتى كلم ابن حيان يزيد أن يقبده من أبي بكر فإنه ضربه حدّين فقال يزيد لا أفعل رجل اصطنعه أهل بيتي ولكني أوليك المدينة قال لا أريد ذلك لو ضربته بسلطاني لم يكن لي قوَدأ فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً أما بعد فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان فإن كان ضربه في أمر بين فلا تلتفت إليه وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه فقدم بالكتاب على

عبد الرحمن بن الضحاك فقال عبد الرحمن ما جئت بشيء أترى ابن حزم ضربك في أمر لا يختلف فيه فقال عثمان لعبد الرحمن إن أردت أن تحسن أحسنت قال الآن أصبت المطلب فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدين في مقام واحد ولم يسأله عن شيء فرجع أبو المعز حيان وهو يقول أنا أبو المعز ابن الحيان والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يومي هذا واليوم أقرب النساء ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة قتل شوذب الخارجي ذكر الخبر عن مقتله

قد ذكرنا قبل الخبر عما كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز لمناظرته في خلافه عليه فلما مات عمر أحب فيما ذكر معمر بن المثنى عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه ولم يرجع رسولا شوذب ولم يعلم بموت عمر فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب أرسل إليه شوذب ما أعجلك قبل انقضاء المدة فيما يتناو بينكم اليسر قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب فأرسل إليهم محمد إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة قال غير أبي عبيدة فقالت الخوارج ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح قال معمر بن المثنى فبرز لهم شوذب فاقتتلوا فأصيب من الخوارج نفر وأكثروا في أهل القبلة القتل وولوا منهزمين والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ولجأوا إلى عبد الحميد وجرح محمد بن جرير في استه ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه فجاءه فأخبراه بما صادرا عليه عمروان قدمات فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة ووجه من قبله تميم بن الحباب في ألفين فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد فخار بهم فقتلوه وهزموا أصحابه فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه وهزموا أصحابه فوجه إليهم الشحاج ابن وداع في ألفين فراسلهم وراسلوه فقتلوه وقتل منهم نفرا فيهم هذبة الإشكري ابن عم بسطام وكان عابدا وفيهم أبو شميل مقاتل بن شيان وكان فاضلا عندهم

فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولى يرثيهم

تَرَكْنَا تَمِيمًا فِي الْغُبَارِ مُلَجَّجًا
وَقَدْ أَسْلَمْتَ قَيْسَ تَمِيمًا وَمَالِكًا
وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَّانَ يَحْمِلُ رَايَةً
فَيَاهُ ذَبْ لِلْهَيْجَا وَيَاهُ ذَبْ لِلنَّدَى
وَيَاهُ ذَبْ مِنْ كَمٍ مِنْ مُلَحَمٍ قَدْ أَجَبْتَهُ
وَكَانَ أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُقَاتِلٍ
فَقَارَ وَلَاقَى اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمَغْفِرًا
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ
تَبَسَّكَ عَلَيْهِ عِرْسُهُ وَقَرَائِبُهُ
كَأَسْلَمَ الشَّحَاجَ أَمْسِ أَقَارِبُهُ
يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ
وَيَاهُ ذَبْ لِلْخَضَمِ الْأَلَدِّ يُحَارِبُهُ
وَقَدْ أَسْلَمْتَهُ لِلرَّمَاكِ جَوَالِبُهُ
يُرْجَى وَيَخْشَى بِأَسِهِ مِنْ يَحَارِبُهُ
وَحَذَمَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ ضَارِبُهُ
وَعَضْبًا حَسَامًا لَمْ تَحْنُهُ مَضَارِبُهُ
إِذَا انْقَضَ وَافِيَ الرَّيْشِ حُجْنٌ مَخَالِبُهُ

فلما دخل مسلمة الكوفة شكاه اليه أهلها مكان شوذب وخوفهم منه وما قد قتل منهم فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي وكان فارسا فعقد له على عشرة آلاف ووجهه اليه وهو مقيم بموضعه فأثاه مالا طاقة له به فقال شوذب لأصحابه من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ومن كان إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا وإنما البقاء في الدار الآخرة فكسروا أغماد السيوف وحملوا فكتشفوا سعيدا وأصحابه مرارا حتى خاف الفضيحة فذمر أصحابه وقال لهم أمِن هذه الشرذمة لا أبالكم تفرون يا أهل الشام يوما كأيامكم قال فحملوا عليهم فطحنهم طحنا لم يبقوا منهم أحداً وقتلوا بسطاما وهو شوذب وفرسانه منهم الريان بن عبد الله اليشكري وكان من المحشين فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه

وَلَقَدْ جُعْتُ بِسَادَةٍ وَفَوَارِيسٍ
إِعْتَاقَهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ فَنَاقَهُمْ
كَيْدَ تَجَلُّجُلٍ فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ
وَفَوَارِيسٍ بَاعُوا إِلَاهَهُ نُفُوسَهُمْ
لِلْحَرْبِ سَعْرٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ
وَتُرَكْتُ فَرْدًا غَيْرَ ذِي إِخْوَانٍ
كَالنَّارِ مِنْ وَجْدٍ عَلَى الرِّيَانِ
مِنْ يَشْكُرُ عِنْدَ الْوَغَا فَرَسَانَ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ جَعْدَةَ يَرْتِيهِمْ

يَا عَيْنُ أَذْرِي دُمُوعًا مِنْكَ تَسْجَامًا وَابِكِي صَحَابَةً بِسَطَامٍ وَبِسْطَامَا
 فَلَنْ تَرَى أَبَدًا مَا عِشْتَ مِثْلَهُمْ أَتَقَى وَأَكْمَلُ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامَا
 بِسِيَمِهِمْ قَدْ تَأَسَّوْا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ إِحْجَامَا
 حَتَّى مَضَوْا لِلَّذِي كَانُوا لَهُ خَرَجُوا فَأُورِثُونَا مَنَارَاتٍ وَأَعْلَامَا
 إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَنْزَلُوا غُرَفَا مِنَ الْجَنَانِ وَنَالُوا ثَمَّ خَدَامَا
 أَسْقَى الْإِلَهِ بِلَادًا كَانَ مَضْرُوعُهُمْ فِيهَا سَحَابًا مِنَ الْوَسْمِيِّ سَجَامَا

(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة فغلب عليها
 وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أرطاة الفزارى فحبسه وخلع يزيد
 ابن عبد الملك

ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك

وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن
 عبد العزيز حبسه فيه ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة أعني
 سنة ١٠١ ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي
 مات فيه عمر وبلغه هرب يزيد بن المهلب فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره
 أن يطلبه ويستقبله وكتب إلى عدى بن أرطاة يعلمه هربه ويأمره أن يتهيأ
 لاستقباله وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته (فذكر هشام بن محمد) عن
 أبي مخنف أن عدى بن أرطاة أخذهم وحبسهم وفيهم المفضل وحبيب وروان
 بنو المهلب وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان فقال
 يزيد لأصحابه ألا نعرض لهذا فأنأخذه فذهب به معنا فقال أصحابه لا بل امض بنا
 ودعه وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القطعة طانة وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن
 هشام بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبدود
 ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي في ناس من أهل الكوفة
 من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة فقال له انطلق حتى تستقبله فانه اليوم يمر

بجانب العذيب فمضى هشام قليلاً ثم رجع إلى عبد الحميد فقال آجيتك به أسيراً أم آتيتك برأسه فقال أى ذلك ماشئت فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه وجاء هشام حتى نزل العذيب ومر يزيد منهم غير بعيد فاتفقوا الاقدام عليه ومضى يزيد نحو البصرة ففيه يقول الشاعر

وسارَ ابنُ المهلبِ لم يُعْرَجْ وعَرَسَ ذو القُطَيْفَةِ من كِنَانَةٍ
وَيَاسَرَ والتَّيَّاسِرُ كانَ حَزْماً ولم يَقْرَبْ قُصُورَ القُطُقُطَانَةِ

ذو القطيفة هو محمد بن عمرو وأبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أبو قطيفة وإنما سمي ذا القطيفة لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر ومحمد يقال له ذو الشامة فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد ومضى يزيد إلى البصرة وقد جمع عدى بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي وكان عدى بن أرطاة رجلاً من بني فزارة وقال عبد الملك بن المهلب لعدى بن أرطاة خذ ابني حميداً فأحبسه مكانى وأنا أضمن لك أن أرد يزيد عن البصرة حتى يأتى فارس ويطلب لنفسه الأمان ولا يقربك فأبى عليه وجاء يزيد ومعه أصحابه الذين أقبل فيهم والبصرة محفوفة بالرجال وقد جمع محمد بن المهلب ولم يكن ممن حبس رجالاً وقتية من أهل بيته وناساً من مواليه فخرج حتى استقبله فأقبل في كتيبة يهول من رآها وقد دعا عدى أهل البصرة فبعث على كل خمس من أخماسها رجلاً فبعث على خمس الازد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة فقال أبو منقر رجل من قيس ابن ثعلبة إن الراية لا تصلح إلا في بني مالك بن مسمع فدعا عدى نوح بن شيان بن مالك بن مسمع فعقد له على بكر بن وائل ودعا مالك بن المنذر بن الجارود فعقد له على عبد القيس ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي فعقد له على أهل العالية والعالية قريش وكنانة والازد وبجيلة

وخشم وقيس عيلان كلها ومزينة وأهل العالية بالكوفة يقال لهم رُبْعُ أهل المدينة وبالبصرة خمس أهل العالية وكانوا بالكوفة أخماساً فجعلهم زياد بن عبيد أرباعاً قال هشام عن أبي مخنف وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن السبيل حتى يمضى واستقبله المغيرة بن عبد الله الثقفي في الخيل فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل فأفرج له عن الطريق هو وأصحابه وأقبل يزيد حتى نزل داره واختلف الناس إليه وأخذ يبعث إلى عدى ابن أوطاة أن ادفع إلى إخوتي وأنا أصالحك على البصرة وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسى ما أحب من يزيد بن عبد الملك فلم يقبل منه وخرج إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن المهلب فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته وأخذ يزيد بن المهلب يعطى من أتاه من الناس فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة فقال الناس إليه ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدى بن أوطاة حين نزع منه رايته راية بكر بن وائل وأعطاه ابن عمه ومالت إلى يزيد ربيعة وبقيّة تميم وقيس وناس بعد ناس فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع ومعه ناس من أهل الشام وكان عدى لا يعطى إلا درهمين ويقول لا يحل لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتي الأمر في ذلك فقال الفرزدق في ذلك

أَظُنُّ رِجَالَ الدَّرَهْمَيْنِ يَسُوقُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ آجَالُ لَهُمْ وَمَصَارِعُ
فَأَحْزَمُهُمْ مَنْ كَانَ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ وَأَيَقَنَ أَنَّ الْأَمْرَ لَأَشْكَ وَأَقِيعُ

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى فنزلوا المربد فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس فحمل عليهم فهزمهم فقال الفرزدق في ذلك
تَفَرَّقَتِ الْحُمْرَاءُ إِذْ صَاحَ دَارِسُ وَلَمْ يَصْبِرُوا تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
جَزَى اللَّهُ قَيْسًا عَنْ عَدِيٍّ مَلَامَةً أَلَا صَبَرُوا حَتَّى تَكُونَ مَلَا حِمِ
وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس حتى نزل جبانة بني يشكر وهو

المنصف فيما بينه وبين القصر وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشام فاقتتلوا هنيئاً فحمل عليهم محمد بن المهلب فضرب مسور بن عباد الحبلى بالسيف فقطع أنف البيضة ثم أسرع السيف إلى أنفه وحمل على هريم بن أبي طلحة بن أبي نهشل ابن دارم فأخذ بمنطقته فحذفه عن فرسه فوقع فيما بينه وبين الفرس وقال هيهات هيهات عمك أثقل من ذلك وانهزموا وأقبل يزيد بن المهلب أثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر فقاتلوهم وخرج إليه عدى بنفسه فقتل من أصحاب الحارث ابن مصرف الأودى وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج وقتل موسى ابن الوجيه الحميري ثم السكلاعى وقتل راشد المؤذن وانهزم أصحاب عدى وسمع إخوة يزيد وهم في محبس عدى الأصوات تدنو والشباب تقع في القصر فقال لهم عبد الملك إني أرى الشباب تقع في القصر وأرى الأصوات تدنو ولا أرى يزيد إلا قد ظهر وإني لا آمن من مع عدى من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار فأغلقوا الباب ثم القوا عليه ثياباً ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عامر وكان على حرس عدى فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ثم انكروا عليه فأخذ الآخرون يعالجون الباب فلم يستطيعوا الدخول وأعجلهم الناس فغلقوا عنهم وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سالم بن زياد بن أبي سفيان إلى جانب القصر وأتى بالسلايم فلم يلبث عثمان أن فتح القصر وأتى بعدى بن أرطاة فجاء به وهو يتبسم فقال له يزيد لم تضحك فوالله إنه لينبغى أن يمنعك من الضحك خصلتان إحداهما الفرار من القتلة الكريمة حتى أعطيت يديك إعطاء المرأة يدها فهذه واحدة والأخرى إني أتيت بك تُتَلُّ كما يتل العبد الآبق إلى أربابه وليس معك منى عهد ولا عقد فما يؤمنك أن أضرب عنقك فقال عدى أما أنت فقد قدرت على ولكنى أعلم أن بقائى بقاؤك وأن هلاكى مطلوب به من جرته يده إنك قد رأيت جنود الله بالمغرب وعلبت بلاء الله عندهم في كل موطن من موطن الغدر والنكث فتدارك فلتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة قبل أن يرمى إليك البحر بأمواله

فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تقل وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعين ومالم يشخص القوم إليك فلم يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك فقال له يزيد أما قولك إن بقاءك بقائى فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقينى إلا بقاؤك وأما قولك إن هلاكك مطلوب به من جرته يده فوالله لو كان فى يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد لكان فراقى إياهم وخلافى عليهم أهول عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ثم لو شئت أن تهدر لى دماؤهم وأن أحكم فى بيوت أموالهم وأن يحوزوا لى عظيما من سلطانهم على أن أضع الحرب فيما بيني وبينهم لفعلوا فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخيارنا إليهم وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم لا يذكرونك ولا يحفلون بك وأما قولك تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل فوالله ما استشرتك ولا أنت عندى بوادٍ ولا نصيح فما كان ذلك منك إلا عجزاً وفضلاً انطلقوا به فلما ذهبوا به ساعة قال ردوه فلما ردّ قال أما إن حبسى إياك ليس إلا لحبسك بنى المهلب وأضييقك عليهم فيما كنا نسألك التسهيل فيه عليهم فلم تكن تألو ما عسرت وضيقت وخالفت فكأنه لهذا القول حين سمعه أمن على نفسه وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه وكان رجل يقال له السמידع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عمان يرى رأى الخوارج وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفىون فاعتزل ومعه ناس من القراء فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى قد رضينا بحكم السמידع ثم إن يزيد بعث إلى السמידع فدعاه إلى نفسه فأجابه فاستعملوا يزيد على الأُبلة فأقبل على الطيب والتخاق والنعيم فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رؤوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ولحق بعضهم بالشام فقال الفرزدق

فَدَاءُ لِقَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ تَتَابَعُوا إِلَى الشَّامِ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ السَّمِيدِعِ

أَحْكُمُ حُرُورِي مِنَ الدِّينِ مَارِيقَ أَضَلَّ وَأَعْوَى مِنْ حِمَارٍ مُجَدَّعٍ
فَأَجَابَهُ خَلِيفَةُ الْأَقْطَعِ

وَمَا وَجَّهَهَا نَحْوَهُ عَنْ وَفَادَةٍ وَلَا نُهْزَةٍ يُرْجَى بِهَا خَيْرُ مَطْمَعٍ
وَلَكِنِّهِمْ رَاحُوا إِلَيْهَا وَأَذَلُّوا بِأَقْرَعِ أَسْتَاهُ تَرَى يَوْمَ مَقْرَعٍ
وَهُمْ مِنْ حِذَارِ الْقَوْمِ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ لَهُمْ نَزَلَةٌ فِي كُلِّ خَمِيسٍ وَأَرْبَعٍ
وَخَرَجَ الْحَوَارِيُّ بْنُ زِيَادِ بْنِ عَمْرِو الْعَتَكِيِّ يَرِيدُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ هَارِباً مِنْ
يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَلَقِيَ خَالِدَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ وَعَمْرُو بْنُ يَزِيدِ الْحَسَكِيَّ وَمَعَهُمَا حَمِيدُ
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنُ الْمُهَلَّبِ قَدْ أَقْبَلُوا مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَمَانٍ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
وَكُلَّ شَيْءٍ أَرَادَهُ فَاسْتَقْبَلَهُمَا فَسَأَلَاهُ عَنِ الْخَبَرِ فَخَلَا بِهِمَا حِينَ رَأَى مَعَهُمَا حَمِيدُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ أَيْنَ تَرِيدَانِ فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ قَدْ جِئْنَاهُ بِكُلِّ شَيْءٍ أَرَادَهُ فَقَالَ
مَا تَصْنَعَانِ يَزِيدُ شَيْئاً وَلَا يَصْنَعُهُ بَكَا قَدْ ظَهَرَ عَلَى عَدُوِّهِ عَدَى بْنُ أَرْطَاةٍ وَقَتْلُ
الْقَتْلَى وَحَبْسُ عَدِيٍّ فَارْجِعَا إِلَيْهَا الرِّجْلَانِ وَيَمُرَّ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةِ يُقَالُ لَهُ مُسْلِمُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ فَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِمَا فَصَاحَ وَسَاءَ لَاهُ فَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِمَا فَقَالَ الْقَسْرِيُّ أَلَا تَرَدُّهُ
فَتَجْلَدُهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ غَرَّبَهُ عَنْكَ وَأَمْلَأَ لِي صَرْفٍ وَمَضَى الْحَوَارِيُّ
ابْنَ زِيَادٍ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَقْبَلَا بِحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَهُمَا فَقَالَ لَهَا حَمِيدُ
أَنْشِدْكَ اللَّهُ أَنْ تَخَالِفَا أَمْرَ يَزِيدَ مَا بُعِثْتُمَا بِهِ فَإِنْ يَزِيدٌ قَابِلٌ مِنْكُمْ وَإِنْ هَذَا وَأَهْلُ
بَيْتِهِ لَمْ يَزَالُوا لَنَا أَعْدَاءُ فَأَنْشِدْكَ اللَّهُ أَنْ تَقْبَلَا مَقَالَتهُ فَلَمْ يَقْبَلَا قَوْلَهُ وَأَقْبَلَا بِهِ حَتَّى
دَفَعَاهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْكَلْبِيِّ وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعَثَهُ إِلَى
خُرَاسَانَ عَامِلاً عَلَيْهَا فَلَمَّا بَلَغَهُ خَلَعَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ كِتَابَ إِلَيْهِ إِنْ جِهَادٌ مِنْ
خَالَفَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَمَلِي عَلَى خُرَاسَانَ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَوَجَّهْنِي إِلَى
يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَبَعَثَ بِحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى يَزِيدَ وَثَبَّ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ وَعَلَى حَمَّالِ بْنِ
زُحَرَ الْجَعْفِيِّ وَلَيْسَا مِنْ كَانَ يَنْطِقُ بِشَيْءٍ إِلَّا أَنَّهُمْ عَرَفُوا مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي الْمُهَلَّبِ
فَأَوْثَقَهُمَا وَسَرَّحَهُمَا إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَبَسَّسَهُمَا جَمِيعاً فَلَمْ يَفَارِقُوا السِّجْنَ حَتَّى

هلكوا فيه وبعث يزيد بن عبد الملك رجالا من أهل الشام إلى الكوفة يسكنونهم
ويثنون عليهم بطاعتهم ويمنّونهم الزيادات منهم القطامي بن الحصين وهو أبو الشرقى
واسم الشرقى الوليد وقد قال القطامي حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب

لَعَلَّ عَيْنِي أَنْ تَرَى يَزِيدًا يَقُودُ جَيْشًا جَنْفَلًا شَدِيدًا
تَسْمَعُ لِلأَرْضِ بِهِ وَتَبِيدًا لَا بَرَمًا هَذَا وَلَا حُسُودًا
وَلَا جَبَانًا فِي الْوَعْيِ عَدِيدًا تَرَى ذَوِي النَّجَاحِ لَهُ يُجُودًا
مُكَفَّرِينَ خَاشِعِينَ قُودًا وَآخَرِينَ رَحْبُورًا وَفُودًا
لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَلَا الْمَعْهُودَا مِنْ نَفَرٍ كَانُوا هِجَانًا صِيدَا
تَرَى لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدَا مِنَ الْأَعَادِي جَزَرًا مَقْصُودَا

ثم إن القطامي سار بعد ذلك إلى العقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع
مسلة بن عبد الملك فقال يزيد بن المهلب ما أبعد شعر القطامي من فعله ثم إن
يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس جريدة خيل
حتى وافوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب ثم أقبل بعد ذلك مسلة
ابن عبد الملك وجنود أهل الشام وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات
فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الأهواز وفارس
وكرمان عليها الجراح بن عبد الله الحكمي حتى انصرف إلى عمر بن عبد العزيز
وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة واستخلف يزيد بن عبد الملك
عبد الرحمن القشيري على الخراج وجاء مُدْرِكُ بن المهلب حتى انتهى إلى رأس
المفازة فدس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن
يلقي بينكم الحرب وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة فخرجوا ليلا يستقبلونه
وبلغ ذلك الأزدي فخرج منهم نحو من أثنى فارس حتى لحقهم قبل أن ينتهوا إلى
رأس المفازة فقالوا لهم ما جاء بكم وما أخرجكم إلى هذا المكان فاعتلوا عليهم بأشياء
ولم يُقِرُّوا لهم أنهم خرجوا ليتلفوا مدرك بن المهلب فكان لهم الآخرون بل قد
علنا أن تخرجوا لتلقى صاحبنا وهاهو ذا قريب فاشتتم ثم انطلقت الأزدي حتى

تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة فقالوا له إنك أحب الناس إلينا وأعزهم علينا وقد خرج أخوك ونابذه فان يظهره الله فأنما ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك وإن تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشينا ما يعرنا فيه من البلاء راحة فعزم له رأيه على الانصراف فقال ثابت قطنة وهو ثابت بن كعب من الأزد من العتيك

ألم ترَ دوسراً منعتُ أخاها	وقد حشدتُ لقتلهُ تميمُ
رأوا من دونه الزرق العوالي	وحياً ما يباح لهم حريمُ
سُنُواتها وعمرانُ بنُ حزمٍ	هناك المجد والحسبُ الصميمُ
فما حملوا ولكن نهتهمُ	رماحُ الأزدِ والعز القديمُ
رَدَدْنَا مُدْرَكَاً بِمَرَدِّ صَدِيقٍ	وليس بوجهه منكمُ كلومُ
وَحَيْلٍ كَالْقَدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ	لدى أرضِ مغانيها الجميمُ
عليها كلُّ أَصَيْدٍ دَوْسَرِيٍّ	عزيزٍ لَا يَفِرُّ وَلَا يَرِيمُ
بِهِمْ نُسْتَعْتَبُ السُّفَهَاءُ حَتَّى	تَرَى السُّفَهَاءَ تَرُدُّعَهَا الْحُلُومُ

(قال هشام) قال أبو مخنف فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويحث على الجهاد ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم قال فدخلت أنا والحسن البصرى وهو واضع يده على عاتق وهو يقول انظر هل ترى وجه رجل تعرفه قلت لا والله ما أرى وجه رجل أعرفه قال فهو لاء والله الاعناء قال فضينا حتى دنونا من المنبر قال فسمعتة يذكر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم رفع صوته فقال والله لقد رأيتناك وإيا وموليا عليك فما ينبغي لك ذلك قال فوثبنا عليه فأخذنا بيده وفه وأجلسناه فوالله ما نشك أنه سمعه ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته قال ثم إننا خرجنا إلى باب المسجد فاذا على باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول يا عباد الله ما تنقمون من أن تجيئوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فوالله ما رأينا

ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز فقال الحسن سبحانه الله وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضا (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثني المشني بن عبد الله أن الحسن البصري مرّ على الناس وقد اصطفوا صفين وقد نصبوا الرايات والرماح وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون يدعوننا يزيد إلى سنة العمرين فقال الحسن إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها إلى بني مروان يريد بهلاك هؤلاء رضاهم فلما غضب غضبة نصب قصباً ثم وضع عليها خر قائم قال إني قد خالفتهم فوالقوهم قال هؤلاء نعم وقال إني أدعوكم إلى سنة العمرين وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه فقال له ناس من أصحابه ممن سمع قوله والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام فقال أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرّهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا يتناهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأودروا النيران بين أحجارها وأستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار قال ثم إن يزيد خرج من البصرة واستعمل عليها مروان بن المهلب وخرج معه بالسلاح وبيت المال فأقبل حتى نزل واسط وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط فقال هاتوا الرأي فإن أهل الشام قد نهضوا اليكم فقال له حبيب وقد أشار إليه غير حبيب أيضا فقالوا نرى أن تخرج وتزل بفارس فتأخذ بالشعاب وبالعقاب وتدنو من خراسان وتطاول القوم فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك القلاع والحصون فقال ليس هذا برأى ليس يوافقني هذا إنما تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل فقال له حبيب فإنّ الرأي الذي كان ينبغي أن يكون في أول الأمر قد فات قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة فإنما هو عبد الحميد ابن عبد الرحمن مررت به في سبعين رجلاً فعجز عنك فهو عن خيلك أعجز في العدة فلنسبق إليها أهل الشام وعظماؤها يرون رأيك وأن تلي عليهم أحب إلى جلّهم من أن يلي عليهم أهل الشام فلم تطعني وأنا أشير الآن برأى

سرح مع أهل بيتك خيلا من خيلك عظيمة فتأتى الجزيرة وتبادر إليها حتى ينزلوا حصنا من حصونها وتسير في أثرهم فاذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جندا من جنودك بالجزيرة ويقبلون إليك فيقيمون عليهم فكأنهم حابستهم عليك حتى تأتيم فيأتيك من الموصل من قومك وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور وتقالتهم في أرض ربيعة السمر وقد جعلت العراق كله وراء ظهره فقال إني أكره أن أقطع جيشي وجندى فلما نزل واسط أقام بها أياما يسيرة (قال أبو جعفر) وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد وكان على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن وعلى قضائها الشعبي وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد بن المهلب وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إياهما الحربه (وفيها) قتل يزيد بن المهلب في صفر

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

هـ ذكر هشام عن أبي مخنف أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصوص عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والخزائن والأسراء وقدم بين يديه أخاه عبد الملك ثم سار حتى مر بقم النيل ثم سار حتى نزل العقر وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ثم عقد عليها الجسر فعبه من قبل قرية يقال لها فارط ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب هـ وقد قدم يزيد أخاه نحو الكوفة فاستقبله العباس بن الوليد

بُسُورًا فَاصْطَفَوْا ثُمَّ اقْتَتَلَ الْقَوْمُ فَشَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ شَدَّةً كَشَفَوْهُمْ فِيهَا وَقَدْ
كَانَ مَعَهُمْ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَقَيْسٍ مِمَّنْ أَنْهَزَ مِنْ يَزِيدَ مِنَ الْبَصْرَةِ فَكَانَتْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ
حَسَنَةٌ مَعَ الْعَبَّاسِ فِيهِمْ هَرِيمُ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ الْمَجَاشَعِيُّ فَلَمَّا انْكَشَفَ أَهْلُ الشَّامِ تِلْكَ
الْانْكَشَافَةَ نَادَاهُمْ هَرِيمُ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ يَا أَهْلَ الشَّامِ اللَّهُ اللَّهُ أَنْ تُسَلِّمُونَا وَقَدْ
اضْطَرَّ هُمْ أَصْحَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى نَهْرٍ فَأَخَذُوا يَنَادُونَهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ إِنْ لِأَهْلِ الشَّامِ
جَوَازَةٌ فِي أَوَّلِ الْقِتَالِ أَتَاكَ الْغَوْثُ قَالَ ثُمَّ إِنْ أَهْلُ الشَّامِ كَرَوْا عَلَيْهِمْ فَكَشَفَ
أَصْحَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهَزَمُوا وَقَتْلَ الْمُتَوَفِّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ مَوْلَى لَهُمْ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ
يَحْزُنُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ

تَبَكَى عَلَى الْمُتَوَفِّ بِكَرْبِنْ وَائِلٍ وَتَنَهَى عَنِ ابْنِي مِسْمَعٍ رَنْ بَكَاهُمَا
غَلَامَيْنِ شَبَابًا فِي الْحُرُوبِ وَأَدْرَكَا كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ إِذَا أَوْقَدُوا نَارَيْنِ يَعْلوَا سَنَاهُمَا
وَإِنَّا مَسْمَعُ مَالِكٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ إِنَّا مَسْمَعُ قَتْلِهِمْ مَعَاوِيَةَ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ❦
فَأَجَابَهُ الْجَعْدُ بْنُ دَرِّهَمٍ مَوْلَى مِنْ هَمْدَانَ

نَبَكَى عَلَى الْمُتَوَفِّ فِي نَصْرِ قَوْمِهِ وَلَسْنَا نَبَكَى الشَّائِدِينَ أَبَاهُمَا
أَرَادَ فِتْنَاءَ الْحَيِّ بِكَرْبِنْ وَائِلٍ فَعَزَّ تَمِيمٌ لَوْ أُصِيبَ فِتْنَاهُمَا
فَلَا لِقِيَا رُوحًا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً وَلَا رَقَاتٍ عَيْنَا شَجِيَّتِي بِكَاهُمَا
أَفَى الْغِشِّ نَبَكَى إِنْ بَكَيْنَا عَلَيْهِمَا وَقَدْ لَقِيَا بِالْغِشِّ فِينَا رَدَاهُمَا
وَجَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَتَّى أَتَاهُ إِلَى أَخِيهِ بِالْعَقْرِ وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حِيَانَ
الْعَبْدِيُّ فَغَبَرَ إِلَى جَانِبِ الصَّرَاةِ الْأَقْصَى وَكَانَ الْجَسْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ
وَجَمْعٌ مِنْ جَمْعِ يَزِيدَ وَخَنَدَقَ عَلَيْهِ وَقَطَعَ مَسْلَبَةَ إِلَيْهِمُ الْمَاءِ وَسَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو وَالْحَرِثِيُّ
وَيُقَالُ عَبْرَ إِلَيْهِمُ الْوَضَاحُ فَكَانُوا يَأْزِاثُهُمْ وَسَقَطَ إِلَى يَزِيدَ نَاسٌ مِنَ الْكُوفَةِ كَثِيرٌ
وَمِنْ الْجِبَالِ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنَ الثُّغُورِ فَبَعَثَ عَلَى أَرْبَاعِ أَهْلِ الْكُوفَةِ الَّذِينَ
خَرَجُوا إِلَيْهِ وَرَبَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَفْيَانَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمَغْفَلِ الْأَزْدِيُّ
وَبَعَثَ عَلَى رُبْعٍ مَذْحِجٌ وَأَسَدُ النُّعْمَانِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ النَّخَعِيُّ وَبَعَثَ عَلَى

ربع كندة وربيعة محمد بن اسحاق بن محمد بن الأشعث وبعث على ربع تميم وحمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التيمي وجمعهم جميعاً مع لمفضل بن المهلب (قال هشام بن محمد) عن أبي مخنف حدثني العلاء بن زهير قال والله إنا لجلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يضرب به قال حنظلة بن عتاب إى والله وأربعة آلاف سيف قال إنهم والله ماضربوا ألف سيف قط والله لقد أحصى ديوانى مائة وعشرين ألفاً والله لوددت أن مكانهم الساعة معى من بخراسان من قومي (قال هشام) قال أبو مخنف ثم إنه قام ذات يوم فخرضنا ورغبنا فى القتال ثم قال لنا فيما يقوله إن هؤلاء القوم لن يرُدُّهم عن غيهم إلا الطعن فى عيونهم والضرب بالمشرية على هامهم ثم قال أنه قد ذكر لى أن هذه الجرادة الصفراء يعنى مسلمة بن عبد الملك وعاقرة ناقة ثمود يعنى العباس ابن الوليد وكان العباس أزرق أحمر كانت أمه رومية والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نسبه فبلغنى أنه ليس ههما إلا التماسى فى الأرض والله لو جاؤا أهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا ما برحت العرصة حتى تسكون لى أولهم قالوا نخاف أن تعيننا كما عانا عبد الرحمن بن محمد قال إن عبد الرحمن فضيح الذمار وفضح حسبه وهل كان يعدو أجله ثم نزل قال ودخل علينا عامر بن العَمَيْشَل رجل من الأزد قد جمع جموعاً فأتاه فبايعه وكانت بيعة يزيد تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أن لا تطأ الجنود بلادنا ولا ييُضَتَّنَا ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ومن أبى جاهدناه وجعلنا الله بيننا وبينه ثم يقول تبايعونا فإذا قالوا نعم بايعهم ه وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وبعث إلى المياه فبثها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب لئلا يصل إلى الكوفة ووضع على الكوفة مناظر وارضاداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد وبعث عبد الحميد بعضاً من الكوفة عليهم سيف بن هانىء الحمدانى حتى قدموا على مسلمة فألطفهم مسلمة وأثنى عليهم بطاعتهم ثم قال والله لقل ما جاءنا من أهل الكوفة فبلغ ذلك عبد الحميد فبعث بعضاًهم أكثر من ذلك وبعث

عليهم سيرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فلما قدم أنثى عليه وقال هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ضموا اليه من كان ههنا من أهل الكوفة وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وهو ذو الشامة مكانه فدعا يزيد بن المهلب رؤس أصحابه فقال لهم قد رأيت أن أجمع اثني عشر ألف رجل فأبعثهم مع محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا مدتهم البراذع والآكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم وأمدّه بالرجال حتى أصبح فإذا أصبحت نهضت اليهم أنا بالناس فتناجزهم فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم قال السَّمِيعُ إنا قد دعوناكم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقدزعموا أنهم قابلو هذا منا فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ولا نريد لهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا قال أبو روبة وكان رأس طائفة من المرجة ومعه أصحاب له صدق هكذا ينبغي قال يزيد ويحكم أتصدقون بنى أمية إنهم يعملون بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا إنهم لم يقولوا لكم إنا نقبل منكم وهم يريدون أن لا يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمروهم به وتدعونهم اليه لكنهم أرادوا أن يكونكم عنهم حتى يعملوا في المكر فلا يسبقوكم إلى تلك أبدوهم بها إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلاً هو أمكر ولا أبعد غوراً من هذه الجراة الصفراء يعني مسلمة قالوا لا نرى أن نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس إلى يزيد وكان الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد بن المهلب (قال أبو مخنف) خدثني عبد الحميد البصري أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام أيها الناس الزموا رجالكم وكفوا أيديكم واتقوا الله مولاكم ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ليس لأهلها بياق وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض إنه لم يكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي

والمعروف التقى فمن كان منكم خفياً فليزِم الحق وليحبس نفسه عما يتنازع
الناس فيه من الدنيا فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً وكفى له به من
الدنيا خلفاً ومن كان منكم معروفاً شريفاً فترك ما يتنافس فيه نظراًؤه من
الدنيا إرادة الله بذلك فواهاً لهذا ما أسعده وأرشدته وأعظم أجره وأهدى
سبيله فهذا غداً يعني يوم القيامة القرير عيناً الكريم عند الله مآباً فلما بلغ ذلك
مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم فأمر الناس بالجد والاحتشاد ثم قال لهم
لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي ولم يسمه يثبط الناس والله لو أن جاره
نزع من خض داره قصبة لظل يعرف أنه أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن
نطلب خيرنا وأن نتكر مظللتنا أم والله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا
سقاط الأبلّة وعلوج فرات البصرة قوما ليسوا من أنفسنا ولا بمن جرت
عليه النعمة من أحد منا أو لآنحين عليه مبرداً خشنا فلما بلغ ذلك الحسن قال
والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه فقال ناس من أصحابه لو أرادك ثم شئت
لمنعناك فقال لهم فقد خالفتمكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه آمركم ألا يقتل بعضهم
بعضاً مع غیری وأدعوكم إلى أن يقتل بعضهم بعضاً دوني فبلغ ذلك مروان بن
المهلب فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا ولم يدع الحسن كلامه ذلك
وكف عنه مروان بن المهلب وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع وهو ومسلّة
ثمانية أيام حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر بعث مسلّة إلى
الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ففعل وخرج مسلّة
فعبى جنود أهل الشام ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب وجعل على يمينته جيلة
ابن نخرمة الكندي وجعل على يسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري وجعل
العباس على يمينته سيف بن هانئ الهمداني وعلى يسرته سويد بن القعقاع
التميمي ومسلّة على الناس وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على يمينته حبيب
ابن المهلب وعلى يسرته المفضل بن المهلب وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو
عليهم ومعه خيل لربيعه معها عدد حسن وكان مما يلي العباس بن الوليد قال

أبو مخنف) فحدثني الغنوي قال هشام وأظن الغنوي العلاء بن المنهال أن رجلا من الشام خرج فدعا الى المبارزة فلم يخرج اليه أحد فبرز له محمد بن المهلب فحمل عليه فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كف من حديد فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه واعتنق فرسه وأقبل محمد يضربه ويقول المنجل أعود عليك قال فذكر لي أنه حيان التبطي قال فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار فسطع دخانه وقد اقتتل الناس ونشبت الحرب ولم يشتد القتال فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم أحرق الجسر انهزموا فقالوا ليزيد قد انهزم الناس قال ومما انهزموا هل كان قتال ينهزم من مثله فقليل له قالوا أحرق الجسر فلم يثبت أحد قال قبحهم الله بَقِيَ دخن عليه فطار فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه فقال اضربوا وجوه من ينهزم ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه فاستقبلهم منهم مثل الجبال فقال دعوهم فوالله إني لأرجو أن لا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبداً دعوهم يرحمهم الله غنمٌ عدا في نواحيها الذئب وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص وأمه ابنة الزبرقان السعدي أتاها وهو بواسط قبل أن يصل الى العقرة فقال

إِنْ بَنَى مَرْوَانَ قَدْ بَادَ مَلِكُهُمْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرِ

قال يزيد ما شعرت قال فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي :

عِشْ مَلِكًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا وَإِنْ تَمَتَّ وَسَيْفُكَ مَشْهُورًا بِكَفِّكَ تُعَذِّرُ

قال أما هذا فعسى ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة فقال باسمي دع

أرأني أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم قال بلى والله والرأي كان رأيك وأنا ذا

معك لا أزال بك فرفني بأمرك قال أما لا فانزل فنزل في أصحابه وجاء يزيد بن المهلب

جاء فقال إن حبيباً قد قتل (قال هشام) قال أبو مخنف فحدثني ثابت مولى زهير

ابن سلة الأزدي قال أشهد أني أسمعه حين قال له ذلك قال لا خير في العيش بعد

حبيب قد كنت والله أبغض العيش بعد الهزيمة فوالله ما ازددت له إلا بغضا امضوا

قدما فعلنا والله أن قد استقتل فأخذ من يكره القتال ينكص وأخذوا يتسللون

وبقيت معه جماعة حسنة وهو يزدلف فكلما مرت بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه فجاء أبو ربيعة المرجعي فقال ذهب الناس وهو يشير بذلك إليه وأنا أسمعه فقال هل لك أن تنصرف إلى واسط فانها حصن فتزورها ويأتيك مدد أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك ألي تقول هذا الموت أيسر على من ذلك فقال له فاني أتخوف عليك لما ترى أما ترى ما حولك من جبال الحديد وهو يشير اليه فقال له أما أنا فما أباليها جبال حديد كانت أم جبال نار اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا قال وتمثل قول حارثة بن بدر الغداني (قال أبو جعفر) اخطأ هذا هو للأعشى :

أبالموتِ خَشِيتُ عِبَادُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَائِيَا النَّاسِ يَشْقَى ذَلِيلُهَا
فَمَا مَيِّتَةً إِن مَتَّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غَوْلُهَا

وكان يزيد بن المهلب على بردون له أشهب فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه السميذع وقتل معه محمد بن المهلب وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبي يقال له القحل بن عياش لما نظر الى يزيد قال يا أهل الشام هذا والله يزيد والله لأقتلنه أو ليقتلني وإن دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل اليه فقال له ناس من أصحابه نحن نحمل معك ففعلوا فحملوا بأجمعهم واضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وعن القحل بن عياش بأخر رمق فأرعى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد يقول لهم أنا قتلتهم ويومى إلى نفسه أنه هو قتلني ومسلمة على القحل بن عياش صريعا إلى جنب يزيد فقال أما إني أظن هذا هو الذي قتلني وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة فقبل له أنت قتلتها فقال لا فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر فقال له الحواري بن زياد بن عمرو العتكي مر برأسه فليغسل ثم ليغتم ففعل ذلك به فعرفه فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد

ابن عقبة بن أبي مُعَيْط (قال أبو مخنف) فحدثني ثابت مولى زهير قال لقد قتل يزيد وهُزم الناس وإن المفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشام ما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس وإنه لعل برذون شديد قريب من الأرض وإن معه لمجففة أمامه فكلمها حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشف فيحمل في ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه وكان لا يرى منا مُلتفتاً إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليقبل القوم بوجوههم على عدوهم ولا يكون لهم هم غيرهم قال ثم اقتلنا ساعة فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَيْثَل الأزدي وهو يضرب بسيفه ويقول:

قد عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّ المولود أَنِي بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ رَعِيدٍ

قال واضطربنا والله ساعة فانكشفت خيل ربيعة والله مارأيتُ عند أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم أي معشر ربيعة الكفرة الكرة والله ما كنتم بكُشف ولا ليام ولا هذه لكم بعادة فلا يؤتين أهل العراق اليوم من قبلكم أي ربيعة فذتكم نفسى اصبروا ساعة من النهار قال فاجتمعوا حوله وثابوا إليه وجاءت كُوَيْفَتُك قال فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم حتى أتى فليل له ما تصنع وهنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد وانهزم الناس منذ طويل وأخبر الناس بعضهم بعضاً ففرقوا ومضى المفضل فأخذ الطريق إلى واسط فمارأيت رجلاً من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ولا أضرب بسيفه ولا أحسن تعبئة لأصحابه منه (قال أبو مخنف) فقال لي ثابت مولى زهير مررت بالحنديق فإذا عليه حائط عليه رجال معهم النبل وأنا مجففٌ وهم يقولون يا صاحب التجفاف أين تذهب قال فما كان شيء أنقلَ على من تجفاني قال فما هو إلا أن جُرُّهُم فزلت فألقيته لاخفف عن دابتي وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد ابن المهلب فقاتلهم أبو رُوْبَةَ صاحب المرجئة ساعة من النهار حتى ذهب عظمهم وأسر أهل الشام نحواً من ثلاثمائة رجل فسرّحهم مسلة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم وكان على شُرطه العريان بن الهيثم وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى

محمد بن عمرو أن اضرب رقاب الأسراء فقال للعريان بن الهيثم أخرجهم عشرين وعشرين وثلاثين ثلاثين قال فقام نحو من ثلاثين رجلا من بني تميم فقالوا نحن انهمزنا بالناس فاتقوا الله وابدؤا بنا أخرجونا قبل الناس فقال لهم العريان أخرجوا على اسم الله فأخرجهم إلى المصطبة وأرسل إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم فبعث إليه أن اضرب أعناقهم (قال أبو مخنف) فحدثني نجيح أبو عبد الله مولى زهير قال والله إني لأنظر اليهم ليقولون إنا لله انهمزنا بالناس وهذا جزاؤنا فما هو إلا أن فرغ منهم حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي عن قتلهم فقال حاجب بن ذبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم

لعمري لقد خاضت معيظ دماءنا بأسيا فها حتى انتهى بهم الوحل
وما تحمل الأقوام أعظم من دم حرام ولا ذحل إذا التمس الذحل
حقنتم دماء المصلتين عليكم وجر على فرسان شيعتك القتل
وقى بهم العريان فرسان قومه فيأعجبنا أين الأمانة والعدل

وكان العريان يقول والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا ابدؤا بنا أخرجنا فما ركت حين أخرجتهم أن أعلمت الأمور بقتلهم فما يقبل حجتهم وأمر بقتلهم والله على ذلك ما أحب أن قتل من قومي مكانهم رجل واثن لا موني ما أنا بالذي أحفل لا تمتهم ولا تكبر علي وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة فأتى بنحو من خمسين أسيرا ولم يكونوا فيمن بعثه إلى الكوفة كان أقبل بهم معه فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوهبه ثلاثة زياد بن عبد الرحمن القشيري وعتبة بن مسلم واسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود فوهبهم له ثم استوهب بقيتهم أصحابه فوهبهم لهم فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يده فضرب أعناقهم منهم عدى بن أرطاة ومحمد بن عدى بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عزرة البصري وعبد الله بن وائل وابن أبي حاض التميمي من بني أسيد بن عمرو ابن تميم وقد قال له القوم ويحك إنا لا نراك تقتلنا إلا أن أباك قد قتل وإن قتلنا

ليس بنافع لك في الدنيا وهو ضارك في الآخرة فقتل الأسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع بن أنس بن الرقان تركه فقال له ناس نسيته فقال ما نسيته ولكن لم أكن لأقتله وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم ولست أتهمه في وُد ولا أخاف بغيه فقال ثابت قطنة في قتل عدى بن أوطاة

مَاسَرْنِي قَتْلُ الْفَزَارِيِّ وَإِيْنِهِ عَدِيٌّ وَلَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ

وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُعَاوِيَ زَلَّةً وَضَعْتُ بِهَا أَمْرِي عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد وقد أعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قنديل أميراً وقال له إني سائر إلى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى تكون إلى أولهم فإن ظفرت أكرمتك وإن كانت الأخرى كنت بقنديل حتى يقدم عليك أهل بيتي فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً أما إني قد اخترتك لأهل بيتي من بين قومي فكن عند أحسن ظني وأخذ عليه أيماناً غلاظاً لنا صحن أهل بيته إن هم احتاجوا إليه ولجؤا إليه فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ثم لججوا في البحر حتى مروا بهرم بن القرار العبدى وكان يزيد استعمله على البحرين فقال لهم أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم فإن ذلك بقاؤكم وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يخطفكم الناس وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان ففضوا حتى إذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال فكأنه أراد أن يتأمر عليهم فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل أنت أكبرنا وسيدنا وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتيان أهلك فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كرمان وبكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا إلى المفضل وبعث مسلبة ابن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبي في طلب آل المهلب وفي أثر الفل فأدرك

مدرك المفضل بن المهلب وقد اجتمعت اليه الفلول بفارس فتبعهم فادر كههم في عقبه
فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم إياه فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن ابراهيم
ابن الاشتر النخعي ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث وأخذ ابن صول ملك قهستان
أسيرا وأخذت سُريرة المفضل العالية وجرح عثمان بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث
جراحة شديدة وهرب حتى انتهى إلى حلوان فدل عليه فقتل وحُمل رأسه إلى مسلة
بالخيرة ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب فطلبوا الأمان فأومنوا منهم مالك بن
إبراهيم بن الأشتر والورد بن عبدالله بن حبيب السعدي من تميم وكان قد شهد مع
عبد الرحمن بن محمد موطنه وأيامه كلها فطلب له الأمان محمد بن عبدالله بن عبد الملك بن
مروان إلى مسلة بن عبد الملك عمه وابنة مسلة تحته فأمنه فلما أتاه الورد وقفه مسلة
فشتمه قائما فقال صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونفاري في كل فتنة مرة مع حائك كندة
ومرة مع ملاح الأزدي ما كنت بأهل أن تؤمن قال ثم انطلق وطلب الأمان لمالك بن
إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل وشراحيل يلقب رستم
الحضرمي فلما جاء ونظر إليه قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمي هذا مالك
ابن إبراهيم بن الأشتر قال له انطلق قال له الحسن أصلحك الله لم تشتمه كما شتمت
صاحبه قال أجللنكم عن ذلك وكنتم أكرم على من أصحاب الآخر وأحسن طاعة
قال فإنه أحب إلينا أن تشتمه فهو والله أشرف أبا وجداً وأسوأ أثراً من أهل
الشأم من الورد بن عبد الله فكان الحسن يقول بعد أشهر ما تركه إلا حسداً
من أن يعرف صاحبنا فأراد أن يرينا أنه قد حقره ومضى آل المهلب ومن سقط
منهم من الفلول حتى انتهوا إلى قنديل وبعث مسلة إلى مدرك بن ضب الكلبي
فرده وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التيمي من بني مازن بن عمرو بن تميم
فلحقهم بقنديل فأراد آل المهلب دخول قنديل فمنعهم وداع بن حميد وكاتبه
هلال بن أحوز ولم يباين آل المهلب فيفارقه فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا
كان وداع بن حميد على الميمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى
فرفع لهم هلال راية الأمان فإلى اليهم وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وارضض

عنهم الناس فخلوهم فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء فقال له المفضل أين تريد قال أدخل إلى نساءنا فأقتلن لئلا يصل اليهن هؤلاء الفساق فقال ويحك أقتل أخواتك ونساء أهل بيتك أنا والله ما نخاف عليهن منهم قال فردده عن ذلك ثم مشوا بأسيا فهاهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم إلا أبا عينة بن المهلب وعثمان بن المفضل فانهما نجوا فلاحقا بخاقان ورتبيل وبعث بنسائهم وأولادهم إلى مسلة بالحيرة وبعث برؤسهم إلى مسلة فبعث بهم مسلة إلى يزيد بن عبد الملك وبعث بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك وهو على حلب فلما نصبوا خرج لينظر اليهم فقال لأصحابه هذا رأس عبد الملك هذا رأس المفضل والله لكانه جالس معي يحدثني (وقال مسلة) لا يبعن ذريتهم وهم في دار الرزق فقال الجراح بن عبد الله فانا أشتريهم منك لأبريمنتك فاشتراهم منه بمائة ألف قال هاتما قال إذا شئت فخذها فلم يأخذ منه شيئا وخلي سيلاهم إلا تسعة فتية منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك فقدم بهم عليه فضرب رقابهم فقال ثابت قطنة حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه

وَعَادَ قَصِيرُهُ لَيْلًا تَمَامًا	أَلَا يَاهَنْدَ طَالَ عَلَيَّ لَيْلِي
سُقِيتُ لُعَابَ أَسْوَدٍ أَوْ سَمَامًا	كَأَنِّي حِينَ حَلَقَتِ الثَّرِيًّا
مِنَ الْإِيَّامِ شَيْئِي غَلَامًا	أَمْرٌ عَلَيَّ حُلُو الْعَيْشِ يَوْمٌ
فَلَمْ أَشْهَدْهُمْ وَمَضُوا كِرَامًا	مُصَابُ بَنِي أَبِيكَ وَغَبْتُ عَنْهُمْ
وَلَا الْقَتْلَى الَّتِي قُتِلَتْ حَرَامًا	فَلَا وَاللَّهِ لَا أَتَى يَزِيدًا
يَزِيدًا أَوْ أَبَوَاءَ بِهِ هِشَامًا	فَعَلَى أَنْ أَبُوءَ بِأَخِيكَ يَوْمًا
شَوَارِبَ ضُمِّرَ انْقِصُ الْإِكَامَا	وَعَلَى أَنْ أَقْوَدَ الْخَيْلَ شُعْنًا
وَعَكًّا أَوْ أَرْعَ بِهِمَا جَذَامًا	فَأَصْبَحَهُنَّ خَيْرَ مَنْ قَرِيبَ
مَنْ الذِّيفَانِ أَنْفَاسًا قَوَامًا	وَنَسَقِي مَذْحِجًا وَالْحَى كَلْبًا
تَجَرُّبُنَا زَكَامًا بَعَامًا	عَشَائِرُنَا الَّتِي تَبَغَى عَلَيْنَا
لَأَصْبَحَ وَسَطُنَا مَلِكًا هَمَامًا	وَلَوْلَا هُمْ وَمَا جَلَبُوا عَلَيْنَا

وقال أيضا يرثي يزيد بن المهلب

أَبَى طُولُ هَذَا اللَّيْلِ أَنْ يَتَصَرَّمَا
أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرِقْ مَعِيَ أُمُّ خَالِدٍ
عَلَى هَالِكٍ هَدَّ الْعَشِيرَةُ فَقَدُهُ
عَلَى مَلِكٍ يَبَاصِحٍ بِالْعَقْرِ جُبْنَتْ
أَصِيبٌ وَلَمْ أَشْهَدْ وَلَوْ كُنْتُ شَاهِدًا
وَفِي غَيْرِ الْأَيَّامِ يَاهِنْدُ فَاعْلَمِي
فَعَلَى إِنْ مَالَتْ بَنَى الرِّيحِ مَيْلَةً
أَمْسَلَمَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْكَ رِمَاحُنَا
وَإِنْ تَلَقَى لِلْعَبَّاسِ فِي الدَّهْرِ عَثْرَةٌ
حَصَاصًا وَلَا نَعْدُ وَالَّذِي كَانَ قَدَأَى
سَتَعَلِمُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ الذَّلْعُ زَلَّةً
مَنْ الظَّالِمِ الْجَانِي عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ
وَإِنَّا لَطَائِفُونَ بِالْحِلْمِ بَعْدَ مَا
وَإِنَّا لَحَلَّالُونَ بِالشَّغْرِ لِأَنْزَى
نَرَى أَنَّ لِلْجِيرَانِ حَاجًا وَحُرْمَةً
وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الذَّرَى
وَرَا حَتَّ بَصْرَادٍ مُلِثَ جَلِيدِهِ
أَبُونَا أَبُو الْأَنْصَارِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
وَقَدْ كَانَ فِي عَسَانَ مَجْدٍ يُعَدُّ

وَهَاجَ لَكَ اللَّهُمَّ الْفَوَادِ الْمُسَيَّمَا
وَقَدْ أَرِقْتُ عَيْنَايَ حَوْلًا مُجَرَّمَا
دَعْتَهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ وَسَلَّمَا
كَتَابَهُ وَاسْتَوْرَدَ الْمَوْتَ مُعَلَّمَا
تَسَلَّيْتُ إِنْ لَمْ يَجْمَعْ الْحَى مَا تَمَّا
إِلْطَائِبٍ وَتَرَى نَظْرَةً إِنْ تَلَوَّمَا
عَلَى ابْنِ أَبِي ذُبَّانَ أَنْ يَتَنَدَّمَا
نَذُفَكَ بِهَا قِيءُ الْأَسَاوِدِ مُسَلَّمَا
نُكَافِهِ بِالْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَدَّمَا
إِلَيْنَا وَإِنْ كَانَ أَنْ مُرَوَّانَ أَظْلَمَا
وَأَظْهَرَ أَقْوَامَ حَيَاءٍ مَجْمَعَمَا
إِذَا أُحْصِرَتْ أَسْبَابُ أُمُورِهِمَا
نَرَى الْجَهْلَ مِنْ فَرْطِ اللَّثِيمِ تَكْرَمَا
بِهِ سَاكِأَ إِلَّا الْخَمِيسَ الْقَرَمَرَّمَا
إِذَا النَّاسُ لَمْ يَرْعَوْا الَّذِي الْجَارِ حَرَّمَا
إِذَا كَانَ رَفَدُ الرَّافِدِينَ تَجَشَّسَمَا
عَلَى الطَّلُوحِ إِرْمَا كَأَمِنْ الشَّهْبِ صَيَّمَا
وَهُمْ وَلَدُوا عَوْفًا وَكِبَاءً وَأَسْلَمَا
وَعَادِيَّةٌ كَانَتْ مِنَ الْمَجْدِ سُعْظَمَا

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة فلما ولاه يزيد ذلك ولي مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب فيما قيل شبيب بن الحارث التميمي فضبطها فلما ضمت

إلى مسلمة بعث عاملا عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى شرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمي فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة وأفشى ذلك إلى عمر بن يزيد فقال له عمر أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تكن حصنا بكوفة وتدخل تحتاج إليه فوالله لورماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوف أن يقتلونا ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك ووجه رسولنا إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن فوجه مسلمة عبد الملك بن بشر بن مروان على البصرة وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث ((قال أبو جعفر)) وفي هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص وهو الذي يقال له سعيد خذينة وإنما لقب بذلك فيما ذكر أنه كان رجلا لنا سهلا متنعما قدم خراسان على بختية معلقا سكيناً في منطقتة فدخل عليه ملك أبر وسعيد متفضل في ثياب مصبغة حوله مرافق مصبغة فلما خرج من عنده قالوا له كيف رأيت الأمير قال خذيلية لمتة سكينية فلقب خذينة وخذينة هي الدهقانة ربة البيت وإنما استعمل مسلمة سعيد خذينة على خراسان لأنه كان ختته على ابنته كان سعيد متزوجا بابنة مسلمة

ذكر الخبر عن أمر سعيد في ولاية خراسان في هذه السنة

ولما ولي مسلمة سعيد خذينة خراسان قدم إليها قبل شخوصه سورة بن الحر من بني دارم فقدمها قبل سعيد فيما ذكر بشهر فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلا من أهل بيته فأخذ على أمل فأتى بخاري فصحبه منها مائتا رجل فقدم السغد وقد كان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن ابن نعيم الغامدي ووليا ثمانية عشر شهرا ثم عادوا إلى الصلح فخطب شعبة أهل السغد وبنج سكانها من العرب وغيرهم بالجن فقال ما أرى فيكم جريحا ولا أسمع فيكم أنه فاعتذروا إليه بأن جبنوا عاملهم علباء بن حبيب العبدى وكان على الحرب ثم قدم سعيد فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم فكلّمهم فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري فقال له سعيد قد

رفع عليهم أن عندهم أموالا من الخراج قال فأنا أضمتهم فضمن عنهم سبعمائة ألف ثم لم يأخذ بهائهم إن سعيدا رفع اليه فيما ذكر علي بن محمد أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزيدى والمتجع بن عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي ولوا يزيد بن المهلب وهم ثمانية وعندهم أموال قد اختاروها من فيء المسلمين فأرسل اليهم فحبسهم في قهندمر ووقيل له إن هؤلاء لا يؤدون إلا أن تبسط عليهم فأرسل إلى جهم بن زحر فحمل على حمار من قهندمر وقرأوا به على الفيض بن عمران فقام اليه فوجأ أنفه فقال له جهم يا فاسق هلا فعلت هذا حين أتوني بك سكران قد شربت الخمر فضربتك حدا فغضب سعيد على جهم فضربه مائتي سوط فكبر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فدفعوا إلى ورقاء بن نصر الباهلي فاستعفاه فاعفاه **(وقال)** عبد الحميد بن دثار أو عبد الملك بن دثار والزبير بن نسيط مولى باهلة وهو زوج أم سعيد خدينة وأنا محاسبهم فولاهم فقتلوا في العذاب جهما وعبد العزيز ابن عمرو والمتجع وعذبوا القعقاع وقوما حتى أشرفوا على الموت قال فلم يزوالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السغد فأمر سعيد بإخراج من بقي منهم فكان سعيد يقول تبج الله الزبير فانه قتل جهما **(وفي هذه السنة)** غزا المسلمون السغد والترك فكان فيها الواقعة بينهم بقصر الباهلي **(وفيها)** عزل سعيد خدينة شعبة ابن ظهير عن سمرقند

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة وكيف كانت

ذكر علي بن محمد عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم أن سعيد خدينة لما قدم خراسان دعا قوما من الدهاقين فاستشارهم فيمن يوجه إلى الكور فأشاروا اليه بقوم من العرب فولاهم فشكروا اليه فقال للناس يوما وقد دخلوا عليه إلى قدمت البلد وليس لي علم بأهله فاستشرت فأشاروا علي بقوم فسألت عنهم فحمدوا فوليتهم فأخرج إليكم لما أخبرتموني عن عمالي فأثني عليهم القوم خيرا فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري لو لم تخرج علينا لكففت فأما إذ خرجت علينا

فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم فهذا علنا
فيهم قال فاتكى سعيد ثم جلس فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن
الجاهلين قوموا قال وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السغد وولى حربها عثمان
ابن عبد الله بن مطرف بن الشخير وعلى الخراج سليمان بن أبي السرى مولى بنى عوافة
واستعمل على هراة معقل بن عروة القشيري فسار إليها وضعف الناس سعيدا
وسموه خذينة فطمع فيه الترك فجمع له خاقان الترك ووجههم إلى السغد فكان
على الترك كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي ه وقال بعضهم أراد عظيم
من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة وكانت في ذلك القصر فارسل إليها
يخطبها فأبت فاستجاش ورجا أن يسبوا من في القصر فيأخذ المرأة فأقبل كورصول
حتى حصر أهل القصر وفيه مائة أهل بيت بذرارهم وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله
وخافوا أن يبطئ عنهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر
رجلا رهينة وندب عثمان بن عبد الله الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحي
وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل فقال شعبة بن ظهير لو كان ههنا خيول
خراسان ما وصلوا إلى غايتهم قال وكان فيمن انتدب من بنى تميم شعبة بن ظهير
النهشلي وبلعاء بن مجاهد العنزي وعميرة بن ربيعة أحد بني العجيف وهو عميرة
الثريد وغالب بن المهاجر الطائي وهو أبو العباس الطوسي وأبو سعيد معاوية
ابن الحجاج الطائي وثابت قطنة وأبو المهاجر بن دارة من غطفان وجليس الشيباني
والحجاج بن عمر والطائي وحسان بن معدان الطائي والأشعث أبو حطامة وعمر
ابن حسان الطيئان فقال المسيب بن بشر لما عسكروا إنكم تقدمون على حلبة
الترك حلبة خاقان وغيرهم والعوض إن صبرتم الجنة والعقاب النار أن فررتم فن
أراد الغزو والصبر فليقدم فانصرف عنه ألف وثلاثمائة وسار في الباقي فلباسار
فرسخا قال للناس مثل مقاتلة الأولى فاعتزل ألف ثم سار فرسخا آخر فقال لهم
مثل ذلك فاعتزل ألف ثم سار وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظلي حتى إذا
كان على فرسخين من القوم زل فأتاهم ترك خاقان ملك قى فقال إنه لم يبق

ههنا دهقان إلا وقد بايع الترك غيرى وأنا فى ثلاثمائة مقاتل فهم معك وعندى
الخبر قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً أعطوهم سبعة عشر رجلاً ليكونوا رهناء فى
أيديهم حتى يأخذوا صلحهم فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك مَنْ كان فى أيديهم من
الرهائن قال وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلى فجاء لم يقتل والأشهب بن عبيد الله
الحنظلى وميعادهم أن يقتلوهم غداً أو يفتحوا القصر فبعث المسيب رجلين رجلاً
من العرب ورجلاً من العجم من ليته على خيولهم وقال لهم إذا قربتم فشدوا دوابكم
بالشجر واعلموا علم القوم فأقبلوا فى ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء فى نواحي
القصر فليس يصل إليه أحد ودنوا من القصر فصاح بهما الرية فقالا لا تصح
وادع لنا عبد الملك بن دنار فدعاه فقالا له أرسلنا المسيب وقد أتاكم الغياث قال
أبن هو قال على فرسخين فهل عندكم امتناع ليلتك وغداً فقال قد أجمعنا على تسليم
نسائنا وتقديمهم للموت أما منا حتى نموت جميعاً غداً فرجعا إلى المسيب فأخبراه
فقال المسيب للذين معه إني سائر إلى هذا العدو فمن أحب أن يذهب فليذهب فلم
يفارقه أحدٌ وبايعوه على الموت فساروقد زاد الماء الذى أجروه حول المدينة
تحصينا فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل فأجمع على يياتهم فلما أمسى أمر الناس
فشدوا على خيولهم وركب فحثهم على الصبر ورغبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب
والصبر وما لهم فى الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا وقال لهم اكعموا دوابكم
وقودوهم فإذا دنوتم من القوم فاركبوها وشدوا شدة صادقة وكبروا وليكن
شعاركم يا محمد ولا تتبعوا مولياً وعليكم بالدواب فاعقروها فإن الدواب إذا عقرت
كانت أشد عليهم منكم والقليل الصابر خيرٌ من الكثير الفشل وليست بكم قلة فإن
سبعمائة سيف لا يضرب بها فى عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله قال وعباهم
وجعل على الميمنة كثير الدبوسى وعلى الميسرة رجلاً من ربيعة يقال له ثابت
قطنة وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك فى السحر وثار الترك
وخالط المسلمون العسكر فعقروا الدواب وصابرهم الترك فجال المسلمون وانهزموا
حتى صاروا إلى المسيب وتبعهم الترك وضربوا عجز دابة المسيب فترجل رجال

من المسلمين فيهم البخري أبو عبد الله المرائي ومحمد بن قيس الغنوي ويقال محمد ابن قيس الغنبري وزيداد الاصبهاني ومعاوية بن الحجاج وثابت قطنة فقاتل البخري فقطعت يمينه فأخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهدوا واستشهد أيضاً محمد بن قيس الغنبري أو الغنوي وشيب بن الحجاج الطائي قال ثم انهزم المشركون وضرب ثابت قطنة عظيماً من عظمتهم فقتله ونادى منادى المسيب لا تتبعهم فانهم لا يدرون من الرعب اتبعتموهم أم لا واقصدوا القصر ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ولا تحملوا من يقدر على المشي وقال المسيب من حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبة فأجره على الله ومن أبي فله أربعون درهما وإن كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه قال فقصدوا جميعاً القصر فحملوا من كان فيه وانتهى رجل من بني فقيم إلى امرأة فقالت أغنى أغناك الله فوقف وقال دونك وعجز الفرس فوثبت فاذا هي على عجز الفرس فاذا هي أفرس من رجل فتناول الفقيمي يداها غلاماً صغيراً فوضعه بين يديه وأتوا ترك خاقان فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام وقال الحقوا بسمرقند لا ترجعوا في آثاركم فخرجوا نحو سمرقند فقال لهم هل بقي أحد قالوا هلال الحريري قال لا أسلمه فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة فاحتمله فبرأ ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد قال ورجع الترك من الغد فلم يروا في القصر أحداً ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاءوا من الإنس فقال ثابت قطنة

فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ	غَدَاةَ الرُّوعِ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ
فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسًا اكْتَفَوْنِي	عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهْجِ الْقَتَامِ
بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ رَأَوْنِي	أَحَامِي حَيْثُ ضَنَّ بِهِ الْمُحَامِي
بَسِيفِي بَعْدَ حَظِيمِ الرُّحْمِ قُدُمًا	أُذُودُهُمْ بِذِي شَطْبِ حُسَامِ
أَكْرَ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًّا	كَكْرَ الشَّرْبِ آيَةَ الْمَدَامِ
أَكْرَ بِهِ لَدَى الْغُمَرَاتِ حَتَّى	تَجَلَّتْ لَا يَضِيقُ بِهَا مَقَامِي
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ	وَضَرَبَنِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهَلَامِ
إِذَا كَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِهَامٍ	أَمَامَ التُّرْكِ بَادِيَةَ الْحِدَامِ

فَمَنْ مِثْلُ الْمَسِيبِ فِي تَمِيمٍ أَبِي بَشِيرٍ كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ
وَقَالَ جَرِيرٌ يَذْكُرُ الْمَسِيبَ

لَوْلَا حِمَايَةُ يَرْبُوعٍ نَسَاءُكُمْ كَانَتْ لَغَيْرِكُمْ مِنْهُنَّ أَطْهَارُ
حَامَى الْمَسِيبُ وَالْخِلَانُ فِي رَهْجٍ إِذْ مَازَنَ ثُمَّ لَا يُحْمَى لَهَا جَارُ
إِذْ لَا عِقَالُ يُحَامَى عَنْ ذِمَارِكُمْ وَلَا زُرَّارَةٌ يَحْمِيهَا وَزَرَارُ

قال وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي وشلت يده وقد كان ولي ولاية قبل سعيد فخرج عليه شيء مما كان بقى عليه فأخذه فدفعه سعيد إلى شداد بن خليد الباهلي ليحاسبه ويستأديه فضيق عليه شداد فقال يامعشر قيس سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش حديد البصر فعورت وشأت يدي وقالت مع من قاتل حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا على القتل والأسر والسبي وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع فكفوه عني فغلاه قال وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلي قال كنا في القصر فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همام القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل (وفي هذه السنة) قطع سعيد خذيته نهر بلخ وغزا السغد وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين

ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة

وكان سبب غزو سعيد هذه الغزوة فيما ذكر أن الترك عادوا إلى السغد فكلّم الناس سعيدا وقالوا تركت الغزو فقد أغار الترك وكفر أهل السغد فقطع النهر وقصد للسغد فلقبه الترك وطائفة من أهل السغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم فإن السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم وقد قاتلتم بأهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم وسار المسلمون فاتوها إلى واد بينهم وبين المرج فقال عبد الرحمن بن صبح لا يقطن هذا الوادي بجفف ولا راجل وليعبر من سواهم فعبروا وراثةم الترك فأكنوا كينا وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلهم فأنحاز الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي فقال لهم عبد الرحمن بن صبح سابقوهم ولا تقطعوا فانكم إن قطعتم أبادوكم فصبروا لهم حتى انكشفوا عنهم فلم يتبعوهم فقال قوم قتل يومئذ شعبة بن ظهير

وأصحابه وقال قوم بل انكشفت الترك منهم يومئذ منهزمين ومعهم جمع من أهل
السغد فلما كان الغد خرجت مسلحة للسليلين والمسلحة يومئذ من بني تميم فهاشعروا
إلا بالترك معهم خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة بن ظهير
فقاتلهم شعبة فقتل أعجلوه عن الركوب وقتل رجل من العرب فأخرجت جاريته
حناء وهي تقول حتى متى أعدت لك مثل هذا الخضاب وأنت محتضب بالدم مع
كلام كثير فأبكت أهل العسكر وقتل نحو من خمسين رجلا وانهزم أهل المسلحة
وأتى الناس الصريح فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوي كنت أنا أول من أتاها
لما أتانا الخبر وتحتى فرس جواد فاذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قنفذ
من الشباب وقد قتل وركب الخليل بن أوس العبشمي أحد بني ظالم وهو شاب
ونادى يابني تميم أنا الخليل إلى فانضمت إليه جماعة فحمل بهم على العدو فكفوهم
وورعهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة فانهزم العدو فصار الخليل على خيل
بني تميم يومئذ حتى ولي نصر بن سيار ثم صارت رياصة بني تميم لأخيه الحكم بن
أوس وذكر علي بن محمد عن شيوخه أن سورة بن الحر قال لحيان أنصرف يا حيان
قال عقيرة الله أدعها وأنصرف قال يانبطي قال أنبط الله وجهك قال وكان حيان
النبطي يكنى في الحرب أبا الهياج وله يقول الشاعر

إِنَّ أبا الهياج أَرْيَحِي لِلرَّيْحِ فِي أَثَوَابِهِ دَوِي

قال وعبر سعيد النهر مرتين فلم يجاوز سمرقند نزل في الأولى يإزاء العدو
فقال له حيان مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني أيها الأمير ناجز أهل السغد فقال
لا هذه بلاد أمير المؤمنين فرأى دخانا ساطعا فسأل عنه ف قيل له السغد قد كفروا
ومعهم بعض الترك قال فناوشهم فانهزموا فالحوا في طلبهم فنادى منادى سعيد
لا تطلبوهم إنما السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم أفتر يدون بوارهم وأنتم
يا أهل العراق قد قاتلتم أمير المؤمنين غير مرة فعفانكم ولم يستأصلكم ورجع فلما
كان العام المقبل بعث رجلا من بني تميم إلى وَرَغَسَر فقالوا ليتنا تلقى العدو
فنطاردهم وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا رذاري السبي

وعاقب السرية فقال الهجري وكان شاعراً

سَرَيْتَ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَلْهُو بَلَعَةً وَأَيُّكَ مَسْلُوكٌ وَسَيْفُكَ مُغَمَّدٌ
وَأَنْتَ لِمَنْ عَادَيْتَ عِرْسُ خَفِيَّةٍ وَأَنْتَ عَلَيْنَا كَالْحَسَامِ الْمُهَنْدِ
فَلَهُ دَرِ السَّغْدِ لِمَا تَحْزُبُوا وَيَعْجَبَا مِنْ كَيْدِكَ الْمُتَرَدِّدِ

قال فقال سورة بن الحر لسعيد وقد كان حفظ عليه وحقد عليه قوله أنبط
الله وجهك إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والعالم وهو أفسد خراسان على
قتيبة بن مسلم وهو واثب بك مفسد عليك خراسان ثم يتحصن في بعض هذه
القلاع فقال يا سورة لا تسمعن هذا أحداً ثم مكث أياماً ثم دعا في مجلسه بلبن وقد
أمر بذهب فسحق وألقى في إناء حيان فشربه وقد خلط بالذهب ثم ركب فركب
الناس أربع فراسخ إلى باركت كأنه يطلب عدواً ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام
ومات في اليوم الرابع فقتل سعيد على الناس وضعفوه وكان رجل من بني أسد
يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد فذكر إسماعيل عند خدينة ومودته
لمروان فقال سعيد وما ذاك الملط فهجاه إسماعيل فقال

زَعَمْتُ خُذَيْنَةُ أَنْيَ مِلْطُ خُذَيْنَةُ الْمَرَاةَ وَالْمُشْطُ
وَبَجَائِرُ وَمَكَايِلُ جُعِلَتْ وَمَعَارِفُ وَبَخْدَهَا نَقْطُ
أَفْذَاكَ أَمْ زَعَفُ مُضَاعَفَةٌ وَمُهَنْدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُ
لِمُقَرِّسٍ ذَكَرَ أَخِي نَقَّةٍ لَمْ يَغْذُهُ التَّائِيثُ وَاللَّقْطُ
أَغْضَبْتَ أَنْ بَاتَ ابْنُ أُمِّكُمْ يِيمُ وَأَنْ أَبَاكُمْ سَقَطُ
إِنِّي رَأَيْتُ نِبَاهُكُمْ كَسَيْتُ رِيَشَ اللُّوَامِ وَنَبْلَكُمْ مَرَطُ
وَرَأَيْتُهُمْ جَعَلُوا مَكَايِرَهُمْ عِنْدَ النَّدَى وَأَنْتُمْ خِلْطُ

(وفي هذه السنة) عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام

ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك

وكان سبب ذلك فيما ذكر على بن محمد أن مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق
وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحى منه وكتب

إليه أن استخلف على عملك وأقبل وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم ابن النعمان في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره فقال له أمن شوق بك إليه إنك لطروب وإن عهدك به لقريب قال لا بد من ذلك قال إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه فشخص فلما بلغ دورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد فدخل عليه ابن هبيرة فقال إلى أين يا ابن هبيرة فقال وجهنى أمير المؤمنين فى حيازة أموال بنى المهلب فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه فقال هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى قال قد أنبأتك قال فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بنى المهلب قال هذا أعجب من الأول يصرف عن الجزيرة ويوجه فى حيازة أموال بنى المهلب قال فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الرِّكَابُ مُودَعًا فَارْعَى فَرَازَةَ لَاهِنَاكَ الْمَرْتَعُ
عُزْلَ ابْنِ بَشِيرٍ وَابْنِ عَمْرِو قَبْلَهُ وَأُخْرَ هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ فَرَازَةَ أُمِرَتْ أَنْ سَوْفَ يَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ مَا هُمْ وَلِمِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ مَا نَأَلَتْ فَرَازَةُ يَطْمَعُ

يعنى بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان وبابن عمرو ومحمدا ذا الشامة ابن عمرو ابن الوليد وبأخى هراة سعيد خدينة بن عبد العزيز كان عاملا لمسلمة على خراسان (وفى هذه السنة) غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية فهزمهم وأسر منهم بشرا كثير اقبل سبعةائة أسير (وفىها) وجه فيما ذكر ميسرة رسله من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة بها لجاء رجل من بنى تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدى إلى سعيد خدينة فقال له إن هاهنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح فبعث اليهم سعيد فأتى بهم فقال من أنتم قالوا أناس من التجار قال فما هذا الذى يحكى عنكم قالوا الاندرى قال جئتم دعاة فقالوا إن لنا فى أنفسنا وتجارنا شغلا عن هذا فقال من يعرف هؤلاء لجاء أناس من أهل خراسان جملهم ربيعة واليمن فقالوا نحن نعرفهم وهم علينا إن أتاك منهم شئء تكراهه نخلى سبلهم (وفىها) أعنى سنة ١٠٢ قتل يزيد بن أبى مسلم بأفريقية وهو وال عليها ذكر الخبر عن سبب قتله

وكان سبب ذلك أنه كان فيما ذكر عزم أن يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف

في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة
 فأسلم بالعراق ممن ردهم إلى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو
 ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك تأمروا في أمره فأجمع رأيهم
 فيما ذكر على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل يزيد بن
 أبي مسلم وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم وكتبوا
 إلى يزيد بن عبد الملك إننا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا
 ما لا يرضى الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك
 إنني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على أفريقية (وفي هذه
 السنة) استعمل عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن
 عدى بن فزارة على العراق وخراسان (وحج) بالناس في هذه السنة عبد الرحمن
 ابن الضحاك كذلك قال أبو معشر والواقدي وكان العامل على المدينة عبد الرحمن
 ابن الضحاك وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى الكوفة
 محمد بن عمرو ذو الشامة وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
 وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وعلى خراسان سعيد خدينة وعلى
 مصر أسامة بن زيد

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خدينة عن خراسان وكان سبب
 عزله عنها فيما ذكر على بن محمد عن أشياخه أن المجشر بن مزاحم السلي وعبد الله
 ابن عمير الليثي قدما على عمر بن هبيرة فشكواه فعزله واستعمل سعيد بن عمرو
 ابن الأسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر
 ابن صعصعة وخدينة غازي باب سمرقند فبلغ الناس عزله ففعل خدينة وخلف بسمرقند
 ألف فارس فقال نهار بن توسعة

فمن ذا مبلغُ قتيانِ قومي بأنَّ النبلَ ريشَتُ كُلِّ ريش
 بأنَّ اللهَ أبدَل من سَعِيدٍ سعيداً لا المُنْحَنَت من قریش
 قال ولم يعرض سعيد الحرشي لأحد من عمال خديثة فقرأ رجل عهده فلحن
 فيه فقال سعيد صه مهما سمعتم فهو من الكاتب والامير منه برىء فقال الشاعر
 يضعف الحرشي في هذا الكلام

تَبَدَّلْنَا سَعِيداً من سَعِيدٍ لَجَدَّ السَّوِيَّ والقَدَرِ المَتَّاحِ
 (قال الطبري) وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال
 لها رسة (وفيها) أغارت الترك على اللان (وفيها) أضمت مكة إلى عبدالرحمن بن
 الضحاك الفهري فجمعت له مع المدينة (وفيها) ولي عبدالواحد بن عبدالله النضري
 الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة (وفيها) أمر
 عبد الرحمن بن الضحاك أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن
 حيان المري وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل (وحج) بالناس في
 هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري كذلك قال أبو معشر والواقدي
 وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك
 وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق وخراسان عمر بن
 هبيرة وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من قبل عمر بن هبيرة وعلى قضاء
 الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى قضاء البصرة عبد الملك
 ابن يعلى (وفيها) استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان

ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشي على خراسان

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق كتب إلى يزيد بن عبد الملك
 بأسماء من أبلي يوم العقور ولم يذكر الحرشي فقال يزيد بن عبد الملك لم يذكر
 الحرشي فكتب إلى ابن هبيرة ول الحرشي خراسان فولاه فقدم الحرشي على مقدمته
 المجشر بن مزاحم السلمي سنة ١٠٣ تم قدم الحرشي خراسان والناس بازاء
 العدو وقد كانوا نكبوا نخطبهم وحشهم على الجهاد فقال إنكم لا تقاتلون عدو

الإسلام بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الإسلام فقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله وقال

فَلَسْتُ لِعَامِرٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطْعُنُ بِالْعَوَالِي
فَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بَعَضُ الْخَدِّ حَوْدِثَ بِالصَّقَالِ
فَإَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرِّجَالِ
أَبِي لِي وَالِدِي مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَخَالِي فِي الْخَوَادِثِ خَيْرُ خَالٍ
إِذَا خَطَرْتُ أَمَامِي حَتَّى كَعْبٍ وَزَافَتْ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالٍ

(وفي هذه السنة) ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو الحرشي فلاحقوا بفرغانة فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين
ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام خديزة فلما
ولاهم الحرشي خافوا على أنفسهم فأجمع عظماءهم على الخروج عن بلادهم فقال
لهم ملكهم لا تفعلوا أقيموا واحملوا إليه خراج ما مضى وامنوا له خراج
ما تستقبلون وامنوا له عمارة أرضيكم والغزو معه إن أراد ذلك واعتذروا
بما كان منكم وأعطوه رهائن يكونون في يديه قالوا نخاف أن لا يرضى ولا يقبل
منا ولكننا نأتي خجندة فنستجير ملكها ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما
كان منا ونوثق له أن لا يرى أمراً يكرهه فقال أنا رجل منكم وما أشرت به
عليكم كان خيرا لكم فأبوا فخرجوا إلى خجندة وخرج كارزج وكشين وبياركت
وثابت بأهل اشتيخن فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنعهم وينزلهم
مدينة فهم أن يفعل فقالت له أمه لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن
فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فأرسل إليهم سمو إلى رستاقا أفرغه لكم وأجلوني
أربعين يوما ويقال عشرين يوما وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله
الباهلي وكان قتيبة خلفه فيهم فقبلوا شعب عصام فأرسلوا إليه فرغه لنا قال
نعم وليس لكم على عقد ولا جوار حتى تدخلوه وإن أتتكم العرب قبل أن

تدخلوه لم أمنعكم فرضوا فقرغ لهم الشعب وقد قيل إن ابن هبيرة بعث اليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا ويستعمل عليهم من أحبوا فأبوا وخرجوا إلى خجندة وشعب عصام من رستاق أسفرة وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بيلاذا وبيلاذا أبو أبوجور ملكها وقيل قال لهم كارزنج أخيركم ثلاث خصال إن تركتموها هلكتم إن سعيدياً فارس العرب وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن ابن عبد الله القشيري في حماة أصحابه فبيتوه فاقتلوه فإن الحرشي إذا أتاه خبره لم يغزكم فأبوا عليه قال فاقطعوا نهر الشاش فسلوهم ماذا تريدون فإن أجابوكم وإلا مضيتم إلى سوياب قالوا لا قال فأعطوهم قال فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قى وأبار بن ماخون وثابت بأهل اشتيخن وارتحل أهل يياركت وأهل سبسكت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماجن فارتحل الديواشني بأهل بنجيكت إلى حصن أبغر ولحق كارزنج وأهل السغد بخجندة

ثم دخلت سنة أربع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

(ففي هذه السنة) كانت وقعة الحرشي بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينها

ذكر الخبر عن أمره وأمرهم في هذه الوقعة

ذكر علي عن أصحابه أن الحرشي غزا في سنة ١٠٤ فقطع النهر وعرض الناس ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدبوسية ولم يجتمع إليه جنده قال فأمر الناس بالرحيل فقال له هلال بن عليم الخنظلي يا هناء إنك وزير أخير منك أميراً الأرض حرب شاعرة برجلها ولم يجتمع لك جنودك وقد أمرت بالرحيل قال فكيف لي قال تأمر بالنزول ففعل وخرج النيلان ابن عم ملك فرغانة إلى الحرشي وهو نازل على مغون فقال له إن أهل السغد بخجندة وأخبره خبرهم وقال عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشعب فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل فوجه الحرشي مع النيلان عبد الرحمن القشيري وزيايد بن عبد الرحمن

القشيري في جماعة ثم ندم على ما فعل فقال جاءني عالج لا أدري صدق أم كذب
فقررت بجند من المسلمين وارتحل في أثرهم حتى نزل في أشروسنة فصالحهم
بشيء يسير فبينما هو يتعشى إذ قيل له هذا عطاء الديبوسي وكان فيمن وجهه مع
القشيري ففزع وسقطت اللقمة من يده ودعا بعطاء فدخل عليه فقال ويالك
قاتلتم أحدا فقال لا قال الحمد لله وتعشى وأخبره بما قدم له عليه فسار جوادا مغذا
حتى لحق القشيري بعد ثالثة وسار فلما انتهى إلى خجندة قال للفضل بن بسام ما ترى
قال أرى المعاجلة قال لا أرى ذلك إن جرح رجل فإلى أين يرجع أو قتل قتيل
فإلى من يحمل ولكني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب فنزل فرفع الأبنية
وأخذ في التأهب فلم يخرج أحد من العدو فجبن الناس الحرشي وقالوا كان هذا
يذكر بأسه بالعراق ورأيه فلما صار بخراسان ما قال فحمل رجل من العرب
فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب وقد كانوا حفروا في ربضهم وراء
الباب الخارج خندقا وغطوه بقصب وعلوه بالتراب مكيدة وأرادوا إذا التقوا
إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق ويشكل على المسلمين فيسقطوا في
الخندق قال فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا واخطأوهم الطريق فسقطوا في الخندق
فأخرجواهم من الخندق أربعين رجلا على الرجل درعان وحصرم
الحرشي ونصب عليهم المجانيق فأرسلوا إلى ملك فرغانة غدرت بنا وسألوه أن
ينصرهم فقال لهم لم أغدر ولا أنصركم فانظروا لأنفسكم فقد أتوكم قبل انقضاء
الاجل ولستم في جوارى فلما أيسوا من نصره طلبوا الصلح وسألوا الأمان
وأن يردهم إلى السغد فاشتراط عليهم أن يردوا من في أيديهم من نساء العرب
وذرايرهم وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج ولا يغتالوا أحدا ولا يتخلف منهم
بخجندة أحد فإن أحدثوا حدثا حلت دماؤهم قال وكان السفير فيما بينهم موسى
ابن مشكان مولى آل بسام فخرج إليه كارتنج فقال له إن لي حاجة أحب أن تشفعني
فيها قال وما هي قال أحب إن جنى منهم رجل جناية بعد الصلح أن لا تأخذني بما
جنى فقال الحرشي ولي حاجة فاقضها قال وما هي قال لا تلحقني في شرطي ما أكره

قال فأخرج الملوك والتجار من الجانب الشرقي وترك أهل خجندة الذين هم أهلها على حالهم فقال كارزنج للحرشي ما تصنع قال أخاف عليكم معرفة الجند قال وعظماؤهم مع الحرشي في العسكر نزلوا على معارفهم من الجند ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان فبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة من نسائك في أيديهم فقال لهم بلغني أن ثابتاً الاشتيخني قتل امرأة ودفعها تحت حائط فوجدوا فأرسل الحرشي إلى قاضي خجندة فنظر وإذا المرأة مقتولة قال فدعا الحرشي بثابت فأرسل كارزنج غلامه إلى باب السراويليأته بالخبر وسأل الحرشي ثابتاً وغيره عن المرأة فوجد ثابت وتيقن الحرشي أنه قتلها فقتله فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت فجعل يقبض على لحيته ويقرضها بأسنانه وخاف كارزنج أن يستعرضهم الحرشي فقال لأيوب بن أبي حسان إني ضيفك وصديقك فلا يجعل بك أن يقتل صديقك في سراويل خلق قال فخذ سراويلي قال وهذا لا يجعل أقتل في سراويلاتكم فسرحت غلامك إلى جلنج ابن أخي يجيئونني بسراويل جديدة وكان قد قال لابن أخيه إذا أرسلت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل فلما بعث بسراويل أخرج فرندة خضراء فقطعها عصابات وعصها برووس شاكريته ثم خرج هو وشاكريته فاعترض الناس فقتل ناساً ومريحي بن حزين فنفضه نفحة على رجله فلم يزل يجمع منها وتضعع أهل العسكر ولقي الناس منه شراً حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود وكان في أيدي السغد أسراء من المسلمين قتلوا منهم خمسين ومائة ويقال قتلوا منهم أربعة بن قال فأفلت منهم غلام فأخبر الحرشي ويقال بل أتاه رجل فأخبره فسألهم فوجدوا فأرسل إليهم من علم عليهم فوجد الخبر حقاً فأمر بقتلهم وعزل التجار عنهم وكان التجار أربعة مائة كان معهم مال عظيم قدموا به من الصين قال فامتنع أهل السغد ولم يكن لهم سلاح فقاتلوا بالحشب فقتلوا عن آخرهم فلما كان الغد دعا الحرايين ولم يعلموا ما صنع أصحابهم فكان يختم في عنق الرجل ويخرج من حائط إلى حائط فيقتل وكانوا ثلاثة آلاف ويقال سبعة آلاف فأرسل جرير بن هميان والحسن بن أبي العمرطة ويزيد بن

أبي زينب فأحصوا أموال التجار وكانوا اعتزلوا وقالوا لانقاتل فاصطفى أموال
السغد وذراريهم فأخذ منه ما أعجبه ثم دعا مسلمً بديل العدوى عدى الرباب فقال
قد وليتك المقسم قال بعد ما عمل فيه عمالك ليلة وله غيرى فولاه عبيد الله بن زهير
ابن حيان العدوى فأخرج الخمس وقسم الأموال وكتب الحرشي إلى يزيد بن
عبد الملك ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة فكان هذا ما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة
فقال ثابت قطنة يذكروا ما أصابوا من عظامهم

أَقْرَّ الْعَيْنُ مَصْرَعُ كَارَزْنَجٍ وَكَشَيْنِ وَمَا لَاقَى يَارُ
وَدْيَواشَنِ وَمَا لَاقَى جَلَنْجُ بِحِصْنِ خُجَنْدِ إِذْ دَمَرُوا فَبَارُوا

ويروى أقر العين مصرع كارزنج وكشكيش ويقال إن ديواشني دهقان أهل
سمرقند واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشني ويقال كان على أقباض خجندة علباء
ابن أحرر اليشكري فاشترى رجل منه جونة بدرهمين فوجد فيها سبائك ذهب فرجع
وهو واضع يده على لحيته كأنه رمد فرد الجونة وأخذ الدرهمين فطلب فلم يوجد
قال وسرح الحرشي سليمان بن أبي السرى مولى بني عوافة إلى قلعة لا يطيف بها
وادی السغد إلا من وجه واحد ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم
صاحب أخرون وشومان فوجه سليمان بن أبي السرى على مقدمته المسيب بن بشر
الرياحي فتلقوه من القلعة على فرسخ في قرية يقال لها كوم فهزمهم المسيب حتى
ردهم إلى القلعة فحصرهم سليمان ودهقانها يقال له ديواشني قال فكتب إليه الحرشي
فعرض عليه أن يمدّه فأرسل إليه ملتقانا ضيق فسر إلى كسّ فإننا في كفاية الله
إن شاء الله فطلب الديواشني أن ينزل على حكم الحرشي وأن يوجهه مع المسيب
ابن بشر إلى الحرشي فوفى له سليمان ووجهه إلى سعيد الحرشي فألفظه وأكرمه
مكيدة فطلب أهل القلعة الصلح بعد مسيره على أن لا يعرض لمائة أهل بيت منهم
ونسائهم وأبنائهم ويسلمون القلعة فكتب سليمان إلى الحرشي أن يبعث الأمناء
في قبض ما في القلعة قال فبعث محمد بن عزيز الكندي وعلباء بن أحرر اليشكري
فباعوا ما في القلعة مزايده فأخذ الخمس وقسم الباقي بينهم وخرج الحرشي إلى كس

فصالحوه على عشرة آلاف رأس ويقال صالح دهقان كس واسمه ويك على ستة آلاف رأس يوفيه في أربعين يوماً على أن لا يأتيه فلما فرغ من كس خرج إلى ربنجن فقتل الديواشني وصلبه على ناوس وكتب على أهل ربنجن كتاباً بمائة إن فقد من موضعه وولى نصر بن سيار قبض صلح كس ثم عزل سورة بن الحرث وولى نصر بن سيار واستعمل سليمان ابن أبي السرى على كس ونسف حربها وخراجها وبعث برأس الديواشني إلى العراق ويده اليسرى إلى سليمان بن أبي السرى إلى طخارستان قال وكانت خزار منيعة فقال المجشر بن مزاحم لسعيد بن عمرو الحرشي ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال قال بلى قال المسربل بن الحرث ابن راشد الناجي فوجه إليها وكان المسربل صديقاً للملكها واسم الملك سبقرى وكانوا يحبون المسربل فأخبر الملك ما صنع الحرشي بأهل خجندة وخوفه قال فأتري قال أرى أن تنزل بأمان قال فما أصنع بمن لحقني من عوام الناس قال نصيرهم معك في أمانك فصالحهم فآمنوه وبلادهم قال ورجع الحرشي إلى مرو ومعه سبقرى فلما نزل أسنان وقدم مهاجر بن يزيد الحرشي وأمره أن يوافيه بيرذون بن كشانيشاه قتل سبقرى وصلبه ومعه أمانه ويقال كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فأخذ أماناً لأهل السغد فحبسه الحرشي في قهندزمر فلما قدم مرو دعا به وقتله وصلبه في الميدان فقال الراجز :

إِذَا سَعِيدٌ سَارَ فِي الْأَخْمَاسِ فِي رَهْجٍ يَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ
دَارَتْ عَلَى التَّرْكِ أَمْرُ الْكَاسِ وَطَارَتْ التَّرْكُ عَلَى الْإِحْلَاسِ
وَلَوْ فِرَارًا عُطِّلَ الْقِيَاسُ

(وفي هذه السنة) عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى عن المدينة ومكة وذلك للنصف من شهر ربيع الأول وكان عامه على المدينة ثلاث سنين (وفيها) ولى يزيد بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النضرى

ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك

عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال

وكان سبب ذلك فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن أبي يحيى قال
خطب عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري فاطمة ابنة الحسين فقالت والله
ما أريد النكاح ولقد قعدت على بنى هؤلاء وجعلت تحاجره وتكره أن تنابذه
لما تخاف منه قال وألح عليها وقال والله لئن لم تفعل لأجلدن أكبرينك في الخمر
يعنى عبد الله بن الحسن فبينما هو كذلك وكان على ديوان المدينة ابن هرمز رجل
من أهل الشام فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه ويدفع الديوان فدخل على فاطمة
بنت الحسين يودعها فقال هل من حاجة فقالت نخبر أمير المؤمنين بما أتى من
ابن الضحاك وما يتعرض متى قال وبعثت رسولا بكتاب إلى يزيد تخبره وتذكر
قرباتها ورحمها وتذكر ما ينال ابن الضحاك منها وما يتوعداها به قال فقدم ابن هرمز
والرسول معا قال فدخل ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة وقال هل كان
من مغربة خبر فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين فقال الحاجب أصلح
الله الأمير بالباب رسول فاطمة بنت الحسين فقال ابن هرمز أصلح الله الأمير
إن فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حملتى رسالة إليك فأخبره الخبر قال فنزل
من أعلى فراشه وقال لا أم لك ألم أسألك هل من مغربة خبر وهذا عندك لا تخبرني
قال فاعتذر بالنسيان قال فأذن للرسول فأدخله فأخذ الكتاب فاقترأه قال وجعل
يضرب بخيزران في يديه وهو يقول لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعنى
صوته في العذاب وأنا على فراشى قيل له عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضرى
قال فدعا بقرطاس فكتب بيده إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضرى
وهو بالطائف سلام عليك . أما بعد فإني قد وليتك المدينة فإذا جاءك كتابي هذا
فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك وأغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع
صوته وأنا على فراشى قال وأخذ البريد الكتاب وقدم به المدينة ولم يدخل على
ابن الضحاك وقد أوجست نفس ابن الضحاك فأرسل إلى البريد فكشف له عن

طرف المفرش فإذا ألف دينار فقال هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق
لئن أنت أخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها إليك فأخبره فاستنظر البريد ثلاثاً حتى
يسير ففعل ثم خرج ابن الضحاك فأغذ السير حتى نزل على مسلة بن عبد الملك
فقال أنا في جوارك فعدا مسلة على يزيد فرقه وذكر حاجة جاء لها
فقال كل حاجة تكلمت فيها هي في يدك ما لم يكن ابن الضحاك فقال هو والله
ابن الضحاك فقال والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل قال فردّه إلى المدينة
إلى النضرى قال عبد الله بن محمد فرأيتُه في المدينة عليه جبة من صوف
يسأل الناس وقد عذب ولقي شراً وقدم النضرى يوم السبت للنصف من شوال
سنة ١٠٤ (قال) محمد بن عمر حدثني إبراهيم بن عبد الله بن أبي فروة عن الزهري
قال قلت لعبد الرحمن بن الضحاك إنك تقدم على قومك وهم يشكرون كل شيء
خالف فعلهم فالزم ما أجمعوا عليه وشاور القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فإنهما
لا يألونك رشداً قال الزهري فلم يأخذ بشيء من ذلك وعادى الأنصار طراً
وضرب أبا بكر بن حزم ظلاً وعدواناً في باطل فما بقي منهم شاعر إلا هجاه
ولا صالح إلا عابه وأناه بالقبيح فلما ولي هشام رأيتُه ذليلاً وولى المدينة عبد الواحد
ابن عبد الله بن بشر فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحب عليهم منه وكان يذهب
مذاهب الخير لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالم (وفي هذه السنة)
غزا الجراح بن عبد الله الحسكي وهو أمير على أرمينية وآذر بيجان أرض الترك
ففتح على يديه بلنجرم وهزم الترك وفرقهم وعامة ذراريهم في الماء وسبوا
ماشأوا وفتح الحصون التي تلي بلنجر وجلا عامة أهلها (وفيها) ولد فيما ذكر
أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي في شهر ربيع الآخر (وفيها) دخل أبو محمد
الصادق وعدة من أصحابه من خراسان إلى محمد بن علي وقد ولد أبو العباس قبل
ذلك بخمس عشرة ليلة فأخرجه إليهم في خرقة وقال لهم والله ليتمن هذا الأمر
حتى تدركوا ناركم من عدوكم (وفي هذه السنة) عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو
الحرشي عن خراسان وولاهما مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي

ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمر الحرشي عن خراسان
 ذكر أن سبب ذلك كان من موجدة وجدها عمر على الحرشي في أمر الديواشني
 وذلك أنه كان كتب إليه يأمره بتخليته وقتله وكان يستخف بأمر ابن هبيرة وكان البريد
 والرسول إذا ورد من العراق قال له كيف أبو المثنى ويقول لكاتبه اكتب إلى أبي المثنى
 ولا يقول الأمير ويكثر أن يقول قال أبو المثنى وفعل أبو المثنى فباغ ذلك ابن هبيرة
 فدعا جميل بن عمران فقال له بلغني أشياء عن الحرشي فاخرج إلى خراسان وأظهر
 أنك قدمت تنظر في الدواوين واعلم لي عليه فقدم جميل فقال له الحرشي كيف
 تركت أبو المثنى فجعل ينظر في الدواوين فقبل للحرشي ما قدم جميل لينظر في الدواوين
 وما قدم إلا يعلم علمك فسم بطيخة وبعث بها إلى جميل فأكلها فرض وتساقط
 شعره ورجع إلى ابن هبيرة فعولج واستبل وصح فقال لابن هبيرة الأمر أعظم
 مما بلغك ما يرى سعيد إلا أنك عامل من عماله فغضب عليه وعزله وعذبه ونفخ
 في بطنه النمل وكان يقول حين عزله لو سألتني عمر درهما يضعه في عينه ما أعطيته
 فلما عذب أدى فقال له رجل ألم تزعم أنك لا تعطيه درهما قال لا تعفني إنه لما
 أصابني الحديد جزعت فقال أذينة بن كليب أو كليب بن أذينة

تَصَبَّرْ أبا يحيى فَقَدْ كُنْتَ عَلِمْنَا صَبُورًا وَنَهَاضًا بِثَقْلِ الْمَغَارِمِ

وقال علي بن محمد إنما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة إلى هراة
 إما عاملا وإما في غير ذلك من أموره فنزل قبل أن يمر على الحرشي وأتى هراة
 فلم ينقله ما قدم فيه وكتب إلى الحرشي فكتب الحرشي إلى عامله أن احمل إلى
 معقلا لحمله فقال له الحرشي ما منعك من إتياني قبل أن تأتي هراة قال أنا عامل
 لابن هبيرة ولأنني كأولئك فضر به مائتين وحلقه فعزله ابن هبيرة واستعمل على
 خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة فكتب إلى الحرشي يلغنه فقال له سعيد
 بل هو ابن اللخناء وكتب إلى مسلم أن احمل إلى الحرشي مع معقل بن عروة فدفعه
 إليه فأساء به وضيق عليه ثم أمره يوما فعذبه وقال اقتله بالعذاب فلما أمسى ابن
 هبيرة سمر فقال من سيد قيس قالوا الأمير قال دعوا هذا سيد قيس الكوثر

ابن زفر لوبوق بليل لو افاه عشرون ألفا لا يقولون لما دعوتنا ولا يسألونه وهذا الحمار الذي في الحبس قد أمرت بقتله فارسها وأما خير قيس لها فعسى أن أكونه لأنه لم يعرض إلى أمر أرى أني أقدر فيه على منفعة وخير إلا جررتة إليهم فقال له أعرابي من بني فزارة ما أنت كما تقول لو كنت كذلك ما أمرت بقتل فارسها فأرسل إلى معقل أن كف عما كنت، أمرتك به قال على قال مسلم بن المغيرة لما هرب ابن هبيرة أرسل خالد في طلبه سعيد بن عمر والحرثي فلحقه بموضع من الفرات يقطعه إلى الجانب الآخر في سفينة وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قبيض فعرفه الحرثي فقال له قبيض قال نعم قال أني السفينة أبو المثنى قال نعم قال فخرج إليه ابن هبيرة فقال له الحرثي أبا المثنى ما ظنك بي قال ظني بك أنك لا تدفع رجلا من قومك إلى رجل من قريش قال هو ذاك قال فالتجأ قال على قال أبو اسحاق بن ربيعة لما حبس ابن هبيرة الحرثي دخل عليه معقل بن عروة القشيري فقال أصلح الله الأمير قيدت فارس قيس وفضحتته وما أنا براض عنه غير أني لم أحب أن تبلغ منه ما بلغت قال أنت بيني وبينه قدمت العراق فوليته البصرة ثم وليته خراسان فبعث إلى بيرذون حطم واستخف بأمرى وخان فعزلته وقلت له يا ابن نسعة فقال لي يا ابن بسرة فقال معقل وفعل ابن الفاعلة ودخل على الحرثي السجن فقال يا ابن نسعة أملك دخلت واشتريت بثمانين عنزاً جرباً كانت مع الرعاء ترادفها الرعاء مطية الصادر والوارد تجعلها نداء لبنت الحارث بن عمرو بن حرجة وافترى عليه فلما عزل ابن هبيرة وقدم خالد العراق استعدى الحرثي على معقل ابن عروة وأقام البيعة أنه قد فقه فقال للحرثي أجده فحذه وقال لولا أن ابن هبيرة وهن في عضدي لنقبت عن قلبك فقال رجل من بني كلاب لمعقل أسأت إلى ابن عمك وقد فقه فأداله الله منك فصرت لاشهادة لك في المسلمين وكان معقل حين ضرب الحد قد فقه الحرثي أيضا فأمر خالد بإعادة الحد فقال القاضي لا يحد قال وأم عمر بن هبيرة بسرة بنت حسان عدوية من عدى الرباب (وفي هذه السنة) ولي عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن عمرو بن خويلد الصعق خراسان

بعد ما عزل سعيد بن عمر والحرشي عنها

ذكر الخبر عن سبب توليته إياها

(ذكر علي بن محمد) أن أبا الذيال وعلي بن مجاهد وغيرهما حدثوه قالوا لما قتل سعيد بن أسلم ضم الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده فتأدب ونبل فلما قدم عدى بن أرطاة أراد أن يوليه فشاور كاتبه فقال وله ولاية خفيفة ثم ترفعه فولاه ولاية فقام بها وضبطها وأحسن فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يوليه ولاية فدعاه ولم يكن شاب بعد فنظر فرأى شيبة في لحيته فكبر قال ثم سمر ليلة ومسلم في سمره فتخلف مسلم بعد السمارو في يد ابن هبيرة سفر جلة فرمى بها وقال أيسرك أن أوليك خراسان قال نعم قال غدوة إن شاء الله قال فلما أصبح جلس ودخل الناس فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده وأمره بالسير وكتب إلى عمال الخراج أن يكتبوا مسلم ابن سعيد ودعا بجبل بن عبد الرحمن مولى باهلة فولاه كرمان فقال جبلة ما صنعت بي المولوية كان مسلم ينبغي يطمع أن ألى ولاية عظيمة فأوليه كورة فعقد له على خراسان وعقد لي على كرمان قال فسار مسلم فقدم خراسان في آخر سنة ١٠٤ أو ١٠٣ نصف النهار فوافق باب دار الامارة مغلقا فأتى دار الدواب فوجد الباب مغلقا فدخل المسجد فوجد باب المقصورة مغلقا فصلى وخرج وصيف من باب المقصورة فقيل له الأمير فمشى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالي في دار الإمارة وأعلم الحرشي وقيل له قدم مسلم بن سعيد بن أسلم فأرسل اليه أقدمت أميرا أو وزيرا أو زائرا فأرسل اليه مثلي لا يقدم خراسان زائرا ولا وزيرا فأتاه الحرشي فشتمه وأمر بحبسه فقيل له إن أخرجته نهرا قتل فأمر بحبسه عنده حتى أمسى ثم حبسه ليلا وقيده ثم أمر صاحب السجن أن يزيد قيدا فأتاه حزينا فقال مالك فقال أمرت أن أزيدك قيدا فقال لكاتبه اكتب اليه إن صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدني قيدا فان كان أمرا من فوقك فسمعا وطاعة وإن كان رأيا رأيته فسيرك الحقيقة وتمثل

مُمْ إِنْ يَتَّقُونِي يَقْتُلُونِي وَمَنْ أَتَّقِفْ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودٍ
وَيُرَوَّى: فَأَمَّا تَتَّقُونِي فَأَقْتُلُونِي فَمَنْ أَتَّقِفْ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودٍ
مُمْ الْأَعْدَاءُ إِنْ شَهِدُوا وَغَابُوا أُولُو الْأَحْقَادِ وَالْأَكْبَادُ سَوْدُ
أَرِيغُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِّي وَحِذْقَةٌ كَالشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ

ويروى: أريدوني إرادتكم، قال وبعث مسلم على كوره رجلاً من قبله على حربها
قال وكان ابن هبيرة حريصاً أخذ قهرماناً ليزيد بن المهلب له علم بخراسان وبأشرافهم
فحبسه فلم يدع منهم شريفاً إلا قرفه فبعث أبا عبيدة العنبري ورجلاً يقال له خالد
وكتب إلى الحرشي وأمره أن يدفع الذين سماهم إليه يستأديهم فلم يفعل فرد رسول
ابن هبيرة فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بجباية تلك الأموال فلما قدم
مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي قرفت عليهم فقبل له إن فعلت هذا بهؤلاء
لم يكن لك بخراسان قرار وإن لم تعمل في هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك
وعليهم خراسان لأن هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد
قرفوا بالباطل إنما كان على مهزم بن جابر ثلثمائة ألف فزادوا مائة ألف فصارت
أربعمائة ألف وعامة من سموا لك بمن كثر عليه بمنزله فكتب مسلم بذلك إلى ابن
هبيرة وأوفد وفداً فيهم مهزم بن جابر فقال له مهزم بن جابر أيها الأمير إن الذي
رفع إليك الظلم والباطل ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليل الذي لو أخذنا به
أديناه فقال ابن هبيرة إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فقال
اقرأ ما بعدها وإذا حكمت بين الناس أن تحكموا بالعدل فقال ابن هبيرة لا بد من
هذا المال قال أما والله لئن أخذته لتأخذنه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في
عدوك وليضرن ذلك بأهل خراسان في عدتهم وكرامتهم وحلقتهم ونحن في ثغر
نكابد فيه عدواً لا ينقضي حربهم إن أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صداه إلى
جلده حتى إن الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاهما وعن الرجل
الذي تخدمه لريح الحديد وأنتم في بلادكم متفضلون في الرقاق وفي المعصرة والذين
قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام

في المغازي وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق فجاءوا على الحرام فولوا الولايات
فاقتطعوا الأموال فهي عندهم موقرة جمة فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما
قال الوفد وكتب إليه أن استخرج هذه الأموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم فلما
أتى مسلماً كتاب ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الأموال وأمر حاجب بن عمرو
الحارثي أن يعذبهم ففعل وأخذ منهم ما قرأ عليهم (وحيج) بالناس في هذه السنة
عبد الواحد بن عبد الله النضري كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق
ابن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان العامل على مكة والمدينة
والطائف في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق والمشرق
عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكندي وعلى قضاء البصرة
عبد الملك بن يعلى

ثم دخلت سنة خمس ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة الجراح بن عبد الله الحكمي اللان حتى جاز ذلك
إلى مدائن وحصون من وراء بَلَنْجَر ففتح بعض ذلك وجلى عنه بعض أهله وأصاب
غنائم كثيرة (وفيها) كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم فبعث سرية
في نحو من ألف مقاتل فأصيبوا فيها ذكر جميعاً (وفيها) غزا مسلم بن سعيد الترك
فلم يفتح شيئاً فقفل ثم غزا أفسينية مدينة من مدائن السغد بعد في هذه السنة
فصالح ملكها وأهلها

ذكر الخبر عن ذلك

(ذكر علي بن محمد) عن أصحابه أن مسلم بن سعيد مرزب بهرام سيس لجعله
المرزبان وإن مسلماً غزا في آخر الصيف من سنة ١٠٥ فلم يفتح شيئاً وقفل فاتبه
الترك فلحقوه والناس يعبرون نهر بلخ وتميم على الساقية وعبيد الله بن زهير بن حيان
على خيل تميم فحاموا عن الناس حتى عبروا ومات يزيد بن عبد الملك وقام هشام

وغزا مسلم أفشين فصالح ملكها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة فانصرف
لتمام سنة ١٠٥ (وفي هذه السنة) مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان لخمس
ليال بقين من شعبان منها حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن
عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي (وقال الواقدي) كانت وفاته ببلقاء من
أرض دمشق وهو يوم مات ابن ثمان وثلاثين سنة وقال بعضهم كان ابن أربعين سنة
وقال بعضهم ابن ست وثلاثين سنة فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام بن
محمد وعلي بن محمد أربع سنين وشهرا وفي قول الواقدي أربع سنين وكان يزيد بن
عبد الملك يكنى أبا خالد كذلك قال أبو معشر وهشام بن محمد والواقدي وغيرهم وقال
علي بن محمد توفي يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين
سنة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة ١٠٥ قال ومات بأربد من أرض البلقاء
وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة وهشام بن عبد الملك يومئذ بمحصر
حدثني بذلك عمر بن شبة عن علي (وقال هشام بن محمد) توفي يزيد بن عبد الملك وهو
ابن ثلاث وثلاثين سنة (قال علي) قال أبو معاوية أو غيره من اليهود ليزيد بن
عبد الملك إنك تملك أربعين سنة فقال رجل من اليهود كذب لعنه الله إنما رأى أنه
يملك أربعين قصبة والقصبة شهر فجعل الشهر سنة

ذكر بعض سيره وأموره

❦ حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي قال كان يزيد بن عاتكة من فتيانهم فقال
يوما وقد طرب وعنده حَبَابَةٌ وسلامة دعوني أطير فقالت حَبَابَةٌ إلى من تدعُ
الامة فلما مات قالت سلامة القس

لا تَلْمِنا - إن خَشَعْنَا	أو هَمَمْنَا بالخشوع
قد كَعَمِرِي بِتُ لَيْلِي	كأخي الداءِ الوجيع
ثم باتَ الهُمُّ مِنِّي	دونَ مَنْ لِي من ضَجِيع
للذي حلَّ بنا اليو	مَ من الأمرِ الفَظِيع
كلما أَبْصَرْتُ رَبِّعًا	خاليًا فَاَصْتُ دُمُوعِي

قد خلا من سيّد كا نَ لنا غير مُضِيع

ثم نادى وأمر المؤمنين والشعر لبعض الانصار (قال على) حج يزيد
ابن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حباة وكان اسمها العالية
بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل بن خنيف فقال سليمان هممت أن أحجر
على يزيد فرد يزيد حباة فاشتراها رجل من أهل مصر فقالت سعدة ليزيد
يا أمير المؤمنين هل بقي من الدنيا شيء أتمناه بعد قال نعم حباة فأرسلت سعدة
رجلا فاشتراها بأربعة آلاف دينار فصنعها حتى ذهب عنها كلال السفر فأتت
بها يزيد فأجلسها من وراء الستر فقالت يا أمير المؤمنين أبقى شيء من الدنيا أتمناه
قال ألم تسألني عن هذا مرة فأعلمتك فرفعت الستر وقالت هذه حباة وقامت
وخلتها عنده فخطبت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها وسعدة امرأة يزيد وهي
من آل عثمان بن عفان (قال على) عن يونس بن حبيب إن حباة جارية يزيد
ابن عبد الملك غنت يوما

بين التراقي واللهاة حرارة ما تطمئن وما تسوغ فتبرد

فأهوى ليطير فقالت يا أمير المؤمنين إن لنا فيك حاجة فرضت وثقلت فقال
كيف أنت يا حباة فلم تجبه فبكى وقال
لئن تسأل عنك النفس أو تذهل الهوى فبالياس يسلو القلب لا بالتجلد
وسمع جارية لها تمثّل

كني حزنًا بالهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

فكان يتمثل بهذا (قال عمر) قال على مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت
حباة سبعة أيام لا يخرج إلى الناس أشار عليه بذلك مسلبة وخاف أن يظهر منه
شيء يسفهه عند الناس

خلافة هشام بن عبد الملك

(وفي هذه السنة) استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان منها

وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر ٢٢٢ مثنى عمر بن شبة قال حدثني
عليّ قال حدثنا أبو محمد القرشيّ وأبو محمد الزياديّ والمنهال بن عبد الملك وسحيم
ابن حفص العجينيّ قالوا ولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب بن الزبير سنة
٧٢ وأمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله
ابن صمر بن مخزوم وكانت حمقاء أمرها أهلها أن لا تكلم عبد الملك حتى تلد وكانت
تثني الوسائد وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابة وتشترى الكندر فتعضغه
وتعمل منه تماثيل وتضع التماثيل على الوسائد وقد سميت كل تماثيل باسم جارية
وتنادى يافلانة ويافلانة فطلقها عبد الملك لحقها وسار عبد الملك إلى مصعب فقتله
فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصوراً يتفادى بذلك وسمته أمه باسم أبيها هشام
فلم ينكر ذلك عبد الملك وكان هشام يكنى أبا الوليد و ذكر محمد بن عمر عن
حدثه أن الخلافة أتت هشاماً وهو بالزيتونة في منزله في ديرة له هناك قال
محمد بن عمر وقد رأيتها صغيرة فجاءه البريد بالعصا والخاتم وسلم عليه بالخلافة
فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق (وفي هذه السنة) قدم بكير بن ماهان
من السند وكان بهامع الجنيد بن عبد الرحمن ترجمانا له فلما عزل الجنيد بن عبد الرحمن
قدم الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب فأتى أبا بكرمة الصادق
وميسرة ومحمد بن خنيس وسالم الأعين وأبا يحيى مولى بني سلة فذكروا له أمر
دعوة بني هاشم فقبل ذلك ورضيه وأنفق مامعه عليهم ودخل إلى محمد بن علي
ومات ميسرة فوجه محمد بن علي بكير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة فأقامه
مقامه (وحج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل والنضريّ
على المدينة قال الواقديّ حدثني إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال كان
إبراهيم بن هشام بن إسماعيل حج فأرسل إلى عطاء بن رباح متى أخطب بمكة قال
بعد الظهر قبل التروية يوم نخطب قبل الظهر وقال أمرني رسول بهذا عن عطاء
فقال عطاء ما أمرته إلا بعد الظهر قال فاستحي إبراهيم بن هشام يومئذ وعدوه
منه جهلاً (وفي هذه السنة) عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هيرة عن العراق
وما كان إليه من عمل المشرق وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسريّ في

شوال ه ذكر محمد بن سلام الجمحي عن عبد القاهر بن السري عن عمر بن يزيد بن عمير الأسدي قال دخلت على هشام بن عبد الملك وعنده خالد بن عبد الله القسري وهو يذكر طاعة أهل اليمن قال فصفقت تصفيقة يدي دق الهواء منها فقلت تالله ما رأيت هكذا خطأ ولا مثله خطأً والله ما فتحت فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب قال فلما قتلت تبغى رجل من آل مروان كان حاضراً فقال يا أخا بني تميم ورت بك زنادي قد سمعت مقاتلك وأمير المؤمنين مول خالدا العراق وليست لك بداره ذكر عبد الرزاق أن حماد بن سعيد الصنعاني قال أخبرني زياد بن عبيد الله قال أتيت الشام فاقترضت فينا أنا يوماً على الباب باب هشام إذ خرج علي رجل من عند هشام فقال لي ممن أنت يا فتى قلت يمان قال فمن أنت قلت زياد بن عبيد الله ابن عبد المدان قال فتبسم وقال قم إلى ناحية العسكر فقل لأصحابي ترتحلوا فإن أمير المؤمنين قد رضى عني وأمرني بالمسير ووكل بي من يخرجني قال قلت من أنت يرحمك الله قال خالد بن عبد الله القسري قال ومُرهم يا فتى أن يعطوك منديل ثيابي وبرذوني الأصفر فلما جُزئت قليلاً ناداني فقال يا فتى وإن سمعت بي قد وليت إلى العراق يوماً فألحق بي قال فذهبت إليهم فقلت إن الأمير قد أرسلني إليكم بأن أمير المؤمنين قد رضى عنه وأمره بالمسير فجعل هذا يحتضني وهذا يقبل رأسي فلما رأيت ذلك منهم قلت وقد أمرني أن تعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر قالوا إي والله وكرامة قال فأعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر فما أمسى بالعسكر أحد أجود ثياباً مني ولا أجود مركباً مني فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل قد ولي خالد العراق فركبني من ذلك هم فقال لي عريف لنا مالي أراك مهموماً قلت أجل قد ولي خالد كذا وكذا وقد أصبت ههنا رزيقاً عشت به وأخشى أن أذهب إليه فيتغير علي فيفوتني ههنا وههنا فاستأدري كيف أصنع فقال لي هل لك في خصلة قلت وما هي قال توكلني بأرزاقك وتخرج فإن أصبت ما تحب فلي أرزاقك

والأرجعت فدفعها إليك فقلت نعم وخرجت فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي وأذن للناس فتركتهم حتى أخذوا بمجالسهم ثم دخلت فقممت بالباب فسلمت ودعوت وأثنت فرفع رأسه فقال أحسنت بالرحب والسعة فما رجعت إلى منزلي حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض ثم كنت أختلف إليه فقال لي يوما هل تكتب يا زياد فقلت أقرأ ولا أكتب أصلح الله الأمير فضرب بيده على جبينه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر قال قلت أيها الأمير هل في تلك الواحدة ثمن غلام قال وماذا حينئذ قلت تشتري غلاما كاتباً تبعث به إلي فيعلمني قال هيئات كبرت عن ذلك قال قلت كلا فاشترى غلاما كاتباً حاسباً بستين ديناراً فبعث به إلي فأكتب علي الكتاب وجعلت لا آتية إلا ليلاً فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ماشئت وقرأت ماشئت قال فاني عنده ليلة إذ قال ما أدرى هل أنجحت من ذلك الأمر شيئاً قلت نعم أكتب ماشئت وأقرأ ماشئت قال إني أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك قلت كلا فرفع شاد كونه فاذا طومار فقال اقرأ هذا الطومار فقرأت ما بين طرفيه فاذا هو من عامله على الري فقال أخرج فقد وليتك عمله فخرجت حتى قدمت الري فأخذت عامل الخراج فأرسل إلي أن هذا أعرابي مجنون فان الأمير لم يول على الخراج عريياً قط وإنما هو عامل المعونة فقل له فليقرني على عملي وله ثلثمائة ألف قال فنظرت في عهدي فاذا أنا على المعونة فقلت والله لا انكسرت ثم كتبت إلى خالد إنك بعثتني على الري فظننت أنك جمعتها لي فأرسل إلي صاحب الخراج أن أقره على عمله ويعطيني ثلثمائة ألف درهم فكتب إلي أن أقبل ما أعطاك واعلم أنك مغبون فأقمت بها ما أقمت ثم كتبت أني قد اشتقت إليك فارفعني إليك ففعل فلما قدمت عليه ولاني الشرطة وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وقد قيل إن هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسري على العراق وخراسان

في سنة ١٠٦ وأن عامله على العراق وخراسان في سنة ١٠٥ كان عمر بن هبيرة

ثم دخلت سنة ست ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

(ففي هذه السنة) عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضريّ وعن مكة والطائف وولى ذلك كله خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزوميّ فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من جمادى الآخرة سنة ١٠٦ فكانت ولاية النضريّ على المدينة سنة وثمانية أشهر (وفيها) غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة (وفيها) غزا الحجاج بن عبد الملك اللان فصالح أهلها وأدوا الجزية (وفيها) ولد عبد الصمد بن عليّ في رجب (وفيها) مات الإمام طاووس مولى بجير بن ريسان الحميري بمكة وسالم بن عبد الله بن عمر فصلى عليهما هشام وكان موت طاووس بمكة وموت سالم بالمدينة ٢٢٠ هـ حدثني الحارث قال حدثنا بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال مات سالم بن عبد الله سنة ١٠٥ في عقب ذي الحجة فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبقيع فرأيت القاسم بن محمد بن أبي بكر جالساً عند القبر وقد أقبل هشام ماعليه إلا درّاعة فوقف على القاسم فسلم عليه فقام اليه القاسم فسأله هشام كيف أنت يا أبا محمد كيف حالك قال بخير قال اني أحب والله أن يجعلكم بخير ورأى في الناس كثرة فضرب عليهم بعث أربعة آلاف فسمى عام الأربعة آلاف (وفيها استقضى ابراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله واستقضى الصلت الكندي (وفي هذه السنة) كانت الوقعة التي كانت بين المضرية واليمانية وربيعة بالبروقان من أرض بلخ (ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة)

وكان سبب ذلك فيما قيل أن مسلم بن سعيد غزا فقطع النهر وتباطأ الناس عنه وكان ممن تباطأ عنه البختری بن درهم فلما أتى النهر رد نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبري وأبا حفص بن وائل الخنظليّ

وعقبة بن شهاب المازني وسالم بن ذؤابة إلى بلخ وعليهم جميعا نصر بن سيار وأمرهم أن يخرجوا الناس إليه فأحرق نصر باب البختري وزياد بن ظريف الباهلي فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ وكان عليها وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البروقان فأتاه أهل صغانيان وأتاه مسلمة العُقفاني من بني تميم وحسان ابن خالد الأسدي كل واحد منهما في خمسمائة وأتاه سنان الأعرابي وزرعة ابن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النيري في أهل بيته وتجمعت بكر والأزد بالبروقان رأسهم البختري وعسكر بالبروقان على نصف فرسخ منهم فأرسل نصر إلى أهل بلخ قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأمركم فقد قطع النهر فخرجت مضرا إلى نصر وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو بن مسلم وقال قوم من ربيعة إن مسلم بن سعيد يريد أن يخلع فهو يكرهنا على الخروج فأرسلت تغلب إلى عمرو بن مسلم إنك منا وأنشدته شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تغلب وكان بنو قتيبة من باهلة فقالوا إنا من تغلب فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب فتكثر تغلب فقال رجل منهم

زَعَمْتُ قَتِيْبَةً أَنَا مِنْ وَائِلٍ نَسَبَ بَعِيدُ يَاقَتِيْبَةُ فَاصْعَدِي

وذكر أن بني معن من الأزد يُدْعَوْنَ باهلة وذكر عن شريك بن أبي قيلة المعنى أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بني معن فيقول لئن لم نكون منكم ما نحن بعرب وقال عمرو بن مسلم حين عزاه التغلبي إلى بني تغلب أما القرابة فلا أعرفها وأما المنع فإني سأمنعكم فسفر الضحاك بن مزاحم ويزيد بن الفضل الحُداني وكلما نصراً وناشداه فانصرف فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختري على نصر ونادوا يال بكر وجالوا وكر نصر عليهم فكان أول قتييل رجل من باهلة ومع عمرو ابن مسلم البختري وزياد بن طريف الباهلي فقتل من أصحاب عمرو بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلاً وقتل كردان أخو القُرافِصَةِ ومُسْعَدَةُ ورجل من بكر ابن وائل يقال له إسحاق سوى من قتل في السكك وانهمزم عمرو بن مسلم إلى القصر وأرسل إلى نصر ابعث إلى بلعاء بن مجاهد فأتاه بلعاء فقال خذني أماناً منه فآمنه

نصر وقال لولا أني أشمت بك بكر بن وائل لقتلتك ٥ وقيل أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة فأتوا به نصرأ في عنقه جبل فآمنه نصر وقال له ولزياد بن طريف والبختری ابن درهم الحقوا بأمركم ٥ وقيل بل التقى نصر و عمرو بالبروقان فقتل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون فقالت بكر علام نقاتل إخواننا وأميرنا وقد قربنا إلى هذا الرجل فأنكر قرابتنا فاعزلوا وقاتلت الأزد ثم انهزموا ودخلوا حصنا فحصرهم نصر ثم أخذ عمرو بن مسلم والبختری أحد بني عباد وزیاد بن طريف الباهلي فضربهم نصر مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح وقيل أخذ البختری في غيضة كان دخلها فقال نصر في يوم البروقان

أَرَى الْعَيْنَ لَجَّتْ فِي ابْتِدَارِ وَمَا الَّذِي	يَرُدُّ عَلَيْهَا بِالْدموعِ ابْتِدَارُهَا
فَا أَنَا بِالْوَأَى إِذِ الْحَرْبُ شَمَّرَتْ	تَحَرَّقُ فِي شَطْرِ الْخَيْسِ نَارُهَا
وَلَكِنِّي أَدْعُو لَهَا خِنْدِفَ التِّي	تَطْلُعُ بِالْعَبءِ الثَّقِيلِ فَقَارُهَا
وَمَا حَفِظْتُ بِكَرٍّ هُنَاكَ حِلْفُهَا	فَصَارَ عَلَيْهَا عَارُ قَيْسٍ وَعَارُهَا
فَإِنْ تَكُ بِكَرٍّ بِالْعِرَاقِ تَسْزَرْتُ	فَنِي أَرْضَ مَرَوْ عَلَهَا وَأَزُورَارُهَا
وَقَدْ جَرَّبْتُ يَوْمَ الْبَرُوقَانِ وَقَعَةً	لِخِنْدِفٍ إِذْ حَانَتْ وَأَنْ بَوَارُهَا
أَتَتْنِي لِقَيْسٍ فِي بَجِيلَةٍ وَقَعَةً	وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ طَالَ اتِّظَارُهَا

يعني حين أخذ يوسف بن عمر خالداً وعياله ٥ وذكر علي بن محمد أن الوليد ابن مسلم قال قاتل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو فقال لرجل من بني تميم كان معه كيف ترى أستاذ قومك يا أخا بني تميم يعيره بهزيمتهم ثم كرت تميم فهزموا أصحاب عمرو فأنجلى الراجح وبلغاء بن مجاهد في جمع من بني تميم يسلهم فقال التيمي لعمرو هذه أستاذ قومي قال وانهزم عمرو فقال بلغاء لأصحابه لا تقتلوا الأسرى ولكن جردوهم وجوبوا سراويلاتهم عن أديبارهم ففعلوا فقال يان العنبري يذكر حربهم بالبروقان

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً	لِأَلِ تَمِيمٍ أَرْجَفَتْ كُلَّ مُرْجَفٍ
أَظَلُّ عُيُونَ الْبُرْشِ بِكَرٍ بِنِ وَايِل	إِذَا ذُكِرَتْ قَتْلَى الْبَرُوقَانِ تَذْرِفُ

فَمُ أَسْلَمُوا لِلْمَوْتِ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ وَوَلَوْا شِلَالاً وَالْأَسَنَةُ تَرْغُفُ
وَكَانَتْ مِنَ الْفَتَيَانِ فِي الْحَرْبِ عَادَةً وَلَمْ يَصْبِرُوا عِنْدَ الْقَنَا الْمُتَقَصِّفِ
(وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ) غَزَا مُسْلِمُ بْنُ سَعِيدٍ التُّرْكُ فَوْرَدَ عَلَيْهِ عِزْلَهُ مِنْ خِرَاسَانَ
مِنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَدْ قَطَعَ النَّهْرَ لِحَرْبِهِمْ وَوَلَايَةُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهَا

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ غَزْوَةِ مُسْلِمِ بْنِ سَعِيدٍ هَذِهِ الْغَزْوَةَ

• ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَشْيَاخِهِ أَنَّ مُسْلِمًا غَزَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَنَظَرَ النَّاسَ
فِي مِيدَانِ يَزِيدٍ وَقَالَ مَا أَخْلَفَ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ قَوْمٍ يَتَخَلَفُونَ بَعْدِي مَخْلَفِي
الرِّقَابَ يَتَوَاتَبُونَ الْجُدْرَانَ عَلَى نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ اللَّهُمَّ أَفْعَلْ بِهِمْ وَأَفْعَلْ وَقَدْ أَمَرْتُ
نَصْرًا أَلَا يَجِدُ مَتَخَلَفًا لِإِقْتَلِهِ وَمَا أَرْتِي لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ يَنْزِلُهُ اللَّهُ بِهِمْ يَعْنِي عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ
وَأَصْحَابَهُ فَلَمَّا صَارَ بِيَخَارَى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بِوَلَايَتِهِ عَلَى
الْعِرَاقِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَتَمِّمْ غَزَاكَ فَسَارَ إِلَى فَرَاغَةَ فَقَالَ أَبُو الضُّحَّاكِ الرَّوَاحِيُّ
أَحَدُ بَنِي رَوَاحَةَ مِنْ بَنِي عَبَسَ وَعَدَّادِهِ فِي الْأَزْدِ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْحِسَابِ لَيْسَ عَلَى
مَتَخَلَفِ الْعَامِ مَعْصِيَةٍ فَتَخَلَّفَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَسَارَ مُسْلِمُ بْنُ سَعِيدٍ فَلَمَّا صَارَ بِفَرَاغَةَ
بَلَغَهُ أَنَّ خَاقَانَ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ وَأَتَاهُ شُمَيْلُ أَوْ شُبَيْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَازَنِيُّ فَقَالَ
عَايَلْتُ عَسْكَرَ خَاقَانَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُرْمَانِيِّ
مَوْلَى بَنِي سَلِيمٍ فَأَمَرَهُ بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَسِيرِ فَلَمَّا أَصْبَحَ ارْتَحَلَ بِالْعَسْكَرِ فَسَارَ ثَلَاثَ
مَرَاهِلَ فِي يَوْمٍ ثُمَّ سَارَ مِنْ غَدْحَتِي قَطَعَ وَادِي السَّبُوحِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ خَاقَانٌ وَتَوَافَتْ
إِلَيْهِ الْخَيْلُ فَأَنْزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَوْمًا مِنَ الْعُرَفَاءِ وَالْمَوَالِي فَأَغَارَ التُّرْكُ
عَلَى الَّذِينَ أَنْزَلَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ فَقَتَلُوهُمْ وَأَصَابُوا دَوَابَّ بِلِسْلَمٍ وَقَتَلَ
الْمُسَيْبُ بْنُ بَشَرَ الرِّيَّاحِيَّ وَقَتَلَ الْبِرَاءُ وَكَانَ مِنْ فَرَسَانَ الْمُهَاجِرِينَ وَقَتَلَ أَخُو غُوزَكِ
وَنَارَ النَّاسَ فِي وَجُوهِهِمْ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْعَسْكَرِ وَدَفَعَ مُسْلِمٌ لَوَاءَهُ إِلَى عَامِرِ بْنِ
مَالِكِ الْحَمَّانِيِّ وَرَحَلَ بِالنَّاسِ فَسَارُوا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ وَهُمْ مُطِيفُونَ بِهِمْ فَلَمَّا كَانَتْ
اللَّيْلَةُ الثَّمَانِيَّةُ أَرَادَ النَّزُولَ فَشَاوَرَ النَّاسَ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالنَّزُولِ وَقَالُوا إِذَا
أَصْبَحْنَا وَرَدْنَا الْمَاءَ وَالْمَاءُ مِنْهُ غَيْرُ بَعِيدٍ وَإِنَّكَ إِنْ نَزَلْتَ الْمَرْجَ تَفَرِّقُ النَّاسَ فِي
الثَّمَارِ وَانْتَهَبَ عَسْكَرُكَ فَقَالَ لِسُورَةِ بْنِ الْحَرِّ يَا أَبَا الْعَلَاءِ مَا تَرَى قَالَ أَرَى مَا أَرَى

الناس ونزلوا قال ولم يرفع بناء في العسكر وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والامتعة فحرقوا قيمة ألف ألف وأصبح الناس فساروا فوردوا الماء فإذا دون النهر أهل فرغانة والشاش فقال مسلم بن سعيد اعزم على كل رجل إلا اخترط سيفه ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفاً فتركوا الماء وعبروا فأقام يوماً ثم قطع من غد وأتبعهم ابن الخاقان قال فأرسل حميد بن عبد الله وهو على الساقة إلى مسلم قف ساعة فإن خلني مائتي رجل من الترك حتى أقاتلهم وهو مشغل جراحة فوقف الناس فعطف على الترك فأسر أهل السغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة وانصرف البقية ومضى حميد ورُمى بنشابة في ركبته فمات وعطش الناس وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامري حمل عشرين قرية على إبله فلما رأى جهد الناس أخرجهما فشربوا جُرعا واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوه بإناء فأخذه جابر أو حارثة بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه فقال مسلم دعوه فلما نازعني شربتي إلا من حر دَخَله فأتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم فأتياه بعهدده على خراسان من أسد ابن عبد الله فأقرأه عبد الرحمن مسلماً فقال سمعاً وطاعة قال وكان عبد الرحمن أول من اتخذ الخيام في مفازة آمل قال وكان أعظم الناس غنى يوم العطش إسحاق ابن محمد الغداني فقال حاجب الفيل لثابت قطنة وهو ثابت بن كعب

نَقَضِيَ الْأُمُورَ وَبَكَرْتُ غَيْرُ شَاهِدِهَا بَيْنَ الْمَجَازِيفِ وَالسُّكَّانِ مَشْغُولُ
مَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قَطْنَتِهِ وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْآبَاءِ بِمَجْهُولُ

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نعيم وشديد وعبد السلام وإبراهيم والمقداد وكان أشدهم نعيم وشديد فلما عزل مسلم بن سعيد قال الخزرج التغلبي قاتلنا الترك فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك فنظرت إليهم وقد اصفرت وجوههم لحمل حوثة بن يزيد بن الحر بن الحنيف بن نصر بن يزيد ابن جعونة على الترك في أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم رجع وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارساً فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم وحمل الناس عليهم فانهزم

الترك قال وحوثة هذا هو ابن أخي رقة بن الحر قال وكان عمر بن هبيرة قال
لمسلم بن سعيد حين ولاه خراسان ليكن حاجبك من صالح مواليك فإنه لسانك
والمعبر عنك وحث صاحب شرطتك على الأمانة وعليك بعمال العذر قال وما
عمال العذر قال أمر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم فإذا اختاروا رجلا فوله
فإن كان خيرا كان لك وإن كان شرا كان لهم دونك وكنت معذورا قال وكان
مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هبيرة أن يوجه إليه توبة بن أبي أسيد مولى بني العنبر
فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة أحمل إلى توبة بن أبي أسيد فحمله فقدم وكان
رجلا جميلا جهيرا له سميت فلما دخل على ابن هبيرة قال ابن هبيرة مثل هذا
فليول ووجه به إلى مسلم فقال له مسلم هذا خاتمي فاعمل برأيك فلم يزل معه حتى
قدم أسد بن عبد الله فأراد توبة أن يشخص مع مسلم فقال له أسد أقم معي فأنا
أحوج إليك من مسلم فأقام معه فأحسن إلى الناس وألان جانبه وأحسن إلى الجند
وأعطاهم أرزاقهم فقال له أسد حلفهم بالطلاق ولا يتخلف أحد عن مغزاه
ولا يدخل بديلا فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق قال وكان الناس بعد توبة
يحلفون الجند بتلك الأيمان فلما قدم عاصم بن عبد الله أراد أن يحلف الناس
بالطلاق فأبوا وقالوا نحلف بأيمان توبة قال فهم يعرفون ذلك يقولون أيمان
توبة (وحي) بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن
ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره
لا خلاف بينهم في ذلك قال الواقدي حدثني ابن أبي الزناد عن أبيه قال كتب إلى
هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لي سنن الحج فكتبها له
وتلقاه أبو الزناد قال أبو الزناد فإني يومئذ في الموكب خلفه وقد لقيه سعيد بن
عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان وهشام يسير فنزل له فسلم عليه ثم سار
إلى جنبه فصاح هشام أبو الزناد فتقدمت فسرت إلى جنبه الآخر فأسمع سعيدا
يقول يا أمير المؤمنين إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر
خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب فأمر المؤمنين

يلبغى له أن يلعنه في هذه المواطن الصالحة قال فشقّ على هشام وثقل عليه كلامه ثم قال ما قدمنا لثتم أحد ولا للعه قدمنا حجاجا ثم قطع كلامه وأقبل على فقال يا عبد الله بن ذكوان فرغت مما كتبت إليك فقلت نعم فقال أبو الزناد وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام فرأيته منكسرا كلما رأى (وفي هذه السنة) كلم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك وهشام واقف قد صلى في الحجر فقال له أسألك بالله وبجرمة هذا البيت والبلد الذي خرجت معظما لحقه إلا رددت على ظلامي قال أي ظلامة قال داري قال فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك قال ظلمني والله قال فعن الوليد بن عبد الملك قال ظلمني والله قال فعن سليمان قال ظلمني قال فعن عمر بن عبد العزيز قال يرحمه الله ردها والله على قال فعن يزيد بن عبد الملك قال ظلمني والله هو قبضها مني بعد قبض لها وهي في يدك قال هشام أما والله لو كان فيك ضرب لضربتك فقال إبراهيم في والله ضرب بالسيف والسوط فانصرف هشام والابرش خلفه فقال أبا جاشع كيف سمعت هذا اللسان قال ما أجود هذا اللسان قال هنه قریش وأسفتها ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا (وفي هذه السنة) قدم خالد ابن عبد الله القسري أميراً على العراق (وفيها) استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً على خراسان فقدمها ومسلم بن سعيد غاز بفرغانة فذكر عن أسد أنه لما أتى النهر ليقطع منعه الأشهب بن عبيد التيمي أحد بني غالب وكان على السفن بآمل فقال له أسد اقطعني فقال لا سبيل إلى إقطاعك لأنني نهيت عن ذلك قال لا طفوه وأطعموه فأبى قال فإني الأمير ففعل فقال أسد اعرفوا هذا حتى نشركه في أمانتنا ففقطع النهر فأتى السغد فنزل مرجها وعلى خراج سمرقند هاني بن هاني فخرج في الناس يتلقى أسدا فأتوه بالمرج وهو جالس على حجر فتفاءل الناس فقالوا أسد على حجر ما عند هذا خير فقال له هاني أقدمت أميراً فنفعل بك ما نفعل بالأمراء قال نعم قدمت أميراً ثم دعا بالغداء فتغدى بالمرج وقال من ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهما ويقال قال ثلاثة عشر درهما وهاني في كمي وإنه ليسكي ويقول إنما

أنا رجل مثلكم وركب فدخل سمرقند وبعث رجلين معهما يهدد عبد الرحمن بن نعيم على الجند فقدم الرجلان على عبد الرحمن بن نعيم وهو في وادي افشين على الساقة وكانت الساقة على أهل سمرقند الموالي وأهل الكوفة فسألا عن عبد الرحمن فقالوا هو في الساقة فأتياه بعهده وكتاب بالقفل والاذن لهم فيه فقرأ الكتاب ثم أتى به مسلماً وبعده فقال مسلم سمعاً وطلعة فقام عمرو بن هلال السدوسي ويقال التيمي فقتله سوطين لما كان منه بالبروقان إلى بكر بن وائل وشتمة حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز فغضب عبد الرحمن بن نعيم فزجرهما ثم أغلظ لهما وأمر بهما فدفعاً وقفل بالناس وشخص معه مسلم فذكر علي بن محمد عن أصحابه أنهم قدموا على أسد وهو بسمرقند فشخص أسد إلى مرو وعزل هاتنا واستعمل على سمرقند الحسن بن أبي العمرة الكندي من ولد آكل المزار قال فقدمت على الحسن امرأته الجنوب ابنة القعقاع بن الأعلم رأس الأزد ويعقوب بن القعقاع قاضي خراسان فخرج يتلقاها وغزاها الترك فقبل له هؤلاء الترك قد أتوك وكانوا سبعة آلاف فقال ما أتونا بل أتيناكم وغلبناكم على بلادكم واستعبدناكم وإيم الله مع هذا لادينكم منهم ولا قرن نواصي خيلكم بنواصي خيلهم قال ثم خرج قباطاً حتى أغاروا وانصرفوا فقال الناس خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعاً وخرج إلى العدو متباطئاً فبلغه فخطبهم فقال تقولون وتعيون اللهم أقطع آثارهم وجعل أقدارهم وأنزل بهم الضراء وارفع عنهم السراء فشتمة الناس في أنفسهم وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قطنة فخطب الناس فحصر فقال من يطع الله ورَسُوله فقد ضل وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة فلما نزل عن المنبر قال :

إِنْ لَمْ أَكُنْ فَكُمْ خَطِيئًا فَإِنِّي بَسِيئٌ إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لِحَطِيبٍ

فقبل له لوقلت هذا على المنبر لكنت خطيئاً فقال حاجب الفيل اليشكري يعبره حصره

أَبَا الدَّلَاءِ لَقَدْ لَاقَيْتَ مُعْضِلَةً يَوْمَ الْعَرُوبَةِ مِنْ كَرْبٍ وَتَخْنِيقِ

تَلَوَى اللِّسَانَ إِذَا رُمِيَ الْكَلَامَ بِهِ كَمَا هَوَى زَلَقٌ مِنْ شَاهِقِ النَّيْقِ

لَمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ النَّاسِ ضَاحِيَةً أَنْشَأَتْ تَجَرُّضُ لَمَّا قَتَ بِالرِّيقِ

أَمَّا الْقُرْآنُ فَلَا تُهْدَى لِمُحْكَمَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا تُهْدَى لِتَوْفِيقٍ
 (وفي هذه السنة) ولد عبد الصمد بن علي في رجب وكان العامل على المدينة
 ومكة والطائف في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي وعلى العراق وخراسان
 خالد بن عبد الله القسري وعامل خالد على صلاة البصرة عقبة بن عبد الأعلى وعلى
 شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وعلى
 خراسان أسد بن عبد الله

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عباد الرُّعَيْنِيَّ بِالْبَيْنِ مُحْكَمًا فَقَتَلَهُ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو قَتَلَ
 مَعَهُ أَصْحَابَهُ كُلَّهُمْ وَكَانُوا ثَلَاثُمِائَةً (وفيها) غزا الصائفة معاوية بن هشام وعلى جيش
 الشام ميمون بن مهران فقطع النهر حتى عبر إلى قُبْرُسَ وخرج معهم البعث الذي كان
 أمر به في حجته سنة ٦ فقدموا في سنة ٧ على الجعائل غزا منهم نصفهم وأقام النصف
 وغزا البرّ مسلّة بن عبد الملك (وفيها) وقع بالشام طاعون شديد (وفيها) وجه
 بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادي في عدة
 من شيعتهم معهم زياد خال الوليد الأزرق دُعاة إلى خراسان فجاء رجل من كندة
 إلى أسد بن عبد الله فوشى بهم إليه فأتى بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه
 ونجا عمار فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم وصلبهم فأقبل عمار إلى بكير
 ابن ماهان فأخبره الخبر فكتب به إلى محمد بن علي فأجابه الحمد لله الذي صدق
 مقاتلكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل (وفي هذه السنة) حمل مسلم بن
 سعيد إلى خالد بن عبد الله وكان أسد بن عبد الله له مكرًا ما بخراسان لم يعرض له
 ولم يحبسّه فقدم مسلم وابن هبيرة فجمع على الحرب فنهاه عن ذلك مسلم وقال له
 إن القوم فينا أحسن رأيًا منكم فيهم (وفي هذه السنة) غزا أسد جبال نمرون
 ملك الغرّشستان مما يلي جبال الطالقان فصالحه أنمرؤن وسلم على يديه فهم اليوم

يتولون اليمن (وفيها) غزا أسد الغرر وهي جبال هراة

ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن أسدا غزا الغرر فعمد أهلها إلى أنقاعهم
فصبروها في كهف ليس إليه طريق فأمر أسد باتخاذ توايت ووضع فيها الرجال
ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه فقال ثابت قطنة

أَرَى أَسَدًا تَضَمَّنَ مُفْطَعَاتِ	تَهَيَّبَهَا الْمُلُوكُ ذَوُو الْحِجَابِ
سَمَّا بِالْخَيْلِ فِي أَكْنَفٍ مَرَوْ	وَتَوَفَّزُهُنَّ بَيْنَ هَلَا وَهَابِ
إِلَى غُورَيْنِ حَيْثُ حَوَى أَزَبٌ	وَصَكَّ بِالسُّيُوفِ وَبِالْحِرَابِ
هَذَا أَنَا اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا	مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشَّعَابِ
مَلَا حِمُّ لَمْ تَدْعُ لِسِرَاقِ كَلْبٍ	مُهَاتِرَةً وَلَا لِبَنِي كِلَابِ
فَأَوْرَدَهَا النَّهَابَ وَآبَ مِنْهَا	بِأَفْضَلِ مَا يَصَابُ مِنَ النَّهَابِ
وَكَانَ إِذَا أَنَاخَ بِدَارِ قَوْمٍ	أَرَاهَا الْمُخْزِيَاتِ مِنَ الْعَذَابِ
أَلَمْ يُزِرِ الْجِبَالَ جِبَالٌ مُلَعٌ	تَرَى مِنْ دُونِهَا قِطْعَ السَّحَابِ
بَارِعَنَ لَمْ يَدْعُ لَهُمْ شَرِيدًا	وَعَاقَبَهَا الْمُمِضُّ مِنَ الْعِقَابِ

وملع من جبال خوط فيها تعمل الحزم الملعية (وفي هذه السنة) نقل أسد
من كان بالبروقان من الجند إلى بلخ فأقطع كل من كان له بالبروقان مسكن مسكنا
بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنا وأراد أن ينزلهم على الأخماس
فقليل له إنهم يتعصبون فخلط بينهم وكان قسم لعمارة مدينة بلخ الفعلة على كل
كورة على قدر خراجها وولى بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك وكان البروقان
منزل الأمراء وبين البروقان وبين بلخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غلوتين

فقال أبو البريد في بليان أسد مدينة بلخ

شَفَفْتُ فَوَادِكَ فَالْهَمَى لَكَ شَاعِفُ	رِثْمٌ عَلَى طِفْلِ بِحَوْمَلٍ عَاطِفُ
تَرَعَى الْبَرِيرَ بِجَانِبِي مُتَهَدِّلُ	رِيَّانٌ لَا يَعْشُو إِلَيْهِ آلُفُ
بِمَحَاضِرٍ مِنْ مُنْحَنَى عَاطَفَتْ لَهُ	بَقَرٌ تَرَجَّحُ زَانَتُنْ رَوَادِفُ

إِنَّ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي أَحْصَيْتَهَا عَصِمَ الدَّلِيلُ بِهَا وَقَرَّ الْخَائِفُ
فَأَرَاكَ فِيهَا مَا رَأَى مِنْ صَالِحٍ فَتَحَّا وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ رَوَّاعِفُ
فَفَضَى لَكَ الْإِسْمُ الَّذِي يَرْضَى بِهِ عَنْكَ الْبَصِيرُ بِمَا نَوَيْتَ اللَّاطِفُ
يَا خَيْرَ مَلِكٍ سَاسَ أَمْرَ رَعِيَّةٍ إِنِّي عَلَى صِدْقِ الْيَمِينِ لِحَالِفُ
اللَّهُ آمَنَهَا بِصُنْعِكَ بَعْدَمَا كَانَتْ قُلُوبٌ تَخُوفُهُنَّ رَوَّاجِفُ

(وحي) بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام حدثني بذلك أحمد بن ثابت
عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وهشام
وغيرهما وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل في سنة ١٠٦

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

(ففيها) كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية مدينة الروم مما
على الجزيرة ففتحها الله على يديه (وفيها) أيضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح أيضا
حصنا من حصون الروم (وفيها) وجه بكير بن ماهان إلى خراسان عدّة فهم
عمار العبادي فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله فأخذ عمارا فقطع يديه ورجليه
ونجا أصحابه فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر فكتب بذلك إلى محمد بن
علي فكتب إليه في جواب الكتاب الحمد لله الذي صدّق دعوتكم ونجى شيعتكم
(وفيها) كان الحريق بدابق فذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن نافع حدثه عن
أبيه قال احترق المرعى حتى احترق الدواب والرجال (وفيها) غزا أسد بن عبد الله
الختل فذكر عن علي بن محمد أن خاقان أتى أسدا وقد انصرف إلى القواديان
وقطع النهر ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة وذكر عن أبي عبيدة أنه قال بل
هزموا أسدا وفضحوه فتغنى عليه الصبيان

أَزْخْتَلَانُ آمِدِي رُوتَبَاهُ آمِدِي

قال وكان السبل محاربا له فاستجلب خاقان وكان أسد قد أظهر أنه يشتوب سُرخ درة

فأمر أسد الناس فارتحلوا ووجه راياته وسار في ليلة مظلمة إلى سرخ دره فكبر فقطع الناس فقال أسد ما للناس قالوا هذه علامتهم إذا قفلوا فقال لعروة المنادي ناد إن الأمير يريد غورين ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فلم يلتق هو ولا هم ورجع إلى بلخ فقال الشاعر في ذلك يمدح أسد بن عبد الله
نَدَيْتُ لِي مِنْ كُلِّ نَحْسٍ أَلْفَيْنِ مِنْ كُلِّ لَحَافٍ عَرِيضٍ الدَّفَيْنِ

قال ومضى المسلمون إلى الغوريان فقاتلوه يوماً وصبروا لهم وبرز رجل من المشركين فوقف أمام أصحابه وركز رمحاً وقد أعلم بعصاة خضراء وسلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيار فقال سلم لنصر قد عرفت رأي أسد وأنا حامل على هذا العليج فلعل أن أقتله فيرضى فقال شأنك فحمل عليه فساختلج رمحاً حتى غشيه سلم فطعنه فاذا هو بين يدي فرسه ففحص برجله فرجع سلم فوقف فقال لنصر أنا حامل حملة أخرى فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدو فاختلفا ضربتين فقتله سلم فرجع سلم جريحاً فقال نصر لسلم قف لي حتى أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدو فصرع رجلين ورجع جريحاً فوقف فقال أترى ما صنعنا برضيه لا أرضاه الله فقال لا والله فيما أظن وأتاها رسول أسد فقال يقول لكما الأمير قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين لعنكما الله فقالا آمين إن عدنا لمثل هذا وتحاجزوا يومئذ ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا وقال بعضهم رجع أسد في سنة ١٠٨ مفلولاً من الحتل فقال أهل خراسان

أَزْخْتَلَانَ آمَذَى بِرَوْتَبَاهِ آمَذَى بِيَدَلِ فَرَّازِ آمَذَى

قال وكان أصاب الجند في غزاة الحتل جوع شديد فبعث أسد بكباشين مع غلام له وقال لا تبغهما بأقل من خمسمائة فلما مضى الغلام قال أسد لا يشتريهما إلا ابن الشيخير وكان في المسلحة فدخل ابن الشيخير حين أمسى فوجد الشاتين في السوق فاشتراهما بخمسمائة فذبح إحداها وبعث بالآخرى إلى بعض إخوانه

فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة فبعث إليه أسد بألف درهم قال وابن الشخير هو عثمان بن عبد الله بن الشخير أخو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي (وحج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي (وكان) العمال في هذه السنة على الأمصار في الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البحر وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصنها يقال له طيبة وأصيب معه قوم من أهل انطاكية (وفيها) قتل عمر بن يزيد الأسدي قتله مالك بن المنذر بن الجارود

ذكر الخبر عن ذلك

وكان سبب ذلك فيما ذكر أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب فأعجب به يزيد بن عبد الملك وقال هذا رجل العراق فغاض ذلك خالد فأمر مالك بن المنذر وهو على شرطة البصرة أن يعظم عمر بن يزيد ولا يعصى له أمراً حتى يعرفه الناس ثم أقبل يعتل عليه حتى يقتله ففعل ذلك فذكر يوماً عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فافترى عليه مالك فقال له عمر بن يزيد ففترى على مثل عبد الأعلى فأغلظ له مالك فضربه بالسياط حتى قتله وفيها غزا أسد بن عبد الله غورين وقال ثابت قطنة

أَرَى أَسَدًا فِي الْحَرْبِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ وَقَارَعَ أَهْلَ الْحَرْبِ فَازَ وَأَوْجَبَا
تَنَاولَ أَرْضَ السَّبْلِ خَاقَانُ رِدْوَهُ فَحَرَّقَ مَا اسْتَعَصَى عَلَيْهِ وَخَرَّبَا
أَتَتْكَ وَفُودُ التَّرِكَ مَا بَيْنَ كَابِلٍ وَغُورِينَ لَإِذْ لَمْ يَهْرَبُوا مِنْكَ مَهْرَبَا
فَمَا يَنْغُمُّ الْأَعْدَاءُ مِنْ لَيْثٍ غَابَةٍ أَبِي ضَارِيَاتٍ حَرَّشُوهُ فَعَقَّبَا

أَزَبَ كَانَ الْوَرَسَ فَوْقَ ذِرَاعِهِ كَرِيهَ الْمُحْيَا قَدْ أَسَنَّ وَجَرَبَا
 أَلَمْ يَكُ فِي الْحِصْنِ الْمُبَارَكِ عَصْمَةً لُجَيْدِكَ إِذْ هَابَ الْجَبَانُ وَأَرْهَبَا
 بَنَى لَكَ عَبْدُ اللَّهِ حِصْنًا وَرِثْتَهُ قَدِيمًا إِذَا عُذَّ الْقَدِيمُ وَأُنْجَبَا
 (وفي هذه السنة) عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان
 وصرف أخاه أسدا عنها

ذكر الخبر عن عزل هشام خالدا وأخاه عن خراسان
 وكان سبب ذلك أن أسداً أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس فقال أبو البريد
 فيما ذكر علي بن محمد لبعض الأزد أدخلني على ابن عمك عبد الرحمن بن صبح
 وأوصه بي وأخبره عني فأدخله عليه وهو عامل لأسد على بلخ فقال أصلح الله
 الأمير هذا أبو البريد البكري أخونا وناصرنا وهو شاعر أهل المشرق وهو
 الذي يقول

إِنْ تَنَقَّضَ الْأَزْدُ حِلْفًا كَانَ أَكْذُهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ عِبَادٌ وَتَسْعُودُ
 وَمَالِكٌ وَسُوَيْدٌ أَكْكَدَاهُ مَعَا لَمَّا تُتَجَرَّدُ فِيهَا أَيْ تَجْرِيدُ
 حَتَّى تَنَادَوْا أَتَاكَ اللَّهُ ضَاحِيَةً وَفِي الْجُلُودِ مِنَ الْإِيْقَاعِ تَقْصِيدُ
 قَالَ فَجَذَبَ أَبُو الْبَرِيدِ يَدَهُ وَقَالَ لَعَنَكَ اللَّهُ مِنْ شَفِيعِ كَذِبٍ أَصْلَحَكَ اللَّهُ
 وَلَكِنِّي الَّذِي أَقُولُ

الْأَزْدُ إِخْوَتُنَا وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا مَا بَيْنَنَا نَكْتُ وَلَا تَبْدِيلُ
 قَالَ صَدَقْتَ وَضَحَكَ وَأَبُو الْبَرِيدِ مِنْ بَنِي عِلْبَاءَ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَ
 وَتَعْصَبُ عَلَى نَصْرِ بْنِ سَيَارٍ وَنَفَرُ مَعَهُ مِنْ مَضْرُفٍ ضَرَبَهُمُ بِالسَّيَاطِ وَخَطَبَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ
 فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ قُبِحَ اللَّهُ هَذِهِ الْوُجُوهُ وَجُوهُ أَهْلِ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ وَالشُّغْبِ وَالْفُسَادِ
 اللَّهُمَّ فَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَخْرِجْنِي إِلَى مَهَاجِرِي وَوَطْنِي وَقُلْ مِنْ يَوْمٍ مَا قَبْلِي أَوْ
 يَتْرَمَرُ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَالِي وَخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخِي وَمَعِيَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ سَيْفِ يَمَانٍ
 ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَنْبَرِهِ فَلَمَّا صَلَّى وَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَأَخَذُوا بِجَالِسِهِمْ أَخْرَجَ كِتَابًا مِنْ تَحْتِ
 فِرَاشِهِ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ فِيهِ ذِكْرُ نَصْرِ بْنِ سَيَارٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمِ الْعَامِرِيِّ وَسُورَةُ

ابن الحر الاباني اُبان بن دارم والبختري بن أبي درهم من بني الحارث بن عباد فدعاهم فأنبهم فأزم القوم فلم يتسكلم منهم أحد فتسكلم سورة فذكر حاله وطاعته ومناصحته وأنه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدو مبطل وأن يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل فلم يقبل قوله وأمر بهم فجردوا فضرب عبد الرحمن بن نعيم فإذا رجل عظيم البطن أرسح فلما ضرب التوى وجعل سراويله يزل عن موضعه فقام رجل من أهل بيته فأخذ رداءه هرويا وقام ماداً ثوبه بيده وهو ينظر إلى أسد يريد أن يأذن له فيؤزره فأومى إليه أن يفعل فدنا منه فأزره ويقال بل أزره أبو نميلة وقال له انزرا بازهيران الأمير وال مؤدب ويقال بل ضربهم في نواحي مجلسه فلما فرغ قال أين تيس بن حمان وهو يريد ضربه وقد كان ضربه قبل فقال هذا تيس بن حمان وهو قريب العهد بعقوبة الأمير وهو عامر بن مالك بن مسلمة ابن يزيد بن حُجر بن خَيْسِق بن حمان بن كعب بن سعد وقيل إنه حلقهم بعد الضرب ودفعهم إلى عبدربه بن أبي صالح مولى بني سليم وكان من الحرس وعيسى ابن أبي بريق ووجههم إلى خالد وكتب إليهم أن أرادوا الوثوب عليه فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر أحدهم حلقه وكان البختري بن أبي درهم يقول لوددت أنه ضربني وهذا شهر ايعنى نصر بن سيار لما كان بينهما بالبروقان فأرسل بنو تميم إلى نصر إن شئتم انزعناكم من أيديهم فكفهم نصر فلما قدم بهم على خالد لام أسدا وعنفه وقال ألا بعثت برؤوسهم فقال عرجة التيمي

فمَكَيْفَ وَأَنْصَارُ الْخَلِيفَةِ كُلُّهُمْ عُنَاةٌ وَأَعْدَاءُ الْخَلِيفَةِ تَطْلُقُ
بَكَيْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي وَحُقَّ لِي وَأَنْصَرُّ شَأْبُ الْحَرْبِ فِي الْغَلِّ مَوْتُ

وقال نصر

بَعَثْتُ بِالْعِتَابِ فِي غَيْرِ ذَنْبٍ فِي كِتَابِ تَلُومٍ أَمْ تَمِيمٍ
إِنْ أَكُنْ مَوْثِقًا أَسِيرًا لَدَيْهِمْ فِي هُمُومٍ وَكَرْبَةٍ وَسُومٍ
رَهْنٌ قَسْرٌ فَما وَجَدْتَ بَلَاءً كَأَسَارِ الْكِرَامِ حِنْدَ اللَّثِيمِ
أَبْلَغُ الْمُدْعَى قَسْرًا وَقَسْرُ أَهْلِ عَوْدِ الْقَنَاةِ ذَاتِ الْوُصُومِ

هَلْ فِطِمْتُ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْغَدِّ رَأْمُ أَنْتُمْ كَالْحَاكِرِ الْمُسْتَدِيرِ
 ﴿وقال الفرزدق﴾

أَخَالِدُ لَوْلَا اللَّهِ لَمْ تَعُطْ طَاعَةً وَلَوْلَا بَنُو مِرْوَانَ لَمْ تَوْثِقُوا نَصْرًا
 إِذَا لِلْقَيْمِ دُونَ شَدِّ وَثَاقِهِ بَنِي الْحَرْبِ لَا كَشْفَ اللَّقَاءِ وَلَا ضَجْرًا
 وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلخ فقال في خطبته يا أهل بلخ لقبتموني
 الزاغ والله لا زيفن قلوبكم فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصية كتب هشام
 إلى خالد بن عبد الله اعزل أخاك فعزله فاستأذن له في الحج فقفل أسد إلى العراق
 ومعه دهاقين خراسان في شهر رمضان سنة ١٠٩ واستخلف أسد على خراسان
 الحكم بن عوانة الكلبي فأقام الحكم صيفية فلم يغز وذكّر علي بن محمد أن أول من
 قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بن
 عبد الله الأولى بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وقال له ادع الناس إلينا
 وانزل في اليمن والطف بمضر ونهاه عن رجل من أبرشهر يقال له غالب لأنه كان
 مفراطاً في حب بني فاطمة ويقال أول من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن علي
 حرب بن عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بلخ قال فلما قدم زياد أبو محمد
 ودعا إلى بني العباس وذكّر سيرة بني مروان وظلمهم وجعل يطعم الناس الطعام
 فقدم عليه غالب من أبرشهر فكانت بينهم منازعة غالب يفضل آل أبي طالب
 وزياد يفضل بني العباس فقارقه غالب وأقام زياد بمرور شتوة وكان يختلف إليه
 من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعي وإبراهيم بن الخطاب العدوي قال وكان ينزل
 برزن سويد الكاتب في دور آل الرقاد وكان علي خراج مرو الحسن بن شيخ فبلغه
 أمره فأخبر به أسد بن عبد الله فدعاه وكان معه رجل يكنى أبا موسى فلما نظر إليه
 أسد قال له أعرفك قال نعم قال له أسد رأيتك في حانوت بدمشق قال نعم قال
 لزياد فها هذا الذي بلغني عنك قال رفع إليك الباطل إنما قدمت خراسان في تجارة
 وقد فرقت مالي على الناس فإذا صار إلى خرجت قال له أسد اخرج عن بلادى
 فانصرف فعاد إلى أمره فعاد الحسن أسداً وعظم عليه أمره فأرسل إليه فلما

نظر إليه قال ألم أنك عن المقام بخراسان قال ليس عليك أيها الأمير مني بأس فاحفظه وأمر بقتلهم فقال له أبو موسى فاقض ما أنت قاض فازداد غضبا وقال له أنزلني منزلة فرعون فقال له ما أنزلتك ولكن الله أنزلك فقتلوا وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة فلم ينج منهم يومئذ إلا غلامان استصغرها وأمر بالباقيين فقتلوا بكشانشاه وقال قوم أمر أسد بزياد أن يخط وسطه فمد بين اثنين فضرب فنيا السيف عنه فكسبر أهل السوق فقال أسد ما هذا فقيل له لم يحك السيف فيه فأعطى أبا يعقوب سيفاً فخرج في سراويل والناس قد اجتمعوا عليه فضربه فنيا السيف فضربه ضربة أخرى فقطعه باثنتين وقال آخرون عرض عليهم البراءة فن تبرأ منهم مما رفع عليه خلى سبيله فأبى البراءة ثمانية منهم وتبرأ اثنان فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد في مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة فقال أليس هذا أسيرنا بالأمس فاتاه فقال له أسالك أن تلحقني بأصحابي فأشرفوا به على السوق وهو يقول رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً فدعا أسد بسيف بخاراً أخذه فضرب عنقه بيده قبل الاضحية بأربعة أيام ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيراً فنزل على أبي النجم فكان يأتيه الذين لقوا زياداً فيحدثهم ويدعوهم فكان على ذلك سنة أو سنتين وكان كثير أمياً فقدم عليه خدش وهو في قرية تدعى مرعم فغلب كثيراً على أمره ويقال كان اسمه عمارة فسمى خدشاً لأنه خدش الدين وكان أسد يستعمل عيسى بن شداد البرجعي إمرته الأولى في وجهه ووجهه على ثابت قطنة فغضب فهجا أسدا فقال :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَعْرِفُونَ أَبَاهُمْ	وَأَبُو بَحِيلَةَ بَيْنَهُمْ يَتَذَبَذَبُ
إِنِّي وَجَدْتُ أَبِي أَبَاكَ فَلَا تَكُنْ	إِلْبَا عَلَى مَعَ الْعَدُوِّ تُجَلِّبُ
أَرْمِي بِسَهْمِي مِنْ رِمَاكَ بِسَهْمِهِ	وَعَدُوٌّ مِنْ عَادِيَتْ غَيْرُ مَكْذَبِ
أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَلَّ عَفْوُهُ	أَهْلُ الذُّنُوبِ فَكَيْفَ مِنْ لَمْ يُذْنِبِ
أَجْعَلَنِي لِلْبُرْجِيِّ حَقِيبَةً	وَالْبُرْجِيُّ هُوَ اللَّسِيمُ الْمُحَقَّبُ
عَبْدٌ إِذَا اسْتَبَقَ الْكِرَامَ رَأَيْتُهُ	يَأْتِي سُكِينًا حَامِلًا فِي الْمَوَكِبِ

إِنِّي أَعُوذُ بِقَبْرِ كُرَيْشٍ أَن أَرَى تَبَعًا لِعَبْدٍ مِنْ تَمِيمٍ مُحَقَّبٍ
 (وفي هذه السنة) استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس
 ابن عبد الله السلي فذكر على بن محمد عن أبي الذيال العدوي ومحمد بن حمزة عن
 طرخان ومحمد بن الصلت الثقفي أن هشام بن عبد الملك عزل أسد بن عبد الله
 عن خراسان واستعمل أشرس بن عبد الله السلي عليها وأمره أن يكتب خالد
 ابن عبد الله القسري وكان أشرس فاضلا خيرا وكانوا يسمونه الكامل لفضله
 عندهم فسار إلى خراسان فلما قدمها فرحوا بقدومه فاستعمل على شرطته عميرة
 أبا أمية اليشكري ثم عزله وولى السمط واستقضى على مرو أبا المبارك الكندي
 فلم يكن له علم بالقضاء فاستشار مقاتل بن حيان فأشار عليه بمقاتل بمحمد بن زيد
 فاستقضاه فلم يزل قاضيا حتى عزل أشرس وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان
 واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهلي وتولى أشرس صغير الأمور
 وكبيرها بنفسه قال وكان أشرس لما قدم خراسان كبر الناس فرحا به فقال رجل
 لَقَدْ سَمِعَ الرَّحْمَنُ تَكْبِيرَ أُمَّةٍ غَدَاةَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمٍ إِمَامُهَا
 إِمَامٌ هُدَى قَوَى لَهُمْ أَمْرَهُمْ بِهِ وَكَانَتْ عِجَافًا مَا تُمِخُّ عِظَامُهَا
 وركب حين قدم حمرا فقال له حيان النبطي أيها الأمير إن كنت تريد أن
 تسكون والى خراسان فاركب الخيل وشد حزام فرسك والزم السوط خاصرته
 حتى تقدم النار وإلا فارجع قال ارجع إذن ولا أقتحم النار يا حيان ثم أقام
 وركب الخيل قال على وقال يحيى بن حنين رأيت في المنام قبل قدوم أشرس
 قائلا يقول أتاكم الوعر الصدر الضعيف الناهضة المشؤم الطائر فانتبهت فزعا ورأيت
 في الليلة الثانية أتاكم الوعر الصدر الضعيف الناهضة المشؤم الطائر الخائن قومه
 جفر ثم قال

لَقَدْ ضَاعَ جَيْشٌ كَانَ جَعْفَرُ أَمِيرُهُمْ فَهَلْ مِنْ تَلَافٍ قَبْلَ دَوَسِ الْقَبَائِلِ
 فَإِنْ صَرَفْتُ عَنْهُمْ بِهِ فَلَعَلَّهُ وَلَا يَكُونُوا مِنْ أَحَادِيثِ قَائِلِ
 وكان أشرس يلقب جفرا بخراسان (وحج بالناس في هذه السنة) إبراهيم

ابن هشام كذلك حدثني احمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وقال الواقدي خطب الناس ابراهيم بن هشام بمنى في هذه السنة الغد من يوم النحر بعد الظهر فقال سلوني فانا ابن الوحيد لا تسألون أحدا أعلم مني فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية أو أجابة هي أم لا ؟ فما درى أى شيء يقول له فنزل وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف ابراهيم بن هشام وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة اليزنى وعلى شرطها بلال بن أبي بردة وعلى قضائها ثمامة ابن عبد الله الأنصارى من قبل خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله

ثم دخلت سنة عشر ومائة

ذكر ما كان فيها من الاحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك سار إليهم نحو باب اللان حتى لقي خاقان في جموعه فاقتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد فهزم الله خاقان فانصرف فرجع مسلمة فسلك على مسجد ذى القرنين (وفيها) غزا فيما ذكر معاوية بن هشام أرض الروم ففتح صمالة (وفيها) غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهرى وكان على جيش البحر فيما ذكر الواقدي عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (وفي هذه السنة) دعا الأشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فأجابوا إلى ذلك فلما أسلموا وضع عليهم الجزية وطلبهم بها فنصبوا له الحرب

(ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم في ذلك) ذكر أن أشرس قال في عمله بخراسان أبغوني رجلا له ورع وفضل أو وجهه إلى من وراء النهر فيدعوهم إلى الإسلام فاشاروا عليه بأبي الصيда صالح بن طريف مولى بني ضبة فقال است بالمأهر بالفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التميمي فقال أبو الصيда اخرج على شريطة أن من أسلم لم يؤخذ منه الجزية فانما اخرج

خراسان على رؤوس الرجال قال أشرس نعم قال أبو الصيداء لأصحابه فياني أخرج
فان لم يف العمال أعتموني عليهم قالوا نعم فشخص إلى سمرقند وعليها الحسن
ابن أبي العمرطة الكندي على حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند
ومن حولها إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس فكتب غوزك
إلى أشرس ان الخراج قد انكسر فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرطة ان في
الخراج قوة للمسلمين وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وانما
دخلوا في الإسلام تعوذا من الجزية فانظر من اختن وأقام الفرائض وحسن
إسلامه وقرأسورة من القرآن فرفع عنه خراجهم ثم عزل أشرس ابن أبي العمرطة
عن الخراج وصيره إلى هانئ بن هانئ وضم إليه الأشخيد فقال ابن أبي العمرطة
لأبي الصيداء لست من الخراج الآن في شيء فدوئك هانئا والأشخيد فقام أبو الصيداء
يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم فكتب هانئ إلى الناس قد أسلموا وبنوا المساجد
فجاء دهاقين بخارى إلى أشرس فقالوا ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم
عربا فكتب أشرس إلى هانئ وإلى العمال خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه
فأعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف فنزلوا
على سبعة فراسخ من سمرقند وخرج اليهم أبو الصيداء وربيع بن عمران التيمي
والقاسم الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وبشر بن جرموز الضبي وخالد بن عبد الله
النحوي وبشر بن زبور الأزدي وعامر بن قشير أو بشيرا الخجندی وبيان
العنبري وإسماعيل بن عقبة لينصروهم قال فعزل أشرس ابن أبي العمرطة عن
الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلي وضم إليه عميرة بن سعد الشيباني
قال فلما قدم المجشر كتب إلى أبي الصيداء يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابه فقدم
أبو الصيداء رثابت قطنة فحبسهما فقال أبو الصيداء غدرتم ورجعتم عما قلتم فقال له
هانئ ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء وحمل أبا الصيداء إلى الأشرس وحبس
رثابت قطنة عنده فلما حمل أبو الصيداء اجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا
هانئا فقال لهم كفوا حتى أكتب إلى أشرس فيأتينارأيه فنعمل بأمره فكتبوا إلى

أشرس فكتب أشرس ضعوا عليهم الخراج فرجع أصحاب أبي الصيداء فضعف أمرهم فتتبع الرؤساء منهم فأخذوا وحملوا إلى مرو وبقى ثابت محبوساً وأشرك أشرس مع هاني بن هاني سليمان بن أبي السرى مولى بنى عوانة فى الخراج فألح هاني والهال فى جباية الخراج واستخفوا بعظاء العجم ووسط المجشر عميرة بن سعد على الدهاقين فأقيموا وخرقت ثيابهم وألقت مناطقهم فى أعناقهم وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء فكفرت السغد وبخارى واستجاشوا الترك فلم يزل ثابت قطة فى حبس المجشر حتى قدم نصر بن سيار واليا على المجشر فحمل ثابت إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثى فحبسه وكان نصر بن سيار الطفه وأحسن إليه فمدحه ثابت قطة وهو محبوس عند أشرس فقال

ما هاج شوقك من نوى وأحجار	ومن رؤوم عفاها صوب أمطار
لم يبق منها ومن أعلام عرصتها	إلا شجيج وإلا موقد النار
ومائل فى ديار الحى بعدهم	مثل الربيثة فى أهدامه العارى
ديار ليلى قفار لا أنيس بها	دون الجحون وأين الحجن من دارى
بدلت منها وقد شط المزار به	وإدى المخافة لا يسرى بها السارى
بين السماء فى حزم مشرقه	ومعنى دوتنا أذية جارى
نقارغ الترك ما تنفك نائحه	منا ومنهم على ذى نجدة شار
إن كان ظنى بنصير صادقا أبدا	فيما أدبر من نقضى وإمرارى
لا يصرف الجند حتى يستفى بهم	نهباً عظيماً ويحوى ملك جبار
وتعبر الخيل فى الأقياد آونة	تحوى الثهاب إلى طلاب أوتار
حتى يروها دوين السرح بارقة	فيها لواء كظيل الأجدل الضارى
لا يمنع الشغل إلا ذو محافظة	من الخصارم سباق بأوتار
إنى وإن كنت من جذم الذى نصرت	منه الفروع وذندى الثاقب الوارى
لذا كبر منك أمراً قد سبقت به	من كان قبلك يا نصر بن سيار
فاضلت عني نضال الحر إذ قصرت	دون العشيرة واستبطات أنصارى

وَصَارَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمِلُهُ أَلْبَا عَلَى وَرَثَ الْخَبْلِ مِنْ جَارِي
وَمَا تَلَبَّسْتُ بِالْأَمْرِ الَّذِي وَقَعُوا بِهِ عَلَى وَلَا دَنْسْتُ أَطْيَارِي
وَلَا عَصَيْتُ إِمَامًا كَانَ طَاعَتُهُ حَقًّا عَلَى وَلَا قَارَفْتُ مِنْ عَارِ

قال علي وخرج أشرس غازيا فنزل آمل فأقام ثلاثة أشهر وقدم قطن بن قتيبة ابن مسلم فعبر النهر في عشرة آلاف فأقبل أهل السغد وأهل بخارى معهم خاقان والترك فحصروا قطن بن قتيبة في خندقه وجعل خاقان ينتخب كل يوم فارسا فيعبر في قطعة من الترك النهر وقال قوم أقحموا دوابهم عريا فعبروا وأغاروا على سرح الناس فأخرج أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود ابن عمرو فوجهه مع عبد الله بن بسطام في الخيل فاتبعوا الترك فقاتلوهم بآمل حتى استنقذوا ما بأيديهم ثم قطع الترك النهر اليهم راجعين ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن بن قتيبة ووجه أشرس رجلا يقال له مسعود أحد بني حيان في سرية فلقبهم العدو فقاتلوهم فأصيب رجال من المسلمين وهزم مسعود حتى رجع إلى أشرس فقال بعض شعرائهم

خَابَتْ سَرِيَّةٌ مَسْعُودٍ وَمَا غَنِمَتْ إِلَّا أَفَانِينَ مِنْ شَدِّ وَتَقْرِيبِ
حَلَوْا بِأَرْضِ قَقَارٍ لَا أُنِيسَ بِهَا وَهُنَّ بِالسَّفْحِ أَمْثَالُ الْيَعَسِيبِ

وأقبل العدو فلما كانوا بالقرب لقيهم المسلمون فقاتلوهم فجالوا جولة فقتل في تلك الجولة رجال من المسلمين ثم كثر المسلمون وصبروا لهم فانهزم المشركون ومضى أشرس بالناس حتى نزل بيكند فقطع العدو عنهم الماء فأقام أشرس والمسلمون في عسكرهم يومهم ذلك وليلتهم فأصبحوا وقد نفذ ماؤهم فاحتفروا فلم ينبطوا وعطشوا فارتحلوا إلى المدينة التي قطعوا عنهم المياه منها وعلى مقدمة المسلمين قطن بن قتيبة فلقبهم العدو فقاتلوهم فجهدوا من العطش فمات منهم سبعمائة وعجز الناس عن القتال ولم يبق في صف الرباب إلا سبعة فكاد ضرار بن حصين يؤسر من الجهد الذي كان به فخص الحارث بن سريج الناس فقال أيها الناس القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجرا عند الله من المرات عطشا فتقدم الحارث

ابن سريج وقطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد ابن أخى وكيع فى فوارس من بنى تميم
وقيس فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء فابتدره الناس فشربوا وارتووا قال
فمر ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلى فقال له يا عبد الملك هل لك فى آثار الجهاد
فقال أنظرنى ريثما أغتسل وأتحنط فوقف له حتى خرج ومضيا فقال ثابت لأصحابه
أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم وحضهم فخلوا على العدو واشتد القتال فقتل ثابت فى
عدة من المسلمين منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدى وعبد الملك بن دثار الباهلى
والوجيه الخراسانى والعقار بن عقبة العودى فضم قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد
ابن حسان خيلا من بنى تميم وقيس تبايعوا على الموت فأقدموا على العدو فقاتلهم
فكشفهم وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل وتفرق العدو فأتى أشرس
بخارى فحصر أهلها (قال على بن محمد) عن عبد الله بن المبارك حدثنى هشام بن
عمارة بن القعقاع الضبى عن فضيل بن غزوان قال حدثنى وجيه البنانى ونحن
نطوف بالبيت قال لقينا الترك فقتلوا منا قوما وصُرعوا وأنا أنظر إليهم يجلسون
فيستقون حتى انتهوا إلى فقال رجل منهم دعوه فإن له أثرا هو واطنه وأجلاه هو
بالغة فهذا أثر قد وطنته وأنا أرجو الشهادة فرجع إلى خراسان فاستشهد مع ثابت
قال فقال الوازع بن مائق مرتبى الوجيد فى بغلين يوم أشرس فقلت كيف أصبحت
يا أبا أسماء قال أصبحت بين حائر وحائر اللهم إني بين الصفيين فى ليل القوم وهو
متنكب قوسه وسيفه مشتمل فى طيلسان واستشهد واستشهد الهيثم بن المنخل
العبدى قال على عن عبد الله بن المبارك قال لما اتقى أشرس والترك قال ثابت قطنة
اللهم إني كنت ضيف بن بسطام البارحة فاجعلنى ضيفك الليلة والله لا ينظر إلى
بنو أمية مشدوداً فى الحديد فحمل وحمل أصحابه فكذب أصحابه وثبت فرمى برذونه
أشب وضربه فأقدم وضرب فارتك فقال وهو صريع اللهم إني أصبحت ضيفاً
لابن بسطام وأميت ضيفك فاجعل قرأى من ثوابك الجنة قال على ويقال إن
أشرس قطع النهر ونزل بيكند فلم يجد بهاء فلما أصبحوا ارتحلوا فلما دنوا من قصر
بخارى أخذه وكان منزله منهم على ميل تلقاهم ألف فارس فأحاطوا بالعسكر وسلم

وهج الغبار فلم يكن الرجل يقدر أن ينظر إلى صاحبه قال فانقطع منهم ستة آلاف
فيهم قطن بن قتيبة وغوزك من الدهاقين فأنهوا إلى قصر من قصور بخارى وهم
يرون أن أشرس قد هلك وأشرس في قصور بخارى فلم يلتقوا إلا بعد يومين
ولحق غوزك في تلك الواقعة بالترك وكان قد دخل القصر مع قطن فأرسل إليه قطن
رجلا فصاحوا برسول قطن ولحق بالترك قال ويقال إن غوزك وقع يومئذ وسط
الخليل فلم يجد بدا من اللحاق بهم ويقال إن أشرس أرسل إلى غوزك يطلب منه
طاسا فقال لرسول أشرس إنه لم يبق معي شيء أتدمن به غير هذا الطاس فاصفح
عنه فأرسل إليه اشرب في قرعة وأبعث إلى بالطاس فقارقه قال وكان على سمرقند
نصر بن سيار وعلى خراجها عميرة بن سعد الشيباني وهم محصورون وكان عميرة
من قدم مع أشرس وأقبل قريش بن أبي كهمس على فرس فقال لقطن قد نزل
الأمير والناس فلم يفقد أحد من الجند غيرك فضى قطن والناس إلى العسكر وكان
بينهم ميل قال ويقال إن أشرس نزل قريبا من مدينة بخارى على قدر فرسخ وذلك
المنزل يقال له المسجد ثم تحول منه إلى مرج يقال له بوادره فأتاهم سبابة أو شبابة
مولى قيس بن عبد الله الباهلي وهم نزول بكرجة وكانت كمرجة من أشرف أيام
خراسان وأعظمها أيام أشرس في ولايته فقال لهم إن خاقان مارت بكم غدا فأرى
لكم أن تظهروا عدتكم فيرى جدا واحتشادا فينقطع طمعه منكم فقال له رجل
منهم استوثقوا من هذا فانه جاء ليقت في أعضادكم قالوا لا نفعل هذا مولانا وقد
عرفناه بالنصيحة فلم يقبلوا منه وفعلوا ما أمرهم به المولى وصبحهم خاقان فلما
حاذى بهم ارتفع إلى طريق بخارى كأنه يريد لها فتحدربجنوده من وراء تل بينهم
وبينه فتزلوا وتأهبوا وهم لا يشعرون بهم فلما كان ذلك ما فاجأهم أن طلوعوا على
التل فاذا جبل حديد أهل فرغانة والطاربند وأفشينة ونسف وطوائف من أهل
بخارى قال فأسقط في أيدي القوم فقال لهم كليب بن قنان الذهلي هم يريدون مزاحفتكم
فسربوا دوابكم المجففة في طريق النهر كأنكم تريدون أن تسقوها فاذا جردتموها
نخذوا طريق الباب وتسربوا الأول فالأول فلما رآهم الترك يتسربون شذوا عليهم

في مضايق وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك وسبقوهم إلى الباب فلحقوهم عنده
فقتلوا رجلاً كان يقال له المهلب كان حاميتهم وهو رجل من العرب فقاتلوه فغلبوهم
على الباب الخارج من الخندق فدخلوه فاقتلوا وجاء رجل من العرب بحزمة قصب
قد أشعلها فرمى بهافي وجوههم ففتحوا وأخلوا عن قتلى وجرحى فلبسوا
انصرف الترك وأحرق العرب القنطرة فأتاهم خسرو بن يزيد جرد في ثلاثين رجلاً
فقال يا معشر العرب لم تقتلون أنفسكم وأنا الذي جئت بخاقان ليرد عليّ مملكتي
وأنا آخذ لكم الأمان فشتموه فانصرف قال وجاءهم بازغرى في مائتين وكان داهية
من وراء النهر وكان خاقان لا يخالفه ومعه رجلان من قرابة خاقان ومعه أفراس
من رابطة أشرس فقال آمنونا حتى ندنوا منكم فأعرض عليكم ما أرسلني إليكم به
خاقان فآمنوه فدنا من المدينة وأشر فوا عليه ومعه أسراء من العرب فقال بازغرى
يا معشر العرب أحذروا إلى رجلاً منكم أكله برسالة خاقان فأحذروا حبيباً مولى
مهرة من أهل درقين فكلموه فلم يفهم فقال أحذروا إلى رجلاً يعقل عني فأحذروا
يزيد بن سعيد الباهلي وكان يشدواشدوا من التركية فقال هذه خيل الرابطة ووجوه
العرب معه أسراء وقال إن خاقان أرسلني إليكم وهو يقول لكم إني أجعل من
كان عطاؤه منكم ستمائة ألفاً ومن كان عطاؤه ثلاثمائة ستمائة وهو يجمع بعد هذا
على الإحسان إليكم فقال له يزيد هذا أمر لا يلتزم كيف تكون العرب وهم ذئاب
مع الترك وهم شاء لا يكون بيننا وبينكم صلح فغضب بازغرى فقال التركيان اللذان
معه ألا تضرب عنقه قال لا نزل الينا بأمان وفهم ما قال له يزيد فخاف فقال بلى يا بازغرى
إلا أن تجعلونا نصفين فيكون نصف في أثنالنا ويسير النصف معه فإن ظفر خاقان
فتحن معه وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السغد فرضى بازغرى والتركيان
بما قال فقال له أعرض على القوم ما تراضينا به وأقبل فأخذ بطرف الحبل فجذبوه
حتى صار على سور المدينة فنادى يا أهل كمرجه اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم
إلى الكفر بعد الإيمان فساترون قالوا لا نجيب ولا نرضى قال يدعونكم إلى
قتال المسلمين مع المشركين قالوا نموت جميعاً قبل ذلك قال فأعلموهم قال فأشرفوا

عليهم وقالوا يا بازغرى أتبيع الأسرى فى أيديكم فتفادى بهم فاما مادعوتنا اليه فلا نجيبكم اليه قال لهم أفلا تشترون أنفسكم منا فما أنتم عندنا إلا بمنزلة من فى أيدينا منكم وكان فى أيديهم الحجاج بن حميد النضرى فقالوا له يا حجاج ألا تكلم قال على رقباء وأمر خاقان بقطع الشجرة فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويلقى أهل كمرجه الحطب الياس حتى سوى الخندق ليقطعوا اليهم فأشعلوا فيه النيران فهاجت ريح شديدة صنعا من الله عز وجل قال فاشتعلت النار فى الحطب فاحترق ما عملوا فى ستة أيام فى ساعة من نهار ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات قال وأصابنا بازغرى نشابة فى سترته فاحتقن بوله فمات من ليلته فقطع أترأكه آذانهم وأصبحوا بشر من كسكين رؤسهم يبيكونه ودخل عليهم أمر عظيم فلما امتد النهار جاءوا بالأسرى وهم مائة فيهم أبو العوجاء العتكي وأصحابه فقتلهم ورموا اليهم برأس الحجاج بن حميد النضرى وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن فى أيديهم فقتلهم واستماتوا واشتد القتال وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام فقال كليب من لى بهؤلاء فقال ظهير بن مقاتل الطفاوى أنا لك بهم فذهب يسعى وقال لفتيان امشوا خلاني وهو جريح قال فقتل يومئذ من الأعلام اثنان ونجا ثلاثة قال فقال ملك من الملوك لمحمد بن وشاح المعجب انه لم يبق ملك فيما وراء النهر إلا قاتل بكمرجه غبرى وعز على ألا أقاتل مع أ كفائى ولم يرمكانى فلم يزل أهل كمرجه بذلك حتى أقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعير خاقان أهل السغد وفرغانة والشاش والدهاقين وقال لهم زعمتم أن فى هذه خمسين حمارا وأنا نفتحها فى خمسة أيام فصارت الخمسة الأيام شهرين وشتهم وأمرهم بالرحلة فقالوا ما ندع جهدا ولكن أحضرنا غدا فانظر فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف فقام اليه ملك الطار بند فاستأذنه فى القتال والدخول عليهم قال لا أرى أن تقاتل فى هذا الموضع وكان خاقان يظلمه فقال اجعل لى جاريتين من جوارى العرب وأنا أخرج عليهن فأذن له فقاتل فقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلثة وإلى جنب الثلثة بيت فيه خرق يفضى إلى الثلثة وفى البيت رجل من بنى تميم مريض

فرماه بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فحذبه فسقط لوجهه وركبته
ورماه رجل بحجر فأصاب أصل أذنه فصرع وطعنه رجل فقتله وجاء شاب
أمر من الترك فقتله وأخذ سلبه وسيفه فغلبناهم على جسده قال ويقال إن الذي
انتدب لهذا فارس أهل الشاش فكانوا قد اتخذوا صناعات وألصقوها بحائط الخندق
فصبوا قبالة ما اتخذوا أبواباً له فأقعدوا الرماة وراءها وفيهم غالب بن المهاجر الطائي
عم أبي العباس الطوسي ورجلان أحدهما شيباني والآخر ناجي فجاء فاطم في
الخندق فرماه الناجي فلم يخطئ قصبة أنفه وعليه كاشخودة تبتية فلم تضره الرمية
ورماه الشيباني وليس يرى منه غير عينيه فرماه غالب بن المهاجر فدخلت النشابة
في صدره فنكس فلم يدخل خاقان شيء أشد منه قال فيقال إنه إنما قتل الحجاج
وأصحابه يومئذ لما دخله من الجزع وأرسل إلى المسلمين أنه ليس من رأينا أن
نرتحل عن مدينة نزلها دون افتتاحها أو نرحلهم عنها فقال له كليب بن قنان وليس
من ديلنا أن نعطي بأيدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فرأى الترك أن مقامهم
عليهم ضرر فأعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنها بأهاليهم وأموالهم إلى
سمرقند أو الدبوسية فقال لهم اختاروا لأنفسكم في خروجكم من هذه المدينة قال
ورأى أهل كمرجه ما هم فيه من الحصار والشدة فقالوا نشاور أهل سمرقند فبعثوا
غالب بن المهاجر الطائي فأنحدر في موضع من الوادي فضى إلى قصر يسمى فرزاوثة
والدهقان الذي بها صديق له فقال له إنني بعثت إلى سمرقند فاحملني فقال ما أجد دابة
إلا بعض دواب خاقان فإن له في روضة خمسين دابة فخرجا جميعاً إلى تلك الروضة
فأخذ برذونا فركبه وكان إلفه برذون آخر فتبعه فأتى سمرقند من ليكت فأخبرهم
بأمرهم فأشاروا عليه بالدبوسية وقالوا هي أقرب فرجع إلى أصحابه فأخذوا من
الترك رهائن ألا يعرضوا لهم وسألوهم رجلاً من الترك يتقون به مع رجال منهم
فقال لهم الترك اختاروا من شئتم فاختاروا كورصول يكون معهم فكان معهم
حتى وصلوا إلى حيث أرادوا ويقال إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شتم
أصحابه وأمرهم بالارتحال عنهم وكله المختار بن غوزك وملوك السغد وقالوا لا تفعل

أبها الملك ولكن أعطهم أمانا يخرجون عنها ويرون أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب في طاعتها وإن ابنه المختار طلب إليك في ذلك مخافة على أبيه فاجابهم إلى ذلك فسرّح إليهم كورصول يكون معهم يمنعهم ممن أرادهم قال فصار الرهن من الترك في أيديهم وارتحل خاقان وأظهر أنه يريد سمرقند وكان الرهن الذي في أيديهم من ملوكهم فلما ارتحل خاقان قال كورصول للعرب ارتحلوا قالوا نكره أن ترتحل والترك لم يمضوا ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمي العرب فتصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب قال فكف عنهم حتى مضى خاقان والترك فلما صلوا الظهر أمرهم كورصول بالرحلة وقال إنما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين ثم تصيرون إلى قرى متصلة فارتحلوا وفي يد الترك من الرهن من العرب نفر منهم شعيب البكري أو النصرى وسباع بن النعمان وسعيد ابن عطية وفي أيدي العرب من الترك خمسة قد أوردوا خلف كل رجل من الترك رجلا من العرب معه خنجر وليس على التركي غير قباء فساروا بهم ثم قال العجم لكورصول إن الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل فلانأمن أن يخرجوا علينا فقال لهم العرب إن قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبوسية قدر فرسخ أو أقل نظر أهلها إلى فرسان وبيارقة وجمع فظنوا أن كمرجه قد فتحت وأن خاقان قصد لهم قالوا وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب فوجه كليب بن قنان رجلا من بني ناجية يقال له الضحاك على بردون يركض وعلى الدبوسية عقيل بن وراد السغدّي فأتاهم الضحاك وهم صفوف فرسان ورجالة فأخبرهم الخبر فأقبل أهل الدبوسية يركضون فحمل من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحاً ثم إن كليلاً أرسل إلى محمد بن كرز ومحمد بن درهم ليعلبا سباع بن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا مأمنهم ثم خلوا عن الرهن فجعلت العرب ترسل رجلا من الرهن الذين في أيديهم من الترك وترسل الترك رجلا من الرهن الذين في أيديهم من العرب حتى بقى سباع ابن النعمان في أيدي الترك ورجل من الترك في أيدي العرب وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك نخلوه وبقى سباع في أيديهم

فقال له كورصول لم فعلت هذا قال وثقتُ برأيك في وقلت ترفعُ نفسك عن الغدر في مثل هذا فوصله وسلحه وحمله على بردون ورده إلى أصحابه قال وكان حصار كمرجه ثمانية وخمسين يوماً فيقال لمنهم لم يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوماً قال وكان خاقان قسم في أصحابه الغنم فقال كُلُّوا لحومها واملوا جلودها تراباً واكبسوا خندقكم ففعلوا فكبسوه فبعث الله عليهم سحابة فطرت فاحتمل المطر ما ألقيوا فالتقاء في النهر الأعظم وكان مع أهل كمرجه قوم من الخوارج فيهم ابن سُنج مولى بني ناجية (وفي هذه السنة) دارت أهل كردر فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم وقد كان الترك أعانوا أهل كردر فوجه أشرس إلى من قرب من كردر من المسلمين ألف رجل رذءاً لهم فصاروا إليهم وقد هزم المسلمون والترك فظفروا بأهل كردر وقال عَرْجَةُ الدارمي

نَحْنُ كَفَيْنَا أَهْلَ مَرُو وَغَيْرَهُمْ وَنَحْنُ نَفَيْنَا التُّرْكَ عَنْ أَهْلِ كُرْدَرِ
فَإِنْ تَجَعَلُوا مَا قَدْ غَنِمْنَا لِغَيْرِنَا فَقَدْ يُظْلَمُ الْمَرْءُ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ
(وفي هذه السنة) جعل خالد بن عبد الله الصلاة بالبصرة مع الشرطة والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبي بردة فجمع ذلك كله له وعزل به ثمانية بن عبد الله بن أنس عن القضاء (وحج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن اسماعيل كذلك قال أبو معشر والواقدي وغيرهما حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله

ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد ابن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية قال الواقدي عزاً سنة ١١١ على جيش

البحر عبد الله بن أبي مريم وأمر هشام على عامة الناس من أهل الشام ومصر الحكم بن قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف وفيها سارت الترك إلى آذربيجان فلقبهم الحارث بن عمرو فهزمهم وفيها ولي هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على أرمينية وفيها عزل هشام أشرس بن عبد الله السلي عن خراسان وولاهما الجنيد ابن عبد الرحمن المزني

ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان واستعماله الجنيد

ذكر علي بن محمد عن أبي الذيال قال كان سبب عزل أشرس أن شداد بن خالد الباهلي شخص إلى هشام فشكاه فعزله فاستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان سنة ١١١ قال وكان سبب استعماله إياه أنه أهدى لأم حكيم بنت يحيى ابن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر فأعجبت هشاما فأهدى لهشام قلادة أخرى فاستعمله على خراسان وحمله على ثمانية من البريد فسأله أكثر من تلك الدواب فلم يفعل فقدم خراسان في خمسمائة وأشرس بن عبد الله يقاتل أهل بخارى والسغد فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر فدل على الخطاب ابن محرز السلي خليفة أشرس فلما قدم آمل أشار عليه الخطاب أن يقيم ويكتب إلى من يزعم ومن حوله فيقدموا عليه فأبى وقطع النهر وأرسل إلى أشرس أن أمدني بخيل وخاف أن يقطع قبل أن يصل إليه فوجه إليه أشرس عامر بن مالك الحناني فلما كان في بعض الطريق عرض له الترك والسغد ليقطعوه قبل أن يصل إلى الجنيد فدخل عامر حائطا حصينا فقاتلهم على ثلثة الحائط ومعه ورد بن زياد بن أدهم بن كلثوم ابن أخي الأسود بن كلثوم فرماه رجل من العدو بنشابة فأصاب عرض منخره فأنفذ المنخرين فقال له عامر بن مالك يا أبا الزاهرية كأنك دجاجة مفرقة وقتل عظيم من عظماء الترك عند الثلبة وخاقان على تل خلفه أجمعة فخرج عاصم بن عمير السمرقندي وواصل بن عمرو القيسي في شاكزية فاستدار حتى صاروا من وراء ذلك الماء فضموا خشبا وقصبا وما قدررا عليه حتى اتخذوا رصفا فعبروا عليه

فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير وحمل واصل والشاكرية على العدو فقاتلوه فقتل تحت واصل برذون وهزم خاقان وأصحابه وخرج عامر بن مالك من الحائط ومضى إلى الجنيد وهو في سبعة آلاف فلتقى الجنيد وأقبل معه وعلى مقدمة الجنيد عمارد بن خريم فلما انتهى إلى فرسخين من بيكند تلقتة خيل الترك فقاتلهم فكد الجنيد أزيه ملك ومن معه ثم أظهره الله فسار حتى قدم العسكر وظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون زَرَمَان من بلاد سمرقند وقطن ابن قتيبة على ساقه الجنيد وواصل في أهل بخارى وكان ينزلها فأسم ملك الشاش وأسر الجنيد من الترك ابن أخى خاقان في هذه الغزاة فبعث به إلى الخليفة وكان الجنيد استخلف في غزاته هذه مجشر بن مزاحم على مرو وولى سورة بن الحر من بنى أبان بن دارم باخ وأوفد لما أصاب في وجهه ذلك عمارة بن معاوية العدوي ومحمد بن الجراح العبدى وعبد ربه بن أبى صالح السلى إلى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا فتوافقوا بالترمذ فأقاموا بها شهرين ثم أتى الجنيد مرو وقد ظفر فقال خاقان هذا غلام مترف هزمنى العام وأنا مهلكه في قابل فاستعمل الجنيد عماله ولم يستعمل إلا مَضْرِيًّا استعمل قطن بن قتيبة على بخارى والوليد بن القعقاع العبدى على هراة وحبيب بن مرة العبدى على شرطه وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلى وكان نصر بن سيار على بلخ والذى بينه وبين الباهليين متباعد لما كان بينهم بالبروقان فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه فأثما فجاءوا به في قيص ليس عليه سراويل ملبيا فجعل يضم عليه قيصيه فاستحيي مسلم وقال شيخ من مضر جثمت به على هذه الحال ثم عزل الجنيد مسلما عن باخ وولاه يحيى بن ضبيعة واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خالد الباهلى وكان مع الجنيد السّمَهْرَى بن قعنب (وحج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومى وكان اليه من العمل في هذه السنة ما كان اليه في السنة التى قبأها وقد ذكرت ذلك قبل وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله وعلى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة مائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وحررو
فرندية من ناحية ملطية (وفيها) سار الترك من اللان فلقبهم الجراح بن عبد الله
الحكمي فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان فلم يقتلهم إليه جيشه فاستشهد الجراح
ومن كان معه بمرج أردبيل وافتتحت الترك أردبيل وقد كان استخلف أخاه
الحجاج بن عبد الله على أرمينية (ذكر محمد بن عمر) أن الترك قتلت الجراح
ابن عبد الله بيلنجر وأن هشام لما بلغه خبره دعا سعيد بن عمرو الحرشي فقال له
إنه بلغني أن الجراح قد انحاز عن المشركين قال كلا يا أمير المؤمنين الجراح أعرف
بالله من أن ينحاز عن العدو ولكنه قتل قال فما الرأي قال تبعني على أربعين
دابة من دواب البريد ثم تبعني إلى كل يوم أربعين دابة عليها أربعون رجلا
ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافقوني ففعل ذلك هشام فذكر أن سعيد بن عمرو
أصاب للترك ثلاثة جموع وفوداً إلى خاقان بمن أسروا من المسلمين وأهل الذمة
فاستنقذ الحرشي ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم وذكر علي بن محمد أن الجنيد
ابن عبد الرحمن قال في بعض أيام حربته الترك بالشعب ليلة كليلة الجراح ويوماً كيومه
ف قيل له أصلحك الله إن الجراح سير إليه فقتل أهل الحجى والحفاظ فجن عليه
الليل فأنسل الناس من تحت الليل إلى مدائن لهم بأذربيجان وأصبح الجراح في قلة
فقتل (وفي هذه السنة) وجه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك فساد
في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم فيما ذكر حتى جاز الباب في آثارهم
وخلف الحارث بن عمرو والطائي بالباب (وفي هذه السنة) كانت وقعة الجنيد
مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب (وفيها) قتل سورة بن الحر وقد قيل إن هذه
الوقعة كانت في سنة ١١٣

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازياً في سنة ١١٢

يريد طخارستان فنزل على نهر بلخ ووجه عمارة بن حريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفا وإبراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر أحد بني أبان بن دارم فكتب سورة إلى الجنيد إن خاقان جاش بالترك فخرجت اليهم فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند فالتفت فأمرا الجنيد الناس بالعبور فقام إليه المجشر بن مزاحم السلي وأبن بسطام الأزدي وابن صبح الخرقى فقالوا إن الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت جندك فمسلم بن عبد الرحمن بالنيروذ والبختري بهراة ولم يحضرك أهل الطالقان وعمارة بن حريم عائب وقال له المجشر إن صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفا فكتب إلى عمارة فليأتك وأمهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لولم أكن إلا في بني مرة أو من طلع معي من أهل الشام لعبرت وقال

أليس أحق الناس أن يشهد الوغا وأن يقتل الأبطال ضحما على ضخم

(وقال)

ما علتي ما علتي ما علتي إن لم أقاتلهم فجزوا لمتي

قال وعبر فنزل كس وقد بعث الأشهب بن عبيد الحنظلي ليعلم علم القوم فخرج إليه وقال قد أتوك فتأهب للمسير وبلغ الترك فغوروا الآبار التي في طريق كس وما فيه من الركايا فقال الجنيد أي الطريقين إلى سمرقند أمثل قالوا طريق المحترقة قال المجشر بن مزاحم السلي القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار إن طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فقد تراكم بعضه على بعض فان لقيت خاقان أحرقت ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة وهو وبيننا وبينهم سواء فأخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى في الجبل فأخذ المجشر بعنان دابته وقال إنه كان يقال إن رجلا من قيس مترفا يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا أن تكونه قال أفرخ روعك فقال المجشر أما إذا كان بيننا مثلك فلا يفرخ فبات في أصل العقبة ثم ارتحل حين أصبح فصار الجنيد بين

مرتحل ومقيم فلتقى فارساً فقال ما اسمك فقال حرب قال ابن من قال ابن محربة قال من بني من قال من بني حنظلة قال سلط الله عليك الحرب والحرب والكلب ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربع فراسخ فصبحه خاقان في جمع عظيم وزحف اليه أهل السغد والشاش وفرغانة وطائفة من الترك قال فحمل خاقان على المقدمة وعليها عثمان بن عبد بن الشيخير فرجعوا إلى العسكر والترك تتبعهم وجاءوهم من كل وجه وقد كان الإخريد قال للجنيدي رد الناس إلى العسكر فقد جاءك جمع كثير فطلع أوائل العدو والناس يتغدون فرآهم عبيد الله بن زهير بن حيان فكره أن يعلم الناس حتى يفرغوا من غداهم والتفت أبو الذيال فرآهم فقال العدو فركب الناس إلى الجنيدي فصور تيماء الأزدي في الميمنة وربيعة في الميسرة مما يلي الجبل وعلى مجففة خيل بني تميم عبيد الله بن زهير بن حيان وعلى المجردة عمرو بن عمرو بن جرفاس بن عبد الرحمن بن شقران المنقري وعلى جماعة بني تميم عامر بن مالك الحماني وعلى الأزدي عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو المعني وعلى خيلهم المجففة والمجردة فضيل بن هناد وعبد الله بن حوذان أحدهما على المجففة والآخر على المجردة ويقال بل كان بشر بن حوذان أخو عبد الله بن حوذان الجهضمي فالتقوا وربيعة مما يلي الجبل في مكان ضيق فلم يقدم عليهم أحد وقصد العدو للميمنة وفيها تميم والأزدي في موضع واسع فيه مجال للخيال فترجل حيان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه ودفع برذونه إلى أخيه عبد الملك فقال له أبوه يا حيان انطلق إلى أخيك فإنه حدث وأخاف عليه فأبى فقال يا بني إنك إن قتلت على حالك هذه قتلت عاصياً فرجع إلى الموضع الذي خلف فيه أخاه والبرذون فاذا أخوه قد لحق بالعسكر وقد شد البرذون فقطع حيان مقوده وركبه فأتى العدو فاذا العدو قد أحاط بالموضع الذي خلف فيه أباه وأصحابه فامدّهم الجنيدي بنصر بن سيار في سبعة معه فيهم جميل ابن غزوان العدوي فدخل عبيد الله بن زهير معهم وشدوا على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم فقتلوا جميعاً فلم يفلت منهم أحد ممن كان في ذلك الموضع وقتل

عبيد الله بن زهير وابن حوذان وابن جرفاس والفضيل بن هناد وجالت الميمنة والجنيد واقف في القلب فأقبل إلى الميمنة فوقف تحت راية الأزد وقد كان جفام فقال له صاحب راية الأزد ماجئتنا لتحبونا ولا لتكرمنا ولكنا قد علمت أنه لا يوصل إليك ومنا رجل حتى فإن ظفرنا كان لك وإن هلكنا لم تبك علينا ولعمري لئن ظفرنا وبقيت لا أكلبك كلمة أبداً وتقدم فقتل وأخذ الراية ابن مجاعة فقتل فتداول الراية ثمانية عشر رجلاً منهم فقتلوا فقتل يومئذ ثمانون رجلاً من الأزد قال وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئاً فقطع عبيد الله الخشب يقاتلون به حتى ملّ الفريقان فكانت المعانقة فتحاجزوا فقتل من الأزد حمزة بن مجاعة العتكي ومحمد بن عبد الله بن حوذان الجهمي وعبد الله بن بسطام المعنى وأخوه زعيم والحسن بن شيخ والفضيل الحارثي وهو صاحب الخيل يزيد بن المفضل الحُدّاني وكان حجاً فأنفق في حجه ثمانين ومائة ألف فقال لأمه وحشيّة ادعى الله أن يرزقني الشهادة فدعت له وغشى عليه فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوماً وقاتل معه عبدان له وقد كان أمرهما بالانصراف فقتلا فاستشهدا قال وكان يزيد بن المفضل حمل يوم الشعب على مائة بعير سويقاً للمسلمين فجعل يسأل عن الناس ولا يسأل عن أحد إلا قيل له قد قتل فاستقدم وهو يقول لا إله إلا الله فقاتل حتى قتل وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوذان وهو على فرس أشقر عليه تجفاف مذهب فحمل سبع مرات يقتل في كل حملة رجلاً ثم رجع إلى موقفه فهابه من كان في ناحيته فناده ترجمان للعذر يقول لك المالك لا تقبل وتحول إلينا ففرض صنمنا الذي نعبد ونعبدك فقال محمد أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده فقاتل واستشهد وقتل جشم بن قرط الهلالي من بني الحارث وقتل النضر بن راشد العبدي وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون فقال لها كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضر جاً بالدماء فشقت جيبها ودعت بالويل فقال حسبك لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقاً إلى الحور

العين ورجع فقاتل حتى استشهد رحمه الله قال فبينما الناس كذلك إذ أقبل
 رهج فطلعت فرسان فنادى منادى الجنيد الأرض الأرض فترجل وترجل
 الناس ثم نادى منادى الجنيد ليخندق كل قائد على حياله فخندق الناس قال
 ونظر الجنيد إلى عبد الرحمن بن مكية يحمل على العدو فقال ما هذا الخراطوم
 السائل قيل له هذا ابن مكية قال ألسان البقرة لله دره أي رجل هو وتحاجزوا
 وأصيب من الأزد مائة وتسعون وكانوا القوا خاقان يوم الجمعة فأرسل الجنيد إلى
 عبد الله بن معمر بن سُمير اليشكري أن يقف في الناحية التي تلي كس ويحبس من مرته
 ويحوز الأثقال والرجالة وجاءت الموالي رجالة ليس فيهم غير فارس واحد والعدو
 يتبعونهم فثبت عبد الله بن معمر للعدو فاستشهد في رجال من بكر وأصبحوا يوم
 السبت فأقبل خاقان نصف النهار فلم يرموضا للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل
 وعليهم زياد بن الحارث فقصدهم فقالت بكر لزياد القوم قد كثرونا نخل عنا نحمل
 عليهم قبل أن يحملوا علينا فقال لهم قد مارست سبعين سنة إنكم إن حملتم عليهم
 فصعدتم انهزمتم ولكن دعوهم حتى يقربوا ففعلوا فلما قربوا منهم حملوا عليهم
 فأفروا لهم فسجد الجنيد وقال خاقان يومئذ إن العرب إذا أخرجوا استقتلوا
 نخلهم حتى يخرجوا ولا تعرضوا لهم فإنكم لا تقومون لهم وخرج جوار للجنيد
 يولون فاتدب رجال من أهل الشام فمالوا الله الله يا أهل خراسان إلى أين
 وقال الجنيد ليلة كليلة الجراح ويوم كيومه (وفي هذه السنة) قتل سورة
 ابن الحر التيمي

ذكر الخبر عن مقتله

ذكر علي عن شيوخه أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيد اختر بين أن تهلك
 أنت أو سورة فقال هلاك سورة أهون علي قال فاكتب إليه فليأتك في أهل
 سمرقند فإن الترك إن بلغهم أن سورة قد توجه إليك انصرفوا إليه فقاتلوه
 فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم ه وقيل كتب أغثنى فقال عبادة بن السليل
 المحاربي أبو الحكم بن عبادة لسورة أنظر أبرديت بسمرقند فتم فيه فإنك إن خرجت

لا تبالى أسخط عليك الأمير أم رضى وقال له حليس بن غالب الشيباني إن الترك بينك وبين الجنيد فإن خرجت كروا عليك فاخطفوك فكتب إلى الجنيد إني لا أقدر على الخروج فكتب إليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج وإلا وجهت إليك شداد بن خالد الباهلي وكان له عدوا فاقدم وضع فلانا بفرخشاذ في خمسمائة ناشب والزم الماء فلا تفارقه فأجمع على المسير فقال الوَجَف بن خالد العبدى إنك لمهلك نفسك والعرب بمسيرك ومهلك من معك قال لا يخرج حلى من التتور حتى أسير فقال له عبادة وسليس أما إذا أبيت إلا المسير فخذ على النهر فقال أما لا أصل إليه على النهر في يومين وبيني وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبحه فإذا سكنت الرجل سرت فأعبره فجاءت عيون الاتراك فأخبروهم وأمر سورة بالرحيل واستخلف على سمرقند موسى بن أسود أحد بنى ربيعة بن حنظلة وخرج في اثني عشر ألفاً فأصبح على رأس جبل وإنما دله على ذلك الطريق عاج يسمى كارتقبد فتلقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ فقال أبو الذيال قاتلهم في أرض حوارة فصبر وصبروا حتى اشتد الحر وقال بعضهم قال له غوزك يومك حار فلا تقاتلهم حتى تحمى عليهم الشمس وعليهم السلاح تثقلهم فلم يقاتلهم خاقان وأخذ برأى غوزك وأشعل النار في الحشيش وواقفهم وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ماترى يا أبا السليل قال أرى والله أنه ليس من الترك أحد إلا وهو يريد الغنيمة فاعقر هذه الدواب وأحرق هذا المتاع وجرد السيف فإنهم يخلون لنا الطريق قال أبو الذيال فقال سورة لعبادة ما رأى قال تركت رأى قال فما ترى الآن قال ان تنزل فنشرع الرماح ونزحف زحفاً فإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر قال لا أقوى على هذا ولا يقوى فلان وفلان وعدد رجالا ولكن أرى أن أجمع الخيل ومن أرى أنه يقاتل فأصكهم سلبت أم عطيت فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا ومن وراء الترك اللهب فسقطوا فيه وسقط فيه العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه وتفرق الناس وانكشفت الغنمة والناس

متفرقون فقطعتهم الترك فقتلوه فلم ينجُ منهم غير ألفين ويقال ألف وكان بمن نجا
عاصم بن عمير السمرقندي عرفه رجل من الترك فأجاره واستشهد حليس بن
غالب الشيباني فقال رجل من العرب الحمد لله استشهد حليس ولقد رأيته يرمى
البيت أيام الحجاج ويقول درى عقاب بلبن وأخشاب وامرأة قائمة فكلمها رمى
بحجر قالت المرأة يارب بي ولا بيتك ثم رزق الشهادة وانحاز المهلب بن زياد
العجلي في سبعمائة ومعه قريش بن عبد الله العبدى إلى رستاق يسمى المرغاب
فقاتلوا أهل قصر من قصورهم فأصيب المهلب بن زياد وولوا أمرهم الوجدف بن
خالد ثم أتاهم الاشكند صاحب نَسَف في خيل ومعه غوزك فقال غوزك يا وجدف
لكم الأمان فقال قريش لا تشقوا بهم ولكن إذا جئنا الليل خرجنا عليهم حتى
نأتى سمرقند فإننا إن أصبحنا معهم قتلونا قال فعصوه وأقاموا فساقوم إلى خاقان
فقال لا أجزر أمان غوزك فقال غوزك للوجدف أنا عبد لخاقان من شاكريته قالوا
فلم غورتنا فقاتلهم الوجدف وأصحابه فقتلوا غير سبعة عشر رجلاً دخلوا الحائط
وأمسوا فقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلثة الحائط فجاء قريش بن عبد الله
العبدى إلى الشجرة فرمى بها وخرج في ثلاثة فباتوا في ناووس فكنوا فيه وجبن
الآخرون فلم يخرجوا فقتلوا حين أصبحوا وقتل سورة فلما قتل خرج الجنيد
من الشعب يريد سمرقند مبادراً فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب سرّ سرّ وبجسر
ابن مزاحم السلى يقول أذكرك الله أقم والجنيد يتقدم فلما رأى المجسر ذلك نزل
فأخذ بلبجام الجنيد فقال والله لا تسير وتزلن طائماً أو كارهاً ولانددك تُهلكنا
بقول هذا الهجرى انزل فتزل ونزل الناس فلم يتنام نزولهم حتى طلع الترك فقال
المجسر لو لقونا ونحن نسير ألم يستأصلونا فلما أصبحوا تناهضوا فأنكشفت طائفة
وجال الناس فقال الجنيد أيها الناس إنها النار فتراجعوا وأمر الجنيد رجلاً فنادى
أى عبد قاتل فهو حرّ فقاتل الغنيد قتالاً شديداً عجب الناس منه جعل أحدهم
يأخذ اللبد فيجوبه ويجعله في عنقه يتوقى به فسرّ الناس بما رأوا من صبرهم
فكرّ العدو وصبر الناس حتى انهزم العدو ففضوا فقال موسى بن النعر للناس

أتفرحون بما رأيتم من العبيد والله إن لكم منهم ليوماً أرونان ومضى الجنيد فأخذ العدو رجلاً من عبد القيس فكثفوه وعلقوا في عنقه رأس بلعاء العنبري ابن مجاهد بن بلعاء فلقية الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه ومضى الجنيد إلى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة إلى مرو وأقام بالسغد أربعة أشهر وكان صاحب رأي خراسان في الحرب المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الرحمن بن صبح الحرقى وعبيد الله بن حبيب الهجري وكان المجشر ينزل الناس على آياتهم ويضع المسالح ليس لأحد مثل رأيه في ذلك وكان عبد الرحمن ابن صبح إذا نزل الأمر العظيم في الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه وكان عبيد الله ابن حبيب على تعبئة القتال وكان رجال من الموالى مثل هؤلاء في الرأي والمشورة والعلم بالحرب فمنهم الفضل بن بسام مولى بني ليث وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم والبختري بن مجاهد مولى بني شيان قال فلما انصرف الترك إلى بلادهم بعث الجنيد سيف بن وصاف العجلي من سمرقند إلى هشام فجبن عن السير وخاف الطريق فاستعفاه فأعفاه وبعث نهار بن توسعة أحد بني تميم اللات وزميل بن سويد المرئي مرة غطفان وكتب إلى هشام أن سورة عصاني أمرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق عنه أصحابه فأتى طائفة إلى كس وطائفة إلى نسف وطائفة إلى سمرقند وأصيب سورة في بقية أصحابه قال فدعا هشام نهار بن توسعة فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد فقال نهار بن توسعة

لعمرك ما حايبتني إذ بعثتني	ولكنما عرضتني للمقاتل
دعوت لها قومًا فهابوا ركوبها	وكنت امرأة ركابها للحواف
فأيقنت إن لم يدفع الله أني	طعام سباع أو لطير عوائف
قرين عراك وهو أيسر هالك	عليك وقد زملت بصحاتف
فإني وإن آثرت منه قرابة	لا عظم حظا في جبا الخلائف
على عهد عثمان وقدنا وقبله	وكنأ أدلي مجد تليد وطارف

قال وكان عراك معهم في الوفد وهو ابن عم الجنيد فكتب إلى الجنيد قد

وجهت إليك عشرين ألفاً مدداً عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن بن نعيم ومن السلاح ثلاثين ألف ربح ومثلها ترسة فأفرض فلا غاية لك في الفريضة خمسة عشر ألفاً قال ويقال إن الجنيد أوفد الوفد إلى خالد بن عبد الله فأوفد خالد إلى هشام أن سورة بن الحر يخرج يتصيد مع أصحاب له فهجم عليهم الترك فأصيدوا فقال هشام حين أتاه مصاب سورة إنا لله وإنا إليه راجعون مصاب سورة بن الحر بخراسان والجراح بالباب وأبلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسناً فانقطع سيفه وانقطع سيور ركابه فأخذ سيور ركابه فضرب به رجل حتى أثخنه وسقط في اللهب مع سورة يومئذ عبد الكريم بن عبد الرحمن الحنفي وأحد عشر رجلاً معه وكان ممن سلم من أصحاب سورة ألف رجل فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان رأيت فساطيط مبنية بين السماء والأرض فقلت لمن هذه فقالوا العبد الله بن بسطام وأصحابه فقتلوا من غد فقال رجل مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة قال ولم يشكر الجنيد لنصر ما كان من بلائه فقال نصر

إِنْ تَحْسُدُونِي عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ لَكُمْ يَوْمًا فَمِثْلُ بَلَاءِي جَزْأِي الْحَسَدَا
يَا بَنِي الْإِلَهِ الَّذِي أَعْلَى بِقُدْرَتِهِ كَمَبِي عَلَيْكُمْ وَأَعْطَى فَوْقَكُمْ عَضْدَا
وَضَرَبِي التُّرِكَ عَنْكُمْ يَوْمَ فَرَقِكُمْ بِالسَّيْفِ فِي الشَّعْبِ حَتَّى جَاوَزَ السَّنْدَا
قال وكان الجنيد يوم الشعب أخذ في الشعب وهو لا يرى أن أحداً يأتيه من الجبال وبعث ابن الشخير في مقدمته واتخذ ساقه ولم يتخذ مجنبتين وأقبل خاقان فهزم المقدمة وقتل من قتل منهم وجاءه خاقان من قبل ميسرته وجبغويه من قبل اليمنة فأصيب رجال من الأزد وتيم وأصابوا له سرادقات وأبلية فأمر الجنيد حين أمسى رجلاً من أهل بيته فقال له امش في الصفوف والدراجة وتسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع إليه فقال رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الأشعار ويقرءون القرآن فسرهم ذلك وحمد الله قال ويقال نهضت العبيد يوم الشعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسغد ينحدرون فاستقبلهم العبيد وشدوا عليهم بالعمد فقتلوا

منهم تسعة فأعطاهم الجنيـد أسـلـابهم وقال ابن السـجـف في يوم الشعب ويعني هشاماً
 أَذْكَرَ يَتَامَى بِأَرْضِ التُّرْكِ ضَائِعَةً هَزَلَى كَانَهُمْ فِي الْحَائِطِ الْحَجَلُ
 وَارْحَمَ وَإِلَّا فَهَبَهَا أُمَةٌ دَمِرَتْ لَا أَنْفُسَ يَقِيَّتْ فِيهَا وَلَا ثَقُلُ
 لَا تَأْمَلَنَّ بَقَاءَ الدَّهْرِ بَعْدَهُمْ وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ الْأَمَلُ
 لَا قُوا كِتَابَ مَنْ خَافَانَ مُعْلَمَةً عَنْهُمْ يَضِيقُ فِضَاءُ السَّهْلِ وَالْجَبَلُ
 لَمَّا رَأَوْهُمْ قَلِيلاً لَا صَرِيحَ لَهُمْ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ لِلَّهِ وَابْتَهَلُوا
 وَبَايَعُوا رَبَّ مُوسَى بَيْعَةً صَدَقَتْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَلَا دَغْلُ

قال فأقام الجنيـد بـسـمـر قـنـد ذلك العام وانصرف خاقان إلى بخارى وعليها
 قَطَنَ بن قتيبة نخاف الناس الترك على قطن فشاورهم الجنيـد فقال قوم الزم سمرقند
 واكتب إلى أمير المؤمنين يمدك بالجنود وقال قوم تسير فتأتي رَجِنَجَنَ ثم تسير
 منها إلى كَسَ ثم تسير منها إلى نفس فتصل منها إلى أرض زَمَّ وتقطع النهر وتنزل
 آمل فتأخذ عليه بالطريق فبعث إلى عبد الله بن أبي عبد الله فقال قد اختلف الناس
 علي وأخبره بما قالوا فما الرأي فاشترط عليه ألا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال
 أو نزول أو قتال قال نعم قال فإني أطلب إليك خصالاً قال وما هي قال تخندق
 حيثما نزلت ولا يفوتك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر وأن تطيعني في
 نزولك وارتحالك فأعطاه ما أراد قال أما ما أشاروا به عليك في مقامك بـسـمـر قـنـد حتى
 يأتيك الغياث فالغياث يبطل عنك وإن سرت فأخذت بالناس غير الطريق فتت في
 أعضادهم فانكسروا عن عدوهم فاجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم
 يفتحوا له فإن أخذت بهم غير الطريق تفرق الناس عنك مبادرين إلى منازلهم ويبلغ أهل
 بخارى فيستسلمو العدو وهم وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدو والرأي لك أن
 تعمد إلى عيالات من شهد الشعب من أصحاب سورة فتقسمهم على عشارتهم
 وتحملهم معك فإني أرجو بذلك أن ينصركم الله على عدوك وتعطي كل رجل
 تخلف بـسـمـر قـنـد ألف درهم وفرساً قال فأخذ برأيه فخلف في سمرقند عثمان بن عبد الله
 ابن الشخير في ثمانمائة أربعمائة فارس وأربعمائة راجل وأعطاهم سلاحاً فشم

الناس عبد الله بن أبي عبد الله مولى بنى سليم وقالوا عرضنا لخاقان والترك ما أراد
 إلا هلاكنا فقال عبد الله بن حبيب لحرب بن صبح كم كانت لكم الساقة اليوم قال
 ألف وستمائة قال لقد عرضنا للهلاك قال فأمر الجنيد بحمل العيال قال وخرج
 والناس معه وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسي وزياد بن خيران الطائي
 فسرّح الجنيد الأشهب بن عبيد الله الحنظلي ومعه عشرة من طلائع الحند وقال
 له كلما مضيت مرحلة فسّرّح إلى رجلا يعلمنى الخبر قال وسار الجنيد فلما صار
 بقصر الريح أخذ عطاء الدبوسى بلجام الجنيد وكبحه فقرع رأسه هارون الشاشى
 مولى بنى حازم بالرمح حتى كسره على رأسه فقال الجنيد لهارون خلّ عن الدبوسى
 وقال له مالك يا دبوسى فقال انظر أضعف شيخ فى عسكريك فسلّحه سلاحا تاما
 وقلده سيفا وجعبة وترسا وأعطه رمحاً ثم سربنا على قدر مشيه فانا لا نقدر على
 السوق والقتال وسرعة السير ونحن رجالة ففعل ذلك الجنيد فلم يعرض للناس
 عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ودنا من الطواويس فجاءتنا الطلائع
 ياقبال خاقان فعرضوا له بكرمينة أول يوم من رمضان فلما ارتحل الجنيد من
 كرمينة قدم محمد بن الرندى فى الأساورة آخر الليل فلما كان فى طرف مفازة
 كرمينة رأى ضعف العدو فرجع إلى الجنيد فأخبره فنادى منادى الجنيد ألا يخرج
 المكتوبون إلى عدوهم فخرج الناس ونشبت الحرب فنادى رجل أيها الناس صرتم
 حرورية فاستقتلتم وجاء عبد الله بن أبي عبد الله إلى الجنيد يضحك فقال له الجنيد
 ما هذا يوم ضحك فقيل له إنه ضحك تعجبا فالحمد لله الذى لم يلقك هؤلاء إلا
 فى جبال معطشة فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار كالين وأنت معك الزاد
 فقاتلوا قليلا ثم رجعوا وكان عبد الله بن أبي عبد الله قال للجنيد وهم يقاتلون
 ارتحل فقال الجنيد وهل من حيلة قال نعم تمضى برايتك قدر ثلاث غلاء فان
 خاقان ودّ أنك أمت فينطوى عليك إذا شاء فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبي
 عبد الله على الساقة فأرسل إليه أنزل قال أنزل على غير ماء فأرسل إليه إن لم تنزل
 ذهبت خراسان من يدك فنزل وأمر الناس أن يسقوا فذهبت الناس الرجالة

والناشبة وهم صفان فاستقوا وباتوا فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبد الله بن أبي
عبد الله إنكم معشر العرب أربعة جوانب فليس يعيب بعضهم بعضاً كل ربع لا يقدر
أن يزول من مكانه مقدمة وهم القلب ومجنبتان وساقة فان جمع خاقان خيله ورجاله
ثم صدم جانباً منكم وهم الساقة كان بواركم وبالحرى أن يفعل وأنا أتوقع ذلك في
يومى فشدوا الساقة بنخيل فوجه الجنيد خيل بنى تميم والمجفقة وجاءت الترك
فالت على الساقة وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتتلوا فاشتد الأمر بينهم
فحمل سلم بن أحوز على رجل من عظماء الترك فقتله قال فطير الترك وانصرفوا
من الطواويس ومضى المسلمون فأتوا بخارى يوم المهرجان قال فتأقونا بدرهم
بخارية فأعطاهم عشرة عشرة فقال عبد المؤمن ابن خالد رأيت عبد الله بن أبي
عبد الله بعد وفاته في المنام فقال حدث الناس عنى برأى يوم الشعب قال وكان
الجنيد يذكر خالد بن عبد الله ويقول رَ بَذَة من الربذ صلبور بن صلبور قل بن
قل هيفة من الهيف وزعم أن الهيفة الضبع والعُجرة الخنزيرة والقل الفرد قال
وقدمت الجنود مع عمرو بن مسلم الباهلى فى أهل البصرة وعبد الرحمن بن نعيم
العامرى فى أهل الكوفة وهو بالصغانيان فصرح معهم الحوثة بن يزيد الغنبرى
فيمن اتدب معه من التجار وغيرهم وأمرهم أن يحملوا ذرارى أهل سمرقند
ويدعوا فيها المقاتلة ففعلوا (قال أبو جعفر) وقد قيل إن وقعة الشعب بين
الجنيد وخاقان كانت فى سنة ١١٣ وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشعب وقاتل العبيد

إِنى نَشَأْتُ وَحُسَّادِى ذَوُو عَدَدَا يَازَا المَعَارِجَ لَا تَنْقُصَ لَهُمُ عَدَدَا
إِن تَحْسُدُونِ عَلَى مِثْلِ البَلَاءِ لَكُمْ يَوْمًا فَنُتْلُ بِلائِى جَرِّ لِي الحَسَدَا
يَأْتِى الإِلَهِ الذِى أَعْلَى بِقَدْرَتِهِ كَعْبِى عَلَيْكُمْ وَأَعْطَى فَوْقَكُمْ عُدَدَا
أَرْمِ العَدُوَّ بِأَفْرَاسٍ مُكَلَّمَةٍ حَتَّى اتَّخِذْنَ عَلَى حُسَّادِهِنَّ يَدَا
مَنْ ذَا الذِى مِنْكُمْ فِى الشَّعْبِ إِذْ وَرَدُوا لَمْ يَتَّخِذْ حَوْمَةَ الأَثْقَالِ مُعْتَمَدَا
فَمَا حَفِظْتُمْ مِنْ اللَّهِ الوَصَاةَ وَلَا أَنْتُمْ بِصَبْرِ طَلَبْتُمْ حُسْنَ مَا وَعَدَا
وَلَا نَهَاكُمْ عَنِ التَّوَاتُبِ فِى عَتَبِ إِلَّا العَبِيدُ بِضَرْبِ يَكْسِرِ العَمَدَا

هَلَّا شَكِرْتُمْ دِفَاعِي عَنْ جُنَيْدِكُمْ وَفَعَّ الْقَنَاوِ شِهَابُ الْحَرْبِ قَدَوَقْدَا
 (وقال ابن عرس العبدى) يمدح نصرا يوم الشعب ويذم الجنيد لأن
 نصراً أبلى يومئذ

يَانَصْرُ أَنْتَ فَنِي نَزَارُ كُلَّهَا
 فَارْجَتْ عَنْ كُلِّ الْقَبَائِلِ كُرْبَةً
 يَوْمَ الْجُنَيْدِ إِذَا الْقَنَا مُتَشَاوِرَةً
 مَازَلْتَ تَرْمِيهِمْ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ
 قَالَتِ النَّاسُ كُلُّ بَعْدَهَا عَتَقَاوَكُمُ
 وَقَالَ الشَّرْعِيُّ الطَّائِيُّ

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا فِي بِلَادِ غَرِيبَةٍ
 تَذَكَّرْتُهَا وَالشَّائِسُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 بِلَادُهَا خَاقَانُ جُتْمُ زُحُوفُهُ
 إِذَا دَبَّ خَاقَانُ وَسَارَتْ جُنُودُهُ
 هُنَاكَ هِنْدُ مَا لَنَا النِّصْفُ مِنْهُمْ
 أَلَا رُبَّ خَوْدٍ خَدَلَهُ قَدْ رَأَيْتُهَا
 أَحَامِي عَلَيْهَا حِينَ وَلَّى خَلِيلُهَا
 تَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهَا صَفَّ قَوِيهَا
 أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ كَرِيمٌ يُرِثُنِي
 فَمَا جَاوَبُوهَا غَيْرَ إِنَّ نَصِيفَهَا
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَبَوَّةً فِي قُلُوبِهَا
 فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَلُوكَا صَحِيفَةً
 بَأَنَّ بَقَايَانَا وَأَنْ أَمِيرَنَا
 هُمْ أَطْمَعُوا خَاقَانُ فِينَا وَجُنْدُهُ
 وَقَالَ ابْنُ عَرَسٍ وَاسْمُهُ خَالِدُ بْنُ الْمَعَارِكِ مِنْ بَنِي غَنَمٍ بَنٍ وَدِيعَةُ بْنُ لَكَيْزٍ

أفصى وذكر علي بن محمد عن شيخ من عبد القيس أن أمه كانت أمة فباعه أخوه
 تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بني عامر بن الحارث فأعتقه عمر و لما حضرته
 الوفاة فقال يا أبا يعقوب كم لي عندك من المال قال ثمانون ألفاً قال أنت حر
 وما في يدك لك قال فكان عمر ينزل مرو الروذ وقد اقتتلت عبد القيس في ابن
 عرس فردوه إلى قومه فقال ابن عرس للجنيذ

أين تحاة الحرب من معشر
 يادوا بأجال توافوا لها
 فالعين تجرى دمعها مسبلاً
 انظر ترى للميت من رجعة
 كنا قديماً يتقى بأُسنا
 حتى مُنينا بالذي شامنا
 كعاقِر الناقة لا ينثني
 فتقت مالم يلتم صدعه
 تبكي لها إن كشفت ساقها
 تركتنا أجزاءً مغبوطه
 ترفت الأسياف مسلوله
 تساقط الهامات من وقعها
 إذا أنت كالطفلة في خدرها
 إنا أناس حربنا صعبة
 أضحت سمرقند وأشياعها
 وكم توى في الشعب من حازم
 يستنجد الخطب ويغشى الوغى
 ليتك يوم الشعب في حفرة
 تلعب بك الحرب وأبناؤها
 كانوا جمال القدير الحارث
 والعار الممهل كالبايد
 ما لدُموع العين من زائد
 أم هل ترى في الدهر من خالده
 ونذراً الصادر بالوارد
 من بعد عز ناصر آيد
 مبتدئاً ذي حنق جاهد
 بالجحفل المحتشد الزائد
 جدعاً وعقراً لك من قائد
 يقسمها الجارز للناهد
 تزيل بين العضد والساعد
 بين جناحي مبرق راعد
 لم تدرك ما كيدة الكائد
 تعصف بالقائم والقاعد
 أحدىثة الغايب والشاهد
 جلد القوي ذي مرة ماجد
 لا هيب غش ولا ناكيد
 رموسة بالمدر الجامد
 لعب صقور بقطا وارد

طَارَ لَهَا قَلْبُكَ مِنْ خِيفَةٍ مَا قَلْبُكَ الطَّائِرُ بِالْعَائِدِ
 لَا تَحْسِبَنَّ الْحَرْبَ يَوْمَ الضَّحَى كَثْرَبِكَ الْمُرَاءَ بِالْبَارِدِ
 أَبْغَضْتُ مِنْ عَيْنِكَ تَبْرِيجَهَا وَصُورَةَ فِي جَسَدٍ فَاسِدِ
 جُنَيْدُ مَا عِصْكَ مَنَسُوبُهُ نَبْعًا وَلَا جَدُّكَ بِالصَّاعِدِ
 خَمْسُونَ أَلْفًا قُتِلُوا ضِيعَةً وَأَنْتَ مِنْهُمْ دَعْوَةَ النَّاشِدِ
 لَا تَمْرِيَنَّ الْحَرْبَ مِنْ قَابِلٍ مَا أَنْتَ فِي الْعَدْوَةِ بِالْحَامِدِ
 قَلَّدَتْهُ طَوْقًا عَلَى نَحْرِهِ طُوقَ الْحَمَامِ لِلغَرْدِ الْفَارِدِ
 قَصِيدَةً حَبَّرَهَا شَاعِرٌ تَسْعَى بِهَا الْبُرْدُ إِلَى خَالِدِ

(وحيج) بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي كذلك حدثني
 أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وقد قيل إن الذي
 حج بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام وكانت عمال الأمصار في هذه السنة
 عمالها الذين كانوا في سنة ١١١ وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بُخْت وهو مع البطال عبد الله بأرض
 الروم فذكر محمد بن عمر عن عبد العزيز بن عمر أن عبد الوهاب بن بُخْت غزا مع البطال
 سنة ١١٣ فانهزم الناس عن البطال وانكشفوا لجعل عبد الوهاب يكرّ فرسه
 وهو يقول ما رأيت فرساً أجبن منه وسفك الله دمي إن لم أسفك دمك ثم ألقى
 بيضته عن رأسه وصاح أنا عبد الوهاب بن بُخْت أَمِنَ الْجَنَّةَ تَفْرُونَ ثُمَّ تَقْدَمُ
 فِي نَحْوِ الْعَدُوِّ فَرَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاعْطِشَاءَ فَقَالَ تَقْدَمُ الرِّىَ أَمَامَكَ فَخَالَطَ
 الْقَوْمَ فَقُتِلَ وَقُتِلَ فَرسه (ومن ذلك) ما كان من تفريق مسلمة بن عبد الملك
 الجيوش في بلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسروسي
 وحرقت خلق كثير من الترك أنفسهم بالنار ودان لمسلمة من كان وراء جبال

بلنجر وقتل ابن خاقان (ومن ذلك) غزوة معاوية بن هشام أرض الروم فرباط من ناحية مرعش ثم رجع (وفي هذه السنة) صار من دُعاة بني العباس جماعة إلى خراسان فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله وقال من أصيب منهم فدمه هدر (وحج) بالناس في هذه السنة في قول أبي معشر سليمان بن هشام بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وقال بعضهم الذي حج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم الذين كانوا عمالها في سنة إحدى عشرة واثنى عشرة وقد مضى ذكرنا لهم

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ذكر الأخبار عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام على الصائفة اليمنى فذكر أن معاوية بن هشام أصاب ربض أقرن وأن عبد الله البطال التقى وقسطنطين في جمع فهزمهم وأسر قسطنطين وبلغ سليمان بن هشام قيسارية (وفي هذه السنة) عزل هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن المدينة وأمر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم قال الواقدي قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الأول وكانت امرأة إبراهيم بن هشام على المدينة ثمانين سنين وقال الواقدي في هذه السنة ولي محمد بن هشام المخزومي مكة وقال بعضهم بل ولي محمد بن هشام مكة سنة ١١٣ فلما عزل إبراهيم أقر محمد بن هشام على مكة (وفي هذه السنة) وقع الطاعون فيما قيل بواسطة (وفيها) قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبني الباب فأحكم ما هنالك (وفي هذه السنة) ولي هشام مروان بن محمد أرمينية وآذربيجان واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة فقال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت عن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه حج بالناس سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم وهو على المدينة

وقال بعضهم حج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة لم يشهد الحج قال الواقدي حدثني بهذا الحديث عبد الله ابن جعفر عن صالح بن كيسان قال الواقدي وقال لي أبو معشر حج بالناس سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك ومحمد بن هشام على مكة قال الواقدي وهو الثبت عندنا وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها غير أن عامل المدينة في هذه السنة كان خالد بن عبد الملك وعامل مكة والطائف محمد ابن هشام وعامل أرميلية وآذريجان مروان بن محمد

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ذكر الأخبار عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم (وفيها) وقع الطاعون بالشام (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل وهو أمير مكة والطائف كذلك قال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في سنة ١١٤ غير أنه اختلف في عامل خراسان في هذه السنة فقال المدائني كان عاملها الجنيد ابن عبد الرحمن وقال بعضهم كان عاملها عمارة بن حريم المرسي وزعم الذي قال ذلك أن الجنيد مات في هذه السنة واستخلف عمارة بن حريم وأما المدائني فانه ذكر أن وفاة الجنيد كانت في سنة ١١٦ (وفي هذه السنة) أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة فكتب الجنيد إلى السكور إن مرو كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأحلوا إليها الطعام قال علي ابن محمد أعطى الجنيد في هذه السنة رجلاً درهما فاشترى به رغيفاً فقال لهم تشكون الجوع ورغيف بدرهم لقد رأيته بالهند وإن الحبة من الجبوب لتباع عدداً بالدرهم وقال إن مرو كما قال الله عز وجل (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً)

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

ذكر ما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة (وفيها)
كان طاعون شديد بالعراق والشام وكان أشد ذلك فيما ذكر بواسط (وفيها)
كانت وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي خراسان
ذكر الخبر عن أمرهما

وذكر علي بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن تزوج الفاضلة بنت
يزيد بن المهلب فغضب هشام على الجنيد وولى عاصم بن عبد الله خراسان وكان
الجنيد سقى بطنه فقال هشام لعاصم إن أدركته وبه رمق فازهق نفسه فقدم عاصم
وقد مات الجنيد قال وذكروا أن جبلة بن أبي رواد دخل على الجنيد عائداً فقال
يا جبلة ما يقول الناس قال قلت يتوجهون للأمير قال ليس عن هذا سألتك ما يقولون
وأشار نحو الشام بيده قال قلت يقدم على خراسان يزيد بن شجرة الرهاوى قال
ذلك سيد أهل الشام قال ومن قلت عصمة أو عصام وكنيت عن عاصم فقال إن
قدم عاصم فعدو جاهد لا مرحبا به ولا أهلاً قال فمات في مرضه ذلك في المحرم
سنة ١١٦ واستخلف عمارة بن حريم وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حريم
وعمال الجنيد وعذبهم وكانت وفاته بمرو فقال أبو الجويرية عيسى بن عصمة يرثيه

هَلِكِ الْجُودُ وَالْجَنِيدُ جَمِيعًا فَعَلِيَ الْجُودِ وَالْجَنِيدِ السَّلَامُ

أَصْبَحَا ثَاوِيَيْنِ فِي أَرْضِ مَرُو مَا تَغَنَّتْ عَلَى الْغُصُونِ الْحُمَامُ

كُنْتُمَا نُزْهَةَ الْكِرَامِ فَلَمَّا مُتَّ مَاتَ النَّدَى وَمَاتَ الْكِرَامُ

ثم إن أبا الجويرية أتى خالد بن عبد الله القسرى وامتدحه فقال له خالد ألسنت

القائل هلك الجود والجنيد جميعاً هـ مالك عندنا شيء هـ فخرج فقال

تَظَلُّ لَامِعَةً الْآفَاقُ تَحْمِلُنَا إِلَى عُمَارَةَ وَالْقَوْدُ السَّرَاهِيدُ

قصيدة امتدح بها عمارة بن حريم ابن عم الجنيد وعمارة هو جد أبي الهيثم

صاحب العصية بالشأم قال وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حريم وعمال
الجنيد وعذبهم (وفي هذه السنة) خلع الحارث بن سريج وكانت الحرب بينهما وبين
عاصم بن عبد الله

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر عليّ عن أشياخه قال لما قدم عاصم خراسان والياً أقبل الحارث بن
سُريج من النُخْد حتى وصل إلى الفارياب وقدم أمامه بشر بن جُرْمُوز قال فوجه
عاصم الخطاب بن محرز السلمي ومنصور بن عمر بن أبي الخرفاء السلمي وهلال بن
عُليم التيمي والأشهب الحنظلي وجريز بن هميان السدوسي ومقاتل بن حيان
النبطي مولى مصقلة إلى الحارث وكان خطاب ومقاتل بن حيان قالوا لا تلقوه إلا
بأمان فأبى عليهما القوم فلما انتهوا إليه بالفارياب قيدهم وحبسهم ووكّل بهم رجلاً
يحفظهم قال فأوثقوه وخرجوا من السجن فركبوا دوابهم وساقوا دواب البريد
فروا بالطالقان فهم سهرب صاحب الطالقان بهم ثم أمسك وتركهم فلما قدموا
مرو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث وذكروا خبث سيرته وغدره ثم مضى
الحارث إلى بلخ وعليها نصر فقاتلوه فهزم أهل بلخ ومضى نصر إلى مرو وذكر
بعضهم لما أقبل الحارث إلى بلخ وكان عليها التُّجِيبِيُّ بن ضبيعة المروئي ونصر بن
سيار وولاهما الجنيد قال فأنتهى إلى قنطرة عطاء وهي على نهر بلخ على فرسخين من
المدينة فالتقى نصر بن سيار في عشرة آلاف والحارث بن سريج في أربعة آلاف
فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضى فقال قطن بن عبد الرحمن بن
جزى الباهلي يا حارث أنت تدعو إلى كتاب الله والسنة والله لو أن جبريل عن
يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتك فقاتلهم فأصابته رمية في عينه فكان أول قتيل
فأنهزم أهل بلخ إلى المدينة وأتبعهم الحارث حتى دخلها وخرج نصر من باب آخر فأمر
الحارث بالكف عنهم فقال رجل من أصحاب الحارث إني لأمشي في بعض طرق
بلخ إذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول يا أبتاه ليت شعري من دهاك وأعرابي
إلى جنبي يسير فقال من هذه الباكية فقيل له ابنة قطن بن عبد الرحمن بن جزى فقال

الاعرابي أنا وأبيك دهيتك فقلت أنت قتلتك قال نعم قال ويقال قدم نصر والتجبي على بلخ فبسه نصر فلم يزل محبوساً حتى هزم الحارث نصرأ وكان التجبي ضرب الحارث أربعين سوطاً في إمرة الجنيد فحوله الحارث إلى قلعة باذكر بزم فجاء رجل من بني حنيفة فادعى عليه أنه قتل أخاه أيام كان على هراة فدفعه الحارث إلى الحنفي فقال له التجبي افتدى منك بمائة ألف فلم يقبل منه وقتله وقوم يقولون قتل التجبي في ولاية نصر قبل أن يأتيه الحارث قال ولما غلب الحارث على بلخ استعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله ابن حازم وسار فلما كان بالجوزجان دعا وابصة بن زرارة العبدى ودعا دجاجة ووحشاً العجليين وبشر بن جرموز وأباً فاطمة فقال ماترون فقال أبو فاطمة مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير لو لم يلقوك إلا بعيدهم لا تتصفوا منك فأقم فإن أتوك قاتلتهم وإن أقاموا قطعت المادة عنهم قال لا أرى ذلك ولكن أسير اليهم فأقبل الحارث إلى مرو وقد غلب على بلخ والجوزجان والفارياب والطلقان ومرو الروذ فقال أهل الدين من أهل مرو إن مضى إلى أبرشهر ولم يأتنا فرق جماعتنا وإن أتانا نكسب قال وبلغ عاصماً أن أهل مرو يكتبون الحارث قال فأجمع على الخروج وقال يا أهل خراسان قد بايعتم الحارث بن شريح لا يقصد مدينة إلا خليتموها له إنى لاحق بأرض قومي أبرشهر وكاتب منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدني بعشرة آلاف من أهل الشام فقال له المجشر بن مزاحم إن أعطوك بيعتهم بالطلاق والعناق فأقم وإن أبوا فسر حتى تنزل أبرشهر وتكتب إلى أمير المؤمنين فيمدك بأهل الشام فقال خالد بن هريم أحد بني ثعلبة بن يربوع وأبو محارب هلال بن عليم والله لا نخليك والذهاب فليزمننا دينك عند أمير المؤمنين ونحن معك حتى نموت إن بذلت الأموال قال افعل قال يزيد بن قران الرياحي إن لم أقاتل معك ما قاتلت فابنة الأبرد ابن قرّة الرياحي طالق ثلاثاً وكانت عنده فقال عاصم أكلكم على هذا قالوا نعم وكان سلمة بن أبي عبد الله صاحب حرسه يخلفهم بالطلاق قال وأقبل الحارث ابن سريج إلى مرو في جمع كثير يقال في ستين ألفاً ومعه فرسان الأزد وتميم منهم محمد بن المثنى وحماد بن عامر بن مالك الحناني وداود الأعسر وبشر بن أنيف

الرياحي وعطاء الدبوسي ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان لغارياب
وسهرب ملك الطالقان وقرياقس دهقان مرو في أشباههم قال وخرج عاصم في
أهل مرو وفي غيرهم فمسك بجيأسر عند البيعة وأعطى الجند ديناراً ديناراً أخف
عنه الناس فأعطاهم ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير وأعطى الجند وغيرهم فلما قرب
بعضهم من بعض أمر بالقناطر فكسرت وجاء أصحاب الحارث فقالوا نتحصروننا
في البرية دعونا نقطع إليكم فتناظر كم فيما خرجنا له فأبوا وذهب رجالهم يصلحون
القناطر فأتاهم رجالة أهل مرو فقاتلوهم فقال محمد بن المشي الفراهيدي برايته إلى
عاصم فأما له في ألفين فأتى الأزدي ومال حماد بن عامر بن مالك الحناني إلى عاصم
وأتى بني تميم قال سلة الأزدي كان الحارث بعث إلى عاصم رسلاً منهم محمد بن
مسلم العنبري يسألونه العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال وعلى
الحارث بن سريج يومئذ السواد قال فلما مال محمد بن المشي بدأ أصحاب الحارث
بالحملة والتقى الناس فكان أول قتيل غياث بن كشوم من أهل الجارود فانهزم
أصحاب الحارث ففرق بشر كثير من أصحاب الحارث في أنهار مرو والنهر الأعظم
ومضت الدهاقين إلى بلادهم فضرب يومئذ خالد بن علباء بن حبيب بن الجارود
على وجهه وأرسل عاصم بن عبد الله المؤمن بن خالد الحنفي وعلباء بن أحر اليشكري
ومحي بن عقيل الخزاعي ومقاتل بن حيان النبطي إلى الحارث يسأله ما يريد فبعث
الحارث محمد بن مسلم العنبري وحده فقال لهم إن الحارث وإخوانكم يقرئونكم
السلام ويقولون لكم قد عطشنا وعطشت دوابنا فدعونا نزل الليلة وتختلف
الرسل فيما بيننا وتتناظر فإن وافقناكم على الذي تريدون وإلا كنتم من وراء
أمركم فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظا فقال مقاتل بن حيان النبطي يا أهل خراسان
إننا كنا بمنزلة بيت واحد وثمرنا واحد ويدنا على عدونا واحدة وقد أنكرنا
ما صنع صاحبكم وجه إليه أميرنا بالفقهاء والقراء من أصحابه فوجه رجلاً واحداً
قال محمد إنما أتيتكم مبلغاً نطلب كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيايتكم
الذي تطلبون من غد إن شاء الله تعالى وانصرف محمد بن مسلم إلى الحارث

فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصما فلما أصبح سار اليه فالتقوا وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبدالله بن زرارة التغلبي فاقتلوا قتالا شديدا فحمل يحيى بن حنين وهو رأس بكر بن وائل وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج فقتلوا قتلا ذريعا فقطع الحارث وادى مرو فضرب رواقا عند منازل الرهبان وكف عنه عاصم قال وكانت القتلى مائة وقتل سعيد بن سعد بن جزء الأزدي وغرق خازم ابن موسى بن عبدالله بن خازم وكان مع الحارث بن سريج واجتمع إلى الحارث زهاء ثلاثة آلاف فقال القاسم بن مسلم لما هزم الحارث كف عنه عاصم ولو ألح عليه لأهلكه وأرسل إلى الحارث إني رآد عليك ما ضمننت لك ولا أصحابك على أن ترتحل ففعل قال وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم وكان أصحابه أجمعوا على مفارقة الحارث وقالوا ألم تزعم أنه لا يردك راية فأتاهم فسكنهم وكان عطاء الدبوسى من الفرسان فقال لغلामه يوم زرق أسرج لى برذونى لعلى ألعاب هذه الحمارة فركب ودعا إلى البراز فبرز له رجل من أهل الطالقان فقال بلغته أى كبير خر (قال أبو جعفر) الطبرى رحمه الله (وحج بالناس فى هذه السنة) الوليد ابن يزيد بن عبد الملك وهو ولى العهد كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة عماله فى التى قبلها إلا ما كان من خراسان فان عاملها فى هذه السنة عاصم بن عبدالله الهلالى

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام ابن عبد الملك الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سراياه فى أرض الروم (وفىها) بعث مروان بن محمد وهو على أرمينية بعثين فافتتح أحدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تو مان شاء فنزل أهلها على الصلح (وفىها) عزل هشام بن عبد الملك

عاصم بن عبدالله عن خراسان وضمها إلى خالد بن عبدالله فولاها خالد أخاه أسد ابن عبدالله وقال المدائني كان عزل هشام عاصما عن خراسان وضم خراسان إلى خالد بن عبدالله في سنة ١١٦

ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصما وتوليته خالداً خراسان وكان سبب ذلك فيما ذكر علي عن أشياخه أن عاصم بن عبدالله كتب إلى هشام بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فإن الرائد لا يكذب أهله وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلى ما يحق به على نصيحته وإن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى صاحب العراق فتكون موادها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنواب من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطئ غيائه عنها فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه يحيى بن حنين والمجشر بن مزاحم وأصحابهم فأخبرهم فقال له المجشر بعد ما مضى الكتاب كأنك بأسد قد طلع عليك فقدم أسد بن عبدالله بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر فبعث الكميث بن زيد الأسدي إلى أهل مرو بهذا الشعر

ألا أبلغ جماعة أهل مرو
رسالة ناصح يهدي سلاماً
وأبلغ حارثاً عنا اعتذاراً
ولو لا ذلك قد زارتك خيل
فلا تنهوا ولا ترضوا بخسف
وكونوا كالبغايا إن خدعتم
والأفارفعوا الرايات سوداً
فكيف وأنتم سبعون ألفاً
ومن ولي بدمته رزينا
ومن غشى قضاة ثوب خزي
فمهلاً يا قضاة فلا تكوني
وكنْتَ إذا دعوت بني زار

على ما كان من ناءٍ وبُعْدٍ
ويأمر في الذي ركبوا بحدٍ
إليه بأن من قبلي بجهدٍ
من المصيرين بالفرسان تردى
ولا يغرركم أسد بعهدٍ
وإن أفرتم ضيماً لوغدٍ
على أهل الضلالة والتعدى
رماكم خالد بشيه قردٍ
وشيعته ولم يوفي بعهدٍ
بقتل أبي سلامان بن سعدٍ
توابع لا أصول لها بنجدٍ
أتاك الدُّهم من سبطٍ وجعدٍ

فُجِدَّعَ مِنْ قَضَاعَةِ كُلِّ أَنْفٍ وَلَا فَازَتْ عَلَى يَوْمٍ بِمَجْدٍ
قال ورزین الذی ذکر کان خرج علی خالد بن عبدالله بالکوفة فاعطاه الامان
ثم لم یف به وقال فیہ نصر بن سيار حین أقبل الحارث إلی مرو وسودراتاته وكان
الحارث یری رأی المرجة

دَعَّ عَنْكَ دُنْيَا وَأَهْلًا أَنْتَ تَارِكُهُمْ
إِلَّا بَقِيَّةَ أَيَّامٍ إِلَى أَجَلٍ
وَأَكْثَرَتَنِي اللَّهُ فِي الْإِسْرَارِ بِجَهْدٍ
وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ بِالْأَعْمَالِ مُرْتَهَنٌ
إِنِّي أَرَى الْغَبْنَ الْمُرْدِي بِصَاحِبِهِ
تَكُونُ لِلْمَرْءِ أَطْوَارًا فَتَمْنَحُهُ
بَيْنَا الْفَتَى فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ حَوْلَهُ
تَحْلُو لَهُ مَرَّةً حَتَّى يُسَرَّ بِهَا
هَلْ غَابِرٌ مِنْ بَقَايَا الدَّهْرِ تَنْظُرُهُ
فَأَمْنَحْ جِهَادَكَ مَنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَةَ
وَأَقْتُلْ مُوَالِيَهُمْ مِنَّا وَنَاصِرُهُمْ
وَالْعَائِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ
وَالْقَاتِلِينَ سَبِيلُ اللَّهِ بَغْيُنَا
فَأَقْتُلْهُمْ غَضَبًا لِلَّهِ مُنْتَصِرًا
إِزْجَاؤُكُمْ لَزَكُمْ وَالشَّرْكَ فِي قَرْنٍ
لَا يُبْعِدُ اللَّهَ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَكُمْ
الَّتِي بِهِ اللَّهُ رُعبًا فِي نُحُورِكُمْ
كَيْمَا نَكُونَ الْمُوَالِي عِنْدَ خَائِفَةٍ
وَهَلْ تَعْيُونَ مِنَّا كَاذِبِينَ بِهِ
يَأْتِي الذِّي كَانَ يُبْلِي اللَّهَ أَوْلَكُمْ

مَا خَيْرُ دُنْيَا وَأَهْلٍ لَا يَدُومُونَ
فَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَهْلًا لَا يَمُوتُونَ
إِنَّ الثَّقَى خَيْرُهُ مَا كَانَ مَكْنُونًا
فَكُنْ لَذَاكَ كَثِيرَ الْهَمِّ مَحْزُونًا
مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَغْبُونًا
يَوْمًا عَثَارًا فَطَوْرًا تَمْنَحُ اللَّيْنَا
دَهْرٌ فَأَمْسَى بِهِ عَنْ ذَاكَ مَرْبُونًا
حِينَئِذٍ وَنَمْقَرُهُ طَعْمًا أَحَابِينَا
إِلَّا كَمَا قَدْ مَضَى فِيمَا تُقْضُونَا
وَكُنْ عَدُوًّا لِقَوْمٍ لَا يُصْلُونَا
حِينَئِذٍ تَكْفُرُهُمُ وَالْعَنَهُمُ حِينَا
شَرُّ الْعِبَادِ إِذَا خَابَرَتْهُمْ دِينَا
لُبْعَدَ مَا نَكْبُوا عَمَّا يَقُولُونَا
مِنْهُمْ بِهِ وَدَعِ الْمُرْتَابَ مَفْتُونَا
فَأَنْتُمْ أَهْلُ إِشْرَاكِ وَمُرْجُونَا
إِذْ كَانَ دِينُكُمْ بِالْشَّرْكِ مَقْرُونَا
وَاللَّهُ يَقْضِي لَنَا الْحُسْنَى وَيُعْلِنَا
عَمَّا تَرُومُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَالْدِينَا
غَالٍ وَمُهْتَظَمٍ حَسْبِيَ الَّذِي فِينَا
عَلَى النِّفَاقِ وَمَا قَدْ كَانَ يُبْلِينَا

قال ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم فلما بلغ عاصم ان أسد بن عبد الله قد أقبل وأنه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الهمداني وأنه قد نزل الدندانقان صالح الحارث وكتب بينه وبينه كتابا على أن ينزل الحارث أي كورخراسان شاء وعلى أن يكتب جميعاً إلى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه فان أبي اجتماعاً جميعاً عليه فحتم على الكتاب بعض الرؤساء وأبي يحيى بن حضير أن يختم وقال هذا خلع لأمير المؤمنين فقال خالف بن خليفة ليحيى

أَبِي هَمْ قَلِيكَ إِلَّا اجْتِمَاعَا وَيَأْبَى رُقَاؤُكَ إِلَّا امْتِنَاعَا
بِغَيْرِ سَمَاعٍ وَلَمْ تَلْقَنِي أَحَاوِلُ مِنْ ذَاتِ لَهْوٍ سَمَاعَا
حَفِظْنَا أَمِيَّةً فِي مُلْكهَا وَنَخْطُرُ مِنْ دُونهَا أَنْ تَرَا
نَدَافِعُ عَنْهَا وَعَنْ مُلْكهَا إِذَا لَمْ نَجِدْ بِيَدَيْهَا امْتِنَاعَا
أَبِي شَعْبٍ مَا يَلْتَنَا فِي الْقَدِيمِ وَبَيْنَ أَمِيَّةٍ إِلَّا انْصِدَاعَا
أَلَمْ نَخْطِطْ هَامَةً ابْنَ الزُّبَيْرِ وَتَتَنَزَّعُ الْمُلُكُ مِنْهُ انْتِزَاعَا
جَعَلْنَا الْخِلَافَةَ فِي أَهْلِهَا إِذَا اصْطَرَّعَ النَّاسُ فِيهَا اصْطَرَا
نَصَرْنَا أَمِيَّةً بِالْمَشْرِفِ إِذَا انْخَلَعَ الْمُلُكُ عَنْهَا انْخِلَاعَا
وَمِنَا الَّذِي شَدَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَلَوْ غَابَ بِحَيٍّ عَنِ الشَّغْرِ ضَاعَا
عَلَى ابْنِ سُرَيْجٍ نَقَضْنَا الْأُمُورَ وَقَدْ كَانَ أَحْكَمَهَا مَا اسْتَطَاعَا
حَكِيمٌ مَقَالَتُهُ حِكْمَةٌ إِذَا شَتَّتَ الْقَوْمُ كَانَتْ جَمَاعَا
عَشِيَّةَ زَرْقٍ وَقَدْ أَزْمَعُوا قَمَعْنَا مِنَ النَّا كَثِيرِينَ الزَّمَاعَا
وَلَوْلَا قَتَى وَائِيلُ لَمْ يَكُنْ لِيُنْضَحَ فِيهَا رَتِيْسُ كُرَاعَا
فَقُلْ لَأَمِيَّةَ تَرَعَى لَنَا أَيَادِي لَمْ تُنْجِزْهَا وَاصْطِنَاعَا
أَتْلَهَيْنَ عَنْ قَتْلِ سَادَاتِنَا وَنَأْبَى لِحَقِّكَ إِلَّا اتِّبَاعَا
أَمَنْ لَمْ يَبْعُكْ مِنَ الْمُشْتَرِينَ كَأَخَرَ صَادَفَ سُوقَا فَبَاعَا
أَبِي ابْنُ حُضَيْنٍ لِمَا تَصَنَعَا يَنْ إِلَّا اضْطَلَاعَا وَإِلَّا اتِّبَاعَا
وَلَوْ يَأْمُنُ الْحَارِثُ الْوَاتِلِينَ لِرَاعِكَ فِي بَعْضٍ مَنْ كَانَ رَاعَا

وقد كَانَ أَصْعَرَ ذَا فَيْرَبٍ أَشَاعَ الضَّلَالَةَ فِيمَا أَشَاعَا
 كَفَيْنَا أُمِيَّةً مَخْتُومَةً أَطَاعَ بِهَا عَاصِمٌ مِّنْ أَطَاعَا
 فَلَوْلَا مَرَاكِزُ رَايَاتِنَا مِّنَ الْجُنْدِ خَاسَ الْجُنُودُ الضِّيَاعَا
 وَصَلْنَا الْقَدِيمَ لَهَا بِالْحَدِيثِ وَتَابَى أُمِيَّةٌ إِلَّا انْقِطَاعَا
 ذَخَائِرُ فِي غَيْرِنَا نَفْعُهَا وَمَا إِن عَرَفْنَا لَهْنَ انْتِفَاعَا
 وَلَوْ قَدَمَتَهَا وَبَانَ الْحِجَا بُلَارَتَعَتْ بَيْنَ حِشَاكِ ارْتِيَاعَا
 فَأَيْنَ الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْوَفَا وَالشُّكْرُ أَحْسَنُ مِّنْ أَنْ يُضَاعَا
 وَأَيْنَ ادِّخَارُ بَنِي وَائِلِ إِذَا الذُّخْرُ فِي النَّاسِ كَانَ ارْتِجَاعَا
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ أَسْيَافَنَا تُدَاوِي الْعَلِيلَ وَتَشْفِي الثُّدَاعَا
 إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَا ۞ وَأَسْلَمَ أَهْلُ الْقِلَاعِ الْقِلَاعَا
 إِذَا ابْنُ خُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَا ۞ أَشَارَ الثُّسُورُ بِهِ وَالضُّبَاعَا
 إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَا ۞ ذَكَى وَكَانَتْ مَعَدَّةٌ جُدَاعَا

قال وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شراحيل اليشكري من أهل الرأي
 فأشار على يحيى بنقض الصحيفة وقال له غمرات ثم ينجلين وهي المغمضات
 فغمض قال وكان عاصم بن عبد الله في قرية بأعلى مرو لكندة ونزل الحارث قرية
 لبني العنبر فالتقوا بالخيول والرجال ومع عاصم رجل من بني عبس في خمسمائة من
 أهل الشام وإبراهيم بن عاصم العقيلي في مثل ذلك فنأدى منادى عاصم من جاء
 برأس فله ثلثمائة درهم فجاء رجل من عماله برأس وهو عاض على أنفه ثم جاءه
 رجل من بني ليث يقال له ليث بن عبد الله برأس ثم جاء آخر برأس فقبل لعاصم
 إن طمع الناس في هذا لم يدعوا ملاحا ولا علجا إلا أتوك برأسه فنأدى مناديه
 لا يأتنا أحد برأس فمن أتانا به فليس له عندنا شيء وانهم أصحاب الحارث فأسروا
 منهم أسارى وأسروا عبد الله بن عمرو المازني رأس أهل مرو الروذ وكان
 الأسراء ثمانين أكثرهم من بني تميم فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الدندانقان
 وكانت اليمانية بعثت من الشام رجلا يعدل بألف يكنى أبا داود أيام العvisية في

خسمائة فكان لا يمر بقرية من قرى خراسان إلا قال كأنكم بي قد مررت
 راجعا حاملا رأس الحارث بن سريج فلما التقوا دعا إلى البراز فبرز له الحارث
 ابن سريج فضربه فوق منكبه الأيسر فصرعه وحامى عليه أصحابه فحملوه فخلوط
 فكان يقول يا أبرشهر الحارث بن سريجاه يا أصحاب المعموراه ورمى فرس الحارث
 ابن سريج في لبانه فتزع النشابة واستحضره وألح عليه بالضرب حتى نزقه وعرقه
 وشغله عن ألم الجراحة قال وحمل عليه رجل من أهل الشام فلما ظن أن الرمح
 مغالطه مال عن فرسه واتبع الشامي فقال له أسألك بحرمة الإسلام في دمي قال
 انزل عن فرسك فنزل وركبه الحارث فقال الشامي خذ السرج فوالله إنه خير

من الفرس فقال رجل من عبد القيس

تَوَلَّيْتُ قَرِيشَ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَاتَّقَيْتُ بِنَا كُلَّ فَتْحٍ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا

فَلَيْتَ قَرِيشًا أَصْبَحُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ يَعْومُونَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ أَخْضَرَا

قال وعظم أهل الشام يحيى بن حَضِين لما صنع في أمر الكتاب الذي كتبه
 عاصم وكتبوا كتابا وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبري ورجل من أهل الشام فلقوا
 أسد بن عبد الله بالري ويقال لقوه بيهيق فقال ارجعوا فاني أصلح هذا الأمر
 فقال له محمد بن مسلم هُدمت داري فقال أبنهالك وأرد عليكم كل مظلة قال وكتب
 أسد إلى خالد ينتحل أنه هزم الحارث ويخبره بأمر يحيى قال فأجاز خالد يحيى بن
 حَضِين بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حلة قال وكانت ولاية عاصم أقل من سنة
 قيل كانت سبعة أشهر وقدم أسد بن عبد الله وقد انصرف الحارث فحبس عاصما
 وسأله عما أنفق وحاسبه فأخذه بمائة ألف درهم وقال إنك لم تغز ولم تخرج من
 مرو ووافق عمارة بن حريم وعمال الجنيد محبوسين عنده فقال لهم أسير فيكم
 بسيرتنا أم بسيرة قومكم قالوا بل بسيرتك فغلى سبيلهم قال علي عن شيوخه قالوا لما
 بلغ هشام بن عبد الملك أمر الحارث بن سريج كتب إلى خالد بن عبد الله ابعت أخاك
 يصلح ما أفسد فان كانت رجية فلتكن به قال فوجه أخاه أسدا إلى خراسان فقدم
 أسد وما يملك عاصم من خراسان إلا مرو وناحية أبرشهر والحارث بن سريج بمرو

الروذوخالد بن عبيد الله الهجري بآمل ويخاف إن قصد للحارث بمرور الروذوخالد بن عبيد الله مرو من قبل آمل وإن قصد لخالد دخلها الحارث من قبل مرو الروذوخالد فاجتمع على أن يوجه عبد الرحمن بن نعيم الغامدي في أهل الشام الكوفة وأهل في طلب الحارث إلى ناحية مرو الروذوخالد وسار أسد بالناس إلى آمل واستعمل على بني تميم الحوثة بن يزيد الغنبري فلقبهم خيل لأهل آمل عليهم زياد القرشي مولى حيان التبطي عند ركايا عثمان فهزمهم حتى انتهوا إلى باب المدينة ثم كروا على الناس فقتل غلام لأسد بن عبد الله يقال له جبلة وهو صاحب علمه وتحصنوا في ثلاث مدائن لهم قال فنزل عليهم أسد وحصرهم ونصب عليهم المجانيق وعليهم خالد بن عبيد الله الهجري من أصحاب الحارث فطلبوا الأمان فخرج اليهم رويد بن طارق القطعي مولى لهم فقال ما تطلبون قالوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال فلکم ذلك قالوا على أن لا تأخذ أهل هذه المدن بجنايتنا فأعطاهم ذلك واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيباني أحد بني ثعلبة بن شيان بن أخى مصقلة ابن هبيرة ثم أقبل أسد في طريق زم يريد مدينة بلخ فتلقاه مولى لمسلم بن عبد الرحمن فأخبره أن أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم فقدم بلخ فاتخذ سفنا وسار منها إلى الترمذ فوجد الحارث محاصراً سنانا الأعرابي السلمي ومعه بنو الحجاج بن هارون النميري وبنو زرعة وآل عطية الأعور النضري في أهل الترمذ والسبل مع الحارث فقتل أسد دون النهر ولم يطق القطوع اليهم ولا أن يمدحهم وخرج أهل الترمذ من المدينة فقاتلوا الحارث قتالاً شديداً وكان الحارث استطرد لهم ثم كر عليهم فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن المنخل وعاصم بن معول النجلى في خمسين ومائة من أهل الشام وغيرهم وكان بشر بن جرموز وأبو فاطمة الأيادي ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب الترمذ فيكون ويشكون بني مروان وجورهم ويسألونهم النزول اليهم على أن يمالئوهم على حرب بني مروان فيأبون عليهم فقال السبل وهو مع الحارث يا حارث إن الترمذ قد بنيت بالطبول والمزامير ولا تفتح بالبكاء وإنما تفتح بالسيف فقال إن كان

بك قتال وتركه السبل وأتى بلاده قال وكان أسد حين مر بأرض زَم تعرض للقاسم الشيباني وهو في حصن بزَم يقال له باذكر ومضى حتى أتى الترمذ فنزل دون النهر ووضع سريره على شاطئ النهر وجعل الناس يعبرون فمن سفلت سفيلته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث في سفينة فالتقوا في سفينة فيها أصحاب أسد فيهم أصغر بن عينة الحميري وسفينة أصحاب الحارث فيها داود الأعسر فرمى أصغر فصك السفينة وقال أنا الغلام الأحرى فقال داود الأعسر لأمر ما انتميت إليه لا أرض لك وألّزق سفينته بسفينة أصغر فاقتلوا وأقبل الأشكند وقد أراد الحارث الانصراف فقال له إنما جئتكم ناصراً لك وكن الأشكند وراء دير وأقبل الحارث بأصحابه وخرج إليه أهل الترمذ فاستطرد لهم فاتبعوه ونصر مع أسد جالس ينظر فأظهر الكراهية وعرف أن الحارث قد كادهم فظن أسد أنه إنما فعل ذلك شفقة على الحارث حين ولى فأراد أسد معاتبة نصر فإذا الأشكند قد خرج عليهم فحمل على أهل الترمذ فهربوا وقتل في المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخل الجرهمي من الأزد وعاصم بن معول وكان من فرسان أهل الشام ثم ارتحل أسد إلى بلخ وخرج أهل الترمذ إلى الحارث فهزموه وقتلوا أبا فاطمة وعكرمة وقوماً من أهل البصائر ثم سار أسد إلى سمرقند في طريق زَم فلما قدم زَم بعث إلى الهيثم الشيباني وهو في باذكر وهو من أصحاب الحارث فقال إنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند وأنا أريد سمرقند وعلى عهد الله وذمته أن لا يبدأك مني شر ولك المؤاساة واللفظ والكرامة والأمان ولمن معك وأنت إن غمضت مادعوتك إليه فعلى عهد الله وذمة أمير المؤمنين وذمة الأمير خالد إن أنت رميت بسهم أن لا أومنك بعده وإن جعلت لك ألف أمان لأفنى لك به نخرج إليه على ما أعطاه من الأمان فأمنه وسار معه إلى سمرقند فأعطاهم عطاءين وحملهم على ما كان من دواب ساقها معه وحمل معه طعاماً من بخارى وساق معه أشياء كثيرة من شاء إلا كراد قسمها فيهم ثم ارتفع إلى ورغسر

وماء سمرقند منها فسكر الوادي وصرفه عن سمرقند وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها في السكر ثم قفل من سمرقند حتى نزل بلخ وقد زعم بعضهم أن الذي ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان في سنة ١٨ (وحج) بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك هـ وكان العامل فيها على المدينة وعلى مكة والطائف محمد بن هشام بن إسماعيل وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله وعلى أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد (وفيها) توفيت فاطمة بنت علي وسكينة ابنة الحسين ابن علي (وفي هذه السنة) أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان فقتل بعضهم ومثل ببعضهم وحبس بعضهم وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة ابن رزيق فأتى بهم فقال لهم يا فسقة ألم يقل الله تعالى (عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) فذكر أن سليمان بن كثير قال أتكلم أم أسكت قال بل تكلم قال نحن والله كما قال الشاعر

لو بغير الماء خلقي شرق كنت كالغصان بالماء اغتصاري

تدري ما قصتنا صيدت والله العقارب بيدك أيها الأمير إنا أناس من قومك وإن هذه المضرة إنما رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم وإنما طلبوا بثأرهم فتكلم ابن شريك بن الصامت الباهلي وقال إن هؤلاء القوم قد أخذوا مرة بعد مرة فقال مالك بن الهيثم أصلح الله الأمير ينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره فقالوا كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة نحن والله كنا أشد الناس عليه فبعث بهم أسد إلى الحبس ثم دعا عبد الرحمن بن نعيم فقال له ماترى قال أرى أن تمن بهم على عشائركم قال فالتيميآن اللذان معهم قال تخلي سبيلهما قال إنا إذا من عبد الله بن يزيد نفي قال فكيف تصنع بالربعي قال أخلي والله سبيله ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم بلجام حمار وأمر باللاجام أن يجذب لجذب حتى تحطمت أسنانه ثم قال اكسروا وجهه فدق أنفه ووجأ لحيته فندر ضررس له ثم دعا بلاهز بن قريظ فقال لاهز والله ما في هذا الحق أن تصنع بنا هذا وترك

اليمنيين والربعيين فضربه ثلاثمائة سوط ثم قال اصلوه فقال الحسن بن زيد
الازدي هو لي جار وهو برى مما قذف به قال فالآخرون قال أعرفهم
بالبراءة فخل سبيلهم

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابني هشام بن عبد الملك أرض الروم
(وفيها) وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان واليا على شيعة
بني العباس فنزل فيما ذكر مرو وغير اسمه وتسمى بخدش ودعا إلى محمد بن
علي فسارع إليه الناس وقبلوا ما جاءهم به وسمعوا إليه وطاعوا ثم غير
مادعاهم إليه وتكذب وأظهر دين الخرمية ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء
بعض وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي فبلغ أسد بن عبد الله خبره فوضع
عليه العيون حتى ظفر به فأتى به وقد تجهز لغزو بلخ فسأله عن حاله فأغلظ خدش
له القول وأمر به فقطعت يده وقلع لسانه وسملت عينه فذكر محمد بن علي عن
أشياخه قال لما قدم أسد آمل في مبدئه أتوه بخدش صاحب الهاشمية فأمر به
قرعة الطبيب فقطع لسانه وسمل عينه فقال الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر
منك ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم الشيباني عامل آمل فلما قفل من سمرقند كتب إلى
يحيى فقتله وصلبه بآمل وأتى أسد بحزور مولى المهاجر بن دارة الضبي فضرب
عنقه بشاطئ النهر ثم نزل أسد منصوره من سمرقند بلخ فسرّح جديعا الكرماني
إلى القلعة التي فيها قتل الحارث وثقل أصحابه واسم القلعة التبو شكان من طخارستان
العليا وفيها بنو برزى التغليبيون وهم أصحاب الحارث فحصرهم الكرماني حتى فتحها
فقتل مقاتلتهم وقتل بنو برزى وسبي عامة أهلها من العرب والموالي والذرارى
وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ فقال علي بن يعلى وكان شهد ذلك نقم على الحارث
أربعمائة وخمسون رجلا من أصحابه وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضي وفيهم

بشر بن أنيف الحنظلي وداود الأعسر الخوارزمي فقال الحارث إن كنتم لا بد مفارقي وطلبتم الأمان فاطلبوه وأنا شاهد فإنه أجدر أن يجيئكم وإن ارتحلتُ قبل ذلك لم يعطوا الأمان فقالوا ارتحل أنت واخلنا ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلا آخر فطلبوا الأمان فأمنهما أسد ووصلهما فغدرا بأهل القلعة وأخبراه أن القوم ليس لهم طعام ولا ماء فسرَّح أسد الكرماني في ستة آلاف منهم سالم بن منصور البجلي على ألفين والأزهر بن جرموز النيرى في أصحابه وجند بلخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشام وعليهم صالح بن القعقاع الأزدي فوجه الكرماني منصور بن سالم في أصحابه فقطع نهر ضرغام وبات ليلته وأصبح فأقام حتى متع النهار ثم سار يومه قرياً من سبعة عشر فرسخاً فأتعب خيله ثم انتهى إلى كشتم من أرض جيغويه فأنتهى إلى حائط فيه زرع قد قُصب فأرسل أهل العسكر دوابهم فيه وبينهم وبين القلعة أربع فراسخ ثم ارتحل فلما صار إلى الوادي جاءته الطلائع فأخبرته بمجيء القوم ورأسهم المهاجرين ميمون فلما صاروا إلى الكرماني كابدهم فانصرفوا وسار حتى نزل جانباً من القلعة وكان أول ما نزل في زهاء خمسمائة في مسجد كان الحارث بناه فلما أصبح تنامت إليه الخيل وتلاحقت من أصحاب الأزهر وأهل بلخ فلما اجتمعوا خطبهم الكرماني فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل بلخ لا أجدلكم مثلاً غير الزانية من أناها أمكنته من رجلها أنا كم الحارث في ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مدينتكم فقتل أشرافكم وطرد أميركم ثم سرتهم معه من مكانه إلى مرو فخذلتموه ثم انصرف إليكم منهزماً فأمكنتموه من المدينة والذي نفسى بيده لا يبلغني عن رجل منكم كتب كتاباً إليهم في سهم إلا قطعته يده ورجله وصلبته فأما من كان معي من أهل مرو فهم خاصتي ولست أخاف غدرهم ثم نهدي إلى القلعة فأقام بها يوماً و ليلة من غير قتال فلما كان من الغد نادى مناد إنا قد نبذنا إليكم بالعهد فقاتلوهم وقد عطف القوم وجاعوا فسألوا أن يزلوا على الحكم ويترك لهم نساؤهم وأولادهم فنزلوا على حكم أسد فأقام أياماً و قدم المهلب ابن عبد العزيز العتكي بكتاب أسد أن يحملوا إلى خمسين رجلاً منهم فيهم المهاجر

ابن ميمون ونظراؤه من وجوههم فحملوا إليهم فقتلهم وكتب إلى الكرمانى أن يصير الذين بقوا عنده أثلاثا فثلث يصلبهم وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم وثلث يقطع أيديهم ففعل ذلك الكرمانى وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمائة واتخذ أسد مدينة بلخ داراً في سنة ١١٨ ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع ثم غزا طخارستان ثم أرض جيغويه ففتح وأصاب سبياً (وفي هذه السنة) عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة واستعمل عليها محمد بن هشام بن اسماعيل (ذكر الواقدي) أن أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمرته على المدينة فصعد المنبر وصلى بالناس ستة أيام ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملاً على المدينة (وفي هذه السنة) مات على بن عبد الله بن العباس وكان يكنى أبا محمد وكانت وفاته بالحميمة من أرض الشام وهو ابن ثمان أو سبع وسبعين سنة وقيل إنه ولد في الليلة التي ضرب فيها على ابن أبي طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة ٤٠ فسماه أبوه علياً وقال سميته باسم أحب الخلق إلى وكناه أبا الحسن فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريرته وسأله عن كنيته فأخبره فقال لا يجتمع في عسكري هذا الاسم والكنية لأحد وسأله هل ولد له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد ابن علي فأخبره بذلك فكناه أبا محمد (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف وقد قيل إنما كان عامل المدينة في هذه السنة خالد ابن عبد الملك وكان إلى محمد بن هشام فيها مكة والطائف والقول الأول قول الواقدي وكان على العراق خالد بن عبد الله وإليه المشرق كله وعامله على خراسان أخوه أسد بن عبد الله وعامله على البصرة وأحداثها وقضاؤها والصلاة بأهلها بلال ابن أبي بردة وعلي أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد بن مروان

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسي أرض الروم (وفيها) غزا أسد ابن عبد الله الحنّال فافتتح قلعة زغرزك وسار منها إلى خدّاش وملايديه من السبي والشاء وكان الجيش قد هرب إلى الصين (وفيها) لقي أسد خاقان صاحب الترك فقتله وقتل بشرا كثيرا من أصحابه وسلم أسد والمسلمون وانصرفوا بغنائم كثيرة وسبي ذكر الخبر عن هذه الغزوة

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أنهم قالوا كتب ابن السائجي إلى خاقان أبي مزاحم وإنما كنّي أبا مزاحم لأنه كان يزاحم العرب وهو بنوا كث يعلمه دخول أسد الحنّال وتفرق جنوه فيها وأنه بحال مضية فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز وكان لخاقان مرج وجبل حمى لا يقربها أحد ولا يتصيد فيها يتركان للجهاد فضاء ما كان في المرج ثلاثة أيام وما في الجبل ثلاثة أيام فتجهزوا وارتعوا ودبغوا مسوك الصيد واتخذوا منها أوعية واتخذوا القسي والنشاب ودعا خاقان ببرذون مسرج ملجم وأمر بشاة فقطعت ثم علقت في المعاليق ثم أخذ شيئا من ملح فصيره في كيس وجعله في منطقته وأمر كل تركي أن يفعل مثل ذلك وقال هذا زادكم حتى تقوا العرب بالحنّال وأخذ طريق خشوراغ فلما أحس ابن السائجي أن خاقان قد أقبل بعث إلى أسد أخرج عن الحنّال فان خاقان قد أظلك فشم رسولك ولم يصدقه فبعث صاحب الحنّال إلى أسد كذبك وأنا الذي أعلمته دخولك وتفرق جندك وأعلمته أنها فرصة له وسألته المدد غير أنك أمعرت البلاد وأصبت الغنائم فان لقيك على هذه الحال ظفرك وعادتي العرب أبدا ما بقيت واستطال على خاقان واشتدت مؤوته وامتن على بقوله أخرجت العرب من بلادك ورددت عليك ملكك فعرف أسد أنه قد صدقه فأمر بالاثقال أن تقدم وولى عليها إبراهيم بن عاصم العقيلي الجزري الذي كان ولى سجستان بعد وأخرج معه المشيخة

فيهم كثير بن أمية أبو سليمان بن كثير الخزاعي وفضيل بن حيان المهري وسان
ابن داود القطعي وكان على أهل العالية سنان الأعرجي السلي وعلى الأقباض
عثمان بن شهاب الهمداني جد قاضي مرو فسارت الأثقال فكتب أسد إلى داود بن
شعيب والأصبع بن ذواله الكلبى وقد كان وجههما في وجه أن خاقان قد أقبل
فانضما إلى الأثقال إلى إبراهيم بن عاصم قال ووقع إلى داود والأصبع رجل
دبوسى فأشاع أن خاقان قد كسر المسلمين وقتل أسداً وقال الأصبع إن كان أسد
ومن معه أصيبوا فإننا هشام ننحاز إليه فقال داود بن شعيب قبح الله الحياة
بعد أهل خراسان فقال الأصبع حبذا الحياة بعد أهل خراسان قتل الجراح ومن
معه فما ضر المسلمين كثير ضر فإن هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينه
وان الله حى قيوم وأمير المؤمنين حى وجنود المسلمين كثير فقال داود أفلا تنظر
ما فعل أسد فنخرج على علم فسار حتى شارفاً عسكر إبراهيم فإذا هما بالنيران فقال داود
هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الأتراك متفرقة فقال الأصبع هم فى مضيق
ودنوا فسمعوا نهيق الحير فقال داود أما علمت أن الترك ليس لهم حير فقال الأصبع
أصابوها بالأمس ولم يستطيعوا أكلها فى يوم ولا اثنين فقال داود نسرح فارسين
فيكبران فبعثا فارسين فلما دنوا من العسكر كبرا فأجابهما العسكر بالتكبير فأقبلوا
إلى العسكر الذى فيه الأثقال ومع إبراهيم أهل الصغانيان وصغان خذاه فقام
إبراهيم بن عاصم مبادراً قال وأقبل أسد من الحتل نحو جبل المالح يريد أن يخوض
نهر بلخ وقد قطع إبراهيم بن عاصم بالسبي وما أصاب فأشرف أسد على النهر وقد
أتاه أن خاقان قد سار من سويات سبع عشرة ليلة فقام إليه أبو تمام بن زحر
وعبد الرحمن بن خنفر الأزديان فقالا أصلح الله الأمير إن الله قد أحسن بلاءك
فى هذه الغزوة فغنمت وسلت فاقطع هذه النطفة واجعلها وراءك فأمربهما
فوجئت رقابهما وأخرجنا من العسكر وأقام يومه فلما كان من الغد ارتحل وفى
النهر ثلاثة وعشرون موضعاً يخوضه الناس وفى موضع يجتمع ماء يبلغ دقى السرج
نخاضه الناس وأمر أن يحمل كل رجل شاة وحمل هو بنفسه شاة فقال له عثمان

ابن عبد الله بن مطرف بن مشخيران الذي أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر مما تخاف وقد فرقت الناس وشغلتهم وقد أظلك عدوك فدع هذا الشاة لعنة الله عليه وأمر الناس بالاستعداد فقال أسد والله لا يعبر رجل ليست معه شاة حتى تفي هذه الغنم إلا قطعت يده فجعل الناس يحملون الشاة الفارس يحملها بين يديه والراجل على عنقه وخاض الناس ويقال لما حفرت سنا بك الخيل النهر صار بعض المواضع سباحة فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته فأمر أسد بالشاة أن تقذف وخاض الناس فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدم فقتلوا من لم يقطع وجعل الناس يقتحمون النهر ويقال كانت المسلحة على الأزد وتيم وقد خلف ضعفة الناس وركب أسد النهر وأمر بالإبل أن يقطع بها إلى ما وراء النهر حتى تحمل عليها الأثقال وأقبل رهج من ناحية الختل فاذا خاقان فلما توافى معه صدر من جنده حمل على الأزد وبني تميم فأنكشفوا وركض أسد حتى انصرف إلى معسكره وبعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان سرح أمامه أن انزلوا وخندقوا مكانكم في بطن الوادي قال وأقبل خاقان فظن المسلمون أنه لا يقطع اليهم وبينهم وبينه النهر فلما نظر خاقان إلى النهر أمر الاشكند وهو يومئذ اصهبذ نسا أن يسير في الصف حتى يبلغ أقصاه ويسأل الفرسان وأهل البصرة بالحرب والماء هل يطاق قطوع النهر والحمل على أسد فكلهم يقول لا يطاق حتى انتهى إلى الاشتيخن فقال بلى يطاق لأنا خمسون ألف فارس فاذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة رد بعضنا عن بعض الماء فذهب جريته قال فضربوا بكوسانهم فظن أسد ومن معه أنه منهم وعيد فأحموا دوابهم فجعلت تنخر أسد النخير فلما رأى المسلمون اقتحام الترك ولوا إلى العسكر وعبرت الترك فسطع رهج عظيم لا يبصر الرجل دابته ولا يعرف بعضهم بعضا فدخل المسلمون عسكرهم وحووا ما كان خارجا وخرج الغلمان بالبراذع والعمد فضربوا وجوه الترك فأدبروا وبات أسد فلما أصبح وقد كان عبأ أصحابه من الليل تخوفاً من غدر خاقان وغدوه عليه ولم ير شيئاً دعا وجوه الناس فاستشارهم فقالوا له اقبل العافية قال ماهذه عافية بلى هي بلية لقينا خاقان

أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح فمانعه منا اليوم إلا أنه قد وقع في يديه أسراء فأخبروه بموضع الأثقال أمانا فترك لقاءنا طمعاً فيها فارتحل فبعث أمامه الطلائع فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوقات الترك وأعلاماً من أعلام الاشكند في بشر قليل فساروا الدواب مثقلة فقليل له انزل أيها الأمير واقبل العافية قال وأين العافية فأقبلها إنما هي بلية وذهاب الأنفس والأموال فلما أمسى أسد صار إلى منزل فاستشار الناس أيزلون أم يسرون فقال الناس اقبل العافية وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ونصر بن سيارة مطرق فقال أسد مالك يا بن سيار مطرق لا تكلم قال أصلح الله الأمير خلتان كلتا هما لك إن تسرُ تُغثُ من مع الأثقال وتخلصهم وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعتُ فُحمة لا بد من قطوعها فقبل رأيهِ وسار يومه كله قال ودعا أسد سعيداً الصغير وكان فارساً مولى باهلة وكان عالماً بأرض الختل فكتب كتاباً إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد فان خاقان قد توجه إلى ما قبلك وقال سر بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل فان لم تفعل فأسد برى من الإسلام إن لم يقتلك وإن أنت لحقت بالحادث فعلى أسد مثل الذي حلف إن لم يبع امرأتك الدلال في سوق بلخ وجميع أهل بيتك قال سعيد فادفع إلى فرسك الكمية الذنوب قال لعمرى لئن جُدتَ بدمك وبخلت عليك بالفرس لئنى للثيم فدفعه إليه فسار على دابة من جنائبه وغلّامه على فرس له ومعه فرس أسد يحنبه فلما حاذى الترك وقد قصدوا الأثقال طلبته طلائعهم فتحول على فرس أسد فلم ياحقوه فأتى إبراهيم بالكتاب وتبعه بعض الطلائع يقال عشرون رجلاً حتى رأوا عسكر إبراهيم فرجعوا إلى خاقان فأخبروه فغدا خاقان على الأثقال وقد خندق إبراهيم خندقاً فأتاهم وهم قيام عليه فأمر أهل السغد بقتالهم فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا في وجوههم فهزموهم وقتلوا منهم رجلاً فقال خاقان اركبوا وصعد خاقان تلاً فجعل ينظر العورة ووجه القتال قال وهكذا كان يفعل ينفرد في رجلين أو ثلاثة فإذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة فلما صعد التل رأى خلف العسكر

جزيرة دونها مخاضة فدعا بعض قواد الترك فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه حتى يصيروا إلى الجزيرة ثم ينحدروا في الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دبر وأمرهم أن يبدؤا بالأعاجم وأهل الصغانيان وأن يدعوا غيرهم فإنهم من العرب وقد عرفهم بأبليتهم وأعلامهم وقال لهم إن أقام القوم في خندقهم فأقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم وإن ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دبره عليهم ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية الأعاجم فقتلوا صغان خذاه وعامة أصحابه واحتوا على أموالهم ودخلوا عسكر إبراهيم فأخذوا عامة ما فيه وترك المسلمين التعبية واجتمعوا في موضع وأحسوا بالهلاك فإذا رهج قد ارتفع وتربة سوداء فإذا أسد في جنده قد أتاهم فجعلت الترك ترتفع عنهم إلى الموضع الذي كان فيه خاقان وإبراهيم يتعجب من كفهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وأصابوا ما أصابوا وهو لا يطمع في أسد قال وكان أسد قد أغذ السير فأقبل حتى وقف على التل الذي كان عليه خاقان وتنحى خاقان إلى ناحية الجبل فخرج إليه من بقى ممن كان مع الأثقال وقد قتل منهم بشر كثير قتل يومئذ بركة بن خولى الراسبي وكثير أبو أمية ومشينة من خزاعة وخرجت امرأة صغان خذاه إلى أسد فبكت زوجها فبكى أسد معها حتى علا صوته ومضى خاقان يقود الأسراء من الجند في الأوهاق ويسوق الإبل موقرة والجواري قال وكان مصعب بن عمرو والخزاعي ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على موافقتهم فكفهم أسد وقال هؤلاء قوم قد طابت لهم الريح واستكلبوا فلا تعرضوا لهم وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث ابن سريج فأمره فنادى يا أسد أما كان لك فيما وراء النهر مغزى إنك أشد الحرص قد كان لك عن الختل مندوحة وهي أرض آباءى وأجدادى فقال أسد كان ما رأيت ولعل الله أن ينتقم منك قال كور مغانون وكان من عظماء الترك لم أر يوما كان أحسن من يوم الأثقال قيل له وكيف ذلك قال أصبت أموالا عظيمة ولم أر عدوا أسمى من أسراء العرب يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه وقال بعضهم سار خاقان إلى الأثقال فارتحل أسد فلما أشرف على الظهر ورأى المسلمين

الترك فامتنعوا وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا فأتوا الأعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلهم فأسروا أولادهم قال فأردف كل رجل منهم وصيفاً أو وصيفة ثم أقبلوا إلى عسكر أسد عند مغيب الشمس قال وسار أسد بالناس حتى نزل مع الثقل وصبحوا أسداً من الغد وذلك يوم الفطر فكادوا يمنعونهم من الصلاة ثم انصرفوا ومضى أسد إلى بلخ فعمسك في مرجها حتى أتى الشتاء ثم تفرق الناس في الدور ودخل المدينة ففي هذه الغزاة قبل له بالفارسية

أَزْ خُتْلَانِ آمَدِيهِ يَرُوتَبَاهُ آمَدِيهِ
آبَارِ بَارِ آمَدِيهِ خُشْنَكِ نِزَارِ آمَدِيهِ

قال وكان الحارث بن سريح بناحية طخارستان فانضم إلى خاقان فلما كان ليلة الأضحى قيل لأسد إن خاقان نزل جزءه فأمر بالنيران فرفعت على المدينة فجاء الناس من الرساتيق إلى مدينة بلخ فأصبح أسد فصلّى وخطب الناس وقال إن عدوّ الله الحارث بن سريح استجلب طاغيته ليطنىء نور الله ويبدل دينه والله مذكّله إن شاء الله وإن عدوكم الكلب أصاب من إخوانكم من أصاب وإن يُريد الله نصركم لم يضركم قتلتم وكثرتهم فاستنصروا الله وقال إنه بلغني أن العبد أقرب ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله وإني نازل وواضع جبهتي فادعوا الله واسجدوا للربكم وأخلصوا له الدعاء ففعلوا ثم رفعوا رؤوسهم وهم لا يشكّون في الفتح ثم نزل عن المنبر وضحى وشاور الناس في المسير إلى خاقان فقال قوم أنت شابٌ ولست بمن تخوف من غارة على شاة ودابة تخاطر بخروجك قال والله لا أخرجنّ فأما ظفروا وإما شهادة ويقال أقبل خاقان وقد استمدّ من وراء النهر وأهل طخارستان وجيغويه الطخاريّ بملوكهم وشاكريتهم ثلاثين ألفاً فنزلوا خلم وفيها مسلحة عليها أبو العوجاء بن سعيد العبدى فناوشهم فلم يظفروا منه بشيء فساروا على حاميتهم في طريق فيروز بخشين من طخارستان فكتب أبو العوجاء إلى أسد بمسيرهم قال لجمع الناس فأقرأهم كتاب أبي العوجاء وكتاب الفرافصة صاحب مسلحة جزءة بعد مرور خاقان به فشاور أسد الناس فقال قوم تأخذ بأبواب مدينة بلخ وتكتب إلى خالد والخليفة تستمدّه

وقال آخرون تأخذ في طريق زمّ وتسبق خاقان إلى مرو وقال قوم بل تخرج اليهم
وتستنصر الله عليهم فوافق قولهم رأى أسد وما كان عزم عليه من لقائهم ويقال
إن خاقان حين فارق أسداً ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جيغويه فلما
كان وسط الشتاء أقبل فرّاً بجزة وصار إلى الجوزجان وبث الغارات وذلك أن
الحارث بن سريج أخبره أنه لانهوض بأسد وأنه لم يبق معه كبير جند فقال البختری
ابن مجاهد مولى بنى شيبان بل بث الخيول حتى تنزل الجوزجان فلما بث الخيل قال
له البختری كيف رأيت رأيي قال وكيف رأيت صنع الله عز وجل حين أخذ
برأيك فأخذ أسد من جيلة بن أبي رواد عشرين ومائة ألف درهم وأمر للناس
بعشرين عشرين ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشام سبعة آلاف رجل
واستخلف على بلخ الكرماني بن علي وأمره أن لا يدع أحداً يخرج من مدينتها
وإن ضرب الترك باب المدينة فقال له نصر بن سيار الليثي والقاسم بن بخيت المراغي
من الأزد وسليم بن سليمان السلمي وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز
العتكي وعيسى الأعرج الحنظلي والبختری بن أبي درهم البكري وسعيد الأحمر وسعيد
الصغير مولى باهلة أصلح الله الأمير ائذن لنا في الخروج ولا تهجن طاعتنا فأذن لهم
ثم خرج فتزل باباً من أبواب بلخ وضربت له قبة فاز تان وألصق أحدهما بالآخرى
وصلى بالناس ركعتين طولهما ثم استقبل القبلة ونادى في الناس ادعوا الله وأطال
في الدعاء ودعا بالنصر وأمن الناس على دعائه فقال نصرتم ورب الكعبة ثم انفتل
من دعائه فقال نصرتم ورب الكعبة إن شاء الله ثلاث مرات ثم نادى مناديه برئت
ذمة الله من رجل حمل امرأة ممن كان من الجند قالوا إن أسداً إنما خرج هارباً
تخلف أم بكر أم ولده وولده فنظر فإذا جارية على بعير فقال سلوا من هذه الجارية
فذهب بعض الاساورة فسأل ثم رجع فقال لزياد بن الحارث البكري وزياد
جالس فقطب أسد وقال لا ينتهون حتى أسطو بالرجل منكم يكرم علي فأضرب
ظهره وبطنه فقال زياد إن كانت لي فهي حرة لا والله أيها الأمير مامعني امرأة فان
هذا عدو حاسد وسار أسد فلما كان عند قنطرة عطاء قال لمسعود بن عمرو والكرماني

وهو يومئذ خليفة الكرماني على الازد ابغى خمسين رجلا ودابة أخلفهم على هذه القنطرة فلا تدع أحداً ممن جازها أن يرجع اليها فقال مسعود ومن أين أقدر على خمسين رجلا فأمر به فصرع عن دابته وأمر بضرب عنقه فقام اليه قوم فكلموه فكف عنه فلما جاز القنطرة نزل منزلاً فأقام فيه حتى أصبح وأراد المقام يومه فقال له العذافر بن زيد ليأتمر الأمير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس قال فأمر بالرحيل وقال لا حاجة لنا إلى المتخلفين ثم ارتحل وعلى مقدمته سالم بن منصور البجلي في ثلاثمائة فلقى ثلاثمائة من الترك طليعة لخاقان فأسر قائدهم وسبعة منهم معه وهرب بقيتهم فأتى به أسد قال فبكى التركي قال ما يبكيك قال لست أبكي لنفسى ولكن أبكي لهلاك خاقان قال كيف قال لأنه قد فرق جنوده فيما بينه وبين مرو قال وسار أسد حتى نزل السدرة قرية ببلخ وعلى خيل أهل العالية ربحان بن زياد العامري العبدل من بني عبد الله بن كعب قال فعزله وصير على أهل العالية منصور ابن سالم ثم ارتحل من السدرة فنزل خريستان فسمع أسد صهيل فرس فقال لمن هذا فقيل للعقار بن دُعَيْر فتطير من اسمه واسم أبيه فقال ردوه قال إني مقتول غادي على الترك قال أسد قتلك الله ثم سار حتى إذا شارف العين الحارة استقبله بشر ابن رزين أو رزين بن بشر فقال بشارة ورزانه ما وراءك يا رزين قال إن لم تغشنا غلبنا على مدينتنا قال قل للمقدام بن عبد الرحمن يطاول برحى فسار فنزل من مدينة الجوزجان بفريسخين ثم أصبحنا وقد تراءت الخيلان فقال خاقان للحارث من هذا فقال هذا محمد بن المشي ورايته ويقال إن طلائع لخاقان انصرفت اليه فأخبرته أن رجلاً ساطعاً طلع من قبل بلخ فدعا خاقان الحارث فقال ألم تزعم أن أسداً ليس به نهوض وهذا رهب قد أقبل من ناحية بائخ قال الحارث هذا اللص الذي كنت قد أخبرتك أنه من أصحابي فبعث خاقان طلائع فقال انظروا هل ترون على الإبل سريراً أو كراسي فجاءته الطلائع فأخبروه أنهم عاينوها فقال خاقان اللصوص لا يحملون الاسرة والكراسي وهذا أسد قد أتاك فسار أسد غلوة فلقبه سالم بن جناح فقال أبشر أيها الأمير قد حزرتهم ولا يامون أربعة آلاف وأرجو أن يكون عقيرة الله فقال المجشر بن مزاحم وهو يسايره

أنزل أيها الأمير جالك فضرب وجه دابته وقال لو أطعت يا بجشر ما كنا قدمناها
وسار غير بعيد وقال يا أهل الصباح انزلوا قتلوا وقرّبوا دوابهم وأخذوا النبل
والقسيّ قال وخاقان في مرج قد بات فيه تلك الليلة قال وقال عمرو بن أبي موسى
ارتحل أسد حين صلى الغداة فر بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله
الشبورقان قال وقصور الجوزجان إذ ذاك ذليلة قال وأتاه المقدام بن عبد الرحمن
ابن نعيم الغامديّ في مقاتلته وأهل الجوزجان وكان عاملها فعرضوا عليه أنفسهم
فقال أقيموا في مدينتكم وقال للجوزجان بن الجوزجان سرّ معي وكان على التعبية
القاسم بن بخيت المراعنيّ فجعل الأزد وبنو تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريته
ميمنته وأضاف إليهم أهل فلسطين عليهم مصعب بن عمرو الخزاعيّ وأهل قسرين
عليهم صفراء بن أحمر وجعل ربيعة ميسرة عليهم يحيى بن حضين وضم إليهم أهل
حمص عليهم جعفر بن حنظلة البهرانيّ وأهل الأزد وعليهم سليمان بن عمرو المقرئ
من حمير وعلى المقدمة منصور بن مسلم البجليّ وأضاف إليهم أهل دمشق عليهم
حملة بن نعيم السكبيّ وأضاف إليهم الحرس والشرطة وغلان أسد قال وغشي
خاقان الحارث بن سريج وأصحابه وملك السغد وصاحب الشاش وخرأبغره
أباخا ماخره جدكوس وصاحب الختل وجيغويه والترك كلهم ميمنة فلما التقوا
حمل الحارث ومن معه من أهل السغد والبابية وغيرهم على الميسرة وفيها ربيعة
وجندان من أهل الشام فهزمهم فلم يردم شيء دون رواق أسد فشددت عليهم الميمنة
وهم الأزد وبنو تميم والجوزجان فما وصلوا إليهم حتى انهزم الحارث والآتراك
وحمل الناس جميعا فقال أسد اللهم انهم عصوني فانصرهم وذهب الترك في الأرض
عباديد لا يلوون على أحد فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون من يقدر
عليه حتى انتهوا إلى أغنامهم فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين ومائة ألف إصاة
ودواب كثيرة وأخذ خاقان طريقا غير الجادة في الجبل والحارث بن سريج يحميه
ولحقهم أسد عند الظهر ويقال لما واقف أسد خاقان يوم خريستان كان بينهم
نهر عميق فأمر أسد برواقه فرفع فقال رجل من بني قيس بن ثعلبة يا أهل الشام

أهكذا رأيكم إذ حضر الناس رفعت الأبنية فأمر به فُحط وهاجت ريح الحرب التي تسمى الهفافة فهزمهم الله واستقبلوا القبلة يدعون الله ويكسبرون وأقبل خاقان في قريب من أربع مائة فارس عليهم الحجرة وقال لرجل يقال له سوري إنما أنت ملك الجوزجان إن أسلت العرب فمن رأيت من أهل الجوزجان وقد أتاه فاقته وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله بن الشخير إني لأعلم ببلادى وطرقها فهل لك في أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكر ما بقيت قال ماهو قال تتبعني قال نعم فأخذ طريقا يسمى ورادك فأشرفوا على طوقات خاقان وهم آمنون فأمر خاقان بالكوسات فضربت ضربة الانصراف وقد شبت الحرب فلم يقدر الترك على الانصراف ثم ضربت الثانية فلم يقدرُوا ثم ضربت الثالثة فلم يقدرُوا الاشتغالهم فحمل ابن الشخير والجوزجان على الطوقات وولى خاقان مدبرا منهزما خوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلى ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء الترك ووحل بخاقان برذونه فخماه الحارث بن سريج قال ولم يعلم الناس أنه خاقان ووجد عسكر الترك مشحونا من كل شيء من آنية الفضة وصناعات الترك وأراد الخصى أن يحمل امرأة خاقان فأعجلوه عن ذلك فطعنوا بخنجر فوجدوها تتحرك فأخذوا خفيها وهو من لبود مضرب قال فبعث أسد بجوارى الترك إلى دهاقين خراسان واستنعد من كان في أيديهم من المسلمين قال وأقام أسد خمسة أيام قال فكانت الخيول التي فرق تقبل فيصيدهم أسد فاغتم الظفر وانصرف إلى بلخ يوم التاسع من خروجه فقال ابن السجف المجاشعي

لَوِ بَرَّتْ فِي الْأَرْضِ تَقِيسُ الْأَرْضَا تَقِيسُ مِنْهَا طُولُهَا وَالْعَرْضَا
لَمْ تَلَقْ خَيْرًا مَرَّةً وَنَقْضَا مِنَ الْأَمِيرِ أَسَدٍ وَأَمْضَا
أَفْضَى إِلَيْنَا الْخَيْرُ حِينَ أَفْضَى وَجَمَعَ الشَّمْلَ وَكَانَ رَفْضَا
مَا فَاتَهُ خَاقَانُ إِلَّا رَكْضَا قَدْ فَضَّ مِنْ جُجُوعِهِ مَا فُضَّ
يَا ابْنَ سُرَيْجٍ قَدْ لَقِيتَ حَمْضَا حَمْضًا بِهِ يُشَقَّى صُدَاعُ الْمَرْضَا
قال وارتحل أسد فنزل جزءة الجوزجان من غدي وخاقان بها فارتحل هارباً منه

وندب أسد الناس فانتدب ناس كثير من أهل الشام وأهل العراق فاستعمل عليهم
جعفر بن حنظلة البهراني فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جزة فباتوا
بها فأصابهم ريح ومطرو ويقال أصابهم الثاج فرجعوا ومضى خاقان فنزل على جيغويه
الطخاري وانصرف البهراني إلى أسد ورجع أسد إلى بلخ فلقوا خيل الترك التي كانت
بمرو الروذ منصرفة لتغير على بلخ فقتلوا من قدروا عليه منهم وكان الترك قد بلغوا
بيعة مرو الروذ وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع فلما صار يبلغ أمر الناس
بالصوم لافتتاح الله عليهم قال وكان أسد يوجه الكرمان في السرايا فكانوا لا
يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك ومضى خاقان إلى
طخارستان العليا فأقام عند جيغويه الخرنجى تعززا به وأمر بصنيعة الكوسات
فلما جفت وصلح أصواتها ارتحل إلى بلاده فلما ورد شرو سنة تلقاه خرابغره
أبو خان آخره جد كاوس أبي أنشين باللعاين وأعد له هدايا ودواب له ولجنده وكان
الذى بينهما متباعدة فلما رجع منهزما أحب أن يتخذ عنده يدأ فأتاه بكل ما قدر عليه
ثم أتى خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحارث
ابن سريج وأصحابه على خمسة آلاف برذون وفرق براذين في قواد الترك فلاعب
خاقان يوما كورصول بالنرد على حطرن درجة فقمر كورصول الترقى فطلب منه
التدرجة فقال أنى فقال الآخر ذكر فتنازعا فكسر كورصول يد خاقان فخلف خاقان
ليكسرن يد كورصول وبلغ كورصول فتنحى وجمع جمعا من أصحابه فبيت خاقان
فقتله فأصبحت الترك تفرقوا عنه وتركوه مجردا فأتاه زريق بن طفيل
الكشاني وأهل بيت الحموكين وهم من عظماء الترك فحمله ودفنه وصنع
به ما يصنع بمثله إذا قتل فنفرت الترك في الغارات بعضها على بعض وانحاز بعضهم
إلى الشاش فعند ذلك طمع أهل السغد في الرجعة إليها قال فلم يسلم من خيل الترك
التي تفرقت في الغارات إلا زربن الكسى فانه سلم حتى صار إلى طخارستان وكان
أسد بعث من مدينة بلخ سيف بن وصاف العجلي على فرس فسار حتى نزل الشبورقان
قال ونها إبراهيم بن هشام مسلحة فحمله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله

فأخبره فقطع به هشام فلم يصدقه وقال للربيع حاجبه ويحك إن هذا الشيخ قد أتانا بالطامة الكبرى إذا كان صادقا ولا أراد صادقا اذهب فعدّه ثم سلّه عما يقوله وأثنى بما يقول فانطلق اليه ففعل الذي أمره به فأخبره بالذي أخبر به هشاما قال فدخل عليه أمر عظيم فدعا به بعد فقال من القاسم بن بخيت منكم قال ذلك صاحب العسكر قال فانه قد أقبل قال فان كان قد أقبل فقد فتح الله على أمير المؤمنين وكان أسد وجهه حين فتح الله عليه فأقبل القاسم بن بخيت فكبر على الباب ثم دخل يكبر وهشام يكبر لتكبيره حتى انتهى إليه فقال الفتح يا أمير المؤمنين وأخبره الخبر فنزل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر وهي واحدة عندهم قال فحسدت القيسية أسدا وخالدا وأشاروا على هشام أن يكتب إلى خالد بن عبد الله فيأمر أخاه أن يوجه مقاتل بن حيان فكتب إليه فدعا أسد مقاتل بن حيان على رؤوس الناس فقال سر إلى أمير المؤمنين فأخبره بالذي عاينت وقل الحق فإنك لا تقول غير الحق إن شاء الله وخذ من بيت المال حاجتك قالوا إذا لا يأخذ شيئا قال أعطه من المال كذا وكذا ومن الكسوة كذا وكذا وجهزه فصار يقدم على هشام بن عبد الملك وهو والابرش جالسان فسأله فقال غزونا الحتل فأصبنا أمرا عظيما وانذر أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا واستنفذوا من غنائمنا واستباحوا بعض عسكرنا ثم دفعونا دفعة قريبا من خلم فانتهى الناس إلى مشاتهم ثم جاءنا مسير خاقان إلى الجوزجان ونحن قريبو العهد بالعدو فصار بنا حتى التقينا برستاق بيننا وبين أرض الجوزجان فقاتلناهم وقد حاذوا ذراري من ذراري المسلمين فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم ثم حملت ميمنتنا عليهم فاعطانا الله عليهم الظفر وتبعناهم فراسخ حتى استبحنا عسكر خاقان فأجلى عنه وهشام متكئ فاستوى جالسا عند ذكره عسكر خاقان فقال ثلاثا أنتم استبحتم عسكر خاقان قال نعم قال ثم ماذا قال دخلوا الحتل فانصرفوا قال هشام إن أسدا لضعيف قال مهلا يا أمير المؤمنين ما أسد بضعيف وما أطاق فوق ما صنع فقال له هشام حاجتك قال إن يزيد بن المهلب أخذ من أبي حيان مائة ألف درهم بغير حق فقال له هشام لا أكلفك شاهدا احلف بالله انه كما قلت فحلف

فردّها عليه من بيت مال خراسان وكتب إلى خالد أن يكتب إلى أسد فيها فكتب
إليه فأعطاه أسد مائة ألف درهم فقسمها بين ورثة حيان على كتاب الله وفرائضه
ويقال بل كتب إلى أسد أن يستخير عن ذلك فإن كان ما ذكر حقا أعطى مائة
ألف درهم وكان الذي جاء بفتح خراسان إلى مرو عبد السلام بن الأشهب بن عتبة
الحنظلي قال فأوفد أسد إلى خالد بن عبد الله وفدا في هزيمته يوم سان ومعهم طوقات
خاقان ورؤوس من قتلوا منهم فأوفدهم خالد إلى هشام فاحلفهم أنهم صدقوا خلفوا
فوصلهم فقال أبو الهندي الأسدي لأسد يذكرو قعة سان

أبا مُنْذِرٍ رُمْتَ الْأُمُورَ فَقَسَتْهَا	وساءلت عنها كالحرير ص المساوم
فَمَا كَانَ ذُو رَأْيٍ مِنَ النَّاسِ قِسْتُهُ	برأيك إلا مثل رأي البهائم
أبا مُنْذِرٍ لَوْلَا مَسِيرُكَ لَمْ يَكُنْ	عراق ولا انقادت ملوك الأعاجم
وَلَا حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ حُجَّ رَا كَبْ	ولا عمر البطحاء بعد المراسم
فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ بَيْنَ سَانٍ وَجَزَّةٍ	كثير الأيادي من ملوك قماقم
تَرَكْتَ بَارِضَ الْجُوزْجَانِ تَزُورُهُ	سباع وعقبان لحز الغلاصم
وَذَى سُوقَةٍ فِيهِ مِنَ السِّيفِ خُطَّةٌ	به رمق حانت عليه الحوامم
فَمَنْ هَارِبٍ مِنَّا وَمَنْ دَائِنٍ لَنَا	أسير يقاسي مبهمات الأدايم
فَدَتِكَ نُفُوسٌ مِنْ تَمِيمٍ وَعَايِرُ	ومن مضر الحمراء عند المآزم
هُمْ أَطْمَعُوا خَاقَانَ فَاَصْبَحَتْ	جلائبه ترجو احتواء المغانم

قال وكان السبل أوصى عند موته ابن السامحي حين استخلفه بثلاث خصال
فقال لا تستطل على أهل الختل استطاتي التي كانت عليهم فإني ملك ولست بملك
إنما أنت رجل منهم فلا يحملونك ما يحملون للوك ولا تدع أن تطلب الجيش
حتى ترده إلى بلادكم فانه الملك بعدى والملوك هم النظام والناس مالم يكن لهم نظام
طعام ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كل حيلة تدفعونهم بها على أنفسكم ما قدرتم
فقال له ابن السامحي أما ما ذكرت من تركي الاستطالة على أهل الختل فإني قد عرفت
ذلك وأما ما أوصيت من رد الجيش فقد صدق الملك وأما قولك لا تحاربوا العرب

فكيف تنهى عن حربهم وقد كنت أكثر الملوك لهم محاربة قال قد أحسنت إذ سألت عما لا تعلم إني قد جربت قوتكم بقوتي فلم أجدكم تقعون منى موقعا فكنت إذا حاربتم لم أفلت منهم إلا جريضا وإنكم إن حاربتموهم هلكتم في أول محاربتكم إياهم قال وكان الجيش قد هرب إلى الصين وابن السامحى الذى أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان إليه فكره محاربة أسد (وفى هذه السنة) خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى نفر فأخذهم خالد فقتلهم

ذكر الخبر عن مقتلهم

أما المغيرة بن سعيد فإنه كان فيما ذكر ساحرا ٪ حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن الأعمش قال سمعت المغيرة بن سعيد يقول لو أردت أن أحيى عادا أو ثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا لأحييتهم قال الأعمش وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور أو نحو هذا من الكلام وذكر أبو نعيم عن النضر بن محمد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قدم علينا رجل من أهل البصرة يطلب العلم فكان عندنا فأمرت جاريتى يوما أن تشتري لى سمكا بدرهمين ثم انطلقت أنا والبصرى إلى المغيرة بن سعيد فقال لى يا محمد أتحب أن أخبرك لم افترق حاجباك قلت لا قال أفتحب أن أخبرك لم سماك أهلك محمد أقلت لا قال أما إنك قد بعثت خادما يشتري لك سمكا بدرهمين قال فتمضنا عنه قال أبو نعيم وكان المغيرة قد نظر فى السحر فأخذه خالد القسرى فقتله وصلبه وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهرى قال أخبرنى محمد بن عقيل عن سعيد بن مردابند مولى عمرو بن حُرَيْث قال رأيت خالدا حين أتى بالمغيرة وبيان فى ستة رهط أو سبعة أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع وأمر بأطنان قصب ونفط فأحضرا ثم أمر المغيرة أن يتناول طناً فكع عنه وتأنى وصُبت السياط على رأسه فتناول طناً فاحتضنه فشد عليه ثم صب عليه وعلى الطن نفط ثم ألهمت فيهما النار فاحترقا ثم أمر الرهط ففعلوا ثم أمر بيانا آخرهم فقدم إلى الطن مبادراً فاحتضنه فقال خالد وبلغكم فى كل أمر تحمقون هلا رأيتم هذا المغيرة ثم أحرقه قال أبو زيد لما قتل

خالد المغيرة وبيانا أرسل إلى مالك بن أعين الجهني فسأله فصدقه عن نفسه فأطلقه فلما خلا مالك بمن يثق به وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان قال
 صَرَبْتُ لَهُ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ لَاحِيًا وَطُنْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ فِيمَنْ يَطِينُهَا
 وَالْقَيْتُ فِي شُبْهَةٍ حِينَ سَالَنِي كَمَا اشْتَبَهَا فِي الْخَطِّ سَيْنٌ وَشِينُهَا
 فقال أبو مسلم حين ظهر أمره لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه قال أحمد بن
 زهير عن علي بن محمد قال خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر وكانوا يدعون
 الوصفاء وكان خروجهم بظهر الكوفة فأخبر خالد القسري بخروجهم وهو على
 المنبر فقال أطعموني ماء فنعى ذلك عليه ابن نوفل فقال

أَخَالِدُ لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا	وَأَيْرُ فِي حِرَامِكَ مِنْ أَمِيرٍ
تَمَنَّى الْفَخْرَ فِي قَيْسٍ وَقَسِيرٍ	كَأَنَّكَ مِنْ سَرَاةِ بَنِي جَرِيرٍ
وَأَمَّكَ عَائِجَةٌ وَأَبُوكَ وَغَدُ	وَمَا الْأَذْنَابُ عَدْلًا لِلصُّدُورِ
جَرِيرٌ مِنْ ذَوِي يَمَنٍ أَصِيلٍ	كَرِيمٍ الْأَصْلُ ذِي خَطَرٍ كَبِيرٍ
وَأَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ يَزِيدٍ	وَقَدْ دُوِحِقْتُمْ دَحَقَ الْعَبُورِ
وَكُنْتَ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَبْدًا سَوِيًّا	تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزُّمَيْرِ
وَقُلْتَ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعَمُونِي	شَرَابًا مُمُّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ
لَا عِلَاجَ ثَمَانِيَّةٍ وَشَيْخٍ	كَبِيرٍ السِّنُّ لَيْسَ بِذِي نَصِيرِ

(وفي هذه السنة) حكم بهلول بن بشر الملقب كثارة فقتل

ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن بهلولاً كان يتأله وكان له قوت دائق وكان مشهوراً بالبأس عند هشام بن عبد الملك فخرج يريد الحج فأمر غلامه أن يبتاع له خلا بدرهم فجاءه غلامه بخمر فأمر بردها وأخذ الدرهم فلم يُجب إلى ذلك فجاء بهلول إلى عامل القرية وهي من السواد فكلمه فقال العامل الخرخير منك ومن قومك ففضى بهلول في حجه حتى فرغ منه وعزم على الخروج على السلطان فلقى بمكة من كان على مثل رأيه فاتعدوا قرية من قرى الموصل فاجتمع بها أربعون

رجلا وأمروا عليهم البهلول وأجمعوا على أن لا يمروا بأحد إلا أخبروه أنهم
أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال ووجههم إلى خالد لينفذهم في أعمالهم فجعلوا
لا يمرون بعامل إلا أخبروه بذلك وأخذوا دواب من دواب البريد فلما انتهوا
إلى القرية التي كان اتباع فيها الغلام الخل فأعطى خمرأ قال بهلول نبأ بهذا العامل
الذي قال ما قال فقال له أصحابه نحن نريد قتل خالد فإن بدأنا بهذا شهرنا وحذرنا
خالد وغيره فننشدك الله أن لا تقتل هذا فيفلت منا خالد الذي يهدم المساجد
ويبنى البيع والكنائس ويولى المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات
لعلنا نقتله فيريح الله منه قال والله لا أدع ما يلزمني لما بعده وأرجو أن أقتل
هذا الذي قال لي ما قال وأدرك خالد فأقتله وإن ركت هذا وأتيت خالداً شهر
أمرنا فأفليت هذا وقد قال الله عز وجل (قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار
وليَجِدُوا فيكم غَلَاظَةً) قالوا أنت ورأيك فأتاه فقتله فسذر بهم الناس وعلبوا
أنهم خوارج وابتدروا إلى الطريق هرباً وخرجت البرد إلى خالد فأخبروه أن
خارجة قد خرجت وهم لا يدرون حينئذ من رئيسهم فخرج خالد من واسط حتى
أتى الحيرة وهو حينئذ في الخلق وقد قدم في تلك الأيام قائد من أهل الشام من
بنى القين في جيش قد وجهوا مدداً لعامل خالد على الهند فنزّلوا الحيرة فلذلك
قصدها خالد فدعا رئيسهم فقال قاتل هؤلاء المارقة فإن من قتل منهم رجلاً
أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشام وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند وكان
الخروج إلى أرض الهند شاقاً عليهم فسارعوا إلى ذلك فقالوا نقتل هؤلاء النفر
ونرجع إلى بلادنا فتوجه القيني إليهم في ستمائة وضم إليهم خالد مائتين من شرط
الكوفة فالتقوا على الفرات فعبا القيني أصحابه وعزل شرط الكوفة فقال لا تكونوا
معنا وإنما يريد في نفسه أن يخلو هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون
غيرهم لما وعدهم خالد وخرج إليهم بهلول فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه
ثم تلبث له ومعه لواء أسود فحمل عليه فطعنه في فرج درعه فأنفذه فقال قتلتي قاتلك
الله فقال بهلول إلى النار أبعذك الله وولى أهل الشام مع شرط أهل الكوفة منهزمين

حتى بلغوا باب الكوفة وبهلول وأصحابه يقتلونهم فأما الشاميون فإنهم كانوا على خيل جياد فقاتلوه وأما شرط الكوفة فإنه لحقهم فقالوا اتق الله فينا فإننا مكرهون مقهورون فجعل يقرع رؤوسهم بالرمح ويقول الحقوا النجاء النجاء ووجد البهلول مع القينى بدرة فأخذها وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلول فخرجوا إليه يدون اللاحاق به فقتلوا وخرج اليهم البهلول وحمل البدرة بين يديه فقال من قتل هؤلاء نفر حتى أعطيه هذه الدراهم فجعل هذا يقول أنا وهذا يقول أنا حتى عرفهم وهم يرون أنه من قبل خالد جاء ليعطيهم ما لا يقتلهم من قتلوا فقال بهلول لأهل القرية أصدق هؤلاء هم قتلوا نفر قالوا نعم وخشى بهلول أنهم ادعوا ذلك طمعاً في المال فقال لأهل القرية انصرفوا أنتم وأمر بأولئك فقتلوا وعاب عليه أصحابه فحاجهم فأقروا له بالحجة وبلغت هزيمة القوم خالداً وخبر من قتل من أهل صريفين فوجه قائداً من بنى شيبان أحد بنى حوشب بن يزيد بن رويم فلقبهم فيما بين الموصل والكوفة فشد عليهم البهلول فقال شدة تك بالرحم فاني جانح مستجير فكف عنه وانهم أصحابه فأتوا خالداً وهو مقيم بالحيرة ينتظر فلم يرعه إلا الفل قد هجم عليه فارتحل البهلول من يومه يريد الموصل فخافه حامل الموصل فكتب إلى هشام إن خارجة خرجت فعائت وأفسدت وإنه لا يأمن على ناحيته ويسأله جنداً يقاتلهم به فكتب إليه هشام وجة اليهم كثارة بن بشر وكان هشام لا يعرف البهلول إلا بلقبه فكتب إليه العامل إن الخارج هو كثارة قال ثم قال البهلول لأصحابه إنا والله ما نصنع بآبن النصرانية شيئاً يعني خالداً وما خرجت إلا لله فلم لا نطلب الرأس الذي يسلط خالداً وذوى خالد فتوجه يريد هشاماً بالشام فخاف عمال هشام مؤجده إن تركوه يحوز بلادهم حتى ينتهى إلى الشام فجند له خالد جنداً من أهل العراق وجند له عامل الجزيرة جنداً من أهل الجزيرة ووجه إليه هشام جنداً من أهل الشام فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل وأقبل بهلول حتى انتهى اليهم ويقال التقوا بالكحيل دون الموصل فأقبل بهلول فنزل على باب الدير فقالوا له تزحزح عن باب الدير حتى نخرج إليك فتحنى وخرجوا فلما رأى

كثرتهم وهو في سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة ثم أقبل عليهم فقال أكلكم
يرجو أن يقتلنا ثم يأتي بلده وأهله سالماً قالوا إنا نرجو ذلك إن شاء الله فشد على
رجل منهم فقتله فقال أما هذا فلا يأتي أهله أبداً فلم يزل ذلك ديدنه حتى قتل
منهم ستة نفر فانهزموا فدخلوا الدير فحاصروهم وجاءتهم الأمداد فكانوا عشرين
ألفاً فقال له أصحابه إلا نعقر دوابنا ثم نشد عليهم شدة واحدة فقال لا تفعلوا
حتى نبلي الله عذراً ما استمسكنا على دوابنا فقاتلوهم يومهم ذلك كله إلى جنح
العصر حتى أكثروا فيهم القتل والجراح ثم إن بهلولاً وأصحابه عقروا دوابهم
وترجلوا وأصلتوا لهم السيوف فأوجعوا فيهم فقتل عامة أصحاب بهلول وهو
يقاتل ويدود عن أصحابه وحمل عليه رجل من جديلة قيس يكنى أبا الموت فطعنه
فصرعه فوافاه من بقي من أصحابه فقالوا له ول أمرنا من بعدك من يقوم به فقال
إن ملكت فأمر المؤمنين دعامة الشيباني فإن هلك دعامة فأمر المؤمنين عمرو
اليشكري وكان أبو الموت إنما ختل البهلول ومات بهلول من ليلته فلما أصبحوا
هرب دعامة وخلاهم فقال رجل من شعرائهم

لبئس أمير المؤمنين دعامة دعامة في الهيئ جاء شر الدعائم

وقال الضحاك بن قيس يرثي بهلولاً ويذكر أصحابه

بُدِّلْتُ بعد أبي بشر وصحبته قوماً على مع الأحزاب أعوانا
كانهم لم يكونوا من صحابتنا ولم يكونوا لنا بالأمس خللاًنا
يا عين أذرى دُموعاً منك تهتنا وابكى لنا صحبة بانوا وإخوانا
خَلَّوْا لنا ظاهر الدنيا وباطنها وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

قال أبو عبيدة لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكري فلم يلبث أن قتل ثم خرج
العنزي صاحب الأشهب وبهذا كان يعرف على خالد في سستين فوجه إليه خالد
السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف فالتقوا بناحية القررات فشد العنزي على
السمط فضربه بين أصابعه فألقى سيفه وشلت يده وحمل عليهم فانهزمت الحرورية
فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم قال أبو عبيدة

ثم خرج وزير السخثياني على خالد في نفر وكان مخرجه بالحيرة فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها ولا أحد إلا قتله وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال فوجه اليه خالد قائدا من أصحابه وشرطا من شرط الكوفة فقاتلوه وهو في نفر فقاتل حتى قتل عامة أصحابه وأئمن بالجراح فأخذ مرثا فأتى به خالد فأقبل على خالد فوعظه وتلا عليه آيات من القرآن فأعجب خالد ما سمع منه فأمسك عن قتله وحبسه عنده وكان لا يزال يبعث اليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه ويسأله فبلغ ذلك هشاما وسعى به اليه وقيل أخذ حروريا قد قتل وحرق وأباح الأموال فاستبقاه فاتخذته سميرا فغضب هشام وكتب إلى خالد يشتمه ويقول لا تستبق فاستبقا قتل وحرق وأباح الأموال فكان خالد يقول إني أنفست به عن الموت لما كان يسمع من يمانه وفصاحته فكتب فيه إلى هشام يرفق من أمره ويقال بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه حتى كتب اليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وأحرقه فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث اليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخذوا معه فأمر بهم فأدخلوا المسجد وأدخلت أطنان القصب فشدوا فيها ثم صب عليهم النفط ثم أخرجوا فنصبوا في الرحبة ورموا بالنيران فما منهم أحد إلا من اضطرب وأظهر جزعا إلا وزيرا فانه لم يتحرك ولم يزل يتلو القرآن حتى مات ((وفي هذه السنة) غزا أسد بن عبدالله الختل وفيها قتل أسد بدر طارخان ملك الختل

ذكر الخبر عن غزوة أسد الختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طارخان ذكر علي بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا غزا أسد بن عبدالله الختل وهي غزوة بدر طارخان فوجه مصعب بن عمرو الخزاعي إليها فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طارخان فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد فأجابه مصعب فخرج إلى أسد فطلب منه أشياء فامتنع ثم سأله بدر طارخان أن يقبل منه ألف ألف درهم فقال له أسد إنك رجل غريب من أهل الباميان أخرج من الختل كما دخلتها فقال له بدر طارخان دخلت أنت خراسان على عشرة من المحدثين ولو خرجت منها اليوم لم تستقل على خمسمائة بعير وغير ذلك إني دخلت

أسد عند ذلك ودعا بدليل من أهل الحتل ورجل من أهل الشام نافذ فاره الفرس
فأتى بهما فقال للشامي أن أنت أدركت بدر طرخان قبل أن يدخل حصنه فلك
ألف درهم فتوجهها حتى انتهيا إلى عسكر مصعب فنادى الشامي ما فعل العليج قيل
عند سلة وانصرف الدليل إلى أسد بالخبر وأقام الشامي مع بدر طرخان في قبة
سلة وبعث أسد إلى بدر طرخان فحوله إليه فشتمه فعرف بدر طرخان أنه
قد نقض عهده فرفع حصاة فرمى بها إلى السماء وقال هذا عهد الله وأخذ أخرى
فرمى بها إلى السماء وقال هذا عهد محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ يصنع كذلك
بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين فأمر أسد بقطع يده وقال أسد من ههنا من
أولياء أبي فديك رجل من الأزد قتله بدر طرخان فقام رجل من الأزد فقال
أنا قال اضرب عنقه ففعل وغلب أسد على القلعة العظمى وبقيت قلعة فوقها صغيرة
فيها ولده وأمواله فلم يوصل اليهم وفرق أسد الخيل في أودية الخيل قال وقدم
أسد مرو وعليها أيوب بن أبي حسان التيمي فعزله واستعمل خالد بن شديد
ابن عمه فلما شخص إلى بلخ باغته أن عمارة بن خريم تزوج الفاضلة بنت يزيد بن
المهلب فكتب إلى خالد بن شديد أحمل عمارة على طلاق ابنة يزيد فان أبي فاضربه
مائة سوط فبعث إليه فأتاه وعنده العذافر بن زيد التيمي فأمره بطلاقها ففعل
بعد إباء منه وقال عذافر عمارة والله في قيس وسيدها وما بها عليه أبهة أي ليست
بأشرف منه فتوفي خالد بن شديد واستخلف الأشعث بن جعفر البجلي (وفيها)
شرى الصحاري بن شبيب وحكم بجبل

ذكر خبره

ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الصحاري بن شبيب أتى خالدا
يسأله الفريضة فقال وما يصنع ابن شبيب بالفريضة فودعه ابن شبيب ومضى
وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقا فأرسل إليه يدعو ففعل أنا كنت عنده
آنفا فأبوا أن يدعو فشد عليهم بسيفه فتركوه فركب وسار حتى جاوز واسطا
ثم عقر فرسه وركب زورقا لينحى مكانه ثم قصد إلى نفر من بني تميم اللات بن

ثعلبة كانوا بجبل فأتاهم متقلدا سيفاً فأخبرهم خبره وخبر خالد فقالوا له وما كنت
ترجو بالفريضة كنت لأن تخرج إلى ابن النصرانية فتضربه بسيفك أحرى فقال
إني والله ما أردت الفريضة وما أردت إلا التوصل إليه لئلا ينكرني ثم أقتل ابن
النصرانية غيلة بقتله فلانا وكان خالد قبل ذلك قد قتل رجلاً من قعدة الصفرية
صيراً ثم دعاهم الصحاري إلى الوثوب معه فأجابه بعضهم وقال بعضهم ننتظرو أبي
بعضهم وقالوا نحن في عافية فلما رأى ذلك قال

لَمْ أَرِدْ مِنْهُ الْفَرِيضَةَ إِلَّا طَمَعًا فِي قَتْلِهِ أَنْ أَنَا لَا
فَارِيحَ الْأَرْضِ مِنْهُ وَبِمَنْ عَاتَ فِيهَا وَعَيْنَ الْحَقِّ مَا لَا
كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ أَرَاهُ تَرَكَ الْحَقَّ وَسَنَ الضَّلَالَا
إِنِّي شَارٍ بِنَفْسِي لِرَبِّي تَارِكٌ قِيلاً لَدَيْهِمْ وَقَالَ
بَائِعُ أَهْلِي وَمَالِي أَرْجُو فِي جَنَانِ الْخُلْدِ أَهْلًا وَمَالًا

قال فبايعه نحو من ثلاثين فشرى بجبل ثم سار حتى أتى المبارك فبلغ ذلك
خالداً فقال قد كنت خفتها منه ثم وجه إليه خالد جنداً فلقوه بناحية المناذرة فقاتلهم
قتالاً شديداً ثم انظروا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه (قال أبو جعفر) وحج
بالناس في هذه السنة أبو شاذكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك وحج معه ابن
شهاب الزهري في هذه السنة وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف
محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسري وعامل خالد على
خراسان أخوه أسد بن عبد الله وقد قيل إن أخا خالد أسداً هلك في هذه السنة
واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني وقيل إن أسداً أخا خالد بن عبد الله إنما
هلك في سنة ١٢٠ وكان على أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد

ثم دخلت سنة عشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتاحه فيما ذكر

سندرة وغزوة إسحاق بن مسلم العيقلّيّ وافتتاحه قلاع تومانشاه وتخريبه أرضه
وغزوة مروان بن محمد أرض الترك (وفيها) كانت وفاة أسد بن عبد الله في قول المدائني

ذكر الخبر عن سبب وفاته

وكان سبب ذلك أنه كانت به فيما ذكر دُبيلة في جوفه فحضر المهرجان وهو
يلبخ فقدم عليه الأمراء والدهاقين بالهدايا فكان بمن قدم عليه إبراهيم بن عبد الرحمن
الحنفيّ عامله على هراة وخراسان ودهقان هراة فقدمما بهدية قومت بألف ألف
فكان فيما قدما به قصران قصر من فضة وقصر من ذهب وأباريق من ذهب
وأباريق من فضة وصحاف من ذهب وفضة فأقبلا وأسد جالس على السرير وأشرف
خراسان على الكراسي فوضعا القصرين ثم وضعا خلفهما الأباريق والصحاف
والديباج المروى والقوهى والهروى وغير ذلك حتى امتلأ السباط وكان فيما جاء
به الدهقان أسدا كرة من ذهب ثم قام الدهقان خطيباً فقال أوصلي الله الأمير إننا
معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمئة سنة أكلناها بالحلم والعقل والوقار ليس فينا
كتاب ناطق ولا نبي مرسل وكانت الرجال عندنا ثلاثة ميمون النقية أيما توجه
فتح الله على يده والذي يليه رجل تمت مروته في بيته فإن كان كذلك رحبوحي
وعظم وقود وقدم ورجل رحب صدره وبسط يده فُرَجى فإذا كان كذلك قود
وقدم وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا بهم أربعمئة سنة فيك
أيها الأمير وما نعلم أحداً هو أتم كُتُخدانية منك إنك ضبطت أهل بيتك وحشمك
ومواليك فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدى على صغير ولا كبير ولا غنى ولا
فقير فهذا تمام الكُتُخدانية ثم بنيت الإيوانات في المفاوز فيجىء الجائى من
المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً إلا أن يقولوا سبحان الله ما أحسن
ما بُنى ومن يُمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مائة ألف معه الحارث بن سريح
فهزمته وقلته وقتلت أصحابه وأباحت عسكره وأما رحب صدرك وبسط يدك فإنا
ماندري أى المالين أقر لعينك أ مال قدم عليك أم مال خرج من عندك بل أنت

بما خرج أقر عينا فضحك أسد وقال أنت خير دهاقين خراسان وأحسنهم هدية وناولته تفاحة كانت في يده وسجد له دهقان هراة وأطرق أسد ينظر إلى تلك الهدايا فنظر عن يمينه فقال يا عذا فر بن يزيد مُر من يحمل هذا القصر الذهب ثم قال يامعن بن أحرر رأس قيس أو قال قنسر بن مر بهذا القصر يحمل ثم قال يا فلان خذ إبريقا ويا فلان خذ إبريقا وأعطى الصحاف حتى بقيت صحتان فقال قم يا ابن الصيداء فخذ صحيفة قال فأخذ واحدة فرزنها فوضعها ثم أخذ الأخرى فرزنها فقال له أسد مالك قال آخذ أرزنها قال خذها جميعا وأعطى العرفاء وأصحاب البلاء فقام أبو اليعفور وكان يسير أمام صاحب خراسان في المغازي فنادى هلم إلى الطريق فقال أسد ما أحسن ما ذكرت بنفسك خذ ديباجتين وقام ميمون العذاب فقال إلى إلى يسارك إلى الجادة فقال ما أحسن ما ذكرت بنفسك خذ ديباجة قال فأعطى ما كان في السماط كله فقال نهر بن توسعه

تَقُولُونَ إِنَّ نَادَى لِرَوْعٍ مُثَوِّبٌ وَأَنْتُمْ غَدَاةَ الْمَهْرَجَانِ كَثِيرٌ
ثم مرض أسد فأفاق إفاقة فخرج يوما فأتى بكمثرى أول ما جاء فأطعم الناس منه واحدة واحدة وأخذ كمثرى فرمى بها إلى دهقان هراة فانقطعت الدبيلة فهلك واستخلف جعفر البهراني وهو جعفر بن حنظلة سنة ١٢٠ فعمل أربعة أشهر وجاء عهد نصر بن سيار في رجب سنة ١٢١ فقال ابن عرس العبدى

نَعَى أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ نَاعٍ	فَرِيحَ الْقَلْبِ لِلْمَلِكِ الْمُطَاعِ
يَبْلُغُ وَافَقَ الْمِقْدَارُ يَسْرِي	وَمَا لِقَضَاءِ رَبِّكَ مِنْ دِفَاعِ
فَجُودِي عَيْنُ بِالْعَبْرَاتِ سَحَا	أَلَمْ يُخْزِنِكَ تَفْرِيقُ الْجَمَاعِ
أَتَاهُ حَمَامُهُ فِي جَوْفِ صَبْغٍ	وَكَمْ بِالصَّبْغِ مِنْ بَطْلٍ شَجَاعِ
كَتَابُ قَدْ يُجِيبُونَ الْمَنَادَى	عَلَى جُرْدٍ مَسْوْمَةٍ سِرَاعِ
سُقِيتَ الْغَيْثُ أَنْكَ كُنْتَ غَيْثًا	مَرِيحًا عِنْدَ مُرْتَادِ النَّجَاعِ

وقال سليمان بن قتيبة مولى بني تميم بن مرة وكان صديقا لأسد
سَقَى اللَّهُ بَلْخًا سَهْلًا بَلْخًا وَحَزْنًا وَمَرَّوَى خُرَاسَانَ السَّحَابِ الْمُجَمَّمَا

وَمَا بِي لِنُتْسَقَاهُ وَلَكِنْ حُفْرَةً بِهَا غَيَّبُوا شِلْوَا كَرِيماً وَأَعْظَمَا
مُرَاجِمَ أَقْوَامٍ وَمُرْدَى عَظِيمَةٍ وَطَلَّابَ أَوْتَارٍ عِفْرَنًا عَشْمَا
لَقَدْ كَانَ يَعْطَى السِّيفَ فِي الرُّوعِ حَقَّهُ وَيُرْوَى السَّنَانُ الزَّائِغِيَّ الْمُقَوِّمًا
(قال أبو جعفر) وفي هذه السنة وجهت شيعة بنى العباس بخراسان إلى محمد

ابن علي بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم ومأم عليه

ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان إلى محمد

وكان السبب في ذلك موجدة كانت من محمد بن علي بن علي من كان بخراسان
من شيعة من أجل طاعتهم كانت لخداش الذي ذكرنا خبره قبل وقبولهم منه
ماروى عليه من الكذب فترك مكاتبتهم فلما أبطأ عليهم كتابه اجتمعوا فذكروا
ذلك بينهم فأجمعوا على الرضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم ويخبره عنهم ويرجع
إليهم بما يرد عليه فقدم فيما ذكر سليمان بن كثير على محمد بن علي وهو متسكر
لمن بخراسان من شيعة فأخبره عنهم فعنفهم في اتباعهم خداشا وما كان دعا إليه
وقال لعن الله خداشا ومن كان على دينه ثم صرف سليمان إلى خراسان وكتب
إليهم معه كتاباً فقدم عليهم ومعه الكتاب محتوماً ففقدوا خاتمه فلم يجدوا فيه
شيئاً إلا بسم الله الرحمن الرحيم فغاض ذلك عليهم وعلموا أن ما كان خداش أتاهم
به لأمره مخالف (وفي هذه السنة) وجه محمد بن علي بكير بن ماهان إلى شيعة
بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عنده إليهم وكتب معه إليهم كتاباً
يعلمهم أن خداشاً حمل شيعة على غير مناجاة فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدقوه
واستخفوا به فانصرف بكير إلى محمد بن علي فبعث معه بعض مضيبة بعضها
بالحديد وبعضها بالشبه فقدم بها بكير وجمع النقباء والشيعة ودفع إلى كل رجل
منهم عصاً فعملوا أنهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا (وفي هذه السنة) عزل
هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه إياها كلها

ذكر سبب عزل هشام خالداً

قد قيل في ذلك أقوال نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره فما قيل في ذلك إن

فَرُوخَ أبا المثنى كان قد تقبّل من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رستاق الرّمان أو نهر الرمان وكان يُدعى بذلك فروخ الرمان فثقل مكانه على خالد فقال خالد لحسان النبطي ويحك اخرج إلى أمير المؤمنين فزد على فروخ فخرج فزاد عليه ألف ألف درهم فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشام خازي الضياع فصار حسان أثقل على خالد من فروخ فجعل يضرب به فيقول له حسان لا تفسدني وأنا صنيعتك فأبى إلا الإضرار به فلما قدم عليه بثق البشوق على الضياع ثم خرج إلى هشام فقال إن خالدا بثق البشوق على ضياعك فوجه هشام رجلا فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره فقال حسان لخادم من خدم هشام إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام فلك عندى ألف دينار قال فعجل لي الآلاف وأقول ما شئت قال فعجلها له وقال له بآك صبيّا من صبيان هشام فإذا بكى فقل له اسكت والله لكأنك ابن خالد القسريّ الذي غلته ثلاثة عشر ألف ألف فسمعها هشام فأغضى عليها ثم دخل عليه حسان بعد ذلك فقال له هشام ادن مني فدنا منه فقال كم غلة خالد قال ثلاثة عشر ألف ألف قال فكيف لم تخبرني بهذا قال وهل سألتني فوقرت في نفس هشام فأزمع على عزله وقيل كان خالد يقول لابنه يزيد ما أنت يدون مسلمة بن هشام فإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحدٌ سكرت دجلة ولم يتكلف ذلك أحدٌ ولي سقاية بمكة ولي ولاية العراق وقيل إنما أغضب هشاما على خالد أن رجلا من قریش دخل على خالد فاستخف به وعضه بلسانه فكتب إلى هشام يشكوه فكتب هشام إلى خالد أما بعد فإن أمير المؤمنين وإن كان أطلق لك يدك ورأيك فيمن استرعاك أمره واستحفظك عليه للذي رجا من كفايتك ووثق به من حسن تدبيرك لم يفترشك عورة أهل بيته لتطأه بقدمك ولا تحذله بصرك فكيف بك وقد بسطت على غرتهم بالعراق لسانك بالتوبيخ تريد بذلك تصغير خطره واحتقار قدره زعمت بالنصفة منه حتى أخرجك ذلك إلى الإغلاظ في اللفظ عليه في مجلس العامة غير متحلحل له حين رأيت مقبلا من صدر مهادك الذي مهد له الله وفي قومك من يعلوك بحسبه ويغمرك بأوليته

فُلَّتْ مَهَادَكَ بِمَارْفَعٍ بِهِ آلُ عَمْرٍو مِنْ ضَعْفِكَ خَاصَّةً مُسَاوِينَ بِكَ فُرُوعَ غُرُرِ الْقِبَائِلِ وَقُرُومَهَا قَبْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى حَلَّتْ هَضْبَةٌ أَصْبَحَتْ تَنْحُو بِهَا عَلَيْهِمْ مَفْتَخِرًا هَذَا إِنْ لَمْ يَدْعِهِ بِكَ قَلَّةُ شُكْرِكَ مَتَحْطَمَا وَقِيذًا فَهَلَّا يَا ابْنَ بَجْرَشَةَ قَوْمُكَ أَعْظَمْتَ رِجْلَهُمْ عَلَيْكَ دَاخِلًا وَوَسَّعْتَ مَجْلِسَهُ إِذْ رَأَيْتَهُ إِلَيْكَ مُقْبِلًا وَتَجَافَيْتَ لَهُ عَنْ صَدْرِ فَرَاشِكَ مُكْرَمًا ثُمَّ فَاوَضْتَهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ بِبِشْرِكَ أَكْرَامًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا أَطْمَأَنَّ بِهِ مَجْلِسُهُ نَازَعْتَهُ بِحَيِّ السَّرَارِ مَعْظِمًا لِقَرَابَتِهِ عَارِفًا لِحَقِّهِ فَهُوَ سِنَّ الْبَيْتَيْنِ وَنَابِهِمْ وَابْنُ شَيْخِ آلِ أَبِي الْعَاصِ وَحَرْبُ وَغُرْتِهِمْ وَبِاللَّهِ يَقْسِمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَرَمَتِكَ وَمَا يَكْرَهُ مِنْ شِمَاتَةِ عَدُوِّكَ بِكَ لَوْضَعٍ مِنْكَ مَارْفَعٍ حَتَّى يَرُدَّكَ إِلَى حَالِ تَفْقُدِهَا أَهْلُ الْحَوَائِجِ بِعِرَافِكَ وَتَزَاحِمِ الْمَوَاقِبِ بِبَابِكَ وَمَا أَقْرَبَنِي مِنْ أَنْ أَجْعَلَكَ تَابِعًا لِمَنْ كَانَ لَكَ تَبَعًا فَانْهَضَ عَلَى أَى حَالٍ أَلْقَاكَ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكُتَابَهُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ مَاشِيًا عَلَى قَدَمِكَ بِمَنْ مَعَكَ مِنْ خَوْلِكَ حَتَّى تَقِفَ عَلَى بَابِ ابْنِ عَمْرٍو صَاحِرًا مُسْتَأْذِنًا عَلَيْهِ مُتَنَصِّلًا إِلَيْهِ أُذُنَ لَكَ أَوْ مَنَعَكَ فَإِنْ حَرَّكَتَهُ عَوَاطِفُ رَحْمَةِ احْتِمَالِكَ وَإِنْ احْتَمَلْتَهُ أَنْفَةً وَحِمِيَّةً مِنْ دُخُولِكَ عَلَيْهِ فَقِفْ بِبَابِهِ حَوْلًا غَيْرَ مُتَحَلِّحٍ وَلَا زَائِلٍ ثُمَّ أَمَرَكَ بَعْدَ إِلَيْهِ عِزْلٍ أَوْ وَلَى انْتَصَرَ أَوْ عَفَا فَلَغْنَكَ اللَّهُ مِنْ مُتَكَلِّفٍ عَلَيْهِ بِالثِّقَةِ مَا أَكْثَرَ هَفْوَاتِكَ وَأَقْدَعَ لِأَهْلِ السَّرَفِ أَلْفَاظَكَ الَّتِي لَا تَزَالُ تَبْلُغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِقْدَامِكَ بِهَا عَلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ وَلايَةِ مِصْرَ الْعِرَاقِ وَأَقْدَمَ وَأَقْوَمَ وَقَدْ كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ بِمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْكَ مِنْ إِنْكَارِهِ عَلَيْكَ لِيَرَى فِي الْعَفْوِ صُنْعَكَ وَالسَّخَطِ عَلَيْكَ رَأْيَهُ مَفُوضًا ذَلِكَ إِلَيْهِ مَبْسُوطَةٌ فِيهِ يَدُهُ مَحْمُودًا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَيِّمَا آتَى إِلَيْكَ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكُتَابَهُ إِلَى ابْنِ عَمْرٍو أَمَا بَعْدَ فَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابَكَ وَفَهِمَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ بَسْطِ خَالِدٍ عَلَيْكَ لِسَانَهُ فِي مَجْلِسِ الْعَامَةِ مُحْتَقِرًا لِقُدْرِكَ مُسْتَصْغِرًا لِقَرَابَتِكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَوَاطِفُ رَحْمَةِ عَلَيْكَ وَإِمْسَاكَ عَنْهُ تَعْظِيمًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسُلْطَانَهُ وَتَمَسُّكَ بِوَنَائِقِ عِصْمِ طَاعَتِهِ مَعَ مَوْلَى مَا تَدَاخَلَكَ مِنْ قَبَائِحِ أَلْفَاظِهِ وَشَرَارَةِ مَنْطِقِهِ وَإِنْ كُتَابَهُ عَلَيْكَ عِنْدَ إِطْرَافِكَ عَنْهُ مَرْوِيًا فِيهَا أَطْلَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَطَالَ مِنْ صَنَائِهِ

ورفع من ضعته ونوّه من خموله وكذلك أنتم آل سعيد في مثلها عند هذر الذنابي
وطائشة أحلامها صُنّت من غير إغمام بل بأحلام تحف بالجبال وزنا وقد حمد أمير
المؤمنين تعظيمك إياه وتوقيرك سلطانه وشكره وقد جعل أمر خالد اليك في عزلك
إياه أو إقراره فان عزلته أمضى عزلك إياه وإن أقررتَه فلتك منّة لك عليه لا يشكرك
أمير المؤمنين فيها وقد كتب اليه أمير المؤمنين بما يطرده عنه سنة الهاجع عند وصوله
اليه يأمره بإتيانك راجلاً على أية حال صادفه كتاب أمير المؤمنين وألفاه رسوله
الموجه اليه من ليله أو نهاره حتى يقف ببابك أذنت له أو حجبتَه أقررتَه أو عزلته
وتقدّم أمير المؤمنين إلى رسوله في ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطاً إلا
أن تكره أن يناله ذلك بسيدك لحرمة خدمته فأيهما رأيت امضاه كان لأمر المؤمنين
في برك وعظم حرمتك وقرابتك وصلة رحمك موافقاً وإليه حبياً فيما ينوى من
قضاء حق آل أبي العاص وسعيد فكاتب أمير المؤمنين فيما بدالك مبتدئاً ومجيباً ومحدّثاً
وطالبا ما عسى أن ينزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من حوائجهم التي
تقعدهم الحشمة عن تناولها من قبله لبعد دارهم عنه وقلة امكان الخروج لإزالتها
به غير محتشم من أمير المؤمنين ولا مستوحش من تكرارها عليه على قدر قرابتهم
وأديانهم وأنسابهم مستمنحاً ومسترفداً وطالبا مستزيداً تجد أمير المؤمنين اليك
سريعاً بالبر لما يحاول من صلة قرابتهم وقضاء حقوقهم وبالله يستعين أمير المؤمنين
على ما ينوى واليه يرغب في العون على قضاء حق قرابته وعليه يتوكل وبه يثق والله
وليه ومولاه والسلام وقيل إن خالداً كان كثيراً ما يذكر هشاماً فيقول ابن الحقاء
وكانت أم هشام تستحق وقد ذكرنا خبرها قبل وذكر أنه كتب إلى هشام كتاباً
غاضه فكتب اليه هشام يا ابن أم خالد قد بلغني أنك تقول ما ولاية العراق لي بشرف
فيا ابن اللخناء كيف لا يكون إمرة العراق لك شرفاً وأنت من بحيلة القليلة الذليلة
أم والله إنني لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش يشد يدك إلى عنقك
وذكر أن هشاماً كتب اليه قد بلغني قولك أنا خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن
كرز ما أنا بأشرف الخمسة أم والله لأردّك إلى بغلتك وطليسانك الفيروزي

وذكر أن هشاما بلغه أنه يقول لابنه كيف أنت إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين
فظهر الغضب في وجهه وقيل إن هشاما قدم عليه رجل من أهل الشام فقال إني
سمعت خالدا ذكر أمير المؤمنين بما لا ينطق به الشفتان قال قال الأحول قال لا بل
قال أشد من ذلك قال فهاهو قال لا أقوله أبداً فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتى تغير له
وذكر أن دهقاناً دخل على خالد فقال أيها الأمير إن غلة ابنك قد زادت على عشرة
آلاف ألف ولا آمن أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكثره وإن الناس يحبون
جسدك وأنا أحب جسدك وروحك قال إن أسد بن عبد الله قد كلني بمثل هذا
فأنت أمرته قال نعم قال ويحك دع ابني فلربما طلب الدرهم فلم يقدر عليه ثم عزم
هشام لما كثر عليه ما يتصل به عن خالد من الأمور التي كان يكرها على عزله فلما
عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره

ذكر الخبر عن عمل هشام في عزل خالد حين صبح عزمه على عزله
ذكر عمر أن عبيد بن جناد حدثه أنه سمع أباه وبعض الكتبة يذكر أن
هشاما أخفى عزل خالد وكسب إلى يوسف بخطه وهو على اليمن أن يقبل في ثلاثين
من أصحابه فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة فعسّ قريباً منها وقد ختن طارق
خليفة خالد على الخراج ولده فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف وألف
وصيفة سوى الأموال والثياب وغير ذلك فر العاس بيوسف وأصحابه ويوسف
يصلى ورائحة الطيب تنفح من ثيابه فقال ما أنتم قالوا أسفار قال فإين تريدون قالوا
بعض المواضع فأتوا طارقاً وأصحابه فقالوا إنارأينا قوماً أنكرناهم والرأى أن نقتلهم
فإين كانوا خوارج استرحنا منهم وإن كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعددتهم على
أمرهم فنهزم عن قتلهم فطافوا فلما كان في السحر وقد اتفعل يوسف وصار إلى
دور ثقيف فر بهم العاس فقال ما أنتم فقالوا أسفار قال فإين تريدون قالوا بعض
المواضع فأتوا طارقاً وأصحابه فقالوا قد صاروا إلى دور ثقيف والرأى أن نقتلهم
فنهزمهم وأمر يوسف بعض الثقيفين فقال اجعل لي من بها من مضر ففعل فدخل المسجد
مع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فقال حتى يأتي الامام فأنهزه فأقام وتقدم يوسف

فقرأ إذا وقعت الواقعة وسأل سائل ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وإن القدور لتغلي قال عمر قال علي بن محمد قال قال الربيع بن سائبور مولى بني الحريش وكان هشام جعل إليه الخاتم مع الحرس أتى هشاماً كتاب خالد غاظه وقدم عليه في ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف فقرأه ثم قال لسالم مولى عنبسة بن عبد الملك أجبه عن لسانك وكتب هو بخطه كتاباً صغيراً ثم قال لي اتنى بكتاب سالم وكان سالم على الديوان فأتيته به فأدرج فيه الكتاب الصغير ثم قال لي اختمه ففعلت ثم دعا برسول يوسف فقال إن صاحبك لمتعد طوره ويسأل فوق قدره ثم قال لي مزق ثيابه ثم أمر به فضرب أسواطاً فقال أخرجه عني وادفع إليه كتابه فدفعت إليه الكتاب وقلت له ويلك النجاء فارتاب بشير بن أبي ثلجة من أهل الأردن وكان خليفة سالم وقال هذه حيلة وقد ولي يوسف العراق فكتب إلى عامل لسالم على أجمة سالم يقال له عياض إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني فاذا أتاك فالبسه واحمد الله وأعلم ذلك طارقاً فبعث عياض إلى طارق بن أبي زياد بالكتاب وندم بشير على كتابه وكتب إلى عياض إن أهلك قد بدا لهم في إمساك الثوب فلا تتكل عليه فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق فقال طارق الخبر في الكتاب الأول ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو بواسط فصار يوماً وليلة فصباحهم فرآه داود البربري وكان على حجاب خالد وحرسه وعلى ديوان الرسائل فأعلم خالدًا فغضب وقال قدم بغير إذن فأذن له فلما رآه قال ما أقدمك قال أمر كنت أخطأت فيه قال وما هو قال وفاة أسد رحمه الله كتبت إلى الأمير أعزيه عنه وإنما كان ينبغي لي أن آتية ماشياً فرق خالد ودمعت عينه وقال ارجع إلى عملك قال أردت أن أذكر للأمير أمراً أسره قال مادون داود سر قال أمر من أمرى فغضب داود وخرج وأخبر طارق خالدًا قال فما الرأي قال تركب إلى أمير المؤمنين فتعذر إليه من شيء إن كان بلغه عنك قال فبئس الرجل أنا إذا إن ركبت إليه بغير إذنه قال فشيء آخر قال وما هو قال

تسير في عملك وأتقدمك إلى الشام فأستأذنه لك فانك لا تبلغ أقصى عملك حتى
يأتيك إذنه قال ولا هذا قال فأذهب فأضمن لأمير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه
السنين وآتيك بعهدك مستقبلا قال وما يبلغ ذاك قال مائة ألف ألف قال ومن
أب أن أخذ هذا والله ما أجد عشرة آلاف درهم قال أتحمّل أنا وسعيد بن راشد
أربعين ألف ألف درهم والزينبي وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف وتفرّق
الباقى على العمال قال إني إذا للثيم إن كنت سوّغت قوما شيئا ثم أرجع فيه فقال
طارق إنما نقيك ونقى أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا
خير من أن يجيء من يطالبنا بالأموال وهي عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسون
ويتربصون بنا فنقتل ويأكلون تلك الأموال فأبى خالد فودعه طارق وبكى
وقال هذا آخر ما نلتقي في الدنيا ومضى ودخل داود فأخبره خالد بقول طارق
فقال قد علم أنك لا تخرج بغير إذن فأراد أن يخلّلك ويأتى الشام فيتقبل بالعراق
هو وابن أخيه سعيد بن راشد فرجع طارق إلى الكوفة وخرج خالد إلى الحمة
قال وقدم رسول يوسف عليه السلام فقال له ما وراءك قال الشر أمير المؤمنين
ساخط وقد ضربنى ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب سالم صاحب الديوان
ففض الكتاب فقرأه فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه أن سر إلى العراق
فقد وليت إياه وإياك أن يعلم بذلك أحد وخذ ابن النصرانية وعماله فأشغنى
منهم فقال يوسف انظروا دليلا عالما بالطريق فأتى بعدة فاختر منهم رجلا
وسار من يومه واستخلف على ابنه الصلت فشيّعه فلما أراد أن يتصرف
سأله أين تريد فضربه مائة سوط وقال يا ابن اللخناء أخفى عليك إذا استقرّ بى
منزل فسار فكان إذا أتى إلى طريقين سأل فاذا قيل هذا إلى العراق قال أعرق
حتى أتى الكوفة قال عمر قال على عن بشر بن عيسى عن أبيه قال قال حسان
النبطى هيات لهشام طيبا فإنى لبين يديه وهو ينظر إلى ذلك الطيب إذ قال لى
يا حسان فى كم يقدم القادم من العراق إلى البين قال قلت لأدرى فقال
أمرتك أمرا حازما فقصيتني فأصبحت مَسْلُوبَ الإِمَارَةِ نادِما

قال فلم يلبث إلا قليلا حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها وذلك في جمادى الآخرة سنة ١٢٠ قال عمر قال علي قال سالم زنبيل لما صرنا إلى النجف قال لي يوسف انطلق فأتني بطارق فلم أستطع أن آبي عليه وقلت في نفسي من بطارق في سلطانه ثم أتيت الكوفة فقلت للغلمان طارق استأذنوا لي على طارق فضربوني فصحت له ويلك يا طارق أنا سالم رسول يوسف وقد قدم على العراق فخرج فصاح بالغلمان وقال أنا آتيه قال وروى أن يوسف قال لكيسان انطلق فأتني بطارق فإن كان قد أقبل فاحمله على اكاف وإن لم يكن أقبل فأت به سحبا قال فأتيت بالحيرة دار عبد المسيح وهو سيد أهل الحيرة فقلت له إن يوسف قد قدم على العراق وهو يأمر أن تشد طارقا وتأتيه به فخرج هو وولده وغلمانه حتى أتوا منزل طارق وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعدة فقال لطارق إن أذنت لي خرجت إلى هؤلاء فيمن معي فقتلتهم ثم طرت على وجهك فذهبت حيث شئت قال فأذن لكيسان فقال أخبرني عن الأمير يريد المال قال نعم قال فأنا أعطيه ماسأل وأقبلوا إلى يوسف فتوافوا بالحيرة فلما عاينه ضربه ضرباً مبرحا يقال خمسمائة سوط ودخل الكوفة وأرسل عطاء ابن مقدم خالد بالحنة قال عطاء فأتيت الحاجب فقلت استأذن لي على أبي الهيثم فدخل وهو متغير الوجه فقال له خالد مالك قال خير قال ما عندك خير قال عطاء ابن مقدم قال استأذن لي على أبي الهيثم فقال ائذن له فدخلت فقال ويل أمها سُخْطَةٌ قال فلم أستقر حتى دخل الحكم بن الصلت فقدم معه فقال له خالد ما كان ليلى على أحد هو أحب إلي منكم وخطب يوسف بالكوفة فقال إن أمير المؤمنين أمرني بأخذ عمال ابن النصرانية وأن أشفيه منهم وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق ولاقتن منافقيكم بالسيف وجناتكم بالعذاب وفساقتكم ثم نزل ومضى إلى واسط وأتى بخالد وهو بواسط قال عمر قال حدثني الحكم ابن النضر قال سمعت أبا عبيدة يقول لما حبس يوسف خالدا صالحه عنه أبان ابن الوليد وأصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم تفعل

لأخذت منه مائة ألف ألف درهم قال ما كنت لأرجع وقد رهننت لسانى بشىء وأخبر أصحاب خالد خالدا فقال قد أسأتم حين أعطيتموه عند أول وهلة تسعة آلاف ألف ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم فارجعوا فجاءوا فقالوا إنا قد أخبرنا خالد فلم يرض بما ضمنا وأخبرنا أن المال لا يمكنه فقال أنتم أعلم وصاحبكم فأما أنا فلا أرجع عليكم فإن رجعتكم لم أمنعكم قالوا فإننا قد رجعنا قال وقد فعلتم قالوا نعم قال فمنكم أتى النقص فوالله لأرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثلها ولا مثليها فأخذ أكثر من ذلك وقد قيل إنه أخذ مائة ألف ألف ٥ وذكر الهيثم بن عدى عن ابن عياش أن هشام أزمع على عزل خالد وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالا وحفر أنهارا حتى بلغت غلته عشرين ألف ألف منها نهر خالد وكان يغل خمسة آلاف ألف وباجوى وبارمانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصّلىح وكان كثيرا ما يقول انى والله مظلوم ماتحت قدمى من شىء إلا وهو لى يعنى أن عمر جعل لبجيلة ربع السواد قال الهيثم بن عدى أخبرنى الحسن بن عمار عن العريان ابن الهيثم قال كنت كثيرا ما أقول لأصحابى إنى أحسب هذا الرجل قد تخلى منه إن قرىشا لا تحتمل هذا ونحوه وهم أهل حسد وهذا يظهر ما يظهر فقلت له يوم ما أياها الأمير إن الناس قد رموك بأبصارهم وهى قرىش وليس بينك وبينها إل وهم يحدون منك بدأ وأنت لا تجد منهم بدأ فأنشذك الله إلا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك وتعرض عليه منها ما أحب فإأقدرك على أن تتخذ مثالا وهو لا يستفسدك وإن كان حريصا على ذلك فلعمرى لأن يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ولا آمن أن يأتيه باغ أو حاسد فيقبل منه فلأن تعطيه طائعا خير من أن تعطيه كارها فقال ما أنت بمتهم ولا يكون ذلك أبدا قال فقلت أطننى واجعلنى رسولك فوالله لا يحل عقدة إلا شدتها ولا يشد عقدة إلا حللتها قال إنا والله لانعطى على الذل قال قلت هل كانت لك هذه الضياع إلا فى سلطانه وهل تستطيع الامتناع منه إن أخذها قال لا قلت فبادره فانه يحفظها لك ويشكرك عليها ولو لم تكن

له عندك يد إلا ما ابتدأك به كنت جديرا أن تحفظه قال لا والله لا يكون ذلك أبدا قال قلت فما كنت صانعا إذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه فإن أخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا لك وأكثروا عليه فيك ولك صنائع تعود عليهم بما بدالك ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام قال قد أبصرت ما تقول وليس إلى ذلك سبل وكان العريان يقول كأنكم به قد عزل وأخذ ماله وتجنى عليه ثم لا ينتفع بشيء قال فكان كذلك قال الهيثم وحدثني ابن عياش أن بلال بن أبي بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتب هشام عليه أنه حدث أمر لا أجد بدا من مشافهتك فيه فإن رأيت أن تأذن لي فأنما هي ليلة ويومها إليك ويوم عندك وليلة ويومها منصرفا فكتب إليه أن أقبل إذا شئت فركب هر وموليان له الجوازات فسار يوما وليلة ثم صلى المغرب بالكوفة وهي ثمانون فرسخا فأخبر خالد بمكانه فأتاه وقد تعصب فقال أبا عمرو أنت عتبت نفسك قال أجل قال متى عهدك بالبصرة قال أمس قال أحق ما تقول قال هو والله ما قلت قال فما أنصبتك قال ما بلغني من تعتب أمير المؤمنين وقوله وما بغاك به ولده وأهل بيته فإن رأيت أتعرض له وأعرض عليه بعض أموالنا ثم ندعوه منها إلى ما أحب وأنفسنا به طيبة ثم أعرض عليه مالك فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد قال ما أتهمك وحتى أنظر قال إني أخاف أن تعاجل قال كلا قال إن قریشا من قد عرفت ولا سيما سرعتهم إليك قال يا بلال إني والله ما أعطى شيئا قسرا أبدا قال أيها الأمير أتكلّم قال نعم قال إن هشاما أعذر منك يقول استعملتك وليس لك شيء فلم تر من الحق عليك أن تعرض عليّ بعض ما صار إليك وأخاف أن يزين له حسان النبطي ما لا تستطيع إدراكه فاغتم هذه الفترة قال أنا ناظر في ذلك فانصرف راشدا فانصرف بلال وهو يقول كأنكم بهذا الرجل قد بعث إليه رجل بعيدا أتى به حمز بنغض النفس سخيّف الدين قليل الحياء يأخذه بالإحزن والثرات فكان كما قال قال ابن عياش وكان بلال قد أخذ دارا بالكوفة وإنما استأذن خالدا لينظر إلى داره فما نزلها الا مقيدا ثم جعلت سجنا إلى اليوم قال ابن عياش كان خالد

يخطب فيقول إنكم زعمتم أني أغلى أسعاركم فعلى من يغليها لعنة الله وكان هشام كتب إلى خالد لا تبعن من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير المؤمنين حتى بلغت كيلجة درهما (قال الهيثم) عن ابن عياش كانت ولاية خالد في شوال سنة ١٠٥ ثم عزل في جمادى الأولى سنة ١٢٠ (وفي هذه السنة) قدم يوسف بن عمر العراق واليا عليها وقد ذكرت قبل سبب ولايته عليها (وفي هذه السنة) ولى خراسان يوسف بن عمر جديع بن علي الكرمانى وعزل جعفر بن حنظلة وقيل إن يوسف لما قدم العراق أراد أن يولى خراسان سلم بن قتيبة فكتب بذلك إلى هشام ويستأذنه فيه فكتب إليه هشام إن سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه وقيل إن يوسف كتب إلى الكرمانى بولاية خراسان مع رجل من بني سليم وهو بمر وخرج إلى الناس يخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وذكر أسداً وقدمه خراسان وما كانوا فيه من الجهد والفتنة وما صنع لهم على يديه ثم ذكر أخاه خالداً بالجميل وأثنى عليه وذكر قدوم يوسف العراق وحث الناس على الطاعة ولزوم الجماعة ثم قال غفر الله للبيت يعنى أسداً وعافى الله المعزول وبارك للقادم ثم نزل (وفي هذه السنة) عزل الكرمانى عن خراسان وولياها نصر بن سيار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جري بن عوف بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر ابن عبدمناة بن كنانة وأمه زينب بنت حسان من بني تغلب

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى هشام ابن عبد الملك استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان فأشاروا عليه بأقوام وكتبوا له أسماءهم فكان ممن كتب له عثمان بن عبد الله بن الشخير ويحيى بن حنين ابن المنذر الرقاشى ونصر بن سيار الليثى وقطن بن قتيبة بن مسلم والمجشر بن مزاحم السلى أحد بني حرام فأما عثمان بن عبد الله بن الشخير فقليل له لأنه صاحب شراب وقيل له المجشر شيخ هرم وقيل له ابن حنين رجل فيه تبه وعظمة وقيل له قطن بن قتيبة موتور فاختر نصر بن سيار فقليل له ليست له بها عشيرة فقال

هشام أنا عشيرته فولاه وبعث بعده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفاني هفان بن عدي بن حفية فأقبل عبد الكريم بعده ومعه أبو المهند كاتبه مولى بني حنيفة فلما قدم سرخس ولا يعلم به أحد وعلى سرخس حفص بن عمر بن عباد التيمي أخو تميم بن عمر فأخبره أبو المهند فوجه حفص رسولاً فحمله إلى نصر بن نفذ ابن سليط إلى مرو فأخبر أبو المهند الكرمانى فوجه الكرمانى نصر بن حبيب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانى إلى نصر بن سيار فسبق رسول حفص إلى نصر بن سيار فكان أول من سلم عليه بالإمرة فقال له نصر لعلك شاعر مكار فدفع إليه الكتاب وكان جعفر بن حنظلة ولى عمرو بن مسلم مرو وعزل الكرمانى وولى منصور بن عمرو أبر شهر وولى نصر بن سيار بخارى فقال جعفر بن حنظلة دعوت نصر اقبل أن يأتيه عهده بأيام فعرضت عليه أن أوليه بخارى فشاور البختري بن مجاهد فقال له البختري وهو مولى بني شيان لا تقبلها قال ولم قال لأنك شيخ مضر بخراسان فكأنك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما أتاه عهده بعث إلى البختري لأصحابه قد ولى نصر بن سيار خراسان فلما أتاه سلم عليه بالإمرة فقال له إني علمت قال لما بعثت إلى وكنت قبل ذلك تأتيني علمت أنك قد وليت قال وقد قيل إن هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه خبر أسد بن عبد الله بموته من ترى أن نولى خراسان فقد بلغني أن لك بها وبأهلها علماً قال عبد الكريم قلت يا أمير المؤمنين أما رجل خراسان حزماً ونجدة فالكرمانى فأعرض بوجهه وقال ما اسمه قلت جديع بن علي قال لا حاجة لي فيه وتطير وقال سم لي غيره قلت ألسن المجرب يحيى بن نعيم بن هيرة الشيباني أبو الميلاء قال ربيعة لا تسد بها الثغور قال عبد الكريم فقلت في نفسي كره ربيعة واليمن فأرميه بمضر فقلت عقيل بن معقل الليثي إن اغتفرت هنة قال ما هي قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة لي به قلت منصور بن أبي الخرقاء السلي إن اغتفرت نكرة فانه مشؤم قال غيره قلت المجشر بن مزاحم السلي عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه قال لا خير في الكذب قلت يحيى بن حضين قال ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور قال فكان إذا

ذكرت له ربيعة والبن أعرض قال عبد الكريم وأخرت نصر او هو أرجل القوم
وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة فقلت نصر بن سيار الليثي قال هو لها قلت إن اغتفرت
واحدة فإنه عفيف مجرب عاقل قال ما هي قلت عشيرته بها قليلة قال لا أبالك أريد
عشيرة أكثر مني أنا عشيرته وقال آخرون لما قدم يوسف بن عمر العراقي قال
أشيروا على برجل أوليه خراسان فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله بن
خازم وقديد بن منيع المنقري ونصر بن سيار وعمرو بن مسلم ومسلم بن
عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبي الخرقاء وسلم بن قتيبة ويونس بن عبد ربه
وزياد بن عبد الرحمن القشيري فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام وأطرى القيسية
وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانى فقال هشام ما بال الكنانى
آخرهم وكان في كتاب يوسف إليه يا أمير المؤمنين نصر بن خراسان قليل العشيرة
فكتب إليه هشام قد فهمت كتابك وإطراءك القيسية وذكرت نصرا وقلة عشيرته
فكيف يقل من أنا عشيرته ولكنك تقيست على وأنا متخندف عليك ابعث بعهد
نصر فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين بله ما إن تميأ أكثر أهل خراسان فكتب
إلى نصر أن يكاتب يوسف بن عمر وبعث يوسف سلما وافدا إلى هشام وأثنى
عليه فلم يوله ثم أوفد شريك بن عبد ربه النخري وأثنى عليه ليوليه خراسان فأبى
عليه هشام قال وأوفد نصر من خراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأسدي إلى هشام
وأثنى عليه نصر فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان فلما قدم يزيد بن
عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كرمان وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم
الحنفي ومعه كاتبه أبو المهند مولى بني حنيفة فلما أتى سرخس وقع الثاج فأقام
ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيمي فقال له قدمت بعهد نصر على خراسان
قال وهو عامل يومئذ على سرخس فدعا حفص غلامه فحمله على فرس وأعطاه
مالا وقال له طر واقتل الفرس فإن قام عليك فاشتر غيره حتى تأتى نصرا
قال فخرج الغلام حتى قدم على نصر بيلخ فيجده في السوق فدفع إليه الكتاب
فقال أتدرى ما في هذا الكتاب قال لا فأمسكه بيده وأتى منزله فقال الناس

أتى نصرا عهده على خراسان فأناه قوم من خاصته فسألوه فقال ماجأني شيء فكث يومه فدخل عليه من الغد أبو حفص بن علي أحد بني حنظلة وهو صهره وكانت ابنته تحت نصر وكان أهوج كثير المال فقال له إن الناس قد خاضوا وأكثروا في ولايتك فهل جاءك شيء فقال ماجأني شيء فقام ليخرج فقال مكانك وأقرأه الكتاب فقال ما كان حفص ليكتب إليك إلا بحق قال فينا هو يكلمه إذ استأذن عليه عبد الكريم فدفع إليه عهده فوصله بعشرة آلاف درهم ثم استعمل نصر على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم واستعمل وشاح ابن بكير بن وشاح على مرو والروذ والحارث بن عبد الله بن الحشرج على هراة وزباد ابن عبد الرحمن القشيري على أبر شهر وأبا حفص بن علي ختته على خوارزم وقطن ابن قتيبة على السغد فقال رجل من أهل الشام من اليمانية ما رأيت عصية مثل هذه قال بلى التي كانت قبل هذه فلم يستعمل أربع سنين إلا مضرباً وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها ووضع الخراج وأحسن الولاية والجباية فقال سوار بن الأشعر

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسف أخبار ما بقيت اختار نصر لها نصر بن سيار

وقال نصر بن سيار فيمن كره ولايته

تعر عن الصباية لا تلام
كذلك لا يلم بك احتام
أن سخطت كبيرة بعد قرب
كلفت بها وبأشرك السقام
ترحمي اليوم ما وعدت حديثاً
وقد كذبت مواعدها الكرام
ألم تر أن ما صنع الغواني
عسير لا يرغب به الكلام
أبت لي طاعتي وأبي بلاني
وفوزي حين يعتك الخصام
وإننا لا نضيع لنا ملماً
ولا حسباً إذا ضاع الذمام
ولا نغضي على غدر وإننا
نقيم على الوفاء فلا نلام

خليفةُنا الذي فازَتْ يَداهُ بِقَدْحِ الحَدِيدِ وَالْمَلِكُ الهَامُ
 نَسَبُ سُلُوكِهِمْ بِهِ وَلَنَا عَلَيْهِمْ إِذَا قَلْنَا مَكَارِمُهُ جِسَامُ
 أَبُو العَاصِي أَبُو وَعْبْدُ شَمْسٍ وَحَرْبُ الْقَمَاقِمَةِ الْكَرَامُ
 وَمُرْوَانُ أَبُو الْخُلَفَاءِ عَالٍ عَلَيْهِ الْمَجْدُ فَهُوَ لَهُمِ نِظَامُ
 وَبَيْتُ خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ فِينَا وَبَيْتَاهُ الْمُقَدَّسُ وَالْحَرَامُ
 وَنَحْنُ إِلَّا كَرَمُونَ إِذَا نَسَبْنَا وَعَرْنَيْنُ الْبَرِيَّةِ وَالسَّنَامُ
 فَأَمْسَيْنَا لَنَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ خَرَاطِيمُ الْبَرِيَّةِ وَالزَّمَامُ
 لَنَا أَيْدٍ تَزِيْشُ بِهَا وَتَنْبَرِي وَأَيْدٍ فِي بَوَادِرِهَا السَّامُ
 وَبَأْسٌ فِي الْكُرْبِيَّةِ حِينَ نَلْقَى إِذَا كَانَ الذَّنِيرُ بِهَا الْحَسَامُ

قال وأتى نصرأ عهده في رجب من سنة ١٢٠ وقال له البخترى اقرأ عهدك
 واخطب الناس فخطب الناس فقال في خطبته استمسكوا أصحابنا بجدتك فقد عرفنا
 خيركم وشركم ((وحج)) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل كذلك
 حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وقد قيل
 إن الذي حج بهم فيها سليمان بن هشام وقيل حج بهم يزيد بن هشام وكان العامل
 في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق
 كله يوسف بن عمر وعلى خراسان نصر بن سيار وقيل جعفر بن حنظلة وعلى
 البصرة كثير بن عبد الله السلمي من قبل يوسف بن عمر وعلى قضائها عامر بن عبيدة
 الباهلي وعلى أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الروم فافتتح بها مطامير وغزوة
 مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب فافتتح قلاعه وخرب أرضه وأذن
 له بالجزية في كل سنة ألف رأس يؤديه إليه وأخذ منه بذلك الرهن وملكه مروان

على أرضه (وفيها) ولد العباس بن محمد (وفيها) قُتل زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب في قول الواقدي في صفر وأما هشام بن محمد فإنه زعم أنه قتل في سنة ١٢٢ في صفر منها

ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه

اختلف في سبب خروجه فأما الهيثم بن عدى فإنه قال فيما ذكر عنه عن عبد الله بن عياش قال قدم زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود ابن علي بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق فأجازهم ورجعوا إلى المدينة فلما ولي يوسف بن عمر كتب إلى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد بن علي أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم رد الأرض عليه فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسرّهم إليه ففعل فسألمهم هشام فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها وحلفوا لهشام فصدّهم وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه ذكر أن أبا مخنف حدثه أن أول أمر زيد بن علي كان أن يزيد بن خالد القسري ادعى ما لا قبل زيد ابن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وأيوب بن سلة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك وزيد بن علي يومئذ بالرصافة يخاصم بني الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب في صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد بن عمر بن علي يومئذ مع زيد بن علي فلما قدمت كتب يوسف بن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فذكر لهم ما كتب به يوسف بن عمر إليه بما ادّعى قبلهم يزيد بن خالد فأنكروا فقال لهم هشام فإننا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينهم فقال له زيد بن علي أنشدك الله والرحم أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر قال وما الذي تخاف من يوسف بن عمر قال أخاف أن يعتدي علي قال له هشام ليس ذلك له ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قدم عليك فلان وفلان فاجمع بينهم وبين

يزيد بن خالد القسري فان هم أقرؤا بما ادعى عليهم فسرّح بهم إلى وإن هم أنكروا
فسله بيته فإن هو لم يقر البيته فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم
يزيد بن خالد القسري وديعة ولا له قبلهم شيء ثم خلّ سبيلهم فقالوا لهشام إنا
نخاف أن يتعدّى كتابك ويطول علينا قال كلا أنا باعث معكم رجلا من الحرس
يأخذه بذلك حتى يعجل الفراغ فقالوا جزاك الله والرحم خير ألقه حكمت بالعدل
فسرّح بهم إلى يوسف واحتبس أيوب بن سلة لأن أم هشام بن عبد الملك ابنة
هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وهو في أخواله فلم
يؤخذ بشيء من ذلك القرف فلما قدموا على يوسف فأدخلوا عليه فأجلس زيد
ابن علي قريبا منه وأطفه في المسألة ثم سأله عن المال فانكروا جميعاً وقالوا لم
يستودعنا مالا ولا له قبلنا حتى فخرج يوسف يزيد بن خالد إليهم فجمع بينه وبينهم
وقال له هذا زيد بن علي وهذا محمد بن عمر بن علي وهذا فلان وفلان الذين كنت
ادعيت عليهم ما ادعيت فقال مالي قبلهم قليل ولا كثير فقال يوسف أفي تهزأ أم
بأمر المؤمنين فعذّب به يومئذ عذاباً ظناً أنه قد قتله ثم أخرجهم إلى المسجد بعد
صلاة العصر فاستحلفهم خلفوا له وأمر بالقوم فبسط عليهم ما عدا زيد بن علي
فانه كف عنه فلم يقتدر عند القوم على شيء فكتب إلى هشام يعليه الحال فكتب
إليه هشام أن استحلفهم وخلّ سبيلهم فخلّى عنهم فخرجوا فالحقوا بالمدينة وأقام
زيد بن علي بالكوفة وذكر عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف أن زيد بن
علي رأى في منامه أنه أضرم في العراق نارا ثم أطفأها ثم مات فهااته فقال لابنه
يحيى يا بني إني رأيت رؤيا قد راعني فقصها عليه وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك
بأمره بالقدم عليه فقدم فقال له الحق بأمرك يوسف فقال له نشدتك بالله يا أمير
المؤمنين فوالله ما آمن إن بعثتني إليه أن لا أجمع أنا وأنت حين علي ظهر
الأرض بعدها فقال الحق يوسف كما تؤمر فقدم عليه (وقد قيل) إن هشام بن
عبد الملك انما استقدم زيدا من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر وكان السبب في
ذلك فيما زعم أبو عبيدة أن يوسف بن عمر عذب خالد بن عبد الله فادعى خالد

أنه استودع زيد بن عليّ وداود بن عليّ بن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش أحدهما مخزوميّ والآخر جُحَميٌّ مالا عظيماً فكتب بذلك يوسف إلى هشام فكتب هشام إلى خاله ابراهيم بن هشام وهو عامله على المدينة يأمره بحملهم إليه فدعا ابراهيم بن هشام زيدا وداود فسألهما عما ذكر خالد خلفا ما أودعهما خالد شيئاً فقال انكما عندي لصادقان ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان فلا بد من انفاذه فحملهما إلى الشام خلفا بالآيمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيئاً قط وقال داود كنت قدمت عليه العراق فأمر لي بمائة ألف درهم فقال هشام أتما عندي أصدق من ابن النصرانية فاقدما على يوسف حتى يجمع بينكما وبينه فتكذبا به في وجهه وقيل إن زيدا إنما قدم على هشام مخاصما ابن عمه عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ ذكر ذلك عن جويرية بن أسماء قال شهدت زيد بن عليّ وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان في ولاية وقوف عليّ وكان زيد يخاصم عن بني حسين وجعفر يخاصم عن بني حسن فكان جعفر وزيد يتبالغان بين يدي الوالي إلى كل غاية ثم يقومان فلا يعيدان بما كان بينهما حرقا فلما مات جعفر قال عبد الله من يكفينا زيدا قال حسن ابن حسن بن حسن أنا أكفيك قال كلا إنما نخاف لسانك ويدك ولكني أنا قال إذن لا تباع حاجتك وحجتك قال أما حجتى فسا بلغها فتنازعا إلى الوالي والوالي يومئذ عندهم فيما قيل ابراهيم بن هشام قال فقال عبد الله لزيد أنت طمع أن تنالها وأنت لامة سندية قال قد كان اسماعيل لامة قتال أكثر منها فسكت عبد الله وتبالغا يومئذ كل غاية فلما كان الغد أحضرهم الوالي وأحضر قريشاً والأنصار فتنازعا فاعترض رجل من الأنصار فدخل بينهما فقال له زيد وما أنت والدخول بيننا وأنت رجل من قحطان قال أنا والله خير منك نفساً وأباً وأما قال فسكت زيد وانبرى له رجل من قريش فقال كذبت لعمر الله لهو خير منك نفساً وأباً وأما وأولا وآخرأ وفوق الأرض وتحتها فقال الوالي وما أنت وهذا فأخذ القرشي كفاً من الحصى فضرب به الأرض وقال والله ما على هذا من صبر وفضن عبد الله وزيد لشهامة الوالي بهما فذهب عبد الله ليتكلم فطلب إليه زيد فسكت وقال زيد

لوالى أم والله لقد جمعنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله وإنى أشهد الله أن لا أنازعه إليك محقاً ولا مبطلا ما كنت حياً ثم قال لعبد الله انهض يا ابن عم فقهضا وتفرق الناس وقال بعضهم لم يزل زيد ينازع جعفر بن حسن ثم عبد الله بعده حتى ولى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة فتنازعا فأغاظ عبد الله لزيد وقال يا ابن الهند كية فتضاحك زيد وقال قد فعلتها يا أبا محمد ثم ذكر أمه بشيء وذكر المدائني أن عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد أجل والله لقد صبرت بعد وفاة سيدها فما تعبتت بابها اذ لم يصبر غيرها قال ثم ندم زيد واستحي من عمته فلم يدخل عليها زمانا فأرسلت إليه يا ابن أخي إني لأعلم أن أمك عندك كأمر عبد الله عنده وقيل إن فاطمة أرسلت الى زيد إن سبَّ عبد الله أمك فاسبب أمه وانها قالت لعبد الله أقلت لأمر زيد كذا وكذا قال نعم قالت فبئس والله ما صنعت أم والله لنعم دخيلة القوم كانت قد كر أن خالد بن عبد الملك قال لها أعدوا علينا غداً فلست لعبد الملك ان لم أفضل بينكما فباتت المدينة تغلي كالمرجل يقول قائل كذا وقائل كذا: قائل يقول قال زيد كذا وقائل يقول قال عبد الله كذا فلما كان الغد جلس خالد في المجلس في المسجد واجتمع الناس فمز شامت ومن مهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشامتا فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد ما يملك ان خاصمك إلى خالد أبداً ثم أقبل على خالد فقال له يا خالد لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر قال خالد أما لهذا السفية أحد فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم فقال يا ابن أبي تراب وابن حسين السفية ما ترى لوال عليك حقاً ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها القحطاني فانا لا نجيب مثلك قال ولم ترغب عني فوالله إني لخير منك وأبي خير من أبيك وأمي خير من أمك فتضاحك زيد وقال يا معشر قریش هذا الدين قد ذهب أفذهبت الأحساب فوالله إنه ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت

والله أيها القحطاني فوالله هو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتداً وتناوله بكلام كثير قال القحطاني دعنا منك يا ابن واقد فأخذ ابن واقد كفاً من حصي فضرب بها الأرض ثم قال له والله ما لنا على هذا صبر وقام وشخص زيد إلى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له فيرفع إليه القصص فكلما رفع إليه قصة كتب هشام في أسفلها ارجع إلى أميرك فيقول زيد والله لا أرجع إلى خالد أبداً وما أسأل مالا وإنما أنا رجل مخاصم ثم أذن له يوماً بعد طول حبس فذكر عمر بن شبة عن أيوب بن عمر بن أبي عمر قال حدثني محمد بن عبد العزيز الزهري قال لما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبه بمكانه فرقى هشام إلى عليته له طويلة ثم أذن له وأمر خادماً أن يتبعه وقال لا يرينك واسمع ما يقول قال فاتبعته الدرجة وكان بادناً فوقف في بعضها فقال والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل فلما صار إلى هشام قضى حوائجه ثم مضى نحو الكوفة ونسى هشام أن يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام ثم سأله فأخبره فالتفت إلى الأبرش فقال والله ليأتينك خلعه أول شيء فلم يأتته أول من ذلك شيء وكان كما قال وذكر عن زيد أنه حلف لهشام على أمر فقال له لا أصدقك فقال يا أمير المؤمنين إن الله لم يرفع قدر أحد عن أن يرضى بالله ولم يضع قدر أحد عن أن لا يرضى بذلك منه فقال له هشام لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وانت ابن أمة فقال زيد إن لك يا أمير المؤمنين جواباً قال تكلم قال إنه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع عنده منزلة من نبي ابتعته وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء وولد خيرهم محمداً صلى الله عليه وسلم وكان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريجة مثلك فاختره الله عليه وأخرج منه خير البشر وما على أحد من ذلك جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت أمه فقال له هشام أخرج قال أخرج ثم لا تراني إلا حيث تكره فقال له سالم يا أبا الحسين لا يظهرن هذا منك (رجع الحديث) إلى حديث هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف قال فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد ابن علي وتأمره بالخروج ويقولون إنا لنرجو أن تكون المنصور وأن يكون

هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فأقام بالكوفة فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو هاهنا فيبعث إليه أن اشخص فيقول نعم ويعتل له بالوجع فكث ما شاء الله ثم سأل أيضاً عنه فقيل له هو مقيم بالكوفة بعد لم يبرح فبعث إليه فاستحثه بالشخص فاعتل عليه بأشياء يتناعها وأخبره أنه في جهازه ورأى جد يوسف في أمر قهياً ثم شخص حتى أتى القادسية وقال بعض الناس أرسل معه رسولا حتى بلغه العذيب فلحقته الشيعة فقالوا له أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دوزك بأسيا فهم غداً وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة قليلة لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتكم يا ذن الله تعالى فنلشدك الله لما رجعت فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة وأما غير أبي مخنف فإنه قال ما ذكر عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم أن زيد بن علي لما قدم على يوسف قال له يوسف زعم خالد أنه قد أودعك مالا قال إني يودعني مالا وهو يشتم آبائي على منبره فأرسل إلى خالد فأحضره في عباة فقال له هذا زيد زعمت أنك قد أودعته مالا وقد أنكر فنظر خالد في وجههما ثم قال أتريد أن تجمع مع إثمك في إثمنا في هذا وكيف أودعه مالا وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر قال فشتمه يوسف ثم رده وأما أبو عبيدة فذكر عنه أنه قال صدق هشام زيدا ومن كان يوسف قرفه بما قرفه به ووجههم إلى يوسف وقال إنهم قد حلفوا إلى وقلت أيمانهم وأبرأتهم من المال وإنما وجهت بهم إليك لتجتمع بينهم وبين خالد فيكذبوه قال ووصلهم هشام فلما قدموا على يوسف أنزلهم وأكرمهم وبعث إلى خالد فأتى به فقال قد حلف القوم وهذا كتاب أمير المؤمنين ببرأتهم فهل عندك بينة بما ادعيت فلم تكن له بينة فقال القوم لخالد مادعاك إلى ما صنعت قال غلظ على العذاب فادعيت ما ادعيت وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدومكم فأطلقهم يوسف فمضى القرشيان الجمحي والخزومي إلى المدينة وتخلف الهاشميان داود بن علي وزيد بن علي بالكوفة وذكر أن زيدا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة ويوسف يأمره بالخروج ويكتب إلى عامله على الكوفة وهو

يومئذ بالحيرة يأمره بإزعاج زيد وزيد يذكر أنه ينازع بعض آل طلحة بن عبيد الله في مال بينه وبينهم بالمدينة فيكتب العامل بذلك إلى يوسف فيقره أيا ما ثم يبلغه أن الشيعة تختاف إليه فيكتب إليه أن أخرجه ولا تؤخره وإن ادعى أنه ينازع فليجر جريا وليوكل من يقوم مقامه فيما يطالب به وقد بايعه جماعة منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبدى ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارى وحجبة ابن الأخلاج الكندى وناس من وجوه أهل الكوفة فلما رأى ذلك داود بن علي قال له يا ابن عم لا يغرنك هؤلاء من نفسك ففى أهل بيتك لك عبرة وفى خذلان هؤلاء إياهم فقال يا داود ان بنى أمية قد عتوا وقست قلوبهم فلم يزل به داود حتى عزم على الشخص فشدخصا حتى بلغا القادسية وذكر عن أبي عبيدة أنه قال اتبعوه إلى الثعلبية وقالوا له نحن أربعون ألفا إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلف عنك أحد وأعطوه المواثيق والأيمان المغلظة فجعل يقول إني أخاف أن تخذلوني وتسلبوني كفعلكم بأبى وجدى فيحلفون له فيقول داود بن علي يا ابن عم إن هؤلاء يغرونك من نفسك أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبى طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم رثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه وانتهبوا فسطاطه وجرحوه أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأركد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا تفعل ولا ترجع معهم فقالوا ان هذا لا يريد أن تظهر أنت وبزعم أنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم فقال زيد لداود إن عليا كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه بأهل الشام وإن الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل فقال له داود إني لخائف إن رجعت معهم أن لا يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة وقال عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف قال كتب هشام إلى يوسف أن أشخص زيدا إلى بلده فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعو أهله إلا أجابوه فأشخصه فلما كان بالثعلبية أو القادسية لحقه المشائيم يعنى أهل الكوفة فردوه وبايعوه فأتاه سلمة بن كهيل فاستأذن عليه فأذن له فذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه

فأحسن ثم تكلم زيد فأحسن فقال له سلمة اجعل لي الأمان فقال سبحانه الله
 مثلك يسأل مثلي الأمان وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه ثم قال لك الأمان فقال
 نشدتك بالله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك قال ثمانون ألفا قال فكم
 حصل معه قال ثلثمائة قال نشدتك الله أنت خير أم جدك قال بل جدى قال
 أفقرتك الذى خرجت فيهم خير أم القرن الذى خرج فيهم جدك قال بل القرن
 الذى خرج فيهم جدى قال أفتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك قال
 قد بايعونى ووجبت البيعة فى عنقى وأعناقهم قال أفتأذن لى أن أخرج من البلد قال
 لم قال لا آمن أن يحدث فى أمرك حدث فلا أملك نفسى قال قد أذنت لك فخرج
 إلى اليمامة وخرج زيد فقتل وصلب فكتب هشام إلى يوسف يلومه على تركه
 سلمة بن كهيل يخرج من الكوفة ويقول مقامه كان خيرا لك من كذا وكذا من
 الخيل تكون معك وذكر عمر عن أبى إسحاق شيخ من أهل أصبهان حدثه أن
 عبد الله بن حسن كتب إلى زيد بن على يا ابن عم إن أهل الكوفة نفخ العلانية
 خور السريرة هرج فى الرخاء جزع فى اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايهم قلوبهم
 لا يبيتون بعد فى الاحداث ولا ينوون بدولة مرجوة ولقد تواترت إلى كتبهم
 بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قنبي غشاء عن ذكرهم بأسا منهم واطراحا
 لهم وما لهم مثل إلا ما قال على بن أبى طالب إن أهملتم خضتم وإن حوربتم خرتم
 وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم وإن أجبتم إلى مشاقة نكصتم وذكر عن هشام
 ابن عبد الملك أنه كتب إلى يوسف بن عمر فى أمر زيد بن على أما بعد فقد علمت
 بحال أهل الكوفة فى حبهم أهل هذا البيت ووضعهم إياهم فى غير مواضعهم
 لأنهم ائترضوا على أنفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوه علم
 ما هو كائن حتى حملوه من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج وقد
 قدم زيد بن على على أمير المؤمنين فى خصومة عمر بن الوليد ففصل أمير المؤمنين
 بينهما ورأى رجلا جديلا لسانا خليقا لتوبه الكلام وصوغه واجترار الرجال
 بحلاوة لسانه وبكثرة مخارجه فى حججه وما يدلى به عند لدد الخصام من السطوة

على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج فعجل لإشخاصه إلى الحجاز ولا تخله والمقام قبلك فانه إن أعاره القوم اسماعهم فحشاها من لين لفظه وحلاوة منطقه مع ما يدلى به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وجدهم ميلاً اليه غير متدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ولا مصونة عندهم أديانهم وبعض التحامل عليه فيه أذى له وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحب إلى من أمر فيه سفك دمائهم وانتشار كلستهم وقطع نسلهم والجماعة حبلى الله المتين ودين الله القويم وعروته الوثقى فادع اليك أشراف أهل المصر وأرعدهم العقوبة في الإبشار واستصفاء الأموال فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه ولا يخف معه إلا الرعاع وأهل السواد ومن تنهض الحاجة استلذاذا للفتنة وأولئك ممن يستعبد إبليس وهو يستعبدهم فبادهم بالوعيد واعضضهم بسوطك وجرد فيهم سيفك وأخف الأشراف قبل الأوساط والأوساط قبل السفلة واعلم أنك قائم على باب ألفة وداع إلى طاعة وحاض على جماعة ومشمر لدين الله فلا تستوحش لكثرتهم واجعل معقلك الذى تأوى اليه وصغوك الذى تخرج منه الثقة بربك والغضب لدينك والمحاماة عن الجماعة ومناصبه من أراد كسر هذا الباب الذى أمرهم الله بالدخول فيه والتشاح عليه فإن أمير المؤمنين قد أعذر اليه وقضى من ذمامه فليس له منزى إلى ادعاء حق هو له ظلّمه من نصيبه نفسه أوفىء أو صلة لذى قربى إلا الذى خاف أمير المؤمنين من حمل بادرة السفلة على الذى عسى أن يكونوا به أشقى وأضل ولهم أمر ولا مير المؤمنين أعز وأسهل إلى حيطة الدين والذب عنه فانه لا يجب أن يرى فى أمته حالا متفاوتا نكالا لهم مفنيا فهو يستديم النظرة ويتأنى للرشاد ويحتنبهم على المخاوف ويستجرهم إلى المرشد ويعدل بهم عن المهالك فعل الوالد الشفيق على ولده والراعى الحذب على رعيته واعلم أن من حجتك عليهم فى استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتك أطاعهم وأعطية ذريتهم ونهيك جندك أن ينزلوا حريمهم ودورهم فانتهم رضا الله فيما أنت بسيله فانه ليس ذنب أسرع تعجيل عقوبة من بنى وقد أوقعهم الشيطان ودلاهم فيه ودلهم عليه والعصمة

بتارك البغي أولى فأمر المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيته ويسأل الله
ومولاه ووليه أن يصلح منهم ما كان فاسداً وأن يسرع بهم إلى النجاة والفوز إنه سميع
قريب (رجع الحديث إلى حديث هشام) قال فرجع زيد إلى الكوفة فاستخفى قال
فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب حيث أراد الرجوع إلى الكوفة أذكرك الله يا زيد
لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه فانهم
لا يفوت لك فلم يقبل منه ذلك ورجع قال هشام قال أبو مخنف فأقبلت الشيعة
لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ويبايعون له حتى أحصى ديوانه خمسة عشر
ألف رجل فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً إلا أنه قد كان منها بالبصرة نحو
شهرين ثم أقبل إلى الكوفة فأقام بها وأرسل إلى أهل السواد وأهل الموصل رجالا
يدعون إليه قال وتزوج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السلي أحد
بنى فرقد وتزوج ابنة عبد الله بن أبي العنابس الأزدي قال وكان سبب تزوجه
ليأياها أن أمها أم عمرو بنت الصلت كانت ترى رأى الشيعة فبلغها مكان زيد فأتته
لتسلم عليه وكانت امرأة جسيمة جميلة لحيمة قد دخلت في السن إلا أن الكبر
لا يستبين عليها فلما دخلت على زيد بن علي فسلمت عليه ظن أنها شابة فكلمته فاذا
أفصح الناس لساناً وأجمله منظر أفسأها عن نسبها فانتسبت له وأخبرته بمن هي
فقال لها هل لك رحمك الله أن تتزوجيني قالت أنت والله رحمك الله رغبة لو كان
من أمري التزويج قال لها وما الذي يمنعك من ذلك قالت يمنعني من ذلك أني قد
أسننت فقال لها كلا قد رضي ما أبعذك من أن تكوني قد أسننت قالت رحمك
الله أنا أعلم بنفسى منك وبما أتى علي من الدهر ولو كنت متزوجة يوماً من
الدهر لما عدلت بك ولكن ابنة أبوها ابن عمي وهي أجمل مني وأنا أزواجها
إن أحببت قال رضي أن تكون مثلك قالت له لكن خالفها ومصورها لم يرض
أن يجعلها مثلي حتى جعلها أبيض وأوسم وأجسم وأحسن مني دلا وشكلاً فضحك
زيد وقال لها قد رزقت فصاحة ومنطقاً حسناً فأين فصاحتها من فصاحتك قالت
أما هذا فلا علم لي به لأنني نشأت بالحجاز ونشأت ابنتي بالكوفة فلا أدري لعل

أبقي قد أخذت لغة أهلها فقال زيد ليس ذلك بأكره إلى ثم أوعدها موعداً فأتاها فتزوجها ثم بنى بها فولدت له جارية ثم إنها ماتت بعد وكان بها معجباً قال وكان زيد بن علي ينزل بالكوفة منازل شتى في دار امرأته في الأزد مرة ومرة في أصهاره السليين ومرة عند نصر بن خزيمه في بني عبس ومرة في بني غبر ثم إنه تحول من بني غبر إلى دار معاوية بن إسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري في أقصى جباله سالم السلولى وفي بني نهد وبني تغلب عند مسجد بني هلال بن عامر فأقام يبايع أصحابه وكانت يبعته التي يبايع عليها الناس إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفء بين أهله بالسواء ورد الظالمين وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا أتبايعون على ذلك فإذا قالوا نعم وضع يده على يده ثم يقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفنين بيعتي ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لي في السر والعلانية فإذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم أشهد فكث بذلك بضعة عشر شهراً فلما دأخروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ لجعل من يريد أن ينزى ويخرج معه يستعدّ لويتهياً فشاع أمره في الناس (وفي هذه السنة) غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين ثم غزا الثالثة فقتل كور صول

ذكر الخبر عن غزواته هذه

ذكر علي عن شيوخه أن نصر غزا من بلغ ما وراء النهر من ناحية باب الحديد ثم قفل إلى مرو فخطب الناس فقال ألا إن بهرامسيس كان مانع المجوس يمنهم ويدفع عنهم ويحمل أثقالهم على المسلمين ألا إن أشبداد بن جريجور كان مانع النصارى ألا إن عقيبة اليهودى كان مانع اليهود يفعل ذلك ألا إنى مانع المسلمين أمنهم وأدفع عنهم وأحمل أثقالهم على المشركين ألا إنه لا يقبل منى الا توفى الخراج على ما كتب ورفع وقد استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبى الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم فأيمأ رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجيه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك إلى منصور

ابن عمر يحوله عن المسلم الى المشرك قال فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألقيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح قال فكانت مرو يؤخذ منها مائة ألف سوى الخراج أيام بنى أمية ثم غزا الثانية الى ورغسر وسمرقند ثم قفل ثم غزا الثانية الى الشاش من مرو فخال بينه وبين قطوع النهر هر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفاً استأجر كل رجل منهم في كل شهر بشقة حرير والشقة يومئذ بخمسة وعشرين درهما فكانت بينهم مراعاة فمخ نصر من القطوع الى الشاش وكان الحارث بن سريج يومئذ بأرض الترك فأقبل معهم فكان بازاء نصر فرمى نصرا وهو على سريرته على شاطئ النهر بحسبان فوق السهم في شدة وصيف لنصر يوضه فتحول نصر عن سريرته ورمى فرسا لرجل من أهل الشام فنفق وعبر كورصول في أربعين رجلا فبيت أهل العسكر وساق شاء لأهل بخارى وكانوا في الساقة وأطاف بالعسكر في ليلة مظلمة ومع نصر أهل بخارى وسمرقند وكس وأشروسنة وهم عشرون ألفا فنادى نصر في الأخماس ألا لا يخرجن أحد من بناءه واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير وهو على جند أهل سمرقند حتى مرت خيل كورصول وقد كانت الترك صاحت صيحة فظن أهل العسكر أن الترك قد قطعوا كلهم فلما مرت خيل كورصول على ذلك حمل على آخرهم فأسر رجلا فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة فجأوا به الى نصر فاذا هو شيخ يسحب درعه شبرا وعليه رانا ديباج فيهما حلق وقباء فرند مكثف بالديباج فقال له نصر من أنت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله قال فما رجو من قتل شيخ وأنا أعطيك ألف بعير من ابل الترك وألف برذون تقوى بها جندك وخل سبيل فقال نصر لمن حوله من أهل الشام وأهل خراسان ما تقولون فقالوا خل سبيله فسأله عن سنة قال لا أدري قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش قال نعم قال لو أعطيتني ما طلعت عليه

الشمس ما أفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدتك وقال لعاصم بن عمير السعدي قم إلى سلبه نخذه فلما أيقن بالقتل قال من أسرنى قال نصر وهو يضحك يزيد بن قران الخنظلي وأشار إليه قال هذا لا يستطيع أن يغسل استه أو قال لا يستطيع أن يتم بوله فكيف يأسرنى فأخبرني من أسرنى فإني أهل ان أقتل سبع قتلات قيل له عاصم بن عمير قال لست أجد مس القتل إذ كان الذي أسرنى فارسا من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر قال وعاصم بن عمير هو الهزار مرد قتل بها وند أيام قحطبة قال فلما قتل كورصول تخذرت الترك وجاؤا بأبيته فخرقوها وقطعوا آذانهم وجردوا وجوههم وطفقوا يبكون عليه فلما أمسى نصر وأراد الرحلة بعث إلى كورصول بقارورة نفط فصبها عليه وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه قال وكان ذلك أشد عليهم من قتله وارتفع نصر إلى فراغة فسي منها ثلاثين ألف رأس قال فقال عنبر بن بُرْنَمَةَ الأزدى كتب يوسف بن عمر إلى نصر سر إلى هذا الغاز ذنبه بالشاش يعني الحارث بن سريح فان أظفرك الله به وبأهل الشاش غرب بلادهم واسب ذرارهم وإياك ورطة المسلمين قال فدعا نصر الناس فقرأ عليهم الكتاب وقال ماترون فقال يحيى بن حضين امض لا مرا أمير المؤمنين وأمر الأمير فقال نصر يا يحيى تكلمت ليال عاصم بكلمة فبلغت الخليفة فخطبت بها وزيد في عطائك وفرض لأهل بيتك وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت أقول مثلهاسر يا يحيى فقد وليتك مقدمتي فأقبل الناس على يحيى يلومونه فقال نصر يومئذ وأى ورطة أشد من أن نكون في السفر وهم في القرار قال فسار إلى الشاش فأثاه الحارث بن سريح فنصب عرادتين تلقاء بني تميم فقبل له هؤلاء بنو تميم فنقلهما فنصبهما على الأزد ويقال على بكر بن وائل وأغار عليهم الأخرم وهو فارس الترك فقتله المسلمون وأسروا سبعة من أصحابه فأمر نصر بن سيار برأس الأخرم فرمى به في عسكرهم بمنجنيق فلما رأوه ضجوا ضجة عظيمة ثم ارتحلوا منهزمين ورجع نصر وأراد أن يعبر خيل بينه وبين ذلك فقال أبو نَميلة صالح بن الأبار

كَأَوْبَةٍ نَصْرٍ عِنْدَ غَيْبَتِهِ كَرَاقِبِ النَّوَى حَتَّى جَادَهُ الْمَطَرُ

أَوْدَى بِأَخْرَمِهِ عَارِضٌ بَرِيدٌ مُسْتَرْجِفٌ بِمَنَآيَا الْقَوْمِ مِنْهُمْ
وَأَقْبَلَ نَصْرٌ قَتَلَ سَمْرَقَنْدَ فِي السَّنَةِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْحَارِثُ بْنُ سَرِيحٍ فَأَتَاهُ بَخَارِيُّ
أَخَذَهُ مِنْصَرِفًا وَكَانَتْ الْمُسْلِحَةُ عَلَيْهِمْ وَمَعَهُمْ دَهْقَانَانِ مِنْ دَهَاقِينَ بَخَارِيٍّ وَكَانَا أَسْلَمَا
عَلَى يَدَيْ نَصْرٍ وَقَدْ أَجْمَعَا عَلَى الْفَتْكِ بِوَاصِلِ بْنِ عَمْرٍو الْقَيْسِيِّ عَامِلِ بَخَارِيٍّ
وَبِخَارِ أَخْذِهِ يَتَظَلَّمَانِ مِنْ بَخَارِ أَخْذِهِ وَاسْمُهُ طَوْقُ سِيَادِهِ فَقَالَ بَخَارِ أَخْذَهُ لِنَصْرِ أَصْلَحَ
اللَّهُ الْأَمِيرَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُمَا قَدْ أَسْلَمَا عَلَى يَدَيْكَ فَمَا بِالْهَمَّا مَعْلَقَى الْخَنَاجِرِ عَلَيْهِمَا فَقَالَ لَهَا
نَصْرٌ مَا بِالْكَأَمْلَقِ الْخَنَاجِرِ وَقَدْ أَسْلَمْتُمَا قَالَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَخَارِ أَخْذِهِ عِدَاوَةٌ فَلَا تَأْمَنُ
عَلَى أَنْفُسِنَا فَأَمَرَ نَصْرٌ هَارُونَ بْنَ السَّيَاوَشِ مَوْلَى بَنِي سَلِيمٍ وَكَانَ يَكُونُ عَلَى الرَّابِطَةِ
فَاجْتَذَبَهُمَا فَقَطَعَهُمَا وَنَهَضَ بَخَارِ أَخْذَهُ إِلَى نَصْرِ يَسَارَةٍ فِي أَمْرِهِمَا فَقَالَا نَمُوتُ
كَرِيمِينَ فَشَدَّ أَحَدُهُمَا عَلَى وَاصِلِ بْنِ عَمْرٍو فَطَعَنَهُ فِي بَطْنِهِ بِسَكِينٍ وَضَرَبَهُ وَاصِلٌ
بِسَيْفِهِ عَلَى رَأْسِهِ فَأُطَارِقُ حُفَّ رَأْسُهُ فَقَتَلَهُ وَمَضَى الْآخَرُ إِلَى بَخَارِ أَخْذِهِ وَأَقِيمَتِ
الصَّلَاةُ وَبَخَارِ أَخْذَهُ جَالِسٌ عَلَى كُرْسَى فَوَثَبَ نَصْرٌ فَدَخَلَ السَّرَادِقُ وَأَحْضَرَ
بَخَارِ أَخْذَهُ فَعَثَرَ عِنْدَ بَابِ السَّرَادِقِ فَطَعَنَهُ وَشَدَّ عَلَيْهِ الْجُوزْجَانُ بْنُ الْجُوزْجَانِ
فَضْرَبَهُ بِحَرَزٍ كَانَ مَعَهُ فَقَتَلَهُ وَحُمِلَ بَخَارِ أَخْذَهُ فَأَدْخَلَ سَرَادِقُ نَصْرًا وَدَعَا لَهُ نَصْرٌ
بِوَسَادَةٍ فَاتَكَأَ عَلَيْهَا وَأَتَاهُ قَرَعَةُ الطَّبِيبِ فَعَمِلَ يَعالِجُهُ وَأَوْصَى إِلَى نَصْرِ وَمَاتَ مِنْ
سَاعَتِهِ وَدُفِنَ وَاصِلٌ فِي السَّرَادِقِ وَصَلَّى عَلَيْهِ نَصْرٌ وَأَمَّا طَوْقُ سِيَادِهِ فَكَشَطُوا عَنْهُ
لَحْمَهُ وَحَمَلُوا عِظَامَهُ إِلَى بَخَارِيٍّ قَالَ وَسَارَ نَصْرٌ إِلَى الشَّاشِ فَلَمَّا قَدِمَ أَشْرُوسَةُ عَرَضَ
دَهْقَانُهَا أَبَا خَرْمَةَ مَا لَا تُمْ نَهْذُ إِلَى الشَّاشِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى فَرَاغَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الْأَزْدِيِّ
وَجَهَّهَ إِلَيْهَا فِي عَشْرَةِ نَفَرٍ وَرَدَّ مِنْ فَرَاغَةِ أَخَا جَيْشٍ فَيَمُنُ كَانَ مَعَهُ مِنْ دَهَاقِينَ الْخُتَلُ
وغيرهم وانصرف منها بتمائيل كثيرة فنصبها في أشروسنة وقال بعضهم لما أتى نصر
الشاش تلقاه قدر ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه إخراج الحارث
ابن سريح من بلده فأخرجه إلى فاراب واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى
عمرو بن العاص ثم سار حتى نزل قباء من أرض فرغانة وقد كانوا أحسوا بمجيئه
فأحرقوا الحشيش وحبسوا الميرة ووجه نصر إلى ولي عهد صلح فرغانة في

بقية سنة ١٢١ فحاصروه في قلعة من قلاعها فغفل عنهم المسلمون فخرجوا على دوابهم فاستاقوها وأسروا ناسا من المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من بني تميم ومعهم محمد بن المثنى وكان فارسا فكأيدهم المسلمون فأهملوا دوابهم وكنوا لهم فخرجوا فاستاقوا بعضها وخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان وأسروا منهم أسرا وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثنى فختله محمد بن المثنى فأسره وهو غلام أمرد فأتى به نصرا فضرب عنقه وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما قال سليمان فقدمت عليه فقال لي من أنت قلت شاكري خليفة كاتب الأمير قال فقال ادخلوه الخزان ليري ما أعددتنا فقبل له قم قال قلت ليس بي مشي قال قدّموا له دابة يركبها قال فدخلت خزائنه فقلت في نفسي يا سليمان شمت بك إسرائيل وبشر بن عبيد ليس هذا إلا لكراهة الصلح وسأنصرف بخفي حنين قال فرجعت إليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قلت سهلا كثير الماء والمرعى فكره ما قلت له فقال ما عليك فقلت قد غزوت غرستان وغور والختل وطبرستان فكيف لا أعلم قال فكيف رأيت ما أعددتنا قلت رأيت عدة حسنة ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال قال وما هن قلت لا يأمن أقرب الناس إليه وأحبهم إليه وأوثقهم في نفسه أن يثب به يطلب مرتبته ويتقرب بذلك أو يفنى ما قد جمع فيسلم برمته أو يصيبه داء فيموت فقطب وكره ما قلت له وقال نصرف إلى منزلك فأنصرفت فأقمت يومين وأنا لا أشك في تركه الصلح فدعاني فحملت كتاب الصلح مع غلامي وقلت له إن أمّاك رسول يطلب الكتاب فأنصرف إلى المنزل ولا تظهر الكتاب وقل لي إن خلفت الكتاب في المنزل فدخلت عليه فسالني عن الكتاب فقلت خلفته في المنزل فقال ابعث من يجيئك به فقبل الصلح وأحسن جازتي وسرح معي أمه وكانت صاحبة أمره قال فقدمت على نصر فلما نظر إلى قال ما مثلك إلا كما قال الأول ۞ فأرسل حكيمًا ولا توصه ۞ فأخبرته فقال وفقت وأذن لأمه عليه وجعل يكلمها والترجمان يعبر عنها فدخل تميم بن نصر فقال للترجمان قل لها تعرفين

هذا فقالت لا فقال هذا تميم بن نصر فقالت والله ما أرى له حلاوة الصغير ولا نبل الكبير قال أبو إسحاق بن ربيعة قالت لنصر كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملك وزير يباهه بنبات نفسه وما شجر في صدره من الكلام ويشاوره ويثق بنصيحته وطباخ إذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهى وزوجة إذا دخل عليها مغتما فغظرت إلى وجهها زال غمه وحسن إذا فرع أوجهر فرع إليه فأنجاه تعنى البرذون وسيف إذا قارع الأقران لم يخش خيافته وذخيرة إذا حملها فأين وقع بها من الأرض عاش بها ثم دخل تميم بن نصر في مرقلة وجاعة فقالت من هذا قالوا هذا قتي خراسان هذا تميم بن نصر قالت ماله نبل الكبار ولا حلاوة الصغار ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة قال فتيته وسألت عنه وقالت يامعشر العرب مالكم وفاء لا يصلح بعضكم لبعض قتيبة الذي وطن لكم ما أرى وهذا ابنه تُعده دونه فحقك أن تجلسه هذا المجلس وتجلس أنت مجلسه (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل الخزومي كذلك قال أبو معشر حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدي وغيره وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة محمد بن هشام وعامله على العراق كله يوسف بن عمر وعامله على آذربيجان وأرمينية مروان بن محمد وعلى خراسان نصر بن سيار وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مقتل زيد بن علي

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر هشام عن أبي مخنف أن زيد بن علي لما أمر أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك فانطلق

سليمان بن سراقه البارقى إلى يوسف بن عمر فأخبره خبره وأعله أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر وإلى رجل من بنى تميم يقال له طُعْمَة ابن أخت لبارق وهو نازل فيهم فبعث يوسف يطلب زيد بن علي في منزلها فلم يوجد عندهما وأخذ الرجلان فأتى بهما فلما كلاهما استبان له أمر زيد وأصحابه وتخوف زيد بن علي أن يؤخذ فتعجل قبل الأجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة قال وعلى أهل الكوفة يؤمئذ الحكم بن الصلت وعلى شرطه عمرو بن عبد الرحمن رجل من القارة وكانت ثقيف أخواله وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكندى فى أناس من أهل الشام ويوسف بن عمر بالحيرة قال فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد وأنه يدس إليه ويستبجس عن أمره اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم فقالوا رحمك الله ما قولك فى أبى بكر وعمر قال زيد رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتى يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيرا قالوا فلم تطالب إذا بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم فقال لهم زيد إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يباغ ذلك عندنا بهم كفرا قد ولوا فعدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين فقال إن هؤلاء ليسوا كأوائك إن هؤلاء ظالمون لى ولكم ولا أنفسهم وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى السنن أن تُحميا وإلى البدع أن تُتفأ فإن أنتم أجبتُمونا سعدتم وإن أنتم أبيتُم فليست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الإمام وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام وكان قد هلك يومئذ وكان ابنه جعفر بن محمد حيا فقالوا جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالامر بعد أبيه ولا تتبع زيد بن علي فليس بإمام فسماهم زيدا الرافضة فهم اليوم يزعمون أن الذى سماهم الرافضة المغيرة حيث فارقه وكانت طائفة منهم قبل خروج زيد مروا

إلى جعفر بن محمد بن علي فقالوا له إن زيد بن علي فينا يبايع أفتري لنا أن نبايعه فقال لهم نعم بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا فجاءوا فكتموا ما أمرهم به قال واستتب لزيد بن علي خروجه فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢ وبلغ يوسف بن عمر أن زيدا قد أزمع على الخروج فبعث إلى الحكم ابن الصلت فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلهم المسجد ثم نادى مناديه ألا إن الأمير يقول من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمة ادخلوا المسجد الأعظم فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم وطلبوا زيدا في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري فخرج ليلا وذلك ليلة الأربعاء في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحاق فرفعوا الهراذي فيها النيران ونادوا يا منصور أمت يا منصور فكلما أكلت النار هُرديا رفعوا آخر فزالوا كذلك حتى طلع الفجر فلما أصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التنعي ثم الحضرمي ورجلا آخر من أصحابه يناديان بشعارهما فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي فشدوا عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم التنعي وارتث القاسم فأتى به الحكم فكلمه فلم يرد عليه شيئا فأمر به فضربت عنقه على باب القصر فكان أول من قتل من أصحاب زيد بن علي هو وصاحبه وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة وعلى أرباع الكوفة يومئذ على ربع أهل المدينة إبراهيم بن عبد الله بن جرير البجلي وعلى مذحج وأسد عمرو بن أبي بذر العبدى وعلى كندة وربيعة المنذر بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وعلى تميم وهمدان محمد بن مالك الهمداني ثم الخيواني قال وبعث الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر فأخبره الخبر فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشام من يأتى الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيني بخبرهم فقال جعفر بن العباس الكندي أنا فركب في خمسين فارسا ثم أقبل حتى انتهى إلى جبانة سالم السلولى فاستخبرهم ثم رجع إلى يوسف

ابن عمر فأخبره فها أصبح خرج إلى تل قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه قریش وأشراف الناس وعلى شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزني فبعث الريان بن سلمة الإراشي في ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالا معهم النشاب وأصبح زيد ابن علي فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا فقال زيد سبحان الله أين الناس فقيل لهم في المسجد الأعظم محصورون فقال لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر وسمع نصر بن خزيمة النداء فأقبل إليه فلقى عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيمة في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بني عدى فقال نصر بن خزيمة يا منصور أمت فلم يرد عليه شيئا فشد عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو بن عبد الرحمن وانهزم من كان معه وأقبل زيد بن علي من جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة الصائدين وبها خمس مائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد بن علي فيمن معه فهزمهم وكان تحت زيد بن علي يومئذ برذون أدهم بهم اشتراه رجل من بني نهد بن كهمس بن مروان النجاري بخمسة وعشرين دينارا فلما قتل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصلت قال وانتهى زيد بن علي إلى باب دار رجل من الأزد يقال له أنس بن عمرو وكان فيمن بايعه فنودي وهو في الدار فجعل لا يجيب فتداه زيد يا أنس أخرج إلى رحمك الله فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فلم يخرج إليه فقال زيد ما خلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم قال ثم إن زيدا مضى حتى انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة بها من أهل الشام فهزمهم ثم خرج حتى ظهر إلى الجبانة ويوسف بن عمر على التل ينظر إليه هو وأصحابه وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بن سليم الثعلبي وهما على المجففة ومعه نحو من مائتي رجل والله لو أقبل على يوسف لقتله والريان بن سلمة يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام ثم إن زيدا أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علي حيث وجه إلى الكناسة قد انشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم ثم قال بعضهم لبعض ألا نطلق نحو جبانة كندة قال فما زاد الرجل على أن تكلم بهذا

الكلام وطلع أهل الشام فلما رأوهم دخلوا زقاقا فمضوا فيه وتخلف رجل منهم فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم خرج اليهم فقاتلهم ساعة ثم إنهم صرعوه فجعلوا يضربونه بأسيا فهم فنادى رجل منهم فارس مقنع بالحديد أن اكشفوا المغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد ففعلوا وقتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل وانصرف أهل الشام وقد اقتطعوا رجلا ونجا سائرهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف فدخل أهل الشام عليه فأسروه فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله قال وأقبل زيد بن علي وقد رأى خذلان الناس إياه فقال يانصر بن خزيمة أتخاف أن يكونوا قد جعلوها حسينية فقال له جعلني الله لك الفداء أما أنا فوالله لأضربن معك بسيفي هذا حتى أموت فكان قتاله يومئذ بالكوفة ثم إن نصر بن خزيمة قال لزيد بن علي جعلني الله لك الفداء إن الناس في المسجد الأعظم محصورون فامض بنا نحوهم نخرج بهم زيد نحو المسجد فر على دار خالد ابن عرفة وبلغ عبيد الله بن العباس الكندي إقباله فخرج في أهل الشام وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص فكع صاحب لواء عبيد الله وكان لواءه مع سلمان مولاة فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كع عنه قال احمل يا ابن الحبيثة فحمل عليهم فلم ينصرف حتى خضب لواءه بالدم ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنات فاضطربا بسيفيهما فقال للأحول خذها مني وأنا الغلام الحنات وقال الآخر قطع الله يدي إن كُلتَ بقتيز أبدأ ثم ضربه فلم يصنع شيئا وانهمز عبيد الله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى دار عمرو من حريث وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون يا أهل المسجد اخرجوا وجعل نصر بن خزيمة يناديهم ويقول يا أهل الكوفة اخرجوا من الدل إلى العز اخرجوا إلى الدين والدنيا فانكم لستم في دين ولا دنيا فأشرف عليهم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها وقيل في جبانة سالم وانصرف الريان بن سلمة إلى الحيرة عند المساء وانصرف زيد بن علي فيمن معه وخرج

إليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان بن سلة فقاتله عند دار الرزق قتالا شديداً فخرج من أهل الشام وقتل منهم ناس كثير وتبعهم أصحاب زيد من الرزق حتى انتهوا إلى المسجد فرجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظنا فلما كان من الغد غداة يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلة فلم يوجد حاضراً تلك الساعة وقال بعضهم بل أتاه وليس عليه سلاحه فأقف به وقال له أف لك من صاحب خيل اجلس فدعا العباس بن سعيد المزني صاحب شرطته فبعثه في أهل الشام فسار حتى انتهى إلى زيد بن علي في دار الرزق وشم خشب للنجار كثير فالطريق متضيق وخرج زيد في أصحابه وعلى مجنبيه نصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن اسحاق الأنصاري فلما رآهم العباس ولم يكن معه رجال نادى يا أهل الشام الأرض الأرض فنزل ناس كثير ممن معه فاقتتلوا قتالا شديداً في المعركة وقد كان رجل من أهل الشام من بني عبس يقال له نائل بن فروة قال ليوسف ابن عمر والله لئن أنا ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني فقال له يوسف خذ هذا السيف فدفع إليه سيفاً لا يمر بشيء إلا قطعه فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا بصر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة فأقبل نحوه فضرب نصرًا فقطع فخذه وضربه نصر ضربة فقتله فلم يلبث نصر أن مات واقتتلوا قتالا شديداً ثم إن زيد بن علي هزمهم وقتل من أهل الشام نحواً من سبعين رجلاً فانصرفوا وهم بشر حال وقد كان العباس بن سعيد نادى في أصحابه أن اركبوا فإن الخيل لا تطيق الرجال في المضيق فركبوا فلما كان العشي عبأهم يوسف بن عمر ثم سرحهم فأقبلوا حتى التقواهم وأصحاب زيد لحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة ثم شد عليهم بالسبخة حتى أخرجهم إلى بني سليم ثم تبعهم في خيله ورجاله حتى أخذوا على المسناة ثم إن زيدا أظهر لهم فيما بين بارق ورؤاس فقاتلهم هنالك قتالا شديداً وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح من بني سعد بن زيد حليف العباس بن عبد المطلب وكان مسروح السعدي تزوج صفية بنت العباس بن عبد المطلب فجعلت خيلهم لا تثبت لحيله ورجله فبعث العباس إلى يوسف بن عمر

يعلمه ذلك فقال له ابعث إلى الناشبة فبعث اليهم سليمان بن كيسان الكلبي في
الفيقانية والبخارية وهم ناشبة لجملوا يرمدن زيدا وأصحابه وكان زيد حريصا على
أن يصرفهم حين انتهوا إلى السبخة فأبوا عليه فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري
بين يدي زيد بن علي قتالا شديدا فقتل بين يديه وثبت زيد بن علي ومن معه حتى
إذا جنح الليل رُميَ بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فتشبت في الدماغ فرجع
ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا للساء والليل قال فحدثني سلمة
ابن ثابت الليثي وكان مع زيد بن علي وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ هو
وغلام لمعاوية بن إسحاق قال أقبلت أنا وصاحبي نقص أثر زيد بن علي فنجده
قد أنزل وأدخل بيت حران بن كريمة مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور
أرحب وشاكر قال سلمة بن ثابت فدخلت عليه فقلت له جعلني الله فداك
أبا الحسين وانطلق أصحابه فجأوا بطبيب يقال له شقير مولى لبني رؤاس فانتزع
النصل من جبهته وأنا أنظر إليه فوالله ما عدا أن انتزعه جعل يصيح ثم لم يلبث
أن قضى فقال القوم أين ندفنه وأين نواريه فقال بعض أصحابه نلبسه درعه ونطرحه
في الماء وقال بعضهم بل نحتر رأسه ونضعه بين القتلى فقال ابنه يحيى لا والله
لأننا كل لحم أبي الكلاب وقال بعضهم لا بل نحمله إلى العباسية فندفنه قال سلمة
فأشرت عليهم أن ننطلق به إلى الحفرة التي يؤخذ منها الطين فندفنه فيها فقبلوا
رأى وانطلقنا وحفرنا له بين حفرتين وفيه حيثئذ ماء كثير حتى إذا نحن
أمكننا له دفناه وأجرينا عليه الماء وكان معنا عبد له سندی قال ثم انصرفنا حتى
نأتى جبانة السبيع ومعنا ابنه فلم نزل بها وتصعد الناس عنا وبقيت في رهط معه
لا تكون عشرة فقلت له أين تريد هذا الصبح قد غشيك ومعك أبو الصبار العبدى
قال فقال النهرين فقلت له إن كنت إنما تريد النهرين فظننت أنه يريد أن يتشطط
الفرات ويقا تلهم فقلت له لا تبرح مكانك تقا تلهم حتى تقتل أو يقضى الله ما هو
قاض فقال لي أنا أريد نهري كربلاء فقلت له فالنجا قبل الصبح فخرج من
الكوفة وأنا معه وأبو الصبار ورهط معنا فلما خرجنا من الكوفة سمعنا أذان

المؤذنين فصلينا الغداة بالخيلة ثم توجهنا سراعا قَبْلَ نَيْنَوَى فقال لى إني أريد
 سابقا مولى بشر بن عبد الملك بن بشر فأسرع السير وكنت إذا لقيت القوم
 أستطعمهم فأطعمُ الأَرغفة فأطعمها إياه فيأكل وأنا كل معه فأتيننا إلى نينوى
 وقد أظلمنا فأتينا منزل سابق فدعوت على الباب فخرج إلينا فقات له أما أنا
 فأتى الفيوم فأكون به فإذا بدا لك أن ترسل إلى فأرسل قال ثم إني مضيت
 وخلفته عند سابق فذلك آخر عهدى به قال ثم إن يوسف بن عمر بعث أهل
 الشام يطلبون الجرحى في دور أهل الكوفة فكانوا يخرجون النساء إلى صحن
 الدار ويطوفون البيت يلتمسون الجرحى قال ثم دل غلام زيد بن علي السندی
 يوم الجمعة على زيد فبعث الحكم بن الصلت العباس بن سعيد المزني وابن الحكم بن
 الصلت فانطلقا فاستخرجاه فكره العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصلت
 فتركه وسرح بشيرا إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن علي مع
 الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل فقال أبو الجويرية مولى جهنة
 قُلْ لِلَّذِينَ اتَّهَكُوا الْمُحَارِمَ وَرَفَعُوا الشَّمْعَ بِصُحْرَا سَالِمٍ
 كَيْفَ وَجَدْتُمْ وَقَةَ الْكَارِمْ يَا يُوسُفَ بْنَ الْحَكَمِ بْنِ الْقَاسِمِ
 قال ولما أتى يوسف بن عمر البشير أمر يزيد فصلب بالكناسة هو
 ونصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وزيد
 النهدي وكان يوسف قد نادى من جاء برأس فله خمسمائة درهم فجاء محمد بن عباد برأس
 نصر بن خزيمة فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم وجاء الأحول مولى الأشعرين برأس
 معاوية بن إسحاق فقال أنت قتلتَه فقال أصلح الله الأمير ليس أنا قتلتَه ولكن رأيتُه
 فرفقه فقال أعطوه سبعمائة درهم ولم يمنع أن يتم له ألفاً إلا أنه زعم أنه لم يقتله وقد
 قيل إن يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعد ما شخص
 إلا بإعلام هشام بن عبد الملك إياه وذلك أن رجلا من بني أمية كتب فيما ذكر إلى
 هشام يذكر له أمر زيد فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهله ويقول أنك
 لغافل رزید غاوز ذنبه بالكوفة يبايع له فالجج في طلبه فأعطه الأمان فان لم يقبل

فقاتله فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت من آل أبي عقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه فطلبه فنفى عليه موضعه فدرس يوسف مملوكا له خراسانيا ألكن وأعطاه خمسة آلاف درهم وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قدم من خراسان حباً لأهل البيت وأن معه مالا يريد أن يقويهم به فلم يزل المملوك يلقي الشيعة ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد فخرج فدل يوسف على موضعه فوجه يوسف إليه الخيل فنادى أصحابه بشعارهم فلم يجتمع إليه منهم إلا ثلثمائة أو أقل فجعل يقول كان داود بن علي أعلم بكم قد حذرني خذلانكم فلم أحذر وقيل إن الذي دل على موضع زيد الذي كان دُفن فيه وكان دفن في نهر يعقوب فيما قيل كان أصحابه قد سكروا النهر ثم حفروا له في بطنه فدفنوه في ثيابه ثم أجروا عليه الماء عند قصار كان به فاستجعل جعلاً على أن يدلهم على موضعه ثم دلهم فاستخرجوه فقطعوا رأسه وصلبوا جسده ثم أمروا بحراسته لئلا ينزل فمكث يُحرس زماناً وقيل إنه كان فيمن يحرسه زهير بن معاوية أبو خيشمة وبُعث برأسه إلى هشام فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ثم أرسل به إلى المدينة ومكث البدن مصلوباً حتى مات هشام ثم أمر به الوليد فأنزل وأحرق وقيل إن حكيم بن شريك كان هو الذي سعى بزيد إلى يوسف فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في أمر يحيى بن زيد لما قتل زيد عمه رجل من بني أسد إلى يحيى بن زيد فقال له قد قتل أبوك وأهل خراسان لكم شيعة فالرأى أن تخرج إليها قال وكيف لي بذلك قال تتوارى حتى يكف عنك الطالب ثم تخرج فواراه عنده ليلة ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان فقال له إن قرابة زيد بك قريبة وحقه عليك واجب قال له أجل ولقد كان العفو عنه أقرب إلى التقوى قال فقد قتل وهذا ابنه غلاماً حدثاً لا ذنب له وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله فتمجيده وتواريه عندك قال نعم وكرامة فأتاه به فواراه عنده فبلغ الخبر يوسف فأرسل إلى عبد الملك قد بلغني مكان هذا الغلام عندك وأعطى الله عهداً لئن لم تأتني به لا كتبنيك إلى أمير المؤمنين فقال له عبد الملك أذاك الباطل والزور أنا وأواري من ينازعني

سلطاني ويدعي فيه أكثر من حق ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا على ولا
الاستماع من صاحبه فقال صدق والله ابن بشر ما كان ليواري مثل هذا ولا
يستر عليه فكف عن طلبه فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفر من الزيدية إلى
خراسان وخطب يوسف بعد قتل زيد بالكوفة فقال يا أهل الكوفة ان يحيى
ابن زيد ينتقل في حبال نساءكم كما كان يفعل أبوه والله لو بدا لي صفحته لعرقت
خصييه كما عرقت خصي أبيه ٥ وذكر عن رجل من الأنصار قال لما جرى برأس
زيد فُصلب بالمدينة في سنة ١٢٣ أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحمائه فقال

ألا يا ناقض الميثا قِ أبشِرْ بالذى ساكا
نقضت العهد والميثا قِ قَدَمَا كَانَ قَدَمَا كا
لقد أخلف إبليس ال ذى قد كان مناكا
قال فقيل له ويلك أتقول هذا لمثل زيد فقال ان الأمير غضبان فأردت أن
أرضيه فرد عليه بعض شعرائهم

ألا يا شاعر السوء لقد أصبحت أفافا
أتشتم ابن رسول الله ٥ وترضى من تولاكا
ألا صبحك الله بخزي ثم مساك
ويوم الحشر لاشك بأن النار مشواكا

وقيل كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيباني على شرط يوسف بن عمر
فهو الذى نبش زيدا وصلبه فقال السيد

بت ليلى مُسَهِّدا ساهر الطرف مُقَصِّدا
ولقد قلت قولة وأطلت التبلدا
لعن الله حوشبًا وخراشًا ومزبدًا
٥ ويزيدًا فإنه
ألف ألف وألف ال ف من اللعن سمردا
لأنهم حاربوا الإل ٥ وآذوا محمدا

شركوا في ديم المطهر زيد تعندا
ثم عالوه فوق جذع صريعا مجردا
يا خراش بن حوشب أنت أشقى الورى غدا

(قال أبو مخنف) ولما قتل يوسف زيد بن علي أقبل حتى دخل الكوفة
فصعد المنبر فقال يا أهل المدرة الخبيثة اني والله ما تقرن بي الصعبة ولا يقعقعي
بالشنان ولا أخوف بالذئب هيات حبيت بالساعد الأشد أبشروا يا أهل الكوفة
بالصغار والهوان لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ولقد هممت أن أخرب بلادكم
ودوركم وأحرمكم أموالكم أم والله ما علوت منبري إلا أسمعتم ما تكرهون
عليه فانكم أهل بغى وخلاف ما منكم إلا من حارب الله ورسوله إلا حكيم
ابن شريك المحاربي ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو أذن
لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم (وفي هذه السنة) قتل كلثوم بن عياض القشيري
الذي كان هشام بن عبد الملك بعثه في خيول أهل الشام إلى إفريقية حيث وقعت
الفتنة بالبربر (وفيها) قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم
(وفيها) ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي (وفيها) وجه يوسف
ابن عمر ابن شبرمة على سجستان فاستقضى ابن أبي ليلى (وحج) بالناس في هذه
السنة محمد بن هشام المخزومي كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحق
ابن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكانت عمال الأمصار في
هذه السنة العمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل إلا أن قاضي الكوفة كان
فيما ذكر في هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ماجرى بين أهل السغد ونصر بن سيار من الصلح

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن خاقان لما قتل في ولاية أسدتفرقت الترك في غارة بعضها على بعض فطمع أهل السغد في الرجعة إليها وانحاز قوم منهم إلى الشاش فلما ولي نصر بن سيار أرسل إليهم يدعوهم إلى الفتيحة والمراجعة إلى بلادهم وأعطاهم كل ما أرادوا قال وكانوا سألوا شروطا أنكرها أمراء خراسان منها أن لا يعاقب من كان مسلما وارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم في دين لأحد من الناس ولا يؤخذون بقبالة عليهم في بيت المال ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة العدول فعاب الناس ذلك على نصر وكتبوه فقال أم والله لو عايتكم شوكتهم في المسلمين ونكايتهم مثل الذي عايت ما أنكرتم ذلك فأرسل رسولا إلى هشام في ذلك فلما قدم الرسول أبي أن ينفذ ذلك لنصر فقال الرسول جربت يا أمير المؤمنين حربنا وصالحنا فاختر لنفسك فغضب هشام فقال الأبرش الكلبي يا أمير المؤمنين تألف القوم واحمل لهم فقد عرفت نكايتهم كانت في المسلمين فأنفذ هشام ماسأل (وفي هذه السنة) أوفد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت إلى هشام بن عبد الملك يسأله ضم خراسان إليه وعزل نصر بن سيار

ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الأمر فيه

ذكر علي بن شيوخه قال لما طالت ولاية نصر بن سيار ودانت له خراسان كتب يوسف بن عمر إلى هشام حسدا له أن خراسان ديرة ديرة فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت فانه كان مع الجنيد وولى جسيم أعماله فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم وأنا باعث الحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين فانه أديب أريب ونصيحته لأمر المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت فلما أتى هشام ما كتبه بعث إلى دار الضيافة فوجد فيها مقاتل ابن علي السعدي فأتوه به فقال أمن خراسان أنت قال نعم وأنا صاحب الترك قال وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك فقال أتعرف الحكم بن الصلت

قال نعم قال فما ولى بخراسان قال ولى قرية يقال لها الفارياب خراجها سبعون ألفاً فأسره الحارث بن سريج قال ويحك وكيف أفلت منه قال عرك أذنه وقفده وخلي سبيله قال فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق فرأى له جمالا وبيانا فكتب إلى يوسف أن الحكم قدم وهو على ما وصفت وفيما قبلك له سعة وخل الكنانى وعمله ((وفي هذه السنة)) غزا نصر فرغانة غزوته الثانية فأوفد مغراء ابن أحرر إلى العراق فوقع فيه عند هشام

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه
ذكر أن نصرا وجه مغراء بن أحرر إلى العراق وأفدا منصرفه من غزوته الثانية فرغانة فقال له يوسف بن عمر يا ابن أحرر يغلبكم ابن الأقطع يامعشر قيس على سلطانكم فقال قد كان ذلك أصلح الله الأمير قال فاذا قدمت على أمير المؤمنين فأبقر بطنه فقدموا على هشام فسألهم عن أمر خراسان فتكلم مغراء فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يوسف بن عمر بخير فقال ويحك أخبرني عن خراسان قال ليس لك جند يا أمير المؤمنين أغد ولا أنجد منهم من سرادق في السماء وفراسية مثل الفيل وُعْدَةٌ وَعَدَدٌ من قوم ليس لهم قائد ويحك فما فعل الكنانى لا يعرف ولده من الكبر فرد عليه مقالته وبعث إلى دار الضيافة فأتى بشيبل بن عبد الرحمن المازنى فقال له هشام أخبرني عن نصر قال ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه المجرب المجرب قد ولى عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته فكتب إلى يوسف بذلك فوضع يوسف الأرضاد فلما انتهوا إلى الموصل تركوا طريق البريد وتكادوا حتى قدموا يهق وقد كتب إلى نصر بقول شيبل وكان إبراهيم بن بسام في الوغد فذكر به يوسف ونعى له نصرا وأخبره أنه قد ولى الحكم بن الصلت بن أبي عقيل خراسان فقسم له إبراهيم خراسان كله حتى قدم عليه إبراهيم بن زياد رسول نصر فعرف أن يوسف قدم مكر به وقال أهلكنى يوسف وقيل إن نصرا أوفد مغراء وأوفد معه حملة بن نعيم الكلبي فلما قدموا على يوسف أطمع يوسف مغراء إن هو ينقص نصرا عند هشام أن يوليه السند فلما قدما عليه ذكر مغراء

بأس نصر ونجده ورأيه وأطنب في ذلك ثم قال لو كان الله متعنا منه ببقية فاستوى
 هشام جالسا ثم قال ببقية ماذا قال لا يعرف الرجل إلا بجرمه ولا يفهم عنه حتى
 يدنى منه وما يكاد يفهم صوته من الضعف لأجل كبره فقام حملة الكلبي فقال
 يا أمير المؤمنين كذب والله ما هو كما قال هو وهو فقال هشام ان نصر ليس كما وصف
 وهذا أمر يوسف بن عمر حسد النصر وقد كان يوسف كتب إلى هشام يذكر كبر نصر
 وضعفه ويذكر له سلم بن قتيبة فكتب إليه هشام أنه عن ذكر الكذابي فلما قدم
 مغراء على يوسف قال له قد علمت بلاء نصر عندي وقد صنعت به ما قد علمت فليس
 لي في صحبته خير ولا لي بخراسان مقام فأمرني بالمقام فكتب إلى نصر إنني قد حولت
 اسمه فأشخص إلى من قبلك من أهله وقيل إن يوسف لما أمر مغراء بعيب نصر قال
 كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي فلم يزل به فقال فيم أعيبه
 أعيب تجربته أم طاعته أو يُمن نقيبته أو سياسته قال عبه بالكبر فلما دخل على هشام
 تكلم مغراء فذكر نصر بأحسن ما يكون ثم قال في آخر كلامه لولا فاستوى هشام
 جالسا فقال ما لولا قال لولا أن الدهر قد غلب عليه قال ما بلغ به ويحك الدهر قال
 ما يعرف الرجل إلا من قريب ولا يعرفه إلا بصوته وقد ضعف عن الغزو والركوب
 فشق ذلك على هشام فتكلم حملة بن نعيم فلما بلغ نصر أقول مغراء بعث هارون بن
 السياوش إلى الحكم بن نميلة وهو في السر أجين يعرض الجند فأخذ برجله فسحبه
 عن طنفسة له وكسر لواءه على رأسه وضرب بطنفسته وجهه وقال كذاك يفعل
 الله بأصحاب الغدرة وذكر علي بن محمد عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسما بن
 خارجة لما ولي نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمربن مالك بن سارية النخعي والحكم
 ابن نميلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك وكان مغراء بن أحمربن النخعي رأس
 أهل قلشرين فأثر نصر مغراء وسنّى منزلته وشفّعه في حوائجه واستعمل ابن عمه
 الحكم بن نميلة على الجوزجان ثم عقد للحكم على أهل العسالية وكان أبوه بالبصرة
 عليهم وكان بعده عكابة بن نميلة ثم أوفد نصر وفداً من أهل الشام وأهل خراسان
 وصير عليهم مغراء وكان في الوفد حملة بن نعيم الكلبي فقال عثمان بن صدقة بن وثاب

لمسلم بن عبد الرحمن بن مسلم عامل طخارستان

خَيْرَنِي مُسْلِمٌ مَرَاكِبُهُ فَقُلْتُ حَسْبِي مِنْ مُسْلِمٍ حَكَمًا
هَذَا قَتَى عَامِرٌ وَسَيِّدُهَا كَفَى بَيْنَ سَادَ عَامِرًا كَرَمًا

يعنى الحكم بن نميلة قال فتغير نصر لقيس وأوحشه ماصنع مغراء قال وكان
أبو نميلة صالح الأبار مولى بنى عبس خرج مع يحيى بن زيد بن علي بن حسين فلم
يزل معه حتى قتل بالجوزجان وكان نصر قد وجد عليه لذلك فأتى عبيد الله بن بسام
صاحب نصر فقال :

قَدْ كُنْتُ فِي هِمَّةٍ حَيْرَانَ مُكْتَئِبًا حَتَّى كَفَانِي عُيَيْدُ اللَّهِ تَهْمَامِي
نَادَيْتُهُ فَمَا لِلْمَجْدِ مُبْتَهَجًا كَعُرَّةِ الْبَدْرِ جَلَى وَجْهَ أَظْلَامِ
فَأَسْمُ بَرِّ أَيْ أَبِي لَيْثٍ وَصَوْلَتِهِ إِنْ كُنْتَ يَوْمَ حِفَاطٍ بَامِرِي سَامِي
تَظْفَرُ بِدَاكٍ بَيْنَ نَمَتْ مُرْوَتُهُ وَاخْتَصُّهُ رَبُّهُ مِنْهُ يَا كَرَامِ
مَاضِي الْعِزَائِمِ لَيْثِي مَضَارِبُهُ عَلَى الْكَرِيمَةِ يَوْمَ الرُّوعِ مِقْدَامِ
لَا هَذِيرُ سَاحَةِ النَّادَى وَلَا مَذِلُّ فِيهِ وَلَا مُسْكِتُ إِسْكَاتِ إِخَامِ
لَهُ مِنْ الْحِلْمِ ثَوْبَاهُ وَمَجْلِسُهُ إِذَا الْمَجَالِسُ شَانَتْ أَهْلَ أَحْلَامِ

قال فأدخله عبيد الله على نصر فقال أبو نميلة أصلحك الله إني ضعيف فإن رأيت
أن تأذن لراويتي فأذن له فأنشده :

فَارَ قَدْحُ الْكَلْبِيِّ فَأَعْتَقَدْتُ مَذَ رَأَى فِي سَعْيِهِ عُرُوقُ لَثِمِ
فَأَيُّنِي نَمِيرٌ ثُمَّ أَيُّنِي أَلْعَبْدُ مَغْرَاءُ أَمْ لِصَمِيمِ
فَلَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَا يَكُونُ الْخَدْرُ وَالْكَفْرُ مِنْ خِصَالِ الْكَرِيمِ
وَلَنْ كَانَ أَصْلُهُ كَانَ عَبْدًا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ عَذْرِهِ مِنْ شَتِيمِ
وَلَيْتَهُ لَيْثٌ وَأَيُّ وَلَاةٍ بَأْيَادٍ بِيضٍ وَأَمْرٍ عَظِيمِ
أَسْمَتُهُ حَتَّى إِذَا رَاحَ مَغْبُوبٌ طَأَّ بِخَيْرٍ مِنْ سَنِيهَا الْمَقْسُومِ
كَأَدِ سَادَاتِهِ بِأَهْوَنِ مِنْ نَهْ قَمَةٍ عَزِيٍّ بِقَفَرَةٍ مَرْقُومِ
فَضَرَبْنَا لِنَغِيرِنَا مَثَلَ الْكَلْبِ بِ ذِمِّهَا وَالذِّمُّ لِلْمَذْمُومِ

وَحَمِدْنَا لَيْشًا وَيَأْخُذُ بِالْفَضْلِ لَ دَوُّو الْجُودِ وَالذِّدَى وَالْخُلُومِ
 فَاَعْلَمُنْ يَا بَنَى الْقَسَاوِرَةِ الْغُلَا ب وَأَهْلَ الصَّفَا وَأَهْلَ الْخَطِيمِ
 أَنْ فِي شَكْرِ صَالِحِينَا لَمَّا يَذُ حَضُّ قَوْلَ الْمَرْهَقِ الْمَوْصُومِ
 قَدْ رَأَى اللَّهُ مَا أَتَيْتَ وَلَنْ يَنْدَ قَمَصُ نَبُحِ الْكَلَابِ زُهْرَ النُّجُومِ
 فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ نَصْرٌ صَدَقْتَ وَتَكَلَّمْتَ الْقَيْسِيَّةَ وَاعْتَذَرُوا قَالَ وَأَهَانَ نَصْرٌ قَيْسًا
 وَبَاعَدَهُمْ حِينَ فَعَلَ مَغْرَاءَ مَا فَعَلَ فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَقَدْ بَغَضَ اللَّهُ الْكِرَامَ إِلَيْكُمْ كَمَا بَغَضَ الرَّحْمَنُ قَيْسًا إِلَى نَصْرِ
 رَأَيْتُ أَبَا لَيْثٍ يُهَيِّنُ سِرَاتِهِمْ وَيُدْنِي إِلَيْهِ كُلَّ ذِي وَالِثِ عُمَرِ
 (وَحج) بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك كذلك حدثني أحمد
 ابن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي أيضا
 وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها وقد ذكرتهم قبل

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

ذكر الأخبار عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مقدم جماعة من شيعة بني العباس الكوفة يريدون مكة
 وشرى بكير بن ماهان في قول بعض أهل السير أبا مسلم صاحب دعوة بني العباس
 من عيسى بن معقل العجلي

ذكر الخبر عن سبب ذلك

وقد اختلف في ذلك فأما علي بن محمد فانه ذكر أن حمزة بن طلحة السلي حدثه
 عن أبيه قال كان بكير بن ماهان كاتباً لبعض عمال السند فقدمها فاجتمعوا بالكوفة
 في دار فتمز بهم فأخذوا الحبس بكير وخلي من الباقي وفي الحبس يونس أبو عاصم
 وعيسى بن معقل العجلي ومعه أبو مسلم يخدمه فدعاهم بكير فأجابوه إلى رأيهم فقال
 لعيسى بن معقل ما هذا الغلام قال يملوك قال تبيعه قال هو لك قال أحب أن تأخذ
 ثمنه قال هو لك بما شئت فأعطاه أربع مائة درهم ثم أخرجوا من السجن فبعث به إلى

ابراهيم فدفعه ابراهيم إلى موسى السراج فسمع منه وحفظ ثم صار إلى أن اختلف إلى خراسان وقال غيره توجه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقمطبة بن شبيب من خراسان وهم يريدون مكة في سنة ١٢٤ فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي وهو في الحبس قد اتهم بالدعاء إلى ولد العباس ومعه عيسى وادريس ابنا معقل حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عمال خالد ابن عبد الله ومعهما أبو مسلم يخدمهما فرأوا فيه العلامات فقالوا من هذا قالوا غلام معن من السراجين وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وادريس يتكلمان في هذا الرأي فاذا سمعهما بكى فلما رأوا ذلك منه دعوه إلى ما هم عليه فأجاب وقيل (وفي هذه السنة) غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أليون ملك الروم فسلم وغنم (وفيها) مات في قول الواقدي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (وحج) بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وحج في هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك معه امرأته أم سلبة بنت هشام بن عبد الملك وذكر محمد بن عمران يزيد مولى أبي الزناد حدثه قال رأيت محمد بن هشام على بابها يرسل بالسلام والطافه على بابها كثيرة ويعتذر فتأبى حتى كان يأيس من قبول هديته ثم أمرت بقبضها وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة ١٢٢ وفي سنة ١٢٣ وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة ومن ذلك وفاة هشام ابن عبد الملك بن مروان فيها وكانت وفاته فيما ذكر أبو معشر لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدي والمدائني وغيرهما غير أنهم قالوا كانت وفاته يوم الأربعاء (٣٣ - ٥)

لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر فكانت خلافته في قول جميعهم تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد وعشرين يوماً في قول المدائني وابن الكلبي وفي قول أبي معشر وثمانية أشهر ونصفاً وفي قول الواقدي وسبعة أشهر وعشرة ليال واختلف في مبلغ سنه فقال هشام بن محمد الكلبي توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة وقال بعضهم توفي وله اثنتان وخمسون سنة وقال محمد بن عمر كان هشام يوم توفي ابن أربع وخمسين سنة وكانت وفاته بالرصافة وبها قبره وكان يكنى أبا الوليد ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته

❦ حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي بن محمد قال حدثني شيبه بن عثمان قال حدثني عمرو بن كليع قال حدثني سالم أبو العلاء قال خرج علينا هشام بن عبد الملك يوماً وهو كئيب يعرف ذلك فيه مسترخ عليه ثيابه وقد أرخى عنان دابته فسار ساعة ثم انقبه فجمع ثيابه وأخذ بعنان دابته وقال للربيع ادع الأبرش فدعى فسار بيني وبين الأبرش فقال له الأبرش يا أمير المؤمنين لقد رأيت منك شيئاً غمى قال وما هو قال رأيتك قد خرجت على حال غمى قال ويحك يا أبرش وكيف لا أغم وقد زعم أهل العلم أني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً قال سالم فرجعت إلى منزلي فكسبت في قرطاس زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا أنه يسافر إلى ثلاثة وثلاثين يوماً فلما كان في الليلة التي استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوماً إذا خادم يدق الباب يقول أجب أمير المؤمنين واحمل معك دواء الذبحة وقد كان أخذه مرة فتعالج فأفاق فخرجت ومعى الدواء فتغرغر به فازداد الوجع شدة ثم سكن فقال لي يا سالم قد سكن بعض ما كنت أجد فأنصرف إلى أهلك وخلف الدواء عندي فأنصرفت فما كان إلا ساعة حتى سمعت الصراخ عليه قالوا مات أمير المؤمنين فلما مات أغلق الخزان الأبواب فطلبوا قممًا يسخن فيه الماء لنسله فما وجدوه حتى استعاروا قممًا من بعض الجيران فقال بعض من حضر ذلك إن في هذا لمعتبراً لمن اعتبر وكانت وفاته بالذبحة فلما مات صلى عليه ابنه مسلمة بن هشام

ذكر بعض سير هشام

❦ مثنى أحمد بن زهير قال حدثني علي بن محمد عن وُسَّان الأعرجي قال حدثني ابن أبي نجيمة عن عقَّال بن شَبَّة قال دخلت على هشام وعليه قباء فنك أخضر فوجهني إلى خراسان وجعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء فقطن فقال مالك قلت رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء فنك أخضر فجعلت أتأمل هذا هو ذاك أم غيره فقال هو والله الذي لا إله إلا هو ذاك مالي قباء غيره وأماماترون من جمعي هذا المال وصونه فأنه لكم قال وكان عقَّال مع هشام فأما شَبَّة أبو عقَّال فكان مع عبد الملك بن مروان وكان عقَّال يقول دخلت على هشام فدخلت على رجل محشو عقلاً ❦ مثنى أحمد بن زهير قال حدثني علي قال قال مروان بن شجاع مولى لمروان بن الحكم كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك فأرسل إلى يوم ما فدخلت عليه وقد غضب وهو يتلهف فقلت مالك فقال رجل نصراني شَجَّ غلامي وجعل يشتمه فقلت له على رسلك قال فما أصنع قلت ترفعه إلى القاضي قال وما غير هذا قلت لا قال خصي له أنا أكفيك فذهب فضربه وباع هشام فطلب الخصي فعاذ بمحمد فقال محمد بن هشام لم أمرك وقال الخصي بلى والله لقد أمرتني فضرب هشام الخصي وشتم ابنته ❦ مثنى أحمد قال علي لم يكن أحد يسير في أيام هشام في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك قال ورأى هشام يوماً سالماً في موكب فزجره وقال لأعلن متى سرت في موكب وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه فيقف سالم ويقول حاجتك ويمنعه أن يسير معه وكان سالم كأنه هو أمر هشاماً قال ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بدلاً قال وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار وديناراً يفضل بدينار فيأخذها يعقوب ويغزو وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان وفي بعض ما يجوز لهم المقام به ويوضع به الغزو عنهم وكان داود وعيسى ابنا علي بن عبد الله ابن عباس وهما لآم في أعوان الشرق بالعراق لخالد بن عبد الله فأقاما عنده فوصلهما ولولا ذلك لم يستطع أن يحبسهما فصيروهما في الأعوان فسمرا وكانا يسامران

ويحدثانه قال فولى هشام بعض مواليه ضيعةً له فعمرها فجاءت بغلة عظيمة كبيرة ثم عمرها أيضا فأضعفت الغلة وبعث بها مع ابنه فقدم بها على هشام فأخبره خبر الضيعة فجزاه خيرا فرأى منه انبساطا فقال يا أمير المؤمنين إن لي حاجة قال وما هي قال زيادة عشرة دنانير في العطاء فقال ما يخيّل إلى أحدكم أن عشرة دنانير في العطاء لا بقدر الجوز لا لعمري لا أفعلُ ❦ مشي أحمد قال حدثنا عليّ قال قال جعفر ابن سليمان قال لي عبد الله بن عليّ جمعتُ دواوين بني مروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام ❦ مشي أحمد قال قال عليّ قال غسان ابن عبد الحميد لم يكن أحد من بني مروان أشدّ حصرا في أمر أصحابي ودواوينه ولا أشدّ مبالغة في الفحص عنهم من هشام ❦ مشي أحمد قال حدثنا عليّ قال قال حماد الأبح قال هشام لغيلان ويحك يا غيلان قد أكره الناس فيك فنازعنا بأمرك فإن كان حقا اتبعناك وإن كان باطلا نزعت عنه قال نعم فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلّمه فقال له ميمون سل فإن أقوى ما يكون إذا سألتهم قال له أشاء الله أن يعصى فقال له ميمون أفعصى كارها فسكت فقال هشام أجبه فلم يجبه فقال له هشام لا أقالني الله إن أقالته وأمر بقطع يديه ورجليه ❦ مشي أحمد قال حدثنا عليّ عن رجل من غنى عن بشر مولى هشام قال أوتي هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط فقال اكسروا الطنبور على رأسه وضربه فبكى الشيخ قال بشر فقلت له وأنا أعزّيه عليك بالصبر فقال أتراني أبكي للضرب إنما أبكي لاحتقاره للبربط إذ سماه طنبورا قال وأغلظ رجل له هشام فقال له هشام ليس لك أن تغلظ لإمامك قال وتفقد هشام بعض ولده ولم يحضر الجمعة فقال له ما منعك من الصلاة قال نفقت دابتي قال أفعزت عن المشي فركت الجمعة فنعه الدابة سنة قال وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه إن بغلتني قد عجزت عني فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرني بدابة فعل فكذب إليه قد فهم أمير المؤمنين كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظنّ أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهدك لعلفها وأن علفها يضيع فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك قال وكتب إليه

بعض عماله إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة رُراقن فليكتب إلى أمير المؤمنين
بوصولها فكتب إليه قد وصل إلى أمير المؤمنين الدراقن الذي بعثت به فأعجبه فزد
أمير المؤمنين منه واستوثق من الوعاء قال وكتب إلى بعض عماله قد وصلت السكاة
التي بعثت بها إلى أمير المؤمنين وهي أربعون وقد تغير بعضها ولم توث في ذلك إلا من
حشوها فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين منها شيئاً فأجد حشوها في الظرف الذي
تجعلها فيه بالرمال حتى لا تضرب ولا يصيب بعضها بعضها ۞ حدثني أحمد قال
حدثني عليّ قال حدثنا الحارث بن يزيد قال حدثني مولى لهشام قال بعثت معي مولى
لهشام كان على بعض ضياعه بطيرين ظريفيين فدخلت إليه وهو جالس على سرير
في عرصة الدار فقال أرسلهما في الدار قال فأرسلتهما فنظرا إليهما فقلت يا أمير المؤمنين
جائزني قال وبلك وما جائزة طيرين قلت ما كان قال خذ أحدهما فعدوت في
الدار عليهما فقال مالك قلت أختار خيرهما قال أختار أيضاً خيرهما وتدع شرهما
لي دعهما ونحن نعطيك أربعين درهما أو خمسين درهما قال وأقطع هشام أرضاً
يقال لها دورين فأرسل في قبضها فإذا هي خراب فقال لذؤيد كاتب كان بالشام
ويحك كيف الحيلة قال ما تجعل لي قال أربعمائة دينار فكتب دورين وقرأها ثم
أمضاها في الدواوين فأخذ شيئاً كثيراً فلما ولي هشام دخل عليه ذؤيد فقال له
هشام دورين وقرأها لا والله لا تلي لي ولاية أبداً وأخرجه من الشام ۞ حدثني
أحمد قال حدثنا عليّ عن عمير بن يزيد عن أبي خالد قال حدثني الوليد بن خليل قال
رأيت هشام بن عبد الملك وأنا على بردون طخاري فقال يا وليد بن خليل ما هذا
البردون قلت حملني عليه الجنيد فحسدني وقال والله لقد كثرت الطخارية لقدمات
عبد الملك فما وجدنا في دواهب بردون طخاري غير واحد فتنافسه بنو عبد الملك أيهم
يأخذه وما منهم أحد إلا يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيئاً قال وقال
بعض آل مروان لهشام أنطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان قال ولم لا أنطمع
فيها وأنا حلیم عفيف قال وقال هشام يوماً للأبرش أَوْضَعْتَ أعنك قال إني والله
قال لكن أعنني تأخر ولادها فأخرج بنا إلى أعنك نصب من البانها قال

نعم أفأقدم قوما قال لا قال أفأقدم خباء حتى يضرب لنا قال نعم فبعث برجلين بخباء
فضرب وغدا هشام والأبرش وغدا الناس فقعد هشام والأبرش كل واحد منهما على
كرسي وقدم إلى كل واحد منهما شاة فحلب هشام الشاة بيده النار وقال تعلم يا أبرش
أني لم أبس الحلب ثم أمر بملة ففجنت وأوقد بيده ثم فحسها وألقى الملة وجعل
يقلمها بالمحراث ويقول يا أبرش كيف ترى رفي حتى فضجت ثم أخرجها وجعل
يضربها بالمحراث ويقول جبينك جبينك والأبرش يقول ليك ليك وهذا شيء
تقوله الصبيان إذا خبزت لهم الملة ثم تغدئ وتغدى الناس ورجع قال وقدم علباء
ابن منظور اللبني على هشام فأنشده

قالت عُلَيْيَّةُ واعتزمتُ لِرَحْلَةٍ	زوراء بالاذنين ذات تسدير
أين الرحيلُ وأهلُ بيتك كلهم	كلُّ عليك كبيرهم كالأصغر
فأصاغر أمثال سلكان القطا	لا في ترى مال ولا في معشر
إني إلى ملك الشَّامِ لراحِلُ	واليه يرَّحلُ كل عبدٍ موقر
فلا ترُكنك إن حبيتُ غنيَّة	بندى الخليفة ذى الفعَّالِ الأزهر
إنا أناسٌ مَيِّتٌ ديواننا	ومتي يصنه ندى الخليفة يُنشر

فقال له هشام هذا الذي كنت تحاول وقد أحسنت المسألة فأمر له بخمسمائة
درهم وألحق له عيلا في العطاء قال وأتى هشاما محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن
الخطاب فقال مالك عندي شيء ثم قال إياك أن يغرك أحد فيقول لم يعرفك
أمير المؤمنين إني قد عرفتك أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلا
تقيمن وتنفق مامعك فليس لك عندي صلة فالحق بأهلك قال وقف هشام يوما
قريباً من حائط له فيه زيتون ومعه عثمان بن حيان المرمي وعثمان قائم يكاد رأسه
يوازي رأس أمير المؤمنين وهو يكلمه إذ سمع نفص الزيتون فقال لرجل انطلق إليهم
فقل لهم ألقطوه لقطاً ولا تنفضوه نفضا فتفقأ عيونهم وتكسر غصونه قال
وحج هشام فأخذ الأبرش مخنثين ومعهم البرابط فقال هشام احبسوهم وبيعوا
متاعهم فما أدرى ما هو وصيروا ثمنه في بيت المال فاذا صلحوا فردوا عليهم الثمن

وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرصافة وهي فيما ذكر من أرض قنسرين وكان سبب نزوله إياها فيما حدثني أحمد بن زهير بن حرب عن علي بن محمد قال كان الخلفاء وأبناء الخلفاء ينتبذون ويهربون من الطاعون فينزلون البرية خارجا عن الناس فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له لا تخرج فإن الخلفاء لا يطعنون لم ير خليفة طعن قال أتريدون أن تجربوا بي فنزل الرصافة وهي برية ابتنى بها قصرين والرصافة مدينة رومية بنتها الروم وكان هشام أحول ۞ فحدثني أحمد عن علي قال بعث خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بحاد فحدا بين يديه بأرجوزة أبي النجم

والشمس في الأفق كعين الأحول صغواء قد همت ولما تفعل
فغضب هشام وطرده ۞ وحدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي بن محمد قال حدثنا أبو عاصم الضبي قال مررت بمعاوية بن هشام وأنا أنظر إليه في رجة أبي شريك وأبو شريك رجل من العجم كانت تنسب إليه وهي مزرعة وقد اختبر خبزة فوقف على فقلت الغداء فنزل وأخرجتها فوضعتها في كبن فأكل ثم جاء الناس فقلت من هذا قالوا معاوية بن هشام فأمر لي بصلة وركب وثار بين يديه ثعلب فركض خلفه فما تبعه غلوة حتى عثر به فرسه فسقط فاحتملوه ميتا فقال هشام تالله لقد أجمعت أن أرشحه للخلافة ويتبع ثعلبا قال وكانت عند معاوية بن هشام ابنة إسماعيل بن جرير وامرأة أخرى فأخرج هشام كل واحدة منهما من نصف الثمن بأربعين ألفا ۞ وحدثني أحمد بن زهير قال حدثنا علي قال قال قحذم كاتب يوسف بعثني يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء تخرج طرفاها من كني ولؤلؤ حبه أعظم مايكون من اللؤلؤ فدخلت عليه فدنوت منه فلم أروجه من طول السرير وكثرة الفرش فتناول الحجر والحبة فقال اكتب معك بوزنهما قلت يا أمير المؤمنين هما أجل عن أن يكتب بوزنهما ومن أين يوجد مثلهما قال صدقت وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله اشتريتها بثلاثة وسبعين ألف دينار ۞ وحدثني أحمد بن زهير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال

حدثنا حسين بن يزيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمرو بن علي قال مشيت مع محمد ابن علي إلى داره عند الحمام فقلت له إنه قد طال ملك هشام وسلطانه وقد قرب من العشرين وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكا لا يدبغى لأحد من بعده فزعم الناس أنها العشرون فقال ما أدري ما أحاديث الناس ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يعمر الله ملكا في أمة نبي مضى قبله ما بلغ بذلك النبي من العمر (وفي هذه السنة) ولي الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وليها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ في قول هشام بن محمد الكلبي وأما محمد بن عمر فانه قال استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٥ وقال في ذلك علي بن محمد مثل قول محمد بن عمر

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة

قد مضى ذكرى سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد أخيه هشام بن عبد الملك وكان الوليد بن يزيد يوم عقد له أبوه يزيد ذلك ابن إحدى عشرة سنة فلم يمت يزيد حتى بلغ ابنه الوليد خمس عشرة سنة فندم يزيد على استخلافه هشاما أخاه بعد وكان إذا نظر إلى ابنه الوليد قال الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك فتوفي يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة وولى هشام وهو للوليد مكرم معظم مقرب فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجنون وشرب الشراب حمله على ذلك فيما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن جويرية بن أسماء وإسحاق بن أيوب وعامر بن الأسود وغيرهم : عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني أخو عبد الله ابن عبد الأعلى وكان مؤدب الوليد واتخذ الوليد ندماء فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة ١١٩ فحمل معه كلابا في صناديق فسقط منها صندوق

فيما ذكر علي بن محمد عن سميت من شيوخه عن البعير وفيه كلب فأجالوا على الكرى
السياط فأوجعوه ضرباً وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة
وحمل معه خمرأ وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها فخوفه أصحابه
وقالوا لا نأمن الناس عليك وعلينا معك فلم يحركها وظهر للناس منه تهاون
بالدين واستخفاف به وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام
وأراده على أن يخلعها ويبيع لمسلمة فأبى فقال له اجعلها له من بعدك فأبى فتكره
هشام وأضربه وعمل سرا في البيعة لابنه فأجابه قوم قال فكان ممن أجابه خاله
محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي وبنو القعقاع بن خلد العبسي
 وغيرهم من خاصته قال وتمادي الوليد في الشراب وطلب اللذات فأفرط فقال له
هشام ويحك يا وليدي والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ما تدع شيئاً من
المنكر إلا أتيت غير متعاش ولا مستتر به فكتب إليه الوليد

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكِر
نشرّبها صرناً ومزوجة بالسخن أحياناً وبالفتير

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى أباشاكر وقال له يعيرني بك الوليد
وأنا أُرشحك للخلافة فالزم الأدب واحضر الجماعة وولاه الموسم سنة ١١٩ فأظهر
السك والوقار واللين وقسم بمكة والمدينة أموالاً فقال مولى لأهل المدينة

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكِر
الواهب الجرد بأرسانها ليس بزديقي ولا كافير

يعرض بالوليد وأم مسلمة بن هشام أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي
العاص فقال الكمي

إن الخلافة كائن أو تادها بعد الوليد إلى ابن أم حكيم

فقال خالد بن عبد الله القسري أنا برىء من خليفة يكنى أباشاكر فغضب مسلمة
ابن هشام على خالد فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله كتب أبو شاكِر
إلى خالد بن عبد الله بشعر هجا به نوفل خالد وأخاه أسد حين مات

أَرَا حَ مِنْ خَالِدٍ وَأَهْلَكَ رَبُّ أَرَا حَ الْعِبَادَ مِنْ أَسَدٍ
أَمَّا أَبُوهُ فَكَانَ مُؤْتَشِبًا عَبْدًا لَيْثًا لَا عُيْدُ قُفْدٍ

وبعث بالطومار مع رسول على البريد إلى خالد فظن أنه عزاه عن أخيه
ففض الخاتم فلم ير في الطومار غير الهجاء فقال ما رأيت كاليوم تعزية وكان
هشام يعيب الوليد ويتنقصه وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به فلما رأى ذلك
الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالأزرق بين أرض
بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدف وخلف كاتبه عياض بن مسلم مولى
عبد الملك بن مروان بالرصافة فقال له اكتب إلى ما يحدث قبلكم وأخرج معه
عبد الصمد بن عبد الأعلى فشربوا يومًا فلما أخذ فيهم الشراب قال الوليد لعبد الصمد
يا أبا وهب قل أينا نأ فقال

أَلَمْ تَرَ لِلنَّجْمِ إِذْ شُيْعَا يُبَادِرُ فِي بُرْجِهِ الْمَرْجَعَا
تَحْيِرَ عَنْ قَصْدِ نَجْرَاتِهِ أَتَى الْغَوْرَ وَالتَّمَسَ الْمَطْلَعَا
فَقُلْتُ وَأَعْجَبَنِي شَأْنُهُ وَقَدْ لَاحَ إِذْ لَاحَ لِي مُطْمِعَا
لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مُلْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدِ اسْتَجْمَعَا
وَكُنَّا نَوْمُلُ فِي مَلِكِهِ كَتَأْمِيلِ ذِي الْجَذْبِ أَنْ يُمِرْعَا
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُورِ رِطُوعَا فَكَانَ لَهَا مَوْضَعَا

وروى الشعر فبلغ هشام فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه وكتب إلى الوليد
بلغني عنك أنك اتخذت عبد الصمد خدنا ومحدثنا ونديما وقد حقق ذلك عندي
ما بلغني عنك ولم أبرئك من سوء فأخرج عبد الصمد مذموما مدحورا فأخرجه
وقال فيه

لَقَدْ قَدَّفُوا أَبَا وَهَبٍ بِأَمْرِ كَبِيرِ بِلِ يَزِيدُ عَلَى الْكَبِيرِ
فَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ عَالِمٍ بِهِمْ خَبِيرِ

وكتب الوليد إلى هشام يُعلمه إخراج عبد الصمد واعتذر إليه بما بلغه من
منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه وكان ابن سهيل من أهل اليمن

وقد ولي دمشق غير مرة وكان ابن سهيل من خاصة الوليد فضرب هشام ابن
سهيل وسيره وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد
فضربه ضرباً مبرحاً وألبسه المسوح فبلغ الوليد فقال من يثق بالناس ومن يصطنع
المعروف هذا الأحول المشؤم قدمه أبي على أهل بيته فضيره ولي عهده ثم
يصنع بي ماترون لا يعلم أن لي في أحد هوى إلا عبت به كتب إلى أن أخرج
عبد الصمد فأخرجته وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلى فضربه
وسيره وقد علم رأي فيه وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلى وتحرمه بي ومكانه منى وأنه
كاتب فضربه وحبسه يضارني بذلك اللهم أجرني منه وقال

أَنَا النَّذِيرُ لِمُسْدَى نَعْمَةٍ أَبَدًا إِلَى الْمُقَارِيفِ مَا لَمْ يَخْبُرِ الدَّخْلَا
إِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ بَطْرًا وَإِنْ أَهْنَيْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ دُلْلَا
أَتَشْمُخُونَ وَمَنَا رَأْسُ نَعْمَتِكُمْ سَتَعْلَمُونَ إِذَا كَانَتْ لَنَا دُولَا
أَنْظُرْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَقْدُرْ عَلَى مَثَلِ لَهُ سِوَى الْكَلْبِ فَاضْرِبْهُ لَهُ مَثَلَا
بَيْنَا يُسَمِّنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ حَتَّى إِذَا مَانَوَى مِنْ بَعْدِ مَا هَزَلَا
عَدَا عَلَيْهِ فَلَمْ تَضُرُّهُ عَدَوَتُهُ وَلَوْ أَطَاقَ لَهُ أَكْلًا لَقَدْ أَكَلَا

وكتب إلى هشام لقد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنى ومحو
ما محى من أصحابي وحرى وأهلى ولم أكن أخاف أن يتلى الله أمير المؤمنين بذلك
ولا أبالي به منه فإن يكن ابن سهيل كان منه ما كان فيحسب العير أن يكون قدر
الذئب ولم يبلغ من صنيعى في ابن سهيل واستصلاحه وكتابي إلى أمير المؤمنين فيه
كنه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتى فإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين
على فقد سبب الله لي من العهد وكتب لي من العمر وقسم لي من الرزق ما لا يقدر
أحد دون الله على قطع شيء منه دون مدته ولا صرف شيء عن مواقفه فقد رآه الله
يجرى بمقاديره فيما أحب الناس أو كرهوا ولا تأخير لعاجله ولا تعجيل لأجله
فالناس بين ذلك يقترون الآثام على نفوسهم من الله أو يستوجبون الأجور
عليه وأمير المؤمنين أحق أمته بالبصر بذلك والحفظ له والله الموفق لأمير المؤمنين

لحسن القضاء له في الأمور فقال هشام لأبي الزبير يا نسطاس أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بي حدث قال بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين قال ويحك لا بد من الموت أقرى الناس يرضون بالوليد قال يا أمير المؤمنين إن له في أعناق الناس يعة فقال هشام لئن رضى الناس بالوليد ما أظن الحديث الذى رواه الناس أن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار إلا باطلا وكتب هشام إلى الوليد قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع عنك وغير ذلك وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك وأمير المؤمنين أخوف على نفسه من اقتراف المآثم عليها فى الذى كان يجرى عليك منه فى الذى أحدث من قطع ما قطع ومحو ما محو من صحابتك لأمرين أما أحدهما فيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجرى عليك وهو يعلم وضعك له وإنفاقك فى غير سبيله وأما الآخر فإثبات صحابتك وإدرا رزاقهم عليهم لا ينالهم ما ينال المسلمين فى كل عام من مكروه عند قطع البعوث وهم معك تجول بهم فى سفهك ولأمر المؤمنين أخرى فى نفسه للتقصير فى القتر عليك منه للاعتداء عليك فيها مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين فى قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخرف مما ساف فيه منه وأما ابن سهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بما نزل وكان أهلا أن تُسر فيه أو تساء ما جعله الله كذلك وهل زاد ابن سهيل لله أبوك على أن كان مغنياً زفاناً قد بلغ فى السفه غاية وليس ابن سهيل مع ذلك بشر ممن تستصحبه فى الأمور التى يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها مما كنت لعمر الله أهلاً للنوبيخ به ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به فى الحرص على فسادك إنك إذا بغير إل عن هوى أمير المؤمنين من ذلك وأما ما ذكرت مما سبب الله لك فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربه أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضرراً ولا نفعاً وإن الله ولى ذلك منه وأنه لا بد له من مزايلته والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير الرضى له منهم وإن أمير المؤمنين من حسن ظنه بربه لعلى أحسن

الرجاء أن يوليه تسبب ذلك لمن هو أهله في الرضاله به ولهم فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يؤديه شكره إلا بعون منه وإن كان قدراً لمير المؤمنين تعجيل وفاة إن في الذي هو مفضل إليه إن شاء الله من كرامة الله كخلفاء من الدنيا ولعمري إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحقك فاربّع على نفسك من غلواتها وارقأعلى ظلمك فإن الله سطوات وعينا يصيب بذلك من يشاء ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له فكتب الوليد إلى هشام

رَأَيْتَكَ تَبْنِي جَاهِدًا فِي قَطِيعِي فَلَوْ كُنْتَ ذَا إِرْبٍ لَهَدَمْتَ مَا تَبْنِي
تَثِيرُ عَلَى الْبَاقِينَ تَجْنِي ضَغِينَةً قَوْلُ لَّهُمْ إِنَّ مِتَّ مِنْ شَرِّ مَا تَجْزِي
كَأَنِّي بِهِمْ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِهِمْ أَلَا لَيْتَنَا وَاللَّيْتُ إِذْ ذَاكَ وَبُغْنِي
كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ لَا لَعْنُ

قال فلم يزل الوليد مقبياً في تلك البرية حتى مات هشام فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة أرسل إلى أبي الزبير المنذر بن أبي عمرو فأتاه فقال له يا أبا الزبير ما أتت على ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت لي همومي وحدثت نفسي فيها بأمور من أمر هذا الرجل قد أولع بي يعني هشاماً فاركب بنا نتنفس فركبا فسار ميلين ووقف على كتيب وجعل يشكو هشاماً إذ نظر إلى رهج فقال هؤلاء رسل هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلان على البريد مقبلان أحدهما مولى لأبي محمد السفيناني والآخر جزدبته فلما قربا أتيا الوليد فزلا بعدوان حتى دنيا منه فسلبا عليه بالخلافة فوجم وجعل جردبة يكرر عليه السلام بالخلافة فقال ويحك أمات هشام قال نعم قال فمن كتابك قال من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل فقرأ الكتاب فانصرفا فدعا مولى أبي محمد السفيناني فسأله عن كاتبه عياض بن مسلم فقال يا أمير المؤمنين لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله فلما صار في حد لا ترجى الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخزان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحد منه إلى شيء وأفاق هشام إفاقة فطلب شيئاً فنعوه فقال أرانا كنا خزاناً للوليد ومات

من ساعته وخرج عياض من السجن ففتح أبواب الخزان وأمر بهشام فأُنزل عن فرشه
فما وجدوا له فقها يسخن له فيه الماء حتى استعاروه ولا وجدوا كفنا من
الخزان فكفنه غالب مولى هشام فكتب الوليد الى العباس بن الوليد بن
عبد الملك بن مروان أن يأتي الرصافة فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده
ويأخذ عماله وحشمه إلا مسلمة بن هشام فانه كتب اليه أن لا يعرض له ولا يدخل
منزله فانه كان يكثر أن يكلم أباه في الرفق به ويكفه عنه فقدم العباس الرصافة
فأحكم ما كتب به اليه الوليد وكتب الى الوليد بأخذ بنى هشام وحشمه وإحصاء
أموال هشام فقال الوليد

لَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَرَى مَحَلَّهُ الْاَوْفَرَ قَدْ أَتَرَعَا

(ويروى)

لَيْتَ هِشَامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى مِثْلَ الْاَوْفَرِ قَدْ طُبِعَا
كَتَاهُ بِالصَّاعِ الَّذِي كَالَهُ وَمَا ظَلَمْتُهُ بِهِ إِضْبَعَا
وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ بِدْعَةٍ أَحَلَّهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا

فاستعمل الوليد العمال وجاءته بيعته من الآفاق وكتب اليه العمال وجاءته
الوفود وكتب اليه مروان بن محمد بارك الله لأمر المؤمنين فيما أصاره اليه من
ولاية عبادته ووراثته بلاده وكان من تغشى غمرة سكرة الولاية ما حمل هشاماً على
ما حاول من تصغير ما عظم الله من حق أمير المؤمنين ورام من الأمر المستصعب
عليه الذي أجابه اليه المدخولون في آرائهم وأديانهم فوجدوا ما طمع فيه مستصعباً
وزاحته الأقدار بأشد من كبرها وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى
أزّره بأكرم مناطق الخلافة فقام بما أراه الله له أهلاً ونهض مستقلاً بما حمل
منها مثبتة ولايته في سابق الزبر بالأجل المسمى خصه الله بها على خلقه وهو
يرى حالاتهم فقلده طوقها ورمى اليه بأزمة الخلافة وعصم الأمور فالحمد لله الذي
اختار أمير المؤمنين لخلافته ووثائق عرى دينه وذبح له عما كاده فيه الظالمون
فرفعه ووضعهم فمن أقام على تلك الخسيسة من الأمور أوبق نفسه وأسخط ربه

ومن عدلته التوبة نازعا عن الباطل إلى حق وجد الله تواباً رحيماً أخبر أمير المؤمنين أكرمهم الله أنى عند ما انتهى إلى من قيامه بولاية خلافة الله نهضت إلى منبرى على سيفان مستعداً بهما لأهل الغش حتى أعلنت من قبلى ما امتن الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين فاستبشروا ذلك وقالوا لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولاهى لنا أمر من ولاية أمير المؤمنين وقد بسطت يدي لبيعتك فجددتها ووكدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الإيمان فكلهم حسنت إجابتهم وطاعتهم فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذى آتاك فإنك أجودهم جوداً وأبسطهم يداً وقد انتظروك راجين فضلك قباهم بالرحم الذى استرحموك وزدتم زيادة يفضل بها من كان قبلك حتى يظهر بذلك فضلك عليهم على رعيته ولولا ما أحاول من سد الثغر الذى أنا به لحفت أن يحملنى الشوق إلى أمير المؤمنين إن استخلف رجلاً على غير أمره وأقدم للمعاينة أمير المؤمنين فإنها لا يعدوها عندى عادل نعمة وإن عظمت فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى المسير إليه لأشافه بأموركرمت الكتاب بها فلبى فلما ولى الوليد أجرى على زمنى أهل الشام وعميانهم وكساهم وأمر لكل إنسان منهم بخادم وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام وزاد الناس جميعاً فى العطاء عشرة عشرة ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشام خاصة وزاد من وفد إليه من أهل بيته فى جوائزهم الضعف وكان وهو ولى عهد يطعم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام ويعلف دوابهم ولم يقل فى شىء يسأله لا قليل له إن فى قولك أنظر عِدَّة ما يقيم عليها الطالب فقال لا أعود لسانى شيئاً لم أعتده وقال

صَنَيْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تُعْثِي عَوَائِقُ بِأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتْفَلِيعُ
سَيُوشِكُ الْخَاقُ مَعًا وَزِيَادَةُ وَأَعْطِيَتْنِي مِنِّي عَلَيْكُمْ تَبَرُّعُ
مُحَرَّمُكُمْ دِيَوَانُكُمْ وَعَطَاؤُكُمْ بِهِ يَكْتُبُ الْكِتَابُ شَهْرًا وَتَطْبَعُ

(وفي هذه السنة) عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده وجعلهما ولي عهدهما بعد الآخر وجعل الحكم مقدماً على عثمان وكتب بذلك إلى الأمصار وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر وهو عامل الوليد يومئذ على العراق وكتب بذلك يوسف إلى نصر بن سيار وكانت نسخة الكتاب إليه بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار أما بعد فإني بعثت إليك نسخة كتاب أمير المؤمنين الذي كتب به إلى من قبلي الذي ولي الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقال ابن شبة النخعي وعبد الملك القيني وأمرتهما بالكلام في ذلك فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ومُرهم فليحشدوا له وقم فيهم بالذي كتب أمير المؤمنين فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب وأذن لمن أراد أن يقوم بخطبة ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته وخذ عليهم بالمواثيق على الذي نسخت لك في آخر كتابي هذا الذي نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه فافهمه وبايع عليه نساء الله أن يبارك لأمر المؤمنين ورعيته في الذي قضى لهم على لسان أمير المؤمنين وأن يصلح الحكم وعثمان ويبارك لنا فيهما والسلام عليك وكتب النصر يوم الخميس للنصف من شعبان ستة وخمسة وعشرين ومائة بسم الله الرحمن الرحيم تباع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة وإن حدث بواحد منهما حدث فأمر المؤمنين أملك في ولده ورعيته يقدم من أحب ويؤخر من أحب عليك بذلك عهد الله وميثاقه فقال الشاعر في ذلك

تَوَمَّلْ عُثْمَانَ بَعْدَ الْوَلِيدِ دَلِّلِ الْعَهْدَ فِينَا وَنَرْجُو يَزِيدَا
كَأَنَّكَ إِذْ ذَاكَ فِي مَلِكِهِ يَزِيدُ يُرْجَى لَذَاكَ الْوَلِيدَا
عَلَى أَنَّهَا شَعَسَتْ شَعْمَةً فَتَحْنُ نَوْمَلُهَا أَنْ تَعُودَا
فَإِنْ هِيَ عَادَتْ فَأَوْصِيَ الْقَرِيْبَ بَعْنَهَا لِيُؤَيِّسَ مِنْهَا الْبَعِيدَا

قال أحمد قال علي عن شيوخه الذين ذكرت فقدم عقال بن شبة وعبد الملك

ابن نعيم على نصر وقدا بالكتاب وهو أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه وجل ثناؤه وتعالى ذكره اختار الإسلام ديناً لنفسه وجعله خير خيرة من خلقه ثم اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس فبعثهم به وأمرهم به وكان بينهم وبين من مضى من الأمم وخلا من القرون قرناً فمرنا يدعون إلى التي هي أحسن ويهدون إلى صراط مستقيم حتى انتهت كرامة الله في نبوته إلى محمد صلوات الله عليه على حين دروس من العلم وعمى من الناس وتشبثت من الهوى وتفرق من السبل وطموس من أعلام الحق فأبان الله به الهدى وكشف به العمى واستنقذ به من الضلالة والردى وأبهج به الدين وجعله رحمة للعالمين وختم به وحيه وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله وبقى به على آثارهم مصداقاً لما نزل معهم ومهيئاً عليه وداعياً إليه وآمراً به حتى كان من أجابه من أمته ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به مصدقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم منتصحين لهم فيما ينهونه ذابين لحرمهم عما كانوا منتهكين منها لما كانوا مصغرين فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ كان يسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعث الله به مكذباً ولا عليه في ذلك طاعناً ولا له مؤذياً بتسفيه له أو رد عليه إذ جحد لما أنزل الله عليه معه فلم يبق كافر إلا استحل بذلك دمه وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته حين قبض نبيه صلى الله عليه وسلم وختم به وحيه لإنفاذ حكمه وإقامة سنته وحدوده والأخذ بفرائضه وحقوقه تأييداً بهم للإسلام وتشجيعاً بهم لعراه وتقوية بهم لقوى حبله ودفعاً بهم عن حريمه وعدلاً بهم بين عباده وإصلاحاً بهم لبلاده فإنه تبارك وتعالى يقول: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) فتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه واستخلفهم عليه منه لا يتعرض لحقهم أحد إلا صرعه الله ولا يفارق جماعتهم أحد إلا أهلكه الله ولا يستخف بولايتهم ويتهم قضاء الله فيهم أحد إلا أمكنهم الله منه وسلطهم عليه وجعله نكالا وموعظة لغيره وكذلك صنع الله بمن فارق

الطاعة التي أمر بلزومها والاختذ بها والاثرة لها والتي قامت بها السموات والارض
قال الله تبارك وتعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
أَنْتِنِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) وقال عز ذكره (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ) فبالخلافة أبقى الله من أبقى في الارض من عباده وإليها صيره وبطاعة
من ولاه إياها سَعَدَ من ألهما ونصرها فان الله عز وجل علم أن لا قوام لشيء
ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه ويمضي بها أمره وينكل بها عن
معاصيه ويوقف عن محارمه ويذب عن حرمانه فمن أخذ بحظه منها كان لله وليا
ولأمره مطيعا ولرشده مصيبا ولعاجل الخير وآجله مخصوصا ومن تركها ورغب
عنها وحاد الله فيها أضاع نصيبه وعصى ربه وخسر ديناه وآخرته وكان بمن غلبت
عليه الشقوة واستحزذت عليه الأمور الغاوية التي توردها أهلها أفزع المشرع
وتقودهم إلى شر المصارع فيما يحل الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة ويصيرهم فيما
عندهم من العذاب والحسرة والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامه وزمامه
وملاكه وعصمته وقوامه بعد كلمة الإخلاص التي ميز الله بها بين العباد وبالطاعة
نال المفلحون من الله منازلهم واستوجبوا عليه ثوابهم وفي المعصية مما يحل بغيرهم
من نقماته وتصيبهم عليه ويحق من سخطه وعذابه ويُنزلُ بالطاعة والإضاعة لها
والخروج منها والإدبار عنها والتبدل بها أهلك الله من ضلّ وعتا وعصى وغلا
وفارق مناهج البر والتقوى فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم وألم بكم من الأمور
وناصحوها واستوثقوا عليها وسارعوا إليها وخالصوها وابتغوا القربة إلى الله بها
فأنكم قد رأيتم مواقع قضاء الله لأهلها في إعلائه إياهم وإفلاجه حجتهم ودفعه باطل
من حادهم وناوهم وسامهم وأراد إطفاء نور الله الذي معهم وأخبرتم مع ذلك
ما يصير إليه أهل المعصية من التوبيخ لهم والتقصير بهم حتى يؤول أمرهم إلى تبار
وصغار وذلة وبوار وفي ذلك إن كان له رأى وموعظة عبرة يذفع بواسطتها

ويتمسك بحظوتها ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها ثم إن الله وله الحمد والمن
والفضل هدى الأمة لأفضل الأمور عافية لها في حقن دماؤها والتسام ألفها واجتماع
كلمتها واعتدال عمودها وإصلاح دهماها وذخر النعمة عليها في دنياها بعد خلافة
التي جعلها لهم نظاما ولأمرهم قواما وهو العهد الذي ألهم الله خلفاءه توكيده
والنظر للمسلمين في جسم أمرهم فيه ليكون لهم عند ما يحدث بخلفائهم ثقة في المفزع
وملتجأ في الأمر ولما للشعث وصلا حال ذات البين وتثبيتا لأرجاء الاسلام
وقطعا لنزغات الشيطان فيما يتطلع إليه أولياؤه ويوثبهم عليه من تلف هذا الدين
وانصداع شعب أهله واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه فلا يريهم الله في ذلك
إلا ماساءهم وأكذب أمانيتهم ويحدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عقد
أمرهم ونفى عنهم من أراد فيها إدغالا أو بها إغلالا أو لما شدد الله منها توهينا
أو فيما تولى الله منها اعتمادا فأكمل الله بها لخلفائه وحزبه البر الذين أودعهم طاعته
أحسن الذي عودهم وسبب لهم من اعزازه واكرامه واعلائه وتمكينه فأمر هذا
العهد من تمام الاسلام وكال ما استوجب الله على أهله من المنن العظام وبما جعل
الله فيه لمن أجراه على يديه وقضى به على لسانه ووقفه لمن ولاه هذا الأمر عنده
أفضل الذخر وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثر بهم من منفعته ويتسع لهم من أمانه
ويستندون اليه من عزه ويدخلون فيه من وزره الذي يجعل الله لهم به منعة ويحرزهم
به من كل مهلكة ويجمعهم به من كل فرقة ويقمع به أهل النفاق ويعصمهم به من
كل اختلاف وشقاق فاحدوا الله ربكم الرؤف بكم الصانع لكم في أموركم على الذي
دلكم عليه من هذا العهد الذي جعله لكم سكنا ومعولا تطمئنون اليه وتستظلون
في أفئاته ويستنجم لكم به مشي أعناقكم وسمت وجوهكم وملتقى نواصيكم في أمر
دينكم ودنياكم فإن لذلك خطرا عظيما من النعمة وإن فيه من الله بلاء حسنا في سعة
العافية يعرفه ذوو الألباب والنيات المريثون من أعمالهم في العواقب والعارفون
منار مناهج الرشيد فأنتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من
ذلك جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه وحمده على الذي عزم لكم منه فلتكن

منزلة ذلك منكم وفضيلته في أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله ثم إن أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشيء من الأمور أشد اهتماماً وعناية منه بهذا العهد لعله بمنزلة من أمر المسلمين وما أراهم الله فيه من الأمور التي يغبطون ويكرمهم فيها يقضى لهم ويختار له ولهم فيه جهده ويستقضى له ولهم فيه إلهه ووليه الذي بيده الحكم وعنده الغيب وهو على كل شيء قدير ويسأله أن يعينه من ذلك على الذي هو أرشد له خاصة وللمسلمين عامة فرأى أمير المؤمنين أن يعهد لكم عهداً بعد عهد تذكرون فيه على مثل الذي كان عليه من كان قبلكم في مهلة من انقراح الأمل وطمأنينة النفس وصلاح ذات البين وعلم موضع الأمر الذي جملة الله لأهله عصمة ونجاة وصلاحاً وحياة ولكل منافق وفاسق يجب تلف هذا الدين وفساد أهله وقا وخساراً وقد عاينوا أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده وهما ممن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه له وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه إياه في وفاء الرأي وصحة الدين وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور ولم يالكم أمير المؤمنين ولا نفسه في ذلك اجتهدا وخيرا فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولا خيه من بعده على السمع والطاعة واحتسبوا في ذلك أحسن ما كان الله يريكم ويوليكم ويعودكم ويعرفكم في أشباهه فيما مضى من اليسر الواسع والخير العام والفضل العظيم الذي أصبحتم في رجائه وخفضه وأمنه ونعمته وسلامته وعصمته فهو الأمر الذي استبطأتموه واستقرعتم إليه وحدثتم الله على إفضائه إياه وقضائه لكم وأحدثتم فيه شكراً ورايتموه لكم حظاً تستبقونه وتجهدون أنفسكم في أداء حق الله عليكم فإنه قد سبق لكم في ذلك من نعم الله وكرامته وحسن قسمه ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتم فيه وحدثكم عليه على قدر الذي أبلاكم الله وصنع لكم منه وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من ولي عهده حدث أولى بأن يحمل مكانه وبالمنزلة الذي كان به من أحب أن يجعل من أمته أو ولده ويقدمه بين يدي الباقي منهما إن شاء أو أن يؤخره بعده فاعلموا ذلك وافهموه

فسأل الله الذي لا إله إلا هو علم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمير المؤمنين ولكم في الذي قضى به على لسانه من ذلك وقدر منه وأن يجعل عاقبته عافية وسرورا وغبطة فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو ولا يرغب فيه إلا إليه والسلام عليكم ورحمة الله وكتب شمال يوم الثلاثاء ثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة (وفي هذه السنة) ولي الوليد نصر بن سيار خراسان كلها وأفرده بها (وفيها) وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشتري نصرا وعماله منه فرد إليه الوليد ولأية خراسان (وفي هذه السنة) كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يأمره بالتقدم عليه ويحمل معه ما قدر عليه من الهدايا والأموال

ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر في ذلك

ذكر علي عن شيوخه أن يوسف كتب إلى نصر بذلك وأمره أن يقدم معه بعياله أجمعين فلما أتى نصرا كتابه قسم على أهل خراسان الهدايا وعلى عماله فلم يدع بخراسان جارية ولا عبدا ولا برذونا فارها إلا أعدّه واشتري ألف مملوك وأعطاهم السلاح وحملهم على الخيل قال وقال بعضهم كان قد أعدّ خمسمائة وصيفة وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورؤوس السباع والأيايل وغير ذلك فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثه فسرّح الهدايا حتى بلغ أوائلها بيهق فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطانير فقال بعض شعرائهم

أَبْشِرْ يَا أَمِينَ الْإِلَهِ أَبْشِرْ بِتَبَاشِيرِ
يَابَسِلٍ يُحْمَلُ الْمَالُ عَلَيْهَا كَالْأَنْبِيرِ
يُنَالُ تَحْمَلُ الْخَيْرَ خَائِبُهَا طَنْابِيرُ
وَدَلَّ الْبَرْبَرِيَّاتِ بِصَوْتِ الْبَمِّ وَالزَّرِيرِ
وَقَرُوعِ الدَّفِّ أَحْيَانًا وَتَفْسُخٍ بِالْمَزَامِيرِ
فَهَذَا لَكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْجَنَّةِ تَحْيِيرُ

قال وقدم الأزرق بن قرعة المسمى من الترمذ أيام هشام على نصر فقال لنصر إني أريت الوليد بن يزيد في المنام وهو ولي عهد شبه المهارب من هشام ورأيت على سرير فشرب عسلا وسقاني بعضه فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار

وكسوة وبعثه إلى الوليد وكتب إليه نصر فأتى الأزرق الوليد فدفن إليه المال والكسوة فُسّر بذلك الوليد والطف الأزرق وجزى نصرأ خيراً وانصرف الأزرق فبلغه قبل أن يصل إلى نصر مروت هشام ونصر لا علم له بما صنع الأزرق ثم قدم عليه فأخبره فلما ولى الوليد كتب إلى الأزرق وإلى نصر وأمر رسوله أن يبتدئ بالأزرق فيدفع إليه كتابه فأتاه ليلاً فدفن إليه كتابه وكتاب نصر فلم يقرأ الأزرق كتابه وأتى نصر بالكتابين فكان في كتاب الوليد إلى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة وأن يجمع له كل صناجة بخراسان يقدر عليها وكل بازي وبرذون فاره ثم يسير بذلك كله بنفسه في وجوه أهل خراسان فقال رجل من باهلة كان قوم من المنجمين يخبرون نصر ابفتنة تكون فبعث نصر إلى صدقة بن وثاب وهو ببلخ وكان منجماً وكان عنده وألح عليه يوسف بالقدم فلم يزل يتباطأ فوجه يوسف رسولا وأمره بلزومه يستحثه بالقدم أو ينادي في الناس أنه قد خلع فلما جاءه الرسول أجازته وأرضاه وتحول إلى قصره الذي هو دار الإمارة اليوم فلم يأت لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة فتحول نصر إلى قصره بما جان واستخلف عصمة بن عبد الله الأسدي على خراسان وولى المهلب بن إياس العدوي الخراج وولى موسى بن ورقاء الناجي الشاش وحسان من أهل صغانيان الأسدي سمرقند ومقاتل بن علي السغدّي آمل وأمرهم إذا بلغهم خروجه من مرو أن يستحبوا الترك وأن يغيروا على ما وراء النهر لينصرف إليهم بعد خروجه يعتل بذلك فيبنا هو يسير يروما إلى العراق طرّقه ليلاً مولى لبني كيث فلما أصبح أذن للناس وبعث إلى رسل الوليد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد كان في مسيرى ما قد علمتم وبعثي بالهدايا ما رأيتم فطرقني فلان ليلاً فأخبرني أن الوليد قد قُتل وأن الفتنة قد وقعت بالشأم وقدم منصور بن جمهور العراق وقد هرب يوسف بن عمرو ونحن في بلاد قد علمتم حالها وكثرة عدونا ثم دعا بالقادم فأحلفه أن ما جاء به لحق فخلف فقال سلم بن أحوز أصلح الله الأمير لو حلفت لكنت صادقا انه بعض مكاييد قریش أرادوا تهجين طاعتك فسروا لا تهجننا قال يا سلم انت رجل

لك علم بالحروب ولك مع ذلك حسن طاعة لبني أمية فأما مثل هذا من الامور
فرأيت فيه رأى أمة هتاء ثم قال نصر لم أشهد بعد ابن خازم أمر أمفظاً إلا كنت
المفرع في رأى فقال الناس قد علمنا ذلك فالرأى رأيتك (وفي هذه السنة)
وجه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي واليا على المدينة ومكة
والطائف ودفع إليه ابراهيم ومحمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي موثقين في
عباءتين فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من شعبان سنة ١٢٥
فأقامهما للناس بالمدينة ثم كتب الوليد إليه يأمر أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر
وهو يومئذ عامله على العراق فلما قدما عليه عذبهما حتى قتلتهما وقد كان رفع عليهما
عند الوليد أنهما أخذاً ما لا كثيراً (وفي هذه السنة) عزل يوسف بن محمد سعد
ابن ابراهيم عن قضاء المدينة وولاه يحيى بن سعيد الأنصاري (وفيها) غزى
الوليد بن يزيد أخاه الغمر بن يزيد بن عبد الملك وأمر على جيش البحر الأسود
بن بلال المحاربي وأمره أن يسير إلى قبرس فيخبرهم بين المسير إلى الشام أن شاؤا
وأن شاؤا إلى الروم فاخترت طائفة منهم جوار المسلمين فنقلهم الأسود إلى
الشام واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها (وفيها) قدم سليمان بن كثير
ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا في قول بعض أهل
السيرة محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه فقال لهم أحر هو أم
عبد قالوا أما عيسى فيزعم أنه عبد وأما هو فيزعم أنه حر قال فاشتروه وأعتقوه
وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم فقال لهم ما
أظنكم تلقوني بعد عامي هذا فان حدث بي حدث فصاحبكم ابراهيم بن محمد فاني
أثق به وأوصيكم به خيراً فقد أوصيته بكم فصدروا من عنده وتوفي محمد بن علي
في مستهل ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه
علي سبع سنين (وحج) بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي
حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر (وفي
هذه السنة) قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان

ذكر الخبر عن مقتله

قد مضى ذكرنا قبلُ أمر مصير يحيى بن زيد بن عليّ إلى خراسان وسبب ذلك ونذكر الآن سبب مقتله اذ كان ذلك في هذه السنة ٥ ذكر هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف قال أقام يحيى بن زيد بن عليّ عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى هلك هشام بن عبد الملك وولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك فكتب يوسف ابن عمر إلى نصر بن سيار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذي كان ينزل حتى أخبره أنه عند الحريش وقال له ابعث إليه وخذه أشدّ الاخذ فبعث نصر بن سيار إلى حقيّل بن معقل العجليّ يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه يحيى بن زيد بن عليّ فبعث إليه عقيل فسأله عنه فقال لا علم لي به فخلده ستمائة سوط فقال له الحريش والله لو أنه كان تحت قدميّ ما رفعتهما لك عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتى عقيلًا فقال لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه فأرسل معه فدا له عليه وهو في بيت في جوف بيت فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس كان أقبل معه من الكوفة فأتى به نصر بن سيار فحبسه وكتب إلى يوسف ابن عمر يخبره بذلك فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره أن يؤمنه ويخلى سبيله وسبيل أصحابه فدعاه نصر بن سيار فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد وأمره بالنيّ درهم وبغلين فخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سرخس فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عباد فكتب إليه نصر بن سيار أن يشخصه عنها وكتب إلى الحسن بن زيد التميميّ وكان رأس بني تميم وكان على طوس أن انظر يحيى بن زيد فإذا مرّ بكم فلا تدعه يقيم بطوس حتى يخرج منها وأمرهما إذا هو مرّ بهما أن لا يفارقاه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبر شهر فأشخصه عبد الله بن قيس من سرخس ومرّ بالحسن بن زيد فأمره أن يمضى ووكل به سرحان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العبديّ أبا الفضل وكان على مسلحة قال فدخلتُ عليه فذكر نصر بن سيار وما أعطاه فإذا هو كالمستقل له فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فأثني عليه

وذكر بجيئه بأصحابه معه وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يُسم أو يُغمَّ وعرض يوسف وذكر أنه إياه يتخوف وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كف فقلت له قل ما أحببت رحمك الله فليس عليك مني عين فقد أتى إليك ما يستحق أن تقول فيه ثم قال العجب من هذا الذي يقيم الاحراس أو امر الاحراس قال وهو حينئذ يتفصح والله لو شئت أن ابعث إليه فأتى به مربوطا قال فقلت له لا والله ما بك صنع هذا ولكن هذا شيء يصنع في هذا المكان ابد المكان بيت المال قال واعتذرت إليه من مسيرى معه وكنت أسير معه على رأس فرسخ فأقبلنا معه حتى وقفنا إلى عمرو بن زرارة فأمر له بألف درهم ثم أشخصه حتى انتهى إلى بيهق وخاف اغتيال يوسف إياه فأقبل من بيهق وهي أقصى أرض خراسان وأدناه من قومس فأقبل في سبعين رجلا إلى عمرو بن زرارة ومربه تجار فأخذ دوابهم وقال علينا أثمانها فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار فكتب نصر إلى عبدالله بن قيس وإلى الحسن ابن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة فهو عليهم ثم نصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه فجأوا حتى انتهوا إلى عمرو بن زرارة فاجتمعوا فكانوا عشرة آلاف فأتاهم يحيى ابن زيد وليس هو إلا في سبعين رجلا فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة وأصاب دواب كثيرة وجاء يحيى بن زيد حتى مر بهراة وعليها مغلس بن زياد العامري فلم يعرض واحد منهما لصاحبه فقطعها يحيى بن زيد وسرح نصر بن سيار سلم بن أحوز في طلب يحيى بن زيد فأتى هراة حين خرج منها يحيى بن زيد فاتبعه فلحقه بالجوزجان بقرية منها وعليها حماد بن عمرو السغدى قال ولحق بيحيى بن زيد رجل من بني حنيفة يقال له أبو العجلان فقتل يومئذ معه ولحق به الحسحاس الأزدي فقطع نصر بعد ذلك يده ورجله قال فبعث سلم بن أحوز سورة بن محمد بن عزيز الكندى على ميعته وحماد بن عمرو السغدى على ميسرته فقاتله قتالا شديدا فذكروا أن رجلا من غزاة يقال له عيسى مولى عيسى بن سليمان العنزى رماه بنشابة فأصاب جبهته قال وقد كان محمد شهد ذلك اليوم فأمره سلم بتعينة الناس فتمارض عليه ففعل الناس سورة بن محمد بن عزيز الكندى فاقتلوا فقتلوا من عند

آخرهم ومرسورة يحيى بن زيد فأخذ رأسه وأخذ العنزي سلبه وقيصه وغلبه سورة على رأسه فلما قتل يحيى بن زيد وبلغ خبره الوليد بن يزيد كتب فيما ذكر هشام عن موسى بن حبيب أنه حدثه إلى يوسف بن عمر إذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسه في اليم نسفاً قال فأمر يوسف خراش بن حوشب فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار ثم رضه فجعله في قوصرة ثم جعله في سفينة ثم ذراه في الفرات وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد بن يزيد

ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قتل

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعه ومجائته وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته لما ولي الخلافة وأفضت إليه لم يزد من الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق لإلتامادياً وجدأ تركت الأخبار الواردة عنه بذلك كراهة إطالة الكتاب بذكرها فثقل ذلك من أمره على رعيته وجنده فكرهوا أمره وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده على نفسه بنى عميه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك بن مروان مع إفساده على نفسه اليمانية وهم عظم جند أهل الشام

ذكر بعض الخبر عن إفساده بنى عميه هشام والوليد

❦ مشني أحمد بن زهير قال حدثنا علي عن المنهال بن عبد الملك قال كان الوليد صاحب لهُو وصيد ولذات فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي فيها الناس حتى قُتل ولم يزل ينتقل ويتصيد حتى ثقل على الناس وعلى جنده واشتد على بنى هشام ضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمان

فحبسه بها فلم يزل بها محبوسا حتى قتل الوليد قال وأخذ جارية كانت لآل
الوليد فكلمه عمر بن الوليد فيها فقال لا أردّها فقال إذن تكثر الصواهل حول
عسكرك قال وحبس الأفقم يزيد بن هشام وأراد البيعة لابنيه الحكم وعثمان
فشاور سعيد بن بهس بن صهيب فقال لا تفعل فانهما غلامان لم يحتلما ولكن
بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فغضب وحبسه حتى مات في الحبس
وأراد خالد بن عبد الله على البيعة لابنيه فأبى فقال له قوم من أهله أرادك
أمير المؤمنين على البيعة لابنيه فأبيت فقال ويحكم كيف أباع من لا أصلى خلفه
ولا أقبل شهادته قالوا فالوليد تقبل شهادته مع مجونه وفسقه قال أمر الوليد أمر
غائب عني ولا أعلمه يقينا إنما هي أخبار الناس فغضب الوليد على خالد قال وقال
عمرو بن سعيد الثقفي أوفدني يوسف بن عمر إلى الوليد فلما قدمت قال لي كيف
رأيت الفاسق يعني بالفاسق الوليد ثم قال إياك أن يسمع هذا منك أحد فقلت
حبيبة بنت عبد الرحمن بن جُبَيْر طالق إن سمعته أذنى مادمت حيا فضحك قال
فثقل الوليد على الناس ورماه بنو هشام وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمهات
أولاد أبيه وقالوا قد اتخذ مائة جامعة وكتب على كل جامعة اسم رجل من بني
أمية ليقتله بها ورموه بالزندقة وكان أشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك
وكان الناس إلى قوله أميل لأنه كان يظهر النسك ويتواضع ويقول ما يسعنا الرضا
بالوليد حتى حمل الناس على الفتك به ﷺ حتى أحمد بن زهير قال حدثنا علي
عن يزيد بن مَضَاد الكلبي عن عمرو بن شراحيل قال سيرنا هشام بن عبد الملك
إلى دَهْلَك فلم نزل بها حتى مات هشام واستخلف الوليد فكلّم فينا فأبى وقال والله
ما عمل هشام عملا أرجى له عندي أن تناله المغفرة به من قتله القدرية وتسييره
إياهم وكان الوالي علينا الحجاج بن بشر بن فيروز الديلمي وكان يقول لا يعيش
الوليد إلا ثمانية عشر شهرا حتى يقتل ويكون قتله سبب هلاك أهل بيته قال
فأجمع على قتل الوليد جماعة من قضاة واليمانية من أهل دمشق خاصة فآتى
حريث وشبيب بن أبي مالك الغساني ومنصور بن جمهور ويعقوب بن

عبد الرحمن وجمال بن عمرو ابن عم منصور وحميد بن نصر اللخمي والاصبغ بن ذؤالة وطفيل بن حارثة والسري بن زياد بن علافة خالد بن عبد الله فدعوه إلى أمرهم فلم يجبههم فسألوه أن يكتب عليهم فقال لا أسمي أحداً منكم وأراد الوليد الحج فخاف خالد أن يفتكوا به في الطريق فأتاه فقال يا أمير المؤمنين أخر الحج العام فقال ولم فلم يخبره فأمر بحبسه وأن يستأدى ما عليه من أموال العراق وقال على عن الحكم بن النعمان قال أجمع الوليد على عزل يوسف واستعمال عبد الملك بن محمد ابن الحجاج فكتب إلى يوسف إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر تخريب ابن النصرانية البلاد وقد كنت على ما ذكرت من ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل وقد ينبغي أن تكون قد عمّرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه فأشخص إلى أمير المؤمنين فصدق ظنه بك فيما تحمل اليه لعمارتك البلاد وليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك لما جعل الله بينك وبين أمير المؤمنين من القرابة فانك خاله وأحق الناس بالتوفير عليه ولما قد علمت بما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطياتهم وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام إليهم حتى أضر ذلك ببيوت الأموال قال فخرج يوسف واستخلف ابن عمه يوسف بن محمد وحمل من الأموال والامتنعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله فقدم وخالد بن عبد الله محبوس فلقيه حسان النبطي ليلاً فأخبره أن الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج وأنه لا بد ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه فقال ليس عندي فضل درهم قال فعندي خمسمائة ألف درهم فان شئت فهي لك وإن شئت فارددها إذا تيسرت قال فانت أعرف بالقوم ومنازلهم من الخليفة منى فقرعها على قدر علمك فيهم ففعل وقدم يوسف والقوم يعظمونه فقال له حسان لا تغد على الوليد ولكن رُح إليه رواحاً واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك إنني كتبت إليك ولا أملك إلا القصر وادخل على الوليد والكتاب معك محتوماً متحازناً فأقره الكتاب ومر أبان بن عبد الرحمن النخعي يشتري خالداً منه بأربعين ألف ألف ففعل يوسف فقال له الوليد ارجع

إلى عملك فقال له أبان ادفع إلى خالدا وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم قال
ومن يضمن عنك قال يرسف قال أنضمن عنه قال بل ادفعه إلى فأنا أستاذيه
خسین ألف ألف فدفعه إليه فحمله في محمل بغير وطاء قال محمد بن محمد بن القاسم
فرحمته فجمعت الطافا كانت معنا من أخبصة يابسة وغيرها في منديل وأنا على
ناقة فارهة فتعقلت يوسف فأسرعت ودنوت من خالد ورميت بالمنديل في
محمله فقال لي هذا من متاع عمان يعني أن أخى الفيض كان على عمان فبعث إلى
بمال جسيم فقلت في نفسي هذا على هذه الحالة وهو لا يدع هذا ففطن يوسف بي
فقال لي ما قلت لابن النصرانية فقلت عرضت عليه الحاجة قال أحسنت هو أسير
فقال ولو فطن بما ألقيت إليه للغيبي منه أذى وقدم الكوفة فقتله في العذاب فقال
الوليد بن يزيد فيما زعم الهيثم بن عدى شعراً يوبخ به أهل اليمن في تركهم نصرة خالد
ابن عبد الله وأما أحمد بن زهير فإنه حدثني عن علي بن محمد عن محمد بن سعيد
العامري عامر كلب أن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد
يخترض عليه اليمانية

ألم تهتج فتذكر الوصالا	وحبلاً كان متصلاً فزالا
بلى فالدمع منك له سجام	كأء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك اذكارك آل سعدى	فنحن الاكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً	نسومهم المذلة والنكالا
وطئنا الأشعرين بعز قيس	فيالك وطاة لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسيرا	ألا منعه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديما	جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عز	لما ذهب صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً أسيراً	يسامر من سلاسلنا الثقالا
ورواه المدائني يعالج من سلاسلنا	
وكندة والسكون فما استقالوا	ولا برحت خيولهم الرحالا

بها سُئِنَا الْبَرِيَّةَ كُلَّ حَسْفٍ
 وَلَكِنْ الْوَقَائِعَ ضَعُفَتْهُمْ
 فَمَا زَالُوا لَنَا أَبَدًا عَيْدًا
 فَأَصْبَحَتْ الْغَدَاةُ عَلَى نَاجٍ
 فَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ هَلْبَاءَ الْكَلْبِيِّ يَجِيبُهُ
 قَفِي صَدْرَ الْمَطِيَّةِ يَا حَلَالًا
 أَلَمْ يَحْزَنْكَ أَنْ ذَوِي يَمَانٍ
 جَعَلْنَا لِلْقَبَائِلِ مِنْ نَزَارٍ
 بَيْنَا مَلِكَ الْمَمْلَكِ مِنْ قَرِيشٍ
 مَتَى تَلَقَّ السَّكُونُ وَتَلَقَّ كَلْبًا
 كَذَاكَ الْمَرْءُ مَا لَمْ يُلَفَّ عَدَلًا
 أَعْدُوا آلَ خَمِيرٍ إِذْ دُعِيتُمْ
 وَكُلَّ مُقْلَاصٍ نَهْدِ الْقَصِيرِ
 يَذَرْنَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ قَتِيلًا
 لَنْ عَيْرَتُمُونَا مَا فَعَلْنَا
 لِإِخْوَانِ الْأَشَاعِثِ قَتَلُوهُمْ
 وَأَبْنَاءُ الْمُهَلَّبِ نَحْنُ صُلْنَا
 وَقَدْ كَانَتْ جُدَامُ عَلَى أَخِيهِمْ
 هَرَبْنَا أَنْ تُسَاعِدَكُمْ عَلَيْهِمْ
 فَإِنْ عَدْتُمْ فَإِنَّ لَنَا سُيُوفًا
 سَلْبِكِي خَالِدًا بِمُهَنْدَاتٍ
 أَلَمْ يَكْ خَالِدُ غَيْثَ الْيَسَامِي
 يُكْفَنُ خَالِدُ مَوْقِي زَارٍ
 لَوْ أَنَّ الْجَارِئِينَ عَلَيْهِ كَانُوا
 سَتَلَقَى إِنْ بَقِيَتْ مُسَوِّمَاتٍ

وَهَدَمْنَا السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَا
 وَجَذَّتْهُمْ وَرَدَّتْهُمْ شِلَالَا
 نُسُومُهُمُ الْمَذَلَّةَ وَالسَّفَالَا
 لِمَلِكِ النَّاسِ مَا يَنْغِي انْتِقَالَا
 وَجَذَى حَبْلَ مَنْ قَطَعَ الْوَصَالَا
 يُرَى مَنْ حَاذَ قَيْلَهُمْ حَلَالَا
 غَدَاةَ الْمَرْجِ أَيَّامًا طَوَالَا
 وَأَوْدَى جَدَّ مَنْ أَوْدَى فَزَالَا
 بَعْبِيسَ تَخْشَى مِنْ مُلْكٍ زَوَالَا
 يَكُونُ عَلَيْهِ مِنْطَقُهُ وَبَالَا
 سُيُوفَ الْهِنْدِ وَالْأَسَلِ النَّهَالَا
 وَذَا قَوْدَيْنِ وَالْقُبَّ الْحَبَالَا
 عَلَيْهِ الطَّيْرُ قَدْ مَذَلَّ السُّؤَالَا
 لَقَدْ قَلَمَ وَجَدَّكُمْ مَقَالَا
 فَمَا وَطِئُوا وَلَا لَا قَوَا نَكَالَا
 وَقَاتَعَهُمْ وَمَا صُلُّمَ مَصَالَا
 وَلَحْمٌ يَقْتُلُونَهُمْ شِلَالَا
 وَقَدْ أَخْطَأَ مُسَاعِدُكُمْ وَقَالَا
 صَوَارِمَ تَسْتَجِدُّ لَهَا الصَّقَالَا
 وَلَا تَذْهَبُ صَنَائِعُهُ ضَلَالَا
 إِذَا حَضَرُوا وَكُنْتَ لَهُمْ هُزَالَا
 وَيُثْرَى حَيِّهِمْ نَشْبًا وَمَالَا
 بِسَاحَةِ قَوْمِهِ كَانُوا نِكَالَا
 عَوَائِسَ لَا يُزَالِنَ الْحِلَالَا

❦ فحدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال فازداد الناس على الوليد حنقا

لما روى هذا الشعر فقال ابن بيض

وَصَلَتْ سَمَاءُ الضَّرِّ بِالضَّرِّ بَعْدَ مَا زَعَمْتَ سَمَاءُ الضَّرِّ عَنَا سَسْتُقْلَعُ

فَلَيْتَ هَشَامًا كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُزْجَى وَنَطْمَعُ

وكان هشام استعمل الوليد بن القعقاع على قنسرين وعبد الملك بن القعقاع

على حمص فضرب الوليد بن القعقاع ابن هبيرة مائة سوط فلما قام الوليد هرب

بنو القعقاع منه فعاذوا بتبزيز بن عبد الملك فبعث إليهم فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن

هبيرة وكان على قنسرين فعذبهم فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع

ورجلان معهما من آل القعقاع واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع

واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله فأتت اليمانية يزيد بن الوليد فأرادوه على البيعة فشاور

عمرو بن يزيد الحكمي فقال لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس

ابن الوليد فانه سيد بني مروان فان بايعك لم يخالفك أحد وإن أبي كان

الناس له أطوع فان أبيت إلا المضي على رأيك فأظهر أن العباس قد بايعك

وكانت الشام تلك الأيام وية فخرجوا إلى البوادي وكان يزيد بن الوليد متبدياً

وكان العباس بالقسطل بينهما أميال يسيرة ❦ فحدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي

قال أتى يزيد أخاه العباس فأخبره وشاوره وعاب الوليد فقال له العباس مهلا

يا يزيد فان في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا فرجع يزيد إلى منزله ودب في الناس

فبايعوه سرّاً ودسّ الأحنف الكلبي ويزيد بن عنبسة السكسكي وقوما من ثقافته

من وجوه الناس وأشرافهم فدعوا الناس سرا ثم عاود أخاه العباس ومعه قطن

مولاهم فشاوره في ذلك وأخبره أن قوما يأتونه يريدونه على البيعة فزبره العباس

وقال إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقاً ولا حملك إلى أمير المؤمنين فخرج

يزيد وقطن فأرسل العباس إلى قطن فقال ويحك يا قطن أترى يزيد جاداً قال

جعلت فداك ما أظن ذاك ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني

الوليد وما يسمع من الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونه ما قد ضاق به ذرعاً

قال أم والله إنى لآظنته أشأم سخله فى بنى مروان ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشدت يزيد وثاقا وحملته اليه فازجره عن أمره فانه يسمع اليك فقال يزيد لقطن ما قال لك العباس حين رآك فأخبره فقال له والله لا أكف وبلغ معاوية بن عمرو بن عتبة خوض الناس فأتى الوليد فقال يا أمير المؤمنين إنك تبسط لسانى بالأنس بك وأكفه بالهيبه لك وأنا أسمع ما لا تسمع وأخاف عليك ما أراك تأمن أفأنكلم ناصحا أو أسكت مطيعا قال كل مقبول منك والله فينا علم غيب نحن صائرون اليه ولو علم بنو مروان أنهم إنما يوقدون على رخص يلقونه فى أجوافهم ما فعلوا وتفرّدوا ونسمع منك وبلغ مروان بن محمد بأرمينية أن يزيد يؤلب الناس ويدعو إلى خلع الوليد وكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس ويكفهم وكان سعيد يتأله أن الله جعل لكل أهل بيت أركانا يعتمدون عليها ويتقون بها المخاوف وأنت بحمد ربك ركن من أركان أهل بيتك وقد بلغت أن قوما من سفهاء أهل بيتك قد استنوا أمرا إن تمت لهم رويتهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم استفتحوا بابا لن يغلقه الله عنهم حتى يسفك دماء كثيرة منهم وأنا مشغل بأعظم ثغور المسلمين فرجأ ولو جمعتنى وإياهم لرمت فساد أمرهم بيدى ولسانى ولخفت الله فى ترك ذلك لعلنى ما فى عواقب الفرقه من فساد الدين والدنيا وإنه لن ينتقل سلطان قوم قط إلا فى تشيت كلمتهم وإن كلمتهم إذا تشويشت طمع فيهم عدوهم وأنت أقرب اليهم منى فاحتل لعلم ذلك بإظهار المتابعة لهم فإذا صرت إلى علم ذلك فتهددهم بإظهار أسرارهم وخدعهم بلسانك وخوفهم العواقب لعل الله أن يرد اليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم فان فيما سعوا فيه تغيير النعم وذهاب الدولة فعاجل الأمر وجبل الالفه مشدود والناس سكون والثغور محفوظة فان للجماعة دولة من الفرقه والسعة دافعا من الفقر والعدد منتقضا ودول الليالى مختلفه على أهل الدنيا والتقلب مع الزيادة والنقصان وقد امتدت بنا أهل البيت متابعات من النعم قد يعنى بها جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها وبحسد ابليس

خرج آدم من الجنة وقد أمل القوم في الفتنة أملا لعل أنفسهم تهلك دون ما أملوا ولكل أهل بيت مشائيم يغير الله النعمة بهم فاعاذك الله من ذلك واجعلني من أمرهم على علم حفظ الله لك دينك وأخرجك مما أدخلك فيه وغلب لك نفسك على رشدك فأعظم سعيد ذلك وبعث بكتابه إلى العباس فدعا العباس يزيد فعذله وتهدده فحذره يزيد وقال يا أخى أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدونا أراد أن يُغري بيننا وحلف له أنه لم يفعل فصدقه ❀ شتى أحمد قال حدثنا علي قال قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك دخل أبى بشر بن الوليد على عمى العباس فكلمه في خلع الوليد وبيعة يزيد فكان العباس ينهاه وأبى يراده فكنت أفرح وأقول في نفسى أرى أبى يجترئ أن يكلم عمى ويرد عليه قوله وكنت أرى أن الصواب فيما يقول أبى وكان الصواب فيما يقول عمى فقال العباس يا بنى مروان إني أظن الله قد أذن في هلاككم وتمثل قائلا

إني أَعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنٍ مِثْلِ الْجِبَالِ تَسَامَى ثُمَّ تَنْدَفِعُ
إِنَّ الْبَرِيَّةَ قَدْ مَلَّتْ سِيَاسَتَكُمْ فَاسْتَمْسِكُوا بِعَمُودِ الدِّينِ وَارْتَدَّعُوا
لَا تَلْحِمَنَّ ذُنُوبَ النَّاسِ أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الذَّنَابَ إِذَا مَا الْحِمْفَ رَتَّعُوا
لَا تَبْقَرَنَّ بِأَيْدِيكُمْ بُطُونَكُمْ فَتَمَّ لَاحِسَةٌ تُغْنِي وَلَا بَجَزَعُ

قال فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبذّر أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال متكرراً في سبعة نفر على حمير فزلوا بجرود على مرحلة من دمشق فرمى يزيد بنفسه فنام وقال القوم لمولى لعباد بن زياد أمانك طعام فاشتره قال أما ليبيع فلا ولكن عندي قراكم وما يسمعكم فأتاهم بدجاج وفراخ وعسل وسمن وشوايرز فطعموا ثم سار فدخل دمشق ليلاً وقد بايع يزيد أكثر أهل دمشق سراً وبايع أهل المزة غير معاوية بن مصاد الكلبي وهو سيد أهل المزة فمضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مصاد ماشياً في نفر من أصحابه وبين دمشق وبين المزة ميل أو أكثر فأصابهم مطر شديد فأتوا منزل معاوية بن مصاد ففرضوا بابه ففتح لهم فدخل فقال ليزيد الفراش أصلحك الله قال إن في رجل طينا وأكره

أن أفسد بساطك فقال الذي تريدنا عليه أفسدُ فكلّمه يزيد فبايعه معاوية ويقال هشام بن مصاد ورجع يزيد الى دمشق فأخذ طريق القناة وهو على حمار أسود فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخثني وخرج الوليد بن روح وحلف لا يدخل دمشق الا في السلاح فلبس سلاحه وكفر عليه الثياب وأخذ طريق الثيرب وهو على فرس أبلق حتى وافى يزيد وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء فخرج فنزل قطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي فأجمع يزيد على الظهور فقيل للعامل إن يزيد خارج فلم يصدق وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة سنة ١٢٦ فكنوا عند باب الفراديس حتى أذنوا العتمة فدخلوا المسجد فصلوا وللمسجد حرس قد وكلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل فلما صلى الناس صاح بهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأعلمه وأخذيده وقال قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وهونه فقام وقال اللهم إن كان هذا لك رضى فأعني عليه وسددني له وإن كان غير ذلك فاصرفه عني بموت وأقبل في اثني عشر رجلاً فلما كان عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم فلما كانوا عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل من أصحابهم فمضوا إلى المسجد فدخلوه فأخذوا باب المقصورة فضربوه وقالوا رسل الوليد ففتح لهم الباب خادماً فأخذوه ودخلوا وأخذوا أبا العاج وهو سكران وأخذوا خزان بيت المال وصاحب البريد وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذ وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سعيد ابن العاص وهو على بعلبك فأخذه وأرسل من ليلته إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج ابن يوسف فأخذه ووجه إلى الثنية إلى أصحابه ليأتوه وقال للباوين لا تفتحوا الباب غدوة إلا لمن أخبركم شعارنا فتركوا الأبواب بالسلاسل وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ولم تكن الخزان قبضوه فأصابوا سلاحاً

كثيراً فلما أصبحوا جاء أهل المزة وابن عصام فما انتصف النهار حتى تباع الناس ويزيد يتمثل

إذا استنزلوا عنهم للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

فجعل أصحاب يزيد يتعجبون ويقولون انظروا إلى هذا هو قبيل الصبح يسبح وهو الآن يلشد الشعر ❦ مرثني أحمد بن زهير قال حدثنا علي قال حدثنا عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني رزين بن ماجد قال غدونا مع عبدالرحمن بن مصاد ونحن زهاء ألف وخمسمائة فلما انتهينا إلى باب الجابية ووجدناه مغلقا ووجدنا عليه رسولا للوليد فقال ماهذه الهيئة وهذه العدة أم والله لأعلن أمير المؤمنين فقتله رجل من أهل المزة فدخلنا من باب الجابية ثم أخذنا في زقاق الكليين فضاق عنا فأخذنا من سوق القمح ثم اجتمعنا على باب المسجد فدخلنا على يزيد فافزع آخرنا من التسليم عليه حتى جاءت السكاسك في نحو ثلثمائة فدخلوا من باب الشرقي حتى أتوا المسجد فدخلوا من باب الدراج ثم أقبل يعقوب بن عمير بن هانئ العبسي في أهل داريا فدخلوا من باب دمشق الصغير وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دومة وحرستا فدخلوا من باب توما وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في أهل ديرا المران والأرزة وسطرا فدخلوا من باب الفراديس وأقبل النضر بن عمر الجرشي في أهل جرش وأهل الحديثة وديرزكا فدخلوا من باب الشرقي وأقبل ربيع بن هاشم الحارثي في الجماعة من بني عذرة وسلامان فدخلوا من باب توما ودخلت جهينة ومن والاهم مع طلحة بن سعيد فقال بعض شعرائهم

جاءتهم أنصارهم حين أصبحوا	سكاسكها أهل البيوت الصناديد
وكلب فجاؤهم بخيل وعدة	من البيض والابدان ثم السواعد
فاكرمهم أحياء أنصار سنه	ثم منعوا حرمانها كل جاحد
وجاءتهم شعبان والأزد شرعا	وعبس ولحم بين حاي وذائد
وغسان والحيان قيس وتغلب	وأحجم عنها كل وإن وزاهد
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها	قد استوثقوا من كل عات وما ريد

❦ مثنى أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني
 قُسيم بن يعقوب ورزين بن ماجد وغيرهما قالوا وجه يزيد بن الوليد عبد الرحمن
 ابن مصاد في مائتي فارس أو نحوهم إلى قطن ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج
 ابن يوسف وقد تحصن في قصره فأعطاه الأمان فخرج إليه فدخلنا القصر فأصبنا
 فيه خرَجين في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار قال فلما انتهينا إلى المِزّة قلت
 لعبد الرحمن بن مصاد اصرف أحدهذين الخرجين إلى منزلك أو كليهما فإنك لا تصيب
 من يزيد مثلهما أبدا فقال لقد عجّلتُ إذا بالخيانة لا والله لا يتحدث العرب أني أول
 من خان في هذا الأمر فضي به إلى يزيد بن الوليد وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز
 ابن الحجاج بن عبد الملك فأمره فوقف بباب الجاية وقال من كان له عطاء فليأت
 إلى عطائه ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة وقال لبني الوليد بن عبد الملك
 ومعه منهم ثلاثة عشر تفرقوا في الناس يرونكم وحضوهم وقال للوليد بن روح
 ابن الوليد انزل الراهب ففعل ❦ ومثنى أحمد عن علي عن عمرو بن مروان
 الكلبي قال حدثني دكين بن الشماخ الكلبي وأبو علاقة بن صالح السلامي أن
 يزيد بن الوليد نادى بأمره مناد من ينتدب إلى الفاسق وله ألف درهم فاجتمع
 إليه أقل من ألف رجل فأمر رجلا فنادى من ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخسمائة
 فانتدب إليه يومئذ ألف وخسمائة فعقد منصور بن جمهور على طائفة وعقد يعقوب
 ابن عبد الرحمن بن سليم الكلبي على طائفة أخرى وعقد لهرم بن عبد الله بن دحية
 على طائفة أخرى وعقد لحميد بن حبيب اللخمي على طائفة أخرى وعليهم جميعاً
 عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فخرج عبد العزيز لمسكر بالحيرة ❦ ومثنى
 أحمد بن زهير قال حدثنا علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني يعقوب
 ابن إبراهيم بن الوليد أن مولى للوليد لما خرج يزيد بن الوليد خرج على فرس
 له فأتى الوليد من يومه فنفق فرسه حين بلغه فاخبر الوليد الخبر فضربه مائة سوط
 وحبسه ثم دعا أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه ووجهه إلى دمشق
 فخرج أبو محمد فلما انتهى إلى ذنبه أقام فوجه يزيد بن الوليد إليه عبد الرحمن بن

مصاد فسأله أبو محمد وبائع ليزيد بن الوليد وآن الوليد الخبر وهو بالاعنف والاعنف من عمان فقال بييس بن زميل الكلبي ويقال قاله يزيد بن خالد ابن يزيد بن معاوية بأمر المؤمنين سرحتي تنزل حصص فانها حصينة ووجه الجنود إلى يزيد فيقتل أو يؤسر فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونسائه قبل أن يقاتل ويعذر والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره فقال يزيد بن خالد وماذا يخاف على حرمة وإنما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمهم فأخذ بقول ابن عنبسة فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي يا أمير المؤمنين تدمر حصينه وبها قومي يمنعونك فقال ما أرى أن تأتي تدمر وأهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا على ولكن دلتني على منزل حصين فقال أرى أن تنزل القرية قال أكرهها قال فهذا الهزيم قال أكره اسمه قال فهذا البخراء قصر النعمان بن بشير قال ويحك ما أقبح أسماء مياهمكم فأقبل في طريق السماوة وترك الريف وهو في مائتين فقال

إذا لم يكن خيراً مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
إذا ما هم قهروا بإحدى هاتئيم حسرت لهم رأسي فلا اتقنع

فر بشبكة الضحاك بن قيس الفهري وفيها من ولده وولد ولده أربعون رجلاً فساروا معه وقالوا إنا ن عزل فلو أمرت لنا بسلاح فإعطاهم سيفاً ولا رمحاً فقال له بييس بن زميل أما إذ أبيت أن تمضي إلى حصص وتدمر فهذا الحصن البخراء فإنه حصين وهو من بناء العجم فأنزله قال إني أخاف الطاعون قال الذي يراد بك أشد من الطاعون فنزل حصن البخراء قال فندب يزيد بن الوليد الناس إلى الوليد مع عبد العزيز ونادى مناديه من سار معه فله ألفان فانتدب ألفاً رجلاً فأعطاهم ألفين ألفين وقال موعدكم بذنبه فوافي بذنبه ألف ومائتان وقال موعدكم مصنعة بن عبد العزيز بن الوليد بالبرية فوافاه ثمانمائة فسار فتلقاهم ثقل الوليد فأخذوه ونزلوا قريباً من الوليد فأتاه رسول العباس بن الوليد إني آتيك فقال الوليد أخرجوا سريراً فأخرجوا سريراً جلس عليه وقال أعلّ توثب الرجال

وأنا أُتْبِ على الأسد وانخصر الأفاعي وهم ينتظرون العباس فقاتلهم عبد العزيز
وعلى الميمنة عمرو بن حوى السكسكى وعلى المقدمة منصور بن جمهور وعلى
الرجالة عمارة بن بن أبي كلثم الأزدي ودعا عبد العزيز ببغل له أدهم فركبه
وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه فقتله قطري
مولى الوليد فانكشف أصحاب يزيد فترجل عبد العزيز فسكر أصحابه وقد قتل
من أصحابه عدة وحملت رؤسهم إلى الوليد وهو على باب حصن البخراء قد أخرج
لواء مروان بن الحكم الذي كان عقده بالجابية وقتل من أصحاب الوليد بن يزيد
عثمان الحشبي قتله جناح بن نعيم الكلبي وكان من أولاد الحشبية الذين كانوا مع
المختار وبلغ عبد العزيز مسير العباس بن الوليد فأرسل منصور بن جمهور في خيل
وقال انكم تلقون العباس في الشعب ومعه بنوه فخذوهم فخرج منصور في الخيل
فلما صاروا بالشعب اذا هم بالعباس في ثلاثين من بنيهم فقالوا له أعدل إلى عبد العزيز
فشتمهم فقال له منصور والله لئن تقدمت لأنفذن حصينك يعني درعك وقال
نوح بن عمرو بن حوى السكسكى الذي لقي العباس بن الوليد يعقوب بن عبد الرحمن
ابن سليم الكلبي فعدل به إلى عبد العزيز فأبى عليه فقال له يا ابن قسطنطين لئن
أبيت لأضربن الذي فيه عيناك فظفر العباس إلى هريم بن عبد الله بن دحية فقال
من هذا قال يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم قال أم والله ان كان لبغيضا إلى
أبيه أن يقف ابنه هذا الموقف وعدل به إلى عسكر عبد العزيز ولم يكن مع العباس
أصحابه كان تقدمهم مع بنيهم فقال إنا لله فأتوا به عبد العزيز فقال له بايع لأخيك
يزيد بن الوليد فبايع ووقف ونصبوا راية وقالوا هذه راية العباس بن الوليد وقد
بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد فقال العباس إنا لله خذعة من خدع الشيطان
هلك بنو مروان ففرق الناس عن الوليد فأتوا العباس وعبد العزيز وظاهر الوليد
بين درعين وأتوه بفرسيه السندی والزائد فقاتلهم قتالا شديدا فناداهم رجل
اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط ارموه بالحجارة فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق
الباب وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر فدنا الوليد من الباب فقال أما فيكم

رجل شريف له حسب وحياء أكله فقال له يزيد بن عنبسة السكسكى كلنى قال له من أنت قال أنا يزيد بن عنبسة قال يا أخا السكاسك ألم أزد فى أعطياتكم ألم أرفع المؤمن عنكم ألم أعطى فقراءكم ألم أخدم زمناً كم فقال انا ما ننقم عليك فى أنفسنا ولكن ننقم عليك فى انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أهلك واستخفافك بأمر الله قال حسبك يا أخا السكاسك فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وان فيما أحل لى لسعة عما ذكرت ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً وقال يومئذ يوم عثمان ونشر المصحف يقرأ فعلوا الحائط فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة السكسكى فنزل إليه وسيف الوليد إلى جنبه فقال له يزيد نح سيفك فقال له الوليد لو أردت السيف لكنت لى ولك حالة غير هذه فأخذ بيد الوليد وهو يريد ان يحبسه ويؤامر فيه فنزل من الحائط عشرة منصور بن جمهور وحبال بن عمرو الكلبي وعبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد ابن عبد الملك وحيد بن نصر اللخمي والسري بن زياد بن أبي كبشة وعبد السلام اللخمي فضربه عبد السلام على رأسه وضربه السري على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه فصاحت امرأة كانت معه فى الدار فكفوا عنه ولم يخرجوه واحتز أبو علاقة القضاعى رأسه فأخذ عقباً نخطا الضربة التى فى وجهه وقدم بالرأس على يزيد روى بن مقبل وقال أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد وأسر من كان معه والعباس ويزيد يتغدى فسجد ومن كان معه وقام يزيد بن عنبسة السكسكى وأخذ بيد يزيد وقال قم يا أمير المؤمنين رابشر بنصر الله فاختلج يزيد يده من كفه وقال اللهم ان كان هذا لك رضا فسدنى وقال ليزيد بن عنبسة هل كلمكم الوليد قال نعم كلنى من وراء الباب وقال أما فيكم ذو حسب فأكله فكلتمه ووبخته فقال حسبك فقد لعمري أغرقت وأكثرت أم والله لا يرتقى فتقكم ولا يلم شمشكم ولا تجتمع كلمتكم ❀ مشنى أحمد عن على عن عمرو بن مروان الكلبي قال قال نوح بن عمرو بن حوى السكسكى خرجنا إلى قتال الوليد فى ليال ليس فيها قمر فان كنت لأرى الحصى فأعرف أسوده من

أيضه قال وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليد بن خالد بن أخى الأبرش الكلبي في بني عامر وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز فلم يقاتل ميسرة الوليد ميمنة عبد العزيز ومالوا جميعا إلى عبد العزيز بن الحجاج قال وقال نوح بن عمرو رأيت خدام الوليد ابن يزيد وحشمه يوم قتل يأخذون بأيدي الرجال فيدخلونهم عليه ❦ ثم أتى أحمد عن علي بن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني المشني بن معاوية قال أقبل الوليد فزل اللؤلؤة وأمر ابنه الحكم والمؤمل بن العباس أن يفرضا لمن أتاهما ستين دينارا في العطاء فأقبلت أنا وابن عمي سليمان بن محمد بن عبد الله إلى عسكر الوليد فقررني المؤمل وأدنانى وقال أدخلك على أمير المؤمنين وأكله حتى يفرض لك في مائة دينار قال المشني فخرج الوليد من اللؤلؤة فزل المليك فأتاه رسول عمرو ابن قيس من حمص يخبره أن عمرا قد وجه إليه خمسمائة فارس عليهم عبد الرحمن ابن أبي الجنوب البهراني فدعا الوليد الضحاك بن أيمن من بني عوف بن كلب فأمره أن يأتي ابن أبي الجنوب وهو بالغوير فيستعجله ثم يأتي الوليد بالمليكة فلما أصبح أمر الناس بالرحيل وخرج على بردون كيت عليه قباء خز وعمامة خز محزما بريطة رقيقة قد طواها وعلى كتفيه ربطة صفراء فوق السيف فلقه بنو سليم بن كيسان في ستة عشر فارسا ثم سار قليلا فلتقاه بنو النعمان بن بشير في فوارس ثم أتاه الوليد ابن أخى الأبرش في بني عامر من كلب فحمله الوليد وكساه وسار الوليد على الطريق ثم عدل في تلة يقال لها المشبهة فلقه ابن أبي الجنوب في أهل حمص ثم أتى البخراء فضج أهل العسكر وقالوا ليس معنا علف لدوابنا فأمر رجلا فتأدى إن أمير المؤمنين قد اشترى زروع القرية فقالوا ما نصنع بالقصيل تضعف عليه دوابنا وإنما أرادوا الدراهم قال المشني أتيت الوليد فدخلت من مؤخر القسطنطين فدعا بالغداء فلما وضع بين يديه أتاه رسول أم كلثوم بنت عبد الله بن يزيد بن عبد الملك يقال له عمرو بن مرة فأخبره أن عبد العزيز بن الحجاج قد نزل اللؤلؤة فلم يلتفت إليه وأتاه خالد بن عثمان الخراش وكان على شرطه برجل من بني حارثة بن جناب فقال له إن كنت بدمشق مع عبد العزيز وقد أتيتك بالخبر وهذه ألف وخمسمائة

قد أخذتها وحل هميانا من وسطه وأراه وقد نزل اللؤلؤة وهو غاد منها إليك فلم يجبه والتفت إلى رجل إلى جنبه وكلبه بكلام لم أسمه فسألت بعض من كان بيني وبينه عما قال فقال سأله عن النهر الذي حفره بالاردن كم بقي منه وأقبل عبد العزيز من اللؤلؤة فأتى الملكية فحازها ووجه منصور بن جمهور فأخذ شرقي القرى وهو تل مشرف في أرض ملساء على طريق نهبيا إلى البخراء وكان العباس بن الوليد تهباً في نحو من خمسين ومائة من مواليه وولده فبعث العباس رجلاً من بني ناجية يقال له حبيش إلى الوليد يخبره بين أن يأتيه فيكون معه أو يسير إلى يزيد بن الوليد فاتهم الوليد العباس فأرسل إليه يأمره أن يأتيه فيكون معه فلقى منصور ابن جمهور الرسول فسأله عن الأمر فأخبره فقال له منصور قل له والله لن الرحلت من موضعك قبل طلوع الفجر لاقتلك ومن معك فإذا أصبح فليأخذ حيث أحب فأقام العباس يتهباً فلما كان في السحر سمعنا تكبير أصحاب عبد العزيز قد أقبلوا إلى البخراء فخرج خالد بن عثمان المخراش فعباً الناس فلم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس وكان مع أصحاب يزيد بن الوليد كتاب معلق في رحل فيه إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يصير الأمر شورى فاقتلوا فقتل عثمان الخشبي وقتل من أصحاب الوليد زهاء ستين رجلاً وأقبل منصور بن جمهور على طريق نهبيا فأتى عسكر الوليد من خلفهم فأقبل إلى الوليد وهو في فسطاطه ليس بينه وبين منصور أحد فلما رأيته خرجت أنا وعاصم بن هبيرة المعافري خليفة المخراش فأنكشف أصحاب عبد العزيز ونكص أصحاب منصور وصرع سمي بن المغيرة وقتل وعدل منصور إلى عبد العزيز وكان الأبرش على فرس له يدعى الأديم عليه قلنسوة ذات أذنين قد شدها تحت لحيته فجعل يصيح بأبن أخيه يا ابن اللخناء قدّم رايك فقال له لا أجد متقدماً إنها بنو عامر وأقبل العباس بن الوليد ففزع أصحاب عبد العزيز وشد مولى لسليمان بن عبد الله بن دحية يقال له التركي على الحارث ابن العباس بن الوليد فطعنه طعنة أرداه عن فرسه فعدل العباس إلى عبد العزيز فأسقط في أيدي أصحاب الوليد وانكسروا فبعث الوليد بن يزيد الوليد بن خالد

إلى عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيه خمسين ألف دينار ويجعل له ولاية حمص
ما تبقى ويؤمنه على كل حَدَث على أن ينصرف ويكف فأبى ولم يحبه فقال له الوليد
ارجع إليّ فعاوذه أيضا فأناه الوليد فلم يحبه إلى شيء فانصرف الوليد حتى إذا
كان غير بعيد عطف دابته فدنا من عبد العزيز فقال له أتجعل لي خمسة آلاف
دينار والأبرش مثلها وأن أكون كأخص رجل من قومي منزلة وآتيك
فأدخل معك فيما دخلت فيه فقال له عبد العزيز على أن تحمل الساعة على أصحاب
الوليد ففعل وكان على ميمنة الوليد معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن خالد فقال
لعبد العزيز أتجعل لي عشرين ألف دينار وولاية الأردن والشركة في
الأمر على أن أصير معكم قال على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك ففعل
فانهزم أصحاب الوليد وقام الوليد فدخل البخراء وأقبل عبد العزيز فوقف على
الباب وعليه سلسلة فجعل الرجل بعد الرجل يدخل من تحت السلسلة وأتى
عبد العزيز عبد السلام بن بكير بن شماس اللخمي فقال له إنه يقول أخرج على
حكمك قال فليخرج فلما ولي قيل له ما تصنع بخروجه دعه يكفيكم الناس فدعا عبد السلام
فقال لا حاجة لي فيما عرض عليّ فنظرت إلى شاب طويل على فرس فدنا من حائط
القصر فملاه ثم صار إلى داخل القصر قال فدخلت القصر فإذا الوليد قائم في قميص
قصب وسراويل وشي ومعه سيف في غمد والناس يشتمونه فأقبل إليه بشر بن
شيبان مولى كنانة بن عمير وهو الذي دخل من الحائط فمضى الوليد يريد الباب
أظنه أراد أن يأتي عبد العزيز وعبد السلام عن يمينه ورسول عمرو بن قيس عن
يساره فضربه على رأسه وتعاوره الناس بأسيا فمهم فقتل فطرح عبد السلام نفسه
عليه يحمز رأسه وكان يزيد بن الوليد قد جعل في رأس الوليد مائة ألف وأقبل
أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسريّ فسلخ من جلد الوليد قدر الكف فأتى
بها يزيد بن خالد بن عبد الله وكان محبوساً في عسكر الوليد فانتهب الناس عسكر
الوليد وخزائنه وأتاني يزيد العلّمي أبو البطريق بن يزيد وكانت ابنته عند الحكم
ابن الوليد فقال امنع لي متاع ابنتي فواصل أحد إلى شيء زعم أنه له قال أحمد قال

على قال عمرو بن مروان الكلبي لما قتل الوليد قطعت كفه اليسرى فُبُعْثَ بها إلى يزيد بن الوليد فسبقت الرأس قدم بها ليلة الجمعة وأتى برأسه من الغد فنصبه للناس بعد الصلاة وكان أهل دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز فلما أتاهم رأس الوليد سكتوا وكفوا قال وأمر يزيد بنصب الرأس فقال له يزيد بن فروة مولى بني مروان إنما تنصب رؤس الخوارج وهذا ابن عمك وخليفة ولا آمن إن نصبته أن ترق له قلوب الناس ويغضب له أهل بيته فقال والله لا نصبه فنصبه على رمح ثم قال له انطلق به فطُفَ به في مدينة دمشق وأدخله دار أبيه ففعل فصاح الناس وأهل الدار ثم رده إلى يزيد فقال انطلق به إلى منزلك فكث عنده قريباً من شهر ثم قال له ادفعه إلى أخيه سليمان وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه فغسل ابن فروة الرأس ووضعها في سفط وأتى به سليمان فنظر إليه سليمان فقال بعد آله أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً ولقد أرادني على نفسي الفاسق فخرج ابن فروة من الدار فتلقت مولاة للوليد فقال له ويحك ما أشد ما شتمه زعم أنه أراد على نفسه فقالت كذب والله الحديث ما فعل ولئن كان أراد على نفسه لقد فعل وما كان ليقدر على الامتناع منه ❀ ومثني أحمد عن علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني يزيد بن مصاد عن عبد الرحمن بن مصاد قال بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفياي وكان الوليد وجهه حين بلغه خبر يزيد والياً على دمشق وأتى دَنَبَهُ وبلغ يزيد خبره فوجهني إليه فأتيته فسالم وبائع ليزيد قال فلم نرم حتى رُفِعَ لنا شخص مُقْبِلٌ من ناحية البرية فبعث إليه فأتيته به فاذا هو الغزير أبو كامل المغني على بغلة للوليد تدعى مريم فأخبرنا أن الوليد قد قتل فانصرفت إلى يزيد فوجدت الخبر قد أتاه قبل أن آتيه ❀ ومثني أحمد عن علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني دُكَيْنُ بن شَمَاح الكلبي ثم العامري قال رأيت بشر بن هلباء العامري يوم قتل الوليد ضرب باب البخراء بالسيف وهو يقول: سَبَكِي خَالِدًا بِمُهَنْدَاتٍ وَلَا تَذَهَبْ صَنَائِعُهُ ضَلَالًا ❀ ومثني أحمد عن علي عن أبي عاصم الزبادي قال ادعى قتل الوليد عشرة وقال إنني رأيت جلدة رأس الوليد في يد وجه الفليس فقال أنا قتلته وأخذت هذه

الجلدة وجاء رجل فاحتز رأسه وبقيت هذه الجلدة في يدي واسم وجه الفلاس عبد الرحمن قال وقال الحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبد الملك قدم برأس الوليد على يزيد منصور بن جمهور في عشرة فيهم روح بن مقبل فقال روح يا أمير المؤمنين أبشر بقتل الفاسق وأسر العباس وكان فيمن قدم بالرأس عبد الرحمن وجه الفلاس وبشر مولى كنانة من كلب فأعطى يزيد كل رجل منهم عشرة آلاف قال وقال الوليد يوم قتل وهو يقاتلهم من جاء برأس فله خمسمائة فجاء قوم بأرؤس فقال الوليد اكتبوا أسماءهم فقال رجل من مواليه ممن جاء برأس يا أمير المؤمنين ليس هذا بيوم يُعمل فيه بنفسه قال وكان مع الوليد مالك بن أبي السمح المغنّي وعمرو الوادي فلما تفرق عن الوليد أصحابه وحضر قال مالك لعمر بن عبد الله فقال عمرو ليس هذا من الوفاء ونحن لا نُعرض لنا لأننا لسنا ممن يقاتل فقال مالك ويلك والله لن ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلي وقبلك فيوضع رأسه بين رأسينا ويقال للناس انظروا من كان معه في هذه الحال فلا يعيونه بشيء أشد من هذا فهربا وقتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ كذلك قال أبو معشر حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال هشام ابن محمد ومحمد بن عمر الواقدي وعلي بن محمد المدائني واختلفوا في قدر المدة التي كان فيها خليفة فقال أبو معشر كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وقال هشام بن محمد كانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما واختلفوا أيضاً في مبلغ سنة يوم قتل فقال هشام بن محمد الكلبي قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقال محمد بن عمر قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة وقال بعضهم قتل وهو ابن اثنين وأربعين سنة وقال آخرون وهو ابن إحدى وأربعين سنة وقال آخرون ابن خمس وأربعين سنة وقال بعضهم وهو ابن ست وأربعين سنة وكان يكنى أبا العباس وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي وكان شديد البطش طويل أصابع الرجلين كان يوتد له سكة حديد فيها خيط ويشد الخيط في رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة ويركب ما يمش

الدابة بيده وكان شاعرا شر وباللخمر ❀ مثنى أحمد قال حدثنا علي عن ابن أبي الزناد قال قال أبي كنت عند هشام وعند الزهري فذكر الوليد فتنقصاه وعاباه عيبا شديدا ولم أعرض في شيء مما كانا فيه فاستأذن الوليد فأذن له وأنا أعرف الغضب في وجهه فجلس قليلا ثم قام فلما مات هشام كتب في "نُحْمِلَتْ" إليه فرحب بي وقال كيف حالك يا ابن ذكوان والطف المسئلة بي ثم قال أتذكر يوم الأحوال وعنده الفاسق الزهري وهما يعيباني قلت أذكر ذلك فلم أعرض في شيء مما كانا فيه قال صدقت رأيت الغلام الذي كان قائما على رأس هشام قلت نعم قال فإنه نمي إلى ما قالوا وإيم الله لو بقي الفاسق يعني الزهري لقتلته قلت قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت ثم قال يا ابن ذكوان ذهب الأحوال بعمرى فقلت بل يطيل الله لك عمرك يا أمير المؤمنين ويمتدح الأمة ببقائك فدعا بالعشاء فتعشينا وجاءت المغرب فصلينا وتحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس وقال اسقني جأوا بإناء مغطى وجاء ثلاث جوار فصفقن بين يديه بيني وبينه ثم شرب وذهبن فتحدثنا واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولا قال فما زال على ذلك يتحدث ويستسقى ويصنعن مثل ذلك حتى طلع الفجر فأحصيت له سبعين قدحا (وفي هذه السنة) قتل خالد بن عبد الله القسري

ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك

قد تقدم ذكرنا الخبر عن عزل هشام إياه عن عمله وولايته العراق وخراسان واستعماله على العراق يوسف بن عمر وكان فيما ذكر عمل لهشام على ذلك خمس عشرة سنة غير أشهر وذلك أنه فيما قيل ولي العراق لهشام سنة ١٠٥ وعزل عنها في جمادى الأولى سنة ١٢٠ ولما عزله هشام وقدم عليه يوسف واسطا أخذه وحبسه بها ثم شخص يوسف بن عمر إلى الحيرة فلم يزل محبوسا بالحيرة تمام ثمانية عشر شهرا مع أخيه إسماعيل بن عبد الله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر ابن أسد بن عبد الله واستأذن يوسف هشاما في إطلاق يده عليه وتعذيبه فلم يأذن له حتى أكثر عليه واعتل عليه بانكسار الخراج وذهاب الأموال فأذن له

مرة واحدة وبعث حرسياً يشهد ذلك وحلف لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقتله فدعاه يوسف فجلس على دكان بالخيرة وحضر الناس وبسط عليه فلم يكلمه واحدة حتى شتمه يوسف فقال يا ابن الكاهن يعني شق بن صعب الكاهن فقال له خالد إنك لاحق تعيرني بشرفي ولكنك يا ابن السباء إنما كان أبوك سباء خمر يعني يبيع الخمر ثم رده إلى حبسه ثم كتب إليه هشام يأمره بتخليه سبيله في شوال سنة ١٢١ فنزل خالد في قصر إسماعيل بن عبد الله بدور ان خلف جسر الكوفة وخرج يزيد بن خالد وحده فأخذ على بلاد طيء حتى ورد دمشق وخرج خالد ومعه إسماعيل والوليد قد جهزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وبعث بالأنقال إلى قصر بني مقاتل وكان يوسف قد بعث خيلاً فأخذت الزاد والأنقال والإبل وموالي لخالد كانوا فيها فضرب وباع ما أخذ لهم ورد بعض الموالى إلى الرق فقدم خالد قصر بني مقاتل وقد أخذ كل شيء لهم فسار إلى هيت ثم تحمّلوا إلى القرية وهي بإزاء باب الرصافة فأقام بها بقية شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم وصفر لا يأذن لهم هشام في القدوم عليه والابرش يكتب خالداً وخرج زيد بن علي فقتل فالهيم بن عدى فيما ذكر عنه وكتب يوسف إلى هشام إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت عياله فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقروا بها حتى تآقت أنفسهم إلى طلب الخلافة وما خرج زيد إلا عن رأي خالد والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدرجة العراق يستنشي أخبارها فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب ثم قال للحكم بن حزن القيني وكان على الوفد وقد أمره يوسف بتصديق ما كتب به ففعل فقال له هشام كذبت وكذب من أرسلك ومهما اتهمنا خالداً فلسنا نتهمه في طاعة وأمر به فوجئت عنقه وبلغ الخبر خالداً فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عياض القسري وكان متحاملاً على خالد فلما أدربوا ظهر في دور دمشق حريق كل ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرس

وأصحاب له فاذا وقع الحريق أغاروا يسرقون وكان إسماعيل بن عبدالله والمنذر ابن أسد بن عبدالله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم فكتب كلثوم إلى هشام يذكّر الحريق ويخبره أنه لم يكن قط وأنه عمل موالى خالد يريدون الوثوب على بيت المال فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد الصغير منهم والكبير ومواليهم والنساء فأخذ إسماعيل والمنذر ومحمد وسعيد من الساحل فقدم بهم في الجوامع ومن كان معهم من مواليهم وحبس أم جرير بنت خالد والرائقة وجميع النساء والصبيان ثم ظهر على أبي العمرس فأخذ ومن كان معه فكتب الوليد بن عبدالرحمن عامل خراج دمشق إلى هشام يخبره بأخذ أبي العمرس ومن كان معه سمام رجلا رجلا ونسبهم إلى قبائلهم وأمصارهم ولم يذكّر فيهم أحد من موالى خالد فكتب هشام إلى كلثوم يشتمه ويعنفه ويأمره بتخلية سبيل جميع من حبس منهم فأرسلهم جميعا واحتبس الموالى رجاء أن يكلمه فيهم خالد إذا قدم من الصائفة فلما أقبل الناس وخرجوا عن الدرب بلغ خالد حبس أهله ولم يبلغه تخليتهم فدخل يزيد بن خالد في غمار الناس حتى أتى حصص وأقبل خالد حتى نزل منزله من دمشق فلما أصبح أتاه الناس فبعث إلى ابنتيه زينب وعاتكة فقال إني قد كبرت وأحببت أن تلياً خدمتي فسرّتا بذلك ودخل عليه إسماعيل أخوه ويزيد وسعيد ابناؤه وأمر بالإذن فقامت ابنتاه لتنحيا فقال ومالهما يتنحيان وهشام في كل يوم يسوقهن إلى الحبس فدخل الناس فقام إسماعيل وابناؤه دون ابنتيه يسترونهما فقال خالد خرجت غازياً في سبيل الله سامعاً مطيعاً تخلفت في عقي وأخذ حُرْمِي وحرم أهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرك فما منع عصابة منكم أن تقوم فتقول علام حبس حرم هذا السامع المطيع أخفتم أن تقتلوا جميعاً أخافكم الله ثم قال مالي ولهشام ليكنّ عني هشام أو لادعوني إلى عراقى الهوى شامى الدار حجازى الأصل يعنى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وقد أذنت لكم أن تبلغوا هشاماً فلما بلغه ما قال قال خَرَفَ أبو الهيثم وذكر أبو زيد أن أحمد بن معاوية حدثه عن أبي الخطاب قال قال خالد أم والله لئن ساء صاحب الرصافة يعنى

هشاما للنصبين لنا الشامي الحجازي العراقي ولو نخر نخرة تداعت من أنظارها
فبلغت هشاما فكتب اليه إنك هذاة هذرة أبيعيلة القليلة الذليلة تهذذني قال
فوالله ما نصره أحد بيد ولا بلسان إلا رجل من عبس فانه قال

أَلَا إِنَّ بَحْرَ الْجُودِ أَصْبَحَ سَاجِيًا أُسِيرَ ثَقِيفٍ مُوثِقًا فِي السَّلَاسِلِ
فَإِنْ تَسْجُنُوا الْقَسْرَى لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ
فأقام خالد ويزيد وجماعة أهل بيته بدمشق ويوسف ملحق علي هشام يسأله
أن يوجه اليه يزيد وكتب هشام إلى كلثوم بن عياض يأمره بأخذ يزيد والبعثة به
إلى يوسف فوجه كلثوم إلى يزيد خيلا وهو في منزله فشد عليهم يزيد فافرجوا له
ثم مضى على فرسه وجاءت الخيل إلى كلثوم فأخبره فأرسل إلى خالد الغد من يوم
تنحى يزيد خيلا فدعا خالد بثيابه فلبسها وتصارخ النساء فقال رجل منهم لو أمرت
هؤلاء النسوة فسكنن فقال ولم أم والله لو لا الطاعة لعلم عبد بني قسرا أنه لا ينال
هذه منى فأعلموه مقاتلي فإن كان عربيا كما يزعم فليطلب جده منى ثم مضى معهم
فحبس في حبس دمشق وسار اسماعيل من يومه حتى قدم الرصافة على هشام
فدخل على أبي الزبير حاجبه فأخبره بحبس خالد فدخل أبو الزبير على هشام فأعلمه
فكتب إلى كلثوم يعنفه ويقول خلعت عن أمرك بحبسه وحبست من لم أمرك
بحبسه ويأمره بتخلية سبيل خالد فخلاه وكان هشام إذا أراد أمرا أمرا الأبرش
فكتب به إلى خالد فكتب الأبرش إنه بلغ أمير المؤمنين أن عبد الرحمن بن
ثويب الضنبي ضنة سعد إخوة عذرة بن سعد قام إليك فقال يا خالد إني لأحبك
لعشر خصال إن الله كريم وأنت كريم والله جواد وأنت جواد والله رحيم
وأنت رحيم والله حلیم وأنت حلیم حتى عد عشرأ وأمير المؤمنين يقسم بالله
لئن تحقق عنده ذلك ليستحطن دمك فكتب إلى بالأمر على وجهه لاخبر به
أمير المؤمنين فكتب اليه خالد ان ذلك المجلس كان أكثر أهلا من أن يجوز
لأحد من أهل البني والفجور أن يحرف ما كان فيه إلى غيره فأثم إلى عبد الرحمن
ابن ثويب فقال يا خالد إني لأحبك لعشر خصال إن الله كريم يحب كل كريم

والله يحبك وأنا أحبك لحب الله اياك حتى عدد عشر خصال ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شق الحميرى الى أمير المؤمنين وقوله يا أمير المؤمنين خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك فقال أمير المؤمنين بل خليفتى في اهلى فقال ابن شق فأنت خليفة الله ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم ولعمري لضلالة رجل من بحيلة ان ضل أهون على العامة والخاصة من ضلال أمير المؤمنين فأقرأ الأبرش هشاما كتابه فقال خَرَفَ أبو الهيثم فأقام خالد بدمشق خلافة هشام حتى هلك فلما هلك هشام وقام الوليد قدم عليه أشراف الأجناد فيهم خالد فلم يأذن لأحد منهم واشتكى خالد فاستأذن فأذن له فرجع الى دمشق فأقام أشهراً ثم كتب اليه الوليد إن أمير المؤمنين قد علم حال الخسین الألف ألف ألم تعلم فأقدم على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره أن لا يعجلك عن جهاز فبعث خالد الى عدة من ثقاته منهم عمارة بن أبي كلثوم الأزدي فأقرأهم الكتاب وقال أشيروا على فقالوا إن الوليد ليس بمأمون عليك فالرأى أن تدخل دمشق وتأخذ بيوت الأموال وتدعو إلى من أحببت فأكثر الناس قومك ولن يختلف عليك رجلاً قال أو ماذا قالوا تأخذ بيوت الأموال وتقيم حتى تتوثق لنفسك قال أو ماذا قالوا أو تتوارى قال أما قولكم تدعوني من أحببت فإنى أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي وأما قولكم تتوثق لنفسك فإنتم لا تأمنون على الوليد ولا ذنب لى فكيف ترجون وفاءه لى وقد أخذت بيوت الأموال وأما التوارى فوالله ما قنعت رأى خوفاً من أحد قط فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت لا ولكن أمضى وأستعين الله فخرج حتى قدم على الوليد فلم يدع به ولم يكلمه وهو فى بيته معه مواله وخدمه حتى قدم برأس يحيى بن زيد من خراسان فجمع الناس فى رواق وجلس الوليد وجاء الحاجب فوقف فقال له خالد ان حالى ماترى لا أقدر على المشى وإنما أحمل فى كرسى فقال الحاجب لا يدخل عليه أحد يحمل ثم أذن لثلاثة نفر ثم قال قم يا خالد فقال حالى ما ذكرت لك ثم أذن لرجل أو رجلين فقال قم يا خالد فقال إن حالى ما ذكرت لك حتى أذن لعشرة ثم قال قم يا خالد وأذن

للناس كلهم وأمر بخالد فحمل على كرسيه فدخل به والوليد جالس على سريره
والموائد موضوعة والناس بين يديه سماطان وشبة بن عقال أو عقال بن شبة يخطب
ورأس يحيى بن زيد منصوب فيل بخالد إلى أحد السماطين فلما فرغ الخطيب قام
الوليد وصرف الناس وحمل خالد إلى أهله فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد
فرده فلما صار إلى باب السراشق وقف فخرج إليه رسول الوليد فقال يقول لك
أمير المؤمنين أين يزيد بن خالد فقال كان أصابه من هشام ظفر ثم طلبه
فهرب منه وكنّا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فلما لم يظهر ظنناه ببلاد
قومه من الشراة وما أوشكه فرجع إليه الرسول فقال لا ولكنك خلقتة طلبا للفتنة
فقال خالد للرسول قد علم أمير المؤمنين أنا أهل بيت طاعة أنا وأبى وجدى قال خالد
وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول أن الوليد قريب حيث يسمع كلامى فرجع
الرسول فقال يقول لك أمير المؤمنين لتأتين به أو لأرهقن نفسك فرجع خالد
صوته وقال قل له هذا أردت وعليه دُرْتُ والله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما
لك عنه فاصنع ما بدالك فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه وقال له
أسمعنى صوته فذهب به غيلان إلى رحله فعذبه بالسلاسل فلم يتكلم فرجع غيلان
إلى الوليد فقال والله ما أعذب إنسانا والله ما يتكلم ولا يتأوه فقال اكفف عنه
واحبسه عندك فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال من العراق ثم أداروا الأمر
بينهم وجلس الوليد للناس ويوسف عنده فكلم أبان بن عبد الرحمن النخعي
في خالد فقال يوسف أنا أشتريه بخمسين ألف فأرسل الوليد إلى خالد إن
يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف فان كنت تضمنها وإلا دفعتك إليه فقال
خالد ما عهدت العرب تباع والله لو سألتنى أن أضمن هذا ورفع عودا من الأرض
ما ضمنتته فَرِ رأيك فدفعه إلى يوسف فنزع ثيابه ودرعه عباءة ولحفه بأخرى وحمله
في محمل بغير وطاء وزميله أبو قحافة المرى ابن أخى الوليد بن تلید وكان عامل
هشام على الموصل فانطلق به حتى نزل المحدثه على مرحلة من عسكر الوليد ثم دعا
به فذكر أمه فقال وما ذكر الأمهات لعنك الله والله لا أكلبك كلمة أبدا فبسط

عليه وعذبه عذاباً شديداً لا يكلمه كلمة ثم ارتحل به حتى إذا كان ببعض الطريق بعث اليه زيد بن تميم القينى بشربة سويق حبّ رمان مع مولى له يقال له سالم النفاط فبلغ يوسف فضرب زيدا خمسمائة سوط وضرب سالم ألف سوط ثم قدم يوسف الحيرة فدعا به وإبراهيم ومحمد ابني هشام فبسط على خالد فلم يكلمه وصبر إبراهيم بن هشام وخرع محمد بن هشام فكث خالد يوماً في العذاب ثم وضع على صدره المضرسه فقتله من الليل ودفن بناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها وذلك في المحرم سنة ١٢٦ في قول الهيثم بن عدى فأقبل عامر بن سهلة الأشعري فعقر فرسه على قبره فضربه يوسف سبعمائة سوط (قال أبو زيد) حدثني أبو نعيم قال حدثني رجل قال شهدتُ خالداً حين أتى به يوسف فدعا بعود فوضع على قدميه ثم قامت عليه الرجال حتى كسرت قدماه فوالله ما تكلم ولا عبس ثم على ساقيه حتى كسرتا ثم على نخذه ثم على حقويه ثم على صدره حتى مات فوالله ما تكلم ولا عبس فقال خلف بن خليفة لما قتل الوليد بن يزيد

لقد سَكَنَتْ كَلْبٌ وَأَسْبَاقُ مَذْجِجِ
صَدَى كَانَ يَزُقُّو آيِلَهُ غَيْرَ رَاقِدِ
تَرَكَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدِ
مُكِبًّا عَلَى خَيْشُومِهِ غَيْرَ سَاجِدِ
فَإِنْ تَقَطَّعُوا مِنَّا مَنَاطَ قَلَادَةٍ
قَطَّعْنَا بِهِ مِنْكُمْ مَنَاطَ قَلَانِدِ
وَإِنْ تَشْغَلُونَا عَنْ نَدَانَا فَإِنَّا
شَغَلْنَا الْوَلِيدَ عَنْ غَنَاءِ الْوَلَانِدِ
وَإِنْ سَافَرَ الْقَسْرَى سَفَرَةً هَالِكِ
فَإِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِشَاهِدِ

وقال حسان بن جعدة الجعفرى يكذب خلف بن خليفة في قوله هذا

إِنَّ أَمْرًا يَدَّعَى قَتْلَ الْوَلِيدِ سِوَى
أَعْمَامِهِ لَمَلَأَ النَّفْسَ بِالْكَذِبِ
مَا كَانَ إِلَّا أَمْرًا خَانَتْ مَنِيَّتُهُ
سَارَتْ إِلَيْهِ بَنُو مَرْوَانَ بِالْعَرَبِ

وقال أبو مخجن مولى خالد

سَائِلٌ وَلِيدًا وَسَائِلُ أَهْلِ عَسْكَرِهِ
غَدَاةَ صَبْحِهِ شُؤْبُوبُنَا الْبَرْدِ
هَلْ جَاءَ مِنْ مُضِرِّ نَفْسٍ قَتَمْنَعُهُ
وَالْخَيْلُ تَحْتَ عِجَاجِ الْمَوْتِ تَطْرُدُ
مَنْ يَهْجُنَا جَاهِلًا بِالشَّعْرِ نَنْقُضُهُ
بِالْبَيْضِ إِنَّا بِهَا نَهْجُو وَنَنْقُضُ

وقال نصر بن سعيد الأنصاري
أبلغ يزيد بني كرزٍ مُغلغلةً
قَطَعْتَ أَوْصَالَ قَنُورٍ عَلَى حَنَقٍ
أَمَسْتَ حَلَائِلُ قَنُورٍ مُجَدَّعةً
ظَلْتَ كِلَابُ دِمَشْقٍ وَهَى تَنَهَشُهُ
غَاذَرْنَ مِنْهُ بَقَايَا عِنْدَ مَضْرَعِهِ
حَكَمْتَ سَيْفَكَ إِذْ لَمْ تَرْضَ حُكْمَهُمْ
لَا تَرْضَ مِنْ خَالِدٍ إِنْ كُنْتَ مُتَّراً
أَسْعَرْتَ مَلِكَ نِزَارٍ لِيُحْمَ رُغْتَهُمْ
مَا كَانَ فِي آلِ قَنُورٍ وَلَا وَلَدُوا

أَنى شَفِيتُ بِغَيْبٍ غَيْرَ مَوْتُورٍ
بِصَارِمٍ مِنْ سُيُوفِ الْهِنْدِ مَا ثُورٍ
لِمَضْرَعِ الْعَبْدِ قَنُورٍ بِنِ قَنُورٍ
كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ أَعْضَاءُ خَنْزِيرٍ
أَنْقَاضُ شِلْوٍ عَلَى الْأَطْنَابِ مَجْرُورٍ
وَالسَّيْفُ يَحْكُمُ حَكْماً غَيْرَ تَعْذِيرٍ
إِلَّا بِكُلِّ عَظِيمِ الْمَلِكِ مَشْهُورٍ
بِالْخَيْلِ تَرْكُضُ بِالشَّمِّ الْمَغَاوِيرِ
عَدْلًا لَبَدْرٍ سَمَاءُ سَاطِعِ النُّورِ

(وفي هذه السنة) بويغ ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي يقال له يزيد الناقص وإنما قيل يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التي زادهموها الوليد بن يزيد في أعطياتهم وذلك عشرة عشرة فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة ورد أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك وقيل أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد ❀ ثم أحمد بن زهير قال حدثنا علي بن محمد قال شتم مروان بن محمد يزيد ابن الوليد فقال الناقص بن الوليد فسماه الناقص فسماه الناس الناقص لذلك (وفي هذه السنة) اضطرب جبل بني مروان وهاجت الفتنة

ذكر الخبر عما حدث فيها من الفتن

فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتل الوليد ابن يزيد بعمان ❀ فحدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال لما قتل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن وكان محبوساً بعمان فأخذ ما كان بعمان من الأموال وأقبل إلى دمشق وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر (وفيها) كان وثوب أهل حمص بأسباب العباس بن الوليد وهدمهم داره وإظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد

ذكر الخبر عن ذلك

❖ مثنى أحمد عن علي قال كان مروان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حمص وكان من سادة بني مروان نبلاً وكرماً وعقلاً وجمالاً فلما قتل الوليد بلغ أهل حمص قتله فأغلقوا أبوابها وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد وسألوا عن قتله فقال بعض من حضرهم مازلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم حتى جاء العباس ابن الوليد فقال إلى عبد العزيز بن الحجاج فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس وانتهبوا وسلبوا حرمه وأخذوا بنيه فبسوهم وطلبوه فخرج إلى يزيد بن الوليد وكاتبوا الأجناد ودعواهم إلى الطلب بدم الوليد فأجابوهم وكتب أهل حمص بينهم كتاباً لا يدخلوا في طاعة يزيد وإن كان ولياً عهد الوليد حين قاموا بالبيعة لهما والا جعلوها خيراً من يعلمون على أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم ويعطيهم للذرية وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين وكتب إلى مروان بن عبد الله ابن عبد الملك وهو بمحمص في دار الإمارة فلما قرأه قال هذا كتاب حضره من الله حاضر وتابعهم على ما أرادوا فلما بلغ يزيد بن الوليد خبرهم وجه اليهم رُسُلُ فيهم يعقوب بن هانئ وكتب اليهم أنه ليس يدعوا إلى نفسه ولكنه يدعواهم إلى الشورى فقال عمرو بن قيس السكوني رضينا بولي عهدنا يعني ابن الوليد بن يزيد فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته فقال أيها العشمة إنك قد فُيتَ وذهب عقلك إن الذي تعنى لو كان يتيماً في حجرِكَ لم يحل لك أن تدفع إليه ماله فكيف أمر الأمة فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم وكان أمر حمص لمعاوية بن يزيد ابن حُصَيْن وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شيء وكان معهم السمط بن ثابت وكان الذي بينه وبين معاوية بن يزيد متباعدًا وكان معهم أبو محمد السفيناني فقال لهم لو قد أتيتُ دمشق وأنظر إلى أهلها لم تخالفني فوجه يزيد بن الوليد مَسْرُور بن الوليد والوليد بن روح في جمع كبير فنزلوا حواريين أكثرهم بنو عامر من كلب ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فأكرمه يزيد وتزوج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك ورد عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ووجهه إلى

مسرور بن الوليد والوليد بن روح وأمرهما بالسمع والطاعة له وأقبل أهل حص
 فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية ۞ حدثني أحمد قال حدثنا علي بن عمرو بن
 مروان الكلبي قال حدثني عمرو بن محمد ويحيى بن عبد الرحمن البهراقي قال أقام مروان
 ابن عبد الله فقال ياهؤلاء إنكم خرجتم لجهاد عدوكم والطلب بدم خليفكم
 وخرجتم مخرجاً أرجو أن يعظم الله به أجركم ويحسن عليه ثوابكم وقد نجم لكم
 منهم قرب وشال إليكم منهم عُتُقُ إن أنتم قطعتموه أتبعه ما بعده وكنتم عليه أخرى
 وكانوا عليكم أهون ولست أرى المضي إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم
 فقال السمط هذا والله العدو القريب الدار يريد أن ينقض جماعتكم وهو ممايل
 للقدرية قال فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه ورفعوا
 رؤوسهم للناس وإنما أراد السمط بهذا الكلام خلاف معاوية بن يزيد فلما قتل
 مروان بن عبد الله ولوا عليهم أبا محمد السفيناني وأرسلوا إلى سليمان بن هشام إنا
 آتوك فأقم بمكانك فأقام قال فتركوا عسكر سليمان ذات اليسار ومضوا إلى دمشق
 وبلغ سليمان مضيتهم فخرج مغذاً فلقاهم بالسليمانية مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك
 خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلاً قال علي قال عمرو بن مروان بن
 بشار والوليد بن علي قال لما بلغ يزيد أمر أهل حص دعا عبد العزيز بن الحجاج
 فوجهه في ثلاثة آلاف وأمره أن يثبت على ثنية العقاب ودعا هشام بن مصاد فوجهه
 في ألف وخمسمائة وأمره أن يثبت على عقبة السلامة وأمرهم أن يمد بعضهم بعضاً
 قال عمرو بن مروان فحدثني يزيد بن مصاد قال كنت في عسكر سليمان فلحقنا أهل
 حص وقد نزلوا السليمانية فجعلوا الزيتون على أيمنهم والجبل على شمائلهم والجباب
 خلفهم وليس عليهم مأتى إلا من وجه واحد وقد نزلوا أول الليل فأرا حواديبهم
 وخرجنا نسرى ليلتنا كلها حتى دفعنا إليهم فلما منع النهار واشتد الحر ودوابنا
 قد كلت وثقل علينا الحديد دنوت من مسرور بن الوليد فقلت له وسليمان يسمع
 كلامي أنشدك الله يا أبا سعيد أن يقدم الأمير جنده إلى القتال في هذه الحال فأقبل
 سليمان فقال يا غلام اصبر نفسك فوالله لا أنزل حتى يقضى الله بيني وبينهم ما هو

قاضي فتقدم وعلى ميمته الطفيل بن حارثة الكلبي وعلى ميسرة الطفيل بن زرارة الحبشي فحملوا علينا حملة فانهزمت الميمنة والميسرة أكثر من غلوتين وسليمان في القلب لم يزل من مكانه ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردوهم إلى موضعهم فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مرارا فقتل منهم زهاء مائتي رجل فيهم حرب ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية وأصيب من أصحاب سليمان نحو من خمسين رجلا وخرج أبو الهلباء البهراني وكان فارس أهل حمص فدعا إلى المبارزة فخرج إليه حبة ابن سلامة الكلبي فطعنه طعنة أذراه عن فرسه وشد عليه أبو جعدة مولى لقريش من أهل دمشق فقتله وخرج ثبيت بن يزيد البهراني فدعا إلى المبارزة فخرج إليه إيراك السغدي من أبناء ملوك السغديين منقطعاً إلى سليمان بن هشام وكان ثبيت قصيراً وكان إيراك جسيماً فلبارآه ثبيت قد أقبل نحوه استطر دقوقاً فإيراك ورماه بسهم فأثبت عضلة ساقه إلى لبدته قال فيناهم كذلك إذا قبل عبد العزيز من ثنية العقاب فشد عليهم حتى دخل عسكرهم وقتل ونفذ إلينا (قال) على قال عمرو بن مروان فحدثني سليمان بن زياد الغساني قال كنت مع عبد العزيز بن الحجاج فلما عاين عسكر أهل حمص قال لأصحابه موعدكم التل الذي في وسط عسكرهم والله لا يتخلف منكم أحد إلا ضربت عنقه ثم قال لصاحب لوائه تقدم ثم حمل وحملنا معه فاعرض لنا أحد إلا قتل حتى صرنا على التل فصدع عسكرهم فكانت هزيمتهم ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسري الله الله في قومك فكف الناس وكره ما صنع سليمان وعبد العزيز وكاد يقع الشر بين الذكوانية وسليمان وبين بني عامر من كلب فكفوا عنهم على أن يبایعوا يزيد ابن الوليد وبعث سليمان بن هشام إلى أبي محمد السفياقي ويزيد خالد بن يزيد بن معاوية فأخذا فر بهما على الطفيل بن حارثة فصاحا به يا خاله نشدك الله والرحم فضى معهما إلى سليمان فحبسهما تخاف بنو عامر أن يقتلها فجاءت جماعة منهم فكانت معهما في الفسطاط ثم وجههما إلى يزيد بن الوليد فحبسهما في الخضراء مع ابني الوليد وحبس أيضاً يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفیان خال عثمان بن الوليد معهم ثم دخل سليمان وعبد العزيز إلى دمشق ونزلا بعذراء واجتمع أمر أهل دمشق وبایعوا

يزيد بن الوليد وخرجوا إلى دمشق وحص وأعطاهم يزيد العطاء وأجاز
الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحصين والسمط بن ثابت وعمرو بن قيس
وابن حوى والصقر بن صفوان واستعمل معاوية بن يزيد بن حصين من أهل
حص وأقام الباقون بدمشق ثم ساروا إلى أهل الأردن وفلسطين وقد قتل من
أهل حص يومئذ ثلثمائة رجل (وفي هذه السنة) وثب أهل فلسطين والأردن
على عاملهم فقتلوه

ذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم

❦ مشي أحمد عن علي بن محمد عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني رجاء
ابن روح بن سلامة بن روح بن زنباع قال كان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد
على فلسطين وكان حسن السيرة وكان يزيد بن سليمان سيد ولد أبيه وكان ولد
سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين فكان أهل فلسطين يحبونهم لجوارهم فلما
آتى قتل الوليد ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روح بن زنباع كتب إلى
يزيد بن سليمان أن الخليفة قد قتل فاقدم علينا نولك أمرنا لجمع له سعيد قومه
وكتب إلى سعيد بن عبد الملك وهو يومئذ نازل بالسبع ارتحل عنا فان الأمر قد
اضطرب وقد ولينا أمرنا رجلاً قد رضينا أمره فخرج إلى يزيد بن الوليد فدعا يزيد
ابن سليمان أهل فلسطين إلى قتل يزيد بن الوليد وبلغ أهل الأردن أمرهم فولوا
عليهم محمد بن عبد الملك وأمر أهل فلسطين إلى سعيد بن روح وضبعان بن روح وبلغ
يزيد أمرهم فوجه اليهم سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حص الذين كانوا مع
السفياني قال علي قال عمرو بن مروان حدثني محمد بن راشد الخزاعي أن أهل دمشق
كانوا أربعة وثمانين ألفاً وسار اليهم سليمان بن هشام قال محمد بن راشد وكان سليمان
ابن هشام يرسلني إلى ضبعان وسعيد ابني روح وإلى الحكم وراشد ابني جروم من
باقين فأعدمهم وأمنهم على الدخول في طاعة يزيد بن الوليد فأجابوا قال وحدثني
عثمان بن داود الحولاني قال وجهني يزيد بن الوليد ومعى حذيفة بن سعيد إلى
محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان يدعوهما إلى طاعته ويعدهما ويمنيهما فبدأنا

بأهل الأردن ومحمد بن عبد الملك فاجتمع اليه جماعة منهم فكلّمته فقال بعضهم أصلح الله الأمير أقبل هذا الفتى أقيمت الصلاة تغلّوتُ به فقلتُ لاني رسول يزيد اليك والله ما تركت ورائي راية تُعَقِّدُ إلا على رأس رجل من قومك ولا درهم يخرج من بيت المال إلا في يد رجل منهم وهو يحمل لك كذا وكذا قال أنت بذاك قلت نعم ثم خرجت فأتيت صبعان بن روح فقلت له مثل ذلك وقلت له إنه يوليك فلسطين ما بقي فأجابني فانصرفت فما أصبحت حتى رحل أهل فلسطين

❦ حدثني أحمد بن علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال سمعت محمد بن سعيد بن حسان الأردني قال كنت غينا ليزيد بن الوليد بالأردن فلما اجتمع له ما يريد ولاني خراج الأردن فلما خالفوا يزيد بن الوليد أتيت سليمان بن هشام فسألته أن يوجه معي خيلا فأشن الغارة على طبرية فأبى سليمان أن يوجه معي أحداً فخرجت إلى يزيد بن الوليد فأخبرته الخبر فكتب إلى سليمان كتاباً بخطه يأمره أن يوجه معي ما أردت فأتيت به سليمان فوجه معي مسلم بن ذكوان في خمسة آلاف فخرجت بهم ليلاً حتى أنزلتهم البطيحة ففرقوا في القرى وسرت أنا في طائفة منهم نحو طبرية وكتبوا إلى عسكرهم فقال أهل طبرية على مانقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم في أهالينا ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك فانتهبوها وأخذوا دوابهما وسلاحهما ولحقوا بقراهم ومنازلهم فلما تفرق أهل فلسطين والأردن خرج سليمان حتى أتى الصنبرة وأتاه أهل الأردن فبايعوا ليزيد بن الوليد فلما كان يوم الجمعة وجه سليمان إلى طبرية وركب مركباً في البحيرة فجعل يسائرهم حتى أتى طبرية فصلى بهم الجمعة وبايع من حضر ثم انصرف إلى عسكره

❦ حدثني أحمد قال حدثنا علي عن عمرو بن مروان الكلبي قال حدثني عثمان بن داود قال لما نزل سليمان الصنبرة أرسلني إلى يزيد بن الوليد وقال لي أعلمه أنك قد علمت جفاء أهل فلسطين وقد كفى الله مؤنهم وقد أزمعت على أن أولى ابن سراقه فلسطين والأسود بن بلال المحاربي الأردن فأتيت يزيد فقلت له ما أمرني به سليمان فقال أخبرني كيف قلت لصبعان بن روح فأخبرته قال فما صنع قلت ارتحل بأهل

فلسطين وارتحل ابن جرو بأهل الأردن قبل أن يصبحنا قال فليس بأحق بالوفاء منا ارجع فأمره أن لا ينصرف حتى ينزل الرملة فبايع أهلها وقد استعملت إبراهيم ابن الوليد على الأردن وضبعان بن روح على فلسطين ومسور بن الوليد على قلسرين وابن الحصين على حمص ثم خطب يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أيها الناس إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي أطراء نفسي إني لظلوم لنفسي إن لم ير حتى ربي ولكني خرجت غضباً لله ورسوله ودينه داعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لما هدمت معالم الهدى وأطفيت نور أهل التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع أنه والله ما كان يصدق بالكتاب ولا يؤمن بيوم الحساب وأنه لابن عمي في الحسب وكفي في النسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجابنى من أهل ولايتي وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي أيها الناس إن لكم عليّ أن لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكرى نهراً ولا أكثر مالا ولا أعطيته زوجة ولا ولداً ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم فان فضل فضلة نقلته إلى البلد الذي يليه من هو أحوج إليه ولا أجركم في ثغوركم فأنتسكم وأفتن أهليكم ولا أغلق بابي دونكم فيا كل قويكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع نسلهم وإن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كادناهم فان وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة وإن أنا لم أف فلکم ان تخلعوني إلا أن تستتيبوني فان تبث قبلتم مني فان علمتم أحداً من يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم ان تبايعوه فانا أول من يبايعه ويدخل في طاعته أيها الناس ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا وفاء له بنقض عهد انما الطاعة طاعة الله فأطيعوه بطاعة الله ما اطاع

فاذا عصى الله ودعا إلى المعصية فهو أهل أن يُعصى ويُقتل اقول قولي هذا
وأستغفر الله لي ولكم ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له فكان أول من بايعه الأقدم
يزيد بن هشام وبايعه قيس بن هانئ العبسي فقال يا أمير المؤمنين اتق الله ودم
على ما أنت عليه فما قام مقامك أحد من أهل بيتك وإن قالوا عمر بن عبد العزيز
فأنت أخذتها بحبل صالح وإن عمر أخذها بحبل سوء فبلغ مروان بن محمد قوله
فقال ماله قاتله الله ذمنا جميعاً وذم عمر فلما ولي مروان بعث رجلاً فقال إذا دخلت
مسجد دمشق فانظر قيس بن هانئ فإنه طال ما صلى فيه فاقتله فانطلق الرجل فدخل
مسجد دمشق فرأى قيساً يصلي فقتله (وفي هذه السنة) عزل يزيد بن الوليد
يوسف بن عمر عن العراق وولاه منصور بن جمهور

ذكر الخبر عن عزل يوسف بن عمر وولاية منصور بن جمهور

ولما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشام ندب فيما قيل لولاية العراق
عبد العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلابي فقال له عبد العزيز لو
كان معي جند لقبلت فتركه وولاه منصور بن جمهور هـ وأما أبو مخنف فإنه قال
فيما ذكر هشام بن محمد عنه قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لليتين
بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وبايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك
بدمشق وسار منصور بن جمهور من البصرة في اليوم الذي قتل فيه الوليد بن
يزيد إلى العراق وهو سابع أسبعة فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب وقدم
منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلون من رجب فأخذ بيوت الأموال
فأخرج العطاء لاهل العطاء والأرزاق واستعمل حريث بن أبي الجهم على واسط
وكان عليها محمد بن نباتة فطره ليلاً فخبسه وأوثقه واستعمل جرير بن يزيد بن
يزيد بن جرير على البصرة وأقام منصور وولى العمال وبايع ليزيد بن الوليد
بالعراق وفي كورها وأقام بقية رجب وشعبان ورمضان وانصرف لأيام بقين
منه وأما غير أبي مخنف فإنه قال كان منصور بن جمهور أعرابياً جافياً غيلانياً ولم
يكن من أهل الدين وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية وحمية لقتل خالد فشهد

لذلك قتل الوليد فقال يزيد له ولما ولاده العراق قد وليتك العراق فسر إليه واثق الله
واعلم أني إنما قتلت الوليد لنفسه ولما أظهر من الجور فلا ينبغي لك أن تركب مثل
ما قتلناه عليه فدخل على يزيد بن الوليد يزيد بن حجرة الغساني وكان ديناً فاضلاً
ذا قدر في أهل الشام قد قاتل الوليد ديانته فقال يا أمير المؤمنين أوليت منصوراً
العراق قال نعم لبلائه وحسن معونته قال يا أمير المؤمنين أنه ليس هناك في أعرايته
وجفائه في الدين قال فإذا لم أول منصوراً في حسن معاونته فمن أولى قال تولى
رجلاً من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات والعلم بالأحكام والحدود
ومالي لا أرى أحداً من قيس يغشاك ولا يقف ببابك قال لولا أنه ليس من شأني
سفك الدماء لعاجلتُ قيساً فوالله ما عزت إلا ذل الإسلام ولما بلغ يوسف بن عمر
قتل الوليد جعل يعتمد إلى من بحضرته من اليمانية فيلقبهم في السجون ثم جعل يخلو
بالرجل بعد الرجل من المضربة فيقول له ما عندك إن اضطرب حبل أو انفتق فتق
فيقول أنا رجل من أهل الشام أباع من بايعوا وأفعل ما فعلوا فلم ير عندهم ما يحب
فأطلق من في السجون من اليمانية وأرسل إلى الحجاج بن عبد الله البصري ومنصور
ابن نصير وكانا على خبر ما بينه وبين أهل الشام فأمرهما بالكتاب إليه بالخبر
وجعل على طريق الشام أرسادا وأقام بالحيرة وجلاً وأقبل منصور حتى إذا كان
بالجمع كتب إلى سليمان بن سليم بن كيسان كتاباً أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وإن الوليد بن
يزيد بدل نعمة الله كفرأ فسفك الدماء فسفك الله دمه وعجله إلى النار وولى
خلافة من هو خير منه وأحسن هدياً يزيد بن الوليد وقد بايعه الناس وولى على
العراق الحارث بن العباس بن الوليد ووجهي العباس لآخذ يوسف وعماله
وقد نزل الأبيض ورائي على مرحلتين فخذ يوسف وعماله لا يفوتك منهم
أحد فاحبسهم قبلك وإياك أن تخالف فيحل بك وبأهل بيتك ما لا قبل لك
به فاختر لنفسك أودع وقيل إنه لما كان بعين التمر كتب إلى من بالحيرة من
قواد أهل الشام يخبرهم بقتل الوليد ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله وبعث بالكتب

كلها إلى سليمان بن سليم بن كيسان وأمره أن يفرقها على القواد فأمسكها سليمان ودخل على يوسف فأقرأه كتاب منصور إليه فبعل به قال حريث بن أبي الجهم كان مكثى بواسط فما شعرت إلا بكتاب منصور بن جمهور وقد جاءني أن آخذ عمال يوسف فكننت أتولى أمره بواسط فجمعت موالى وأصحابي فركبنا نحواً من ثلاثين رجلاً في السلاح فأتينا المدينة فقال البوابون من أنت قلت حريث بن أبي الجهم قالوا نقسم بالله ما جاء بحريث إلا أمر مهم ففتحوا الباب فدخلنا فأخذنا للعامل فاستسلم فأصبحنا فأخذنا البيعة من الناس ليزيد بن الوليد قال وذكر عمر ابن شجرة أن عمرو بن محمد بن القاسم كان على السند فأخذ محمد بن غزان أو غزان الكلبي فضربه وبعث به إلى يوسف فضربه وألزمه مالا عظيماً يؤدي منه في كل جمعة نجماً وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطاً جففت يده وبعض أصابعه فلما ولى منصور بن جمهور العراق ولأه السند وسجستان فأتى سجستان فبايع ليزيد ثم سار إلى السند فأخذ عمرو بن محمد فأوثقه وأمر به حرساً يحرسونه وقام إلى الصلاة فتناول عمرو سيفاً مع الحرس فاتسكأ عليه مسلولاً حتى خالط جوفه وتصايح الناس فخرج ابن غزان فقال مادعاك إلى ما صنعت قال خفت العذاب قال ما كنت أبلغ منك ما بلغت من نفسك فلبث ثلاثاً ثم مات وبايع ابن غزان ليزيد فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبي حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور ما الرأي قال ليس لك إمام تقاتل معه ولا يقاتل أهل الشام الحارث بن العباس معك ولا آمن عليك منصور بن جمهور إن قدم عليك وما الرأي إلا أن تلحق بشأملك قال هو رأي فكيف الحيلة قال تظهر الطاعة ليزيد وتدعوه في خطبتك فإذا قرب منصور وجهك معك من أثق به فلما نزل منصور بحيث يصبح الناس البلد خرج يوسف إلى منزل سليمان بن سليم فأقام به ثلاثاً ثم وجهه معه من أخذ به طريق السماوة حتى صار إلى البلقاء (وقد قيل) إن سليمان قال تستخني وتدع منصوراً والعمل قال فعند من قال عندى وأضعك في ثقة ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص فأخبره بالأمر وسأله أن يؤوى يوسف وقال

أنت امرؤ من قریش وأخوالك بكر بن وائل فأواه قال عمرو فلم أر رجلاً كان مثل عتوه رُعب رُعبه أتيته بجارية نفيسة وقلت تدفنه وتطيب بنفسه فوالله ما قربها ولا نظر إليها ثم أرسل إلى يوماً فأتيته فقال قد أحسنت وأجملت وقد بقيت لي حاجة قلت هاتها قال تخرجني من الكوفة إلى الشام قلت نعم وصبحنا منصور بن جمهور فذكر الوليد فعابه وذكر يزيد بن الوليد فقرضه وذكر يوسف وجوره وقامت الخطباء فشعثوا من الوليد ويوسف فأتيته فأقصصت قصتهم فجعلت لا أذكر رجلاً ممن ذكره بسوء إلا قال الله على أن أضربه مائة سوط مائتي سوط ثلثمائة سوط فجعلت أتعجب من طمعه في الولاية بعد وتهده الناس فتركه سليمان ابن سليم ثم أرسله إلى الشام فاخفى بها ثم تحول إلى البلقاء ذكر علي بن محمد أن يوسف بن عمر وجه رجلاً من بني كلاب في خمسمائة وقال لهم إن مر بكم يزيد بن الوليد فلا تدعنه يجوز فأتاهم منصور بن جمهور في ثلاثين فلم يهاجوه فانتزع سلاحهم منهم وأدخلهم الكوفة قال ولم يخرج مع يوسف من الكوفة إلا سفيان بن سلامة ابن سليم بن كيسان وغسان بن قعاس العذري ومعه من ولده اصلبه ستون بين ذكر وأنثى ودخل منصور الكوفة لأيام خلون من رجب فأخذيوت الأموال وأخرج العطاء والأرزاق وأطلق من في سجون يوسف من العمال وأهل الخراج قال فلما بلغ يوسف البلقاء حينئذ بلغ خبره إلى يزيد بن الوليد رضي الله عنه فحدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن يزيد بن هريم قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ابن صالح مولى عثمان بن عفان قال سمعت محمد بن سعيد الكلبي وكان من قواد يزيد ابن الوليد يقول إن يزيد وجهه في طلب يوسف بن عمر حيث بلغه أنه في أهله بالבלقاء قال فخرجت في خمسين فارساً أو أكثر حتى أحطت بداره بالבלقاء فلم نزل نفتش فلم نر شيئاً وكان يوسف قد لبس لبسة النساء وجلس مع نسائه وبناته ففتشهن فظفر به مع النساء فجاء به في وثاق فحبسه في السجن مع الغلامين ابني الوليد فكان في الحبس ولاية يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم فلما قدم مروان الشام وقرب من دمشق ولي قتلهم يزيد بن خالد فأرسل يزيد مولى خالد يكنى

أباً للأسد في عدة من أصحابه فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعمد وأخرج يوسف ابن عمر فضرب عنقه وقيل إن يزيد بن الوليد لما بلغه مصير يوسف إلى البلقاء وجه إليه خمسين فارساً فعرض له رجل من بني نمير فقال يا ابن عم أنت والله مقتول فأطعني وامتنع وأذن لي حتى أترعك من أيادي هؤلاء قال لا قال فدعني أقتلك أنا ولا يقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك قال مالي في واحدة مما عرضت علي خيار قال فأنت أعلم ومضوا به إلى يزيد فقال ما أقدمك قال قدم منصور بن جمهور والياً فركته والعمل قال لا ولكنك كرهت أن تلي فأمر بحبسه وقيل إن يزيد دعا مسلم بن ذكوان ومحمد بن سعيد بن مطرف الكلبي فقال لهما إنه باغني أن الفاسق يوسف بن عمر قد صار إلى البلقاء فانطلقا فأتياني به فطلباه فلم يجدها فرهبنا ابنا له فقال أنا أدلكما عليه فقال إنه انطلق إلى مزرعة له على ثلاثين ميلاً فأخذا معهما خمسين رجلاً من جند البلقاء فوجدوا أثره وكان جالساً فلما أحس بهم هرب وترك نعليه ففتشوا فوجداه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز وجلسن على حواشيها حاسرات فجروا برجله فجعل يطلب إلى محمد بن سعيد أن يرضى عنه كلباً ويدفع عشرة آلاف دينار ودية كلثوم بن عمير وهاني بن بشر فأقبلا إلى يزيد فلقيه عامل لسليمان على نوبة من نوائب الحرس فأخذ باحيتيه فهزها وتنف بعضها وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة فأدخله على يزيد فقبض على لحية نفسه وإنها حينئذ لتجوز سترته وجعل يقول تنف والله يا أمير المؤمنين لحيتي فما بقي فيها شعرة فأمر به يزيد فحبس في الخضراء فدخل عليه محمد بن راشد فقال له أما تخاف أن يطلع عليك بعض من قد وترت فيلق عليك حجراً فقال لا والله ما فطنت إلى هذا فنشدتك الله إلا كنت أمير المؤمنين في تحويلي إلى مجلس غير هذا وإن كان أضيق منه قال فأخبرت يزيد فقال ما غاب عنك من حمقه أكثر وما حبسته إلا لأوجهه إلى العراق فيقام للناس ويؤخذ المظالم من ماله ودمه ولما قتل يزيد بن الوليد الوليد بن يزيد ووجه منصور بن جمهور إلى العراق كتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق كتاباً فيه مساوى الوليد فكان مما كتب به فيما حدثني أحمد بن زهير

عن علي بن محمد ان الله اختار الاسلام ديناً وارتضاه وطهره واقترض فيه حقوقاً أمر بها ونهى عن أمور حرمها ابتلاء لعباده في طاعتهم ومعصيتهم فأكمل فيه كل منقبة خير وجسيم فضل ثم تولاه فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده ولياً يحوطهم ويعرفهم بفضل الاسلام فلم يكرم الله بالخلقة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهي اليه فينارته أحد بميثاق أو بحلول صرف ما حباه الله به أو ينكث ناكث إلا كان كيداً إلا وهن ومكره إلا بور حتى يتم الله ما أعطاه ويدخر له أجره ومثوبته ويجعل عدوه الأضل سبيلاً الأخر عملاً فتناحخت خلفاء الله ولأهله قاضين فيه بحكمه متبعين فيه لكتابته فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرته ما تمت به النعم عليهم قد رضى الله بهم لها حتى توفي هشام ثم أفضى الأمر إلى عدو الله الوليد المنتهك للحارم التي لا يأتي مثلها مسلم ولا يقدم عليها كافر تكرماً عن غشيان مثلها فلما استفاض ذلك منه واستعلن واشتد فيه البلاء وسفك فيه الدماء وأخذت الأمورال بغير حقها مع أمور فاحشة لم يكن الله ليخلي العاملين بها إلا قليلاً سرت اليه مع انتظار مراجعته واعذار إلى الله وإلى المسلمين منكراً لعمله وما اجتراً عليه من معاصي الله متوخياً من الله اتمام الذي نويت من اعتدال عمود الدين والأخذ في أهله بما هو رضى حتى أتيت جنداً وقد وغرت صدورهم على عدو الله لما رأوا من عمله فإن عدو الله لم يكن يرى من شرائع الاسلام شيئاً إلا أراد تبديله والعمل فيه بغير ما أنزل الله وكان ذلك منه شائعاً شاملاً عريان لم يجعل الله فيه سترأ ولا لاحد فيه شكاً فذكرت لهم الذي نقيمت وخفت من فساد الدين والدنيا وحضضتهم على تلافى دينهم والمحاماة عنه وهم في ذلك مستريبون قد خافوا أن يكونوا قد أبقوا لأنفسهم بما قاموا عليه إلى أن دعوتهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة فابتعث الله منهم بعضاً يخبرهم من أولى الدين والرضى وبعث عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك حتى لقي عدو الله إلى جانب قرية يقال لها البخراء فدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ينظر المسلمون لأنفسهم من يقلدونه ممن اتفقوا عليه فلم يحب عدو الله إلى ذلك وأبى إلا تابعاً في ضلالته فبدرهم الحملة جهالة بالله فوجد الله عزيزاً

حكيماً وأخذه ألياً شديداً فقتله الله على سوء عمله وعَصَبَتَهُ من صاحبوه من بطاته الخبيثة لا يبلغون عشرة ودخل من كان معه سواهم في الحق الذي دُعوا اليه فأطفا الله جمرته وأراح العباد منه فبعداً له ولمن كان على طريقته أحببت أن أعلمكم ذلك وأعجل به اليكم لتحمدوا الله وتشكروه فإنكم قد أصبحتم اليوم على أمثل حالكم إذ ولاتكم خياركم والعدل مبسوط لكم لا يُسار فيكم بخلافه فأكثرُوا على ذلك حمد ربكم وتابعوا منصور بن جمهور فقد ارتضيتُ لكم على أن عليكم عهد الله وميثاقه وأعظم ما عهد وعقد على أحد من خلقه لتسمعن وتطيعن لي ولمن استخلفته من بعدى من اتفقت عليه الأمة ولكم على مثل ذلك لا عملن فيكم بأمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واتبع سبيل من سلف من خياركم نسأل الله ربنا وولينا أحسن توفيقه وخير قضائه (وفي هذه السنة) امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور بن جمهور وقد كان يزيد بن الوليد ولاها منصوراً مع العراق (قال أبو جعفر) قد ذكرت قبل من خبر نصر وما كان من كتاب يوسف ابن عمر اليه بالمصير اليه مع هدايا الوليد بن يزيد وشخص نصر من خراسان متوجهاً إلى العراق وتباطئه في سفره حتى قدم عليه الخبر بقتل الوليد فذكر على ابن محمد أن الباهلي أخبره قال قدم على نصر بشر بن نافع مولى سالم الليثي وكان على سكك العراق قال أقبل منصور بن جمهور أميراً على العراق وهرب يوسف ابن عمر فوجه منصور أخاه منظور بن جمهور على الري فأقبلت مع منظور إلى الري وقلت أئدم على نصر فأخبره فلما صرت بنيسابور حبسني حميد مولى نصر وقال لن تجاوزني أو تخبرني فأخبرته وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ألا يخبر أحداً حتى أقدم على نصر فأخبره ففعل فأقبلنا جميعاً حتى قدمنا على نصر وهو بقصره بماجان فاستأذنا فقال خصي له هو نائم فألحنا عليه فانطلق فأعلمه فخرج نصر حتى قبض على يدي وأدخلني فلم يكلمني حتى صرت في البيت فساءلني فأخبرته فقال حميد مولاه انطلق به فأنه بجائزة ثم أتاني يونس بن عبد ربه وعبيد الله بن اسام فأخبرتهما وأتاني سلم بن أخوز فأخبرته قال وكان الوليد بن يوسف عند نصر فأقره

حين بلغه الخبر فأرسل إلى فلما أخبرتهم كذبوني فقلت استوثق من هؤلاء فلما مضت ثلاث على ذلك جعل علي ثمانين رجلاً حرساً فأبطل الخبر على ما كنت قدرت فلما كانت الليلة التاسعة وكانت ليلة نوروز جاءهم الخبر على ما وصفت فصرف إلى عامة تلك الهدايا وأمر لي يبرذون بسرجه ولجامه وأعطاني سرجاً صينياً وقال لي أقم حتى أعطيك تمام مائة ألف قال فلما تيقن نصر قتل الوليد رد تلك الهدايا واعتق الرقيق وقسم روقه الجوارى في ولده وخاصته وقسم تلك الآنية في عوام الناس ووجه العمال وأمرهم بحسن السيرة قال وأرجفت الأزدي خراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان فخطب نصر فقال في خطبته إن جاءنا أمير ظنين قطعنا يديه ورجليه ثم باح به بعد فكان يقول عبد الله المخذول المبتور قال وولي نصر ربيعة واليمن وولي يعقوب بن يحيى بن حنين على أعلى طخارستان ومسعدة ابن عبد الله الإشكري على خوارزم وهو الذي يقول فيه خلف

أقول لأصحابي معاً دون كَرْدَرٍ لَمَسْعَدَةُ الْبَكْرِى غَيْثُ الْأَرَامِلِ

ثم أتبعه بأبان بن الحكم الزهراني واستعمل المغيرة بن شعبة الجهضمي على قهستان وأمرهم بحسن السيرة فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه فقال في ذلك

أقول لِنَصِيرٍ وَبَايَعْتُهُ عَلَى جُلٍّ بِكْرٍ وَأَحْلَافِهَا

يَدِي لَكَ رَهْنٌ بِبَكْرِ الْعَرَا قِي سَيِّدِهَا وَابْنِ وَصَافِهَا

أَخَذْتُ الْوَيْثِقَةَ لِلْمَسْلِيِّ نَ لِأَهْلِ الْبِلَادِ وَآلِافِهَا

إِذَا لَا تُجِيبُ إِلَى مَا تُرِيدُ دُ أَتَيْتَكَ الرَّقَالَ بِأَخْفَافِهَا

دَعَوْتَ الْجُنُودَ إِلَى بَيْعَةٍ فَأَنْصَفْتُهَا كُلَّ أَنْصَافِهَا

وَطَدَدْتَ خُرَاسَانَ لِلْمَسْلِيِّ نَ إِنْ الْأَرْضَ هَمَّتْ بِأَرْجَافِهَا

وَأِنْ جُمِعَتْ أَلْفَةُ الْمَسْلِيِّ نَ صَرَفْتَ الضَّرَابَ لِأَلِافِهَا

أَجَارَ وَسَلَّمْ أَهْلَ الْبِلَادِ دِ وَالنَّازِلِينَ بِأَطْرَافِهَا

فَصَرَفْتَ عَلَى الْجَنْدِ بِالْمَشْرِقِ نَ لِقُوتِهَا لَهُمْ دَرَّ أَحْلَافِهَا

فَنَحْنُ عَلَى ذَاكَ حَتَّى تَبْدِ نَ مَتَاهِجِ سُبُلِ لِعَرَّافِهَا

وحتى تبوح قريش بما
فأقسمت للمعبرات الرنا
إلى ما تؤدى قريش البطا
فإن كان من عز بز الضعيف
وجدنا العلاتف أنى يكو
إذا ما تشارك فيه كبت
فنحن على عهدنا نستدي
سنرضى بظلك كئنا لها
لعل قريشاً إذا ناضلت
وتليس أغشية بالعرا
وللأسد منا وإن الأسو
فإن جاذرت تلفاً فى النفا
فقد ثبتت بك أقدامنا
وجدناك برأ رؤفابنا
ولم تك بيعتنا خلصة
نكاح التى أسرعت بالحلي
فكشفتها البعل قبل الصدا
تجن صمائر أجوافها
ع للغزو أوفى لأصوافها
ح أحلافها بعد أشرافها
ف ضربنا الخيول بأعرافها
ن يحمى أوارى أعلافها
خواصرها بعد إخطافها
م قريشاً ونرضى بأحلافها
وذلك من ظل أكتافها
تقرطس ... فى أهدافها
ق رمت دلو شرق بخطافها
د لها لبند فوق أكتافها
ر فالدهر أدنى لإتلافها
إذا أنبار منبار أجرافها
كرافة أتم وإطافها
لاسرع نسفة خطافها
ل قبل تحضب أطرافها
ق فاستقبلته بمغتافها

قال وكان نصر ولى عبد الملك بن عبد الله السلى خوارزم فكان يخطبهم
ويقول فى خطبته ما أنا بالأعرابي الجلف ولا الفزارى المستنبط ولقد كرمته
الامور وكرمتها أم والله لأضعن السيف موضعه والسوط موضعه والسجن
مدخله ولتجدنى غشمشما أغشى الشجر ولتستقيمن لى على الطريقة رقص البكاره
فى السنن الأعظم أو لأصكنكم صك القطامى القارب يصكهن جانباً لجانبنا قال
قدم رجل من بلقين خراسان وجهه منصور بن جمهور فأخذه مولى لنصر يقال
له حميد كان على سكك بنيسابور فضربه وكسر أنفه فشكاه إلى نصر فأمر له نصر

بعشرين ألفاً وكساه وقال إن الذي كسر أنفك مولى لى وليس بكفء فأقصك منه فلا تقل إلا خيراً قال عصمة بن عبد الله الأسدي يا أخا بلقين أخبر من تأتى أنا قد أعددتنا قيساً لربيعة وتميماً للأزد وبقيت كنانة ليس لها من يكافئها فقال نصر كلما أصلحت أمراً أفسدتموه قال أبو زيد عمر بن شبة حدثني أحد بن معاوية عن أبي الخطاب قال قدم قدامة بن مصعب العبدى ورجل من كندة على نصر ابن سيار من قبل منصور بن جمهور فقال أمات أمير المؤمنين قال نعم قال وولى منصور بن جمهور وهرب يوسف بن عمر عن سرير العراق قال نعم قال إنا بجمهوركم من الكافرين ثم حبسهما ووسع عليهما ووجه رجلا حتى أتى فرأى منصوراً يخطب بالكوفة فأخرجهما وقال لقدامة أوليكم رجل من كلب قال نعم إنا نحن بين قيس واليمن قال فكيف لا يولاها رجل منكم قال لأنا كما قال الشاعر

إذا ما تخشينا من أمير ظلامه دَعَوْنَا أَبَا عَسَّانَ يَوْمًا فَعَسَّكَرًا

فضحك نصر وضمه إليه قال ولما قدم منصور بن جمهور العراق ولى عبيد الله ابن العباس الكوفة أو وجده واليا عليها فأقره وولى شرطته ثمامة بن حوشب ثم عزله وولى الحجاج بن أرطاة النخعي (وفى هذه السنة) كتب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد أخى الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد

ذكر نسخة ذلك الكتاب الذى كتب اليه

✽ حدثني أحمد بن علي قال كتب مروان إلى الغمر بن يزيد بعد قتل الوليد أما بعد فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رسله وإقامة شرائع دينه أكرمهم الله بما قلدهم ويعزهم ويعز من يعزهم والحين على من ناوأهم فابتغى غير سبيلهم فلم يزالوا أهل رعاية لما استودعهم الله منها يقوم بحققها ناهض بعد ناهض بأنصار لها من المسلمين وكان أهل الشام أحسن خلقه فيه طاعة وأذبه عن حرمه وأوفاه بعهده وأشدّه نكايه فى مارق مخالف ناكث ناكب عن الحق فاستدرت نعمة الله عليهم قد عمر بهم الإسلام وكبت بهم الشرك وأهله وقد نكثوا أمر الله وحاولوا نكث العهود وقام بذلك من

أشعل ضرامها وإن كانت القلوب عنه نافرة والمطلوبون بدم الخليفة ولاية من
 بنى أمة فإن دمه غير ضائع وإن سكنت بهم الفتنة والتأمت الأمور فأمر أراذه
 الله لا مرد له قد كتبت بحالك فيما أبرموا وما ترى فاني مُطَرِّق إلى أن أرى غيراً
 فأسطو بانتقام وأنتقم لدين الله المتبول وفرائضه المتروكة بحاجته ومعى قوم أسكن
 الله طاعتي قلوبهم أهل إقدام إلى ما قدمت بهم عليه ولهم نُظْرٌ إذ صدورهم مُترعة
 بمتلثة لو يجدون مَنزَعاً وللنقمة دولة تأتي من الله ووقت موكلٌ ولم أشبه محمداً
 ولا مروان غير أن رأيت غيراً إن لم أشتر للقدريّة إزارى وأضربهم بسيفي
 جارحاً وطاعناً يرمى قضاء الله في ذلك حيث أخذ أو يرمى في عقوبة الله حيث
 بلغ منهم فيها رضاه وما إطرأ في إلما أنتظر مما يأتي عنك فلا تن عن تأرك
 بأخيك فإن الله جارك وكافيك وكفى بالله طالبا ونصيراً ﷺ صحتي أحمد عن عليّ
 عن عمرو بن مروان الكلبي عن مسلم بن ذكوان قال كلم يزيد بن الوليد العباس
 ابن الوليد في طفيل بن حارثة الكلبي وقال إنه حمل حمالة فإن رأيت أن تكتب
 إلى مروان بن محمد في الوصاة به وأن يأذن له أن يسأل عشيرته فيها وكان مروان
 يمنع الناس أن يسألوا شيئاً من ذلك عند العطاء فأجابه وحمله على البريد وكان
 كتاب العباس ينفذ في الآفاق بكل ما يكتب به فكتب يزيد إلى مروان أنه اشترى
 من أبي عبيدة بن الوليد ضيعة بثمانية عشر ألف دينار وقد احتاج إلى أربعة آلاف
 دينار قال مسلم بن ذكوان فدعاني يزيد وقال انطلق مع طفيل بهذه الكتب وكله
 في هذا الأمر قال فخر جناً ولم يعلم العباس بخروجه فلما قدمنا خلاط لقينا عمرو
 ابن حارثة الكلبي فسألنا عن حالنا فأخبرنا فقال كذبتهم إن لكم والمروان لقصة
 قلنا وما ذاك قال أخلااني حين أردت الخروج وقال لي جماعة أهل المزة يكونون
 ألفاً قلت وأكثر قال وكم بينها وبين دمشق قلت يسمعون المنادي قال كم ترى عدّة
 بني عامر يعني بني عامر من كلب قلت عشرون ألف فحرك أصبعه ولوى
 وجهه قال مسلم فلما سمعت ذلك طمعت في مروان وكتبت إليه على لسان يزيد
 أما بعد فاني وجهت إليك ابن ذكوان مولاي بما سيدكره لك وينيه إليك

فألق إليه ما أحببت فانه من خيار أهلى وثقات موالى وهو شعب حصين ووعاء أمين إن شاء الله فقد منا على مروان فدفعت طفيل كتاب العباس إلى الحاجب وأخبره أن معه كتاب يزيد بن الوليد فقرأه فخرج الحاجب وقال أما معك كتاب غير هذا ولا أوصاك بشيء قلت لا ولكنى معى مسلم بن ذكوان فدخل فأخبره فخرج الحاجب فقال مر مولاه بالرواح قال مسلم فأنصرفت فلما حضرت المغرب أتيت المقصورة فلما صلى مروان أنصرفت لأعيد الصلاة ولم أكن أعتد بصلاته فلما استويت قائما جاءنى خصى فلما نظر إلى أنصرفت وأوجزت الصلاة فلحقته فأدخلنى على مروان وهو فى بيت من بيوت النساء فسلمت وجلست فقال من أنت فقلت مسلم بن ذكوان مولى يزيد قال مولى عتاقة أو مولى تباعة قلت مولى عتاقة قال ذاك أفضل وفى كل ذلك فضل فاذا ذكر ما بدالك قلت إن رأى الأمير أن يعمل لى الأمان على ماقلته أو وافقه فى ذلك أو أخالفه فأعطانى ما أردت فحمدت الله وصليت على نبيه ووصفت ما أكرم الله به مروان من الخلافة ورضا العامة بهم وكيف نقض الوليد العرى وأفسد قلوب الناس وذمته العامة وذكرت حاله كلها فلما فرغت تكلم فوالله ما حمد الله ولا تشهد وقال قد سمعت ماقلت قد أحسنت وأصبت ولنعم الراى راى يزيد فأشهد الله أنى قد بايعته أبذل فى هذا الأمر نفسى ومالى لا أريد بذلك إلا ما عند الله والله ما أصبحت أستزيد الوليد لقد وصل وفوض وأشرك فى ملكه وإبنى أشهد أنه لا يؤمن بيوم الحساب وسألنى عن أمر يزيد فكبرت الأمر وعظمته فقال اكتم أمرك وقد قضيت حاجة صاحبك وكفيته أمر حمايته وأمرت له بألف درهم فأقت أيا ما ثم دعانى ذات يوم نصف النهار ثم قال الحق بصاحبك وقل له سددك الله امض على أمر الله فانك بعين الله وكتب جواب كتابى وقال لى إن قدرت أن تطوى أو تطير فطر فانه يخرج بالجزيرة إلى ست ليال أو سبع خارجه وقد خفت أن يطول أمرهم فلا تقدر أن تجوز قلت وما علم الأمير بذلك فضحك وقال ليس من أهل هوى إلا وقد أعطيتهم الرضا حتى أخبرونى بذات أنفسهم فقلت فى نفسى أنا واحد

من أولئك ثم قلت لئن فعلت ذلك أصلحك الله إنه قيل لخالد بن يزيد بن معاوية
إني أصبت هذا العلم قال وافقت الرجال على أهوائهم ودخلت معهم في
آرائهم حتى بذلوا لي ما عندهم وأفضوا لي بذات أنفسهم فودعته وخرجت فلما
كنت بآمد لقيت البرد تتبع بعضها بعضا بقتل الوليد وإذا عبد الملك بن مروان
قد وثب على عامل الوليد بالجزيرة فأخرجه منها ووضع الارصاد على الطريق
فتركت البرد واستأجرت دابة ودليلا فقدمت على يزيد بن الوليد (وفي هذه
السنة) عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق وولاهما عبد الله
ابن عمر بن عبد العزيز بن مروان

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر عن يزيد بن الوليد أنه قال لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز إن أهل العراق
يميلون إلى إليك فسر إليهم فقد وليتكها ٥ فذكر عن أبي عبيدة قال كان عبد الله بن
عمر متألها متألما فقدّم حين شخص إلى العراق بين يديه رسلا وكتبنا إلى قوام الشام
الذي بالعراق وخاف أن لا يسلم له منصور بن جمهور العمل فانقاد له كلهم
وسلم له منصور بن جمهور وانصرف إلى الشام ففرق عبد الله بن عمر عماله
في الأعمال وأعطى الناس أرزاقهم وأعطياتهم فنازعه قواد أهل الشام وقالوا
تقسم على هؤلاء فينّا وهم عدونا فقال عبد الله لأهل العراق إني قد أردت أن
أرد فيكم عليكم وعلمت أنكم أحقّ به فنازعني هؤلاء فأنكروا على نخرج
أهل الكوفة إلى الجبانة وتجمعوا فأرسل إليهم قواد أهل الشام يعتذرون
وينكرون ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئا مما بلغهم وثار غوغاء الناس من
الفريقين فتناوشوا وأصيب منهم رهط لم يعرفوا وعبد الله بن عمر بالحيرة
وعبيد الله بن العباس الكندي بالكوفة قد كان منصور بن جمهور استخلفه
عليها وأراد أهل الكوفة إخراجه من القصر فأرسل إلى عمر بن الغضبان بن
القبعري فأتاه فتنحى الناس عنه وسكنهم وزجرهم حتى تجاوزوا وأمن بعضهم
بعضا وبلغ ذلك عبد الله بن عمر فأرسل إلى ابن الغضبان فكساه وحمله وأحسن

جائزته وولاه شرطه وخراج السواد والمحاسبات وأمره أن يفرض لقومه بقرض في ستين وفي سبعين (وفي هذه السنة) وقع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والنزارية وأظهر الكرمانى فيها الخلاف لنصر بن سيار واجتمع مع كل واحد منهما جماعة لنصرته

ذكر الخبر عما كان بينهما من ذلك وعن السبب الذى أحدث ذلك
 ذكر على بن محمد عن شيوخه أن عبد الله بن عمر لما قدم العراق والياً عليها من قبل يزيد بن الوليد كتب إلى نصر بعهده على خراسان قال ويقال بل أتاه كتابه بعد خروج الكرمانى من حبس نصر فقال المنجمون لنصر إن خراسان سيكون بها فتنة فأمر نصر برفع حاصل بيت المال وأعطى الناس بعض أعطياتهم ورقاً وذهباً من الآنية التى كان اتخذها للوليد بن يزيد وكان أول من تكلم رجل من كندة أفوه طوال فقال العطاء العطاء فلما كانت الجمعة الثانية أمر نصر رجلاً من الحرس فلبسوا السلاح وفرقهم في المسجد مخافة أن يتكلم متكلم فقام الكندى فقال العطاء العطاء فقام رجل مولى للأزد وكان يلقب أبا الشياطين فتكلم وقام حماد الصائغ وأبو السليل البكرى فقالا العطاء العطاء فقال نصر إياى والمعصية عليكم بالطاعة والجماعة فاتقوا الله واسمعوا ما توعدون به فصعد سلم بن أجوز إلى نصر وهو على المنبر فكلمه فقال ما يغنى عنا كلامك هذا شيئاً ووثب أهل السوق إلى أسواقهم فغضب نصر وقال مالكم عندى عطاء بعد يومكم هذا ثم قال كأنى بالرجل منكم قد قام إلى أخيه وابن عمه فلطم وجهه في جمل يهذى له ووثب يكساه ويقول مولاى وظئرى وكأنى بهم قد نبغ من تحت أرجلهم شر لا يطاق وكأنى بكم مطر حين فى الأسواق كالجزر المنحورة إنه لم تطل ولاية رجل إلا ملوها وأنتم يا أهل خراسان مسلحة فى نحور العدو فأياكم أن يختلف فيكم سيفان قال على قال عبد الله بن المبارك قال نصر فى خطبته إنى لمكفر ومع ذاك لمظلم وعسى أن يكون ذلك خيراً لى إنكم ترشون أمرا تريدون فيه الفتنة ولا أبى الله عليكم والله لقد نشرتكم وطويتكم ونشرتكم فاعندى منكم

عشرة وإني وإياكم كما قال من كان قبلكم
 اسْتَمْسِكُوا أَصْحَابَنَا نَحْدُرْ بِكُمْ فَقَدْ عَرَفْنَا خَيْرَكُمْ وَشَرَّكُمْ
 فاتقوا الله فوالله اني اختلف فيكم سيفان ليمتحن الرجل منكم أنه يخلع
 من ماله وولده ولم يكن رآه يا أهل خراسان إنكم غمطتم الجماعة وركنتم إلى الفرقة
 أسلطان المجهول تريدون وتنتظرون ان فيه هلاككم معشر العرب وتمثل
 بقول النابغة الذبياني :

فَإِنْ يَغْلِبُ شَقَاؤُكُمْ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي فِي صَلَاحِكُمْ سَعَيْتُ
 قال الحارث بن عبدالله بن الحشر بن المغيرة بن الورد الجعدي :
 أَيْدِ أُرْعَى النَجُومَ مُرْتَفِقًا إِذَا اسْتَقَلَّتْ تَجْرِي أَوَائِلُهَا
 مِنْ فِتْنَةٍ أَصْبَحَتْ مُجَلَّةً قَدَعَمَ أَهْلَ الصَّلَاةِ شَامِلُهَا
 مَنْ يَخْرُاسَانَ وَالْعِرَاقَ وَمَنْ بِالشَّامِ كُلِّ شَجَاهُ شَاغِلُهَا
 فَالنَّاسُ مِنْهَا فِي لَوْنٍ مَظْلَمَةٌ دَهْمَاءَ مُلْتَجِئَةٍ غَيَاطِلُهَا
 يُنْسِي السَّفِيهَ الَّذِي يُعْتَفُ بِالْجَهْلِ سَوَاءً فِيهَا وَعَاقِلُهَا
 وَالنَّاسُ فِي كُرْبَةٍ يَكَادُهَا تَنْبِذُ أَوْلَادَهَا حَوَامِلُهَا
 يَغْدُونَ مِنْهَا فِي كُلِّ مُبْهَمَةٍ عَمِيَاءَ تُنْمَى لَهُمْ غَوَائِلُهَا
 لَا يَنْظُرُ النَّاسُ فِي عَوَاقِبِهَا إِلَّا الَّتِي لَا يَبِينُ قَاتِلُهَا
 كَرَغْوَةِ الْبَكْرِ أَوْ كَصَيْحَةِ حُبٍّ لِي طَرَقَتْ حَوْلَهَا قَوَائِلُهَا
 جُفَاءً فِينَا أُرْزَى بِوَجْهِهِ فِيهَا خُطُوبٌ حُرٌّ زَلَا زِلْهَا

قال فلما أتى نصرأ عهده من قبل عبد الله بن عمر قال الكرمانى لأصحابه
 الناس فى فتنة فانظروا فى أموركم رجلا وإنما سُمى الكرمانى لأنه ولد بكرمان
 واسمه جديع بن على بن شبيب بن برارى بن صنيم المعنى فقالوا أنت لنا فقالت
 المضريّة لنصر الكرمانى يفسد عليك فأرسل إليه فاقتله قال لا ولكن لى أولاد
 ذكور وإناث فأزوج بنى من بناته وبنيه من بناتى قالوا الا قال فأبعث اليه بمائة
 ألف درهم فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئا ويعلمون بها فيتفرقون عنه قالوا لا هذه قوة

له قال فدعوه على حاله يتقيننا ونتقيه قالوا فأرسل اليه فاحبسه قال وبلغ نصرأ أن
الكرماني يقول كانت غايتي في طاعة بني مروان أن تقلدني السيوف فأطلب بثأري
بني المهلب مع مالقينا من نصر وجفائه وطول حرمانه ومكافاته إيانا بما كان من
صنيع أسد اليه فقال له عصمة بن عبد الله الأسدي إنها بدء فتنة فتجن عليه
فأحشة وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق سباع بن النعمان الأزدي والفراصة
ابن ظهير البكري فإنه لم يزل متعصباً على الله بتفضله على مضر وبفضله على
ربيعة كان بخراسان وقال جميل بن النعمان إنك قد شرفته وإن كرهت قتله
فادفعه إلى أقتله وقيل إنما غضب عليه في مكاتبته بكر بن فراس البهراني
عامل جرجان يعلبه حال منصور بن جمهور وحيث بعث عهد الكرماني مع أبي
الزعفران مولى أسد بن عبد الله فطلبه نصر فلم يقدر عليه والذي كتب إلى الكرماني
بقتل الوليد وقدم منصور بن جمهور على العراق صالح الأثرم الحراري وقيل إن
قوماً أتوا نصرأ فقالوا الكرماني يدعو إلى الفتنة وقال أصرم بن قيصة لنصر
لو أن جديعاً لم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود
وكان نصر الكرماني متصافين وقد كان الكرماني أحسن إلى نصر في ولاية
أسد بن عبد الله فلما ولي نصر خراسان عزل الكرماني عن الرئاسة وصيرها
لحرب بن عامر بن أيثم الواشجي فما زجرت فأعاد الكرماني عليها فلم يلبث
إلا يسيراً حتى عزله وصيرها لجميل بن النعمان قال قتباعد ما بين نصر والكرماني
فحبس الكرماني في القهندز وكان على القهندز مقاتل بن علي المرئي ويقال المرئي
قال ولما أراد نصر حبس الكرماني أمر عبيد الله بن بسام صاحب حرسه
فأتاه به فقال له نصرياً كرماني ألم يأتي كتاب يوسف بن عمر يأمرني بقتلك فراجعت
وقلت له شيخ خراسان وفارسها وحققت دمك قال بلى قال ألم أغرم عنك ما كان
لزمك من الغرم وقسمته في أعطيات الناس قال بلى قال ألم أرأس علياً ابنك على
كره من قومك قال بلى قال فبدلت ذلك إجماعاً على الفتنة قال الكرماني لم يقل
الأمير شيئاً إلا وقد كان أكثر منه فأنا لذلك شاكر فإن كان الأمير حقن دمي فقد كان

منى أيام أسد بن عبد الله ماقد علم فليستان الأمير وليثبت فليست أحب الفتنه
فقال عصمة بن عبد الله الاسدى كذبت وأنت تريد الشغب ومالا قتاله قال سلم
ابن أحوز اضرب عنقه أيها الأمير فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم
الغامدى للجلساء فرعون خير منكم إذ قالوا أرجه وأخاه والله لا يقتلن الكرمانى
بقول ابن أحوز فأمر نصر سلباً فحبس الكرمانى ثلاث بقين من شهر رمضان
سنة ١٢٦ فكلمت الأزد فقال نصرانى حلفت أن أحبسه ولا ينداه منى سوء فان
خشيت عليه فاختراروا رجلاً يكون معه قال فاختراروا يزيد النحوى فكان معه في
القهندز وصير حرسه بنى ناجية أصحاب وجههم عثمان ابنى مسعود قال
وبعث الأزد إلى نصر المغيرة بن شعبة الجهضمى وخالد بن شعيب بن أبى صالح
الحدانى فكلماه فيه قال فلبث في الحبس تسعة وعشرين يوماً فقال على بن وائل
أحد بنى ربيعة بن حنظلة دخلت على نصر والكرمانى جالس ناحية وهو يقول
ما ذنبى إن كان أبو الزعفران جاء فوالله ما واريته ولا أعلم مكانه وقد كانت الأزد
يوم حبس الكرمانى أرادت أن تنزعه من رسله فناشدهم الله الكرمانى ألا
يفعلوا ومضى مع رسل سلم بن أحوز وهو يضحك فلما حبس تكلم عبد الملك
ابن حرمة اليعمى والمغيرة بن شعبة وعبد الجبار بن شعيب بن عباد وجماعة
من الأزد فزلوا بنوش وقالوا لا نرضى أن يحبس الكرمانى بغير جناية ولا حدث
فقال لهم شيوخ من التحمد لا تفعلوا وانظروا ما يكون من أميركم فقالوا لا نرضى
ليكفن عنا نصر أو لنبدأن بكم وأتاهم عبد العزيز بن عباد بن جابر بن همام بن
حنظلة اليعمى فى مائة ومحمد بن المثنى وداود بن شعيب فباتوا بنوش مع
عبد الملك بن حرمة ومن كان معه فلما أصبحوا أتوا حوزان وأحرقوا منزل عزة
أم ولد نصر وأقاموا ثلاثة أيام وقالوا لا نرضى فعند ذلك صيروا عليه الأمان
فجعلوا معه يزيد النحوى وغيره فجاء رجل من أهل نسف فقال لجعفر غلام
الكرمانى ما تجمعون لى إن أخرجه قالوا لك ما سألت فأتى بجرى الماء من القهندز
فوسعه وأتى ولد الكرمانى وقال لهم اكتبوا إلى أبيكم يستعد الليلة للخروج فكتبوا

اليه وأدخلوا الكتاب في الطعام فدعا الكرمانى يزيد النحوى وحصين بن حكيم فتعشيا معه وخرجا ودخل الكرمانى السرب فأخذوا بعضده فانطوت على بطنه حية فلم تضره فقال بعض الأزد كانت الحية أزدية فلم تضره قال فأنتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فُسجج منكبته وجنبه فلما خرج ركب بغلته دوامة ويقال بل ركب فرسه البشير والقيد في رجله فأثروا به قرية تسمى غلطان وفيها عبد الملك بن حرملة فأطلق عنه قال على وقال أبو الوليد زهير بن هنييد العدوى كان مع الكرمانى غلامه بسام فرأى خرقا على القهندز فلم يزل يوسعه حتى أمكنه الخروج منه قال فأرسل الكرمانى إلى محمد بن المثنى وعبد الملك بن حرملة إلى خارج الليسلة فاجتمعوا وخرج فأتاهم فرقد مولاه فأخبرهم فلقوه في قرية حرب بن عامر وعليه ما حفة مقلدا سيفاً ومعه عبد الجبار بن شعيب وابنا الكرمانى على وعثمان وجعفر غلامه فأمر عمرو بن بكر أن يأتى غلطان وأنذغ واشترج معنا وأمرهم أن يوافوه على باب الريان بن سنان اليمدى بنوش في المرج وكان مصلاهم في العيد فأتاهم فأخبرهم فخرج القوم من قراهم في السلاح فصلى بهم الغداة وهم زهاء ألف فما ترجلت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف وأتاهم أهل السقادم فسار على مرج نيران حتى أتى حوزان فقال خلف بن خليفة

أَصْحِرُوا لِلْمَرْجِ أَجَلَى لِلْعَمَى فَلَقَدْ أَصْحَرَ أَصْحَابُ السَّرْبِ

إِنَّ مَرْجَ الْأَزْدِ مَرْجٌ وَاسِعٌ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ فِيهِ وَالرُّكْبُ

وقيل إن الأزد بايعت لعبد الملك بن حرملة على كتاب الله عز وجل ليلة خرج الكرمانى فلما اجتمعوا في مرج نوش أقيمت الصلاة فاختلف عبد الملك والكرمانى ساعة ثم قدمه عبد الملك وصيرا الأمر له فصلى الكرمانى ولما هرب الكرمانى أصبح نصر معسكراً بباب مرو الروذ بناحية إبردانه فأقام يوماً أو يومين وقيل لما هرب الكرمانى استخلف نصر عصمة بن عبيد الله الاسدى وخرج إلى القناطر الخمس بباب مرو الروذ وخطب الناس فقال من الكرمانى فقال ولد بكرمان وكان كرمانياً ثم سقط إلى هراة فكان هروياً والساقط بين الفراشين لأصل

ثابت ولا فرع ثابت ثم ذكر الازد فقال إن يستوثقوا فاذل قوم وإن يأبوا فهم كما قال الاخطل: ضَفَادِعُ فِي ظُلُمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ قَدَلٌ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ ثم نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ فَقَالَ اذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهُ شَفَاءَ ذَكَرَ اللَّهُ خَيْرَ لَاشْرَفٍ فِيهِ يُذْهِبُ الذَّنْبَ وَذَكَرُ اللَّهِ بَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَى نَصْرِ بَشَرٌ كَثِيرٌ فَوَجَّهَ سَلْمَ بْنَ أَحْوَزٍ إِلَى الْكُرْمَانِ فِي الْمَجْفَفَةِ فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ فَسَفَرَ النَّاسُ بَيْنَ نَصْرِ وَالْكُرْمَانِ وَسَأَلُوا نَصْرًا أَنْ يُؤْمِنَهُ وَلَا يُحْبِسَهُ وَضَمِنَ عَنْهُ قَوْمُهُ أَلَّا يَخَالَفَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ نَصْرِ فَأَمَرَهُ بِالزُّومِ بَيْتَهُ ثُمَّ بَلَغَهُ عَنْ نَصْرِ شَيْءٍ فَخَرَجَ إِلَى قَرْيَةٍ لَهُ وَخَرَجَ نَصْرٌ فَعَسَكَرَ بِالْقَنَاطِرِ فَأَتَاهُ الْقَاسِمُ بْنُ نَجِيبٍ فَكَلَّمَهُ فِيهِ فَأَمَنَهُ وَقَالَ لَهُ إِنْ شِئْتَ خَرَجَ لَكَ عَنْ خِرَاسَانَ وَإِنْ شِئْتَ أَقَامَ فِي دَارِهِ وَكَانَ رَأْيُ نَصْرِ إِخْرَاجَهُ فَقَالَ لَهُ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزٍ إِنْ أَخْرَجْتَهُ نَوَّهْتَ بِاسْمِهِ وَذَكَرَهُ وَقَالَ النَّاسُ أَخْرَجَهُ لِأَنَّهُ هَابَهُ فَقَالَ نَصْرُ بْنُ الْأَدَى اتَّخَوَّفَهُ مِنْهُ إِذَا خَرَجَ أَيْسَرُ مِمَّا اتَّخَوَّفَهُ مِنْهُ وَهُوَ مُقِيمٌ وَالرَّجُلُ إِذَا نَفَى عَنْ بَلَدِهِ صَغُرَ أَمْرُهُ فَأَبَوْا عَلَيْهِ فَكَفَّ عَنْهُ وَأَعْطَى مَنْ كَانَ مَعَهُ عَشْرَةَ عَشْرَةَ وَأَتَى الْكُرْمَانِ نَصْرًا فَدَخَلَ سِرَادِقَهُ فَأَمَنَهُ وَلَحِقَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بِالْحَارِثِ ابْنِ سَرِيحٍ وَأَتَى نَصْرًا عَزَلَ مَنْصُورَ بْنَ جَهْمٍ وَوَلَايَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٢٦ نَخَطَبَ النَّاسَ وَذَكَرَ ابْنَ جَهْمٍ وَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَمَالِ الْعِرَاقِ وَقَدْ عَزَلَهُ اللَّهُ وَاسْتَعْمَلَ الطَّيِّبُ بْنُ الطَّيِّبِ فَغَضِبَ الْكُرْمَانِيُّ لَا بَنَ جَهْمٍ فَعَادَ فِي جَمْعِ الرِّجَالِ وَاتَّخَذَ السِّلَاحَ وَكَانَ يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَأَكْثَرُ وَأَقَلَّ فَيَصْلِي خَارِجًا مِنَ الْمَقْصُورَةِ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَى نَصْرِ فَيَسْلِمُ وَلَا يَجْلِسُ ثُمَّ تَرَكَ إِيْتِيَانِ نَصْرٍ وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَصْرٌ مَعَ سَلْمِ بْنِ أَحْوَزٍ إِلَى اللَّهِ مَا أَرَدْتَ بِكَ فِي حَبْسِكَ سَوْءًا وَلَكِنْ خَفْتُ أَنْ تَفْسُدَ أَمْرُ النَّاسِ فَأَتَنِي فَقَالَ الْكُرْمَانِيُّ لَوْلَا أَنَّكَ فِي مَنْزِلٍ لَقَتَلْتُكَ وَلَوْلَا مَا عَرَفَ مِنْ حَقِّكَ أَحْسَنْتُ أَدَبَكَ فَارْجِعْ إِلَى ابْنِ الْأَقْطَعِ فَأَبْلُغْهُ مَا شِئْتَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَرَجَعَ إِلَى نَصْرِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ عُدْ إِلَيْهِ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ وَمَا بِي هَيْبَةٍ لَهُ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْمَعَنِي فَبِكَ مَا أَكْرَهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَصْمَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيَّ فَقَالَ يَا أَبَا عَلِيٍّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ مَا أَبْتَدَأْتُ بِهِ

في دينك ودنياك ونحن نعرض عليك خصالا فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك
 وما تريد بذلك إلا الإندار إليك فقال الكرمانى إني أعلم أن نصرأ لم يقل هذا لك
 ولكنك أردت أن تبلغه فتحظى والله لا أكلمك كلمة بعد انقضاء كلامي حتى ترجع
 إلى منزلك فيرسل من أحب غيرك فرجع عصمة وقال ما رأيت علجا أعدى لطوره
 من الكرمانى وما أعجب منه ولكن أعجب من يحيى بن حضير لعنهم الله هم أشد
 تعظيما له من أصحابه قال سلم بن أحوز إني أخاف فساد هذا الثغر والناس فأرسل
 إليه قديداً وقال نصر لقديد بن منيع انطلق إليه فأتاه فقال له يا أبا علي لقد لججت
 وأخاف أن يتفاقم الأمر فهلك جميعا وتشمت بنا هذه الأعاجم قال يا قديد إني
 لا أتهمك وقد جاء ما لا أثق بنصر معه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 البكرى أخوك ولا تثق به قال أما إذ وقع هذا في نفسك فأعطه رهنا قال من قال
 أعطه عليا وعثمان قال فمن يعطيني ولا خير فيه قال يا أبا علي أنشدك الله أن يكون
 خراب هذه البلدة على يديك ورجع إلى نصر فقال لعقيل بن معقل الليثى ما أخوفنى
 أن يقع بهذا الثغر بلاء فكلّم ابن عمك فقال عقيل لنصر أيها الأمير أنشدك الله
 أن تشأم عشيرتك إن مروان بالشأم تقاتله الخوارج والناس والأزد في فتنة
 أخفاء سفهاء وهم جيرانك قال فما أصنع، إن علست أمرا يصلح الناس فدونك
 فقد عزم أنه لا يثق بي قال فأتى عقيل الكرمانى فقال أبا علي قد سننت سنة تطلب
 بعدك من الأمراء انى أرى أمرا أخاف أن يذهب فيه العقول قال الكرمانى
 إن نصرأ يريد أن آتية ولا آمنه ونريد أن يعتزل ونعتزل ونختار رجلا من بكر
 ابن وائل نرضاه جميعا فيلى أمرنا جميعا حتى يأتى أمر من الخليفة وهو يأبى هذا
 قال يا أبا علي إني أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر فأت أميرك وقل ما شئت تجاب
 إليه ولا تطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه فقال الكرمانى إني لا أتهمك في
 نصيحة ولا عقل ولكنى لا أثق بنصر فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص
 قال فهل لك في أمر يجمع الأمر بينكما تزوج إليه ويتزوج إليك قال لا آمنه على
 حال قال ما بعد هذا خير واني خائف أن تهلك غدا بمضيعة قال لا حول ولا قوة

إلا بالله فقال له عقيل أعود إليك قال لا ولكن أبلغه عني وقل له لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد فتركب منا ما لا بقية بعده فان شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة وأسفك الدماء فيها فتهيا ليخرج إلى جرجان ﴿ وفي هذه السنة ﴾ آمن يزيد بن الوليد الحارث بن سريج وكتب له بذلك فكتب إلى عبد الله بن عمر يأمره برد ما كان أخذ منه من ماله وولده ذكر الخبر عن سبب ذلك

ذكر أن الفتنة لما وقعت بخراسان بين نصر والكرماني خاف نصر قدوم الحارث بن سريج عليه بأصحابه والترك فيكون أمره أشد عليه من الكرماني وغيره وطمع أن يناصحه فأرسل إليه مقاتل بن حيان النبطي وثلعة بن صفوان البنانى وأنس بن بجالة الأعرجي وهذبة الشعراوى وربيعة القرشي ليردوه عن بلاد الترك فذكر علي بن محمد عن شيوخه أن خالد بن زياد البدوي من أهل الترمذ وخالد بن عمرو ومولى بني عامر خرجا إلى يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث ابن سريج فقدا الكوفة فلحقيا سعيد خدينة فقال لخالد بن زياد أتدري لم سموني خدينة قال لا قال أرادوني على قتل أهل اليمن فأبيت وسألا أيا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجلح وكان من خاصة يزيد بن الوليد فكتب لهما إليه فأدخلهما عليه فقال له خالد بن زياد يا أمير المؤمنين قتلت ابن عمك لإقامة كتاب الله وعمالك يغشمون ويظلمون قال لا أجد أعوانا غيرهم ولاني لا بغضهم قال يا أمير المؤمنين ول أهل البيوتات وضم إلى كل عامل رجالا من أهل الخير والفقهاء يأخذونهم بما في عهدك قال أفعل وسألاه أمانا للحارث بن سريج فكتب له أما بعد فإننا غضبنا لله إذ عطلت حدوده وبلغ بعباده كل مبالغ وسفكت الدماء بغير حلها وأخذت الأموال بغير حقها فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جل وعز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا قوة إلا بالله فقد أوضحنالك عن ذات أنفسنا فأقبل آمنا أنت ومن معك فإنكم إخواننا وأعواننا وقد كتبت إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز برد ما كان اصطفى من أموالكم وذرائعكم فقدا الكوفة

فدخل على ابن عمر فقال خالد بن زياد أصلى الله الأمير ألا تأمر عمالك بسيرة أيك قال أو ليس سيرة عمر ظاهرة معروفة قال فما ينفع الناس منها ولا يحمل بها ثم قدما مرو فدفعوا كتاب يزيد إلى نصر فرد ما كان أخذ لهم بما قدر عليه ثم نفذا إلى الحارث فلقيا مقاتل بن حيان وأصحابه الذين وجههم نصر إلى الحارث وكان ابن عمر كتب إلى نصر إنك آمنت الحارث بغير إذني ولا إذن الخليفة فأسقط في يديه فبعث يزيد بن الأحمر وأمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه في السفينة فلما لقيا مقاتلا بآمل قطع إليه مقاتل بنفسه فكف عنه يزيد قال فأقبل الحارث يريد مرو وكان مقامه بأرض الشرك اثنتي عشرة سنة وقدم معه القاسم الشيباني ومُضَرَّس بن عمران قاضيه وعبد الله بن سنان فقدم سمرقند وعليها منصور ابن عمر فلم يتلقه وقال الحسن بلانه وكتب إلى نصر يستأذنه في الحارث أن يثب به فأيهما قتل صاحبه فإلى الجنة أو إلى النار وكتب إليه لئن قدم الحارث على الأمير وقد ضربت بني أمية في سلطانهم وهو والنخ في دم بعد دم قد طوى كشحاً عن الدنيا بعد أن كان في سلطانهم أقرام لضيء وأشد هم بأساً وأنفذهم غارة في الترك ليفرقن عليك بني تميم وكان سر درجته محبوساً عند منصور ابن عمر لأنه قتل ياسان فاستعدى ابنه جنده منصوراً فحبسه فكلّم الحارث منصوراً فيه فخلّى سبيله فلزم الحارث ووفى له (وفي هذه السنة) فيما زعم بعضهم وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان وبعث معه بالسيرة والوصية فقدم مرو وجمع النقباء ومن بها من الدعاة فنعى لهم الإمام محمد بن علي ودعاهم إلى إبراهيم ودفع إليهم كتاب إبراهيم فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد (وفي هذه السنة) أخذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة وجعله ولياً عهده ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم بن الوليد وكان السبب في ذلك فيما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد أن يزيد بن الوليد مرض في ذي الحجة سنة ١٢٦ فقبل له بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز

ابن الحجاج من بعده قال فلم تزل القدرية يحثونه على البيعة ويقولون له إنه لا يحمل لك أن تهمل أمر الامة فبايع لأخيك حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده (وفي هذه السنة) عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة وولاهها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال محمد بن عمر يقال ان يزيد بن الوليد لم يوله ولكنه اقتعل كتاباً بولايته المدينة فعزله يزيد عنها وولاهها عبد العزيز بن عمر فقدمها لليلتين بقيتا من ذى القعدة (وفي هذه السنة) أظهر مروان بن محمد الخلاف على يزيد بن الوليد وانصرف من أرمينية إلى الجزيرة مظهراً انه طالب بدم الوليد بن يزيد فلما صار ببحران بايع يزيد

ذكر الخبر عما كان منه في ذلك وعن السبب الذي حمله على الخلاف ثم البيعة

❦ حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد بن يزيد ابن هريم قال حدثنا أبو هاشم مغلدة بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان وسألته عما شهد مما حدثنا به فقال لم أزل في عسكر مروان بن محمد قال كان عبد الملك ابن مروان بن محمد بن مروان حين انصرف عن غزاته الصائفة مع الغمر بن يزيد ببحران فأتاه قتل الوليد وهو بها وعلى الجزيرة عبدة بن رباح الغساني عاملاً للوليد عليها فشخص منها حيث بلغه قتل الوليد إلى الشام ووثب عبد الملك ابن مروان بن محمد على حران ومدائن الجزيرة فضبطها وولاهها سليمان بن عبد الله بن علاثة وكتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك ويشير عليه بتعجيل السير والقُدوم قهياً مروان للسير وأظهر أنه يطلب بدم الوليد وكره أن يدع الثغر معطلا حتى يحكم أمره فوجه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيلي وهو رأس قيس وثابت بن نعيم الجذامي من أهل فلسطين وهو رأس اليمن وكان سبب صحة ثابت إياه أن مروان كان يخلصه من حبس هشام بالرصافة وكان مروان يقدم على هشام المرة في السنتين فيرفع اليه أمر الثغر وحاله ومصلحة من به من جنوده وما ينبغي أن يعمل به في عدوه وكان سبب حبس هشام ثابتاً ما قد ذكرنا قبل

من أمره مع حنظلة بن صفوان وإفساده عليه الجند الذين كان هشام وجههم معه لحرب البربر وأهل إفريقية إذ قتلوا عامل هشام عليهم كلثوم بن عياض القشيري فشكا ذلك من أمره حنظلة إلى هشام في كتاب كتبه إليه فأمر هشام لحنظلة بتوجيهه إليه في الحديد فوجهه حنظلة إليه فحبسه هشام فلم يزل في حبسه حتى قدم مروان ابن محمد على هشام في بعض وفاداته وقد ذكرنا بعض أمر كلثوم بن عياض وأمر إفريقية معه في موضعه فيما مضى من كتابنا هذا فلما قدم مروان على هشام أتاه رؤوس أهل اليمانية ممن كان مع هشام فطلبوا إليه فيه وكان ممن كلمه فيه كعب بن حامد العبسي صاحب شرط هشام وعبد الرحمن بن الضخم وسليمان بن حبيب قاضيه فاستوهبه مروان منه فوهبه له فشخص إلى أرمينية فولاه وحباه فلما وجه مروان ثابثاً مع إسحاق إلى أهل الباب كتب إليهم معهما كتاباً يعلمهم فيه حال ثغرهم وما لهم من الأجر في لزوم أمرهم ومرا كزهم وما في ثبوتهم فيه من دفع مكروه العدو عن ذراري المسلمين قال وحمل إليهم معهما أعطياتهم وولى عليهم رجلاً من أهل فلسطين يقال له حميد بن عبد الله اللخمي وكان رضىا فيهم وكان وليهم قبل ذلك فحمدوا ولايته فقاما فيهم بأمره وأبلغاهم رسالته وقرأ عليهم كتابه فاجابوا إلى الثبوت في ثغرهم ولزوم مرا كزهم ثم بلغه أن ثابثاً قد كان يدس إلى قوادهم بالانصراف من ثغرهم واللاحاق بأجنادهم فلما انصرفا إليه تهيأ للسير وعرض جنده ودس ثابثاً بن نعيم إلى من معه من أهل الشام بالانخزال عن مروان والانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم ويتولى أمرهم فأنخزلوا عن عسكرهم مع من قر ليلاً وعسكروا على حدة وبلغ مروان أمرهم فبات ليلته ومن معه في السلاح يتحارسون حتى أصبح ثم خرج إليهم بمن معه ومن مع ثابث يضعفون على من مع مروان فصافوهم ليقاتلوهم فأمر مروان منادين فنادوا بين الصفين من الميمنة والميسرة والقلب فنادوهم يا أهل الشام مادعاكم إلى الانخزال وما الذي تقسم على فيه من سيرى ألم ألكم ماتحبون وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم ما الذي دعاكم إلى سفك دمائكم فأجابوه بأنا كنا نطيعك بطاعة خليفةنا وقد قتل خليفةنا

وبابغ أهل الشام يزيد بن الوليد فرضينا بولاية ثابت ورأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتى نرد إلى أجنادنا فأمر مناديه فنادى أن قد كذبتكم وليس تريدون الذي قلتكم وإنما أردتم أن تركبوا رؤوسكم فتغصبوا من مررتكم به من أهل الذمة أموالهم وأطعمتهم وأعطافهم وما بيني وبينكم إلا السيف حتى تنقادوا إلى فأسير بكم حتى أوردكم الفرات ثم أخلى عن كل قائد وجنده فتلحقون بأجنادكم فلما رأوا الجذمة انقادوا إليه ومالوا له وأمكنوه من ثابت بن نعيم وأولاده وهم أربعة رجال رفاعة ونعيم وبكر وعمران قال فأمر بهم فأنزلوا عن خيولهم وسلبوا سلاحهم ووضع في أرجلهم السلاسل ووكل بهم عدة من حرسه يحتفظون بهم وشخص بجماعة من الجند من أهل الشام والجزيرة وضمهم إلى عسكره وضبطهم في مسيره فلم يقدر أحد منهم على أن يشد ولا يظلم أحداً من أهل القرى ولا يرزاه شيئاً إلا بشئ من حتى ورد حران ثم أمرهم باللاحاق بأجنادهم وحبس ثابتاً معه ودعا أهل الجزيرة إلى الفرض فقرض ليف وعشرين ألفاً من أهل الجلد منهم وتهاً للسير إلى يزيد وكاتبه يزيد على أن يبايعه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد ابن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان فبايع له مروان ووجه إليه محمد بن عبد الله بن علاثة ونفرا من وجوه الجزيرة (وفي هذه السنة) مات يزيد بن الوليد وكانت وفاته سلخ ذى الحجة من سنة ١٢٦ قال أبو معشر ما حدثني به أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه توفي يزيد بن الوليد في ذى الحجة بعد الأضحي سنة ١٢٦ وكانت خلافته في قول جميع من ذكرنا ستة أشهر وقيل كانت خلافته خمسة أشهر وليلتين وقال هشام بن محمد ولى ستة أشهر وأياماً وقال علي بن محمد كانت ولايته خمسة أشهر وأثنى عشر يوماً وقال علي بن محمد مات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ١٢٦ وهو ابن ست وأربعين سنة وكانت ولايته فيما زعم ستة أشهر وليلتين وتوفي بدمشق واختلف في مبلغ سنه يوم توفي فقال هشام توفي وهو ابن ثلاثين سنة وقال بعضهم توفي وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه آفر يد بنت فيروز بن يزجرج بن

شهر يار بن كسرى وهو القائل

أنا ابنُ كِسْرَى وأبى مَرْوانَ وقِصْرُ جَدِّى وَجَدِّى خاقان

وقيل إنه كان قَدَرِيًّا وكان فيما حدثني أحمد عن علي بن محمد في صفته أسمر طويلا صغير الرأس بوجهه خال وكان جميلا من رجل في فمه بعض السمة وليس بالمفرط وقيل له يزيد الناقص لنقصه الناس العشرات التي كان الوليد زادها الناس في قول الواقدي وأما علي بن محمد فانه قال سبه مروان بن محمد فقال الناقص ابن الوليد فسماه الناس الناقص (وحي) بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان في قول الواقدي وقال بعضهم حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد الله ابن عبد الملك بعثه يزيد بن الوليد وخرج معه عبد العزيز وهو على المدينة ومكة والطائف وكان عامله على العراق في هذه السنة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وعلى قضاء الكوفة ابن أبي ليلى وعلى أحداث البصرة المسور بن عمر بن عباد وعلى قضائها عامر بن عبيدة وعلى خراسان نصر بن سيار الكنانى

خلافة أبي اسحاق ابراهيم بن الوليد

ثم كان ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان غير أنه لم يتم له أمر ۞ فحدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال لم يتم لإبراهيم أمره وكان يسلم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمرة فكان على ذلك أمره حتى قدم مروان بن محمد فخلعه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وقال هشام بن محمد استخلف يزيد بن الوليد أبا اسحاق ابراهيم بن الوليد فكت أربعة أشهر ثم خلع في شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٦ ثم لم يزل حيا حتى أصيب في سنة ١٣٢ أمه أم ولد ۞ حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن ابراهيم قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد قال كانت ولاية ابراهيم بن الوليد سبعين ليلة

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

ذكر ما كان فيها من الاحداث

فما كان فيها من ذلك مسير مروان بن محمد إلى الشام والحرب التي جرت بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجر

ذكر ذلك والسبب الذي كانت عنه هذه الواقعة

(قال أبو جعفر) وكان السبب ما ذكرت بعضه من أمر مسير مروان بعد مقتل الوليد بن يزيد إلى الجزيرة من أرمينية وغلبته عليها مظهراً أنه نأثر بالوليد منكر قتله ثم إظهاره البيعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولاه عمل أبيه محمد بن مروان وإظهاره ما أظهر من ذلك وتوجيهه وهو بجران محمد بن عبدالله بن علانة وجماعة من وجوه أهل الجزيرة ❦ فحدثني أحمد قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد قال لما أتى مروان موت يزيد أرسل إلى ابن علانة وأصحابه فردهم من منبج وشخص إلى إبراهيم بن الوليد فصار مروان في جند الجزيرة وخلف ابنه عبد الملك في أربعين ألف من الرابطة بالركة فلما انتهى إلى قنسرين وبها أخ يزيد بن الوليد يقال له بشر كان ولاه قنسرين فخرج إليه فصافه فنادى الناس ودعاهم مروان إلى مبايعته قال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية وأسلموا بشراً وأخاه يقال له مسرور بن الوليد وكان أخا بشر لأمه وأبيه فأخذه مروان وأخاه مسرور بن الوليد فحبسهما وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قنسرين متوجهاً إلى أهل حمص وكان أهل حمص امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج فوجه إليه إبراهيم عبد العزيز بن الحجاج وجند أهل دمشق فحاصروهم في مدينتهم وأغذ مروان السير فلما دنا من مدينة حمص رحل عبد العزيز عنهم وخرجوا إلى مروان فبايعوه وساروا بجمعهم معه ووجه إبراهيم بن الوليد الجنود مع سليمان بن هشام فصار بهم حتى نزل عين الجر وأتاه مروان وسليمان في عشرين ومائة ألف فارس مروان في نحو من ثمانين

ألفاً فالتقيا فدعاهم مروان إلى الكف عن قتاله والتخلى عن ابني الوليد الحكم وعثمان وهما في سجن دمشق بحوسان وضمن عنهما ألا يؤاخذاهم بقتلهم أباهما وأن لا يطلبأ أحداً ممن ولى قتله فأبوا عليه وجدوا في قتاله فاقتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر واستحر القتل بينهم وكثر في الفريقين وكان مروان مجرباً مكيداً فدعا ثلاثة نفر من قواده أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى فأمرهم بالمسير خلس صفه في خيله وهم ثلاثة آلاف ووجه معهم فعلة بالفؤوس وقدملاً الصفان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطين بالمرج وبين العسكرين نهر جرار وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشجر فيعقدوا جسوراً وليجيزوا إلى عسكر سليمان ويغيروا فيه قال فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلا بالخييل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلفهم فلما رأوا ذلك انكسروا وكانت هزيمتهم ووضع أهل حمص السلاح فيهم فحردهم عليهم فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم فلم يقتلوا منهم أحداً وأتوا مروان من أسرائهم بمثل عدة القتلى وأكثر واستيبح عسكرهم فأخذ مروان عليهم البيعة للغلامين الحكم وعثمان وخلي عنهم بعد أن قواهم بدينار دينار وألحقهم بأهاليهم ولم يقتل منهم إلا رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقار وللآخر الوليد بن مصاد الكليان وكانا فيمن سار إلى الوليد وولى قتله وكان يزيد بن خالد ابن عبد الله القسري معهم فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق وكان أحدهما يعني الكليين على حرس يزيد والآخر على شرطه فإنه ضربهما في موقفه ذلك بالسياط ثم أمر بهما فحبسا فهلكا في حبسه قال ومضى سليمان ومن معه من الفل حتى صبحوا دمشق واجتمع إليه وإلى إبراهيم وعبد العزيز ابن الحجاج رؤوس من معهم وهم يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكسكي والأصبع بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم فقال بعضهم لبعض إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما والرأى أن تقتلهم فلولوا ذلك يزيد بن خالد ومعهما في الحبس

أبو محمد السفيناني ويوسف بن عمر فأرسل يزيد مولى لخاله يقال له أبا الأسد في عدة من أصحابه فدخل السجن فشدخ الغلامين بالعمد وأخرج يوسف بن عمر ليقتلوه وضربت عنقه وأرادوا قتل أبي محمد السفيناني فدخل بيتاً من بيوت السجن فأغلقه وألقى خلفه الفرش والوسائد واعتمد على الباب فلم يقدرُوا على فتحه فدعوا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها حتى قيل قد دخلت خيل مروان المدينة وهرب إبراهيم بن الوليد وتغيّب وأنهب سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة (وفي هذه السنة) دعا إلى نفسه عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة وحاربها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان فهزمه عبد الله بن عمر فلحق بالجلال فغلب عليها

ذكر الخبر عن سبب خروج عبد الله ودعائه الناس إلى نفسه

وكان إظهار عبد الله بن معاوية الخلاف على عبد الله بن عمر ونصبه الحرب له فيما ذكر هشام عن أبي مخنف في المحرم سنة ١٢٧ وكان سبب خروجه عليه فيما حدثني أحمد عن علي بن محمد عن عاصم بن حفص التميمي وغيره من أهل العلم أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز يلتمس صلته لا يريد خروجه فتزوج ابنة حاتم بن الشرق بن عبد المؤمن ابن شبة بن ربيع فلما وقعت العصبية قال له أهل الكوفة ادع إلى نفسك فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مروان فدعاه سراً بالكوفة وابن عمر بالحيرة وبايعه ابن ضمرة الخزاعي فدخل إليه ابن عمر فأرضاه فأرسل إليه إذا نحن التقينا بالناس انهزمتم بهم وبلغ ابن معاوية فلما التقى الناس قال ابن معاوية إن ابن ضمرة قد غدر ووعد ابن عمر أن ينهزم الناس فلا يهولنكم انهزامه فإنه عن غدر يفعل فلما التقوا انهزم ابن ضمرة وانهزم الناس فلم يبق معه أحد فقال

تَفَرَّقَتِ الظُّبَاءُ عَلَى خِدَاشٍ فَمَا يَدْرِي خِدَاشٌ مَا يَصِيدُ

فرجع ابن معاوية إلى الكوفة وكانوا التقوا ما بين الحيرة والكوفة ثم خرج إلى المدائن فبايعوه وأتاه قوم من أهل الكوفة فخرج فغلب على حلوان والجلال

قال ويقال قدم عبد الله بن معاوية الكوفة وجمع جمعاً فلم يعلم عبد الله بن عمر حتى خرج في الجبابة مجعاً على الحرب فالتقوا وخالد بن قطن الحارثي على أهل اليمن فشد عليه الأصبع بن ذؤالة الكلبي في أهل الشام فانهزم خالد وأهل الكوفة وأمسكت نزار عن نزار ورجعوا وأقبل خمسون رجلاً من الزيدية إلى دار ابن عمرز القرشي يريدون القتال فقتلوا لم يقتل من أهل الكوفة غيرهم قال وخرج ابن معاوية من الكوفة مع عبد الله بن عباس التميمي إلى المدائن ثم خرج منها فغلب على الماهين وهمذان وقومس واصبهان والرتي وخرج إليه عبيد أهل الكوفة وقال

لَا تَرْكَبَنَّ الصَنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مِثْلِهِ

وَلَا يُعْجِبَنَّكَ قَوْلُ امْرِئٍ يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فِعْلِهِ

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه زعم أن سبب ذلك أن عبد الله والحسن ويزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدموا على عبد الله بن عمر فنزلوا في النخع في دار مولى لهم يقال له الوليد بن سعيد فأكرمهم ابن عمر وأجازهم وأجرى عليهم كل يوم ثلثمائة درهم فكانوا كذلك حتى هلك يزيد بن الوليد وبابيع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقدمت بيعتهما على عبد الله بن عمر بالكوفة فبابيع الناس لهما وزادهم في العطاء مائة مائة وكتب بيعتهما إلى الآذاق فجاءته البيعة فبينما هو كذلك إذ أتاه الخبر بأن مروان بن محمد قد سار في أهل الجزيرة إلى إبراهيم بن الوليد وأنه امتنع من البيعة له فاحتبس عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده وزاده فيما كان يجري عليه وأعدده لمروان بن محمد إن هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليبايع له ويقا تل به مروان فاج الناس في أمرهم وقرب مروان من الشام وخرج إليه إبراهيم فقاتله فهزمه مروان وظفر به وخرج هارباً وثبت عبد العزيز بن الحجاج يقاتل حتى قتل وأقبل اسماعيل بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري هارباً حتى أتى الكوفة وكان في عسكر إبراهيم فافعل كتاباً على لسان إبراهيم بولاية الكوفة فأرسل إلى اليمانية فأخبرهم سراً أن إبراهيم بن الوليد ولاه العراق فقبلوا ذلك منه

وبلغ الخبر عبد الله بن عمر فباكره صلاة الغداة فقاتله من ساعته ومعه عمر بن الغضبان فلبارأى اسماعيل ذلك ولا عهد معه وصاحبه الذي افتعل العهد على لسانه هارب منهزم خاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل فقال لأصحابه إني كاره لسفك الدماء ولم أحسن أن يبلغ الأمر ما بلغ فكفوا أيديكم ففرق القوم عنه فقال لأهل بيته إن إبراهيم قد هرب ودخل مرو لن دمشق فحكي ذلك عن أهل بيته فانتشر الخبر وأشرأت الفتنة ووقعت العصبية بين الناس وكان سبب ذلك أن عبد الله بن عمر كان أعطى مضر وريعة عطايا عظاما ولم يعط جعفر بن نافع بن القعقاع بن شور الذهلي وعثمان بن الحخيرى أخا بنى تميم اللات بن ثعلبة شيئا ولم يسوهما بنظرهما فدخل عليهما فكلماه كلاما غليظا فغضب ابن عمر وأمر بهما فقام إليهما عبد الملك الطائي وكان على شرطه يقوم على رأسه فدفعهما فدفعاه وخرجا مغضبين وكان ثمامة بن حوشب بن رويم الشيباني حاضرا فخرج مغاضبا لصاحبيه فخرجوا جميعا إلى الكوفة وكان هذا وابن عمر بالحيرة فلما دخلوا الكوفة نادوا يا آل ربيعة فشارت إليهم ربيعة فاجتمعوا وتتمروا وبلغ الخبر ابن عمر فأرسل إليهم أخاه عاصما فأتاهم وهم بدبر هند قد اجتمعوا وحشدوا فألقى نفسه بينهم وقال هذه يدي لكم فاحكموا فاستحيوا وعظموا عاصما تشكروا له وأقبل على صاحبهم فسكتا وكفا فلما أمسى ابن عمر أرسل من تحت ليلته إلى عمر بن الغضبان بمائة ألف فقسمها في قومه بنى همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وأرسل إلى ثمامة بن حوشب بن رويم بمائة ألف فقسمها في قومه وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف وإلى عثمان بن الحخيرى بعشرة آلاف قال أبو جعفر فلما رأت الشيعة ضغفه اغتمزوا فيه واجترؤا عليه وطمعوا فيه ودعوا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر وكان الذى رلى ذلك هلال بن أبى الورد مولى بنى عجل فثاروا في غوغاء الناس حتى أتوا المسجد فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالامر فبايعه الناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية ثم مضوا من فورهم إلى عبد الله فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد حتى أدخلوه القصر وحالوا بين عاصم

ابن عمر وبين القصر فالحق بأخيه عبد الله بالخيرة وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه فيهم عمر بن الغضبان بن القبحري ومنصور بن جمهور واسماعيل بن عبد الله القسري ومن كان من أهل الشام بالكوفة له أهل وأصل فأقام بالكوفة أياماً يبايعه الناس وأتته البيعة من المدائن وفيم النيل واجتمع إليه الناس فخرج يريد عبد الله بن عمر بالخيرة وبرز له عبد الله بن عمر فيمن كان معه من أهل الشام فخرج رجل من أهل الشام يسأله البراز فبرز له القاسم بن عبد الغفار فقال له الشامي لقد دعوت حين دعوت وما أظن أن يخرج إلى رجل من بكر بن وائل والله ما أريد قتالك ولكن أحببت أن ألقى إليك ما انتهى إلينا أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن لا منصور ولا اسماعيل ولا غيرهما إلا قد كاتب عبد الله بن عمر وجاءته كتب مضر وما أرى لكم أيها الحى من ربيعة كتاباً ولا رسولا وليسوا مواقعيكم يومكم حتى تصبحوا في واقعكم فان استطعتم أن لا تكون بكم الحزة فافعلوا فاني رجل من قيس وسنكون غدا بإزائكم فان أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغته وان أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أبلغتكم حال الناس فدعا القاسم رجالا من قومه فأعلمهم ما قال له الرجل وإن ميمنة ابن عمر ربيعة ومضر ستقف بإزاء ميسرته وفيها ربيعة فقال عبد الله بن معاوية إن هذه علامة ستظهر لنا إن أصبحنا فان أحب عمر بن الغضبان فليلقني الليلة وإن منعه شغل ما هو فيه فهو غدر وقل له إني لأظن القيسي قد كذب فألقى الرسول عمر بذلك فردّه إليه بكتاب يعلمه أن رسول هذا بمنزلي عندي ويأمره أن يتوثق من منصور وإسماعيل وإنما أراد أن يعلمهما بذلك قال فأبى ابن معاوية أن يفعل فأصبح الناس غادين على القتال وقد جعل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة وتنادى مناد من أتى برأس فله كذا وكذا أو بأسير فله كذا وكذا والمال عند عمر بن الغضبان والتقى الناس واقتتلوا وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ومضى إسماعيل ومنصور من فورهما إلى الخيرة وزحمت غوغاء الناس لأهل اليمن من أهل الكوفة فقتلوا فيهم أكثر من ثلاثين رجلا وقتل الهاشمي العباس

ابن عبد الله زوج ابنة الملاء ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه عن أبيه عن عاتكة بنت الملاء تزوجت أزواجا منهم العباس بن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل قتل مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في العيصية بالعراق وقتل مبكر ابن الحواري بن زياد في غيرهم ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتى دخل نصر الكوفة وبقيت الميسرة من مضر وربيعة ومن يازاتهم من أهل الشام وحمل أهل القلب من أهل الشام على الزيدية فانكشفوا حتى دخلوا الكوفة وبقيت الميسرة وهم نحو من خمسمائة رجل وأقبل عامر بن ضبارة ونباتة بن حنظلة بن قبيصة وعتبة بن عبد الرحمن الثعلبي والنضر بن سعيد بن عمرو الحرشي حتى وقفوا على ربيعة فقالوا لعمر بن الغضبان أما نحن يامعشر ربيعة فما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن وتتخوف عليكم مثلها فانصرفوا فقال عمر ما كنت ببارح أبداً حتى أموت فقالوا إن هذا ليس بمن عنك ولا عن أصحابك شيئاً فأخذوا بعنان دابته فأدخلوه الكوفة قال عمر حدثني علي بن محمد عن سليمان بن عبد الله النوفلي قال حدثني أبي قال حدثنا خراش بن المغيرة بن عطية مولى لبني ليث عن أبيه قال كنت كاتب عبد الله بن عمر فوالله إني لعنده يوماً وهو بالحيرة إذ أتاه آتٍ فقال هذا عبد الله بن معاوية قد أقبل في الخلق فأطرق ملياً وجاءه رئيس خبازيه فقام بين يديه كأنه يؤذنه بادراك طعامه فأومأ إليه عبد الله أن هات له فجاء بالطعام وفد شخصت قلوبنا ونحن نتوقع أن يهجم علينا ابن معاوية ونحن معه قال فجعلت أتفقده هل أراه تغير في شيء من أمره من مطعم أو مشرب أو منظر أو أمر أو نهى فلا والله ما أنكرت من هيئته قليلاً ولا كثيراً وكان طعامه إذا أتى به وضع بين كل اثنين منا صحفة قال فوضعت بيني وبين فلان صحفة وبين فلان وفلان صحفة أخرى حتى عدت من كان على خوانه فلما فرغ من غدائه ووضوته أمر بالمال فأخرج حتى أخرجت آنية من ذهب وفضة وكسبي ففرق أكثر ذلك في قواده ثم دعا مولى له أو مملوكاً كان يتبرك به ويتفاهل باسمه إمامي ميمونا أو فتحا أو اسما من الاسماء المتبرك بها فقال له خذ لواءك وامض إلى تل كذا وكذا

فاركزه وادع أصحابك وأقم حتى آتيتك ففعل وخرج عبد الله وخرجنا معه حتى صار إلى التل فاذا الأرض بيضاء من أصحاب ابن معاوية فأمر عبد الله مناديا فسادى من جاء برأس فله خمسمائة فوالله ما كان بأسرع من أن أتى برأس فوضع بين يديه فأمر له بخمسمائة فدفعت إلى الذى جاء به فلما رأى أصحابه وفاءه لصاحب الرأس نادوا بالقوم فوالله ما كان إلا هنيهة حتى نظرت إلى نحو من خمسمائة رأس قد ألقيت بين يديه وانكشف ابن معاوية ومن معه منهزمين فكان أول من دخل الكوفة من أصحابه منهزما أبو البلاد مولى بنى عبس وابنه سليمان بين يديه وكان أبو البلاد متشيعا فجعل أهل الكوفة ينادونهم كل يوم كأنهم يعيرونهم بانهمزاه فجعل يصيح بابنه سليمان اهض ودع النواضح ينفقن قال ومر عبد الله بن معاوية فطوى الكوفة ولم يعرج بها حتى أتى الجبل وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن عبد الله بن معاوية وإخوته دخلوا القصر فلما أمسوا قالوا للعرب بن الغضبان وأصحابه يا معشر ربيعة قد رأيتم ما صنع الناس بنا وقد أعلقنا دماءنا بكم فى أعناقكم فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم وإن كنتم ترون الناس خاذلين وإياكم نخذوا لنا ولكم أمانا فما أخذتم لأنفسكم فقد رضينا لأنفسنا فقال لهم عمر بن الغضبان مانحن بتارككم من إحدى خلتين إما أن نقاتل معكم وإما أن نأخذكم أمانا كما نأخذ لأنفسنا فطيبوا أنفسا فأقاموا فى القصر والزيدية على أفواه السكك يغدون عليهم أهل الشام ويروحون يقاتلونهم أياما ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبد الله بن معاوية أمانا لا يمنعونهم ويذهبوا حيث شاءوا وأرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية فأرسل إليه ابن الغضبان فرحله ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل الكوفة فسار بهم رسل عمر حتى أخرجوهم من الجسر فنزل عمر من القصر (وفى هذه السنة) وفى الحارث بن سريج مرو خارجا إليها من بلاد الترك بالأمان الذى كتب له يزيد بن الوليد فصار إلى نصر بن سيار ثم خالفه وأظهر الخلاف له وبايعه على ذلك جمع كبير

ذكر الخبر عن أمره وأمر نصر بعد قدومه عليه

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن الحارث سار إلى مرو ومخرجه من بلاد الترك فقدمها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢٧ فتلقيه سلم بن أحوز والناس بكشها من فقال محمد بن الفضيل بن عطية العبسي الحمد لله الذي أقر أعيننا بقدومك وردك إلى فئة الإسلام وإلى الجماعة قال يابني أما علمت أن الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلا وأن القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيرا وماقرت عيني منذ خرجت، إلى يومى هذا وماقرة عيني إلا أن يطاع الله فلما دخل مرو قال اللهم إني لم أنوقط في شيء مما بيني وبينهم إلا الوفاء فإن أرادوا الغدر فأنصرني عليهم وتلقاه نصر فأنزله قصر بخارا خذاه وأجرى عليه نزلا خمسين درهما في كل يوم وكان يقتصر على لون واحد وأطلق نصر من كان عنده من أهله أطلق محمد بن الحارث والألوف بنت الحارث وأم بكر فلما أتاه ابنه محمد قال اللهم اجعله باراً تقياً قال وقدم الوضاح بن حبيب بن بُدَيْل على نصر بن سيار من عند عبد الله ابن عمرو وقد أصابه برد شديد فكساه أثرا بابا وأمر له بقرى وجارين ثم أتى الحارث ابن سريج وعنده جماعة من أصحابه قيام على رأسه فقال له إنا بالعراق نشهر عظم عمودك وثقله وإني أحب أن أراه فقال ما هو إلا كبعض ما ترى مع هؤلاء وأشار إلى أصحابه ولكني إذا ضربت به ضربني قال وكان في عموده بالشأى ثمانية عشر رطلا قال ودخل الحارث بن سريج على نصر وعليه الجوشن الذي أصابه من خاقان وكان خيره بين مائة ألف دينار دينكائية وبين الجوشن فاختر الجوشن فنظرت إليه المرزبانة بنت قديد امرأة نصر بن سيار فأرسلت إليه بجرز لها ستمور مع جارية لها فقالت أقرني ابن عمي السلام وقولي له اليوم بارد فاستدني بهذا الجرزالسمور فالحمد لله الذي أقدمك صالحا فقال للجارية أقرني بنت عمي السلام وقولي لها عارية أم هدية فقالت بل هدية فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها في أصحابه وبعث إليه نصر بفرش كثيرة وفرس فباع ذلك كله وقسمه في أصحابه بالسوية وكان يجلس على بردعة وتثنى له وسادة غليظة وعرض نصر على الحارث أن يوليه ويعطيه

مائة ألف دينار فلم يقبل فأرسل إلى نصر إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ولا من تزويج عقائل العرب في شيء وإنما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل فإن فعلت ساعدتك على عدوك وأرسل الحارث إلى الكرماني إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضدته وقت بأمر الله وإن لم يفعل استعنت بالله عليه وأعتك إن ضمنت لي ما أريد من القيام بالعدل والسنة وكان كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه فبايعه محمد بن حمران ومحمد بن حرب بن جرفاس المنقریان والحليل بن غزوان العدوي وعبد الله بن مجاعة وهبيرة بن شراحيل السعديان وعبد العزيز بن عبدربه الليثي وبشر بن جرموز الضبي ونهار بن عبد الله بن الحثات المجاشعي وعبد الله النباقي وقال الحارث لنصر خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكارا للجور وأنت تريدني عليه فانضم إلى الحارث ثلاثة آلاف (وفي هذه السنة) بويع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة

ذكر الخبر عن سبب البيعة له

❦ حدثني أحمد قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنا أبو هاشم مخلد ابن محمد مولى عثمان بن عفان قال لما قيل قد دخلت خيل مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد وتغيب فأنهب سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجند وخرج من المدينة وثار من فيها من موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ودخل مروان دمشق فنزل عالية وأتى بالغلامين مقتولين ويوسف بن عمر فأمر بهم فدفنوا وأتى بأبي محمد السفيفاني محمولا في كبوله فسلم عليه بالخلافة ومروان يومئذ يسم عليه بالإمرة فقال له مه فقال إنهما جعلاهما لك بعدهما وأنشده شعرا قاله الحكم في السجن قال وكانا قد بلغنا وولد لأحدهما وهو الحكم والآخر قد احتلم قبل ذلك بسنتين قال فقال الحكم

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ مَرْوَانَ عَنِّي وَعَمِّي الْغَمْرَ طَالَ بَذَا حَيْنِنَا

بَأْنِي قَدْ ظَلِمْتُ وَصَارَ قَوْمِي
أَيْدَهُبُ كُلُّهُمْ بِيَدِي وَمَالِي
وَمَرُوانُ بِأَرْضِ بَنِي نِزارِ
أَلَمْ يَحْزَنْكَ قَتْلُ قَيِّ قَرِيشِ
أَلَا فَاقَرَ السَّلَامَ عَلَى قَرِيشِ
وَسَادَ النَّاظِرُ الْقَدْرِي فِينَا
فَلَوْ شَهِدَ الْفَوَارِسُ مِنْ سُلَيْمٍ
وَلَوْ شَهِدَتْ لُبُوثُ بَنِي تَمِيمٍ
أَتُنْكُثُ بَيْعَتِي مِنْ أَجْلِ أُمِّي
فَلَيْتَ خُوْلَتِي مِنْ غَيْرِ كَلْبٍ
فَإِنْ أَهْلِكَ أَنَا وَوَلِيُّ عَهْدِي
عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ مُتَابِعِينَا
فَلَا غَنًا أَصَبْتُ وَلَا سَمِينَا
كَلِمَتِ الْغَابِ مُفْتَرَسَ عَرِينَا
وَشَقُّهُمْ عَصَى الْمُسْلِمِينَا
وَقَدِيرِ بِالْجَزِيرَةِ أَجْمَعِينَا
وَأَلْقَى الْحَرْبَ بَيْنَ بَنِي أَيْدِينَا
وَكَعْبٍ لَمْ أَكُنْ لَهُمْ رَهِينَا
لَمَّا بَعْنَا تُرَاثَ بَنِي أَيْدِينَا
فَقَدْ بَايَعْتُمْ قَبْلِي هَجِينَا
وَكَانَتْ فِي وَلَادَةِ آخِرِينَا
فَمَرُوانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَا

ثم قال ابسط يدك أبايعك وسمعه من مع مروان من أهل الشام فكان أول من نهض معاوية بن يزيد بن الحُصَيْن بن نَمِير ورؤس أهل حمص فبايعوه فأمرهم أن يختاروا الولاية أجنادهم فاختر أهل دمشق زامل بن عمرو الجبَرَانِي وأهل حمص عبد الله بن شجرة الكندي وأهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان وأهل فلسطين ثابت بن نعيم الجُدَامِي الذي كان استخرجه من سجن هشام وغدر به بأرمينية فأخذ عليهم العهد المؤكدة والأيمان المغلظة على بيعته وانصرف إلى منزله من حران (قال أبو جعفر) فلما استوت لمروان بن محمد الشام وانصرف إلى منزله بمران طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهم فقدم عليه سليمان وكان سليمان بن هشام يومئذ بتدريمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية فبايعوا مروان بن محمد (وفي هذه السنة) انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشام فخارهم

ذكر الخبر عن أمرهم وأمره وعن سبب ذلك

❀ حدثني أحمد قال حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنا أبو هاشم محمد

ابن محمد بن صالح قال لما انصرف مروان إلى منزله من حران بعد فراغه من أهل الشام لم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى خالفه أهل الشام وانتقضوا عليه وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم وراسلهم وكاتبهم وبلغ مروان خبرهم فسار إليهم بنفسه وأرسل أهل حمص إلى من يتدمر من كلب فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبي ومعه بنون له ثلاثة رجال حمزة وذؤالة ورافصة ومعاوية السكسكي وكان فارس أهل الشام وعصمة بن المقشعر وهشام بن مصاد وطفيل بن حارثة ونحو من ألف من فرسانهم فدخلوا مدينة حمص ليلة الفطر من سنة ١٢٧ قال ومروان بحماة ليس بينه وبين مدينة حمص إلا ثلاثون ميلا فأتاه خبرهم صبيحة الفطر فجد في السير ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام وقد كانا راسلاه وطلبا إليه الأمان فصارا معه في عسكره يكرمهما ويدنيهما ويجلسان معه على غدائه وعشائه ويسيران معه في موكبه فانتهى إلى مدينة حمص بعد الفطر بيومين والكلبية فيها قد ردموها أبوها من داخل وهو على عُدَّة معه روابطه فأحدثت خيله بالمدينة ووقف حذاء باب من أبوابها وأشرف على جماعة من الخائط فناداهم مناديه مادعاهم إلى النكث قالوا فإننا على طاعتك لم تنكث فقال لهم فإن كنتم على ما تذكرون فافتحوا ففتحوا الباب فاقتحم عمرو بن الوضاح في الوضاحية نحو من ثلاثة آلاف فقاتلوهم في داخل المدينة فلما كثرتهم خيل مروان انتهوا إلى باب من أبواب المدينة يقال له باب تدمر فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلوهم فقتل عاصمهم وأفلت الأصبغ بن ذؤالة والسكسكي وأسرا بنا الأصبغ ذؤالة ورافصة في نيف وثلاثين رجلا منهم فأتى مروان بهم فقتلهم وهو واقف وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائة أو ستمائة فصلبوا حول المدينة وهدم من حائط مدينتها نحو من غلوة ونار أهل الغوطة إلى مدينة دمشق فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وثبت مع زامل المدينة وأهلها وقائد في نحو أربعمائة يقال له أبو هبار القرشي فوجه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر ابن الحارث واسمه مجزاة وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف فلما دنوا من المدينة

حملوا عليهم وخرج أبو هبار وخيله من المدينة فهزموهم واستباحوا عسكرهم وحرقوا المزة من قرى اليمانية ولجأ يزيد بن خالد وأبو علاقة إلى رجل من لخم من أهل المزة فدل عليهما زامل فأرسل اليهما فقتلا قبل أن يوصل بهما إليه فبعث برأسيهما إلى مروان بن الحارث بن عوف وخرج ثابت بن نعيم من أهل فلسطين حتى أتى مدينة طبرية فحاصرها أهلها وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ابن أخى عبد الملك بن مروان فقاتلوه أياما فكتب مروان إلى أبي الورد أن يشخص اليهم فيمدهم قال فرحل من دمشق بعد أيام فلما بلغهم دنوه خرجوا من المدينة على ثابت ومن معه فاستباحوا عسكرهم فانصرف إلى فلسطين منهزما فجمع قومه وجنده ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية وتفرق من معه وأسر ثلاثة رجال من ولده وهم نعيم وبكر وعمران فبعث بهم إلى مروان فقدم بهم عليه وهو بدير أبوب جرحى فأمر بمدواة جراحاتهم وتغيب ثابت بن نعيم فولى الرماحس بن عبد العزيز الكنانى فلسطين وأفلت مع ثابت من ولده رفاعة بن ثابت وكان أخبثهم فلحق بمنصور بن جمهور فأكرمه وولاه وخلفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور فوثب عليه فقتله فبلغ منصورا وهو متوجه إلى الملتان وكان أخوه بالمنصورة فرجع إليه فأخذه فبنى له اسطوانة من آجر مجوفة وأدخله فيها ثم سمره إليها وبنى عليه قال وكتب مروان إلى الرماحس فى طلب ثابت والتلطف له فدل عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر فأتى به مروان موثقا بعد شهرين فأمر به وبنيه الذين كانوا فى يديه فقطعت أيديهم وأرجلهم ثم حملوا إلى دمشق فرأيتهم مقطعين فأقيموا على باب مسجد لها لأنه كان يباغى أنهم يرجفون بثابت ويقولون إنه أتى مصر فغلب عليها وقتل عامل مروان بها وأقبل مروان من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبد الله وزوجهما ابنتى هشام ابن عبد الملك أم هشام وعائشة وجمع لذلك أهل بيته جميعا منهم من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورؤوس العرب وقطع على أهل الشام بعثا وقواهم وولى على كل جند منهم قائدا منهم وأمرهم بالحقاق بيزيد بن عمر بن هبيرة وكان قبل مسيره إلى الشام وجهه فى عشرين ألفا من أهل قنسرين والجزيرة وأمره أن ينزل دبرين إلى أن يقدم وصيره

مقدمة له وانصرف من دير أيوب إلى دمشق وقد استقامت له الشام كلها ما خلا
تدمر وأمر بثابت بن نعيم وبليه والنفر الذين قطعهم فقتلوا وصلبوا على أبواب
دمشق قال فرأيتهم حين قتلوا وصلبوا قال واستبقى رجلا منهم يقال له عمرو بن
الحارث الكلبي وكان فيما زعموا عنده علم من أموال كان ثابت وضعها عند قوم
ومضى بمن معه فنزل القسطل من أرض حصص مما يلي تدمر بينهما مسيرة ثلاثة
أيام وبلغه أنهم قد عوروا ما بينه وبينها من الآبار وطموها بالصخر فها المزداد
والقرب والأعلاف والإبل فحمل ذلك له ولمن معه فكلمه الأبرش بن الوليد وسليمان
ابن هشام وغيرهما وسألوه أن يعذروا اليهم ويحتج عليهم فاجابهم إلى ذلك فوجه الأبرش
اليهم أخاه عمرو بن الوليد وكتب اليهم يحذرهم ويعلمهم أنه يتخوف أن يكون هلاكا
وهلاك قومه فطردوه ولم يجيبوه فسأله الأبرش أن يأذن له في التوجيه اليهم ويؤجله
أياما ففعل فأتاهم فكلمهم وخوفهم وأعلمهم أنهم حقي وأنه لا طاقة لهم به وبمن معه فأجابه
عامتهم وهرب من لم يثق به منهم إلى بركة كلب وناديتهم وهم السكسكي وعصمة بن المقشعر
وطفيل بن حارثة ومعاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن معاوية وكان صهر الأبرش على
ابنته وكتب الأبرش إلى مروان يعلمه ذلك فكتب إليه مروان أن اهدم حائط
مدينتهم وانصرف إلى بمن بايعك منهم فانصرف إليه ومعه رؤوسهم الأصمغ
ابن ذؤالة وابنه حمزة وجماعة من رؤوسهم وانصرف مروان بهم على طريق البرية
على سورية ودير اللثقي حتى قدم الرصافة ومعه سليمان بن هشام وعمه سعيد بن
عبد الملك وإخوته جميعاً وإبراهيم الخلع وجماعة من ولد الوليد وسليمان ويزيد
فأقاموا بها يوماً ثم شخص إلى الرقة فاستأذنه سليمان وسأله أن يأذن له أن يقيم
أياماً ليقري من معه من مواليه ويحتم ظهره ثم يتبعه فأذن له ومضى مروان فنزل
عند واسط على شاطئ الفرات في عسكر كان ينزله فأقام به ثلاثة أيام ثم مضى
إلى قرقيسيا وإن هبيرة بها ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني
الحروري فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب
لغزو العراق مع قوادهم حتى حلوا بالرصافة فدعوا سليمان إلى خلع مروان
ومحاربتة (وفي هذه السنة) دخل الضحاك بن قيس الشيباني الكوفة

ذكر الاخبار عن خروج الضحاك محكما ودخوله الكوفة

ومن أين كان إقباله اليها

اختلف في ذلك من أمره فاما أحمد فانه حدثني عن عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد قال كان سبب خروج الضحاك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حرورى يقال له سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحاك فاغتنم قتل الوليد واشتغال مروان بالشأم فخرج بأرض كفرن توأما وخرج بسطام البيهسي وهو مفارق لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة فسار كل واحد منهما الى صاحبه فلما تقارب العسكران وجه سعيد بن بهدل الخيبرى وهو أحد قواده وهو الذى هزم مروان في نحو من مائة وخمسين فارسا لبيته فانتهى الى عسكره وهم غارون وقد أمر كل واحد منهم أن يكون معه ثوب أبيض يحمل به رأسه ليعرف بعضهم بعضا فبكروا فى عسكرهم فأصابوهم فى غرة فقال الخيبرى إن يك بسطام فإني الخيبرى أضرب بالسيف وأحمى عسكرى فقتلوا بسطاما وجميع من معه الا أربعة عشر فلاحقوا بمروان فكانوا معه فأثبتهم فى روابطه وولى عليهم رجلا منهم يقال له مقاتل ويكنى أبا النعثل ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشتيت الأمر بها واختلاف أهل الشأم وقتال بعضهم بعضا مع عبد الله بن عمر والنضر بن سعيد الحرشى وكانت اليمانية من أهل الشأم مع عبد الله بن عمر بالحيرة والمضرية مع ابن الحرشى بالكوفة فهم يقتتلون فيما بينهم غدوة وعشية قال فمات سعيد بن بهدل فى وجهه ذلك من طاعون أصابه واستخلف الضحاك بن قيس من بعده وكانت له امرأة تسمى حوماة فقال الخيبرى فى ذلك

سقى الله يا حوماة قبر ابن بهدل إذا رحل السارون لم يترحل

قال واجتمع مع الضحاك نحو من ألف وتوجه الى الكوفة ومر بأرض الموصل فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة نحو من ثلاثة آلاف وبالكوفة يومئذ النضر بن سعيد الحرشى ومعه المضرية وبالحيرة عبد الله بن عمر فى اليمانية فهم متعصبون يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة فلما دنا اليه الضحاك فيمن معه من

الكوفة اصطالح ابن عمرو الحرشي فصار أمرهم واحداً وبدأ على قتال الضحاك وخذلوا على الكوفة ومعهما يومئذ من أهل الشام نحو من ثلاثين ألفاً لهم قوة وعدة ومعهم قائد من أهل قنسرين يقال له عباد بن الغزيل في ألف فارس قد كان مروان أمد به ابن الحرشي فبرزوا لهم فقاتلوه فقتل يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن عباس الكندي وهزم موهم أقبح هزيمة ولحق عبد الله ابن عمر في جماعتهم بواسط وتوجه ابن الحرشي وهو النضر وجماعة المضرية وإسماعيل ابن عبد الله القسري إلى مروان فاستولى الضحاك والجزرية على الكوفة وأرضها وجبوا السواد ثم استخلف الضحاك رجلاً من أصحابه يقال له ملحان على الكوفة في مائتي فارس ومضى في عظم أصحابه إلى عبد الله بن عمر بواسط فحاصره بها وكان معه قائد من قواد أهل قنسرين يقال له عطية التغلبي وكان من الأشداء فلما تخوف محاصرة الضحاك خرج في سبعين أو ثمانين من قومه متوجهاً إلى مروان فخرج على القادسية فبلغ ملحاناً بمره فخرج في أصحابه مبادراً يريد فلقه على قنطرة السيلحين وملحان قد تسرع في نحو من ثلاثين فارساً فقاتله فقتله عطية وناساً من أصحابه وانهمز بقيتهم حتى دخلوا الكوفة ومضى عطية حتى لحق فيمن معه مروان هـ وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال حدثني أبو سعيد قال لما مات سعيد بن بهدل المري وبايعت الشراة للضحاك أقام بشهر زور وثابت إليه الصفرية من كل وجه حتى صار في أربعة آلاف فلم يجتمع مثلهم لخارجي قط قبله قال وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر فأنحط مروان من أرمينية حتى نزل الجزيرة وولى العراق النضر بن سعيد وكان من قواد ابن عمر فشنخص إلى الكوفة ونزل ابن عمر الحيرة فاجتمعت المضرية إلى النضر واليمانية إلى ابن عمر فخاربه أربعة أشهر ثم أمد مروان النضر بابن الغزيل فأقبل الضحاك نحو الكوفة وذلك في سنة ١٢٧ فأرسل ابن عمر إلى النضر هذا لا يريد غيري وغيرك فهلم نجتمع عليه فتعاقدا عليه وأقبل ابن عمر فنزل تل الفتح وأقبل الضحاك ليعبر الفرات فأرسل إليه ابن عمر حمزة بن الأصبع بن ذؤالة الكلبي لينعه من العبور فقال عبيد الله بن العباس الكندي دعه يعبر إلينا فهو

أهون علينا من طلبه فأرسل ابن عمر إلى حمزة يكفه عن ذلك فزول ابن عمر الكوفة
وكان يصلي في مسجد الأمير بأصحابه والنضر بن سعيد في ناحية الكوفة يصلي
بأصحابه لا يجامع ابن عمر ولا يصلي معه غير أنهما قد تكافأ واجتمعا على قتال الضحاك
وأقبل الضحاك حين رجع حمزة حتى عبر الفرات ونزل النخيلة يوم الأربعاء في
رجب سنة ١٢٧ فخف إليهم أهل الشام من أصحاب ابن عمر والنضر قبل أن ينزلوا
فأصابوا منهم أربعة عشر فارسا وثلاث عشرة امرأة ثم نزل الضحاك وضرب
عسكره وعبي أصحابه وأراح ثم تغادوا يوم الخميس فاقتلوا قتالا شديدا فكشفوا
ابن عمر وأصحابه وقتلوا أخاه عاصما قتله البرذون بن مرزوق الشيباني فدفنه
بنو الأشعث بن قيس في دارهم وقتلوا جعفر بن العباس الكندي أخا عبيد الله وكان
جعفر على شرطة عبد الله بن عمر وكان الذي قتل جعفرا عبد الملك بن علقمة بن
عبد القيس وكان جعفر حين رهبه عبد الملك نادى ابن عم له يقال له شاشلة فكر
عليه شاشلة وضربه رجل من الصفرية فقلق وجهه قال أبو سعيد فرأيت بعد ذلك
كأن له وجهين وأكب عبد الملك على جعفر فذبحه ذبحا فقالت أم البرذون الصفرية
نَحْنُ قَتَلْنَا عَاصِمًا وَجَعَفَرًا وَالْفَارِسَ الضُّبِّيَّ حِينَ أَصْحَرَا

وَنَحْنُ جِئْنَا الْخَنْدُقَ الْمُقَرَّرَا

فانهزم أصحاب ابن عمر وأقبل الخوارج فوقفوا على خندقنا إلى الليل ثم انصرفوا
ثم تغادينا يوم الجمعة فوالله ما تاتنا حتى هزمونا فدخلنا خندقنا وأصبحنا يوم السبت
فاذا الناس يتسللون ويهربون إلى واسط ورأوا قوما لم يروا مثلهم قط أشد بأسا
كانهم الأسد عند أشبالها فذهب ابن عمر ينظر أصحابه فإذا عامتهم قد هربوا تحت
الليل ولحق عظمهم بواسط فكان ممن لحق بواسط النضر بن سعيد وإسماعيل بن
عبد الله ومنصور بن جمهور والأصغر بن ذؤالة وابناه حمزة وذؤالة والوليد بن
حسان الغساني وجميع الوجوه وبقي ابن عمر فيمن بقي من أصحابه مقيما لم يبرح
ويقال إن عبد الله لما ولي العراق ولي الكوفة عبيد الله بن العباس الكندي
وعلى شرطه عمر بن الغضبان بن القبّعري فلم يزلوا على ذلك حتى مات يزيد بن
الوليد وقام إبراهيم بن الوليد فأقر ابن عمر على العراق فولى ابن عمر أخاه عاصما

على الكوفة وأقر ابن الغضبان على شرطه فلم يزالوا على ذلك حتى خرج عبد الله ابن معاوية فاتهم عمر بن الغضبان فلما انقضى أمر عبد الله بن معاوية ولى عبد الله بن عمر عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة وعلى شرطه الحكم بن عتيبة الأسدي من أهل الشام ثم عزل عمر بن عبد الحميد عن الكوفة وولى عمر بن الغضبان وعلى شرطه الحكم بن عتيبة الأسدي ثم عزل عمر بن الغضبان عن شرطه وولى الوليد بن حسان الغساني ثم ولى إسماعيل بن عبد الله القسري وعلى شرطه أبان بن الوليد ثم عزل إسماعيل وولى عبد الصمد ابن أبان بن النعمان بن بشير الأنصاري ثم عزل فولى عاصم بن عمر فقدم عليه الضحاك بن قيس الشيباني ويقال إنما قدم الضحاك وإسماعيل بن عبد الله القسري في القصر وعبد الله بن عمر بالحيرة وابن الحرشي بدير هند فغلب الضحاك على الكوفة وولى ملحان بن معروف الشيباني عليها وعلى شرطه الصفر من بني حنظلة حروري فخرج ابن الحرشي يريد الشام فعارضه ملحان فقتله ابن الحرشي فولى الضحاك على الكوفة حسان فولى ابنه الحارث على شرطه وقال عبد الله بن عمر يرى أخاه عاصما لما قتله الخوارج

رَمَى غَرَضِي رَبِّبُ الزَّمَانِ فَلَمْ يَدَعْ
رَمَى غَرَضِي الْأَقْصَى فَأَقْصَدَ عَاصِمًا
غَدَاةَ رَمَى لِلْقَوَسِ فِي الْكَفِّ مِزْعَا
أَخَا كَانَ لِي حِرْزًا وَمَاوَى وَمَفْزَعًا
فَإِنْ تَكُ أَحْزَانٌ وَفَائِضٌ عَبْرَةٌ
أَذَابَتْ عَيْطًا مِنْ دِمِ الْجَوْفِ مُنْقَعًا
تَجَرَّعْتُهَا فِي عَاصِمٍ وَاحْتَسَيْتُهَا
فَأَعْظَمُ مِنْهَا مَا احْتَسَى وَتَجَرَّعَا
فَلَيْتَ الْمَنَايَا كُنَّ خَلْفَنَ عَاصِمًا
فَعِشْنَا جَمِيعًا أَوْ ذَهَبَ بِنَا مَعَا

وذكر أن عبد الله بن عمر يقول بلغني أن عين بن عيين بن عيين بن عيين يقتل ميم بن ميم بن ميم وكان يأمل أن يقتله فقتله عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فذكر أن أصحاب ابن عمر لما انهزموا فلاحقوا بواسط قال لابن عمر أصحابه علام تقيم وقد هرب الناس قال أتلوهم وأنظر فأقام يوما أو يومين لا يرى إلا هاربا قد امتلأت قلوبهم رعبا من الخوارج فأمر عند ذلك بالرحيل إلى واسط وجمع خالد بن الغزيل أصحابه فلاحق بمروان وهو مقيم

بالجزيرة ونظر عبد الله بن العباس الكندي إلى مالتى الناس فلم يأمن على نفسه
فجئح إلى الضحاك فبايعه وكان معه فى عسكره فقال أبو عطاء السندى يعيره باتباعه
الضحاك وقد قتل أخاه

قُلْ لِعَبِيدِ اللَّهِ لَوْ كَانَ جَعْفَرٌ هُوَ الْخَيَّ لَمْ يَجْنَحْ وَأَنْتَ قَتِيلٌ
وَلَمْ يَتَّبِعِ الْمُرَاقَ وَالْثَارُ فِيهِمْ وَفِي كَفِّهِ عَضْبُ الذَّبَابِ صَقِيلٌ
إِلَى مَعْشَرٍ أَرَدُوا أَخَاكَ وَأَكْفَرُوا أَبَاكَ فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ تَقُولُ
فلما بلغ عبيد الله بن العباس هذا البيت من قول أبى عطاء قال أقول أعضك
الله يظن أمك :

فَلَا وَصَلْتِكَ الرَّحْمُ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَطَالِبٍ وَثَرٍ وَالذَّلِيلُ ذَلِيلُ
تَرَكَتَ أَخَا شَيْبَانَ يَسْلُبُ بَزَّةً وَنَجَّاكَ خَوَارُ الْعِنَانِ مَطُولُ
قال فنزل ابن عمر منزل الحجاج بن يوسف بواسط فيما قيل فى اليمانية ونزل
النضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نباتة وابناه محمد ونباته فى المضرية
ذات اليمين إذا صعدت من البصرة وخلوا الكوفة والخيرة للضحاك والشرارة
وصارت فى أيديهم وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنضر بن سعيد الحرشى إلى
ما كان عليه قبل قدوم الضحاك يطلب النضر أن يسلم إليه عبد الله بن عمر ولاية العراق
بكتاب مروان ويأبى عبد الله بن عمر واليمانية مع ابن عمر والزارية مع النضر وذلك
أن جند أهل اليمن كانوا مع يزيد الناقص تعصباً على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد الله
القسرى إلى يوسف بن عمر حتى قتله وكانت القيسية مع مروان لأنه طلب بدم
الوليد وأحوال الوليد من قيس ثم من ثقيف أمه زينب بنت محمد بن يوسف ابنة
أخى الحجاج فعادت الحرب بين ابن عمر والنضر ودخل الضحاك الكوفة فأقام
بها واستعمل عليها ملحان الشيبانى فى شعبان سنة ١٢٧ فأقبل منقضاً فى الشرارة
إلى واسط متبعاً لابن عمر والنضر فنزل باب المضمار فلما رأى ذلك ابن عمر والنضر
نكلا عن الحرب فيما بينهما وصارت كلمتهما عليه واحدة كما كانت بالكوفة فجعل
النضر وقواده يعبرون الجسر فيقاتلون الضحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون
إلى مواضعهم ولا يقيمون مع ابن عمر فلم يزالوا على ذلك شعبان وشهر رمضان

وشوال فاقتلوا يوماً من تلك الأيام فاشتد قتالهم فشد منصور بن جمهور على قائد من قواد الضحاك كان عظيم القدر في الشراة يقال له عكرمة بن شيبان فضربه على باب القورج فقطعه باثنين فقتله وبعث الضحاك قائداً من قواده يدعى شوالاً من بني شيبان إلى باب الزاب فقال اضرمه عليهم ناراً فقد طال الحصار علينا فانطلق شوال ومعه الخبيري أحد بني شيبان في خيلهم فلقبهم عبد الملك بن علقمة فقال لهم أين تريدون فقال له شوال نريد باب الزاب أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا فقال أنا معك فرجع معه وهو حاسر لادرع عليه وكان من قواد الضحاك أيضاً وكان أشد الناس فانتهموا إلى الباب فأضرموه فأخرج لهم عبد الله بن عمر منصور ابن جمهور في ستمائة فارس من كلب فقاتلوهم أشد القتال وجعل عبد الملك بن علقمة يشد عليهم وهو حاسر فقتل منهم عدة فنظر إليه منصور بن جمهور فغاضه صليعه فشد عليه فضربه على جبل عاتقه فقطعه حتى بلغ حرقفته فخر ميتاً وأقبلت امرأة من الخوارج شاة حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور فقالت يا فاسق أجب أمير المؤمنين فضرب يدها ويقال ضرب عنان دابته فقطعه في يدها ونجا فدخل المدينة الخبيري يريد منصوراً فاعترض عليه ابن عم له من كلب فضربه الخبيري فقتله وكان يزعم أنه من أبناء ملوك فارس فقال يرثي عبد الملك بن علقمة

وقائلة وَدَمْعُ الْعَيْنِ تَجْرِي على روح بن علقمة السَّلامُ
أَذْرَكَكَ الْحَمَامُ وَأَنْتَ سَارٍ وكلُّ فِتْنٍ لِمُضَرِّعِهِ حِمَامُ
فَلَا رَعَشُ الْبَدَيْنِ وَلَا هَدَانُ ولا وكلُّ اللِّقَاءِ وَلَا كِهَامُ
وَمَا قَتْلُ عَلَى شَارٍ بَعَارٍ ولكن يُقْتَلُونَ وَهُمْ كِرَامُ
طَغَامُ النَّاسِ لَيْسَ لَهُمْ سَبِيلُ شجاني يا ابن علقمة الطَّغَامُ

ثم إن منصوراً قال لابن عمر ما رأيت في الناس مثل هؤلاء قطيعي الشراة فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان أعطهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان فإنك إن أعطيتهم الرضا خلوا عنا ومضوا إلى مروان فكان حدهم وبأسهم عليه وأقت أنت مستريحاً بموضعك هذا فإن ظفروا بها كان ما أردت وكنت عندهم آمناً وإن ظفروا بهم وأردت خلافة وقتاله قاتلته جاماً مستريحاً مع أن أمره وأمرهم

سيطول ويوسعونه شرا فقال ابن عمر لا تعجل حتى تلوم ونظر فقال أى شيء
 ننظر فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقر وإن خرجنا لم نقم لهم فما انتظارنا
 بهم ومروان فى راحة وقد كفيناه حدهم وشغلناهم عنه أما أنا فخارج لاحق بهم
 فخرج فوقف حيال صفهم وناداهم إني جانيح أريد أن أسلم وأسمع كلام الله قال وهى
 محتهم فلاحق بهم فبايعهم وقال قد أسلمت فدعوا له بغداد فتغدى ثم قال لهم من
 الفارس الذى أخذ بعناني يوم الزاب يعنى يوم ابن علقمة فنادوا يا أم العنبر فخرجت
 إليهم فإذا أجمل الناس فقالت له أنت منصور قال نعم قالت قبح الله سيفك أين
 ما تذكر منه فوالله ما صنع شيئا ولا ترك تعنى ألا يكون قتلها حين أخذت بعنانه
 فدخلت الجنة وكان منصور لا يعلم يومئذ أنها امرأة فقال يا أمير المؤمنين زوجنيها
 قال إن لها زوجا وكانت تحت عبيدة بن سوار التغلبي قال ثم إن عبد الله بن عمر
 خرج إليهم فى آخر شوال فبايعه (وفى هذه السنة) أعنى سنة ١٢٧ خلع سليمان
 ابن هشام بن عبد الملك بن مروان مروان بن محمد ونصب الحرب

ذكر ما جرى بينهما

حدثني أحمد بن زهير قال حدثني عبد الوهاب بن ابراهيم قال حدثني أبو هاشم
 مخلد بن محمد بن صالح قال لما شخص مروان من الرصافة إلى الرقة لتوجيه ابن
 هبيرة إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني استأذنه سليمان بن هشام فى
 مقام أيام لإجمام ظهره وإصلاح أمره فأذن له وهضى مروان فأقبل نحو من
 عشرة آلاف من كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم
 حتى جاءوا الرصافة فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربتة وقالوا أنت أَرْضَى
 منه عند أهل الشام وأولى بالخلافة فاستزله الشيطان فأجابهم وخرج إليهم بإخوته
 وولده ومواليه فعسكر وسار بجميعهم إلى قنسرين فكاتب أهل الشام فانقضوا
 إليه من كل وجه وجند وأقبل مروان بعد أن شارف قرقيسيا منصرفاً إليه وكتب
 إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت فى عسكره من دورين حتى نزل معسكره بواسط
 واجتمع من كان بالهني من موالى سليمان وولد هشام فدخلوا حصن الكامل
 بذراريهم فتحصنوا فيه وأغلقوا الأبواب دونه فأرسل إليهم ماذا صنعتم خلعتهم

طاعتي ونقضتم بيعتي بعد ما أعطيتموني من العهود والمواثيق فردوا على رسله إنا
مع سليمان على من خالفه فرد إليهم إني أحذركم وأنذركم أن تعرضوا لأحد من
تبعني من جندی أو يناله منكم أذى فتحلوا بأنفسكم ولا أمان لكم عندى فأرسلوا
إليه أنا سنكف ومضى مروان فجعلوا يخرجون من حصنهم فيغيرون على من
اتبعه من أخريات الناس وشذ أن الجند فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم وبلغه
ذلك فتحرق عليهم غيظا واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفا من أهل الشام
والذكوانية وغيرهم وعسكر في قرية لبني زفر يقال لها خساف من قلسرين من
أرضها فلما دنا منه مروان قدم السكسكى في نحو سبعة آلاف ووجه مروان
عيسى بن مسلم في نحو من عدتهم فالتقوا فيما بين العسكرين فاقتلوا قتالا شديدا
والتقى السكسكى وعيسى وكل واحد منها فارس بطل فاطعنا حتى تقصفت رماحهما
ثم صار إلى السيف ف ضرب السكسكى^١ مقدم فرس صاحبه فسقط لجامه في صدره
وجال به فرسه فاعترضه السكسكى فضربه بالعمود فصرعه ثم نزل إليه فأسره وبارز
فارسا من فرسان انطاكية يقال له سلساق قائد الصقالبة فأسره وانهزمت مقدمته
وبلغه الخبر وهو في مسيره فمضى وطوى على تعبته ولم ينزل حتى انتهى إلى سليمان
وقد تعجب له وتها لقتاله فلم يناظره حتى واقعه فانهزم سليمان ومن معه واتبعتهم
خيولهم تقتلهم وتأسرهم وانتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه ووقف مروان موقفاً
وأمر ابنه فوقفا موقفين ووقف كوثر صاحب شرطته في موضع ثم أمرهم ألا
يأتوا بأسير إلا قتلوه إلا عبداً مملوكا فأحصى من قتلهم يومئذ نيف على ثلاثين
ألفاً قال وقتل ابراهيم بن سليمان أكبر ولده وأتى بحال هشام بن عبد الملك يقال
له خالد بن هشام المخزومي وكان بادنا كثير اللحم فأدنى إليه وهو يلهث فقال
له يا فاسق أما كان لك في خمر المدينة وقيانها ما يكفك عن الخروج مع الخراء
تقاتلنى قال يا أمير المؤمنين أكرهنى فأنشدك الله والرحم قال وتكذب أيضا
كيف أكرهك وقد خرجت بالقيان والزقاق والبرابط مغك في عسكره فقتله قال
و ادعى كثير من الاسراء من الجند أنهم رقيق فكف عن قتلهم وأمر ببيعهم
فيمن يريد مع ما يبيع بما أصيب في عسكرهم قال ومضى سليمان مفلولا حتى انتهى

إلى حص فانضم إليه من أفلت بمن كان معه فعسكر بها وبنى ما كان مروان أمر
يهدمه من حيطانها ووجه مروان يوم هزمه قواداً وروابط في جريدة خيل
وتقدم إليهم أن يسبقوا كل خبر حتى يأتوا الكامل فيجدقوا بها إلى أن يأتهم
حنقاً عليهم فاتوهم فنزلوا عليهم وأقبل مروان نحوهم حتى نزل معسكره من
واسط فأرسل إليهم أن انزلوا على حكمي فقالوا لا حتى تؤمننا بأجمعنا فدف إليهم
ونصب عليهم المجانيق فلما تابعت الحجارة عليهم نزلوا على حكمه فشل بهم
واحتملهم أهل الرقة فأووهم وداووا جراحاتهم وهلك بعضهم وبقي أكثرهم
وكانت عدتهم جميعاً نحواً من ثلاثمائة ثم شخص إلى سليمان ومن تجمع معه بمحص
فلما دنا منهم اجتمعوا فقال بعضهم لبعض حتى متى ننهم من مروان هلبوا فالتبائع
على الموت ولا نفترق بعد معاينته حتى نموت جميعاً فمضى على ذلك من فرسانهم
من قد وطن نفسه على الموت نحو من تسعمائة وولى سليمان على شطرهم معاوية
السكسكى وعلى الشطر الباقي ثيثة البهراني فتوجهوا إليه مجتمعين على أن يبيتوه
إن أصابوا منه غرة وبلغه خبرهم وما كان منهم فتحرزوزحف إليهم في الخنادق
على احتراس وتعبية فراموا تبييته فلم يقدرُوا فتهيؤا له وكنوا في زيتون ظهر
على طريقه في قرية تسمى تلّ ملّس من جبل السماق فخرجوا عليه وهو يسير على
تعبية فوضعوا السلاح فيمن معه وانتبذ لهم ونادى خيوله فثابت إليه من المقدمة
والجنبتين والساقة فقاتلوهم من لدن ارتفاع النهار إلى بعد العصر والتقى السكسكى
وفارس من فرسان بني سليم فاضطربا فصرعه السلى عن فرسه ونزل إليه وأعانه
رجل من بني تميم فأتياه به أسيراً وهو واقف فقال الحمد لله الذى أمكن منك
فطالما بلغت منا فقال استبقنى فإني فارس العرب قال كذبت الذى جاء بك أفرس
منك فأمر به فأوثق وقتل بمن صبر معه نحو من ستة آلاف قال وأفلت ثبيت
ومن انهزم معه فلما أتوا سليمان خلف أخاه سعيد بن هشام في مدينة حص
وعرف أنه لا طاقة له به ومضى هو إلى تدمر فأقام بها ونزل مروان على حص
فخاصرهم بها عشرة أشهر ونصب عليها نيفاً وثمانين منجنيقاً فطرح عليهم حجارتها
بالليل والنهار وهم في ذلك يخرجون إليه كل يوم فيقاتلونهم وربما بيتوا نواحي

عسكره وأغاروا على الموضع الذى يطعمون فى اصابة العورة والفرصة منه فلما تتابع عليهم البلاء ولزمهم الذل سألوه أن يؤمنهم على أن يمكنوه من سعيد ابن هشام وابنيه عثمان ومروان ومن رجل كان يسمى السكسكى كان يغير على عسكرهم ومن حبشى كان يشتمه ويفترى عليه فأجابهم إلى ذلك وقبله وكانت قصة الحبشى انه كان يشرف على الحائط ويربط فى ذكره ذكر حمار ثم يقول يا بنى سليم يا أولاد كذا وكذا هذا لواؤكم وكان يشتم مروان فلما ظفر به دفعه إلى بنى سليم فقطعوا مذاكيره وأنفه ومثلوا به وأمر بقتل المتسمى السكسكى والاستيثاق من سعيد وابنيه وأقبل متوجها إلى الضحاك ه وأما غير أبى هاشم مخلد بن محمد فانه ذكر من أمر سليمان بن هشام بعد انه زامه من وقعة خساف غير ما ذكره مخلد والذى ذكره من ذلك ان سليمان بن هشام بن عبد الملك حين هزمه مروان يوم خساف أقبل هاربا حتى صار إلى عبد الله بن عمر فخرج مع عبد الله بن عمر إلى الضحاك فبايعه وأخبر عن مروان بفسق وجور وحضض عليه وقال أنا سائر معكم فى موالى ومن اتبعنى فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان فقال شيل بن عزرة الضبعى فى بيعتهم الضحاك

ألم تر أن الله أظهر دينه فصلت قريش خلف بكر بن وائل فصارت كلمة ابن عمر وأصحابه واحدة على النضر بن سعيد فعلم أنه لا طاقة له بهم فارتحل من ساعته يريد مروان بالشأم وذكر أبو عبيدة أن بيهسا أخبره لما دخل ذو القعدة سنة ١٢٧ استقام لمروان الشأم ونفى عنها من كان يخالفه فدعا يزيد بن عمر بن هبيرة فوجهه عاملا على العراق وضم اليه أجناد الجزيرة فأقبل حتى نزل نهر سعيد بن عبد الملك وأرسل ابن عمر إلى الضحاك يعلمه ذلك قال لجعل الضحاك لتاميسان وقال انها تكفيكم حتى تنظر عما تنجلي واستعمل ابن عمر عليها مولاة الحكم بن النعمان (فأما أبو مخنف) فانه قال فيما ذكر عنه هشام إن عبد الله بن عمر صالح الضحاك على أن يبد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسوادها ويبد ابن عمر ما كان بيده من كسكر وميسان ودستميسان وكوردجلة والأهواز وفارس فارتحل الضحاك حتى لقي مروان بكفر توثا من

أرض الجزيرة قال أبو عبيدة تهبأ الضحاك ليسير إلى مروان ومضى النضر يريد الشام فنزل القادسية وبلغ ذلك ملحان الشيباني عامل الضحاك على الكوفة فخرج إليه فقاتله وهو في قلة من الشراة فقاتله فصبر حتى قتله النضر وقال ابن جدره يرثيه و عبد الملك بن علقمة

كَأَنَّ كِلْحَانَ مِنْ شَارٍ أَخِي ثِقَةٍ وَأَبْنِ عِلْقَمَةَ الْمُسْتَشْهِدِ الشَّارِي
مِنْ صَادِقٍ كُنْتُ أَصْفِيهِ مَخَالَصَتِي فَبَاعَ دَارِي بِأَعْلَى صَفْقَةِ الدَّارِ
إِخْوَانِ صَدِّقٍ أَرْجِيهِمْ وَأَخَذَهُمْ أَشْكُو إِلَى اللَّهِ خَذْلَانِي وَإِخْفَارِي

و بلغ الضحاك قتل ملحان فاستعمل على الكوفة المثني بن عمران من بني عائذة ثم سار الضحاك في ذي القعدة فأخذ الموصل وانحط ابن هبيرة من نهر سعيد حتى نزل غرة من عين التمر وبلغ ذلك المثني بن عمران العائذي عامل الضحاك على الكوفة فسار إليه فيمن معه من الشراة ومعه منصور بن جمهور وكان صار إليه حين بايع الضحاك خلافا على مروان فالتقوا بغزة فاقتلوا قتالا شديدا أياما متوالية فقتل المثني وعزير وعمرو وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك وهرب منصور وانهمزت الخوارج فقال مسلم حاجب يزيد

أَرَتِ لِلْمُثْنِيِّ يَوْمَ غَزَاةٍ حَتْفَهُ وَأَذَرَتْ عُزَيْرًا بَيْنَ تِلْكَ الْجُنَادِ
وَعَمْرًا أَزَارَتُهُ الْمِثْيَةَ بَعْدَ مَا أَطَافَتْ بِمَنْصُورٍ كَفَاتُ الْحَبَائِلِ

وقال غيلان بن حريث في مدحه ابن هبيرة

نَصَرْتَ يَوْمَ الْعَيْنِ إِذْ لَقِينَا كَنْصُرِ دَاوُودَ عَلَى جَالُوتَا

فلما قتل منهم من قتل في يوم العين وهرب منصور بن جمهور أقبل لا يلوى حتى دخل الكوفة فجمع بها جمعا من اليمانية والصُفْرىة ومن كان تفرق منهم يوم قتل ملحان ومن تخلف منهم عن الضحاك فجمعهم منصور جميعا ثم سار بهم حتى نزل الروحاء وأقبل ابن هبيرة في أجناده حتى لقيهم فقاتلهم أياما ثم هزمهم وقتل البرذون بن مرزوق الشيباني وهرب منصور ففي ذلك يقول غيلان بن حريث ويوم رَوْحَاءِ الْعُذَيْبِ دَفَنُوا عَلَى ابْنِ مَرْزُوقٍ سَمَامٌ مَرْعَفُ
قال وأقبل ابن هبيرة حتى نزل الكوفة وتقى عنها الخوارج وبلغ الضحاك

ماتى أصحابه فدعا عبدة بن سوار التغلبي فوجهه إليهم وانحط ابن هيرة يريد واسطا
وعبد الله بن عمر بها وولى على الكوفة عبد الرحمن بن بشير العجلي وأقبل عبدة
ابن سوار مغذاً فى فرسان أصحابه حتى نزل الصراة ولحق به منصور بن جمهور
وبلغ ذلك ابن هيرة فسار إليهم فالتقوا بالصراة فى سنة ١٢٧ (وفى هذه السنة)
توجه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظة وقحطبة بن شبيب فيما ذكر إلى مكة فلقوا
إبراهيم بن محمد الإمام بها وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم
ومسكا ومتاعا كثيرا فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة مولى محمد بن علي وكانوا
قدموا معهم بأبى مسلم ذلك العام فقال ابن كثير لإبراهيم بن محمد إن هذا مولاك
(وفىها) كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه فى أول يوم من أيام
الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنه قد استخلف حفص بن سليمان وهورضى
للأمر وكتب إبراهيم إلى أبى سلة يأمره بالقيام بأمر أصحابه وكتب إلى أهل
خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ومضى أبو سلة إلى خراسان فصدّ قوه
وقبلوا أمره ودفعوا إليه ما اجتمع قبلهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم (وحج)
بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مروان على
المدينة ومكة والطائف حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازى عن ذكره عن إسحاق
ابن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وكان العامل على العراق
النضر بن الحرثى وكان من أمره وأمر عبد الله بن عمر والضحاك الحرورى
ما قد ذكرت قبل وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها كالكرمانى
والحارث بن سريج

(تم الجزء الخامس؛ ويليه الجزء السادس)

(وأوله سنة ثمان وعشرين ومائة)

فهرس الجزء الخامس

من تاريخ الأمم والملوك

صفحة	صفحة
٢٤	٢ (سنة سبعين) ثورة الروم على من
وسلم وللخلفاء الراشدين	ياشأم من المسلمين
٢٩ (سنة ثلاث وسبعين) ومقتل	٢ شخوص مصعب بن الزبير إلى مكة
عبد الله بن الزبير	بأموال عظيمة قسمها في قومه
٣٤ تولية عبد الملك طارق مولى عثمان	٢ (سنة إحدى وسبعين) مسير عبد الملك
المدينة .	ابن مروان إلى العراق لحرب
٣٤ وفاة بشر بن مروان	مصعب بن الزبير
٣٤ توجيه عبد الملك بن مروان عمر	١١ دخول عبد الملك بن مروان الكوفة
ابن عبيد الله بن معمر لقتال	١٣ تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله
أبي فديك	ابن أبي بكوة وحران بن أبان
٣٤ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله	١٣ بعث عبد الملك خالد بن عبد الله
عن البصرة وتوليته أخاه بشر	على البصرة والياً
ابن مروان	١٣ رجوع عبد الملك إلى الشام
٣٥ غزو محمد بن مروان الصائفة	١٥ فتح عبد الملك قيسارية
وهزمه الروم	١٥ (سنة اثنتين وسبعين) وذكر خبر
٣٥ (سنة أربع وسبعين) وعزل	الخوارج وأمرهم وأمر المهلب
عبد الملك طارق بن عمرو عن	ابن أبي صفرة الخ
المدينة واستعماله عليها الحجاج	٢٠ خروج أبي فديك الخارجي وتغلبه
ابن يوسف	على البحرين الخ
٣٥ نقض الحجاج بن يوسف بنيان	٢٠ توجيه عبد الملك الحجاج بن
الكعبة وتولية عبد الملك أبا دريس	يوسف إلى مكة لقتال عبد الله
الخولاني على القضاء	ابن الزبير
٣٥ شخوص بشر بن مروان من الكوفة	٢١ كتاب عبد الملك إلى عبادة بن
إلى البصرة وتولية المهلب حرب	خازم السلي يدعوه إلى بيعته
الأزارقة وذكر الخبر عن أمره	٢٣ فصل في ذكر الكتاب من بدء
وأمرهم فيها	أمر الاسلام

صفحة	صفحة
والسبب الذي من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك	٣٨ عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وتولية أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد
١٢٦ هلاك قطري وعبيدة بن هلال وعبد رب الكبير ومن كان معهم من الأزارقة وذكروا سبب مهلكهم	٤٠ (سنة خمس وسبعين) غزوة محمد ابن مروان الصائفة وتولية عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة
١٢٨ قتل بكير بن وشاح السعدي أمية ابن عبد الله بن خالد بن أسيد وذكر سبب قتله إياه	٤٠ تولية عبد الملك الحجاج بن يوسف المراق وقدم الحجاج الكوفة وخطبته بها
١٣٤ (سنة ثمان وسبعين) عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف	٤٥ خروج الحجاج من الكوفة إلى البصرة
١٣٤ ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان وذكر السبب في توليته من ولى ذلك وشيئا منه	٤٦ نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز وما كان من أمرهم
١٣٦ (سنة تسع وسبعين) وغزوة عبيد الله بن أبي بكر رتبيل وذكر الخبر عن غزوه إياه	٤٩ نمرك صالح بن مصرح وذكر خبر ما كان منه
١٣٨ (سنة ثمانين) وذكر الأحداث الجليلة التي كانت فيها توجيه الحجاج عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك	٥٠ (سنة ست وسبعين) ٥٦ دخول شبيب الكوفة ومعه زوجته غزاة وما كان من أمره وأمر الحجاج
١٤٠ توجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك	٨٣ أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدرهم ووفود يحيى ابن الحكم على عبد الملك
١٤٣ (سنة إحدى وثمانين) فتح قالقلا وقتل بحير بن ورقاء الصريمي وذكر الخبر عن مقتله	٨٤ (سنة سبع وسبعين) قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة ابن حوية والخبر عن سبب مقتلهما
١٥١ (سنة اثنتين وثمانين) ذكر الخبر	٩٢ دخول شبيب الكوفة وحربه بها الحجاج
	١٠٢ ذكر سبب هلاك شبيب
	١١٩ وقوع الاختلاف بين الأزارقة

صفحة	صفحة
١٩٥ قتل موسى بن عبد الله بن غازم السلي بالترمذوذ كرسب قتله بها	عما كان بين الحجاج وعبد الرحمن ابن محمد من الحروب بالزاوية
٢٠٦ ذكر الخبر عما اراده عبد الملك بن مروان من خلق اخيه عبد العزيز ابن مروان وما كان من امرهما	١٥٧ ذكر الخبر عن وقعة دير الجاجم بين الحجاج وابن الاشعث
٢٠٧ وفاة عبد العزيز بن مروان	١٥٨ وفاة المغيرة بن المهلب بن خراسان
٢٠٩ بيعه عبد الملك لابنه الوليد وسليمان وجعلهما ولي عهد المسلمين	١٦١ وفاة المهلب بن أبي صفرة وذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته
٢١٠ (سنة ست وثمانين) خبر هلاك عبد الملك بن مروان	١٦٢ تولية الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب وعزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة
٢١١ ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم قه في وذكر نسبه وكنيته وذكر أولاده وأزواجه	١٦٣ (سنة ثلاث وثمانين) هزيمة عبد الرحمن بن محمد بدبر الجاجم
٢١٣ خلافة الوليد بن عبد الملك	١٧٠ ذكر الخبر عن سبب الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الاشعث وعن صفتها
٢١٤ قدوم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج وذكر ما كان من أمره	١٨٥ (سنة أربع وثمانين) غزوة عبد الله ابن عبد الملك بن مروان الروم
٢١٦ غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وحبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب	وقتل الحجاج أيوب بن القزبة
٢١٦ (سنة سبع وثمانين) عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن المدينة	١٨٦ فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك وذكر سبب فتحه إياها
٢١٦ تولية الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة وقدوم نيزك على قتيبة وذكر الخبر عن ذلك	١٨٨ (سنة خمس وثمانين) هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وذكر السبب الذي به هلك وكيف كان
٢١٨ غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ومعه يزيد بن جبير وغزوة قتيبة يكند وذكر الخبر عن غزوته	١٩١ عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان واستعماله عليها
(٤٠ - ٥٠)	المفضل بن المهلب
	١٩٤ غزو المفضل باذاغيث وذكر الخبر عن ذلك

صفحة	صفحة
٢٢١ (سنة ثمان وثمانين) ذكر ما كان فيها من الاحداث	٢٢١ طرخون ملك السغد وغدر نيزك ونقضه الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين
٢٢٢ ميلاد الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأمر الوليد بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله وأدخلها في المسجد وابتداء عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد وغزوة مسلمة الروم وفتح حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وغزوة قتيبة فومشكك ورامبثنه	٢٢٠ قتال قتيبة أهل الطالقان وذكر الخبر عن سبب ذلك
٢٢٣ كتابة الوليد بن عبد الملك إلى عمر ابن عبد العزيز في تسهيل الشايا وحفر الآبار في البلدان	٢٣٠ هروب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه في السجن وذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان ابن عبد الملك
٢٢٤ (سنة تسع وثمانين) افتتاح المسلمين حصن سورية وغزو قتيبة بخارى وولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة وغزوة مسلمة بن عبد الملك الترك	٢٣٥ (سنة إحدى وتسعين) غزوة عبد العزيز بن الوليد الصائفة وغزوة مسلمة الترك
٢٢٦ (سنة تسعين) غزوة مسلمة أرض الروم من ناحية سوريا وغزوة العباس بن الوليد وقتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن حصصه ملك السند واستعمال الوليد قرة بن شريك على مصر وأسر الروم خالد بن كيسان صاحب البحر وفتح قتيبة بخارى وهزم جوع العدو بها	٢٣٥ غزوة موسى بن نصير الاندلس وقتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان
٢٢٨ تجديد قتيبة الصلح بينه وبين	٢٤١ غزو قتيبة شومان وكس ونسف غزوته الثانية وذكر الخبر عن ذلك
	٢٤٥ (سنة اثنتين وتسعين) غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم وغزوة طارق بن زياد الاندلس وغزوة قتيبة سجستان
	٢٤٦ (سنة ثلاث وتسعين) غزوة العباس ابن الوليد أرض الروم وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وقتل قتيبة ملك خام جرد وذكر الخبر عن سبب ذلك
	٢٤٨ غزوة قتيبة بن مسلم سمرقند وذكر الخبر عن ذلك
	٢٥٥ عزل موسى بن نصير طارق بن

صفحة	صفحة
عبد الملك يزيد بن أبي كريمة على الحرب والصلوة بالمصريين الكوفة والبصرة	زياد عن الاندلس وذكر الخبر عن ذلك وجذب أهل الفريقية وعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة وذكر سبب عزل الوليد إياه عنها وضرب عمر بن عبد العزيز خبيب ابن عبد الله بن الزبير
٢٦٥ (سنة ست وتسعين) غزوة بشر ابن الوليد الشامية ووفاة الوليد ابن عبد الملك	٢٥٧ (سنة أربع وتسعين) غزوة العباس ابن الوليد أرض الروم وغزوة عبد العزيز بن الوليد أرض الروم والرجفة بالشام واقتناح القاسم ابن محمد أرض الهند وغزوة قتيبة شاش وفرغانة وذكر الخبر عن غزوة قتيبة
٢٦٨ افتتاح قتيبة بن مسلم كاشغرو غزوة الصين وذكر الخبر عن ذلك	٢٥٨ قدوم عثمان بن حيان المرى المدينة واليأ عليها وذكر الخبر عن سبب ولايته
٢٧٢ خلافة سليمان بن عبد الملك وعزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة	٢٦٠ قتل الحجاج سعيد بن جبير وذكر الخبر عن مقتله
٢٧٣ عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وقتل قتيبة بن مسلم بخراسان	٢٦٣ (سنة خمس وتسعين) غزوة العباس ابن الوليد بن عبد الملك أرض الروم وفتح آخر الهند وبناء واسط القصب وانصراف موسى بن نصير إلى الفريقية
٢٨٥ عزل سليمان بن عبد الملك خالد ابن عبد الله القسري عن مكة وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ووفاة قرة بن شريك العبسي	٢٦٤ موت الحجاج بن يوسف واستخلافه لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله واقتناح العباس بن الوليد قنبر بن وقتل الوضاحي بأرض الروم وذكر ولد المنصور عبد الله ابن محمد بن علي وتولية الوليد بن
٢٨٦ (سنة سبع وتسعين) تجهيز سليمان ابن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وغزوة عمر بن هبيرة الفزاري أرض الروم وقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالاندلس وتولية سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان وذكر الخبر عن سبب ولايته	
٢٩٠ شخوص يزيد بن المهلب إلى خراسان أميراً عليها	
٢٩١ عزل سليمان طلحة بن داود الحضرمي	

- عن مكة
٢٩١ (سنة ثمان وتسعين) توجيه سليمان
ابن عبد الملك أخاه مسلمة إلى
القسطنطينية
٢٩٣ بيعة سليمان بن عبد الملك لابنه
أيوب وفتح مدينة الصقالبة وغزوة
الوليد بن هشام وعمرو بن قيس
الطاكية وغزوة يزيد بن المهلب
جرجان وطبرستان
٣٠٠ فتح يزيد جرجان الفتح الآخر
٣٠٣ وفاة أيوب بن سليمان بن عبد الملك
وفتح مدينة الصقالبة وغزوة داود
ابن سليمان الروم
٣٠٤ (سنة تسع وتسعين) وفاة سليمان
ابن عبد الملك
٣٠٤ ذكر الخبر عن بعض سيره
٣٠٦ خلافة عمر بن عبد العزيز وذكر
الخبر عن سبب استخلاف سليمان بإياه
٣٠٩ توجيه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة
وهو بأرض الروم وأمره بالقفول
منها وإغارة الترك على آدريجان
٣١٠ (سنة مائة) خروج الخارجة التي
خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق
٣١١ شيوخ عمر بن عبد العزيز الفزارى
إلى الجزيرة عاملاً لعمر عليها وحمل
يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر
ابن عبد العزيز وذكر الخبر عن
سبب ذلك وكيف وصل إليه حتى
استوثق منه
- ٣١٣ عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن
عبد الله عن خراسان وذكّر سبب
عزل عمر بإياه
٣١٥ ذكر الخبر عن سبب تولية عمر
ابن عبد العزيز عبد الرحمن بن
نعم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري
خراسان وأول الدعوة
٣١٧ (سنة إحدى ومائة) هرب يزيد
ابن المهلب من حبس عمر بن
عبد العزيز وذكر الخبر عن سبب
هربه منه
٣١٨ وفاة عمر بن عبد العزيز
٣١٩ ذكر بعض سيره
٣٢٢ وفاة عمارة بن أكيمة الليثي
٣٢٢ زيادة في سير عمر بن عبد العزيز
٣٢٤ خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان
٣٢٦ قتل شوذب الخارجي وذكر الخبر
عن مقتله
٣٢٦ لحوق يزيد بن المهلب بالبصرة
٣٢٧ (سنة اثنتين ومائة) مسير العباس
ابن الوليد ومسلمة بن عبد الملك
إلى يزيد بن المهلب وقتل يزيد بن
المهلب وذكر الخبر عن مقتله
٣٥٠ توجيه مسلمة بن عبد الملك سعيد
ابن عبد العزيز بن الحارث إلى
خراسان
٣٥٠ ذكر الخبر عن أمر سعيد في ولاية
خراسان وعزل سعيد شعبة بن
ظهير عن سمرقند وذكر الخبر عن

صفحة	صفحة
٣٦٨ غزوة الجراح بن عبدالله الحكيم	سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة
أرض الترك ودخول أبو محمد الصادق إلى محمد بن علي	٣٥٥ قطع سعيد خزينة نهر باغ وغزوة السغد وذكّر الخبر عما كان من أمره
٣٧٠ تولية عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد خراسان وذكّر الخبر عن سبب توليته إياه	٣٥٧ عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وذكّر الخبر عن سبب عزله
٣٧٢ (سنة خمس ومائة) غزوة الجراح ابن عبدالله الحكيم اللان	٣٥٨ غزوة عمر بن هبيرة الروم بأرمينية وترجيح ميسرة رسله من العراق إلى خراسان
٣٧٤ موت الخليفة يزيد بن عبد الملك ابن مروان	٣٥٨ قتل يزيد بن أبي مسلم بأفريقية وذكّر الخبر عن سبب قتله
٣٧٤ ذكر بعض سيره وأمره وخلافة هشام بن عبد الملك	٣٥٩ (سنة ثلاث ومائة) عزل عمر بن هبيرة سعيد خزينة عن خراسان وغزوة العباس بن الوليد الروم وإغارة الترك على اللان وضم مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك القهري وولاية عبد الواحد بن عبد الله النضري الطائف واستعمال عمر ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان
٣٧٦ قدوم بكير بن ماهان من السند وعزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق	٣٦١ ارتحال أهل السغد عن بلادهم وذكّر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة
٣٧٩ (سنة ست ومائة) عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد ابن عبد الله النضري وعن مكة والطائف وغزوة سعيد بن عبد الملك الصائفة وغزوة الحجاج ابن عبد الملك اللان وميلاد عبد الصمد بن علي وموت الامام طاووس وذكّر الخبر عن سبب الواقعة التي كانت بين المضربة واليمانية وربيعة	٣٦٢ (سنة أربع ومائة) وقعة الحرشي بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقنها
٣٨٢ غزوة مسلم بن سعيد الترك وذكّر الخبر عن ذلك	٣٦٦ عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن ابن الضحاك عن المدينة ومكة
٣٨٥ قدوم خالد بن عبد الله القسري أميراً على العراق واستعماله أخاه	

صفحة	صفحة
معأوة بن هشام أرض الروم ووقوع الطاعون بالشام ٤٢٨ (سنة ست عشرة ومائة) وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم ابن عبد الله وذكر الخبر عن أمرهم ٤٢٨ خلع الحارث بن سريج وذكر الخبر عن ذلك	أسد بن عبد الله أمير اعلي خراسان ٣٨٧ (سنة سبع ومائة) خروج عباد الرعي باليمن ٣٨٨ غزوة أسد الغور ٣٨٩ (سنة ثمان ومائة) غزوة مسلمة ابن عبد الملك الروم وغزوة أسد بن عبد الله الحنل ٣٩١ (سنة تسع ومائة) غزوة عبد الله ابن عتبة ومعأوة بن هشام أرض الروم وقتل عمر بن يزيد الاسدي وذكر الخبر عن ذلك ٣٩٢ عزل هشام بن عبد الملك خالد ابن عبد الله عن خراسان وذكر الخبر عن ذلك ٣٩٧ (سنة عشرة ومائة)
٤٣١ (سنة سبع عشرة ومائة) عزل هشام ابن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان وذكر الخبر عن ذلك ٤٣٩ وفاة فاطمة بنت علي وسكينة ابنة الحسين بن علي ٤٤٠ (سنة ثمان عشرة ومائة) غزوة معأوة وسليمان ابني هشام بن عبد الملك أرض الروم ٤٤٢ وفاة علي بن عبد الله بن العباس ٤٤٣ (سنة تسع عشرة ومائة) غزوة الوليد بن الفقعاق العبسي أرض الروم وغزوة أسد بن عبد الله الحنل ٤٥٦ خروج المغيرة بن سعيد في نفر وذكر الخبر عن مقتلهم ٤٥٧ حكم بهلول بن بشر وذكر الخبر عن مخرجه ومقتله ٤٦١ ذكر الخبر عن غزوة أسد الحنل وسبب قتله بدرطرخان ٤٦٣ ذكر خبر الصحاري بن شبيب ٤٦٤ (سنة عشرين ومائة) وفاة أسد ابن عبد الله وذكر الخبر عن سبب وفاته ٤٦٧ توجيه شيعة بني العباس بخراسان	٣٩٧ دعاء الاشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الاسلام ٤٠٧ (سنة إحدى عشرة ومائة) غزوة معأوة بن هشام الصائفة البصري وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمني ٤١٠ (سنة اثنتي عشرة ومائة) ٤١٠ وقعة الجنيد مع الترك ٤١٤ ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحمر التميمي ٤٢٤ (سنة ثلاث عشرة ومائة) وهلاك عبد الله بن بخت بأرض الروم ٤٢٥ (سنة أربع عشرة ومائة) وما فيها من الاحداث ٤٢٩ (سنة خمس عشرة ومائة) غزوة

صفحة	صفحة
٥٣٣ ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر	إلى محمد بن علي بن العباس وذكر الخبر عن سبب توجيهم
٥٣٥ توجيه الوليد بن يزيد خاله يوسف ابن محمد بن يوسف الثقفي واليا على المدينة ومكة والطائف	٤٦٧ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن ابن عبد الله وذكر سبب ذلك
٥٣٥ قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان	٤٧١ ذكر الخبر عن عمل هشام في عزل خالد حين صح عزمه على عزله
٥٣٦ ذكر الخبر عن مقتله	٤٧٧ قدوم يوسف بن عمر العراق وتوليته خراسان جديع بن علي الكرمان
٥٣٨ (سنة ١٢٦) قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد بن يزيد وذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قتل	٤٨١ (سنة إحدى وعشرين ومائة) قتل زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب وذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب محرقه
٥٣٨ ذكر الخبر عن الفساد بني عميه هشام والوليد	٤٩٧ (سنة اثنين وعشرين ومائة) ذكر الخبر عن مقتل زيد بن علي
٥٥٧ مقتل خالد بن عبد الله القسري وذكر سبب ذلك	٥٠٧ قتل كلثوم بن عياض القشيري وعبد الله البطل
٥٦٤ ذكر الخبر عما حدث من الفتن في بني مروان	٥٠٧ (سنة ثلاث وعشرين ومائة) ذكر الخبر عما جرى بين أهل السغد ونصر بن سيار من الصلح
٥٦٥ وثوب أهل حمص بأسباب العباس ابن الوليد وهدمهم تداره	٥١٢ (سنة أربع وعشرين ومائة)
٥٦٨ وثوب أهل فلسطين والأردن على عاملهم وذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم	٥١٣ وفاة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
٥٧١ عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وولاية منصور بن جمهور	٥١٣ (سنة خمس وعشرين ومائة)
٥٨٠ كتاب مروان بن محمد إلى النضر ابن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد	٥١٣ وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان
٥٨٣ عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق وتوليته عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز بن مروان	٥١٤ ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته وذكر بعض سيره
	٥٢٠ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك مروان وذكر أسباب ولايته الخلافة
	٥٣٣ تولية الوليد أنصر بن سيار خراسان ووفود يوسف بن عمر على الوليد

صفحة	صفحة
إلى الشام وحربه سليمان بن هشام	وذكر الخبر عن ذلك
٥٩٩ ذكر الخبر عن سبب خروج	٥٨٤ وقوع الاختلاف في خراسان بين
عبدالله بن معاوية بالكوفة ودعائه	اليمامة والنزارية
الناس إلى نفسه	٥٩١ ذكر الخبر عن سبب أمان يزيد
٦٠٤ ذكر الخبر عن أمر الحارث بن	ابن الوليد الحارث بن سريج
سريج وأمر نصر بن سيار	٥٩٣ عزل يزيد بن الوليد يوسف بن
٦٠٦ ذكر الخبر عن البيعة لمروان بن	محمد عن المدينة وتوليته إياها
محمد بالخلافة	عبد العزيز بن عبدالله
٦٠٧ انتفاض أهل حمص وسائر أهل	٥٩٣ إظهار مروان بن محمد الخلاف
الشام على مروان وحربه إياهم	على يزيد بن الوليد
٦٠٧ دخول الضحاك بن قيس الشيباني	٥٩٥ موت يزيد بن الوليد
الكوفة	٥٩٦ خلافة أبي اسحاق إبراهيم بن الوليد
٦٠٧ خلع سليمان بن هشام مروان بن	٥٩٨ (سنة ١٢٧) مسير مروان بن محمد
محمد ونصب الحرب وما جرى بينهما	